

# الإغريق تاريخهم وحضارتهم

من حضارة كريت حتى قيام  
امبراطورية الاسكندر الأكبر

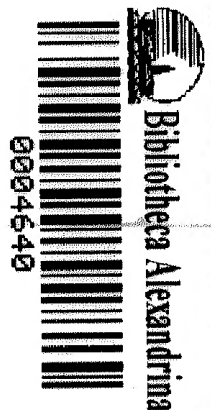
دكتور  
سيد أحمد علي الناصري

استاذ التاريخ القديم  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

الطبعة الثانية منقحة ومزودة

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت  
القاهرة





# الإغريق تاريخهم وحضارتهم

من حضارة كريت حتى قيام  
امبراطورية الاسكندر الأكبر

دكتور  
سيد أحمد علي الناصري  
استاذ التاريخ القديم  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

الطبعة الثانية منقحة ومزودة

دار النهضة العربية

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت  
القاهرة

**Magistro Meo**  
**Professor Dr. : Abdullatif Ahmed Ali**  
**hoc librum**

**Dedicatio**

**MCMLXXVII**  
**Anno Domini**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تصدير الطبعة الأولى

انه ليسعدنى أن أقدم للمكتبة العربية كتابى هذا عن تاريخ الأغريق وحضارتهم •

أنتى لا أدعى لنفسى تجديدا يتميز عما تزخر به المكتبة الأوربية من معلومات غزيرة فى هذا الموضوع ولكنه يحق لى أن اعتر بتقديم عمل مكتوب بتفكير عربى لأن مؤلفه قرأ وهضم ثم صاغ التاريخ بطريقة تناسب المفهوم والشكل العربى •

كذلك فانه ليسعدنى أن أبدى اهتماما عند كتابة تاريخ الاغريق بالعلاقات الحضارية بين شرقنا الأوسط ومصرنا العزيزة من ناحية وبين هذا الشعب العريق من ناحية أخرى فى حين أن معظم المؤلفات الغربية لا تعطيها سوى القليل أو تسقطها من حسابها لأن لنا رسالة فى تدريس تاريخ الاغريق وهو تعميق المفهوم والاصالة الحضارية لخلفاء الحضارات العريقة قبل أن نطلب المعرفة لذات المعرفة •

كذلك فانتى لم أحاول أن أقدم تاريخا سياسيا بل آثرت أن أقدم تاريخا يعكس العقلية الأغريقية بفكرها وفنها وخيالها • وذلك تابع من ايمانى بأن التاريخ « معرفة » هدفها الأول تعريف الناس بالناس رغم تفاوت الزمان واختلاف المكان •

ان قضية الاختيار من المنجم التاريخى أمر صعب لأن المؤرخ لا يقدر على كتابة كل التاريخ فى كتاب واحد يطلب بعده من الطالب استيعابه • ومن ثم كان على مقدم التاريخ للقراء أن يصوغ من منجم المعرفة التاريخية

تاريخا مناسباً في وسع القارئ العربي استيعابه • ومن ثم كان من حقي أن أختصر وأسقط وأمر مرورا سريعا على ما أراه بذى قيمة محدودة أو ذى أثر في الأحداث محدود • كما أئني لم أستطع أن أكبح جماح اهتمامي ببعض الموضوعات المعينة لأن للمؤرخ ضمير مثل باقى الناس • ولهذا لم أتردد في أن أسجل أى فكرة جديدة يثيرها عقلى ولكن في هوامش الكتاب لكي لا أفرضها على الناس •

إنها بداية محاولة وليس نهايتها وأملى أن أدوام مستقبلا على الاضافة والمراجعة حتى يستكين فؤادى ويقتنع عقلى بأن هذا كل ما يمكن أن يقال عن هؤلاء الذين صنعوا هذه الحضارة العريقة •

وقل رب زدنى علما واجعلنى من الصالحين •

كلية الآداب - جامعة القاهرة

ديسمبر ١٩٧٣

#### تصدير الطبعة الثانية

كان للنجاح الغير متوقع الذى حققته الطبعة الأولى أثره الكبير فى نفسى ، فقد نال الكتاب اعجاب زملائى القائمين على تدريس تاريخ الاغريق وحضارتهم فى الجامعات المصرية وأوصوا طلبتهم بالرجوع اليه من أجل مزيد من المعرفة ، أما أساتذتى الكبار فى هذا الفرع من الدراسات الاقسائية فقد أبدوا مشكورين ملاحظاتهم فى اعداد الطبعة الثانية وأود أن أخص بالذكر والشكر الأستاذ العلامة الدكتور ابراهيم نصحى الذى كان مرجعا لى فى كل مشكلة قابلتنى وكذلك الأستاذ الكبير محمد محمود السلامونى الذى قدم لى نصائحه وارشاداته خاصة فيما يختص بتعريب بعض المصطلحات الاغريقية الى العربية •

والله الموفق

كلية الآداب - جامعة القاهرة

يناير سنة ١٩٧٦

# الفصل الأول

## مدخل الى الموضوع

هيللاس أو اليونان هي ذلك البلد الجميل الذى يرتبى فى أحضان البحر المتوسط والذى اليه يتدفق السائحون من كافة أنحاء العالم وخاصة من القارة الأوربية ، بحثا عن الشمس والهدوء الطبيعى ، ربيعا وصيفا ، شتاء وخريفا . ومن أهم الدوافع التى تشجع الناس على الذهاب الى اليونان هو مكائتها الحضارية القديمة وتراثها الثقافى والفنى الكبير الذى ساهم به شعبها فى حضارة الانسان على مدى قرون طويلة اذ ظلت الحضارة الهلينية تثرى الفكر الانسانى منذ أواخر الألف الثانى قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادى وعلى ضفاف النيل وحدة ترعرعت هذه الحضارة لألف عام ، فهو البلد الذى قدم للعالم الالياذة والاوديسا وروائع التراجيديدى المسرحية كأعمال ايسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس وملاهى ارستوفانيس وميناندر الساخرة ، وهو البلد الذى أخرج فلاسفة لا تزال أبحاثهم من المعالم الكبرى فى طريق البحث عن المعرفة والحقيقة كأمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو . وهو البلد الذى تزخر متاحفه ومتاحف العالم بأعمال فنانيه الخالدة سواء فى العمارة ، والنحت من أمثال فيدياس وبراكستيليس وسكوباس ليكوبوس ، أو فى الرسم على الأوانى الفخارية ، وغيرها من ذخيرة التراث الفنى الانسانى ولا تزال أطلال المعابد تطل متحدية الدهر بعظمتها وجمالها . كذلك فان الدارس لتاريخ الاغريق سوف يجد فى دراسته منجما غنيا بالتطورات السياسية من كل

جنس ونوع والتي كان لبعضها أكبر الأثر في سير التاريخ الانساني (١) .  
كما ساهم المفكرون الاغريق في بعض المشاكل السياسية التي لا تزال  
الشغل الشاغل للمفكرين المعاصرين . واذا كان يحق للأوروبيين أن يولوا  
دراسة الحضارة الاغريقية (والرومانية) أهمية خاصة باعتبارها أول  
حضارة أوروبية ولأن تراثهم الثقافي والحضاري ينحدر من جذور اغريقية  
رومانية فأتنا يجب نحن أبناء الشرق الأوسط (٢) وخاصة نحن المصريين  
أن نلفت النظر الى حقيقة تاريخية هامة وهي أن الحضارة الاغريقية  
نفسها قد حوت عناصر فكرية حضارية مبعثها مصر ودول الشرق  
الأوسط .

واذا كان قد قدر للحضارة الأوروبية - التي شملت الى جانب  
تراث الاغريق والرومان حضارة مصر والشرق القديم وحضارة العرب  
الاسلامية أن تشكل حضارة العالم المعاصر فان دراستنا لها كعرب  
وكمصريين تعيننا ، لا لأننا جزء من العالم المعاصر بل لأننا ساهمنا في

---

(١) لقد حدد الاغريق الكثير من خصائص الفكر الانساني ويكفى ان  
نشير الى الصيغ التي نزال نستخدمها في عالمنا المعاصر في مناهج السياسة  
والفكر مثل الملكية monarchy والارستقراطية aristocracy والديمقراطية  
democracy والاوليجارخية أو حكام الأقلية Oligarchia والديماجوجية  
أو الفوغائية demagogia وحكم الطغاة Tyranny فضلا عن اثره  
الاداب والعلوم بالالفاظ مثل الملحمة الشعرية Epic والقصيدة الغنائية  
lyric والرواية التمثيلية drama والمسرح Theatre والمأساة أو التراجيديا  
tragedy والكوميديا Comedy والشعر Poetry وعلم الفيزياء Physics  
والفلك astronomy والرياضة mathematics والتاريخ history والفلسفة  
Philosophy والمنطق logic وعلم النفس Psychology كلها من صياغ  
الاغريق أو تطوير من صياغتهم . انظر رمزي عبده جرجس : تاريخ  
الحضارة الهلينية تأليف ارنولد تويني - اكسفورد ١٩٥٩ ( سلسلة الالف  
كتاب القاهرة ١٩٦٣ انظر أيضا : تراث العالم القديم تأليف و. ج. دي  
بورج ترجمة زكي سوس ومراجعة صقر خفاجة - دار الكرنك - سلسلة  
الالف كتاب القاهرة ١٩٦٥ ص ١٤٦ .

(٢) عن تراث الشرق الأوسط والحضارة الهلينية فيه انظر الكتاب  
الشيقي

F.E. Peters: The Harvest of Hellenism. A History of the near East from  
Alexander, the Great to the triumph of Christianity. New York 1970,

الحضارة الاغريقية ذاتها بقدر ما ساهم أجداد الأوروبيين \* أضف الى ذلك أن جزءا كبيرا من الوطن العربى كمصر وشمال أفريقيا والساحل السورى كانت من أهم منارات الحضارة الاغريقية فى وقت ما وقد حفظت مصر بالذات التراث الاغريقى من خلال مدنها الاغريقية كالاسكندرية وثقراطيس وبطلمية وأكسيريخوس وانطينوبوليس ومدن اقليم الفيوم المختلفة \* ولولا رمال مصر الدفينة ما عرف العالم الأوروبى الكثير عن حضارته الاغريقية (١) \* والى جانب دور مصر الحضارى فى هذا المجال فإن أجدادنا العرب أيضا قد حافظوا على هذا التراث من الاندثار فى فترة كانت أوروبا تمر فيها بمرحلة من أحلك مراحلها ولا يزال الأوروبيون يعترفون بفضل العرب فى هذا المضمار بل ويحتفلون بالمفكرين العرب من أمثال ابن سينا وابن رشد والفارابى وغيرهم من الفلاسفة الذين قاموا بجمع ورجمة أعمال أغريقية كثيرة ومتنوعة الى العربية فحموها بذلك من الاندثار (٢) اذا فدراسة الحضارة الاغريقية تهم العربى فى الحقيقة أكثر ماتهم الأوروبى ، لأنه ساهم فيها أصلا ثم تثقف بها وحماها وقدمها للأوربيين عندما بدأت أوروبا تستيقظ من غفوتها ثم استقبلها مرة أخرى مع الحضارة المعاصرة الآتية من أوروبا مع عصر النهضة الحديثة \*

---

(١) من الأدبيات التى أخرجتها رمال مصر مؤلفات الشعارين الكايوس وباخيليديس وبعض مسرحيات ميناندروس النادرة ومسرحيات هيرونداس الصامتة ( بانتوميم ) وكتاب أرسطو عن دستور الاثينيين وكانت هذه الأعمال قد فقدت كلية من المخطوطات الأدبية الاغريقية التى كان الرهبان فى العصور الوسطى ينسخونها فى الأديرة .

(٢) انظر عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية دراسات لكبار المستشرقين الطبعة الثانية ١٩٤٦ ، كذلك جلال مظهر : مآثر العرب على الحضارة الاوربية - مكتبة الانجلو القاهرة ١٩٦٠ ، أيضا انظر « ما خلفته اليونان - لجنة الترجمة والنشر ( مترجم ) المطبعة الأميرية ١٩٢٩ ( تأليف نخبة من اساتذة جامعة اكسفورد ) ، أيضا انظر : تمام حسان مسالك الثقافة الاغريقية عند العرب تأليف أوليرى - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٧ . كذلك انظر محمد مفيد الشوباشى العرب والحضارة الاوربية - المكتبة الثقافية ٣١٧ القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٢ وما بعدها أيضا انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : المدينة الاسلامية وأثرها فى الحضارة الاوربية الطبعة الاولى القاهرة دار النهضة العربية ١٩٦٣ ص ٣١ وما بعدها .

### الموقع الجغرافي لبلاد اليونان واثره على تطور حضارتها :

تعرف بلاد اليونان في اللغة اليونانية القديمة والمعاصرة باسم هيللاس Hellas وهي تشمل شبه جزيرة البلقان والجزر المنتشرة في بحر ايجه وكذلك المدن اليونانية المنتشرة على ساحل آسيا الصغرى \* وأطلق الاغريق على أنفسهم لفظ Hellenes أو « الهلينيون » ولكن الرومان أطلقوا عليها اسم Graeci (١) وهو في الحقيقة اسم قبيلة هيلينية نزلت من اقليم بيوتيا Boeotia في شمال بلاد اليونان الى جنوب ايطاليا وسرعان ما أصبح الاسم الروماني هو الذي اشتهر به هذا الشعب في اللغات المعاصرة \*

وتبلغ مساحة بلاد اليونان ما يقرب من خمسين ألف ميلا مربعا (٢) \* وهي في طبيعتها أرض قفرة جبلية ، قليلة الخصب ، ولو ألقينا نظرة على موقع البلاد من خريطة أوروبا ، لرأينا أنها تحتل جزءا حيويا من القارة ذاتها إذ أن شبه جزيرة البلقان بالنسبة لأوروبا هو شبه الجزيرة الشرقي ( لأن هناك شبه الجزيرة الأوسط وهو شبه الجزيرة الإيطالية وشبه الجزيرة الغربي وهو شبه جزيرة أيبيريا ) كما أنها نطل على حوض البحر الأبيض المتوسط جنوبا والبحر الادرياتيكي غربا وبحر ايجه شرقا \* كما نلاحظ انتشار الجزر اليونانية الصغيرة وخاصة في بحر ايجه (٣) وعلى طول ساحل آسيا الصغرى ، لقد كانت هذه الجزر بمثابة جسر بحري

---

(١) ومنه اشتق العرب لفظ « الاغريق » أما لفظ « يوناني » فهو لفظ متوارث من اللغات السامية القديمة ومشتق من لفظ « ياوانيين » الذي أطلقه أهل الشرق الأوسط القديم على الهلينيون وربما أيضا مشتق من لفظ « أيوني » خاصة أن المستوطنات الأيونية انتشرت في آسيا الصغرى المتاخمة لحدود الشرق الأوسط . لكنني أرت أن استخدام لفظ الاغريق لأنه شائع فضلا على أنه يحدد مفهوم الحضارة الهلينية القديمة ولا يخلط بينها وبين اليونان الحديثه .

(٢) للمزيد عن اثر الجغرافيا والتضاريس على الحضارات الاغريقية ارجع الى : عبد اللطيف أحمد على - التاريخ اليوناني : العصر الهيللادي دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧١ ص ٧ - ٨ حيث عالج ذلك بأسهاب ودقة .

(٣) يوجد في بحر ايجه وحده حاليا ٨٣ جزيرة وفي غرب بلاد اليونان ما يقرب من ١١٦ جزيرة : عبد اللطيف أحمد على المرجع السابق ص ٢٥ .

يربط آسيا وأوروبا ، كما نلاحظ أيضا أهمية موقع جزيرتي كريت وقبرص في البحر الأبيض وقربهما من ساحل أفريقيا الشمالي وأغنى ليبيا ومصر .

أما من ناحية تضاريس بلاد اليونان فنلاحظ أنها تتميز بوجود الجبال الوعرة التي تحول دون قيام اتصال سهل بين أجزاء البلاد نفسها اذ قسمت هذه الجبال - التي تقف كموانئ طبيعية - البلاد الى مجموعة من الوديان والسهول منعزلة بعضها عن بعض ولقد كان لموقع البلاد وتضاريسها الجغرافية أشد الأثر على تفكير الاغريق وعلى حضارتهم فنلاحظ مثلا :

أولا : قرب بلاد اليونان من الشرق الأسط منبع الحضارات سواء من مصر أو بلاد الهلال الخصيب جعل بلاد اليونان بمثابة البوابة الشرقية لأوروبا والتي منها تدفقت حضارة الشرق القديم وكما كانت جزيرتا قبرص وكريت بمثابة المعبر الجنوبي للاتصال التجاري والحضاري لساحل أفريقيا الشمالي كما كانت الجزر اليونانية في بحر ايجه وعلى طول ساحل آسيا الصغرى بمثابة الجسر الشرقي بين أوروبا وآسيا الصغرى . كما كان ساحل شبه القارة اليونانية الغربية والجزر التي فيه وخاصة جزيرة كوركيرا Korkyra بمثابة البوابة الغربية لبلاد اليونان حيث حمل التجار والمهاجرون الاغريق الحضارة الى شبه الجزيرة الايطالية . وبذلك ساعد الموقع الجغرافي لبلاد اليونان على أن تقوم بدور المستورد لحضارات الشرق والموزع لها في باقى أنحاء القارة الأوروبية .

ومن الجدير بالذكر أن تصور الاغريق للعالم المسكون كان يختلف عن تصورنا الحديث . لأن عالم الاغريق كان أضيق بكثير من حدود عالمنا ، اذ لم تكن أوروبا بالنسبة للاغريق سوى سواحلها الجنوبية المطلة على البحر المتوسط والمحصورة بين بحر ايجه وبحر الادرياتيك والبحر التيراني، وكانت قارة آسيا بالنسبة لهم هي آسيا الصغرى (Asia Minor) بشواطئها المطلة على بحر ايجه من مدخل البسفور الدردنيل شمالا حتى الشاطئ السوري والفينيقي بالإضافة الى المنطقة الداخلية الواقعة الى

الشرق داخل صحراء الشام الكبرى حتى بلاد الرافدين Mesopotamia حيث مهد العديد من الحضارات التي تعلم منها الاغريق الكثير وآخر آسيا بالنسبة لهم كان حضبة إيران وسهولها الممتدة شرقاً حتى بحر قزوين أما الهند فقد بقيت حتى وقت متأخر بالنسبة لهم طلسماً غريباً وبلاداً خرافية تقع قرب طرف العالم المسكون أما قارة أفريقيا فكانت بالنسبة للاغريق هي المنطقة الوسطى من ساحل أفريقيا الشمالي والتي أطلق عليها الاغريق اسم لوبيا أو ليبيا Libya .

ثانياً : إن التضاريس الوعرة والجبال التي قسمت اليونان إلى مجموعة من الوديان الصغيرة المنعزلة لصعوبة الاتصال بينها ، أدت إلى عاقبة الاتصال وظهور العزلة الحضارية بين المناطق المختلفة في بلاد اليونان ومن ثم فقد أدى ذلك إلى ظهور العزلة الفكرية والسياسية بين إقاليم البلاد المختلفة ، فقد نشأ نتيجة لذلك نظام دويلات المدن Poleis (١) وخاصة حول المدن الكبرى والهامة . وأصبح على كل مدينة Polis أن تعتمد على نفسها اعتماداً ذاتياً من الناحية الاقتصادية Autarkia كما تشبّثت كل مدينة باستقلالها السياسي Autonomia وتمسكها بالحرية Eleutheria إذ أن العوائق الطبيعية الجغرافية وقفت حائلاً دون قيام وحدة سياسية شاملة بل جعلتها مدناً متفرقة متصارعة ومتنافسة والحرب بينها ظاهرة طبيعية على مر التاريخ . وبالطبع كان ذلك على حساب الحضارة الاغريقية نفسها التي دفعت ثمنها باهظاً نتيجة للحروب المتعددة .

كذلك كان من نتائج وعورة التضاريس البرية أن اتجه الاغريق إلى البحار كوسيلة للاتصال إذا كان من الأسهل على الاغريق أن يركب

(١) انظر عبد اللطيف أحمد على المرجع السابق ص ١٠ .

(٢) جدير بالذكر أن نشير إلى أن نظام دويلة المدينة Polis أوجده أولاً شعوب الشرق القديم خاصة « السومريون » منذ القرن الثلاثين قبل الميلاد وهو نظام لا يختلف كثيراً عن النظام الذي ساد بين الاغريق . أيضاً جدير بالذكر أن نشير إلى أن السومريين كانوا أول من أوجد نظام مجلس الشيوخ ومجلس المحاربين ( المجلس الشعبي ) وهذا مؤكد على الأقل في مدينة أوروك ( الوركاء ) ويذكرنا بالنظام الذي أقام عليه الاثينيون نظام حكمهم المسمى باسم الديموقراسيا ( الديمقراطية ) وهذا يبين مدى مساهمة حضارة الشرق القديم في الحضارة الاغريقية .



البحر منطلقا فيما وراءه ، على أن يتحمل مشقة اجتياز المرتفعات والجبال والوديان ومن ثم فقد كانت الحضارة الاغريقية حضارة بحرية تجارية عالمية منذ بدايتها وكان الأسطول وخاصة في أثينا — عاملا هاما من معالم الحضارة والتجارة بل وارتبط اسمه الديموقراطية الاثينية . وهكذا وجد الاغريقى من السهل عليه أن يعمل بالبحر والتجارة ومن ثم سافر الى جهات بعيدة وعاد معه بذور وأفكار من حضارات أخرى طور منها حضارته . بعد أن أضاف اليها كل ما استطاع أن يصل اليه عن طريق قدراته الخاصة .

ثالثا : ان فقر التربة وقلة الأراضى الصالحة للزراعة والتي لم تتناسب مع الازدياد المضطرد في عدد السكان ، دفع السكان الى الهجرة بحثا عن أرض جديدة ، وقد ساعد ذلك على انتشار المدن المستوطنات الاغريقية في مناطق شتى من العالم كما دفع السكان الى البحث عن حرف غير زراعية مثل التجارة والصناعات الفنية ومن ثم فان حضارة بلاد الاغريق لم تكن في جوهرها حضارة زراعية كحضارة مصر أو بلاد الهلال الخصيب بل كانت حضارة تجارية صناعية قبل أن تكون زراعية .

رابعا : كان لعامل المناخ أثره الكبير في الحضارة الاغريقية ، فطقس البلاد الدفء المعتدل وشمسها المشرقة طوال العام الى جانب نوع التراكيب الجغرافية من جبال وسهول وأنهار ووديان ساعد على نمو ونضوج العقلية اغريقية وجعلها أكثر تحورا وتنوعا وأقل جمودا من غيرها كما شجع السكان على قضاء وقت أكبر خارج ديارهم ولهذا فقد اهتموا بالرياضة البدنية التي كانت من أهم مميزات مظاهر الحياة الاجتماعية (١) كما أصبح من الضروري على الفرد أن يلهم بشئون مدينته السياسية

(١) اشتقت كلمة politics أى « علم السياسة » من لفظ polis لان الحديث في شئون المدينة خلال الجلوس في سوق المدينة العام (agora) كان في نظر الاغريق هو السياسة ولكن بمفهوم مجتمع المدينة واحوال الناس وليس السياسة الخارجية كما ذكر أرسطو أن الانسان حيوان سياسى ( أى اجتماعى ) انظر : Ernest Parker: Greek Poetical Theory London 1960 Paperbacks) p. 12 ff.

ايضا انظر : الطبيعة الاغريق : تأليف ايرفين شرودينجر وترجمة عزت قرنى ومراجعة محمد صقر خفاجة القاهرة دار النهضة العربية ١٩٦٢

والاجتماعية وهذا يبين الدور الهام الذى لعبه سوق المدينة Agora  
والذى كان من أهم معالم المدينة الاغريقية القديمة . أيضا ساعد التنوع  
الجغرافى وامتداد البحار الشاسعة حول شبه الجزيرة اليونانية على نمو  
الخيال الفنى الذى تزخر به أساطيرهم . فقد طاب للاغريق أن يمزج  
الحقيقة بالخيال ولذا يجب الاشارة دائما الى الأسطورة ومن الأسطورة  
سوف نحاول البحث عن حقيقة هذه الحضارة الخالدة .

### الاسطورة والدين الاغريقى :

سبق أن ذكرنا أن الاغريق أطلقوا على أنفسهم اسم الهلينيين واذا  
أردنا البحث عن سبب تسميتهم لأنفسهم بهذا الاسم لوجدنا أنفسنا  
ندخل الى أعماق الأساطير والديانة الاغريقية ، اللتان لا غنى لدارس  
الحضارة والتاريخ عن الاطلاع بهما . وسوف نبدأ بمعالجة سريعة وشاملة  
لآلهة الاغريق الكبرى .

تروى الاساطير الاغريقية أنه فى البدء<sup>(١)</sup> كانت الفوضى (Chaos)  
ثم خلقت الارض Gaea مسطحه وصلبه تخفى من تحتها الجحيم Tartarus  
ومن الأرض تخلقت السماء Uranus والجبال والانهر والمحيط Oceanus  
ومن زواج الارض بالسماء جاءت المردة Titans وهم مخلوقات شيطانية

---

(١) ربما كان من الطريف لو قارنا ذلك بتفسير مدرسة أوون المصرية  
( هليوبوليس ) للوجود التى تقول أنه فى البدء كان النون ( المحيط الأزلئ )  
ومن النون برز أتوم الذى ذرا عن نفسه كلا من « شو » رب الهواء وتفنوت  
ربة الرطوبة وبزواجهما أنجبا الرب جب (الأرض) والربهنوت (السماء) واللذان  
بدورهما أنجبا أوزوريس وايزيس وست ونفتيس . مع ملاحظة أنه بينما  
اعتبر الاغريق الأرض أنثى والسماء ذكرا اعتقد المصريون عكس ذلك .

(٢) جدير بالذكر أن الأستاذ أحمد أمين ترجم كلمة Chaos «بالعماء»  
وشرح ذلك بأنه اللفظ الذى يعنى المادة التى هى على حالة اختلال وعدم  
انتظام قبل أن تخلق ودعم راية برد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام  
عندما سأله : « اين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ فأجاب  
صلى الله عليه وسلم فى عماء تحته هواء وفوقه هواء » انظر مبادئ الفلسفة  
تأليف رانويرت ترجمة أحمد أمين الطبعة الثامنة - دار النهضة المصرية  
١٩٧١ ص ١٩٧ ملحوظة (١) .

غلاظ القلوب محبة للعنف والفوضى مما أقلق أباهم الاورانوس (السماء) فألقى بهم في الجحيم ولكن الارض استاءت لفعله وعز عليها أن ترى أبناءها سجناء في الجحيم فحرضتهم على الثورة ضد أبيهم بل وأمدتهم بمعدن الحديد ليصنعوا منه سلاحا وتزعهم المردة كرونوس Kronos الذي استطاع أن يقتص لاخوته بأن عزل أباه أورانوس عن عرشه وتربع مكانه وظل على ذلك عشر سنين حتى ثارت المردة مرة أخرى واشتبكت في عراك مرير ضد الآلهة عرف باسم صراع المردة Giagantomachia وانتهى هذا الصراع الذي يرمز للصراع بين النظام والفوضى وبين الخير والشر بانتصار الآلهة والزج بهم مرة أخرى الى الجحيم Tartarus وتولى الحكم ابن كرونوس الأكبر وهو زيوس كبير الآلهة، وكان كرونوس قد أنجبه بعد زواجه من أخته ريا Rhea وكذلك أنجب منها بوسيدون Poseidon رب البحار والمحيطات وهاديس Hades رب العالم الأسفل كما أنجب كرونوس بنتا واحدة هي هيرا Hera التي تزوجت من أخيها زيوس وأنجبت منه معظم الآلهة التي كانت تعيش فوق قمة الأولمبوس Olympus<sup>(١)</sup> الذين سوف نذكرهم فيما بعد . هكذا حكم زيوس من فوق قمة جبل الأولمبوس ونصب من نفسه كبيرا على الآلهة والبشر وقد اعتمد زيوس في حكمه للآلهة على قوته التي كانت تتمثل في أسلحته الشهيرة كالبرق والرعد والصواعق كما تحكم في زمام السماء وما يتصل بها كالمطر والسحب والرياح بينما ترك لأخيه بوسيدون مطلق التصرف في البحار والمحيطات ووهب أخاه الآخر هاديس Hades مملكة العالم الأسفل فبقى فيه يحكمه ويتحكم فيه . كما اتفق زيوس وأخواه أن يوجدوا للبشر حياة بعد الموت يحيونها في مملكة هاديس السفلى .

وقد عرف زيوس بكثرة غرامياته ومغامراته مع (٢) النساء اذ اتخذ

---

(١) يقع هذا الجبل الشاهق في شمال اقليم تراكيا وعلى حدود مقدونيا حيث تصور الأريق أنه أطراف العالم المتحضر أي الاغريقى .

(٢) للمزيد عن الاساطير : انظر عبد اللطيف أحمد على ومحمد صقر خفاجه : أساطير اليونان . دار النهضة العربية القاهرة ١٩٥٩ . أيضا انظر:

H.J. Rose: A Handbook of Greek Mythology Methuen revised edition 1958 ; also John Pinsent: Greek Mythology London 1969.

له العديد من العشيقات مما أثار عليه غضب زوجته وأخته ، هيرا في كثير من الأحيان وحدث ذات مرة أن ضاق « زيوس » ذرعا لما رآه من فساد في أخلاق البشر وتزايد في شروهم فقرّر أن يهلك الخلق ثم يعيده فأغرق بلاد اليونان بطوفان لم ينج منه أحد سوى زوجان من البشر هما ديوكاليون Deucalion وبورها Pyrrha اذ سبق لرب الأرباب أن حذرهما وأخبرهما مسبقا بأمر الطوفان ، فصنعا سفينة حملتهما عبر جبال المياه حتى رست فوق جبل البارناسوس Parnassus وهناك استقبلهما هرميس رسول زيوس مقدما لهما الهدايا ومهنئا بسلامة الوصول . ولكن ديوكاليون وبورها شكيا لرسول الآلهة من وحدتهما وأنهما لا يقدران على العيش في عالم خال من البشر فقبل لهم أن يلقوا أحجارا وكلما فعلوا ذلك تحولت الأحجار الى بشر رجالا ونساء . وأقام ديوكاليون وبورها في رغد من العيش وأنجبا بنينا وبناتا ومن بين أبنائهما « هيلين » جد الهلنيين الأسطوري .

#### ١ - آلهة الأولمبوس :

تصور خيال الاغريق أن الآلهة الكبرى وعددها اثني عشرة ربا وربة من الناحية الرسمية وأربع عشرة ربا وربة من الناحية العرفية (١) ، كانت تعيش في مجمع Pantheon فوق جبل الأولمب تحت رئاسة زيوس فوجزها على النحو التالي :

زيوس : Zeus يعرفه الرومان باسم جوبتر (Jupiter) هو رب الأرباب وحاكم الكون المطلق من فوق جبل الأولمبوس ، تتصل عبادته بأسماء مناطق كثيرة من بلاد اليونان مثل دودونا Dodona بإقليم أيروس Epirus غرب بلاد اليونان حيث كانت مركز نبوءته ، وكذلك في أولمبيا Olympia بإقليم ايليس Elis في غرب إقليم البلويونيز حيث يلتقى

---

(١) وذلك بعد تسلسل الرب ديمتر وابنتها « كوري » أو برسيفوني الى مجمع الآلهة .

نهر كلابديوس Kladeus والفايوس Alphaeus الذين خلدتهما الأساطير وأعمال الفنانين وكانت أولبيا من أشهر الأماكن اتصالا بزيوس إذ كان يجري فيها أعياد ومهرجانات رياضية (سميت بالأولبية نسبة لهذا المكان) تكريما له كل أربعة سنوات • كما كانت أولبيا مقر عبادته حيث تطور معبده من حجر مقدس Altis وسط الأحرش الى معبد من أشهر المعابد الاغريقية في العصر القديم بنى ما بين عامي ٤٦٨ و ٤٥٦ ق م • وقد اشتهر هذا المعبد بالأعمال الفنية الجميلة وخاصة رسوماته الرخامية المنحوتة على واجهة المعبد Pediment كما ارتبط هذا المعبد باسم فنان العصر الكلاسيكي الشهير فيدياس Pheidias الذي صنع تمثالا عملاقا لزيوس من العاج والذهب (Chryselephantine) • وقد ظل هذا المعبد باقيا حتى دمره زلزال في القرن السادس الميلادي • وعلى شمال هذا المعبد كان يقف معبد زوجته هيرا والذي اشتهر باسم الهيرايوم Heraeum • وقد أخرجت الحفائر الاثرية التي أجريت في هذا المكان منذ عام ١٩٢٦ الكثير من المواد الاثرية الهامة •

٢ - هيرا : Hera وقد عرفها الرومان باسم Juno وهي شقيقة زيوس وقرينته. الشرعية ، وكانت الربة المختصة بشئون النساء والحامية للزواج وللأسرة والى جانب معبدها في أولبيا عبدت في مدينة Argos في أسبرطة وكذلك في جزيرة Samos بالقرب من شاطئ آسيا الصغرى •

٣ - أثينا : وتعرف عند الرومان باسم مينرفا باللاس (Minerva Pallas) وتروى الأساطير الاغريقية أن زيوس ضاق ذرعا بربة العقل والحكمة (Mineris) ميتس وخاصة بعد أن أنذر من خطر الانجاب منها فقرر التخلص منها ولم يجد خيرا من أن يتلعبها في جوفه • وما أن فعل ذلك حتى أصيب بصداع شديد في رأسه جعله يصرخ من الألم ووقفت الآلهة حيال ذلك لا حول لها ولا قوة ثم نودى على اله الحدادة هيفايستوس Hephaestus وبعد أن تفحصه زيوس انهال على رأسه بفأسه ففجها وسرعان ما قفزت منها الربة أثينا مدججة بالسلاح وتصرخ صيحات الحرب • وقد ورثت أثينا الحكمة عن أمها كما كانت ربة الحرب والنزال وحامية الصانع وقد

لقيت بأسماء كثيرة أشهرها « ذات الوجه الحسن » Glaucois « والعذراء Parthenos ذلك لأنها آثرت أن تبقى دون زواج حتى لا تلتبس عذريتها ، وقد أقيم لها أكبر معبد عرفته اليونان في تاريخها وهو معبد البارثينون Parthenon ( أى معبد العذراء ) فوق الاكربول • وقد قام الفنان فيدياس بصنع تمثال ضخيم لها من العاج والذهب حفظ في هذا المعبد • وكان يرمز لها بطائر البومة ، رمز الحكمة والمعرفة في اليونان القديمة •

كما كانت أثينا الربة الحامية للمدن وخاصة أثينا وهي في ذلك شبيهة بحماية الربة المصرية نايت لمدينة سايس Sais (صالحجر) في غرب دلتا النيل بل ان بعض كتاب الاغريق نسبوا أصول أثينا الى هذه الربة • وقد عثر في مصر على تماثيل تجمع بين هاتين الربتين في صورة واحدة وقد نسبت الأساطير الى أثينا أعظم الأعمال وهي الاتيان بأول شجرة زيتون الى بلاد اليونان •

٤ - أبوللون : Apollon وباللاتينية Apollo عرفه الرومان باسم فيبوس Phoebus رب النور أما عند اليونان فكان أيضا رب الشباب والشعر والموسيقى فهو الذى أوجد القيثارة ، وقد ولد مع أخته ارتيميس حيث انجبه أمهما ليتو Leto من زيوس ولذا يظهر دائما ممثلا مع أمه وأخته أو في صحبة أخته Artemis وحدها كما عرف أبوللو بأنه رب النبؤات والطهارة ورد الأذى والابوثة عن الناس • وقد اشتهرت جزيرة ديلوس مسقط رأسه كمركز لعبادته حيث كان يقام أعياد ومهرجانات كل أربعة أعوام تعرف باسم البيثية Pythian نسبة الى بيثيا مكان معبده القديم ، وكان معبده في دلفى Delphi كعبة اليونان جميعا ومركز للوحدة الدينية والسياسية فيما بعد • وبلغ من غيره اليونان على قداسة هذا المعبد أن قامت حملة لجمع التبرعات من كافة المدن الاغريقية بما في ذلك مدينة قنارطيس في مصر • لاعادة بنائه بعد أن تعرض لحريق مدمر في القرن السادس قبل الميلاد • وكان هذا المعبد مركزا لتقديم النبوءات حيث كانت تجلس كاهنة المعبد على مقعدها الشهير ذى الثلاث أرجل (Tripodes) وتتمتع بكلمات من وحى الآلهة •

٥ - ارتيميس : Artemis وقد عرفها الرومان باسم Diana وهي توأم أبوللون وقد اعتبرها المفكرون والفنانون الاغريق رمزا للكمال والجمال العذرى كما كان أخوها بالنسبة للشباب . لقد فضلت ارتيميس أن تعيش عذراء على أن يدنسها ذكر ، واهبة حياتها للادغال والمراعى ، فهي ربة الصيد حيث صورت دائما وهي تتمنطق بجعبة السهام كما عرف عنها الانتقام ممن يحاول حتى النظر الى قوامها كما فعل اكتايون الذى كان يصطاد فى احدى الغابات ففوجيء بالربة وهي تستحم فجلس يختلس النظر اليها فما كان من الربة الا أن جعلت كلابه تنهش لحمه . هكذا أصبحت ارتيميس حامية للشرف العذرى كما كانت أثينا ، بل كانت أيضا الربة التى تعاون النساء ساعة الوضع اذ قيل أنها ساعدت فى مولد أخيها أبوللون رغم أنها ولدت قبله بدقائق كما ارتبط اسم ارتيميس بالقمر مثلما ارتباط اسم أخيها بالشمس .

٦ - هرميس : Hermes ويعرف عند الرومان باسم مركوريوس Mercurius وقد ذكرته الأساطير بأنه مبعوث الآلهة - لذا كان يصور دائما وهو يحمل عصا الرسول Kerykeion ويرتدى خوذة الاخفاء المجنحة والحذاء الطويل المجنح . وقد قام بعد مولده بسرقة ماشية أخيه أبوللون ولذا اتخذ اللصوص ربا لهم كما عرف بأنه رب التجار وحامى الطرق . وقائد الأرواح عبر سراديب العالم الآخر Psychopompos وقد اعتبره الاغريق أكثر آلهتهم « أغريقية » (١) فكان حامى الحدود ومعاهد الرياضة Gymnasia والمكتبات العامة . وقد ارتبطت صورته ببعض الاخصاب Phallos حيث كانت تقدم اليه القرابين فى هذا

(١) اقام الاغريق فى مصر مدينة نسبوها لهذا الاله وهي مدينة هرموبوليس الكبرى ومكنها الآن الاشمونين مركز ملوى محافظة المنيا . ومن الجدير بالذكر ان عبادة هذا الاله انتشرت فى مصر فى العصر اليونانى الرومانى حيث عودل بالرب المصرى اتوبيس . وقد عرفت عبادته باسم هرميس مثلث العظمت Hermes tresmegistos وقد ظهر مصورا على جباهه كوم الشقافه بالاسكندرية وهو يقود ارواح الموتى الى مملكة هاديس . اوزوريس السفلى عون نظور عبادة هذا الاله انظر :

Norman O. Brown : Hermes, the thief : the evolution of a myth, university of wisconsin press 1947.  
( ٢ - الاغريق )

الشكل • وقد عرف أيضا بأنه رب الطبقات الفقيرة والبروليتاريا الاثنية • فكان رمزا لنظام الحكم الديموقراطي ولما وجدت تماثله مجظمة ذات يوم دق حماة الديمقراطية ناقوس الخطر • وحدثت أزمة في أثينا هددت بفوضى عارمة • والحقيقة أن هذا الاله ارتبط بالتجارة وبالاستعمار التجارى وبالتالي بالامبراطورية الاثنية •

٧ - ديونيسوس : Dionysus وقد عرفه الرومان باسم باخوس Bacchus رب الحصاد والحداثق والكروم وفوق كل شيء رب الخمر والمرح والشهوة والمتعة • كان لا يفيق من سكره أبدا اذ كان يصور ثملا يحيط به جوق من اتباعه من السيلين Sileni وهم مخلوقات بشرية لها ذيول الخيل وآذانها محبة للعردة والمرح خاصة مع المنيات Maenads وهن نساء بريات • ولهذا الاله أهمية في الأدب الاغريقى والتراجيديا الاغريقية حتى أن كلمة تراجيديا اشتقت من اسم تراجوس أى «الجدى» سيوانه المفضل لما عرف عنه من طاقة وحيوية وخاصة في الجماع • ويبدو أن ديونيسوس كان الالهة وافدا من الشرق ولكن الأساطير الاغريقية ربطته باقليم طيبة شمال غرب بلاد اليونان •

٨ - ٩ ديمتر Demeter وبرسيفوني Persephone :

وقد عرف الرومان ديمتر باسم Ceres كما عرفوا ابتها بتحريف اسمها الاغريقى الى بروسرينا Proserpina التى كانت تعرف عند الاغريق أيضا باسم الصبيسة Kore وقد عبدت الأم والابنة كرتين عظيمتين ولما كانت بلاد اليونان تعاني نقصا كبيرا فى انتاج الغلال فقد أولوا هاتين الربتين عناية كبيرة وجعلوها أساسا لعبادة زراعية سرعان ما أصبحت شعائرها سرية وارتبطت هذه العبادة باسم ضاحية اليوسيس قرب أثينا (١) • كما تروى الأساطير قصة حادث خطف هاديس للابنة كورى وحبسها فى عالمه المظلم • وقصة بحث أمها ونواحا عليها الذى كان

---

(١) ومن الجدير بالذكر أن بطالمة مصر اقاموا ضاحية لمدينة الاسكندرية وسموها أيضا اليوسيس كدليل على اهتمامهم بعبادة ديمتر •



شبيها بنواح ايزيس على أوزيوس (١) حيث جابت الأرض تنادي عليها وهي متوشحة بالسواد وقد أجذبت الأرض وأقتر الزرع حتى وافق هاديس على عودة الابنة الى الأرض لفترة معينة تعود بعدها اليه لأنه كان قد اقترن بها وتوجها ملكة على العالم الأسفل ولعل ارتباط الابنة بالعالم الآخر لدليل واضح على ارتباطها بالنبات وخاصة القمح وكانت الأم تصور دائما وهي تحمل سنابل القمح في يدها .

(١٠) بوسيدون Poseidon :

وقد عرفه الرومان باسم نبتون Neptuneus رب البحار والمحيطات والينابيع والأنهار . وكان يمسك بالأرض حتى لا تهتز أو ترتجف فإذا أراد شرا بالناس هز الأرض فتحدث الزلازل وقد عشق بوسيدون الخيل وارتبط بها ، وكان مركز عبادته عند منطقة خليج كورثا حيث تبدأ السفن رحلاتها الى ما وراء البحار . ومن أشهر معابد هذا الاله معبده في كالاوريا Calauria حيث كانت تقام له مهرجانات .

(١١) أفروديت Aphrodite :

وتعرف عند الرومان باسم فينوس Venus ربة العشق والجمال والسحر الفتان . صورها الفنانون الاغريق بقدر مشوق وجمال خلاب وجسد يتفجر أنوثة . كانت أفروديتي تعني بأمور النساء من عواطف وعلاقات عاطفية ولها كانت قلوب العشاق تتوجه دائما بالدعاء . تقول الأساطير الاغريقية أن أفروديتي ولدت من زبد البحر (Aphros) قرب شواطئ قبرص (٢) . ومما لاشك أن عبادة أفروديتي تتبع من أصل

(١) ادمج الاغريق المتمصرون ايزيس مع ديميتر في صورة واحدة يعرفها الاربيون باسم ايزيس ديميتر وقد انتشرت هذه التماثيل الطينية بكثرة في مصر في العصرين الهلينستي والروماني خاصة في اقليم الفيوم .

(٢) من الواضح أن اسم قبرص Cypria « الشهوة » كان احد صفات أفروديت وربما اشتق اسم الجزيرة منه حيث كانت مدينة بافوس Paphos في قبرص مركزا لعبادة ربه الجمال كما ان الشاعر يوربيديس ناداها في مسرحيته اندروماخا بأسم قبرص .

(٣) انظر : فاضل عبد الواحد على : عشتار ومأساة تموز سلسلة الكتب الحديثة - منشورات وزارة الاعلام العراقية (٦٢) بغداد ١٩٧٣ ص ١٧٢ وما بعدها .

شرقى وربما من الربة السورية عشتار (٢) . وقد يفسر امتزاج الربتين معا في صورة واحدة على الأراضي المصرية في العصر الهلينى ، هذه القرابة . وعلى أى حال كانت شخصية أفروديتى الغذاء الروحى والالهام الفنى لكثير من فناني الاغريق منذ القرن الرابع وأبان العصر الهلينى واليونانى الرومانى . اذ كان جسدها وجمالها الآخاذ محل دراسة وحقل تجارب من جانب الفنانين للوصول الى سر الجمال الكامل . وقد خلد بعضهم للانسانية روائع نادرة كانت حديث العالم كالتمثال الشهير الذى صنعه الفنان الاغريقى براكتيلس Praxiteles لحساب أهل مدينة كنيديوس في القرن الرابع حيث تجرأ هذا الفنان فصور الربة عارية لأول مرة وهى في طريقها الى الحمام وقد تناول الفنانون في العصور التالية هذا الموضوع بنماذج مختلفة وقد شغف الاغريق في الاسكندرية بجمال هذه الربة واحتفظوا برسومات صارخة لها علقوها في حجرات نومهم مما أثار غضب القديس كليمنت السكندرى فهاجم مثل هذا « الانحلال الخلقى » (١) . ومن دراسة آثار الاغريق في مصر يظهر أن هذه الربة كانت من أشهر الربات في العصور الأخيرة لكثرة تماثيلها وصورها . وقد ارتبط ظهور الربة في كثير من الأحيان بابنها الطفل Eros والذى عرفه الرومان باسم كيويديوس Cupidus حيث كان يرمى القلوب بهام الحب . وكانت أفروديتى تبدو دائما وهى تسلك بالثفاحة أو ترتدى قلادتها الشهيرة حول عنقها . وأحيانا كانت تحتضن اليمامة طائرها المفضل .

#### (١٢) هيفايستوس Hephaestus :

ويعرف عند الرومان باسم فولكانوس Vulcanus رب النار سواء التى تصدر من البراكين أو التى يشعلها الانسان كما كان أيضا رب الحدادة وقيل أنه كان يسلك مصنعا للحدادة أقامه في قلب مجموعة من البراكين كانت توجد في جزر ليبارى Lipari وكان يعاونه في حدادته الككلوبيس Cyclopes وهم مخلوقات عملاقة لكل منها عين واحدة في منتصف وجهه . . وكان هيفاستوس يقوم في مصنعه بعمل أسلحة

(1) St. Clement of Alexandria, Protrepticus, IV, 60.

الآلهة المختلفة • وهو نادر الظهور في الأعمال الفنية وقد وصفته الأساطير بأنه أعرج وذلك لأن أمه « هيرا » لم تعجبها خلقته المشوهة بعد ولادته فألقت به من السماء فأصيب بكسر في ساقه ، ومن العجيب أن جعلته الأساطير زوجا لأفروديتى وربيا كان ذلك من أجل تعليل خيانات الربة المتعددة مع الآلهة والبشر • وهو مثل بوسيدون اله أندثرت عبادته باندثار العصر الكلاسيكى في اليونان القديمة •

### (١٣) آريس Ares :

ويعرفه الرومان باسم مارس Mars اله الحرب والوياء وعشيق أفروديتى الشهير • كانت عبادته تتمركز في منطقة طيبة وثرأيا Thracia وقد لعب دورا كبيرا في أسطورة الحرب بين الاغريق والطروديين ولكن الديانة الاغريقية لم توليه أهمية كبرى اذ اعتبره الاغريق ربا دخيلا عليهم وباستثناء ظهوره مع أعضاء مجلس الآلهة • لم يظهر كثيرا في أعمال الفنانين ولم تعرف أى معبدا خاصا بعبادته •

### (١٤) هستيا Hestia :

وقد عرفها الرومان باسم فستا Vesta وقد غالت الأساطير الاغريقية في تمسكها بعذريتها ورد الكثيرين ممن جاءوا يطلبون يدها مثل بوسيدون وأبوللون وقد عرفت هستيا بأنها ربة الموقد الذى كان يوجد في المنزل أو يتوسط ساحات المدن كرمز للحياة • حيث اعتبر الاغريق الموقد من أهم أجزاء البيت ولذا اعتبرت هستيا ربة الدار ورعاية الأسرة والساهرة على سعادتها وراحتها والتي لها تتقدم بالصلاة قبل تناول الطعام وبعده • كما أعجب الرومان كثيرا بهذه الربة حيث كان يقام لها معبد يقوم في الخدمة فيه راهبات عذراوات • كما كان يحفظ في هذا المعبد الوصايا والوثائق السياسية الخطيرة للدولة حيث السرية فيه مقدسة •

(١) كما كان المهاجرون يحرسون على حمل شعله من موقد مدينتهم الأم لا شعال موقد المستوطنة الجديد كرمز الولاء للمدينة الأم •

### ثانياً - الآلهة الصغرى :

والى جانب الآلهة الكبرى كان يوجد عدد كبير من الآلهة الصغرى والتي قامت بأدوار متعددة ومختلفة يصعب ذكرها بالتفصيل ولذا نحاول ايجازها بتقسيمها الى المجموعات التالية :

#### (أ) الرسل والحاشية للآلهة الكبرى :

مثل ايريس Iris رسولة الآلهة وهيبي Hebe ربة الشباب والصحة وجانييد Ganymede الطفل الطروادى الذى خطفه زيوس ليجعل منه ساقيا له وربات الخير Charites وربات ساعات النهار Horae وغيرهما •

#### (ب) آلهة الريف والمراعى والغابات :

ويجىء على رأسها الرب الاركادى بان Pan وكان قبيح الخلقة ينتهى نصفه الأسفل بجسم ماعز وكان رب الرعاة وحامى القطعان من الذئاب والى هذه المجموعة تنسب « السيلين » تلك المخلوقات البرية التى كانت تخرج مع ديونيسوس رب الخمر ، وعادة يرتبط الريف بالينابيع وعيون الماء حيث قيل أن الحوريات كن يسكن هناك Nymphai وكن ينقسمن الى حوريات الينابيع والأنهار (Naiades) وحوريات الجبل Oreades وحوريات الأدغال والأشجار Hamadrayades •

#### (ج) آلهة المحيطات والبحار :

وجميعهم كانوا اتباعا لبوسيدون • ويجىء على رأسهم امفتريتى Amphitrite زوجة بوسيدون والوحش تريتون وكان له ثلاث رؤوس بشرية ونصفه الأسفل على شكل ثعبان<sup>(١)</sup> • ومنها أيضا الأقيانوس Oceanos اله المحيطات وزوجته ثيتس Thetis والنريديات Nereides حوريات البحر والرب بروتئوس Proteus الذى كان فى مقدوره الظهور فى صور متعددة وفى أشكال متباينة وكذلك رب الماء جلauكوس Glaucus وليوكيثيا وغيرهم من أرواح البحر •

(١) وقد عادله الاغريق برب الشر والحقد عند المصريين وهو ست .

(د) ربّات تشخص قوى ورغبات معينة :

وهن كثيرات وكان لبعضهن عباد وكهنة وعبادة أما ترجمة لرغبات معينة ومنهن Nike رب النصر المجنحة والتي عرفها الرومان باسم Victoria وتيمس Themis ربة العدالة ونيميس Nemesis ربة الانتقام والعقاب الى جانب أسماء البلاد التي جسدها الاغريق في صور نساء والواقع أن الاتجاه نحو التجسيد قد ازداد بشكل واضح منذ القرن السادس قبل الميلاد وبلغ أقصاه في المصور المتأخرة حيث تدهورت الآلهة الكبرى وقامت على أشلائها آله جديدة في عالم جديد .

(هـ) الأبطال :

(Heroes) وكانوا في الأصل بشرا ثم ألّهُوا لسبب ما وأصبحوا وسطاً بين البشر ( الذين عرفوا باسم الفانين (Brottoi) الآلهة الذين كان يشار اليهم باسم الخالدين (Athanatoi) ويحىء على رأس الأبطال هرقل Heracles وباللاتينية (Hercules) بطل الأبطال وحامي الحضارة الهلينية في بلاد البرابرة (١) . وقد كان للأبطال أهمية كبيرة في حياة الاغريق لأن كل قبيلة كان تنسب نفسها الى أحد هؤلاء الأبطال « كجد أول » وكذلك فعلت كثير من أصحاب الطوائف الحرفية في مدينة أثينا . وكان الأبطال الأجداد يسمون (Heroes Eponymoi) كما اعتاد الاغريق أن ينسبوا مدنهم عند تأسيسها الى أحد من هؤلاء الأبطال .

أصل الاغريق : -

أثبتت الحفائر الأثرية وجود سكان بلاد اليونان منذ العصر الحجري القديم (Palaeolithic) ربما هم أول من دخلوا البلاد ومن المؤكد أن هؤلاء كانوا من عنصر البحر المتوسط الذي انتشر في المنطقة كلها ومارس الصيد وجنى الثمار .

---

(١) والدليل على ذلك ظاهرة على الاواني الاغريقية في القرن السادس وهو يفتك بالملك المصري بوسيريس في وهو في محرابه لأن هذا الملك لم يكن مضافا تجاه الاغريق . وقد تحدث هيرودوت عن ذلك في كتابه الثاني - هيرودوت - الكتاب الثاني ، ٤٥ .

وابان العصر الحجري الجديد Neolithic والذي يحدده العلماء بالفترة ما بين ٣٥٠٠ حتى ١٩٠٠ ق م ، دخل بلاد اليونان مهاجرون لانعرف هويتهم ، أطلق عليهم الاغريق اسم البيلاسجيين Pelasgians (١) ، وربما وفد البيلاسجيون من غرب آسيا الصغرى ودخلوا شبه الجزيرة اليونانية من سواحلها الشرقية أو عن طريق مضيق البسفور والدردنيل ثم توغلوا جنوبا وقد لاحظ علماء حضارة بلاد الاغريق في عصور ما قبل التاريخ أن هذا العصر السكاني يتشابه مع سكان كريت وجزر بحر ايجه وساحل طروادة ، وأن حضارة البيلاسجيين حضارة زراعية ، وأنهم يتكلمون لغة ليست هندوأوروبية وبقيت آثارها الى وقت متأخر في أسماء بعض المدن التي انتهت بنهايات غريبة عن اللغة الاغريقية والأصل الهندي الأوروبي لها ، مثل النهاية nthos (Olynthos و Corinthos) والنهاية eno (Messene و Cyllene) والنهاية ssa (Lorissa) .

و Antissa) ، والنهاية ssos مثل (Parnassos و Halicarnassos) ) ومن الواضح أن البيلاسجيين كانوا على قرابة كبيرة بسكان كريت القديمة وينتمون الى شعوب بحر ايجه . ويذكر هيرودوت أنهم هم السكان الأصليون لبلاد الاغريق وامتزجوا مع من وجدوهم من شعوب البحر الأبيض مكوئين عنصرا سكن البلاد قبل وصول الهجرات الآرية أو الهندو أوروبية وظل يسيطر عليها خلال العصر الحجري الحديث وحتى مطلع عصر النحاس عام ١٩٠٠ ق م .

---

(١) ربما تعنى هذه الكلمة شعوب البحر وهذا الاسم يعادل الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء على سكان بحر ايجه وهو الحاو - نيبوت أي شعوب البحر : انظر : جان فركوتيه قدماء المصريين والاعريق - بحث في العلاقات بين الشعبين من أقدم الأزمنة الى نهاية الدولة الحديثة ( ترجمة محمد على كمال الدين وكمال الدسوقي ومراجعة محمد صقر خفاجة ) دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٥ - ٤٢ . ، وكان هوميروس أول من ذكر اسم البيلاسجيون في الإلياذة ( الكتاب الثاني ٤٨٠ ) ، والكتاب السابع عشر - ٣٠١ ) على أنهم قبيلة في تراكيا كانوا حلفاء للطرواديين ، كما أطلق هيرودوت ( الكتاب الأول ٥٧ ) اسم Pelasgioti على مدينة لاريسا الواقعة في تساليا .

وبالرغم من أن البيلاسجين لم يكونوا «آريين» أو «هيلينيين» إلا أن علماء الحضارة درجوا على سمية الشطر الثاني من العصر الحجري ( ٢٥٠٠ - ١٩٠٠ ق م ) باسم العصر الهيللادى Helladic على اعتبار أنهم سوف يكونون أجداد الأغريق بعد امتزاجهم بالعنصر الآرى أو الهندو أوروبى الذى هبط على البلاد مع مطلع عصر النحاس في نهاية الألف قبل الميلاد .

ويعرف العلماء العصر الهيللادى حضاريا بأنه الحضارة الزراعية التى انتشرت من تساليا شمالا الى بلاد اليونان الوسطى ( اقليم بوءتيا ، وأتيكا ) ثم الى بلاد اليونان الجنوبية ( شبه جزيرة البيلوبونيز وجزيرة ايچينا ) وجزر بحر ايجه خاصة الكيلايس Cyclades . ( جزر الأرخبيل ) .

وكانت الحضارة المينية فى كريت من أهم مراكز هذه الحضارة الهيللادية وعلى ذلك يجب أن ندرك أن الكريتين القدماء - بالرغم من مساهمتهم الكبيرة فى تأسيس الحضارة الأغريقية - كانوا يختلفون تماما عن الأغريق اللاحقين فى السلالة وفى الصفات البدنية وفى اللغة ، كما أن المسؤل عن تدمير الحضارة المينية هم القبائل التى جاءت من شبه الجزيرة اليونانية قرب نهاية الألف الثانى ق م ، مما يؤكد اختلاف العنصرين بالرغم من استمرار الحضارة .

أما بعد عام ١٩٠٠ ق م فبدأ عصر النحاس والبرونز حيث هبط على شبه الجزيرة اليونانية موجات متتابعة من الغزاة واستمر ذلك لفترة طويلة ويظهر هؤلاء الغزاة مصورين كقوم طوال القامة ، ذوى بشرة شقراء ويتمون الى العصر الهندو أوروبى وعلى وجه التحديد الفصيلة النوردية الألبانية ، وكان هؤلاء الغزاة يجلبون معهم أسرهم وأمتعتهم . ويعملون بالصيد والقنص ويستخدمون أسلحة مصنوعة من النحاس والبرونز . ويرى العلماء أن هؤلاء الغزاة الجدد قريبو الشبه فى عاداتهم وثقافتهم بالمقدونيين القدماء أو الألبانيين المعاصرين .

ولا يعرف من أن جاء هؤلاء الغزاة ولكن من المؤكد أنهم كانوا

يتكلمون لغة هندو أوروبية (١) ، ويعتقد المؤرخون أنهم جاءوا من أصقاع شمال أوروبا الشرقية أو من منطقة حوض الدانوب أو شرق بحر قزوين وأواسط آسيا الصغرى ، ثم شقوا طريقهم جنوبا الى تراكيا ومقدونيا وتاليا وإيروس ثم الى بلاد اليونان الوسطى والجنوبية . وبفضل أسلحتهم البرونزية وشخصيتهم العدوانية سيطروا على البلاسجيين وأصبحوا حكاما عليهم بالرغم من أنهم لم يكونوا أرقى منهم حضارة ، ولكنهم فرضوا عليهم لغتهم الجديدة الهندو أوروبية . وبمرور الزمن بدأ العنصران يمتزجان عرقيا وحضاريا وما أن جاء القرن السادس عشر ق.م حتى اكتمل هذا العنصر في شكل جديد أطلق عليه هوميروس اسم « الآخيون (Achaioi) وربما كان ذلك اسم قبيلة ثم عمم هوميروس الاسم على الشعب كله . وقد تركزت هذه القبائل في منطقة شمال شرق البيلوبونيسوس حيث ظهرت مدن موكيناي وتيرنز Tiryns وفي غرب البيلوبونيسوس ظهرت مدينة بيلوس Pylos وفي إقليم بوءتيا ظهرت أو أورخومينوس Orchomenos .

أما العلماء المعاصرين فقد فضلوا أن يطلقوا على الشعوب التي شهدت هذه الحضارة بالموكينين Myceneans اذ عموما اسم أشهر مدينة وهو موكيناي على العصر كله . بعد أن أماطه ثوليماں اللثام عن شطر كبير من حضارتها ونجح قنترس Ventris في حل طلاسم كتابتها حيث أثبت أن الموكينين كانوا يتكلمون لغة اغريقية في طورها البدائي . وفي بعض الأحيان، يسمى العلماء هذه الفترة بحضارة العصر الهيللادى الثانى . لكن من المؤكد أن غزاة عصر البرونز هم أجداد الاغريق . وهم الذين قادوا بلاد اليونان في حرب مريرة ضد مدينة طروادة وقد وصف

---

(١) الهندو اوروبية هم اللغة الام لعدد كبير من اللغات القديمة مثل السنسكريتيه والفارسية القديمة والارمنية واللغة اللاتينية ومشتقاتها من اللغات الأوروبية الحديثة ( الايطالية والفرنسية والاسبانية ومجموعة اللغات الكلتية ) واللغة اليونانية القديمة والحديثة ، وعدد من لغات بحر البلطيق السلاقيه والألبانية فضلا عن بعض لغات البحر المتوسط التى انقرضت مثل الفريجية والحيثية والاليرية .



مايكل جرافت ذلك بأنه صراع بين شعوب متجولة وليس صراعا قوميا وحضاريا كما صوره الأغريق فيما بعد .

هكذا برزت شخصية الأغريقى من هذا المزيج السكانى والحضارى .  
وعندما تحقق الوعى القومى أطلق الأغريق على أنفسهم اسم «الهيلينيون»  
Hellenes نسبة الى جد اسطورى هو هيلين Hellen ، وفى الحق كانت هناك قبيلة تعرف بهذا الاسم وتوطن فى شمال بلاد اليونان وسرعان ما عسم اسمها على العنصر كله ثم ازداد التعميم فأصبح يطلق على المتحدثين باللغة الهيلينية ( اليونانية ) وسواء كانوا يقطنون بلاد اليونان أو بمساحل آسيا الصغرى أو فى جزر بحر ايجه أو حول البحر الأسود أو فى جنوب ايطاليا . وما غيرهم سُمى بالأجانب أو الأعاجم Barbaroi (١) . أما شعوب الشرق الأوسط القديم فقد أطلقوا على الأغريق اسم « الياوانايون » Yauna وهو اللفظ الذى تطور فى اللغة العربية الى اليونانيين (٢) .

وجدير بالذكر أن مصر ذاتها قد تعرضت لعدوان هؤلاء الآخين ،  
ما ذكرت لوحة سجلت انتصارات رمسيس الثالث ( ١١٨٤ - ١١٥٣ ق م )  
وهو أعظم ملوك الأسرة العشرين أن مصر قد تعرضت لمحنة من جراء  
عدوان شعوب البحر الأخايواشا والدانونا على شواطئها الغربية والشرقية  
وأن الفرعون رمسيس الثالث قد خاض ضدهم ثلاثة معارك ضارية اثنتان  
منها على الحدود الغربية والثالثة على الحدود الشمالية الشرقية للدلتا

---

(١) ومعناها الذين يرطنون بلغة أجنبية انظر .

H. D. Kitto, : the Greeks, A study of the character and history of an anicient civilization and of the people who created it, A pelican book 1954, p 7 ff.

كذلك انظر ترجمه هذا الكتاب التى قام بها عبد الرازق يسرى تحت اسم  
الأغريق - القاهرة . دار الفكر العربى ١٩٦٢ ، ص ٥ .

(٢) عبد اللطيف احمد على التاريخ اليونانى - العصر الهيلادى -

بيروت دار النهضة العربية ١٩٧١ ص ٨٥ - ٨٨ .

وكانت الأخيرة معركة برية بحرية وهى من المعارك النادرة من هذا النوع فى تاريخ العسكرية المصرية القديمة وبفضل هذه الانتصارات أمكن لرمسيس الثالث وقف زحف هؤلاء المغيرين . وكان الانتصار مذهلا لدرجة أن هذا الفرعون خلده على جدران معبد العظيم فى مدينة هابو الواقعة فى الجزء الغربى من مدينة طيبة ( الأقصر ) (١) ويفسر العلماء هذه الفترة الى تدهور الامبراطورية الحثية ( الخثية ) ( أو الخيتية كما سماها القدماء ) فى غرب آسيا الصغرى مما أدى الى تدفق الطامعين فيها من شعوب البحر .

وفى مطلع الألف الحادى عشر ق.م وصل الى بلاد اليونان آخر موجات الهجرات وهم الدوريون ( Dorians ) وهم قبائل هندو أوروبية وتكلم اللغة اليونانية بلهجة مميزة . وكان مقصدهم شعبه جزيرة البيلوبونيسوس حيث دمروا القصور الموكينية وأقاموا على خرائبها قراهم الصغيرة وقد جاء هؤلاء الدوريون معهم بمعدن الحديد ومن ثم انتهى عصر البرونز وبدأ عصر الحديد ، كما جاءوا معهم بالعبادة الأغريقية Himation أما فيما عدا ذلك فلا يذكر لهم تجديد معين فى الحضارة ولما كان هؤلاء الدوريون من نفس العنصر فقد أطلق مؤرخو الأغريق على غزوتهم اسم « عودة أحفاد البطل الأسطورى هيراكليس (The Return of the Herakleidae) » حتى يعطوا لغزوتهم شيئا من الشرعية ، وفر الهاربون شرقا الى أتيكا حيث تبلور العنصر الأيونى فى الشرق فى مواجهة العنصر الجديد الدورى ، كما هرب بعض المهاجرين الأخيين الى الشمال فى بوء تيا حيث امتزجوا بسكانها وظهر العنصر الأيولى وعندما بدأت

(١) عن هجوم الاخايواشا والدانونا انظر : -

G. A. Wainwright, Journal. of Egyptian Archaeology xxv, p 148-153.

وكذلك جان فركوتيه - المرجع السابق - ص ٦ ، ص ٩٤ وما بعدها .

الهجرة نحو ساحل آسيا الصغرى أسس الأيوليون منطقة في الشمال وحول جزيرة لسبوس سموها أيوليس، أما الأيونيون فقد احتلوا الساحل الأوسط وسموه أيونيا وهاجر الدوريون الى جنوب الغربى من ساحل آسيا الصغرى وجزيرة رودس وكريت وسموه دوريس Doris أى منطقة الدوريين . ولكن بقى أن نعرف أن الفرق بين هذه العناصر الثلاث كان فى لهجات اللغة الاغريقية التى هى من فعل التأثر الاقليمى للقبائل المحلية .

#### أسطورة البطل القومى الاثينى ثيسبيوس .

لقد اخترنا الأسطورة كمدخل للدراسة التعلية لأصول الحضارة الاغريقية لأنها تشير الى فكرة حضارية بالرغم من أنها من نسج الخيال الهللىنى البحت وبعد عرضنا لهذه الأسطورة سوف ندع . علم الآثار المادى يحدد لنا المعالم الحقيقية للتاريخ والحضارة الهللىنية لأننا نرى من الواجب اعتبار الفكر المعنوى عنصرا ماديا لا يجب اغفاله وخاصة فى دراسة حضارة الأفرىق التى لعب الخيال والأسطورة فيها دورا كبيرا تردد صدهاء فى الفلسفة والأدب والفن والسياسة . ويعتقد البعض أن موطن هذه الأسطورة هو جزيرة كريت . وتروى أن ملكا طاغيا كان يحكم الجزيرة ويدعى مينوس Minos وكان له ولدان وابنة أولهما اسمه اندرجيوس Androgeus . وقد ضرب به المثل فى الذكاء وفى اعادة الألعاب الرياضية البدنية حتى عت شهرته بمائر البلاد ، أما الابنة فكانت تدعى ارديانى وعرفت بجمالها ورقتها أما الابن الآخر فكان مخلوقا عجيبا ، لقد كان وحشا يفترس الآدميين ، له جسم الانسان ورأس الثور ولذا سمي « بالمينوتوروس » وقد اضطر الملك مينوس ازاء الخوف من هذا المخلوق . أن يحبسه فى أروقة قصر التيه الذى كان يعيش فيه Labyrinth وهو قصر كبير معقد الوحدات البنائية حتى أن الانسان يضل طريقه بين أروقه وتروى الأساطير أن مهندسا وفنانا اسمه دايدالوس هو الذى بناه للملك فى قلب عاصمة كريت القديمة كنوسوس Knossus . وتذكر الأسطورة أيضا أن الأمير اندروجيوس عاش حياة سعيدة وهو يمارس الرياضة البدنية بكافة أنواعها اذ كان

يشارك في مهرجانات الرياضة المختلفة ويفوز بكل جوائزها ، وذات مرة ذهب الى مدينة أثينا ليشترك في مهرجان رياضي كبير أقامه ملكها أيجيوس Aegeus وبالطبع فاز هذا الأمير الكريتي وهزم المتنافسين جميعا ، فحقق عليه الملك الأثيني ودبر مؤامرة أدت الى قتله ولما علم أبوه الملك مينوس بذلك تأجج غضبا وأعلن الحرب ضد مدينة أثينا انتقاما لمقتل ابنه وتم له بالفعل هزيمة المدينة واخضاعها وتوقيع عقوبة صارمة ضد الاثينيين بأن يرغمهم على ارسال جزية كل تسع سنوات وهى سبع فتيان وسبع فتيات من خيرة الشباب يقدمون وجبة للمينوتور فى كهفه بقصر التيه . وظلت أثينا تدفع هذه الجزية حتى جاء الاختيار على الأمير ثيسوس Theseus ابن الملك ايجيوس نفسه من بين الفتيان وكان حيا راود خيال هذا الأمير وهو أن يقتل هذا الوحش ويخلص رفاقه من الموت وبلاده من الذل والهوان ، وكما اعتادت مدينة أثينا ودعت شبابها وشاباتهما الى رحلتهم الأخير عندما كانوا يبحرون الى كنوسوس حيث تنشر السفينة أفلعتها السوداء رمزا للحداد والحزن . ولما علم الملك بما اتوا به ابنه طلب أن تزود السفينة بشراع ثان أبيض اللون وأوصى الربسان بأن ينشروا هذا الشراع الأبيض لو تحقق حلم ولده الأمير ثيسوس بالانتصار على المينوتور الوحش والعودة ومعه بقية رفاقه أحياء وكانت ارادة الآلهة أن ينتصر ثيسوس فدبرت لقاء بينه وبين الأميرة أريادنى التى هامت حبا بالأمير القادم من أثينا وعطفت عليه وشجعته على تحقيق حلمه بل وساعدته بأن أعطته كرة من الخيط ثبت أولها عند باب القصر وكلما سار الأمير الى داخل أعماق القصر سحب معه الكرة وبذلك عرف الأمير طريقه وتجنب التخطي والضلال حتى لا يجد نفسه فى النهاية وجها لوجه أمام المينوتور وفعلا استطاع ثيسوس الشجاع أن يذبح المينوتور وأن يقتحم طريقه سالما الى خارج القصر . ولما علم رفاقه بالخبر ساروا لنجاتهم من الموت وراحوا يرقصون ويغنون وهم متشابكي الأيدي حول بطليم ثيسوس والأميرة أريادنى واقفلوا عائدين » وتضيف الأسطورة أن ربان السفينة نسوا فى غمرة النشوة والفرح أن ينفذوا تعاليم الملك برفع الشراع الأبيض بعد الانتصار .

ولما أبصر الملك السفينة قادمة بشراعها الأسود وكان ينتظر ذلك قرب شاطئ البحر ظن أن ابنه لم ينجح وراح كغيره من الشباب ضحية لهذا الوحش . وأحس بأنه لا يحتمل العيش من بعد فقدان وحيدته فألقى بنفسه في البحر واختطفته الأمواج الى نهايته ومن هنا تقول الأسطورة أن أطلق على هذا البحر اسم بحر ايجيه Aegean Sea نسبة الى الملك ايجيوس Aegeus .

ماذا ياترى يقول التاريخ وعلم الآثار في أمر هذه الأسطورة الطريفة ؟ لقد ظل المؤرخون والأثريون حتى نهاية القرن التاسع عشر يؤكدون بأنها خيال خرافي الى أن ظهرت اكتشافات سير أرثر ايفانس Sir Arther Evans الأثرية في منطقة القصر الملكي بكنوسوس في كريت . لقد ضرب سير أرثر ايفانس الأثرى الأرض بنعوله في أحد أيام عام ١٨٩٩ فتكشفت الأرض عن أبهى القصر وغيرها من المواد الأثرية التي ساعدت المؤرخين على أن يخطوا لأول مرة فصلا من تاريخ حضارة لم يعرفوا عنها شيئا من قبل سوى القليل .

# الفصل الثاني

## العصر الهيللادى

### حضارات خوض بحرايجه

(Aegean Civilization)

بالرغم من قدم الحضارة الهلينية فى بلاد اليونان توصل العلماء الى معرفة حضارة أقدم منها ازدهرت بالقرب من شواطئها وكان لها أكبر الأثر عليها وقد عرف العلماء هذه الحضارة بالهيللادية أو حضارة بحر ايجه لأنها انبعثت من بعض جزر بحر ايجه خاصة جزيرة (١) ميلوس Melos والى هذه الحضارة تنتمى كل حضارات بلاد اليونان فى عصر البرونز والتي تشمل حضارة كريت وحضارة موكيناي وحضارة شمال غرب آسيا الصغرى أو حضارة طروادة على الجانب الآخر من بحر ايجه .

وكل ما نعرفه عن هذه الحضارة هو أن أهلها كانوا من جنس البحر المتوسط وأنها تمتد قدما الى حضارة العصر الحجري الحديث ولكنها تصبح مميزة عنها بعد الألف الثالث قبل الميلاد حيث تبدأ كريت فى بلورتها بأسلوبها الخاص . وقد استمرت هذه الحضارات مزدهرة حتى انهارت حضارة كريت فجأة حوالى عام ١٤٠٠ قبل الميلاد نتيجة لغزو خارجى أطاح بها واختفت كريت من مسرح هذه الحضارة ثم نجد الأخيين وهم أصحاب الحضارة الموكينية يندفعون فى حرب ضروس ضد مدينة طروادة

---

(١) من الكتب الجيدة والحديثة عن بحر ايجه منذ عام ٣٠٠٠ ق.م ( العصر الحجري الحديث ) وحتى ١٠٠٠ ق.م ( نهاية عصر البرونز ) كتاب .

C. Renfrew : the Emergence Civilization-the Cyclades and the Aegean in the third millenium B. C. (studies in pre-history) London, Methuen Company (1972) Reviewed by S. F Hood in J.H.S, xc 111 (1973 p 251-252.

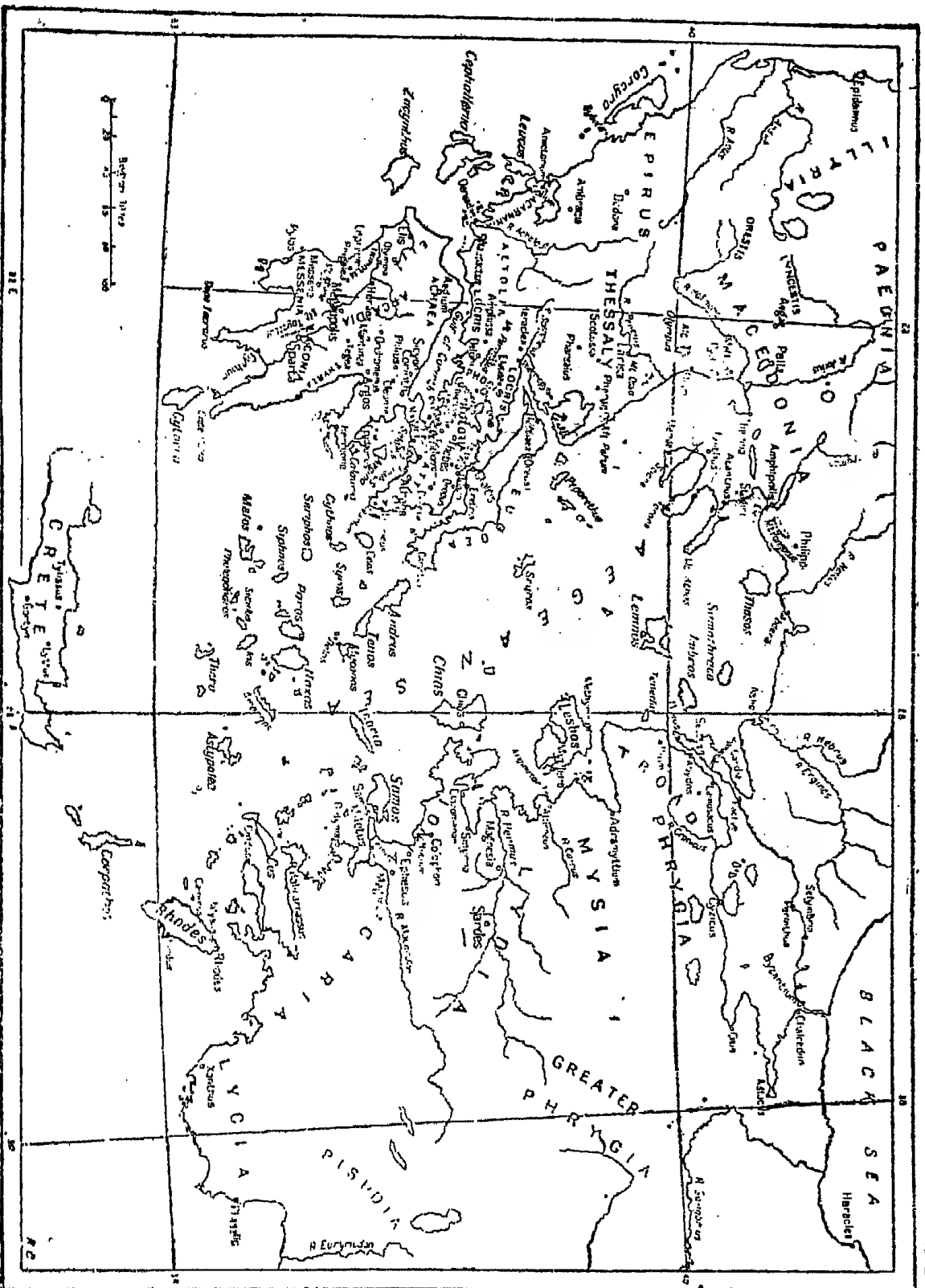
ويدمروها ويدمرها حضارتها في حوالى منتصف القرن الثالث عشر وأخيراً يتعرض الموكينيون أنفسهم لهجوم مدمر من قبائل أيضاً هليلينية هبطت من الشمال حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م . وقضت على آخر وريث لحضارات حوض بحر ايجيه .

ونظراً لقلة معلوماتنا عن أهل طرواده وحضارتهم وعن اللغة التى كانوا يتحدثونها ونظراً لأهمية حضارة كريت وموكيناي بالنسبة لحضارة بلاد اليونان فسوف نركز على هاتين الحضارتين بشئ من التفصيل .

#### (١) حضارة كريت ودورها فى الحضارة الاغريقية :

ان الاهتمام بكريت وبدورها الذى لعبته كورثة لحضارة حوض بحر ايجيه وكجد للحضارة الهلينية فيما بعد ، بدأ يلقي اهتماما معينا من جانب علماء الحضارة بعد النتائج التى توصل اليها العلماء عن طريق جمع النقوش ودراستها عن طريق التنقيب عن الآثار خاصة فى الفترة ما بين نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . لقد كانت هذه المادة العلمية غزيرة لدرجة أن العلماء لا يزالون يراجعون هذه الاكتشافات ويستخرجون منها معلومات قيمة . ومهما يكن من أمر فإن المعلومات الأثرية تؤكد أن جزيرة كريت لعبت أبان العصر البرونزى دوراً حضارياً يفوق حجمها بكثير ، لا بالنسبة للحضارة الانسانية عامة بل أيضاً بالنسبة لحضارة أوروبا القديمة .

ان نظرة عامة على موقع الجزيرة بين أهميتها الجغرافية ، فى البحر المتوسط الذى ترتى فيه كشریط طويل ومتعرج ، ملئ بالخلجان التى تجعل منها موانئ طبيعية ممتازة . وبالنسبة للموقع الجغرافى تواجه كريت شمالاً مداخل حوض بحر ايجيه فى شرق بلاد اليونان لدرجة أن أرسطو نفسه ذكر أن الطبيعة أرادت لهذه الجزيرة أن تتحكم فى بلاد اليونان كما أن الطرف الشرقى من كريت لا يبعد كثيراً عن شواطئ سوريا وفينيقيا وقد مهد لها هذا الموقع أن تكون علاقة وثيقة بحضارات الشرق الأوسط القديمة . ومن ناحية الجنوب تواجه كريت ساحل أفريقيا الشمالى ولذا كانت على علاقة وثيقة بحضارة وادى النيل بل



خريطة لبلاد اليونان وجزر بحر ايجة وساحل ايرنيا  
GREEK AND THE AEGEAN SEA



يقال أن كريت قامت بدور الوسيط بين حضارة الشرق الأوسط وحضارة وادى النيل •

هكذا حبت الطبيعة كريت لكى تصبح نواة لامبراطورية بحرية وتجارية واسعة وكانت أولى المناطق التى انفتحت على حضارة مصر والشرق الأوسط القديم وتأثرت بها ، فمثلا أخذت كريت عن هذه الحضارة استخدام معدن البرونز وجعلته محور حضارتها • وما أن جاء الألف الثالث قبل الميلاد حتى كان الكريتيون قد بلوروا حضارة مميزة لهم ظلت لوقت طويل خافية عن علماء الحضارة والتاريخ حتى كشفت الحفائر الأثرية النقاب عنها •

ولم يكن علم الآثار وحده هو الذى أبرز شخصية كريت المميزة بل يرجع الفضل أيضاً الى دراسات علماء اللغات وفتحه اللغة اليونانية فضلاً عما قدمته المعلومات التى استخرجها العلماء من نصوص الألياذة والأوديسا والتى تشير من قريب أو بعيد الى كريت وحضارتها •

حقاً لقد تغيرت الصورة التى كانت معروفة عن الحضارة المينوية كثيراً منذ المائة سنة الأخيرة نتيجة للدراسات المقارنة بين آثار كريت المبعثرة فى مدنها من أطلال القصور ومباني قديمة وأوانى فخارية متنوعة الأشكال والأحجام وبين الحلى والأسلحة المختلفة من ناحية ، وبين المعلومات المتفرقة التى وردت فى الألياذة والأوديسا ، وبين المعلومات التى تستخرج من النقوش اليونانية فى الجزيرة ، ومن مجموع هذه الدراسات خرج علماء الحضارة باتفاق بعيدة للحضارة الاغريقية ذهبت بهم أبعد من الحدود التى كانوا يتصورونها لهذه الحضارة ومن التاريخ التقليدى الموروث القائل بأن تاريخ بلاد اليونان يبدأ عام ٧٧٦ ق.م ( وهو تاريخ أول مهرجان أولمبى أقامه الاغريق ) وأن ما قبل ذلك كان أسطورة وخرافة لا يمكن الاعتماد عليها • ويرجع الفضل فى هذا التفسير الى

عالمين نجليين هما أرثر ايفانز وهينرش شليمان (١) . لقد أعلن الأخير بأنه قد اكتشف آفاقا جديدة لعلم الآثار بحفائره في طروادة وموكيناي وتيرنز . وظلت المادة الأثرية التي أخرجت من حفائره محل دراسة من جانب علماء كثيرين من أمثال بليجن Blegen وويس wace وتوصلوا في نهاية دراستهم الى حقيقة واحدة وهي أن هناك جذورا تاريخية حقيقية وراء الأشعار الهومرية .

أما سير أرثر ايفانز فقد بدأ أبحاثه الأثرية عن قصر اللايرانت أوقصر الملك مينوس في كنوسوس واستمرت حفائره ست مواسم امتدت من عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٠٥ . وكانت نتائجها هو اكتشاف معالم حضارة عصر النحاس في كريت والتي سماها ايفانز الحضارة المينوية نسبة الى ملكها الأسطوري مينوس . وسرعان ما تكشفت معالم جديدة لهذه الحضارة الرائعة التي تشاهدها عين الناظر في القصور الشاسعة ومحتوياتها النفيسة وفي الفيلات الجميلة والمنازل المتلاصقة وفي الجبانات والقبور وفي المجوهرات وأدوات الزينة والأسلحة والرسومات ذات الذوق الرفيع والذي لا شك فيه أن أكثر مناطق الجزيرة تحضراً كانت في الشرق والوسط .

وقد كسب أهل كريت شهرة تاريخية كبحارة مهرة وراحت أساطيلهم تجوب البحار بحثاً عن المواد الخام لصناعاتهم مثل الذهب والفضة والقصدير والنحاس . والعاج وحجر اللازورد Lapis lauzuli كذلك أقام أهل كريت العديد من المحطات البحرية سرعان ما أصبحت أسواقا تجارية للتبادل والمقايسة ، وعلى العموم كان المجتمع في كريت مجتمعا مسالما ديناميكيا يقدر العمل والصناعة والعمال والمهرة . ان من يشاهد أطلال

---

(١) عن حياة شليمان واكتشافاته انظر : ذهب طروادة تأليف روبرت بين ، ترجمة رشدي السيسى ومراجعة مصطفى حبيب سلسلة الالف كتاب ( ٥٥٠ ) مع ملاحظة ان المؤلف روائى النظرة والموضوع ولكنه يعطينا معلومات قيمة عن حياة هذا الاثرى الهاوى وانفعالاته ساعة عثورة على بقايا طروادة .

للملايراث العظيم ليدرك كيف كان هؤلاء الكريتيون البنائين الأول الذين وضعوا أساس العمارة لحضارة أوروبا . كذلك تشهد شبكة الطرق المتداخلة والمعبدة والتي تنتشر لتربط بين مدن الجزيرة المختلفة وموانئها بالقدرة الخلاقة للمهندس الكريتي (١) . كذلك تظهر القدرة والابداع في الجسور العالية التي تحمل المياه aqueducts وفي القنوات والقنوات وترع الري وفي نظام الصرف والتخلص من المياه المستعملة وفي المرافق العديدة داخل الموانئ القديمة . ولم يكن أهل كريت عمليين فحسب، بل كان لهم ذوق رفيع فهم أول من خلد للبشرية لوحات تصويرية رائعة على الفريسكو . كذلك كان للفنان الكريتي قدرة رائعة (٢) في تشكيل النحاس وطرقه وصهره ثم صبه في قوالب . كما كانوا ذوي خبرة عميقة بسبك المعادن المختلفة بنسب معينة . كذلك تشهد الآثار بمهارتهم في الصناعات الدقيقة خاصة صناعة الحلى وأدوات الزينة وتطعيم المصنوعات الذهبية بالفضة والعاج وحجر اللازورد . ولم يكن الفنان في كريت أقل قدرة من غيره في نحت الأحجار بأنواعها سواء من البازلت أو من الحجر الأوبسیدی أو الجيري . كما فاق أهل كريت غيرهم في صناعة الاواني الفخارية ورسم المناظر الزخرفية أو القصصية عليها مستخدمين في ذلك الألوان المبهجة ، وفي صناعة الزجاج واستخدامه كبديل للأحجار الكريمة والماسية . كذلك كان أهل كريت أول من صنع تماثيل من الذهب والعاج في نفس الوقت Chryselephantine وأول من استخدم الخزف الملون . والتماذج الفنية كثيرة ولكنها من حجم صغير Miniature وبالرغم من ذلك فهي تحمل أسلوباً فنياً مشتركة بينها وبين الرسومات الكبرى على جدران القصور .

ان الزائر لمتحف كريت القومي ليدعش لجمال محتوياته وتنوعها كما أنه سوف يعجب بحركة وحيوية الرسوم والتماثيل الصغيرة ويمكن

(1) cf. John Pendlebury : The Archaeology of Crete Methuen, 1939.

(2) S. Hood, the Minoans : Crete in the bronze Age (Ancient people and places 75) London Thames and Hudson, 1971.

والمؤلف يهتم بأوجه الحضارة الكريمية أكثر من المراحل التاريخية للجزيرة . وهو نتاج خمسة وعشرون عاماً في كريت قضاها المؤلف كباحث وأثرى .

أن نقول أن رصد الحركة هي أسلوب الفنان الكريتى الذى يميزه عن غيره من الفنون . ف نماذج الفنية تتحرك برقة وبدلال محيين الى النفس ولا تقتصر الحركة على النماذج الفنية واللوحات التصويرية فحسب ، بل تمتد لتشمل الزخرفة التجريدية نفسها والتي تفيض بالخطوط المتعرجة والملتوية التى تبدو وكأنها تتحرك حتى عناصر الهندسة المعمارية أيضا شملت ف فكرة الحركة والتنوع الحى وباختصار يمكن أن تلخص فلسفة الفنان الكريتى فى عبارة هي : أن الحركة الدائبة هي التشخيص السائد لهذا الفن » • Motion is the ruling characteristic of Cretan Art.

كما يتميز الفن الكريتى بعشق الفنان الشديد وولعه بألوان الزاهية والمتنوعة Polychrome وهو عنصر مكمل للحركة والحيوية . ما من أحد ينكر أن الفن الكريتى هو وليد الخلق والابداع المطلق ولكنه فى نفس الوقت مرآة للطبيعة وانعكاس لعناصرها .. أنه برهان يثبت مدى عشق الانسان للطبيعة بروح يغمرها المرح والبهجة والسرور، أساسه الانطلاق الحر الذى ليس فيه مكان للخوف أو الفزع أو حتى القلق فمثلا نجد الفنان الكريتى على خلاف فناني الحضارات القديمة سواء فى مصر أو فى بلاد ما بين النهرين لا يعبر فكرة الموت أو تعويره أى اهتمام على الاطلاق .

لقد ظلت حضارة كريت مزدهرة وغنية وقوية على مدى ألف وخمسمائة عام وهى العمر الذى يقدره لها علماء الحضارة بعد أن عكفوا على دراسة كل كبيرة وصغيرة أخرجتها الحضائر الأثرية أو استخرجت من بين نصوص التراث الأدبى القديم . وكان علم دراسة الألوان الفخارية سواء من ناحية الصناعة أو أسلوب التصوير عليها من أهم العوامل التى ساعدت على وضوح ملامح الحضارة خاصة فى فترات الازدهار من الطفولة حتى النضوج أو من الأسلوب البدائي حتى الأسلوب الفنى الرفيع كما يجب ألا ننسى فضل أساتذة النقوش فى تقديم معلومات قيمة عن هذه الحضارة كذلك فإن نجاح علم الدراسات المصرى Egyptology كان له أكبر الأثر فى اكتمال الصورة عن حضارة

كريت لأن الحضارة المصرية بعصورها الكبرى الثلاث تكاد أن تعاصر حضارة كريت كما أن الحفائر المصرية الناجحة التي قام بها الأثريون البريطانيون في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في المدن المصرية القديمة أخرجت مصنوعات كريتية أمكن إعطائها تقديرات تاريخية محددة (١) . وبالرغم من أننا لا نجزم بدقة التقديرات الرقمية في تاريخ الحضارة إلا أن الآراء تكاد أن تتفق على تحديد الحضارة الكريتية أو المينوية بفترات ثلاثة هي :

**أولاً : مرحلة العصر المبكر من حوالي ٣٠٠٠ إلى ٢١٠٠ ق م، وهي الفترة التي شهدت التطور والانتقال من حضارة العصر الحجري المتأخر (neolithic) إلى الدخول في عصر استخدام النحاس والبرتر Bronze Age وهذه المرحلة في تاريخ كريت تقارب زمني عصر الأسرات أو عصر بناء الأهرام في مصر . ولقد حاول علماء الحضارات المقارنة إثبات علاقات مباشرة بين مصر وكريت منذ هذه المرحلة معتمدين على الآثار المتبادلة ولكن من المرجح أن الاتصال بين البلدين لم يكن مباشراً في هذه الفترة بل كان يتم عن طريق طرف ثالث وهم التجار الفينيقيون وذلك لأن السفن التجارية كانت بدائية في هذا العصر ولا تستطيع أن تقطع رحلة طويلة مباشرة عبر قلب البحر المتوسط من كريت إلى مصر بل كان البحارة القدماء يفضلون السير بمحاذاة الشواطئ ضماناً للأمن وللتسوق في كل مرحلة من مراحل الرحلة وعلى ذلك فإن الرحلة كانت تبدأ من كريت إلى الساحل السوري ثم تسير السفن جنوباً بمحاذاة هذا الساحل ثم تتجه غرباً بمحاذاة الشاطئ المصري وليس من المستبعد أن تمتد الرحلة حتى شواطئ ليبيا ثم تعود من ليبيا رأساً إلى كريت لقرب المسافة بينهما ، والذي لا شك فيه أن الاتصال المباشر بين مصر وكريت لم يتم إلا بعد أن أصبح**

---

(١) انظر : قدماء المصريين والأغريق - بحث في العلاقات بين الشعبين من أقدم الأزمنة إلى نهاية الدولة الحديثة - تأليف جان فركوتيه وترجمة محمد علي كمال الدين ودكتور كمال الدسوقي ومراجعة دكتور محمد صقر خفاجه - الناشر دار النهضة العربية القاهرة ( ١٩٦٠ ) ص ٣٠ وما بعدها وكذلك ص ١٠٤ وما بعدها

الأسطول المصرى قويا ومسيطرأ على شرق البحر المتوسط وذلك فى عصر الدولة الحديثة أو قبلها بقليل .

وأهم ما يميز هذه الفترة حضاريا هى أن كريت كانت تعتمد على الاستقبال أكثر من الإرسال الحضارى لأن كريت خلالها استقبلت الكثير من حضارة مصر والشرق القديم — خاصة معدن النحاس والبرونز — وطورته وبالتالي لم يكن للحضارة الكريتية شخصية مميزة ومستقلة . ولما كانت كريت تعتمد على الشرق القديم فى بناء حضارتها إبان هذه الفترة فإن مدنها الهامة قامت فى طرف الجزيرة الشرقى .

ثانيا : مرحلة العصر الوسيط : ويحدده العلماء تقريبا بالفترة ما بين ٢١٠٠ ق.م إلى ١٥٥٠ ق.م . وهى فترة تكاد أن تعاصر حكم الدولة الوسطى لها بدأت حضارة تنتقل رويدا رويدا إلى الوسط حيث بدأت المدن الكبرى فى وسوس العاصمة وفايستوس Phaistos وتوليسوس Tyllisos وغيرها . كذلك ازدادت سطوة المينوس الحاكم من قصر التيه فى العاصمة والمعروف بقصر اللايراث . كذلك ساد المجتمع الكريتى موجه من الرخاء والترف نتيجة لظهور طبقة من التجار الأغنياء الذين بنوا لهم قصورا على نمط قصر التيه .

وفى حوالى عام ١٧٥٠ ق.م . لاحظ العلماء حدوث دمار جزئى فى بعض طبقات القصور التى أعيد بعد ذلك ترميمها وأعزى البعض ذلك إلى حدوث سلسلة من الزلازل التى سادت المنطقة كلها وتسببت فى أحداث هرج سكاني كما أعزى البعض هذا الدمار إلى اضطرابات اجتماعية خلد الطبقة الحاكمة ولكننا نيل إلى رأى الأول .

ثالثا : مرحلة العصر المتأخر : ويحدده العلماء إلى الفترة ما بين ١٥٥٠ — ١٤٠٠ ق.م . وهى تقارب فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة وبناء الامبراطورية المصرية وأهم ملامحها ازدياد الاتصال المباشر بين الفراعنة

في مصر والمينوسيين ( جمع مينوس ) (١) في كريت ، ووصلت سفن التجار الكريتيين أو الكفتيو (٢) كما سماهم المصريون - الى الشواطئ المصرية بل ومن المرجح أن كانت لهم جالية مقيمة في مصر ، وبازدياد قوة الأسطول المصري وفرضه السيطرة المصرية على شرق البحر المتوسط ازدادت التجارة والتبادل الحضارى بين البلدين ووجد التجار الكريتيون في السلام المصري Pax Aegyptiana فرصة للعمل في ظلالة فباركوا هذا السلام واعترفوا بسيطرة مصر وباركوها وقدموا الهدايا للفرعون المصري رمزاً للسلام حفاظاً على تجارتهم سواء في مصر أو في مناطق النفوذ المصري . ولم يكن المينوس في كريت أقل سطوة من الفرعون في مصر فبسط نفوذه من قصره الكبير وسيطر أسطوله على بحر ايجه وموانئ بلاد اليونان . لقد بلغت الحضارة الكريتية أوج عظمتها ابان هذه الفترة كما تشهد الآثار المستخرجة من القصور ومن المنازل والقبور وكان يمكن أن تذهب الحضارة والتقدم الى أبعد من ذلك لولا أن دماراً شاملاً ومفاجئاً حل بالجزيرة وأودى بجدها السياسى . ويظهر هذا التدمير في شكل حرائق وتخریب متعمد مما يدل على تعرض الجزيرة لهجوم معاد من شعوب بحرية . كما أن الغزو لم يقتصر على كنوسوس وحدها بل تعداها الى كافة المدن الأخرى ، وقد أدى هذا التخریب الى انهيار الحضارة الكريتية الى الأبد . اذا لم تستعد كريت مجدها وسيطرتها التى كانت عليها في الأيام الخوالي حتى بعد تعمير مدنها المخربة .

ويرى بعض العلماء الحضارة والتاريخ أن الموكيين هم المسئولون عن هذا الدمار والتخریب الذى حل بكريت (١) ، وكان الموكينيون قد تسللوا الى شواطئ كريت منذ قرن قبل حدوث الكارثة . ويفترض العلماء أن التنافس التجارى بين كريت ومدن بلاد اليوتان مثل موكيناي

---

(٢) وأحياناً سموهم حلونيبوت أى شعوب البحر ، كذلك لقب المصريون البحر الأبيض المتوسط باسم واج - ور ( الأخضر الكبير ) .

(٢) يتوارى ذكر الكفتيو في النقوش والآثار المصرية حوالى عام ١٣٥٠ ق م ويظهر بعد ذلك بقرن ونصف اسم الأخابواشا Akaiusha أى الأخيون دى بوردج المرجع السابق ص ٣٤ ملحوظة (١) .

وتيرنس وبيلوس Pylos والتي كانت في الأصل مناطق نفوذ مينية ،  
قد ازداد في الفترة الأخيرة حتى وصل الى الاصطدام المسلح الدموي  
والذي انتهى بهزيمة الخصم الأول وانفراد بلاد اليونان بالبحر المتوسط  
والتجارة فيما وراء البحار . وبالرغم من وجاهة هذا الرأي الا أنه  
لا يزال مجرد افتراض محض .

ولكن الذي لا شك فيه هو انتقال مركز القوة والسيادة من كريت  
الى بلاد البنان بعد عام ١٤٠٠ ق م . تقريبا حيث ازدهرت في شبه  
جزيرة البيل بونيسوس المدن الكبرى كورثة للحضارة الكريتية خاصة مدينة  
موكيناي ولذا أثر العلماء أن يطلقوا اسمها على العصر كله بل وعلى  
حضارة أيضا . ومما يؤكد وصول الحضارة المينية الى قمته ما بين  
١٥٠٠ - ١٤٠٠ هو الثراء الوضح في الأساطير الاغريقية التي تتحدث  
عن عظمة كريت وسطوتها ابان هذه الفترة كما أن علم الآثار يكشف  
بوضوح انتشار المصالح الموكينية شرقا فيما بين ١٤٠٠ - ١٣٥٠ ق م  
تقريبا ، قد شمل هذا الانتشار جزر رودس (Rhodes) وقبرص Cyprus  
والمدين الكينيقية مثل أوغاريت ( رأس شامرة ) وبيلوس ( بيت جيل ) ،  
بل ووصل هذا الانتشار التجاري الى السواحل المصرية . وهذا يؤكد  
الرأي السابق بأن الموكينيين هم المسئولون عن تدمير الحضارة المينية  
وزوال مجد كريت بدافع التنافس التجاري .

وعلى أي حال فان السيطرة الموكينية لم تدم طويلا كما سنرى فيما  
بعد ، لأنها انهارت هي الأخرى بعد قرنين ونصف قرن من سقوط كريت  
نتيجة لغزو قبائل جاءت من شمال بلاد البلقان تعرف بالدوريين Dorians  
ويتميز هؤلاء باستخدام أسلحة حديدية وبذلك وضعوا نهاية لحضارة  
العصر البرونزي كله . ومن بلاد اليونان انتشر الدوريون الى أجزاء  
مختلفة من بينها كريت . وما أن جاء القرن الثامن حتى كان الدوريون  
يسيطرون على مدن الجزيرة وقراها سيطرة تامة . وبذلك بدأت كريت  
عهدا جديدا استمر حتى احتلال الرومان لها في القرن الأول قبل الميلاد ولم  
تعد كريت - منذ سقوط حضارتها - تلعب أي دور هام وفعال في  
الأحداث التاريخية التي سادت أوروبا القديمة حتى العصر الحديث .



والآن لتتساءل ماذا قدمت كريت للحضارة الهلينية (١) ؟ ان أعظم ما قدمت كريت لهذه الحضارة هو التراث الدينى والفنى الذى ظل حيا فى الحضارة الموكينية ثم فى تراث حضارة بلاد اليونان فيما قبل العصر الكلاسيكى وبعده . وهناك الكثير من الأساطير الاغريقية التى يمكن تتبع جذورها الى العصر المينوى فى كريت كأسطورة ثيسوس والمينوتور وارريادنا . « ذات الضفائر الطويلة » ، وكأسطورة دايدالوس Daidalus مهندس قصر التيه . كذلك سجل لنا هوميروس ملاحظات عرضية ولكن هامة - تضمنتها ملحمتاه الخالدتان الألياذة ولأوديسا جمعها العلماء وأضافوها الى تراث المعرفة المتراكم عن حضارة كريت . وفى القرن الخامس قبل الميلاد عالجت كتابات هيرودوت وثوكوديديس من بعيد دور كريت فى الأحداث التى سادت العالم الاغريقى . ولكن اهتمام المؤرخين بكريت لم يكن بالقدر الذى أولاه الفلاسفة الاغريق لها . فقد وجدوا فيها منجما غنيا للمعرفة العامة خاصة فيما يتعلق بالظواهر الاجتماعية والأسس التى تقوم عليها . خاصة أرسطو الذى راح فى كل مناسبة يتحدث عن مكائنها وأهميتها . وكذلك كان أفلاطون أستاذ أرسطو - قد فعل قبله .

لقد كانت كريت دائما وأبدا حقل التجارب الاجتماعية (٢) والسياسية والمنجم الغنى بالتراث الذى نهل منه فلاسفة الاغريق فى بحثهم عن المثل العليا وعن جذور الظواهر الاجتماعية وأسسها التى تقوم عليها فهى النموذج الأمثل الذى تقوم عليه فلسفة أرسطو من أن السلوك الاجتماعى ( أو السياسى ) سلوك انسانى قديم قدم الزمان . وكان لحسن الحظ أن وصلت إلينا ملاحظات أفلاطون وأرسطو عن كريت كاملة فى أعمالهم الفلسفية لأن القدر الهائل من كتابات المؤرخين الاغريق عن كريت ابان

(1) cf. Fran es Wilkins : Ancient Crete (A Young Historian Book) Weidenfield and Nicolson, 1966.

وعن فضل كريت على الفلسفة الاغريقية انظر :

Burnet : Early Greek Philosophy, p. 2.

(2) cf. R. F. Willetts : Ancient Crete-A Social History From Early Times Until the Roman Occupation London 1965, p 60 f.

العصر الهلينستي قد فقدت واندثرت الا من قدر ضئيل من الشذرات التى تحوى معلومات متفرقة \* حقيقة ، لقد تحدث المؤرخ العظيم بوليبيوس Polybios الذى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد - عن كريت ولكنه عندما كتب عنها كانت كريت فى مركز سياسى منهار - ولم تكن تلعب سوى دورا صغيرا ومحدودا فى الصراع بين روما الناشئة وبلاد اليونان المقاومة لاحتلالها وسيطرتها والذى هو بهدف المؤرخ الأول \* أما استرابون الجغرافى والذى كتب فى القرن الأول قبل الميلاد بعد أن زار كريت ، فقد ترك لنا معلومات قيمة عن كريت ولكنها كانت تدور فى الدرجة الأولى حول دياتتها القديمة \* .

كذلك لم تخل كريت من كتابها وشعرائها الذين سجلوا تراثها القومى الخاص \* فمثلا نسمع عن موسيقار كريت الشهير ثاليتاس Thaletas والذى عاش فى القرن السابع قبل الميلاد والذى قيل أنه قد سافر الى اسبرطة ليعرض على الناس آخر ما توصل اليه وهو علاج وباء الطاعون عن طريق الموسيقى حيث مكث فى اسبرطة زمنا واستطاع أن يقوم بتطوير الموسيقى الاسبرطية \* كذلك نسمع عن شاعر كريت الشهير أيميبيديس Epimenides الذى زار أثينا ابان حكم المشرع سولون \* ولكن للأسف لم يتصل اليها شيء من مؤلفات هذا الشاعر \* ومن أشهر ما وصل اليها من أدبيات أغاني هوبرياس Hybrias التى يرجع أصلها الى القرن السادس قبل الميلاد وفيها يتغنى مؤلفها على لسان شريف من أثرافها بالحياة الهادئة وهو خال البال هادى النفس فى وقت كانت فيه الأحداث تعصف بمدينة بلاد اليونان وقراها ورياح الصراع الدموى تؤرجحها بين حكم الطغاة Tyrants وبين حكم الديمقراطية الوليدة (١) \* .

ولقد أضاف العلماء الى رصيد معلوماتنا عن كريت فى العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر معلومات جديدة وغزيرة مصدرها الحفائر

(١) عن نهضة كريت خلال الفترة ٦٣٠ - ٥٨٠ ق.م انظر :

H. Hoffmann : Early Cretan Armour (with Collaboration of A. E. Raubitschek) Mainz p. Von Zabern, 1972.

الأثرية ومجهودات علماء النقوش اليونانية بالذات . فقد جمعت كل النقوش في كريت في أربع مجلدات كبيرة أشرفت على نشرها الطالبة الايطالية مارجريتا جواردوكى Margarita Guarducci مظهرها يدور حول الدساتير الخاصة بمدن كريت المختلفة والتميزة بتراتها الخاص المستقل كل عن الأخرى ولكن من وجهة نظر الأشراف أو الارستقراطيين . وتمتد هذه المعلومات حتى القرن السابع قبل الميلاد . ولقد صنف العلماء طويلا عندما وصلت الى أيديهم نقوش موسوعة جورتيينا القانونية Code of Gortyna وجورتيينا ثانيا مدن كريت بعد كنوسوس . وكانت هذه المدينة هامة لأن هوميروس ذكرها في ملحنتيه وكانت من الأهمية أن جعلت الرومان يختارونها فيما بعد كعاصمة لاتحاد ولايتي كريت وقورينه بعد الفتح الرومانى لهما عام ٦٧ ق م . كما كانت تقع على الطريق الاستراتيجى الهام الذى يربط فايتوس Phaistos بهيراكليوس Herakleios ولهذا السبب أولاها الرومان عناية خاصة . ان قصة العثور على نقوش هذه الموسوعة القانونية مثيرة للغاية . فقد عثر على جزء منها منقوشا على حجر مبنى فى جدار طاحونة عام ١٨٥٧ واشتراه مندوب متحف اللوفر ونقله الى باريس حيث أصبح محل دراسة العلماء والمتخصصين الذين وجدوا صعوبة بالغة فى نقل نصوصه وترجمتها لقدم الطريقة التى كتبت بها وأخيرا أدركوا أنها جزءا من قانون عام يدور حول حق الارث وحق التبنى وأنه لا بد من العثور على الأجزاء الباقية من هذا النقش وسارع الأثريون الى التنقيب مكان هذه الطاحونة فقام العالم الأثرى هالبهر Halbherr بعمل حفرة عميقة داخل جدار الطاحونة وتمكن من اخراج أربعة أعمدة منقوشة ولكن آخرها غير مكتمل وهذا دليل على وجود بقية له . وحاول هالبهر تتبع البقية الباقية منه ولكنه لم يحصل على ترخيص التنقيب فتوقف عن البحث وحمل ما عثر عليه وسافر الى هيرا كليون حيث قابل العالم ارنست فابريكيوس Ernest Fabricius مندوب المعهد الألمانى لجمع الآثار فى كريت وعرض عليه المشكلة وسرعان ما عاد فابريكيوس الى مكان الطاحون حيث تمكن من الحصول على اذن من صاحبها بمواصلة

التنقيب واستطاع في نهاية الحفر أن يخرج ثمان أعمدة بنقوشها الواضحة في حالة جيدة فأصبح مجموع الأعمدة الشاملة لهذه الموسوعة القانونية اثني عشر عموداً تكون نقشاً كاملاً على جدار واحد دائري الشكل يبلغ قطره حوالي مائة قدم . ويرجح العلماء أن هذا الجدار الدائري هو جزء من مسرح كبير قديم منذ القرن الأول قبل الميلاد وهذا المسرح كان بدوره جزءاً من مبنى محكمة قديمة ومجموع هذه الأعمدة ٦٠٠ سطر ويشمل كل عمود على متوسط ٥٣ الى ١٦ سطراً كتابياً .

لقد كان العثور على مثل هذه الموسوعة القانونية انطلاقة جديدة في حقل تراث كريت وحضارتها ، فهو مكتوب بطريقة قديمة متعرجة : أ. من اليمين الى اليسار ثم من اليسار الى اليمين بطريقة أسماها علماء الخطوط طريقة المجران Boustrophedon . كما تشمل حروفها الأبجدية بعض الحروف اليونانية القديمة التي سقطت من الاستخدام بعد تطويرها مثل حروف الديجاما أو الواو وعلى أى حال تمكن العلماء من تحديد عمر النقش الى الفترة ما بين ٤٨٠ الى ٤٥٠ ق.م وهو يسجل مواداً قانونية وتشريعية يرجع تاريخها الى قرون عديدة سابقة . وما أن اكتمل النقش حتى تسابق العلماء الايطاليون والألمان بالذات الى نشره وشرحه وتفسيره ، كل له وجهة نظره الخاصة ، ويجيء على رأس المتنافسين كمباريتي الايطالي Comparetti وفابريكيوس الألماني . فظهرت نسخة الألمانية عام ١٨٨٤ والايطالية عام ١٨٥٥ . وتلى ذلك مؤلفات عديدة لعلماء من كل الجنسيات تتفق في الأصول وتختلف في الشروح والتفسيرات وتحمل تعليقات مختلفة بل أنه لا يزال هناك نقاط لا تزال موضعاً للخلاف والجدل .

ان العثور على موسوعة قوانين جورتيانا من أهم الانتصارات العلمية التي حققها العلماء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فهي أول مصادر التشريع الأوروبي القديم وأعظم مجموعة قوانين عرفت منذ حمورابي ، كما أنها معلومات واضحة وأصلية تكشف عن الحياة الاجتماعية وأسس السلوك الاجتماعي في أعظم وأكبر مدينة في كريت

إبان النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد ، بل باضافتها الى  
رصيد المعرفة ، تكتمل الصورة عن حضارة كريت •

وخلاصة القول أن دراسة الحضارة المينوية تشتمل على جانبين  
هامين هما :

( ١ ) أهمية الفن في كريت وفضل الحضارة المينوية على الحضارة  
الهليينية :

خاصة بعد أن كشفت حفائر سير آرثر ايفانز عن تقدم كبير في  
مجال العمارة والتصوير على الحوائط وانتقال هذا الأسلوب الحيوى  
بالوانه المتعددة الزاهية الى الحضارة الموكينية ثم الى الحضارة الهليينية  
ما قبل الكلاسيكية وما بعدها ، ومن مجال الفن يمكن الدارس أن  
يخرج الى مجال التراث الدينى والأسطورى واللغوى والتشريعى وبه  
يمكن ارجاع حضارة بلاد اليونان الى مصادرها الأولى (١) •

( ب ) دراسة العلاقات المتبادلة والحضارة المقارنة بين مصر وكريت :

وهو موضوع شيق خاصة بالنسبة للمهتمين بتاريخ العلاقات  
الكريتية المصرية ، أو المينوية - الفرعونية • اذ كشفت الحفائر في كل  
من البلدين عن مواد أثرية متبادلة (٢) ، كما أن طريقة الكتابة الأولية في  
كريت كانت تصويرية قريبة الشبه بالكتابة الهيروغليفية كل صورة فيها  
تمثل حرفا كتابيا • ومن أمثلة هذه الحروف رأس الثور أو عين الانسان  
أو بوابة المنزل هذا الى جانب طريقة الكتابة المقطعية المعروفة بالمجموعة  
الخطية الأولى Linear A • كذلك صور الفن المصرى أهل كريت  
الذين عرفوا بأهل كفتيو Keftiu وهم يقدموز الهدايا لفرعون مصر  
بل ان الفن الكريتى الدقيق أثر في الفن الفرعونى وأكسبه رشاقة  
وحركة •

(1) H. T. Bossert, The Art of Ancient Crete London (1937), p 1.I.

(٢) انظر جان فيركوتيه : المرجع السابق ص ٣٠ - ١٢٠ •

## ٢ - الحضارة الموكينية :

منذ بداية تراكم المواد والمعلومات الأثرية عن الموكينيين وعلماء الآثار يحاولون الكشف عن عنص هذا الشعب الذي صنع تلك الحضارة ومن الطبيعي أن تتجه أنظار العلماء في أول الأمر جنوباً الى كريت التي ذكرتها الأساطير والتراث الشعبي ان كان لها علاقة وثيقة ببلاد اليونان أبان العصر البرونزي وكما أن سليمان تطلع ذات يوم للتقريب عن آثار كريت لولا أن مشيئة القدر عاقته لكى تبقى هذه المهمة الى آثار كريت ايفانوس . وهذا لاشك دافعه وجه التشابه الكبير بين حضارة كريت القديمة وحضارة الموكينيين في العصر البرونزي ووصل من شدة مراعاة هذا التشابه أن اعتقد ايفانوس أن كريت لابد وأن تكون قد سيطرت على جزء من جنوب بلاد اليونان في وقت ما وأن موكيناي لم تكن سوى ميناء كريت البحرى في شبه القارة اليونانية . وسيظل علم التاريخ والحضارة مدينا لايفانوس بالكثير لأنه وضح الفرق ما بين ما هو « مينوى » وما هو « موكينى » بل وأثبت أن كريت هى الأصل . وعلى أى حال فقد أدى ذلك التشابه الى اثاره نوع من الخلط بين الحضارتين وبدأ العلماء والمختصون فى التساؤل من هم الموكينيون ؟ ان الأدلة الأثرية تشير الى أن الموكينيين هم أجداد « الاغريق الأولين » ولكن بقيت المشكلة : الى أى قدر من « الاغارقة » كان الموكينيون ؟ (١)

ان الأدلة القاطعة تشير الى أن بلاد اليونان خلال العصر البرونزي كانت دائماً محط العديد من القبائل المتجولة والشعوب الغريبة التي كانت تهاجم سكانها الأول الذين كانوا ينحدرون من جنس البحر

---

(١) سيجد الراغب فى المزيد من المعلومات كل المراجع الخاصة بالحضارة الموكينية فى مقالتي «أضواء على الحضارة الموكينية» - مجلة كلية الآداب - المجلد التاسع والعشرون - ١٩٧٣ ص ٦١ الى ص ١١٦ .

الأبيض المتوسط وعن طريق امتزاج هذه الشعوب المتجولة بالسكان الأصليين خرج العنصر الذي سمي في العصور التالية بالأفريق . أما من الناحية الحضارية فقد شهد معظم العلماء بأن هناك خط حضارى مستد منذ العصر البرونزى حتى العصر الكلاسيكى . ولكن هذا الاستمرار الحضارى تعرض للتلفيح حضاريا وجنسيا بعناصر جديدة فمثلا ما بين ١٩٠٠ و ١٨٠٠ قبل الميلاد أى في فترة الانتقال ما بين العصر البرونزى المبكر والعصر البرونزى الوسيط يظهر عنصر جديد . هذا العنصر الجديد يعلن عن نفسه بتعبير جديد في الحضارة أهمه هو نوع جديد من الأواني الفخارية أطلق عليه شليمان اسم مينائى Minyan ( نسبة الى القبيلة التى كانت تسكن مدينة أورخومينوس التى منها انحدر الملك مينياس Minyas ) هذا الفخار « المينائى » يكاد يميز نفسه عن باقى أنواع الفخار التى كانت مستعملة قبل ذلك بجودة خامته وصناعته ومن الواضح أن أشكال هذه الأواني كان محاولة لتقليد أواني معدنية مثل الفضة . كما كان يتميز بنعومته ولونه الرمادى . وقد أمكن تتبع وجود هذا النوع في سهل طرواده ( على ساحل تركيا ) كما أنه خرج بكثرة من الطبقة السادسة من طرواده ، وقد فسر العلماء وجود نوع وجود هذا النوع في سهل طرواده ( على ساحل تراكيا ) كما أنه خرج لغزو من قبل عنصر سكانى واحد . وإلى جانب الأواني الفخارية قام العلماء بمقارنة أوجه كثيرة للحضارة مثل هندسة القبور والقصور والمنازل وغيرها من العناصر التى تكون الحضارة وخرجوا بنفس النتيجة التى خرجوا بها من دراسة الفخار المينائى ، كما أثبتت الدراسات اللغوية اليونانية دخلت مع هؤلاء الغزاة الذين جاءوا بهذا النوع من الفخار .

لقد سبق أن أشرت الى ملاحظة المهتمين بالدراسات اللغوية الى بقايا أسماء مناطق ومدن في بلاد اليونان في العصور الساحقة ممن تنتهى نهايات غربية مثل Zakynthos وبارناسوس Parnassos وهيميتوس Hymettos هذه الأسماء وغيرها اعتبرها علماء اللغة نوعا أوليا من

اللغة اليونانية وجدت على نطاق واسع في كريت وحوض البحر الايجي •  
إذا كانت كل هذه المنطقة ذات حضارة متقاربة ابان العصر البرونزي  
ولقد ثبت أن هذا النوع من اللغة اليونانية المبكرة كان موجودا أيضا في  
شمال غرب هضبة الأناضول حيث يعتقد العلماء الآن أنه مصدر ذلك  
الغزو وليس منطقة البلقان كما كانوا يظنون سابقا • وقد أيد ذلك  
التوصل الى أن اللهجة الأركادية القبرصية (Arcado-Cypriot) أحد  
اللهجات الكبرى الأربعة في اللغة اليونانية هي أكثر اللهجات اليونانية  
أصالة ، والمعروف أن منطقة اقليم أركاديا الجبلية الوعرة هو الاقليم  
الوحيد في اليلوبونيز الذي لم يتعرض للغزو ، ومن ثم فقد تدفق عليه  
اللاجئون الموكينيون ومعهم لسانهم وحضارتهم • وما يؤكد ذلك وجه  
التشابه الكبير بين اللهجة الأركادية ولهجة أهل قبرص رغم البعد  
الشاسع بين الاقليمين والذي يفصل بينهما البحر الأبيض ولذا فقد أطلق  
علماء اللغة على اللهجتين اسما واحدا ومشتركا هو اللهجة « الأركادو -  
قبرصية » ، والمعروف أن قبرص قد وقعت لنترة طويلة تحت تأثير  
الحضارة الموكينية وقد ثبت ذلك من خلال الملامح الأثرية لقبرص • اذا  
أصبح من الواضح أنه منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد بدأت تدفق  
على بلاد اليونان قبائل من أصل هندو - أوروبى وتحدث لغة هند  
أوروبية • ويميل العلماء الى الاعتقاد بأن هذه القبائل جاءت من الشرق  
عبر هضبة الأناضول الى طرواده ، كما تعرف العلماء على نوع مشابه  
للفخار « المينائى » في شمال شرق ايران ، والى جانب شقافات النخار  
المينائى تعرف العلماء لأول مرة على عظام الجياد في الطبقة السادسة من  
طروادة كما دفعهم تزايد أهمية الجياد فى الحضارة الموكينية الى الاعتقاد  
بأن الجواد قد دخل عن طريق هؤلاء الغزاة ، ولهذا يعتقد العلماء أن  
هؤلاء الغزاة قد جاءوا عن طريق البر عبر منطقة القوقاز وشمال البحر  
الأسود الى شمال بلاد اليونان ثم جنوبها وليس كما كان يعتقد آنفا  
بأنهم جاءوا عن طريق البحر نظراً لصعوبة نقل هذه الجياد عن طريق  
السفن • ولكن كل ذلك يبقى مجرد افتراض لأن ليس لدينا ما هو  
يقطع بكنيفية دخول هؤلاء الاغريق الى بلاد اليونان ولكن آثار طريقهم





سلطانها على منطقة أرجوليس Argolis بما فيها من مراكز ومدن صغيرة مثل تيرنس Tiryns غيرها ولا يزال البحث والتنقيب على قدم وساق في منطقة لاكونيا التى تطل على البحر وتقع فى الطرف الجنوبى لاقليم البيلوبونيز Peloponnese والتى تفصل بين منطقة الأرجوليس فى الشمال الشرقى وميسينيا فى الجنوب الغربى من أجل الكشف عن حضارتها فى العصر الموكينى وتحديد مكان عاصمتها • وكانت كل مملكة تحتل سهلاً أو وادياً أو هضبة يطل على واد يتوسطها المدينة الأم Metropolis وفضراً لصعوبة التضاريس الجغرافية فى بلاد اليونان حيث كانت تفصل بين السهول والوديان معوقات جغرافية مثل الجبال فقد عاشت كل مملكة فى معزل عن الأخرى على الأقل من ناحية البروبقى البحر هو وسيلة الاتصال الوحيدة بينها • وبالرغم من أن الحضارة الموكينية تحمل الكثير من ملامح الحضارة المينية إلا أن الآثار تظهر الموكينيين فى مظهر يختلف عن المينويين اذ يظهر الموكينيون على الرسومات المسجلة على الأواني الفخارية قوم طوال القامة صفر الشعر ، ذوى بشرة شقراء لهم لحى طويلة ويرتدون سراويل قصيرة وأقمصة ذات أكمام قصيرة ويتمنطقون بأحزمة عريضة وأحياناً يلتفون بعباءة واسعة ، أما النساء فقد ظهرن بنفس طريقة اللباس الكريتى ومن الواضح أنهم جلبوا معهم أسرهم وما لديهم من متاع تماماً مثل الغوط والفرنجة •

ومن المظهر العام للحضارة الموكينية نستطيع القول بأن حضارتهم كانت أكثر بساطة وأقل بدخاً من الحضارة المينية وأشد ميلاً للنظام والنظافة • قضى قصورهم ومنازلهم كانوا يتخلصون أولاً بأول من القمامة وبقايا المستهلكات عن طريق مصارف مياه المطر وكان القصر الملكى هو مقر الدولة ، وعظمة الملك الجالس على العرش وبدخه رمزاً للبذخ والترف لهذه الحضارة ولكن بصورة أكثر تعقلاً ، وقد بنى الموكينيون مدنها فوق قمم التلال والهضبات وحصنها كما فعل الحيثيون بالقلاع والحصون ومن المدينة المحصنة - كما نشاهد فى

جالة مدينة موكناي تتشعب شبكة من الطرق الى المناطق الحضارية المختلفة داخل المملكة .

تتبعكس عظمة الدويلة الموكينية في عظمة قصر الملك الحاكم وسلطانه ومن دراسة القصور يتضح وجود نوع من المركزية البيروقراطية ربما تعلمها الموكينيون من التنظيم التي كانت سائدة في مصر وبابل . وكان الملك يلقب باسم « واناكس » Wanax (١) وهو لقب ديني مما يدل على أن الملك كان كاهنا أعظم وشخصيته مقدسة الى جانب مركزه السياسي ، ويلى الملك من ناحية السلطة قائد الشعب لا واجيتاس Lawagetas وأغلب الظن أنه كان المختص بحماية شعب الدولة من خطر الغزاة . وكان له محرابا (Temenos) وحاشية وضياح تماما كالملك . ويلى الملك وقائد الجيش أصحاب الضياح (Tereta) وكانوا يتمتعون بحصانة دينية . وفي النهاية يأتى الأتباع bequetai وعلى أكتافهم كان يقوم الجيش والدفاع والتوسع التجارى الخارجى .

أما عن ملكية الأراضى فقد كان بعضها خاصا والآخر عاما . اذ كانت هناك أراضى موقوفة على الصالح العام أو لصالح المعابد والآلهة ، مثلا كشفت لنا الوثائق أن ضريبة كانت تجبى في مدينة بيلوس Pylos لصالح معبد الآله بوسيدون مرجف الأرض وجدير بالذكر أيضا أنه قد عثر على قوائم تسجل أسماء بعض العبيد والجهات التي جاؤا منها .

السجلات الكتابية ودورها في كشف النقاب عن الحضارة الموكينية :

استطاع العالم ايفانس أن يميز نوعين مختلفين من الكتابة أولهما ، بالمجموعة الخطية الأولى (Linear A) ، الثانية عرفت باسم المجموعة الخطية الثانية (Linear B) وبالرغم من أن حفائر كريت قد كشفت عن كمية كبيرة من هذه الوثائق تفوق ما أخرج من أى مكان آخر في بلاد اليونان اذ بلغ ما أخرجه ايفانس من كنوسوس وحدها ما بين ٤٠٠٠ و ٣٠٠٠ وثيقة الا أن هذا النوع من الكتابة ارتبط ارتباطا

(1) cf Lord William Taylor : The Myceneans (Ancient peoples and places no. 89) Thames and Hudson London 1964, p 185 ff.

كليا بحضارة بلاد اليونان وأصبح حل رموزه هو مفتاح للدخول الى متاهات الحضارة الموكينية بل اعتبر الدارسون أن العثور على مثل هذا العدد الكبير من السجلات المخطوطة للحضارة الموكينية ثروة ضخمة منت بها الظروف على علم الآثار لأن الحضارة لا تثبت شخصيتها الا بتوفر فن الكتابة وغيره من وسائل التسجيل . وقد دعم ذلك وجود هذه الوثائق التي تسجل كتابات المجموعة الخطية الثانية بوفرة في القصور الموكينية في مدن بلاد اليونان المختلفة فأخرج من ييلوس Pylus ما يزيد عن ١٣٠٠ لوحة أو شذرات من لوحة وجدت في حجرة واحدة داخل بقايا القصر الملكي حتى أن علماء الآثار عرفوها باسم حجرة السجلات Archive Room ومن الطريف أن مدينة موكيناى أهم مدن بلاد اليونان في هذا العصر لم تخرج سوى سبعين وثيقة كتابية من هذا النوع مما أثار دهشة المعنيين بدراسة هذه الحضارة فافترضوا سبين : الأولى أن ظروف البقاء Circumstances of preservation لم تساعد على حفظ الوثائق الكتابية وثانيهما هو جهل الأثرين الأول وعدم عنايتهم بهذه الوثائق . ولكن هذا السبب الأخير مستبعد اذا قرأنا تسجيلات سليمان الأثرية وحرصه الشديد وعنايته الفائقة بتسجيل كل قطعة أخرجت من الحفائر . ويميل العلماء الى قبول التفسير الأول وهو اندثار هذه الوثائق تحت تأثير عوامل الطبيعة . وهذه الوثائق عبارة عن لوحات طول كل منها ثلاث بوصات مختلفة الأشكال بعضها مستطيل وبعضها مربع والآخر مخروطى الشكل أشبه بشكل الخنجر ، ونظراً لدقة الكتابة عليها وغرابة أشكالها فانه من الممكن أن تهمل هذه الوثائق ويلقى بها جانباً مع بقايا الشقافات المحطمة وتراب الحفائر كما أن كون الوثائق مصنوعة من الطين النى Baked Clay الغير محروق عرضها للاندثار والتحلل بفعل تعرضها لتأثير الرطوبة . ويرجع الفضل في بقاء عدد من هذه اللوحات الى الدمار المفاجيء الذى حل بالقصور فحفظها تحت الأنقاض كما أن بعض هذه الألواح قد تحول بتأثير نيران الحرائق الى مادة صلبة أشبه بالفخار .

بهكذا أمدتنا كريت وبعض بلاد اليونان - ويمكن أن نقول - وكذلك قبرص بهذه الوثائق التي تعتبر التسجيل الكتابي الوحيد لحضارة بلاد اليونان في العصر البرونزي خلال الألف الثانية قبل الميلاد، بل ربما كانت تلك الألواح الطينية هي المادة الوحيدة التي نجت من دمار الزمان وربما كان هناك سجلات أخرى مدونة على الخشب والجلد والرق Parchment أو حتى أوراق البردي التي لم تساعد عوامل الطبيعة على البقاء فاندثرت .

وجدير بالعلم أن نضع بين يدي القارئ الظروف التي تمكن فيها العلماء من حل رموز المجموعة الخطية الثانية وكيف تم ذلك .

يرجع الفضل الى حل رموز المجموعة الخطية الثانية الى مهندس بريطاني اسمه ميخائيل جورج فنتريس Michael Georges Francis Ventris وشهرته مايكل فنتريس ( ١٩٢٢ - ١٩٥٦ ) الذي تمكن من حل رموز الكتابة الموكينية فنال شهرة واسعة قبل أن يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره . وكان أول بداية لفتت نظر مايكل فنتريس الى أهمية هذه الوثائق أثناء حضوره محاضر ألقاها سير ايفانس وكان مايكل وقتئذ لا يزال طالبا في المدرسة الثانوية وأنصت الفتى وهو مرهف السمع الى حديث العلامة البريطاني عن هذه الألواح وكتاباتها الغريبة والتي كان قد نقلها معه من كريت الى بريطانيا . واستهواه غموض هذه الكتابة وعكف يفكر ثم عبر رأيه فيها وهو لا يزال طالبا بالمدرسة في مقالة نشرتها له إحدى الصحف الأمريكية عام ١٩٤٠ توقع فيها أن تسفر الأبحاث عن وجود صلة قوية بين كتابة الاتروسكيين في ايطاليا وكتابة المجموعة الخطية الثانية . ولما نشبت الحرب العالمية الثانية عمل ضابطا بالبحرية البريطانية ولم يمنعه هذا من متابعة دراسته في أوقات فراغه . وفي عام ١٩٥٢ وزع مايكل فنتريس على عشرة من كبار المتخصصين في هذه الدراسات قائمة تحمل عشرة أسئلة (Questionnaire) ثم علق على اجاباتهم ونشرها في تقرير طبعه تحت عنوان Mid. Century Report ووزعه على نفقته الخاصة كما أخذ يصدر دورية مطبوعة

بعنوان Work Note تحمل آخر نتائج البحث وقد بلغ عدد هذه الدوريات ( حتى الأول من يونيو عام ١٩٥٢ وهو اليوم الذى أعلن فيه عن توصله لحل رموز هذه الكتابة ) عشرين عدداً يبلغ عدد صفحاتها جميعا مائة وسبع وستين صفحة منسوخة على الآلة الكتابة . وكان العدد الذى صدر فى الأول من يونيو عام ١٩٥٢ يحمل عنواناً يشير بتوصله الى سر هذه اللغة اذا كان يحمل عنواناً يقول « هل كانت ألواح كنوسوس وبيلوس مكتوبة باللغة اليونانية ؟ »

Are Knossos and Pylos tablets written in Greek ?

ولكن اعلانه الحقيقى عن توصله لحل رموز هذه اللغة كان عن طريق الاذاعة البريطانية فى يوليو عام ١٩٥٢ ومنذ تلك اللحظة تهافتت عليه استفسارات العلماء وسرعان ما انضم اليه « جون شادويك » John Chadwick أحد المتخصصين فى فقه اللغة اليونانية وقدم فى مقالة نشرت فى مجلة الدراسات الهلينية عام ١٩٥٣ نظريتهما فى اطارها الأكاديمى . وهل العلماء لهذه النظرية وبدأوا فى تطبيقها وخاصة عندما طبقوها على وثيقة جديدة أخرجت من بيلوس Pylos أسفرت قرائتها عن لغة يونانية بدائية ، ثم طبقت بشكل واسع على مجموعات الوثائق التى عثر عليها فى كنوسوس خلال عام ١٩٥٢ . وعلى ستمائة قطعة أخرى عثر عليها البروفيسور كارل بليجن Carl, W. Blegen فى أنقاض القصر الملكى فى بيلوس . هكذا بدأت ظلال الغموض تتبدد وتظهر ملامح الحضارة الموكينية واضحة ومميزة بعد هذا الانتصار التاريخى للدراسات اللغوية اليونانية ولعلماء الآثار والتاريخ على السواء . لقد أضاف حل رموز هذه اللغة الى تاريخ اليونان سبعة قرون أخرى من الحضارة كانت مهمة وكذلك الى عمر اللغة اليونانية . وبعد تطبيقات هذا المنهج على كميات كبيرة من الوثائق أتم العالمان عملاً ضخماً باسم « وثائق باللغة الموكينية اليونانية » (١) .

، وبينما كان هذا العمل الضخم ماثلاً للطبع حملت أسلاك البرق نبأ موت مايكل فنتريس عام ١٩٥٦ على أثر حادث أليم وهو لم يبلغ بعد

(1) Jhon Chadwick, the Decipherment of Linear B revised edition 1967

الخامسة والثلاثين ربيعا بعد أن نال شهرة وتقديراً عظيمين كتلك التي نالها شامبليون بعد حله لرموز اللغة المصرية القديمة ، فقد منح وسام الامبراطورية البريطانية : (Order of the British Empire) عام ١٩٥٥ كما منحته جامعة أوبسالا بالسويد درجة الدكتوراه الفخرية كما عيّنته الكلية الجامعية بلندن University College, London باحثاً بها .

يترك المنهج الذي استخدمه مايكل فنتريس عند القارىء انطباعاً بأنه منهج احصائي رياضي يقوم على الاستطلاع عن طريق المقابلة والملاحظة والمطابقة ، والحق يقال أن الفضل يرجع الى زميله جون شديك في تطبيق المعايير اللغوية وملئ الهيكل الاحصائي بالمادة اللغوية وتحويل المعادلات الى مفهوم لغوي ومن ناحية المبدأ فانه يمكن التوصل الى حل رموز أى لغة اذا ما توافرت أمام العقل الرياضى الباحث الكثير من الوثائق الكتابية ولكن يمكن القول أيضاً بأن الظروف التي تعرض لها فنتريس كانت أشق من تلك التي واجهت العالم الفرنسى شامبليون Champillon . عند حل رموز اللغة المصرية المدونة على حجر رشيد وعن تلك التي واجهت جروتفند Grotefund وروولنسون Rowlinson . عند حل رموز لغة الكتابة المسماة البابلية Cuneiform اذ توفر بين يدي هؤلاء العلماء نصوص مكتوبة بلغتين في وقت واحد Bilingual documents مما يسر مهمتهم بينما لم يتوفر ذلك بالنسبة لوثق المجموعة الخطية الثانية ، أضف الى ذلك وجود نقص مساعدة أو مشتقة بالنسبة للحالة الأولى - مثل القبطية والعبرية أما بالنسبة للغة كتابة المجموعة الخطية الثانية فلم يعرف حتى الأصل الذي يمكن ارجاعها اليه . وعلى أى حال فقد استفاد مايكل فنتريس كثيراً من الجهود التي بذلها العلماء قبله في محاولة حل رموز لغة المجموعة الخطية الثانية .

### العوامل المادية والمعنوية للمجتمع الموكيني :

لا بد أن تبدأ بدراسة موجزة للدين لما كان له من مؤثرات معنوية في الثقافة الموكينية .

#### ١ - الدين :

لقد سبق أن أشرنا الى أن معظم وثائق الكتابة الموكينية هي قوائم أسماء وسجلات أشياء ورقميات وحسابات ، وبمعنى آخر ليس هناك نصوص تروى لنا أيا من مظاهر هذه الحضارة ولعل القارىء يشفق على الباحث لصعوبة معالجة ركن من أهم أركان الحضارة الموكينية - لا من خلال وثائق مباشرة ومتراصة بل عن طريق شذرات مادية أثرية متفرقة هنا وهناك كأماكن العبادة والقرايين المقدمة للآلهة وأدوات الطقوس والشعائر والأختام التي تحمل صوراً أو رموزاً للآلهة وشذرات الفسيفساء Frescoes أو الفخار أو شواهد القبور Stelai التي تروى جوانب من هذه الشعائر الدينية . ومهما بلغنا من دقة الوصف والتحليل فعلى القارىء أن يدرك أن مثل هذا الوصف والتحليل ليس الا انطباعات سطحية لا نستطيع أن نجزم بقطيعتها ما دمنا لا نملك الوثائق الناطقة .

وأول انطباع يتركه تفحص الأدوات الدينية في نفس الباحث هو وجود ديانة مشتركة بين الحضارة المينية السالفة الذكر والحضارة الموكينية ، لذا يميل علماء الدين القديم الى اطلاق اسماً مشتركاً على هذه الديانة في الحضارتين وهو : (Minoan — Mycenaean Religion) . فنماظر الشعائر وأدوات العبادة تكاد أن تكون واحدة في كلتا الحضارتين . فالآله الأكبر في كليهما « آتى » ويجيء بعدها آله ذكر أقل منها مرتبة . وتكشف المناظر الدينية المصورة عن وجود علاقة دينية خفية وسرية وغامضة (Mystic) بين الخالق والمخلوق . كما تكشف بوضوح عن حاجة المتعبدين الشديدة الى الاخصاب (Fertility) الذى كانوا يحثون بخصوصه ربتهم الكبرى دائماً Magna Mater في صورة القرايين التي كانوا يقدمونها لها . كما يلحظ الدارس وجود نوع من عبادة الأشجار والتنسك للأعمدة وأغلب الظن أن ديانة مشتركة



كانت تجمع بين موكيناي-وكريت ودول شرق البحر الأبيض المتوسط عامة حيث كانت تربط بين هذه الأقطار جميعا صلات تجارية وثقافية وطيدة ، ولشدة تأثير الحضارة الموكينية فيها وتأثرها بها نكاد نطلق على هذه الحضارة صفة العالمية Internationalist وكما قلنا فان المينويين والموكينيين عبدوا ربة أثى أسموها بالربة الأم (Dea Mater) كما عبدوا ربا ذكرا الى جوارها. حينما كان يذكر كشقيق لها وحينما كان يذكر كبعل لها . ولا تخلو هذه العبادة - كغيرها من العبادات القديمة من عنصر الدراما العاطفية عندما يموت بعل هذه الربة في ريعان شبابه مقدما نفسه قربانا من أجل رفاهية شعبه الذى من أجله جاء ، كما تحتوى هذه الديانة على أفكار نابغة من البيئة الزراعية كفكرة القيام أو البعث أو بمعنى آخر « عودة الروح » عن طريق ميلاد جديد ، فهذا الرب - كأوزوريس المصرى وتموز السورى وديونيسوس الاغريقى يموت فى نهاية الدورة الزراعية ليولد مع بدايتها الجديدة فى « الربيع » حيث يحتفى بعيد ميلاده الذى يجيء مع فاتحة جنى الثمار وحيث تقدم له القرابين وتقام من أجله الشعائر طلبا للأخصاب والخير الوفير ، وغالبا ما تكون هذه الشعائر استعراضا لبعض مظاهر الحياة والطبيعة ، كما اعتاد المصريون أن يحتفلوا بيوم الزواج المقدس (Hieros Gamos) بين الرب حورس (Horus) والربة حتحور (Hathor) اعتاد المينويون والموكينيون الاحتفال بالزواج المقدس بين هذا الاله بعد بعثه وبين الربة الكبرى ( الأم ) حيث يتم اللقاء ويجتمع الشمل (re-union) وكانت شعاراً هذا الزواج التمثيلى من أهم ملامح الديانة المينوية الموكينية (١) . وقد سبق أن عالجت الربة الأم عند أهل كريت بما فيه الكفاية وقلنا أنها كانت ربة قادرة على كل شيء (Omnipotent) وجامعة لخصائص شتى ارتأى الموكينيون توزيعها على آلهة أخرى كثيرة ، حقا ان الدين المينوى كان يعرف زيوس ولكن كان يراه الالهة أقل قدرة وشأناً اذا ما قورن

(١) هذه الفكرة وجدت فى الاصل عند السومريين فى تزواج الربين اينانا ودموزى وانتقلت الى السوريين فى زواج عشتار وتموز انظر :  
فاضل عبد الواحد على : عشتار ومأساة تموز - بغداد مطبعة  
الجمهورية ١٩٧٣ ، ص ١٢٧ وما بعدها .

بالربة الأم ، بل أنه اعتبر تابعاً لها ويقبع تحت امرتها ، أما في نظر الدين الموكيني فإن زيوس يبدو أكثر أهمية وشأناً ، اذ رددت وثائق المجموعة الخطية الثانية اسمه ، فذكر مرة وثائق بيلوس Pylos ومرات في وثائق كنوسوس \* وإلى جانب زيوس أشارت الوثائق إلى الضرائب المفروضة على الناس عيناً ومالاً لصالح آلهة أخرى منها الربة هيرا وأثينا وأرتميس وأبوللون ( الذي ذكرته باسم باياون (Paiawon) وبوسيدون وكذلك آريس الذي ذكرته الوثائق باسم انواليوس (Enualios) وبالرغم من أن هذه الوثائق لم تذكر شيئاً عن الصورة التي ظهروا بها في أعين الناس إلا أنه يكفي أن نقول أن الموكينيين عرفوا هذه الآلهة التي أصبحت دعائم الديانة الاغريقية فيما بعد \* وجدير بالذكر أن الربة الأم عند الموكينيين كانت تجمع صفات وزعت على ثلاثة ربوات اغريقيات فيما بعد : هن ديمتر Demeter ربة الزرع والحرب وارتميس ربة الصيد والحيوان وأثينا حامية الدار وربما ليس من قبيل الصدفة أن تراث تلك الربوات نفس المواصفات التي كانت تظهر بها الربة الأم في كل وجه من وجوهها المختلفة الثلاث \* فمثلاً ديمتر ورثت عن الربة الموكينية قدسية ضاحية اليوسيس في أثينا وأرتميس ورثت عنها ظهورها في صحبة الحيوانات المفترسة وكربة البراري وأثينا ورثت عنها الثعبان واليامامة والدرع الذي كانت تحمى به القلعة والأبطال المغاوير \*

لقد سبق أن أشرنا إلى أهمية بوسيدون رب البحار في مدينة Pylos تلك الأهمية التي عبر عنها هوميروس بذكره كيف أن نستور Nestor ملك المدينة وقائد حملتها في الحرب الطروادية قدم أضحى تسع مرات لهذا الاله وفي كل مرة كان ينحر له تسع ثيران حتى لا يهز الأرض هزاً يجلب بعدها الدمار والخراب \* كان يوسيدون عند الموكينيين يظهر في صورة جواد (hippos) والجواد كان رمزاً للاخضاب في مجتمعات القبائل المتنقلة الاغريقية nomads \* وهناك من الأدلة ما يكفي أن نقول أن عبادة ديونيسوس بما احتوته من الانغماس في العريضة والجنون الانطلاق في العصر الاغريقي العتيق Archaic period نبع أساساً من الدين الموكيني حيث عرف هذا الرب الذي جاء أصلاً

من فريجيا Phrygia وليديا Lydia في آسيا الصغرى ، وحيث ارتبط اسمه وهو طفل : (Dionysus infans) بالربة الأم كما ورث عنها الحية ، وتذكر أساطير اليونان فيما بعد بأنه مات ودفن في دلفي Delphi التي سكنها أبوللون فيما بعد والذي سمي بقاتل الحية (Argeiphontes) ويعتبر أبوللون أكثر الآلهة الذكور أهمية في الديانة الموكينية فهو الذكر المناظر للربة الأم ، وهو رب القوس ورسول الموت والشافي من السقم والأوبئة والأمراض .

أما عن أماكن العبادة فجدير بالذكر أن الدين الموكيني مثل الدين المينوى لم يعرف المعابد الفخمة التي تحوى تماثيل العبادة الضخمة Cult-Statues مثلما كان الحال في العصور الكلاسيكية إذ لم يتعد مكان العبادة أن يكون محراباً صغيراً تقدم فيه القرابين . ومن الجدير بالذكر أن علماء الآثار لاحظوا وجود آثار دينية من العصر الموكيني في نفس الأماكن التي أصبحت فيما بعد من أشهر مراكز العبادة مثل جزيرة ديلوس (Delas) مركز عبادة أبوللون وأولمبيا (Olympia) حيث عبد زيوس وهيرا ، وهناك من يرى في العثور على بقايا قصر ملكي أسفل قاعة التلستريون (Telesterion) في ضاحية اليوسيس وحيث كانت تجرى الشعائر الدينية الخاصة بديميتر وابتتها برسيفوني دليلاً دينياً لأن المحراب كما رأينا في الحضارة البشرية خرج من ردهات القصر الملكي في العصر الموكيني .

## (٢) الزراعة والتجارة والصناعة :

أما من الناحية المادية للحضارة الموكينية فإن الزراعة تعتبر الدعامة الأولى لتلك الحضارة . إذ كان يعمل بها السواد الأعظم للشعب وتدل القوائم التي كانت تسجل مقدار المحصول ونوعه ونصيب القصور والآلهة منه على دقة التنظيم الزراعي ومن أهم الحاصلات التي رددت في الوثائق القمح والشعير - كما قامت بعض الصناعات التي ارتبطت بالزراعة مثل صناعة زيت الزيتون والمنسوجات الصوفية . وكانت صناعة المنسوجات الصوفية بالذات من أهم مصادر الثراء في

المجتمع الموكيني وكانت تستهلك نسبة منه داخلياً ، أما الفائض فكان يصدر الى بلدان البحر الأبيض التي كانت لها علاقات تجارية مع مدن بلاد اليونان في ذلك العصر .

وبالرغم من أن « الثور » كان حيواناً مقدساً الا أنه كان « وحدة » التعامل الذي كان يقوم على المقايضة (barter) وليس من المستبعد أن استخدم الموكينيون سبائك النحاس كوحدات للتعامل بدلا من النقود اذ عثر على كمية كبيرة منها في القصر الصيفي في هاجيا تريادا بكريت ، كما أخرجت كمية أخرى منها حديثاً في عام ١٩٦٠ من بقايا سفينة موكينية غرقت جنوب غرب ساحل تركيا بالقرب من رأس جيليدونيا (Gelidonya) . وقد أقام الموكينيون مدنهم على قمم التلال وكانت هذه المدن على نمط مدن الامبراطورية الحيثية محاطة بالتحصينات الدفاعية القريبة حتى أن كاسون (Casson) أرجح سيادة مدينة موكيني الى نجاحها في تنظيم عناصر القوة تنظيمًا سليماً Mycenae dominates by virtue of the proper organisation of force ومن المدن المحصنة كانت تخرج شبكة من الطرق لتربط بين المدن الكبرى وبين المراكز التجارية أو الثقافية التابعة لها . وقد كشفت الألواح المكتوبة عن عناية بالغة بإنشاء وبناء شبكات الطرق من أجل خدمة التجارة والجيوش حيث شقت الطرق وأقيمت الجسور ومن أشهر هذه الطرق الطريق الذي يبدأ من آكروبول موكيناي ويمتد جنوباً الى بلدة بروسيمنا Prosymna حيث يوجد معبد للربة هيرا Heraeum كما استطاع العلماء تتبع آثار طريق جبلي يربط بين موكيني وكورثا وضماناً لسلامة القوافل التجارية والمسافرين أقام الموكينيون قلاعاً للحراسة على جانبي الطرق الرئيسية وليس بعيد أنهم فرضوا رسوماً على استخدام الطرق كما هو الحال في أوروبا اليوم . ومن أشهر قلاع الحراسة قلعة جبل الياس (Mount Elias) <sup>(١)</sup> الذي يطل على مدينة موكيناي نفسها . وعلى أي حال فإن علماء الحضارة الموكينية يرون في

(١) من هذا الجبل ذكر سوفوكليس أن البشير أعلن مقدم الملك أجاممنون من الحرب منتصراً وذلك لزوجته التي دبرت مقتله مع عشيقها انظر أجاممنون - سوفوكليس - الافتتاحية .

غاية الموكينيين بشبكات الطرق دليلا على مظهرين يعتبران من أهم مظاهر الحضارة الموكينية على الصعيد الدولي ألا وهما التجارة والحرب .

### ٣ - الحرب :

أهم ما يميز الموكينيين عن غيرهم من الشعوب هو أنهم كانوا شعبا يميل بطبيعته الى القتال وذلك واضح من أنواع الاسلحة المختلفة التي عثر عليها مدفونة في قبور الرجال وكما هو واضح من الرسومات سواء على حوائط القصور أو على أواني الشراب والتي كانت تسجل جوانبا من مغارك حامية الوطيس . وليس ذلك وحده دليلا على ارتفاع الروح العدوانية القتالية عند الموكينيين فحسب ، بل تدعم الوثائق الكتابية أهمية الجيش في المجتمع الموكيني ، ولقد أشرنا سالفا الى طبقة « الاتباع » (baquetai) العسكرية وكما يتضح من الاسم فتد كانوا اتباعا للملك وأغلب الظن أنهم كانوا من طبقة الأشراف . وتخبرنا الوثائق أنه كان يتوفر لديهم العربات الحربية وأنهم كانوا أعضاء في هيئة عسكرية كان ينظمها القصر الملكي من أجل التنسيق بين وحدات الجيش المختلفة المكلفة بحماية المناطق الساحلية وصد أي عداون قد يقع عليها مثلما كان الحال في الامبراطورية الرومانية المقدسة (١) .

يجيء سلاح العربات على رأس وحدات الجيش الموكيني وكان لهذا السلاح من الأهمية ما توليها الجيوش الحديثة لسلاح « الفرسان » اذ كان دور « العربة الحربية » في المعركة حاسما وأساسيا وليس كما كان يظهر دورها في الاليادة والذي لم يتعد حمل البطل الى ساحة المعركة . لقد كان اختراع العربة الحربية ثورة في التكتيك العسكري في العالم القديم فعن طريقها مثلا استطاع المصريون وهم شعب زراعي مسالم أن يقيموا امبراطورية شاسعة خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد وليس هناك من شك في أن « العربة الحربية » دخلت الى بلاد اليونان من الشرق الأوسط . ابان القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومن أهم الأسلحة التي كان يتسلح بها الجيش الموكيني الدرع الذي يحمي الصدر (shield)

(١) وهذا هو أصل نظام الاقطاع الاوربي في العصور الوسطى .

والدروع التي كانت تحمي الساقين (greaves) حتى أن الآخين عرفوا  
بأسم « الذين يتوشحون جيدا بدرع الساق (Well-greaved Achaeans) »  
ويستطيع الزائر لمتاحف بلاد اليونان وأوربا أن يشاهد مجموعات مختلفة  
للخوذ الحربية وعلى تشكيلات متنوعة للأسلحة الهجومية كالحراب  
والسيوف والذال والسهام وناهيك عن الخناجر المطعمة بالعاج والذهب .  
ولما كان البحر ذا أهمية خاصة في حياة الموكينيين فمن الطبيعي أن  
نعتقد بوجود قوة بحرية ضاربة . إذ تمدنا وثائق بيلوس (Pylos) بقائمة  
تتضمن مجموعة من أسماء « مجدفين » في الأسطول وأغلب الظن أن  
السفن التجارية كانت نفس السفن التي استخدمت للأغراض العسكرية  
أو للقرصنة في أعالي البحار .

#### ٤ - التجارة والعلاقات الدولية :

من الطبيعي أن يتفهم الباحث حب الموكيني للبحر . فهو انسان يتميز  
بعشقه للمغامرة وركوب المخاطر والأهوال بل أن فقر الموارد الاقتصادية  
لبلاده حتمت عليه البحث عن مصادر أخرى في البلاد التي يخفيها البحر  
وراء أفقه البعيد فكانوا يذهبون بالفائض من صناعتهم ويعودون بما  
تحتاج اليه بلادهم . ومن الواضح أنهم كانوا يصدرون الأواني الفخارية  
على نطاق واسع فاذا نظرنا غربا وجدنا شذارات الفخار الموكيني في صقلية  
وجزر ليبارى شمال هذه الجزيرة وحيث استخرجوا من صخورها البركانية  
اللامعة الداكنة الحجر الذي يعرف بالابسيدي Obsidian والذي  
كانوا يصنعون منه الأدوات الفنية والمنزلية . ويتضح من كثرة الأواني  
الفخارية الموكينية أن هذه الجزيرة كانت محطة تجارية للأسطول الموكيني  
في غرب البحر الأبيض ولما كانت الحضارة الموكينية تقوم جوهرها على  
معدن البرونز فاته من الطبيعي أن يسعى الموكينيون بحرا وراء خامات  
هذا المعدن وهي النحاس والقصدير وقد اشتهر سهل اتروريا Etruria  
في شمال إيطاليا بمناجم النحاس الغنية وأغلب الظن أن السفن الموكينية  
كانت تجيء بهذا المعدن من هذه المنطقة إذ لاحظ العلماء وجود شذرات  
للأواني الموكينية في جزيرة اسكيا المواجهة لساحل اتروريا وليس من (١)  
(١) انظر : كتابي تاريخ الرومان دار النهضة العربية القاهرة  
١٩٧٦ ص ٤٨ .

المستبعد أن تكون السفن الموكينية قد وصلت إلى شواطئ شبه جزيرة  
إيبيريا Iberia حيث مناجم القصدير والفضة حتى في غياب الدليل  
الأثرى • كما أمكن التعرف على العديد من الآثار الموكينية الصغيرة في  
شمال وجنوب فرنسا وبريطانيا ومنطقة وسط أوروبا •

#### العلاقة الحضارية مع الشرق الأوسط وحوض بحر إيجه :

رذذت وثائق المجموعة الخطية الثانية التي عثر عليها في كنوسوس  
عددا من أسماء الشعوب الشرقية التي عرفوها من خلال التعامل التجاري  
فذكرت كلمة « مصري » Misirayo ومرادفها (Aikupitayo) كما  
ذكرت كلمة « قبرص » (Arasiyo) وأرادى (Aradayo) وكذلك لفظ  
« يبروتى » (Perita) و « صوري » (Turiyo) كما يتردد لفظ (Po-ni-ko)  
• (Po-ni-ki-ya) وكلاهما له دلالة عن علاقة تجارية ببلاد الفينيقيين •  
وكذلك فقد تعرف علماء اللغة اليونانية على عدد كبير من الأسماء ذات  
الأصول السامية خاصة أسماء التوابل (١) •

وكانت الصادرات الموكينية توضع في جرار ذات حجم وشكل معين  
وقد عثر على شذرات هذه الجرار في فينيقيا وفلسطين ومصر • ولتأمين  
التجارة أقام الموكينيون عددا من المحطات التجارية لتفريغ الصادرات  
وشحن الواردات وقد أمكن التعرف على هذه المحطات في ميليتوس  
(Miletus) وروُدس (Rhodes) وقبرص (Cyprus) وأوغاريت (Ugarit)  
( رأس شامرة ) على الساحل السوري حيث تعكس صورة للرخاء  
التجارى الذى شهدته بلاد اليونان ما بين ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق • م بصورة  
لم يسبق لها نظير •

كانت مصر من أهم أقطار البحر الأبيض المتوسط التى حرص

---

(١) cf. Edwin. M. Yamauchi, Greece and Babylon : Early contacts between  
between the Aegean and Near East, (Michigan 1967) pp 33-34.  
( • - الاغريق )

الموكنيون على اقامة علاقات طيبة معها والأواني المرمرية (alabaster) المصرية كثيرة في القبور الموكنية كما أن رسومات الحوائط في طيبة المصرية والتي تعود الى الأسرة الثامنة عشر (حوالى القرن الخامس عشر قبل الميلاد) تصور رجال كفتيو Keftiu (١) أى أهل كريت وهم يحملون الجزية في شكل حلقات من الذهب والفضة والجواهر الغالية وأدوات الزينة وسبائك النحاس وكذلك المنسوجات الصوفية وغيرها من الأدوات ولا بد أن مصر - التى عرفت بكثرة صادراتها فى العالم القديم لم تكن أقل قدرة منهم على التصدير ولكن طبيعة الجو فى بلاد اليونان لم يساعد الكثير من المواد المصرية على البقاء • أما رمال مصر الدافئة فكانت على العكس من ذلك اذ حفظت لنا كميات كافية من هذه المواد بالرغم مما تعرضت له القبور من نهب واندثار ويستطيع القارئ أن يطلع على نتائج حفائر فلنדרز بترى Flinders Petrie فى تل العمارنة ( مركز ملوى محافظة المنيا ) حيث بنى اخناتون عاصمته الجديدة أخيتاتون والتي هجرت واندثرت بعد عام ١٥٣٠ نتيجة للعودة الى ديانة آمون • لقد أخرجت قبور هذه المدينة ما يزيد على ألف وثلاثمائة وخمسين شذرة فخار بعضها جاء من قبرص ولكن الغالبية من بلاد اليونان • ولعل الباحث يتساءل عن هذا التحول فى حجم التجارة بين مصر وأوروبا لصالح اليونان بدلا من كريت التى أقامت علاقات تجارية مع مصر منذ وقت مبكر ، وربما يقبع الجواب فى تدهور سيطرة كريت البحرية وانتقال مركز الثقل تدريجيا الى بلاد اليونان ، ويلاحظ العلماء أن الموكنيين تحاشوا المرور بسفنهم التجارية على كريت فسلكوا طريقا بحريا الى جزيرة رودس ثم بمحاذاة ساحل آسيا الصغرى مارين بأوغاريت وبيبلوس (Byblus) وساحل فلسطين حتى ساحل أفريقيا الشمالى •

يتبين اذن مدى أهمية جزيرة رودس كمحطة بحرية موكنية فى شرق البحر الأبيض المتوسط ثم يليها فى الأهمية ميليتوس وكلتاهما كاتتا فى

---

(١) عن مشكلة الكفتيو انظر فركوتيه المرجع السابق ص ٣٠ وما بعدها كذلك انظر : عبد اللطيف أحمد على - المرجع السابق ص



الأصل محطاً للتجار الكرّتيين ولكن سرعان ما استوعبتهما موكناي بعد زوال سلطان كريت البحري. ولما اتسع نطاق الحيز التجاري الموكيني امتدت يد السيطرة. والاستيطان فشلت جزيرة Cos والجزر الاثني عشر dodecadese وجزيرة قبرص. وتوضح « وحدة نوع » المواد الأثرية مدى التصاق المستعمرات بالوطن الأم في بلاد اليونان وبمرور الزمن انتشرت في هذه المستعمرات ظلال الحضارة الموكينية اذ بدأت هذه المستعمرات في تقليد الصناعات الموكينية خاصة في رودس وقبرص ، ويستطيع عالم الآثار في البداية أن يميز بسهولة بين ما هو « موكيني حقيقي » وما هو موكيني مقلد أو بمعنى آخر بين ما هو « موكيني حقيقي » وما هو « موكيني محلي » . لكن كلما تدهورت سيطرة بلاد اليونان على مستعمراتها ازداد اعتماد هذه المستعمرات على الاتحاج المحلي مما أدى الى زيادة في الجودة والاتقان حتى أن الأثريين ليجدوا من الصعوبة بمكان أن يفرقوا بين النوعين .

وخلاصة القول أن بلاد اليونان في خلال السيادة الموكينية كانت تسوق حضاريا من الشرق الأوسط وتتاجر ماديا مع الغرب الايطالي حيث عبرت سفنهم كما تفعل اليوم البحر الادرياتيكي يساعدها على ذلك وجود بعض الجزر المواجهة للساحل الغربي لبلاد اليونان مثل كورفو أو كوركيرا (Korkyra) وحيث كان يتمون الأسطول ويتابع بعدها السير الى جنوب ايطاليا وجزيرة صقلية ، بل أن هناك من الدلائل ما يثبت وصول السفن الموكينية الى جزيرة سردينيا Sardinia ذات المناجم الغنية بالنحاس ، هكذا ساهم الموكينيون في تمهيد الطريق لاستيطان الغرب الأغريقي .

وقد يتساءل الباحث ماذا كانت تقدم موكناي في صادراتها غير الأواني الفخارية ؟ وللإجابة على ذلك يجب أن نعود الى الجغرافيا حيث نعرف أن البلاد اليونان غنية بمناجم المعادن كمناجم النحاس في قبرص ونيميا Nemea شمال موكناي ومناجم الرصاص والفضة في لاوريوم Lauriom في أتيكا وربما أيضاً مناجم الذهب لكثرة

استخدامه • ومن الطبيعي أن تصدر موكيناي صناعات هذه المعادن • كما سبق أن أشرنا الى احتمال تصدير الصوف والمنسوجات الصوفية • وقد كشفت وثائق بيلوس Pylos عن فائض المنتجات والمصنوعات النحاسية التي ربما كانت من أهم الصادرات المحلية الموكينية الى العالم الخارجى • وقد ارتبطت البحرية دائماً في التاريخ القديم « بتجارة الرقيق » والتي سبق الحديث عنها أيضاً ، كما تحدثت الوثائق عن صناعة الدهون والمستحضرات الطبية وربما قاموا باستيراد التوابل واعطور من الشرق وتوزيعها على أسواق العالم الأوروبى كما تدل أشكال بعض الأواني الموكينية في البلاد الأخرى والمنطقة الشرق الأوسط على أنها كانت تحمل النيذ وربما أيضاً زيت الزيتون والتي كانت تصدرها مقابل استيراد التوابل والعاج من هذه المناطق •

وأخيراً نوجز فنقول أن ممالك الشرق الأوسط القديم كانت تستمتع بالاكتماء الذاتى اقتصادياً لدرجة جعلتها لا تأبه بالتجارة الدولية على العكس من بلاد اليونان ، وذلك لقلة الموارد الاقتصادية في الأخيرة مما حتم عليها أن تزيد من حجم تجارتها وأن تدخل في منافسة مع غيرها ، ولعل أقرب الأمثلة التاريخية لموكيناي هي مدينة البندقية (Venezia) التي قام مجدها السياسى والثقافى على التجارة الدولية التي رفعتها من مدينة مغمورة الى مكان الصدارة والشهرة في العصور الوسطى وغمرتها بالرخاء والبذخ •

### الحروب الطروادية :

قبل أن نتطرق الى الحديث عن أشهر حرب خاضها الأخيون (١) يجب أن نذكر القارىء بما سبق أن قلناه من أن الموكينيين كانوا « شعباً عدوانياً » مقاتلاً بغريزته وأن آثارهم تدل على أنهم حاصروا أكثر مما حوصروا ، وكذلك يجب أن نذكر القارىء بظروف بلاد اليونان الاقتصادية التي حتمت عليها الدخول في منافسة مع الدول

(1) Andrew Lang, Tales of Troy and Greece (Faber, reprinted 1962).

التجارية الأخرى من أجل السيطرة على البحار والاتفراد بالأسواق التجارية الخارجية ، ولم تكن مدينة طروادة الواقعة على الجانب الآخر من حوض بحر ايجه أقل سطوة في البحر . فقد خصتها الطبيعة بسوقع استراتيجى جعلها تتحكم في بحر مرمرة Propontis ، وليس من المستبعد أن تكون هذه المدينة قد فرضت اتاوة على السفن الرائحة والغادية في هذه المنطقة مثلما تفعل الدول الحديثة بمراتها المائية . ومن الطبيعى أن يؤدى التنافس التجارى الى وجود حالة من التوتر العدوانى يتحفز فيها كل من الطرفين المتنازعين متحيناً الفرصة التى ينقض فيها على خصمه وليس من المستبعد أن تكون شرارة الحرب قد اندلعت نتيجة لحادث قرصنة بحرية أو بسبب حادثة اغتصاب وهو السبب الذى أعزته الاليادة لقيام الحرب . ولكن يبقى السبب الفعلى للحرب وهو الاشتباك الذى لامر منه نتيجة «لصراع المصالح» (conflict of interests وعلى أى حال فإن مدينة طروادة لم تعتمد على التجارة اعتماداً أساسياً كما اعتمدت بلاد اليونان لاختلاف تركيبها الجغرافى اذ تقع مدينة طروادة في وسط سهل غنى هو سهل « طروادة » Troad وهو خال من العوائق الجبلية التى تضيق المساحة المزروعة . كما أن طبيعة الأرض البركانية جعلت هذا السهل غنياً بإنتاجه الزراعى بمقادير تزيد عن حاجة السكان المحليين . ومن الطبيعى أن يصدر الفائض الزراعى الى خارج البلاد كما ذكرت الأسعار الهومرية في أكثر من موضع أن طروادة اشتهرت بتربية الجياد الأصيلة . كما أن الحفائر الأثرية التى أجريت في مكان طروادة ، كشفت عن كميات ضخمة من أدوات الغزل والنسيج وذلك يثبت بصورة لا تقبل الشك أن المدينة القديمة كانت مركزاً هاماً لصناعة النسيج وربما نافست البلاد الموكينية في تصدير المنسوجات وليس من المستبعد أن يكون الموكينيون قد اختاروا لحملتهم توقيتاً مناسباً اذ تظهر الدلائل الأثرية أن المدينة قد تعرضت حوالى عام ١٣٠٠ ق م لسلسلة من الزلازل ألحقت بها أضراراً جسيماً وتركها أقل بأساً وأوهى عظماً . عندئذ حشدت بلاد اليونان كل طاقتها العسكرية في حملة - طبقاً للاليادة - قادها أجاممنون العظيم « ملك

الرجال » وقد سبق أن ذكرنا أن الالياذة استعرضت عضلات الحملة في الجزء المسمى « بسفر السفن » . وقد روت الملحمة أن الحرب قد اندلعت لسبب أخلاقي ودفاعا عن شرف الملك مينالاءوس (Menalaos) شقيق أجاممنون بعد أن خطف أمير طروادى اسمه باريس (Paris) زوجته الجملة هيلينا Helena وفر بها عائداً الى طرواده متعديا بفعلته هذه حدود الضيافة المقدسة . والى عهد قريب كان التاريخ التقليدى الذى حدده اراتوئينيس Eratotherenes لسقوط طروادة وهو عام ١١٨٤ ق م مقبولا ولكن الأبحاث الأثرية التى نقضت ما استنتجه شليمان من حفائر اعتبرت أن هذا التاريخ تاريخا متأخرا اذ قدر بعضهم تاريخ سقوط طروادة الأولى ( فى العصر السابع VII A ) حوالى عام ١١٣٠ ق م . ويكاد الرأى أن يستقر على الفترة ما بين ١٢٦٠ - ١٢٥٠ ق م هى التاريخ التقريبى لسقوط هذه المدينة حيث تظهر الآثار أن الموكيين هاجموا شرق البحر الأبيض المتوسط ، وقد سجلت الآثار المصرية أن « شعوب البحر » هاجمت مصر من الغرب ثم بعد ذلك من الشرق ولكنهم ردوا على أعقابهم خاسرين (١) .

#### الغزو الدورى ونهاية العصر الموكينى :

اهتزت بلاد اليونان وحوض بحر ايجيه خلال القرن الثانى عشر قبل الميلاد لحركة هرج سكاني شملت منطقة البحر الأبيض المتوسط كلها . ومن الواضح أن القبائل الغازية كان مصدرها قارة آسيا الصغرى حيث عزى العلامة شيفر Shaefer أسباب هذا الهرج والهجرة السكانية الى سلسلة من الزلازل تعرضت لها تلك المنطقة أبان هذه الفترة . ومن الواضح أن امبراطورية الحيثيين قد سقطت تحت جحافل هؤلاء الغزاة كما أن مصر قد تعرضت على أيديهم لهجومين متتاليين أشير اليهما باسم غزوة الأخايواشا Akhaiwasha والدانوثا (Danuna)

(١) عثر حديثا على لوحة ضخمة اقامها الفرعون مرنبتاح ( ١٢٢٤ - ١٢٠٤ ق م ) فى معبده بطيبة وهى محفوظة الآن بالمتحف بالماهرة يروى فيها ويتغنى بانتصاراته على اعداء مصر وشعوب البحر التى هاجمتها من الشرق ومن الغرب وجاء فى النص أن اسرائيل أبيدت ولن تقوم لها بدرة ولهذا اعتقد البعض ان مرنبتاح هو فرعون موسى الشهير .

(الدوريين الاغريق ) أما بالنسبة للقبائل التي غزت بلاد اليونان فمن الواضح أنها لم تجيء بحراً بل هبطت عليها من الشمال بدليل أن الحياة الموكينية في بعض جزر بحر ايجه استمرت فيما هي عليه ، بل أن جزيرة رودس بلغت قمة مجدها التجاري ابان هذا الغزو اذ امتدت مناطق نفوذها من تارنتوم (Tarntum) غرباً الى هضبة الأناضول شرقاً . ومن الواضح أن هذه القبائل المهاجمة هندو أوروبية من نفس العنصر الاغريقي، وقد عرفهم التراث الاغريقي باسم الدوريين Dorians وأنهم هبطوا من الشمال واحتلوا معظم البيلوبونيسوس بعد جيلين من سقوط طروادة، بل ولقبوا هجرتهم باسم عوة آل هيراكليس البطل الأسطوري الاغريقي The Return of the Herakleidae وتطابق بعض المعلومات المستقاة من الأساطير والتراث الشعبي الدلائل المادية التي كشفت عنها الحفائر الأثرية اذ تعرضت القصور الملكية الموكينية خاصة في بيلوس Pylos ويولكوس Iolkos للحرق والتدمير حوالي عام ١٢٠٠ ق م ، وفي نفس الوقت تعرضت المنازل المقامة خارج حوائط قلعة موكيناي لتدمير مماثل أي أن القلعة صمدت للحصار فترة من الزمان قبل سقوطها ، ويقرر العلماء هنا مدة هذا الصمود بنصف قرن . كما حاق الدمار بتيرنس (Tiryns) وأرجوس Argos واسيرطه الموكينية في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد . أما باقي المناطق الأخرى فقد استمرت الحضارة الموكينية في اضطرادها الحضاري اذ بقيت على حالها ، بل أن بعضها ازدهر ازدهاراً شديداً .

ولما كان الغزاة الدوريون لم يخلفوا وراءهم آثاراً مادية تعكس شخصيتهم ( بخلاف لهجتهم التي نسبت اليهم ) مثل الأواني الفخارية أو أدوات الحلى والزينة والمباني والآثار المعنوية ، كتلك التي تختص بالعبادة وشعائر دفن الموتى فقد سبب ذلك صعوبة شاقة للباحثين ، فاعتبروا طريقة حياتهم صورة باهتة من الحضارة الموكينية ، ولكن الحفائر الأثرية كشفت في بعض المناطق عن طبقة من التدمير والحرائق تفصل بين طبقة من حضارة البذخ والترف الموكينية البرونزية وطبقة

يظهر فيها معدن الحديد مما جعل العلماء يقررون أن الدورين أتوا بهذا المعدن معهم .

كما لاحظ العلماء ظهور العبادة الاغريقية الفضفاضة (Himation) (١) والتي أصبحت من أهم ملامح الرداء الاغريقى ظهرت مع مقدم الدورين . هكذا زالت حضارة البذخ والترف من الوجود المادى اتخذد فى أشعار فاضت بها نفوس الموكينيين المهاجرين حسرة على حضارتهم المنهارة وعلى مجد ملوكهم الراحلين لتبعث بعد أربعة قرون من الزمان على يد هوميروس (Homerus) فى شكل ملحمة هى الالياذة (Iliad) وليس من الصحيح أن نقول أن الحضارة الموكينية قد زالت من بلاد اليونان كلها مع مقدم الدورين بل ان الصحيح هو أن نقول أن الحضارة الموكينية ببذخها وخيالها وانسانيتها غادرت البيلوبونيسوس متجهة الى أثينا وإلى ساحل آسيا الصغرى . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحضارة الاغريقية ذات واجهتين مختلفتين واجهة مادية واقعية قاسية سادت فى غرب بلاد اليونان وخاصة البيلوبونيسوس وواجهة انسانية خيالية ذواق للفضول والآداب سادت فى أتيكا وعاصمتها أثينا ، وكذلك فى أيونيا Ionia على ساحل آسيا الصغرى حيث هاجر الموكينيون بسبب الغزو الدورى .

#### دولة أثينا ترث التراث الموكينى :

يتفق التراث الشعبى مع الأدلة المادية على أن أتيكا وعاصمتها أثينا وقتت فى وجه الغزاة الدورين وصدتهم ولم تدع لهم الفرصة لكى يدوسوا أرضها ويطردوا شعبها لذا فقد ظل الاثينيون يفخرون بكبرياء على مر العصور التالية بأنهم سكان أصليون (autochthonous) ، وتكشف طبقات الحفائر الأثرية عن حضارة مستمرة دون انقطاع أو تدمير منذ العصر الموكينى حتى العصر الكلاسيكى ، ولهذا أهميته فى

(1) cf V.R. d'A Desborough : Greek dark ages, Ernest Benn, London, 1972, (Revised in J.H.S., xciii, 1973 p. 252-253 by G. Huxley), also cf A.M. Soudgrass, The Dark Age of Greece Edinburgh, 1971, xxx (Revised in AJA, 77, 1973 p. 238).

علما بأن اللفظ غير دقيق لأن العصر لم يكن مظلماً حضارياً بل راكداً سياسياً بسبب الكارثة الاقتصادية . cf. A.M. Soudgrass, op. cit. p. 365.

تتبع عملية التفاعل الحضارى المستمر أو اكتشاف الجذور الموكينية لحضارة العصر الكلاسيكى ، وغنى عن الذكر أن اسم أثينا قد تردد فى التراث الموكينى وعلى الألواح المكتوبة وربما لعبت دورا فى الدين الموكينى نفسه ، كما توات الأدلة الأثرية على وجود آثار فوق تل الأكربول لمعبد قديم للاله اريخثيوس (Erechtheion) وغيرها من الأدلة التى عززت مركز أثينا أبان الحرب الطروادية والعصر الموكينى وردت على الادعاءات بأن الطاغية بيسستراتوس (Peisistratus) هو الذى أمر بدس الأبيات التى تظهر أن أثينا قد لعبت دورا فى الحرب الطروادية .

وأن المطلع على نتائج الحفريات الأثرية وخاصة تلك التى أجرتها المدرسة الأمريكية فى منطقة السوق العامة القديمة (agora) لا يتردد لحظة واحدة فى أن يعترف بأن أثينا لم تكن بالمدينة المغمورة وسط عالم تألفت فيه المدن أبان العصر الموكينى . وأثر من هذا ذهب حفائر البعثة الايطالية . اذ أثبتت وجود آثار سكانية من العصر الحجري الحديث (Neolithic) عند سفح المنحدر الجنوبي للأكربول ومن العجيب أن المؤرخ الأثينى توكوديديس (Thucydides) قد أشار عرضا الى هؤلاء السكان الأول . كما أننا لم نعد الآن فى حاجة الى أدلة لأثبت وجود علاقة حضارية بين أثينا وكريت من ناحية ، والمدن الموكينية من ناحية أخرى . وإلى جانب استمرار الحضارة فى أثينا منذ عصور ما قبل التاريخ تكشف الآثار عن عناية المدينة بالتحصينات الدفاعية فوق الأكربول . ومن الواضح أن جحافل الجيوش الدورية وقبت عاجزة أمام هذه التحصينات لقد أوضح تقرير العلامة برونيير أن المدينة لم تتعرض لغزو واحد بل لعدة غزوات كان سكان المدينة ينسحبون فى كل مرة ثم لا يلبثون أن يعودوا لديارهم فى عناد وصمود حفاظا على العنصر وتمسكا بالأرض وأن هذه الغزوات حدثت فى أزمنة متقاربة لحوادث التخريب والحرائق التى تعرضت لها المدن الموكينية فى تيرنس (Tiryns) وبيلوس (Pylos) وموكيناي (Mycenae) .

كما اتضح أن آثار التدمير والتخريب قد حاقت بالمنطقة الواقعة خارج التحصينات بينما لم تتأثر المنطقة الواقعة داخل الأسوار .

### أثينا تفتح أبوابها للمهاجرين الموكينيين وتستوعب حضارتهم :

وكان من الطبيعي أن تتدفق جموع المهاجرين أمام جحافل الغزو الدوري في اتجاه الشرق . وكانت أتيكا وأثينا هي الملاذ الطبيعي . ولم يفت على ثوكوديدس أن يشير الى استقبال أثينا للمهاجرين وإيوائها لهم كما أن باوسانياس Pausanias وضع ذلك بدقة فذكر أن الأخيين الذين طردهم الدوريون حاولوا بدورهم غزو الأراضى التى يحتلها الأيونيون فى شمال البيلوبونيسوس ، وكان من نتيجة ذلك حدوث هجرة أيونية انضمت الى المهاجرين الاخيين وسارث شرقا الى « أتيكا » وقد رحب الأثينيون بالمهاجرين من أجل تكوين جبهة دفاعية مشتركة تقف فى وجه العدوان الدوري . ويذكر أرسطو ومن بعده بلوتارخوس أن الأثينيين كانوا كرماء مع المهاجرين فمنحوهم الجنسية الأثينية . كما ربط باوسانياس بين تقاليد حق منح اللجوء السياسى فى أثينا لغير الأثينيين والذي كان أحد العناصر الفكرية المقدسة الكبرى فى التراجيديا الأثينية إبان القرن الخامس . ق . م وأكد أن هذه الفكرة كان مبعثها أساسا استقبال الأخيين والأيونيين فى المدينة والنى تركت تقليدا سياسيا دينيا يقدر هذه الفكرة . كما تحدث التراث الشعبى عن هجرة أهل بيلوس الى أثينا وكيف أنهم التجأوا الى أثينا وأقاموا فيها واختلطوا مع سكانها عرقيا وحضاريا مكونين عنصرا مزدوجا يطلق عليه العنصر البيلو أتيكى Pylian-attic وهو الطاقة الخلاقة الرئيسية فى الحضارة الأغريقية . خاصة فى آسيا الصغرى . كما يروى التراث الشعبى بأن أحد ملوك أثينا وهو الملك كودروس (Kodros) كان ينحدر من أصل « بيلى » وأنه سقط شهيدا وهو يدافع عن استقلال أثينا .

ومن الأدلة المادية القاطعة على هجرة الاخيين الموكينيين الى أثينا الازدياد الملحوظ المفاجئ فى عدد سكانها لدرجة تجعلنا نستبعد ارجاع



ذلك الى عوامل أخرى مثل زيادة نسبة الارتفاع في معدل الولادة -  
أضف الى ذلك ان الدراسات والتحليلات الطيبة التي أجريت على الهياكل  
العظمية والجماجم التي تكتظ بها القبور أثبتت اني أنها تنتمي الى نفس  
النوع الذي استخرج من القبور الموكينية \* أى أنها ترجع الى العنصر  
الآخى الذى ينتمى اليه الموكينيون ؛ كما نبت أن هذه الهياكل العظمية  
والجماجم تختلف اختلافا واضحا عن تلك التي أخرجت من القبور  
الدورية \* كما ثبت أيضا أن العنصر الاثينى السكانى يرجع الى امتزاج  
هذه العناصر بعضها ببعض وخاصة عنصر البحر الأبيض المتوسط  
والعنصر النوردى \*

كما لفت الأثريون الأنظار الى استخدام أسلوب الحرق (Cremation)  
بدلا من الدفن (humation) (١) أثناء هذه الفترة ويشرح بعضهم أن  
أسلوب الحرق مبعثه تكديس السكان وضيق المكان وبهاظة تكاليف  
بناء القبور بينما لا يكلف « حرق الجثة » كثيرا ، كما أن الوعاء الذي  
تحفظ فيه رفات الميت لا يشغل حيزا كبيرا ، كما أنه مناسب عمليا  
بالنسبة للغرباء أو الذين لا يتركون من ورائهم من يحتفى بموتهم ويشرف  
على بناء القبر واقامة الشعائر الجنائزية اللازمة \*

(1) cf D. Kurts and J. Boardman, Greek burial Customs (Aspects of Greek  
& Roman life), Thames and Hudson, (1971), Reviewed by J. Pollard in J.H.S.,  
XCIII (1973), p. 250-251.

في هذا المؤلف الشيق ينفى هنا الاثريان الأفكار القديمة عن عبادة  
الموتى عند الموكينين والافريق ، بدليل استخدام الحرق والدفن حسب  
عادة العصر . وان شعائر الجنائزية عند الافريق لم تكن سوى مساعدة الميت  
في رحلته الطويلة الى العالم الآخر مثل وضع قطعة من النقود في فمه أو يده  
لدفع اجرة خارون الذى ينقله في قاربه من شاطئ الدنيا الى شاطئ عالم  
الآخرة . ويخرج الدارسان أن الافريق دون غيرهم من شعوب العالم  
القديم ( ربما يقصدان المصريين ) اهتموا بالحياة أكثر من الموت وأن المناظر  
الفنية الجنائزية تصور الحياة أكثر ما تصور الموت . لكن هذه الدراسة  
الشيقة ينقصها الدليل المكتوب ولأن كل ما يقال عن ذلك ليس الا مجرد  
آراء ويناقض هذه الدراسة كتاب :

Richard Lattimore : Themes in Greek and Latin Epitaphs, Urbana (1962).

الذى درس نقوش القبور وأكد عبادة الموتى وكذلك الاثرى تمة الذى  
درس شواهد القبور وأكد عبادة الموتى من الناحية الفنية .

Thimme, Antike Kunst, 1964, p. 16 ff

### الرواج الحضارى بعم أثينا :

ومن ناحية ثالثة فإن الآثار تكشف بوضوح حركة رواج حضارية وثقافية لم نشهد لها أثينا مثيل من قبل وليست بأقل من حضارة البذخ والترف التي كانت تنود العصر الموكينى • فمثلا تزداد كمية التسائيل الصغيرة سواء من الطين المحروق (Terra Cottas) أو من البرونز Bronze Statuettes كما يزدهر فن الرسم على الأواني الفخارية Vase-Painting وأخذ يتخذ ملامحا وأسلوبا معينا عرف فيما بعد بالأسلوب البرتوجيومتري Protogeometric أو « الأسلوب الهندسى المبكر » وأصبح واضحا الآن بعد دراسة نتائج الحفائر الأثرية التي أجريت فوق الأكروبول (Acropolis) أو في منطقة السوق العامة (agora) أو في جبانة أثينا الشهيرة باسم Dipylon أو Kerameikos ان ما كان يسمى بعصر الظلام Dark Ages لم يكن كذلك بالنسبة لحوض البحر الايجى ، بل كان عصر تفاعل وتبلور حضارى تمخضت عنها الملامح الكاملة للحضارة الهلينية ، كما تحقق لأثينا تفوذ سياسى وتجارى وسيطرة بحرية ليس داخل بلاد اليونان فحسب بل تعدتها الى آسيا الصغرى وجزر البحر الأبيض المتوسط • كما غطت الصادرات الأثينية مساحة شاسعة وأسواق كثيرة شملت جزر الكوكلايس (Cyclades) وكوس (Cos) وليسبوس (Lesbos) شرقا ، وكذلك مناطق كورنثا (Corinth) ورأجوليس (Argolis) غربا وهذا مرجعه دون منازع الى نجاح أثينا فى استيعاب المهاجرين الموكينيين وحضارتهم كما أن تدمير المدن الموكينية فى البيلوبونيز ترك أثينا بلا منافس أو منازع — سيدة « هيلاس » • وكان على الدوريين أنفسهم أن يقضوا قرونا من العمل الشاق قبل أن يستقروا ويتأصل وجودهم لكى يققوا بالمرصاد للنفوذ الأثينى وبهذا تشكل طرفا الصراع الذى هو جوهر تاريخ الأغريق •

### الهجرة الى ساحل آسيا الصغرى :

طبقا للتراث الشعبى الاغريقى ، فإن استعمار ساحل آسيا الصغرى يبدأ فى أعقاب سقوط طرواده ، ولكن الدلائل المادية تنفى بشدة مثل

هذا الادعاء فباستثناء جزيرة رودس التى استغمرها الاغريق منذ وقت سابق للحرب الطروادية يعتبر الآخيون وحلفائهم الأيوليون الذين جاءوا من سهل تساليا Thessalia أول من أقاموا مستوطنات على ساحل آسيا الصغرى . كما أنه لا يوجد أى دليل اثرى على استعمار ساحل آسيا يقرب بثلاث قرون أى أن ما بين ١١٠٠ - ٨٥٠ ق م لا يوجد دليل قاطع على وجود حركة استعمار فى آسيا الصغرى من قبل الاغريق ، لأن الحقائق الأثرية لم تظهر أبان هذه الفترة سوى معالم حضارة محلية متأثرة بالحضارة الموكينية كما أن التراث الاغريقى الخالص لم يظهر الا بعد منتصف القرن التاسع قبل الميلاد .

وربما كان التشابه فى التركيب الجغرافى بين ساحل آسيا الصغرى وبلاد اليونان من أحد العوامل التى جذبت المهاجرين الاغريق الى هذه المناطق ، فهى منطقة كثيرة الخلجان الطبيعية التى تناسب الشعوب العاملة بالبحر ، كما أن الجبال تتخلل سهولها وتقسّمها الى مناطق منعزلة مثلما الحال فى بلاد اليونان . . وهذا أيضا مناسب لنمو دويلات المدن المستقلة (Poleis) ، كما أن مناخ هذه المنطقة لا يختلف كثيرا عن مناخ بلاد اليونان ذاتها فهى دفيئة وأمطارها كافية وأنهارها صالحة للملاحة ومشجعة على التجارة ، وأخيرا فإن رخاء الموارد الطبيعية فى هذه البلاد كان أيضا عاملا هاما حيث سبق أن أشرنا الى الفقر الاقتصادى الذى كانت تعانيه بلاد اليونان . وذكرنا كيف أن المهاجرين الأيونيين والآخيين تدفقوا على أتيكا فى غداة الغزو الدورى . وبالرغم من مزايا الامتزاج العنصرى والحضارى الذى تمتعت به أثينا الا أن ضيق المساحة وتكدس السكان لدرجة لا تتناسب مع المصادر الاقتصادية لبلاد اليونان أدى الى انفجار سكاني Explosion of population وقد وجد الاغريق دائما الحل فى الاستعمار الاستيطانى عبر البحار ، وكان أول مكان فكروا فيه هو ساحل آسيا الصغرى ويستقر الرأى الآن على أن الانفجار السكانى وصل الى أقصى مداه عام ٩٠٠ قبل الميلاد . ويروى التراث الشعبى الاغريقى أن

كوروس Kodro ابن نيلوس Neleus قاد بنفسه حملة استيطانية الى جزيرة ميليتوس وبصرف النظر عن حقيقة الأسطورة يكشف أن هذا الملك الذى وصل الى عرش مدينة أثينا ينحدر من أسرة أخيه هاجرت من البيلوبونيسوس ، كما أن قيادته لحملة استيطانية تعبير عن الدور الذى لعبه هؤلاء المهاجرون على مسرح الأحداث في أتيكا .

كما تحدث التراث الشعبى عن الأيوليين الذين هاجروا من اقليم تساليا Thessalia وبؤوتيا Boeotia في شمال بلاد اليونان حيث تسللوا تدريجيا واستوطنوا المنطقة الشمالية من ساحل آسيا الصغرى . فاحتلوا جزيرة لسبوس (Lesbos) ومنطقة سهل طرواده المواجه لها (Troad) وأقاموا مستعمرات على ساحل آسيا الصغرى حول مدن محصنة مثل بيتانى Pitane . مورينا Myrina وكومى Cyme وأيجاي Aegae وسمرة Smyrna . كما أقاموا مدينة مجنيزيا Magnesia في العمق شرقا عند سفح جبل سيلوس Sipylus وبالرغم من أن العنصر الأيولى يغلب في هذه المنطقة لدرجة أن أطلق عليها اسم Aeolis وحيث سادت فيه اللهجة الأيولية التى جاءوا بها من تساليا وبؤتيا الا أنه من الصعب فصل هذا العنصر عن العنصر الأيوى والآخى الذى استوطن جنوبا ) كما شملت المستوطنات الأيونية مستوطنين آخين كما هو الحال Cyme التى اتخذت اسمها من جزيرة يوبويا Eubosa الايونية ، كما أن المستوطنات الأيونية شملت مستوطنين جاءوا من تساليا ، كما أنه من الصعب وضع حدود اقليمية فاصلة بين Aeolis وأيونيا ، فمثلا مستوطنة فوكايا Phocaea التى كما يتضح من اسمها ترجع سكانيا وجغرافيا الى أيوليس Aeolis الا أنها اعتبرت داخل النوذ الأيونى وكذلك مستوطنة جزيرة خيوس Chios التى سادت فيها اللهجة الأيولية اعتبرت جزءا من المنطقة الأيونية . وعلى

# حوض بحر ايجة THE AEGEAN SEA



أي حال فقد غطى نفوذ الأيرنيين على نفوذ الأبوليين تماما كما تغطي الولايات المتحدة حاليا على أسلوب الحياة الموجودة في كندا وقد تركزت المستوطنات الآخية الأثينية على المنطقة الساحلية الواقعة جنوب Aeolia وأسموها Ionia ولما كانت هذه المنطقة متاخمة لدولة Lydia فمن الطبيعي أن يدفع الاغريق أهل البلاد الأصليين شرقا وان اختلطوا بهم وثرأوجوا معهم أحيانا كما فعلوا مع أهل كاريا Caria

يحدثنا هيرودوت أن المستوطنين في أيونيا شملوا عناصر سكائية مختلفة من بينها الدوريون ولكنه أكد أن الغالبية جاءت من أتيكا وأشار الى تمسك سكان أيونيا بشعائر الأباتوريا Apaturia وهي شعائر دينية أثينية بحتة • وتمتد أيونيا من مستوطنة فوكايا Phocaea شمالا حتى ميليتوس Miletus جنوبا ومن أهم مستوطناتها Erythrae أريثراي ( أي القرمزية ) وفي الشرق منها تجيء مستوطنة كلازوميناى Clazomenae ثم تجيء تيوس Teos جنوبا ثم ليدوس Lepidus وكولوفون على امتداد الساحل الشرقي ، وفي الجنوب وعند مصب نهر كايستر Cayster أقيمت افيسوس Ephesus مدينة الربة أرتيميس المفضلة (١) ثم مستوطنة ماجنيزيا Magnesia على نهر مياندر Meander كما يجب ألا تنسى جزيرة ساموس الشهيرة Samos والتي كانت مركزاً لعبادة الربة هيرا Hera وعلى الشاطئ المواجه لهذه الجزيرة وفي السهل الممتد شمال جبل ميكالي Mycale العظيم كان الأيونيون يتجمعون كل عام في عيد ديني قومي حول معبد اله البحر « بوسيدون » Poseidon • وتجيء مستوطنة بريني Priene وميوس Myus جنوب جبل ميكالي وعلى ضفاف نهر المياندر العظيم وتعتبر Miletus أهم المدن الجنوبية التي شملتها أيونيا والتي احتلها الاغريق منذ وقت مبكر •

(١) كان يوجد بيا معبد أرتيميس الشهير الذي اعتبر من بين اعاجيب العالم القديم السبع وهم : الهرم الأكبر وفنار الاسكندرية ، وحدائق سيرااميس في بابل وتمثال ابو اللون في رودس ، وتمثال زيوس في اولمبيا ، ومقبرة الملك موسولوس في هاليكارناسوس في آسيا الصغرى .

ومن الطبيعي أن ينقل المهاجرون معهم الحضارة الاثينية -  
الأيونية من أجل بناء هيللاس الجديدة في آسيا الصغرى . ويتضح من  
الحفائر الأثرية التي أجريت في هذه المنطقة أنها لم تكن مزدهرة بأى  
حال من الأحوال ابان القرنين العاشر والتاسع ق.م لأن المستوطنين الأول  
شغلوا أنفسهم بالصراع مع سكان آسيا الصغرى الأصليين ودخلوا  
معهم في حروب من أجل تثبيت أقدامهم في هذه المناطق واعتمدوا على  
الاستيراد الكامل ( أو في أحسن الأحوال تقليد السلع ) من الوطن  
الأم .

وقد ظلت الحضارة في أيونيا في حالة تكوين وتفاعل حتى حلول  
القرن السادس قبل الميلاد . وقد دفعت النعرة القومية المستوطنين  
الأيونيين الى العمل نحو الوحدة خاصة بين مدن أيونيا الكبرى الاثنى  
عشر وهى فوكايا وكلازوميناى وساموس وخيوس وأريثراى وتيوس  
وليبيدوس وكولوفون وأفيسوس وبرينى وميوس وميليتوس التى  
كانت تلتزم بشعائر عيد البانيونيون Panionion عند سفح جبل  
ميكالى ، وأقامت سوقاً اقتصادياً مما أدى الى حركة من الرواج  
والازدهار شجعها على اقامة مستوطنات جديدة خاصة حول البحر  
الأسود Euxene وبالرغم من أن الأيونيين وقعوا فريسة لدول  
شرقية مثل مملكة ليديا ثم الإمبراطورية اننارسية في القرن السادس الا  
أن ذلك لم يعق الازدهار الحضارى والثقافى بل على العكس اذ لم  
يتدخل الفرس في الشؤون الداخلية للمدن الاغريقية ومنحوها الاستقرار  
ووقوها شر الصراعات الداخلية . وفى ظل السلام الفارسى استطاع  
الفلاسفة الأيونيون أن يمارسوا حريتهم كاملة فى الجدل والتفكير فوضعوا  
بذلك الأسس الأولى للفلسفة الاغريقية . كما ترعرع فى أيونيا شعر

الملاحم مثل الياذة هوميروس وأغانى سافو Sappho (١) وألكايوس  
وأناكريون (٢) والى جانب الفلسفة والشعر أخرجت أيونيا مؤرخين  
نبغوا فى عصرهم مثل هيرودوت Herodotus أبو التاريخ والكثير من  
علماء الطبيعة .

وقد وصلت الحضارة الاغريقية فى أيونيا الى درجة عالية من التقدم  
والازدهار (٣) حيث ساعدها على ذلك انفتاحها على دول الشرق  
الأوسط مهد الحضارات الأولى للانسان . . وقد وجدت بلاد اليونان  
فى أيونيا رصيذاً ضخماً لها استفادت منه كثيراً عند الحاجة ، وليس من  
الغريب أن تهب أثينا دفاعاً عن الاغريق فى آسيا الصغرى لتحريرهم من  
أيدي الفرس وما تبع ذلك من انتقام الفرس بالقيام بحملتين لاختفاء  
مركز الثورة القومية فى بلاد الاغريق وفى أثينا بالذات (٤) .

- 
- (١) عن الشاعرة سافو انظر المحاولة الطريفة التى قام بها عبد الغفار  
مكاوى - سافو - القاهرة ١٩٦٨ .
- (٢) عن هذه الفترة من تاريخ الادب اليونانى انظر : محمد غلاب  
تاريخ الادب الهللىنى - القاهرة ١٩٥٢ ، كذلك انظر محمد صقر خفاجه  
تاريخ الادب اليونانى - القاهرة دار النهضة العربية ١٩٥٦ .
- (٣) اود ان اشير الى اقدم المؤلفات بالعربية عن تاريخ اليونان القديمة  
وهو كتاب : جورج ديمترى سربق تاريخ اليونان - بيروت ١٨٧٦ .
- (٤) عن تاريخ الحضارة الهللىنية انظر أيضاً : ارنولد توينبى - تاريخ  
الحضارة الهللىنية - ترجمة رمزى عبده جرجس ومراجعة محمد صقر  
خفاجه ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣ .



## الفصل الثالث

### حضارة عصر الأبطال أو العصر الهومري

(Homeric Age)

وأخيراً وسط الجمود الحضارى الذى خيم على بلاد اليونان بعد الغزو الدورى انبثق من أيونيا أول شعاع لشمس نهضة جديدة الا وهى الأشعار الهومرية \* أو بمعنى آخر الملحمتان الرائعتان الألياذة والأودسا اللتان نسبنا الى الشاعر العظيم هوميروس واللذان أثرتا على حياة العصر كله لدرجة أن العلماء سموه باسم هذا الشاعر أو باسم أبطاله العظام الذى روى سيرتهم فعرف باسم عصر الأبطال أو العصر الهومري \*

ويكاد العلماء يتفقون على أن الألياذة قد اتخذت شكلها الملحمي بعد منتصف القرن الثامن بقليل ، سواء على يد مجموعة من المشردين أو على يد شاعر نابغة استطاع أن يبنى من الأهازيج الشعرية القديمة قالباً درامياً ملحمياً تروى حوادثها فعلاً وقائع أحداث وقعت منذ خمسة قرون مضت تقريباً ، ويلاحظ العلماء أنه بالرغم من أن الألياذة تتحدث عن وقائع حدثت ابان العصر الموكيني المنهار الا أن مظاهر الحياة فى الألياذة تطابق فى بعض الأحيان معالم الحياة ابان القرنين العاشر والتاسع ق.م \* (١) ويحاولون مقارنة هوميروس بالشاعر الانجليزى وليام شكسبير عندما تمكن هذا الأخير من أن يصوغ مسرحياته من مصادر وأشعار وروايات ومؤلفات قديمة فى صورة جديدة ، والأدلة على أن الألياذة قد صيغت فى عصر غير العصر الذى تتحدث عنه كثيرة ،

---

(١) أحسن كتابين عن هوميروس باللغة العربية هما كتاب المرحوم الأستاذ الدكتور صقر خفاجه : هوميروس . ( سلسلة قادة الفكر فى الشرق والغرب «٧» ) - مكتبة نهضة مصر بالفجالة - ١٩٥٦ وهو من وجهة نظر أستاذ أدب ، أما الكتاب الآخر فهو من وجهة نظر مؤرخ وهو كتاب الأستاذ الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى : هوميروس تاريخ حياة الشاعر : الإسكندرية ١٩٦٨ .

أبرزها أن الآخين في الألياذة يحرقون موتاهم بينما يكشف علم الآثار عن حقيقة هامة وهي أن الموكينيين الأصليين كانوا يدفنون موتاهم في قبور فضمة .

وعلى أية حال فإن سيرة هوميروس وشخصيته لا تزال يحوطها الغموض والتقارب حتى معنى الاسم في اللغة الاغريقية الذي يعنى « بالرهينة » أو الأسير لا يدل عن شيء واضح ، حتى موطنه غير محدد لأن عدداً من المدن الاغريقية سواء في أيونيا أو بلاد اليونان تنازعت فيما بينها مدعية كل منها أنها موطنه ، ومن هذه المدن سمرا ( أزمير ) ورودس وكولوفون وسلاميس القبرصية وخيوس التي كان يعيش فيها قوم احترفوا التغنى بالأشعار الهومرية إبان القرن السادس عرفوا باسم آل هوميروس . (Homeridae) . وقد نسب التراث الاغريقى الى هوميروس تأليف الأودسا شلما نسبوا اليه الألياذة بالرغم من الفارق الزمنى الشاسع الذى يفصل بين تاريخ تأليف الملحمتين والذى ينعكس فى الاختلاف فى طبيعة المجتمع وفى الأسلوب اللغوى مما يلقي ظلالاً من الشك على نسبة الأوديسا الى هوميروس .

ومهما يكن من أمر فقد قامت الألياذة بدور كبير فى تنمية الرابطة المشتركة بين الاغريق اذ أنها ملحمة قومية ، خلقت كبرياء وطنيا بينهم فى كل مكان وعلى فارق العصور عوض التفكك السياسى والصراع الشوفانى بين المدن الاغريقية ، وقد ظلت الألياذة مثلاً تدرس لأبناء الاغريق فى قرى مصر حتى القرن الرابع الميلادى كما تبين أوراق البردى المكتشفة فى الفيوم وأوكسيرينخوس ( البهنسا ) وغيرها من الحواصر الاغريقية فى مصر (١) .

(1) The study of Homer in Graeco-Roman Egypt. Akten des VIII International Kongress Fur Papyrologie, Wien 1956.

من الشذرات الأدبية التى وجدت فى مصر والتى نشرت حتى عام ١٩٤٩ تشمل الألياذة والأودسا نصف هذه الشذرات الأدبية تقريبا سواء نصوصها أو شروحها ومن الملاحظ أن الألياذة تتفوق على الأوديسا ويلى ذلك الخطيب ديموستينيس ويأتى المرحى يوربيديس فى المرتبة الثالثة ويلى ذلك هسيودرس فافلاطون فأرسطو أنظر : م . فنلى عالم أوديسيوس - ترجمة حلمى عبد الواحد خضرة ومراجع محمد سليم سالم سلسلة الألف كتاب (٦١٦) ص ١٥ .

والدليل على أن الإلياذة من فعل « عقل واحد » أنها تختص بفترة محددة وهي أحداث الواحد والخمسين يوما من السنة العاشرة لحصار الآخيين لطروادة (١) \* وتدور أحداثها حول فكرة واحدة هي غضب البطل

(٢) أما عن الأحداث الروائية عن حرب طروادة التي كان يعرفها هوميروس ولم يعالجها في الإلياذة فهي على النحو التالي :

تبدأ الأحداث بالحفل الكبير الذي أقيم بمناسبة زفاف بيليوس من البشر على ثيتس (Thetis) حورية الماء . وقد دعى إلى هذا الحفل كل آلهة الإغريق ما عدا ربة النزاع والخصام إيريس (Eris) التي أرادت الانتقام فصنعت تفاحة كبيرة من الذهب كتبت عليها إلى أجمل الحاضرات (To kallisto) ثم ألقت بها في الحفل فدب النزاع بين أجمل الحاضرات وهن هيرا زوجة زيوس وأثينا ربة الحكمة وأفروديت ربة الجمال واحتكمت الربات الثلاث إلى زيوس الذي أحالهن إلى باريس الأمير الطروادي ليحكم بينهما .

وكان باريس الابن الثاني لملك طروادة المعجوز برياموس وملكتها هيكوبا ، وكان منبوذاً لأن أمه وهي حامل به رأت في نومها أن نارا خرجت من رحمها سرعان ما تحولت إلى أفعى ودعى أبوه بريام مفسري الأحلام إليه ونصحوه بقتل المولود لأنه سوف يكون شؤماً على طروادة ، وبالفعل أعطى باريس وهو طفل رضيع لأحد الخادم ليقتله ولكن الخادم رق قلبه للرضيع فتركه عند جبل ايدا (Ida) ليموت أو تأكله الذئاب وأخبر برياموس أنه قد قتله ، ويقال أن ذئبة كبيرة عثرت على الرضيع وأرضعته حتى كبر ووجد أحد الرعاة باريس فاتخذ ولداً ورباه راعياً ولكن الطفل باريس أظهر مواهب فنية إذ راح يصنع من الطين أشكالا وصنع ثورا جميلا حملة الراعى إلى طروادة وجعله برياموس جائزة لمن يفوز في المباريات الرياضية ، ولكي يستعيد باريس تمثاله دخل طروادة ونازل الرياضيين جميعا حتى هزمهم وعاد بالجائزة وهنا تعرف عليه أبوه وضمه إليه راضخا للقدر وما يخطئه للمملكة .

والا ظهرت الربات الثلاث للأمير باريس وهو يرعى غنمه عند الجبل حاولت كل منهن أن تفريه بوعودها ، ولكنه استجاب لوعده ربة الجمال أفروديت وهو تمكينه من أجمل امرأة في العالم وغضبت الربتان الأخريتان وانقسمتا على تدمير طروادة ، بينما نقلت أفروديت وعداها بأن أوحى إليه بالسفر إلى أسبرطة والنزول في نسيافة ملكها مينالائوس ، وهناك التقى بزوجته هيلينا خلصة وصوب إيروس ابن أفروديت سهامه إلى قلب الملكة فوقعت في غرام الزائر الطروادي وهربت معه بعد أن نهبت القصر وهناك روايتان رواية تقول أنها ذهبت معه إلى طروادة وهي الرواية التي قبلها هوميروس ورواية ثانية تقول أن ملك مصر الغاضل ويدعى بروتوس قبض على العاشقين عندما رسي قاربهما على الساحل المصري وطرد الأمير الخائن واحتفظ بالزوجة وبالمال إلى أن عاد مينالائوس من حرب طروادة وأخذها (Herodotus, II, 112) . أما الإغريق فقد قادوا حملة لمعاينة الخائن وأبحر =

أخيليس وشجاره مع أجامنون قائد الحملة وانسحابه من القتال هو ورفاقه من فرقة المورميديين . كما انقسمت الآلهة الاغريقية فيما بينها فريق انضم الى الطرواديين وفريق الى الآخيين ووصل الخلاف بين هذه الآلهة الى حد الاقتتال . وأدى غضب أبو للون بسبب انتهاك حرمة معبده وخطف ابنة كاهنة الى نشر الوباء واندحار الآخيين . وازاء هذه الهزائم أرسل أجامنون الى أخيليس سفارة تدعوه الى العودة الى القتال ولكن البطل الغاضب رفض الانصياع لأوامر القائد المتفطرس وهدد بالعودة الى موطنه . وعندما هدد الطرواديون السفن الأخية وكادوا أن يحرقوها ذهب باتروكلوس الصديق الوفي لأخيليس يرجوه العودة للقتال ولكن الأخير اعتذر عن ذلك ولكنه أعار صديقه درعه وسلاحه وفرقة العسكرية . ونجح باتروكلوس في دحر الطرواديين ولكنه خر صريعا تحت ضربات بطل الطرواديين هكتور ابن الملك برياموس ملك طروادة وشقيق باريس الأمير الطروادي الذي تسبب في هذه الحرب بخطفه هيلينا زوجة مينالاءوس ملك اسبرطه . ولما سمع أخيليس بمقتل باتروكلوس اتتاه الغضب الشديد وهنا تحدث نقطة التحول في الأحداث اذ يعود الى القتال بعد أن صنع له هيفايستوس

---

= اسطولهم الذي تعطل عند مدينة اوليس (Aulis) حتى ضحى أجامنون شقيق الملك وقائد الرحلة بابتته « افيجينيا » قربانا بعد أن خدعها بأنها سوف تتزوج أخيليس بطل فرقة المورميديين الاغريقية ووصل الاسطول الاغريقى الى طروادة وحاصرها عشرة سنوات وكان الحرب أشبه بالنزال والمبارزة بين الأبطال المتناظرين ، ولم يتمكن أى الفريقين احراز النصر على الآخر بسبب انقسام الآلهة على انفسهم بالنسبة لهذه الحرب ، وأخيرا قدم أوديسيوس فكرة وهى صناعة حصان من الخشب المجوف يختبئ فيه الجنود ويترك عند بوابة طروادة بينما يتظاهر الجيش الاغريقى بالانسحاب وبالفعل وقع الطرواديون فى الشرك ولما حاول أحد حكمائهم لأوكوون أن يحذرهم من هدايا الاغريق أرسلت عليه أثينا حيتين التفتتا حوله وحول ولديه فقتلته ولم ينج سوى ولد واحد . وفى الليل البهيم خرج الجنود من الحصان الخشبى وفتحوا أبواب طروادة فدخلها الاغريق وعاثوا فيها حرقا وقتلا وسبيا . وبعد ذلك عاد أبطال الاغريق الى بلادهم ليعيشوا حياة هادئة .

اله الحدادة درعاً وسلاحاً جديداً • ويقسم بالثأر من هكتور وبالفعل  
نصرع أخيليس هكتور في مشهد مثير ويمثل بجثته شر تمثيل مما  
أدى الى ذهاب أيه برياموس الشيخ ليبحثوا على زكبيته أمامه راجين  
ارجاع الجثمان ولا يلقيه للكلاب • ويستجيب أخيليس ويعيد  
الجثمان الى الملك حيث يلقي جنازة كبيرة في مدينته • وهكذا تنتهي  
الأيادة بهذه النهاية التراجيدية المؤثرة •

والحق يقال أن الأيادة مليئة بمواقف عاطفية كثيرة تشد انتباه  
القارئ وتثير الشفقة والرثاء مثل نواح برياموس وزوجته هيكوبا على  
فقد زهرة شباب أبنائهم أو منظر وداع هكتور لزوجته ولطفله وتنبؤ  
بنوته قبل الذهاب للقاء أخيليس أو كمنظر هيليا فوق الأسوار تعرف  
برياموس على زعماء قومها وهي تحس بمرارة الذنب وأنها السبب في كل  
الكوارث بل أن الأيادة ذكرت الكثير من الأبطال مثل أجاكس وإينياس  
وأوديسيوس ونستور وتلقى الضوء على عادات المجتمع وسلوك أفراد  
وتوضح معالم ديارته •

أما الأوديسا ، فقد قسمت مثل الأيادة الى أربعة وعشرين أشودة  
أو كتابا تتناول أربعة موضوعات مختلفة • ولكن من الواجب أن نقول  
أن الأوديسا تلي الأيادة أهمية وزمنا ، فالأوديسا تتحدث عن عالم  
يختلف تماما عن عالم الأيادة إذ أنها تبدأ من حيث انتهت الأولى لتروي  
قصة تجول أوديسيوس أحد أبطال الأيادة وتخطيه في البحار أثناء عودته  
الى مملكة إيثاكا باليلوبونيسوس • إذا فهي انعكاس صادر لعصر الكشوفات  
الجغرافية والتقدم في العلوم البحرية وتمهيد لعالم جديد واسع الأفق  
ونهضة كبرى للتجارة والتبادل الحضاري •

والموضوعات الأربعة التي يمكن تقسيم الأوديسا اليها تجيء على  
النحو التالي : أولها مغامرات ابن أوديسيوس وهو الأمير تيليماخوس  
Telemachos من بينيلوبي بعد أن ضاق درعا باستيلاء بعض الشباب

(١) انظر : فنلى - عالم أوديسيوس - ترجمة حلمى خضرة ومراجعة

محمد سليم سالم •

الارستقراطيين على قصر ابيه وأمواله ومحاولتهم اغراء أمه المخلصة بينيلوبي Penelope لتتسبب اياه وتختار زوجاً جديداً من بينهم • ولهذا بدأ الابن رحلة شاقة ساعدته فيها فيها الربة اثينا ليسأل الامراء العائدين من حرب طروادة من أمثال الشيخ الوقور وحكيم الاغريق نستور Nestor الذى زاره في مدينته ييلوس ، كما زار مينالاءوس فى اسبرطة ويعطينا فكرة عن استقرار ابطال طروادة بعد الحرب فى ممالكهم وقد مضى على الحرب عشر سنوات •

أما الموضوع الثانى : يبدأ برحلة أوديسيوس نفسه من جزيرة أوجوجيا حيث احتجزته ملكتها الربة كالبسو Calypso سبع سنوات أملاً فى اغرائه بالاقامة معها والزواج منها وبعد تدخل زيوس أطلقت الملكة سراحه ليلقى به الموج عند جزيرة صخيرا Scheira حيث تعثر عليه الأميرة ناوسيكاء Nausicaa ابنة ملك الجزيرة الملك الكينوس Alkinoos

والموضوع الثالث : موضوع الحفل الذى أقيم فى القصر لهذا الضيف المجهول الهوية وقيام الشعراء والمنشدين بالتغنى بصير أبطال حرب طرواده فيثير الانشاد مشاعر أوديسيوس فيعلن عن نفسه ويبدأ فى رواية ما حدث له ومغامراته فى البحر مع الكيكيون وأكله اللوتس وصراعه مع العملاق ذى العين الواحدة بوليفيموس (Polyphemos) ورحلته الى العالم الآخر ليلتقى بالموتى ويتحدث مع أمه اتكليا وغيرها من الأحداث الرهيبة حتى وصوله الى جزيرة الملك الكينوس •

والموضوع الرابع : يتناول التكريم الذى لاقاه بعد الكشف عن هويته والهدايا ، والاعداد للعودة ووصوله الى ايتاكا متخفياً فى ثوب شحاذ واقامته فى كوخ راعيه المخلص يومايوس ثم يتعرف على ولده تليماخوس والاتفاق معه على الانتقام من العشاق ثم المذبحة الكبرى وتطهير القصر من الدماء •

وتنتهى الأوديسا بجمع الشملين أوديسيوس وزوجته الوفية بينيلوبي وأبيه المسن لا أرتس Laertes وابنه تليماخوس •

ونظرا للاختلاف الكبير بين الألباذا والأودسا في اللغة والأفكار فإن العلماء اليوم يشكون كثيرا عما اذا كان المؤلف هو نفس مؤلف الألياذة بل لابد أن يكون قد جاء متأخرا كثيرا عنه .

وقد تلى الألياذة والأوديسا ظهور مجموعة من شعراء الملاحم والذين راحوا يضيفون بعض التفاصيل على الموضوعات التي لم تذكرها الألياذة والأودسا أو التي ذكرتها باختصار وقد عرف هؤلاء الشعراء بشعراء (١) الملاحم الطروادية أو الدوائر الملحمية Epic Cycles . ومن أشهر مؤلفات هؤلاء الشعراء « الألياذة الصغيرة » و « مغامرات السبعة ضد مدينة طيبة » و « معركة الآلهة المطرودة » وغيرها من الموضوعات الاسطورية .

هكذا يظهر هذا التراث الأسطوري الشعبي وضع الأغريق أيديهم على منجم الهام غنى بالأساطير والخرافات التي حولوها الى مادة غنية للشعر والفن والتراجيديات بل ولل فلسفة والموسيقى والنحت والرسم ، هي المنطلق الحقيقي لحضارتهم منذ بزوغها الى أفولها وقد حق القول المنسوب الى الشاعر أيسخولوس والذي فيه وصف مسرحياته بأنها « فتات وليمة هوميروس الى العظيم » بل أن الرومان أنفسهم أقاموا خيالهم وأدبهم على اقتاضها ففسج فرجيل ملحمة الخالدة الألياذة على غرار الألياذة كما استعان بالأوديسا في وصف مغامرات بطلة اينياس في البحار . وليس الرومان فحسب بل الشعوب الأوروبية ذاتها في عصر النهضة الكبير عندما عادوا الى ينابيع الأدب والفن الاغريقي الذي تقبع الأسطورة وراءه ، بل أن روح الأشعار الهومرية لا تزال تتنفس من خلال آداب وفنون عالمنا الحديث والمعاصر .

---

(١) لا يفوتنا ان نشير الى الشاعر الملحمي هسيودوس الذي ولد في اسكرا الواقعة عند سفح الهليكون في طيبة حيث سلب منه شقيقه ميراث ابيه عن طريق رشوة الحكام مما دفع هسيودوس الى الكتابة عن الوازع الاخلاقي التعليمي في الملحمة وهبط من عالم الاساطير الى دنيا الواقع المر ومن أهم مؤلفاته الايام والأعمال وأصل الآلهة . ومن الصعب تحديد العصر الذي عاش فيه لكننا نعلم أنه دخل في مباريات شعرية مع هوميروس نفسه كما يقول هيردوت ولكن الباحثين المعاصرين يضعونه في تاريخ متأخر عن هوميروس وهو حوالي عام ٨٠٠ ق.م نظرا للتطور الكبير في الفكر والظروف العامة بين شعره وشعر هوميروس .

على أى حال انتشرت الألياذة والأوديسا فى العالم الاغريقى انتشار النار فى الهشيم ، وذلك بفضل المنشدين المتجولين (rhapsodoi) بين أيونيا وبلاد اليونان ، حتى لم يكذبجىء المهرجان الألبى السادس عام ٧٥٣ ق م حتى كانت الألياذة والأوديسا تراءعا ما مشتركا بين كل الاغريق .

وكانت مدينة أثينا بالذات من أشد المدن الاغريقية حرصا على حفظ الألياذة وصونها للبشرية وخوفا عليها من الاندثار أو التشويه بفعل الحذف والأفتراء من جانب الشعراء المتجولين . ولهذا فقد أمر طاغية أثينا الشهير بيسستراتوس ( ٥٣٥ ق م ) بتكوين هيئة رسمية للإشراف على جمع أشعار الألياذة ونسخها فى شكل رسمى وثابت وقد كلف بذلك الشاعر الأثينى أونوماكريتوس Onomacritus وبالفعل ظلت النسخة الأثينية هي المقبولة والمتداولة فى كل أنحاء بلاد اليونان ، حتى العصر الهلينستى الذى ساد بعد موت الاسكندر عندما برزت مدينة الإسكندرية كجامعة شهيرة وتكونت فيها مدرسة عالمية لدراسة فن النقد الأدبى (١) وفقه اللغة اليونانية وجعلت هذه المدرسة هوميروس موضع دراستها النقدية على فقهاء ذائعى الصيت من أمثال زينودوتوس Zenodotus من مدينة أفيسوس وتلميذه أرسطوفانيس البيزنطى Aristophanes of Byzantium وخاصة الشاعر الناقد أرسطارخوس الذى سبب اليه تقسيم الألياذة الى أربع وعشرين أنشودة أو كتابا وذلك بأن القرن الثانى قبل الميلاد تحت حكم أسرة البطالمة لمصر .

ومهما يكن من أمر فإن الألياذة والأوديسا بالنسبة لنا كمؤرخين تعنى مصدرا هاما يعكس لنا ملامح الحياة والمجتمع ابان هذه الفترة التى ظهرت فيها الألياذة والتى يسميها المتخصصون عصر الأبطال أو عصر هوميروس والتى هى فى الحقيقة ليست الا فترة الانتقال من حضارة العصر البرونزى الى البعث الجديد بعد الغزو الدورى . وعلى أى حال فمن خلال دراستنا

(١) عن الألياذة ونظام التعليم الاغريقى فى مصر انظر مقالة :

P. Collart, «A l'ecole avec les petits Grecs d'Egypte, Chronique d'Egypte, vol. II (1936) pp. 489—507.



للألياذة نستطيع أن نلخص الحالة التي كان عليها المجتمع الاغريقى حتى منتصف القرن التاسع ق.م •

اولا : الحالة السياسية :

تصور الألياذة النظام الملكى كأمر طبيعى للحكم بالرغم من أن بعض المؤرخين يعتقدون أن كلمة ملك (Basileus) كلمة ليست أغريقية الأصل بل ربما جاءت من الشرق حيث الملكية المتسلطة • ويدعم هؤلاء المؤرخون قولهم بأن هوميروس يستخدم لفظ ملك عندما يصف أجا ممنون قائد الحملة كما يستخدمها عندما يصف برياموس ملك طروادة دون تفریق •

تصور الألياذة أجا ممنون في صورة الملك المطلق الذى يتوجب على رعينة طاعته دون اعتراض كما يتضح من الاستهلال الافتتاحى في الألياذة وفى الفصل الثانى يدعو الملك الجنود الى اجتماع عام كمجلس شعبى ولكنه لا يتقيد برأيه على الاطلاق • كما نلاحظ أن الملك يصر على وجوب طاعته حتى ولو كان على خطأ لأن ذلك من حقوقه الملكية •

والى جانب الملك تظهر الألياذة مجلسا لنشيوخ يحيط بالملك ويتكون من رؤساء العشائر كجهاز استشارى أو مجلساً لنشورى وسلطة الملك محددة بهذا المجلس بل كان عليه أن يستشيريه قبل الأقدام على أية خطوة • ولما كان الجنود هم سكان الدولة وسكان الدولة هم (١) جنودها فقد حتمت الضرورة أخذ رأى المواطنين قبل اعلان الحرب أو عقد السلام ومجلس الجنود العسكرى يعادل المجلس الشعبى فى الجهاز المدنى بالرغم أن لم يكن له أى سلطات • فكان المواطنین يجتمعون فى السوق العامة (agora) ليستمعوا الى القرارات التى يتخذها الملك بعد استشارة مجلس الشيوخ ليوافقوا عليها ولم يكن لهم حق الاعتراض • اذ تصور الألياذة الدولة على أنها القبيلة (Phyle) والملك هو زعيم القبيلة وهو الذى

(١) الدولة التى تحدث عنها هوميروس كانت دولة القبيلة

Stamm Staat لأن فكرة دولة المدينة القائمة على المجتمع المندمج Stadtstaat

لم تكن قد ظهرت بعد انظر المقال الطريف :

Fr. Gschnitzer, Stadt und Stamm bei Homer, Chiron, I

(1971) pp. 1—17.

يقوم بمهام الكاهن الأعظم أو القاضي الأكبر والقائد الأعلى للجيش ، وفي الأوديسا تظهر الدولة في حالة فوضى سياسية واجتماعية في غياب الملك فاوديسيوس يترك فراغا سياسيا كبيرا لم يستطع أحد ملؤد سواء من الارستقراطيين أو العامة ولا ينصلح الحال الا بعودة الملك الى مملكته ووضع الأمور في نصابها . فالملك جوهر الدولة وروحها وهو شيء حيوى بالنسبة لها . ولكنه لا يستطيع أن يباشر عمله الا بحضور مجلس استشارى من شيوخ العشائر واغنياؤها كما أن جهاز الحكم الملكى لا يصبح مكتسلا الا اذا دعى المجلس الشعبى للانعقاد بالرغم من من أن هذا الأخير كان سوريا ومسلوب السلطات .

كذلك تصور الأشعار الهومرية وجود نظام دويلة المدينة المستقلة الذى بدأ في الظهور بعد ركود الغزو الدورى وهو النظام الذى سوف يشكل جوهر الحكم والعلاقات السياسية في كل بلاد اليونان وعلى طول تاريخها . كما نلاحظ في نفس الوقت تطور النزعة الوطنية بين الاغريق ووجود رابطة تجمعهم لأول مرة وتراث مشترك بينهم بالرغم من وجود احساس قوى بحب الاستقلال الاقليمى ، رفض الاندماج السياسى في شكل الدولة الواحدة . كما نجد بداية لظهور الخلافات والصراعات التى تؤدى الى قيام حروب طاحنة عجز الملوك في كثير من الأحيان الاستمرار فيها بسبب سوء الحالة الاقتصادية .

#### ثانيا - الحالة الاقتصادية :

تصور الأشعار الهومرية المجتمع بصورة أرستقراطية اقطاعية اذ لا نسمع سوى اليسير عن عامة الشعب . كما تصور الحالة السيئة التى عانتها بلاد اليونان من جراء المشاكل الاقتصادية بسبب ازدياد عدد السكان بدرجة لا تتماشى مع موارد البلاد المحدودة . والأرض الزراعية لم تعد تكفى الأعداد الغفيرة من الناس ومما زاد الأمر سوءاً أن الاغريق كان يتبعون نظاما فريدا في التوريث وهو توريث الولد الأكبر (Primo-geniture) وترك الأبناء الآخرين بدون ميراث وذلك حفاظا على مساحة الأرض المملوكة مما أدى الى ازدياد عدد الذين لايسكنون الى جانب عجز الأراضى

عن انتاج الغذاء الكافي للسكان (١) خاصة أن التجارة وأعمال البحر لم

(١) للعزید عن وضع الاقتصاد الإغريقي منذ عصر هوميروس حتى  
العصور المتأخرة انظر :

M. I. Finley. «The Ancient Economy. 1974

كذلك كتاب :

M. Austin & P. Vidal - Nacart, Economies et Sociétés en Grèce ancienne, Paris  
Colin 1972.

لكن أحسن المؤلفات في المجتمع الهوميرو :

W. E. Slater, Die Landwirtschaft in historischer zeit alter, Archaeologica  
Homeric II, H. Göttingen, 1963.

ومن الدراسات الدقيقة والواقية :

M. Mele, Società et Lavoro nei Pomeri Omerei, Naples, 1968 (R. H., cc XLIX,  
1973, P. 164—167).

Università degli Studi di Napoli : Istituto di Storia e antichità greche e,  
romana, Napoli 1968.

والكتاب دراسة متصلة للمجتمع كما تصوره أشعار هوميروس .  
وقد فصل الباحث بين مجتمع الألياذة الإقطاعي العسكري ، وبين مجتمع  
الأوديسا الذي يقوم على العمل الحر أو الأجراء . وقد بنى المؤلف الجدل  
حول منظور نزول أوديسيوس إلى عالم الموتى (Nekton) والذي جاء ذكره  
في الأوديسا (Odyssey, XI, 482 ff) وفي هذا النظر يدور حوار بين  
أوديسيوس وظيف أخيليس البطل الذي قد مات ويطلب أوديسيوس  
من أخيليس أن يتفقد العالم الدنيوي يرضاه ولكن أخيليس يجيبه متحصرا  
وتمنيا العودة إلى الحياة الدنيا حتى ولو عمل أجرا (khentia) عند  
مالك من الدرجة الثانية أي من الذين لم يتطعوا إقطاعيات (ektikos)  
وهم عادة الغريباء الذين يمتلكون أرضا حول أطراف المدينة (Ekhetie)  
من المراعى أو الفنايات ويعتبرهم المجتمع القديم هامشين على عكس  
الإقطاعيين (Polyektikos) ويردد أخيليس أن هذا أفضل من أن يظل ملكا  
ميتا ! وهنا يدور الجدل حول التحسن في وضع الأجراء الأحرار من  
المواطنين (Thetes) وبروزهم من ضباب المجتمع الموكيني القديم كطبقة  
محددة المعالم تتم بقوانين العدالة (dike) وبحقوق الضيافة (Xenia)  
ولا ترتبط بأي التزام سوى عقد العمل مع صاحب العمل (Oiktos) وعادة  
ما يكون هذا العمل موسمي مثل الجتاد أو بذر الحبوب ومما يميز تقدم  
تطور مجتمع العمال الأحرار من المواطنين في الأوديسا عنه في الألياذة حيث  
ساد الاستعباد الطبقي ، شخصية الراعي يومايوس الرديئة والتي  
استمع لها أوديسيوس وعمل بنصائحها قبل الفتك بالإقطاعيين الذين

تكن في أيدي الأغريق بعد ، بل كان يسيطر عليها الفينيقيون وسكان دولة فريجيا *Phrygia* الآسيوية . كما أدى ازدياد العبيد نتيجة للحروب المتتالية الى تضيق الخناق على العمال الأغريق وأصبحوا عاطلين ومن ثم فقد دفعهم هذا الى الاستدانة من الأغنياء بالربا الفاحش ثم نجدهم يعجزون عن تسديد ديونهم وبالتالي يفقدون حريتهم ويصبحون عبيدا لدائنيهم طبقا للعرف المتبع ويحق للدائن أن يتصرف في المدين كما يشاء سواء بالبيع كرقيق أو بالقتل . ونلاحظ أن ذلك يحدث في الوقت الذي كانت فيه بعض الجزر والمناطق في بلاد اليونان تشهد رواجاً تجارياً واقتصادياً خرافياً ومن هذه المناطق بعض جزر بحر ايجه مثل رودس وسفوس وثاسوس وغيرها .

### ثالثاً : الحالة الاجتماعية والفكرية :-

تصور الألياذة والأوديسا كيف عانت هذه الفترة اضطراباً كبيراً في مجال المعرفة والتعليم بعد سقوط الحضارة الموكينية واختفاء معالمها . وانتقال مركز الثقل الى شعوب أخرى استفادت من سقوط الحضارة الموكينية مثل الفينيقيين الذين كانوا في قمة نشاطهم ومثل بعض الدويلات الآسيوية الأخرى مثل أهل ليديا *Lydia* وفريجيا *Phrygia*

= استولوا على قصره وراحوا يتقدمون للزواج من زوجته . ان تمنى أخيليس أن يعود للعالم ولو أجبراً وقوة شخصية العامل الراعى يومايوس للدليل على تطور الثورة الاجتماعية في الأوديسا عنها في الألياذة . ولم يكن كل الاجراء معديماً بل أن بعضهم كان يمتلك أرضاً ولكنه يعمل لكي يزيد من دخله وبعضهم كان يعمل أجيراً مع عبيده التي كان يمتلكها (Finly, op. cit, p). وكان الأجبر يختلف عن العبد في امتلاك الحرية (Eleutheria) التي يتمتع بها كفرد له حقوق العدالة (dike) والضيافة (Xenia) وبعد المقارنة ينتهي هذا المؤلف الدقيق بخلاصة الاستنتاج وذلك في الفصل العاشر وهي أن الألياذة اسبق من الأوديسا لأنها تصور مجتمعا لم ينضج سياسياً بعد (Propolitico) يجمع بين الاقطاع المطلق الموكيني والحكم الأرستقراطي الهومري . بينما يتطور الوضع في الأوديسا بظهور طبقة الاجراء الاحرار الذين لابد وأن يكونوا في حال ميسور جعل أخيليس يفضل ان يعمل كواحد منهم على أن يظل ملكاً مبيتاً في العالم الأسفل . بالرغم من أن مجتمع الأوديسا يظل يجمع بين الرق (doulou) وبين الاجراء الاحرار (Thetes) لكن الخط بين العبودية والحرية واضح فيها .

ولكن بالرغم من هذا فإن الأشعار الهومرية تعكس لنا صورة لا بأس بها لمجتمع ليس بدائيا فهناك تقاليد وعلاقات انسانيه ثابته كالزواج والتعبد وعن موروث كادارة القصور وهندسة المنازل وروح اجتماعية في الحياة الأسرية ومعرفة بفن الحرب وأنواع الأساحة المخلفة لاقتل عن المعرفة بفن الزراعة وفلاحة الأرض ومعرفة أخرى بالبحر والأبحار ورصد هبوب الرياح (١) . وقد أيدت الحفائر في طراوده دقة وصدق الأشعار الهومرية (٢) .

وجدير بالذكر أنه بالرغم من نزعة الارستقراطية في كل شيء الا أننا نشم رائحة الحرية الفردية فلم يكن هناك استبداد مطلق سواء سياسيا أو كهنوتيا . فالنساء يعشن في مساواة مع الرجال ويشغان مكانة جليلة الشأن في الأسرذ . كما كان هناك نوع من المساواة البدائية بين الرجال، بل بين الآلهة والبشر حيث يتحدث كل طرف الى الآخر كما يتحدث الرجال الى الرجال ، بل لا يتردد البشر في الشجار مع الآلهة والقتال معها .

---

(1) Cf. Mele Op. cit. chapter, VI, Passim, also cf.

M. I. Finley, «Studies in the

(٢) عن المجتمع الاغريقي ابان القرن الثالث عشر وحتى القرن

الثامن ق. م على ضوء الأشعار الهومرية انظر :

J. Bouzek, « Homerisches Griechenland [ Acta Universitatis Carolinae Philosophica et historia, Monograph XXIX ] Prague 1969, also M. I. Finley, «The Early Greece : The bronze and Archaic period, Cambridge 1970 [ = Revue historique CCXLI.VI (1971) P. 101 ] : Ancient Economy. Cambridge, 1974.

## الفصل الرابع

### قيام جمهوريات المدن الحرة وتوثيق روابط التراث الحضارى المشترك

ابان ركود العصر الحديدي لم تكن بلاد اليونان سوى مجموعة من القرى الفقيرة المنتشرة التى تعانى من النقص المادى والركود الحضارى ، وكان يحكم تلك القرى ملوك هم فى الحقيقة رؤساء القبائل - يساعدهم مجلس من النبلاء أو الشيوخ وكان عدد سكان تلك القرى محدوداً لدرجة أنه يمكن جمع المواطنين فى سوق القرية العام أو ساحتها الشعبية (agora) لا بلاغهم بقرارات الملك التى يتخذها بعد استشارة مجلس النبلاء (١) .

ووسط هذا الركود بدأت الحضارة تبث من جديد خاصة حول المناطق التى كان لها تاريخ ابان الحضارة المينية أو الموكينية . سواء فى كريت نفسها أو فى بلاد اليونان ومن أشهر هذه المدن مدينة موكيناي التى بدأت تنفض الركود والصمت عن نفسها وبدأ الناس فى الهجرة اليها وتعميرها . وكان من الطبيعى أن تبث مدن كريت وموكيناي لأنها مدن عرفت الحياة الحديثة المتحضرة طويلاً وقد ساعدها على ذلك ماتبقى لها من تراث وحضارة أستطاع أن يحيا رغم ظروف الركود . كذلك شهدت هذه الفترة انبعاث مدن أخرى قديمة فى ثوب جديد مثل مدينة أورخومينوس فى بؤتيا والتى كانت ذات حضارة متقدمة فى العصر الموكينى وكانت أول التجمعات السكانية التى كونت أول تنظيم سكانى وسياسى فى تاريخ

---

(١) انظر : الاغريق - تأليف كيو ترجمة عبد الرازق يسرى ،  
القاهرة دار الفكر العربى ١٩٦٢ ص ٦ .

بلاد اليونان ، ومن المدن الأخرى التى بدأت فى الظهور مدينة كورثا الواقعة على البرزخ المعروف باسمها والتى أعيد بناؤها واحتلالها بعد الغزو الدورى ابان الألف الأولى ق.م. .

كانت كلمة « مدينة » (Polis) تشمل عدة قبائل (Phylai) مختلفة وعندما تكبر المدينة وتتوسع كانت تضم اليها القرى الزراعية التى تقع من حولها وتدمجها فيها وتعطى سكانها حق المواطنة وقد أطلق الأغريق على هذه المرحلة مرحلة الادماج السكانى (Synoekismos) وفى بعض الأحيان لم يكن هذا الادماج يتعدى الناحية السياسية أى أنه لم يكن شمولياً بل سياسياً فقط لأنه يترك القرى على حالتها التى كانت عليها قبل الادماج فى المدينة الجديدة وبذلك أصبحت القرى الريف الزراعى للمدينة وأصبحت المدينة العاصمة الإقليسية للمناطق المختلفة . فمثلا تمكنت مدينة أثينا من تكوين إطار زراعى حولها فى اقليم أتيكا ببلغ مساحته ألف ميل مربع وأدمجته فيها منذ البداية مما جعلها تزداد أكبر مدينة فى بلاد اليونان .

ومن أشهر القرى التى كبرت وتوسعت لتصبح « أم القرى » ثم مدينة كبيرة أرجوس (Argos) الواقعة شرق البيلوبونيسوس واثتى استطاعت أن تجذب اليها المهاجرين من مركيشاي وفرضت نفسها على هذا العصر حيث أصبحت من أهم المراكز الحيرية فى شبه جزيرة البيلوبونيسوس الى أن انتزع منها هذا المجد قرية صغيرة تطورت بدورها تدريجيا حتى كبرت وأصبحت مدينة كبيرة . هذه القرية تقع فى الجنوب من البيلوبونيسوس ونسبى أسبرطة ونقلوا لأهلية الدور الذى لعبته أرجوس لابد من التوقف قليلا عندها لنعالجها بشيء من التفصيل . -

#### دولة المدينة ومفهومها عند الاغريق (Polis)

ما أن اقترب القرن الثامن قبل الميلاد حتى بدأ الاغريق ينظمون أنفسهم على امتداد بلادهم وفيما عدا بعض القبائل المتخلفة التى تقطن فى الجزر والاطراف الجبلية النائية - فى نظام سياسى هو دولة المدينة أصبح هو الطابع السياسى السائد لهم . واختفت الممالك التى كنا نسمع عنها فى الأشعار الهومرية حيث كان الملوك هم فيها كل شيء وبدأت سلطات الملوك

تنحصر قليلا قليلا أمام مد حكم الأرستقراطيين النبلاء كما صاحب ذلك تقدم فن التشريع والنظم الدستورية التى بدأت تقنن القيم والحقوق والواجبات والالتزامات. وسرعان ما انتشر نظام دويلات المدن مع انتشار الحضارة الى أراضى ومناطق مترامية الأطراف سكانها ليسوا من عنصر الأغريق العرقى بل شعوب قبلت طريقة الحياة الأغريقية واللغة اليونانية ولم يعد جوهر الحضارة الأغريقية الجوهر الجغرافى أو القومى العنصرى بل هو طريقة الحياة المميزة بجوانبها الاجتماعية والثقافية الذى يميزها عن سائر الشعوب الأخرى وهو دويلة المدينة (Polis) وفيه أصبحت كل مدينة جمهورية مستقلة تستمتع بالاستقلال السياسى التام وتلزم مواطنيها بنوع معين من الارتباطات والروابط السياسية والاجتماعية منذ مولدهم ونشأتهم وتربيتهم حتى مشاركتهم فى مسئولية الحكم. هذا الالتزام بسنن الحياة وطريقتها من أجل التقدم والذى هو نتاج التربية الفكرية والنفسية داخل دويلة المدينة هو الحضارة الهلينية بعينها. لابد أن ندرك أن الأغريق لم يتحدوا اطلاقا فى دولة سياسية واحدة مثل المصريين أو الرومان . وأن الوثائق القومى بين الأغريق كان وثاق السلاله واللغة والتراث المشترك ولم يكن أبدا وثاق الاتحاد السياسى ويجب أن ندرك أن تاريخ الأغريق هو تاريخ مئات من دويلات المدن المستقلة التى تناثرت فى أرجاء وجزر بحر ايجه والبحر المتوسط وشواطئه .

ومن الجدير بالذكر أن فكرة دويلة المدينة (Polis) أو جمهورية المدينة لم يكن فى الأصل ابتكارا اغريقيا بالرغم من أن اللفظ (Polis) من صنع الاغريق الذين أورثوه للغات العالم الحديث ، وانما وجد هذا النظام أول ما وجد عند السومريين الذين تظهر حضارتهم منذ عام ٣٠٠٠ ق.م فى الحوض الأدنى لنهرى دجلة والفرات وذلك قبل مولد الوجود الاغريقى بحوالى ألفى سنة وقبل مولد دويلات المدن الاغريقية بما يقرب من اثنا عشرة قرنا أو يزيد ومن بلاد سومر انتشر هذا النظام الى بلاد كنعان ( الشام وفلسطين ) والى فينيقيا المطله على ساحل الشام . ونسمع فى الشرق الأوسط عن دويلات مدن سومرية مثل بابل (باب الرب) وأور ، وبورسيا ، وكيش ونيبور ، ولجش . وأوروك ( أو الوركاء ) كما



نسمع عن دويلات مدن فينيقية مثل صور وصيدون (صيدا) وبيبلوس وأرادوس كما نسمع عن قادش وقرطاجه في شمال افريقيا وهي مستوطنات فينيقية . لكن يجب أن نضع في الاعتبار أن مفهوم الأغريق لهذا النظام دويلات المدن (Poleis) كان ذا طريقة مميزة وخاصة تعكس العقلية الأغريقية العملية التي تؤمن بالإنسان إيماناً مطلقاً وكما يقول بروتاغوراس فيلسوف مدينة أبديرا (Abdera) في القرن الخامس ق.م «الإنسان مقياس كل شيء» ، فطبقت صورة الإنسان وسلوكه حتى على الآلهة وعلى عناصر الطبيعة وهو ما يعرفه البعض بفرض الصفات الانسانية (Anthropomorphism) ومن ثم كانت الحضارة الاغريقية هي حضارة الانسان (١) .

كانت كل دويلة مدينة تملك رقعة محدودة من الأرض الزراعية أكبرها رقعة دويلة أثينا التي بلغت ألف ميل مربع وهي مساحة لا تزيد عن مساحة مقاطعة انجليزية متواضعة ، وفي عصر بيريكليس قبه ازدهار أثينا وسيطرتها كان عدد المواطنين الذين يمكن تجنيدهم يبلغ ٣٠.٠٠٠ مواطنًا يثلون ٢٥٠.٠٠٠ من تعداد المدينة بما فيهم النساء والأطفال ويضاف الى ذلك عدد كبير من الرقيق والحرفيين الأجانب والغرباء المستوطنين . وعلى غرار الجمهوريات الإيطالية في العصور الوسطى (٢) كان هذه المدن شديدة الحرص على استقلالها وسيادتها (Autonomia) وقلما تغطي قوة احداها فتخضع ما حولها من المدن الأخرى لسيادتها وتنشأ الامبراطوريات مثل الامبراطورية الآثينية والامبراطورية الاسبرطية وامبراطورية طيبة ، وسرعان ما تقاوم المدن هذا التدخل والتعدى الغاشم على استقلالها وتقاوم ثم تحدث الحروب وتنهار الامبراطوريات بعد أن تكون قد أثارت الجفاء بين مواطني المدن الأخرى .

إذاً كان الوجود الحضاري الأغريقي هو بمثابة الوجود السياسي التي يترجم عادة بالدول المتحدة سياسياً وكان الأغريق يحسون بهذا

(١) انظر عبد اللطيف احمد على - المرجع السابق ص ١١١ - ١١٢ ؛

also cf. Fowler, The Polis

(٢) و . ج . دي بورج - تراث العالم القديم - ترجمة زكي سوس ومراجعة يحيى الخشاب ومحمد صقر خفاجه : سلسلة الالف كتاب رقم ٥٥٧ دار الكرنك - القاهرة ١٩٦٥ . ص ١١٢ وما بعدها .

التراث المشترك وأواصر القرابة الحضارية بينهم رغم تشتتهم سياسيا لأنها هي التي تميزهم عن غيرهم من الأجانب (Barbaroi) (١) . ومن أهم مظاهر هذا التراث المشترك الملاحم الهومرية ودورات الألعاب الرياضية والديانة الاغريقية خاصة ، دلتى الى جانب عشق الفن والفلسفة والجمال (٢) ولقد لعبت عبادة الرب ابو للون بالذات خاصة فى دلتى حيث معبده ومكان اعطاء نبوءته دورا هاما عنهما راح الاغريق ينتشرون فى عصر التوسع التجارى وتحولت دلتى كما سئرى الى جامعة اغريقية دينية قومية لكل الاغريق فى كل مكان .

تضح اذا أن طبيعة العلاقة بين الفرد ودويلة المدبنة من خاق العفلية الاغريقية أملتأ ظروف بلادهم الجغرافية واملتأ أيضا ظروف انتشت والأتشار . ولأن هذا النظام هو جوهر مدينتهم وحياتهم وتاريخهم ، والبؤرة التى عكست مشاكلهم الفكرية رالأقتصادية والاجتماعية وحددت علاقة الفرد الاغريقى بدويلته كعضو عامل متواضع فيها بل وراح نالستهم يدعون هذا النظام ببحثه وباضافة ما استنفوه من تجارب الشعوب الأخرى اليه : فضلا عن أنهم راحوا من منطق قبول نظام دويلة المدينة يعالجون مشاكلهم الاجتماعية داخل هذا الأطارالتنظيمى الذى ظل قائما منذ قيامه حتى تدهورد وسقوطه حتى وعندما اكتسحت مقدونيا بلاد اليونان ونستيا- اليها بالقوة ابان القرن الرابع قبل الميلاد فقد ظلت المدن الاغريقية فى صقلية وجنوب ايطاليا تنعم باستقلالها وحريتها حتى قست روما عليها وشمكتها فى دولتها . ولا يمكن أن نفهم نظرية الاغريق فى التفكير السياسى الا من منطلق دويلة المدينة . لأن كل أبحاثهم فى هذا

---

(١) من الخطأ أن نترجم هذه الكلمة بالبرابرة لأن معناها الاصلى الإعاجم الذين لا يتحدثون اللغة اليونانية : انظر كتو - الاغريق - ترجمة عبد الرازق سئرى ص ٥ وما بعدها .

(٢) يرى جلبرت مورى أن الاغريق الايونيين فى ايونيا هم اول من ادركوا قيمة الوعى الحضارى نظرا لتواجدهم مع الأجانب الشرقيين وأن لفظ هيلينى معناه شبيه بالهلينيين وليس من سلالة الهيلينيين انظر :

Gilbert Murry. Five Stages of Greek Religion, London 1940.

انظر دى بورج المرجع السابق ص ١١٢ ملحوظة (١) .

المجال لم تكن سوى تأملات في أصل هذا النظام والبحث عن تدعيمه ومعالجة عيوبه ولا نجد مفكرا واحدا باستثناء ايسوفراطيتحدث عن الوحدة السياسية لكل الاغريق . ولقد حققت دويلة المدينة لمواطنيها الطابع الحضارى والفكرى جنباً الى جنب مع الحرية السياسية وهذا غير موجود في الممالك والمدن الشرقية .

لقد كان الفكر الاغريقى يجمع بين العملية والواقعية وبين التأمل المثالى وقد تحقق ذلك في مجتمع دويلة المدينة حيث وجدوا الحلول لمسألة الجمع بين الثقافة والحرية السياسية ، وذلك عن طريقة المساواة والأخاء بين كل المواطنين في المدينة لا فرق بين الغنى أو الفقير أو الحاكم أو المحكوم . ففى الأودسا ( الكتاب السادس ١ - ١٠٩ ) نجد الأميرة ناوسيكابنة الملك تغسل ملابسها مع خدمها ، بل ويحدثنا هيرودوت كيف ان طاغية مدينة ساموس الشهير بوليكراتيس ينادى على احد صائدى الأسماك ليجلس ويشاركه غداءه (١) .

وقد يكون أصل المدينة هو القلعة اننى يمكن أن يأوى اليها السكان بقطعانهم من عدوان المغيرين ، لأننا نجد تكل مدينة أكروبول Acropolis أى ربوة مرتفعة هو قلب المدينة الاغريقية القديمة (٢) . ومن داخل القلعة نشأ المعبد التى يجمع الناس حول محراب مقدس للدفاع عن النفس وممارسة شعائر واحدة . ثم عندما تحقق السلام ووثقت الدولة فى نفسها أصبح المعبد يتوسط السوق العامة (Agora) مركز النشاط التجارى والاجتماعى ولكن على ربوة عالية (٣) .

بدأ الاغريق كغيرهم من الشعوب القديمة تفكيرهم الاجتماعى بالإيمان بوجود قرابة تربط بين الآلهة والبشر وفى عصر التوسع والهجرة تطور

(١) هيرودت الكتاب الثالث فقرة ٤٢ .

(٢) الالبازة الكتاب الاول . ٣٦٦ .

(٣) بقيت هذه السمة الى وقت متأخر وحملها الاغريق معهم الى كل مكان حتى فى مصر . فمثلا فى معبد سوخوس فى كرانيس (كوم اوشيم بالفيوم) صنعوا ربوة (أكروبول) من الاحجار بنوا عليها المعبد فى قلب السوق العامة لهذه المدينة البطلمية .

هذا الالتزام للآلهة الى الوثائق الجماعى الذى يقوم بين عدد من الأفراد لذاتهم ولصالحهم ، ومن ثم بدأت أواصر القبيلة (Phyle) وأصبحت القبيلة هى أصل دويلة المدينة وبالتالي أصبحت أحياء المدينة هى فروع القبيلة مثل البطون Phratrīae والعشيرة (Genos) ونشأت العشيرة من مجموعة من الناس اعتقدوا أنهم ينحدرون من جد واحد ويشتركون فى عبادة واحدة وكان لهذه العبادة مقر هو مقر زعيم العشيرة . وكان كل فرد يرتبط بالولاء لعشيرته وأصبحت دويلة المدينة هى رمز هذا الولاء ويحس الفرد بهذا الارتباط وهو فى الحقل أو فى السوق العامة أو فى المعبد . هكذا كان فى مجتمع دويلة المدينة الصغير المحدود يجتمع المواطنون فى اسرات وعشائر يربط بين افرادها والأحاساس بقراءة الدم والمساواة المطلقة فى الحقوق والواجبات ومن أجل الصالح المشترك (To Koinon)

وبعكس ما كان موجودا فى المجتمعات الشرقية الطبقية ، عاش الاغريق حرا فى الحلاء يتمتع بالشمس المشرقة ويتجول فى السوق العامة (Agora) أو يتفرج على الرياضيين وهم يتمرنون فى ساحة الألعاب الرياضية Palaestra يثرثر بحرية مع الآخرين دون أن يعبأ بانوقت ، بل كان الاغريق يزهو بجسارته فى الحديث (Parrhesia) وهو منححر من كل تحفظ أو خجل وكان وقت الفراغ (Scholē) <sup>(١)</sup> بالنسبة لهم هو وقت التعلم والبحث وراء المعرفة <sup>(٢)</sup> وفرصة لاستعراض العقل والموهبة ويقول افلاطون فى الجهورية أن الجسارة فى الحديث دليل على الديموقراطية فى أرقى وأسمى معانيها <sup>(٣)</sup> . ولعل المناخ الصحو والعمل بالزراعة فى الهواء الطلق وممارسة الرياضة أو التسكع فى السوق العامة جعل الاغريق

(١) انظر : الفريد تزمون : الحياة العامة اليونانية - السياسة والاقتصاد فى اثينا فى القرن الخامس ، ترجمة عبد المحسن الخشاب مراجعة الأستاذ امين مرسى قنديل سلسلة الالف كتاب (٤٦) لجنة البيان العربى - القاهرة ١٩٥٨ ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابع ص ٥٧ تعريف البطالة أو الفراغ فى اليونانية هو Scholē والعمل عندهم هو عدم الفراغ Ascholia ومن الجدير بالذكر ان من Scholē اشتقت كلمة مدرسة School .

(٣) الجمهورية ٨ فقرة ٥٥٧ .

يقضون معظم وقتهم خارج المنازل مما خلق حياة اجتماعية قوية بعكس المدن الصناعية في مجتمعاتنا الحديثة .

لكن بالرغم من هذا فقد كان الاغريقى رجل عمل عملى ، فالفضيلة (Arete) عنده هى الموهبة العقلية والنجاح والكفاءة فى العمل قبل السمو الخلقى وصورة الرجل القوى الناجح هو النموذج الذى يستهويه . ولهذا قام التنافس العلى والبدنى بين المواطنين خلتقا بذلك المعاناة والقلق من أجل الفوز والانتصار والنجاح . وكما يقول بيريكليس كان المواطن يخدم «كما لو كان بدنه ملكا للدولة» ، لأن الاغريقى اعتقد أنه يعيش من أجل خدمة الوطن . وكانت الأسرة الاغريقية أقل تماسكا بكثير من الاسرة الرومانية فالزوجة الاثينية حبسة البيت كالمرأة الشرقية ولا وزن لها ولا تتمتع حتى بالجنسية ، والأبناء كانوا متحررين من سلطة آبائهم وتركوا البيت عندما يصلون الى سن الرشد .

كانت دويلة المدينة هى دولة السوق العامة (Agora) ، تلك الساحة التى كانت بمثابة قلب الحياة الاجتماعية والتجارية وتحيط بها أروقة Stoa (١) ذات بواكى وأعمدة مسقوفة تظل الناس من حرارة الشمس ، هى عالم وحياة المواطن الاغريقى العزيز الى نفسه ، مما ساعد على خلق قانون خلقى جماعى (Ethos) بين الرجال يدعو الفرد للقيام بدور ذى قيسة فى حياة مجتمع دويلة المدينة الذى كان يحدد واجبات الفرد الخلقية والدينية دون أن يعيق ذلك واعزال التقدم العلى عنده . وكانت حرية التخاطب والنقد صفة ذاتية للمواطن ليس لها أى علاقة بالنظم السياسية ولهذا قيل أن الديمقراطية الاثينية كانت نتيجة لهذا النقاش الحر وليس سببا له . ولهذا احتقر الرومان — الذين يفضلون العمل فى صمت — الاغريقى ووصفوههم بالشعب الثرثار . لقد كان الاغريقى يثرثر فى أى شىء سواء كان أمرا تافها صبيانيا أم أمرا فى غاية الخطورة مثل القانون والحق والحرية ومسكلة الحكم ، والواجب الخلقى

---

(١) كثيرا ما استخدمت هذه الأروقة بواسطة الفلاسفة والخطباء وأصحاب النظريات لممارسة رسالتهم حتى أن احدى المدارس الفلسفية فى اثينا اطلقت على نفسها اسم الرواقية نسبة الى الرواق .

أو الفضيلة وفي طبيعة الأشياء وفي الفن والشعر والأدب بعمق وجدية ،  
ولهذا استوعبوا جيدا عالم الطبيعة •

كانت دويلة المدينة بالنسبة للاغريق هي المثل الأعلى الذي يجب أن  
تكون عليها حياة الشعب المتحضر • وكان مفهوم السعادة والصالح  
والتقوى (Eudaimonia) عند المفكرين جسيما هو انتفاني في أداء الواجب  
من أجل المدينة وقد عبر هيرودوت عن ذلك صراحة في روايته عن كريسوس  
كما عبر عنه كذلك شعراء المأساة الآثينيين ابان القرن الخامس ق.م. ولم  
يتزعزع ايمان الفلاسفة الاغريق أبدا بقيمة دويلة المدينة وبأن الحياة فيها  
هي الحياة التي تستحق العيش • ويروي لنا أفلاطون في محاوره كريتون  
(Krito) كيف رفض سقراط الهرب من السجن قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه  
بشدة موضحا أن الهرب من قانون دويلة المدينة حتى وان كان جائرا جرم  
أخلاقي لا يغتفر شبيهة بتعدى الابن الشاب على أبيه الهرم ، وبالرغم من أن  
أفلاطون قد أقر واعترف بفساد نظم دويلاته، المدن فسادا لا يمكن تقويمه  
الا أنه جعل تصوره للمجتمع الفاضل يقوم في مدينة فاضلة (Polis) (١)  
أما أرسطو فيعترف في كتابه السياسية أن دويلة المدينة وحدها هي التي  
تحقق العيش الطيب وأن الانسان حيوان اجتماعي بطبيعته (٢) • وأن  
وظيفة المشرع الحق هي وضع أسس الصالح الخلقي للمواطن وتعليمه  
من أجل النهوض بواجباته تجاه دويلة مدينته (٣) •

لقد كانت دويلة المدينة هي المصباح الذي يشع كل عناصر المعرفة (٤)  
الأغريقية من فن ومعمار وأناشيد ومسرحيات مأسوية أو كوميدية وابعاث  
علمية وفلسفية ، وفنون وصناعات مهنية ، وعواطف دينية وأخلاقية ،

(١) افلاطون الجمهورية ٥ : ٤٧٠ .

(٢) أرسطو السياسة ١٢٨٠ ب ، ١٢٥٢ ب .

(٣) السياسة ١٢٥٣ ا .

cf. E. Barker. Greek Political Thought, London Paperbacks 1960, P. 12 ff.

كذلك الناصري : المرجع السابق ص ٣٤ .

(٤) وقد طور الرواقيون فيما بعد فكرة دويلة المدينة الى الجمهورية  
العالمية وطورها كتاب المسيحية الى مدينة الله

وهي الملهم للدساتير والقوانين ومن أجلها خاضوا الحروب وصنعوا السلام .

ومن ناحية أخرى قد يأخذ البعض على الحرية اللامحدودة للمواطن أنها أعطت فرصة للطسوح الشخصى والانهازية السياسية والأناية الذاتية مما خلق عوامل التفكك والحزبية وقد ذكر لنا هيرودوت ملحوظة ساخرة قالها أحد ملوك الفرس عن الاغريق « هؤلاء الذين يتقابلون في السوق العامة يراوغ بعضهم البعض بالوعود الجوفاء والخاوية » (١) . وقد أدت الحزبية الى الصراع الداخلى المرير والنوضى الداخلية (Stasis) التى جعلت الحروب ظاهرة عادية بين المدن على طول تاريخ الاغريق ، وبالطبع دفعت الحضارة الاغريقية ثمن هذه الحروب باهظا كما أن نظام دويلات المدن وقف عائقا مانعا دون وحدة بلاد الاغريق . ولما أدرك الاغريق أن قدرات دويلات المدن محدودة بعد أن فات الوقت لجأوا الى الأحلاف الدينية مثل الحلف الأمفكتيونى فى القرن السابع ق.م أو أحلاف سياسية مثل الأحلاف الآخية أو الأبتولية فى القرنين الرابع والثالث ق.م ولكن حتى هذه الأحلاف فشلت ودفع الاغريق الثمن عندما وجدوا أنفسهم يقعون فى حوزة الامبراطورية الرومانية . نعم لقد استيقظوا ولكن كان الوقت متأخرا .

#### ارجوس ودورها المبكر وافولها السريع :

تقع أرجوس تقريبا وسط جنوب السهل الذى يعرف باسمها والمعروف بالسهل الأرجوسى (Argolis) والذى يشمل المنطقة الشمالية الشرقية من شبه جزيرة البيلوبونيسوس . حيث كانت هذه القرية الصغيرة تقع على مسافة ثلاثة أميال من خليجها وعلى سفح جبل لاريسا (Larissa) الخالد والذى ذاع صيته منذ أيام الحضارة الموكينية بل وابان العصور الكلاسيكية كما ضمت هذه القرية داخل أسوارها مرتفعا آخر هو تل أسبيس (Aspis) وفوق هذين المرتفعين اللذان يكونان المدينة أمكن تتبع حضارة قديمة منذ

(١) انظر كتابى : الحرب والمجتمع القديم - سلسلة المكتبة الثقافية

العصر الموكيني ، كما تذكر الألياذة اسم مدينة أرجوس كمملكة للبطل ديوميديس (Diomedes) أحد قادة الآخيين في الحرب ضد طروادة . وقد لعبت أرجوس دوراً كبيراً في هذه الحرب مما يدل على أنها كانت في ذلك الوقت مدينة كبيرة وقوية وغنية .

ولما هبط على شبه جزيرة البيلوبونيسوس جحافل الدورين سقطت أرجوس مثل غيرها من مدن الحضارة الموكينية . وتروى الأساطير أن تيمينوس (Temenos) أكبر أحفاد هيراكليس جعلها مقراً له . واتخذ الدوريون من أرجوس قلعة متقدمة لهاجمة شمال شرق البيلوبونيسوس وتدمير المدن الموكينية فيها ، وبعد دمار المدن الأخرى بقيت أرجوس أكبر القرى في هذه المنطقة وتطورت حتى أصبحت مدينة وظلت كذلك حتى نهاية القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق . م عندما بدأت أسبرطة في الظهور والتطور ثم انتزعت منها السيطرة والنفوذ في البيلوبونيسوس وربما كان هذا سر العداوة بين المدينتين . ومهما يكن من أمر فإن أرجوس شهدت أعظم أيامها بعد عام ٦٧٥ ق . م عندما تولى حكمها ملك قوى اسمه فيدون (Pheidon) أستطاع أن يعيد لأرجوس مجدها وقوتها بل أستطاع أن يسحق أسبرطة وانتزع منها ممتلكاتها وما سلبته من أرجوس ونحاشها عن زعامة البيلوبونيسوس . وذلك بعد معركة هوسياي (Hysiai) في عام ٦٦٩ (١) .

ويقال أن الملك فيدون هو الذي نظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أرجوس فهو الذي وضع أساساً للمعايير والموازن التي ظل معمولاً بها في المدينة حتى القرن الرابع ق . م كما يروى أن الملك فيدون هو أول من سك عملة من فضة حسب النظام الذي كان سائداً في جزيرة ايجينا (٢) .

(١) ولكن بعض المؤرخين يشكون في حقيقة هذه المعركة انظر: —

Theodore Kelly, «Did The Argives defeat the Spartans at Hysiai in 669 B.C. ?» American Journal of Philology, Xci (1970), p. 31-42.

cf Huxley in Bulletin des Correspondence Hellenique, (1958), p. P. 568 ff. (٢)



من الواضح أن الملك فيدون قد نجح في تنحية أسبرطة عن زعامة  
البيلوبونيسوس فعلا وهزمها هزيمة ساحقة بعد عام ٦٦٩ ق م لأنه سار بعد  
ذلك بجيشه مخترقا البيلوبونيسوس غربا حتى مدينة أولبيا المقدسة حيث  
استولى عليها بعد أن انتزعها من مدينة ايليس Elis وترأس الألعاب الأولمبية  
في ذلك العام . ويفسر بعض المؤرخين هذه القفزة الجديدة لمدينة  
أرجوس بأنها جاءت نتيجة تطويرها لنظام الجيش وتكتيكها العسكى  
ويقولون أن الملك فيدون هو أول من أوجد نظام الجنود المشاة المسلحين  
بالدروع والحرايا أو ما يعرف بالهوبليتيس (hoplites) بدلا من نظام  
الفرسان الذى كان يسيطر عليه النبلاء ويقولون أن فيدون هو أول دكتاتور  
ظهر في بلاد اليونان (١) وأسقط حكم الارستقراطيين وأحيا الدولة  
وجعل لها ديناميكية هى التى حققت لها هذا التوسع السريع وأذن أرجوس  
قد ضربت المثل الذى اتبعته مدن اليونان فيما بعد . ويدعم هؤلاء  
المؤرخون رأيهم هذا بأن نهضة أرجوس جاءت سرعة كما أن مجدها  
قد مات بموت ملكها فيدون ، حيث ورثت أسبرطة عنها كل الخبرة  
العسكرية وفنها القتالى الذى جعل من الأخيرة الأسطورة الخالدة والمدينة  
التي لا تقهر ردها من الزمن .

كذلك فان ظهور مدينة كورثا في الشمال حد من قوة أرجوس بل  
فت في عضدها وعلى أى حال اكتنف الغموض والعزلة أرجوس بعد أن  
أصبحت مدينة محدودة مقلمة الأظافر ، تعزى نفسها بالاشراف على  
الأماكن القديمة ذات المجد الموكينى مثل موكيناي وناوبليا (Nauplia)  
وتيرنز (Tiryns) وغيرها من القلاع والحصون المنتشرة في السهل  
الأرجوسى .

ومن الجدير بالملاحظة أن أهل أرجوس لم ينسوا أبدا هزيمتهم على  
يد أسبرطة ولهذا ظلوا يكرهونها في قلوبهم ويتعاطفون مع أثينا عدوة  
أسبرطة التقليدية فيما بعد ومن أجل ذلك قلدوا أثينا في نظامها السياسى  
المعروف باسم الديمقراطية الأثينية بل تحالفوا معها ووقفوا الى جانبها

(1) cf. A. Andrews . The Greek Tyrants, Hutchinson (University Library,  
Reprinted 1966,) p. 39 ff,

في عدة مناسبات ضد أسبرطه • ولما وصلت جحافل الملك فيليب المقدوني الى اليلوبونيسوس خرجت أرجوس لتستقبله وترحب لمقدمه ، أملا في سحق اسبرطة التي وقفت موقف العداء من الملك المقدوني •

لقد قامت أرجوس بدور سريع ولكنه حيوى في تطور تاريخ وحضارة بلاد اليونان فقد كانت المدينة معروفة بأنها مركز عبادة الربة هيرا زوجة رب الأرباب زيوس • ومن ثم أقام أهلها معبدا كبيرا عرف بمعبد هيرا (Heraeum) على بعد ستة أميال شمالا من المدينة •

نذلك فان فناني أرجوس قد ساهموا بدور كبير في وضع اللبنة الأولى للفن الاغريقى خاصة في النحت في عصره المبكر في أوائل القرن السابع ق • م ولكن تدهورت هذه المدرسة الفنية عقب الانتيار السياسى الذى حاق بها بعد موت فيدون • ولكن بالرغم من هذا نسمع في القرن الرابع ق • م أن أرجوس كانت الموطن الذى أخرج أكبر نحّاتى الفنون الاغريقية من أمثال بوليكليتوس (Polycleitus) .

#### حركة الإدماج السياسى وقيام المدن :

وفي نفس الوقت التى كانت أرجوس تزدهر فيه كان يسود بلاد اليونان حركة الإدماج السياسى Synoekismos • فقد كان يتم فى ذلك الوقت ادماج بعض القرى ادماجا كاملا من أجل تكوين مدينة جديدة أو نجد قرية صغيرة تصبح أما للقرى التى حولها حيث تقدم الحماية لفلاحها ساعة الخطر للهرب والاحتباء داخل أسوارها • وفى حالات أخرى نجد سكان عدد من القرى الصغيرة يهجرون قراهم ويخرجون معا فى وقت واحد أو متلاحق ليؤسسوا مدينة واحدة ومشاركة • كما نسمع عن حالات أقام فيها سكان بعض القرى سورا كبيرا حولهم ، وأعلنوا عن قيام مدينة جديدة وبتأسيس هذه المدن (Poleis) خبرت بلاد اليونان حياة جديدة • حياة المدن ومجتمعاتها • وأصبحت المدينة (Polis) النواة الأساسية والاجتماعية والاقتصادية للحياة فى بلاد اليونان التى خبرت حياة المدن ومجتمعاتها والتغيرات التى طرأت على الحياة نتيجة لقيام دويلة ومجتمع المدينة (Polis) • أن هناك من يرى أن التاريخ الفعلى للحضارة لم يبدأ الا بعد قيام المدن وما تلا ذلك من ثورات

اجتماعية متتالية ومتراصة وأن تلك الثورات بدأت بالتحول التدريجي للقرية كوحدة سكنية وكمجتمع صغير الى مدينة ذات نظام اجتماعي أكثر تعقيدا من مجتمع القرية البسيط ثم قيام المدن بدور منارات الثقافة والحضارة ونشرها في أجزاء متفرقة من العالم •

أن فكرة انشاء المدن فكرة ضاربة في القدم ترجع الى أواخر الألف الرابع ق. م • وإبان الألف الثالث ق. م • بعد أن تغلب الانسان على مشكلة الغذاء وتحول من مستهلك الى منتج له • بل أصبح يعرف كيف يحصل على معدن البرونز بخلط النحاس بنسبة معينة من القصدير لتجعله أكثر صلابة • وقد بدأت هذه الثورة الانسانية في الشرق الأوسط • في بابل وأشور ومصر وسوريا وليس هناك من يشك في أن فكرة المدينة جاءت الى بلاد اليونان من الشرق الأوسط •

ويعرف تشايلد ثورة المدينة بأنها النجاح في أرغام الفلاحين والعاملين بالزراعة على إنتاج كميات تفيض عن الحاجة الاستهلاكية اليرمية فظهرت بالتالي مشكلة العرض والطلب والبيع والشراء وتلى ذلك ظهور مئات المهنيين والإداريين وغير ذلك من التصنيفات التي تؤدي للمجتمع (١) •

كان من أهم النتائج التي أحدثها قيام مجتمع المدينة هو التحام الناس بعضهم ببعض وقد أدى الالتحام الى التعامل والتضامن والتفاعل وقيام المعاملات • وقد أدى ذلك الى رزاع التجارة ومن ثم أصبح هناك حاجة ملحة لايجاد نوع من الكتابة خدمة للتجارة ولا يغيب عن أذهاننا أن أقدم الوثائق الكتابية الموكينية كانت سجلات حسابة ومعاملات وهكذا فتح تأسيس المدن الباب أمام الحضارة والخلق والابداع •

على أي تميزت فترة البعث الجديد في بلاد اليونان بظاهرة قيام المدن وانتشارها عبر الوديان والجبال وأصبحت بلاد اليونان مجموعة من المدن المستقلة • وقد أدى وعورة التضاريس الى صعوبة الاتصال بين هذه المدن مما أدى الى انعزالها واعتمادها على نفسها • بل أن الانعزال أدى الى التنافس والتقاتل • لقد اعتبرت كل مدينة نفسها دويلة مستقلة ذات سيادة

(1) V. G. Childe . Man Makes Himself, London 1936.



مستقلة وتعتمد على اقتصادها اعتمادا ذاتيا لأنها لا تريد التعامل مع جيرانها • كما أن تجمع المواطنين أدى الى قيام الوعي السياسى وأصبح هذا المجتمع ينقد سلوك الملك ، كذلك أدت زيادة كثافة السكان ونشاط التجارة الى تشجيع المواطنين على الهجرة والبحث عن أرض جديدة • أن قيام المدن المستقلة بعد بحث بلاد اليونان في عصرها الجديد كان ثورة كبرى •

### بروز مدينة دلفى كمركز روحى لكل الاغريق :

تقول الأساطير الاغريقية ، أنه بعد مولد الآله أبوللون في جزيرة ديلوس سافر هذا الآله الى بلاد اليونان ليجث عن بقعة مقدسة يقيم عليها معبده الكبير ، وراح الآله يتجول الى أن وصل الى سفح جبل برناسوس وهناك صاح الآله قائلا « هنا سيرتفع معبدى وستزينه مهارة الفن من كل جانب وستملؤه بالجمال ، وسيصبح مركزا لاعطاء العرافة وسوف يأتى الناس الى دلفى طلبا للمشورة الربانية من كافة بلاد اليونان ومن الجزر التى تغسلها أمواج البحر وتنتشر فيه » •

كذلك تروى الأساطير أنه كان يعيش في هذا الوادى تنين ضخمة اسمه يثون Python كان يسكن أحد كهوف الجبل المظلمة • وتقول ان هذا التنين لم يكن إلا ابن الأرض ، ولما كان قاسيا وشريرا فقد رماه أبوللون بوابل من سهامه الذهبية وبذلك طهر الأرض من خطره ، ولكى يعمر أبوللون هذا الوادى تشكّل في هيئة درفيل (dolphin) (١) وقاد سفينة قادمة من كنوسوس في كريت في طريقها الى ييوس في البيلوبونيسوس وجعل السفينة تسير في أثره وتدور حول شبه الجزيرة ثم عبر خليج كورثا لتستقر في دلفى في شمال هذا الخليج ويصبح ركابها أول كهنة لمعبده • وربما تدل هذه الأسطورة الشعبية على أن عادة أبوللون جاءت من كريت ابان العصر الموكينى ودخلت بلاد اليونان بعد أن طردت عبادة بدائية كانت موجودة هناك •

(١) ومن الدرفيل delphinis أخذت المدينة اسمها « دلفى » •

cf. John Pollard, Seers, Shrines and Sirens - The Greek Religious Revolution in the Sixth Century B.C., Unwin University books, London 1965, pp. 22-28.

وقام معبد أبوللون الجديد فوق عين كبريتية ساخنة • وسرعان ما أصبح للمعبد عرافة أخذت اسمها من اسم التين وسميت بيثيا Pythia ومهما كان مصدر الأسطورة فإنه ما كادت بلاد اليونان تستيقظ من ركود العصر الذى سادها بعد الغزو الدورى حتى أصبحت دلفى مقصد الزوار والحجاج من طالبى المشورة الآلهية من كافة أنحاء العالم الاغريقى • وفى العصور الأولى كان يسيطر على المدينة شعب مدينة كريسا (Krisa) الذين كانوا يعيشون فى ذلك السهل الغنى الواقع بين دلفى والبحر • وقد جنى من هذا السهل أموالا طائلة لدرجة جعلت المدن الاغريقية الأخرى تحقد عليهم وتزعمت أسبرطه حلفا دينيا هاجم أهل كريسا ودمر مدينتهم وقرر أن يصادر أراضي سهلهم للآله أبوللون ويصبح هذا السهل بورا حرام زراعته • وبعد عام ٥٩٠ ق م اكتسبت دلفى مركزا دينيا مستقلا وحظيت باحترام مقدس عند كل الاغريق • وامتازت المدينة بالمعابد المقدسة والتماثيل وخزائن النذور والكنوز ويتوسطها جميعا معبد أبوللون العظيم الذى لم يتبق منه سوى بضع أعمدة • وأعلى المعبد لاتزال أطلال المسرح الكبير تطل على الوادى ويعطوه ملعب السباق (Stadium). كانت العرافة بينيا عادة امرأة فى الخمسينيات من عمرها ، وكانت بأردية غريبة وتجلس فوق قائم ذى ثلاثة أرجل (Tripod) ، وعندما يتقدم طالب المشورة يقدم الأضاحى والقرايين ويتلو الصلوات للرب ثم يتوده الكهنة الى حجرة الانتظار • وفى الوقت المناسب يدعى للمشول أمام كاهنة أبوللون التى لا تكاد تبدو من أبخرة مياه العين الساخنة ، ويضع طالب المشورة سؤاله أو أسئلته أمامها وتهذى الكاهنة وهى تنفخ أوراق الباز وتنبئ من غاز غريب بتصاعد من شقوق فى الصخر وتحسب المياه الكبريتية وتتمم بكلمات غريبة يترجمها أحد الكهنة الى أبيات من الشعر السداسى الموزون ويعطيها للسائل • وكانت الاجابات عادة غامضة بحيث يمكن تفسيرها تحت أى ظروف بحيث تبدو الكاهنة صادقة فى كل ما تقول • وكانت المشورات تتنوع من أسئلة شخصية الى أسئلة سياسية وعسكرية خاصة بالدول مثل اقامة المستوطنات أو اعلان الحروب •

ولقد كسبت دلفى مكانة عالية بين الاغريق وتمتع كهنتها بتبجيل ووقار وأحس الكهنة بمدى مسئوليتهم ولهذا كانوا غاية في الدبلوماسية عند إعطاء أى مشورة ربانية تتعلق بأمور سياسية . وكان لدلفى عيد يحج إليه الاغريق من كافة أنحاء العالم لأن دلفى كانت في نظرهم مركز العالم . وقيل أن زيوس كان يطلق نسرين من كل جانب من أطراف الأرض ليلتقيا فوق دلفى وعند « صرة » العالم (Omphalos).

كان مهرجان دلفى يقام كل أربعة سنوات ويبدأ بموكب دينى كبير يسير عبر الطريق المقدس ليصعد حتى معبد أبوللون . وينشد في هذا الموكب الترانيم المقدسة التى تبتهل الى أبوللون بالرجاء والثناء . كما كان يؤدي خلاله بعض المشاهد الدرامية لصراع أبوللون مع التين . ولما كان أبوللون رب الموسيقى والقيثار فكان المهرجان يشتمل على مباريات في العزف والموسيقى والانشاد والرقص تؤدي عادة في المسرح الكبير . وبعد عام ٥٨٥ ق.م . بدأت دلفى تنافس أولمبيا في مجال الرياضة البدنية خاصة بعد بناء الاستاد الكبير .

وبازدياد أهميتها أصبحت دلفى مكتظة بالتمائيل المقامة لابوللون ولغيره من آلهة الاغريق تعبيرا عن التقوى من جانب الأفراد والدويلات ويقال أن في سنة ٦٧ ميلادية نقل الامبراطور الرومانى نيرون خمسمائة من أجمل التماثيل من دلفى الى روما ، وبالرغم من هذا يحدثنا الأديب بلينيوس الذى زار دلفى بعد بضع سنوات من نهب نيرون للمدينة بأنه شاهد مالا يقل عن ثلاثة آلاف تمثال مقامة في دلفى .

لقد تدهورت أهمية دلفى عندما وقعت بلاد اليونان فريسة في براثن الاستعمار الرومانى ولم يعد يتردد عليها سوى عدد قليل من الناس هم من بقوا على عقيدتهم القديمة . ولما حاول الامبراطور الرومانى يوليانوس عام ٣٦٠ ميلادية إعادة العقيدة الوثنية بالرغم من انتشار المسيحية في بلاد اليونان وايطاليا أرسل رسالة الى دلفى يطالب شعبها بأحياء عبادة أبوللون وحيات نبوءة الوداع التى ترجمها لنا أندرو لانج والتى تقول في عبارات مؤثرة « قولوا للملك أن المعبد الجميل قد شطر الى نصفين ولم يعد

لابوللون لاسقف يظل معبده ولا قدس أقداس يأويه لقد تكسرت  
أشجار الغار المقدسة وضاعت وأصبحت هشيما وضاع جمال الماء الذى  
كان يكاد أن ينطق عندما يتفجر من ينبوع دلفى « (١) » .

هكذا اختفت دلفى بعد أن لعبت دورا حيويا فى نهضة جديدة لليونان  
بفعل التجمع الكبير الذى كان يفد الى المدينة المقدسة كل عيد فتصبح  
ملتقى الاغريق من كل حذب وصوب ، وكأنهم يعقدون مؤتمرا عالميا  
لدورتهم حيث تحدث العلاقات والصفقات وتتبادل الخبرة والمعرفة وهم  
يحسون بأنهم أمة واحدة بالرغم من الاندثار والتفكك السياسى الذى  
فرضه عليهم نظام دويلات المدن المستقلة . كما يجب ألا تنسى الدور الذى  
لعبه كهنة معبد الآله أبوللون عندما كان يبعث اليهم بالمشورة قبل ارسال  
جماعة لاستيطان مكان معين أو اقامة مدينة فيه . وكان يتوجب موافقة  
الkehنة ومباركة المكان . كما لعبت دلفى دورا سياسيا سوف يأتى  
الحديث عنه فى حينه .

#### الالعاب الأولمبية وأثرها على نمو روح القومية الهلينية :

يجد الدارسون للتاريخ والحضارة الاغريقية ( الهلينية ) فى ظاهرة  
المهرجانات الرياضية الأولمبية بما تشمله من مهرجانات ثقافية ومؤتمرات  
سياسية ظاهرة بديله لفشل وجود عنصر الدولة المتحدة التى تربط بين  
كل الاغريق وذلك لأن هذه المهرجانات التى كانت مفتوحة أمام كل  
الاغريق كانت تربط بين عواطفهم وأفكارهم وعلاقاتهم الفردية والجماعية،  
خاصة أن الدافع الأول لهذه المهرجانات كان دينيا فى المقام الأول والاشترك  
فى مبارياتها كان كظاهرة الحج تماما ولهذا كان للدورات الرياضية  
قدسية ملزمة . اذ كانت تفرض على الاغريق المتحاربين وقف القتال  
ونسيان الخلاف احتراما لهذه المهرجانات حتى وان كانت الأطراف  
المتقاتلة فى أحلك وأعنف مراحل العداوة والبغضاء .

cf. Andrew Lang : The last Oracle from Delphi, London (1887).

(١)



كان للأغريق أربع مهرجانات كبرى أطلق عليها نظرا لروعتها وشمولها واستيعابها لأرقى المستويات الرياضية (Pan-Hellenic) أى « لكل الأغريق وهذه المهرجانات هى :

١ - الدورة الأولمبية (Olympian games) نسبة الى مدينة أولمبيا المقدسة .

٢ - الدورة الإثمية نسبة الى خليج كورثا (Isthmos).

٣ - الدورة البيثية Pythian games فى مدينة دلفى المقدسة .

٤ - الدورة النيمية Nemean games نسبة الى مدينة نيميا المقدسة.

وكان يفصل ما بين كل دورة ودورة أربعة أعوام بحيث يكون فى كل عام مهرجان يذهب اليه الناس ولتناول كل مهرجان على حدة .

#### اولا (١) الدورة الأولمبية :

كانت تقوم أساسا احتفاء وتكريما لرب الأرباب زيوس Zeus فى قرية أولمبيا Olympia الواقعة فى أقصى الجانب الغربى من شبه جزيرة البيلوبونيسوس . وكانت أولمبيا جزءا من الاقليم الذى تسيطر عليه مدينة بيسا (Pisa). وكان المهرجان يقام فى بقعة مقدسة عند ملتقى نهري كلاديوس Cladeus والفايوس (Alphaeus) . وكان ينازع مدينة بيسا على أحقية الاشراف على المهرجان الأولمبى مدينة صغيرة أخرى هى مدينة ايليس (Elis) بل أن الأخيرة تمكنت فى بعض الأحيان انتزاع هذا الحق من المدينة الأولى مما أشعل حربا مقدسة بين الأغريق .

لما كانت هذه الألعاب تستمد قداستها من عبادة زيوس فقد اتفق الاغريق على اعتبار فترة بدء المهرجان أياما حرما (eccheira) أى لايجوز فيها القتال أو الحروب وكانت الرسل تخرج من القرية الأولمبية لتعلن بداية الهدنة المقدسة . وذلك لتمكين الرياضين ووفود الحجاج من السفر

يرا وبحرا دون أن يتعرض لهم أحد أو يمسهم بسوء ويتلو الاعلان عن بدء المهرجان تدفق جنوع الرياضيين والحجاج والخطباء والشعراء وغيرهم من طالبي الشهرة الواسعة أو المصلحة السياسية وسرعان ما تتحول هذه القرية المقدسة الى مدينة تعج بالزوار وتكتظ بالأكواخ والخيام وتسمع في أزقتها الضيقة كافة لهجات اللغة الأغريقية ولكناتها . وقد ظل هذا المهرجان عوض الأغريق عن فشل الوحدة السياسية بينهم ابان مجدبلادهم حتى بعد تدهورها وسقوطها بين يرائن الاستعمار الرومانى والى أن ظهرت المسيحية كديانة رافضة لكل مظاهر الوثنية فأعلن الامبراطور ثيودسيوس Theodosius تحريمها عام ٣٩٤ ميلادية .

كان المهرجان الأولمبى عادة يقام كل أربع سنوات فى القمر الثانى أو الثالث من فصل الصيف أى ما بين شهرى يوليو وأغسطس ، ويوليو هو بداية السنة الاغريقية وأغسطس هو نهايتها . وقد قبل المؤرخون الاغريق فيما بعد التاريخ الذى وضعه تيمايوس Timaeus وهو ٧٧٦ ق . م كتاريخ لأول دورة أولمبية . ولقد استخدم المؤرخون الاغريق هذا التاريخ لتاريخ أعمالهم فيقولون وقع هذا الحدث فى المهرجان رقم كذا . وبذلك أمكن وضع نظام دقيق لتاريخ حوادثهم .

كان المهرجان الأولمبى يستغرق عادة خمسة أيام زيدت ابان العصر الكلاسيكى الى سبعة . تجرى فيها الألعاب الرياضية فى الملاعب المقامة حول المنطقة الحرام . وكان المهرجان ينقسم الى جزئين رئيسيين هما :

#### ( ١ ) الطقوس والشعائر الدينية :

وفىها يقيم المشتركون فى المباريات وذويهم وممثلو الوفود صلوات الشكر وتقديم الأضاحى بأسمهم وباسم الدولة المضيغة . كما كانوا يؤدون قسما أمام محراب الآله زيوس « حامى العهود » وفوقه خنزير مذبح وكان القسم يحتوى على صيغة يتعهد فيها المشترك بأنه قضى فترة كافية للتدريب لاتقل عن عشرة أشهر وأنه لم يرتكب أى فعل أو سلوك مناف لقواعد الرياضة والشرف والأخلاق أما القاصرون فكان

أولياء أمورهم يقسمون نيابة عنهم • كما كان يقام في مدينة ايليس معسكر اعداد لتدريب الذين يشتركون لأول مرة في هذه المباريات ولتعويدهم على السلوك والروح الرياضية •

#### (ب) المباريات :

بعد أداء القسم ينفخ في الأبواق ويصيح المنادون ببداية الألعاب ثم يجرى استعراض شامل لكافة المتسابقين في الاستاد العام (Stadion) حيث ينادى على اسم كل مشترك والمدينة التي يمثلها وكان أصل المباريات هو سباق الجرى ولكن في عام ٧٠٨ ق. م أدخلت مباريات الألعاب الخمسة (Pentathlon) وهي تشمل الوثب العالي ورمى القرص ورمى الرمح والمصارعة ثم الملاكمة وفي عام ٦٨٠ ق. م أدخل سباق العربات التي تجرها الخيول وصمم المهندسون الاغريق لهذه اللعبة ملعب سباق الخيل hippodrome الذي ما زال قائما في المعمار الحديث حتى الآن • كما أدخلت مباريات سباق الخيول • وفي عام ٥٢٠ ق. م أدخلت المبارزة كلعبة أساسية •

وكان يشترط لدخول المباريات أن يكون الرياضي رجلا بالغاً ولم يسمح باشتراك الصبيان ما دون الرجال الا بعد عام ٦٣٢ ق. م بشرط أن يتعهد أولياء أمورهم بأنهم اغريق أحرار ذوى سيرة حسنة وسلوك نظيف • وأنهم ينتمون الى مدينة اغريقية • وقد حرمت اللوائح اشتراك الأجانب فيها • ويذكر لنا هيروdotus حادثة طريفة وهي أن أهل مدينة ايليس المشرفة على الألعاب الأولمبية أرسلوا وفدا الى مصر ابان عصر الملك بسماتيخوس لسماع وجهة نظر المصريين في تعديل الألعاب الأولمبية فطالب المصريون باشتراكهم في هذه الألعاب ولكن أهل ايليس ردوا على ذلك باعلان أحقية كل الاغريق في الاشتراك في هذه المباريات لأنها تتعلق بالديانة الهلينية وردوا على اقتراح المصريين بأنه ليس من العدل أن تحرم هذه الألعاب على بعض الاغريق بينما يسمح للمصريين بالاشتراك فيها (١) كذلك فقد حرمت اللوائح اشراك العبيد في هذه المباريات ولكن

(L) Herodotus, II, 106, cf. F. Gardiner, op. cit., p. 37..

سمحت لهم بحضورها بقصد التفرج عليها بعد استئذان السلطات •  
أما النساء فقد حُرمت اللوائح الدينية عليهن دخول المحراب المقدس  
وبالتالى حضور ومشاهدة المباريات ولم يستثن من النساء سوى كاهنة  
معبد الربة ديميترا •

وكان يقوم بالتحكيم لجنة مختارة من القضاة بلغ عددهم اثنا عشرة  
وكان أعضاء لجنة التحكيم يتميزون بعصاةاتهم الأرجوانية وبأكاليل  
أغصان الزيتون التى تتوج هاماتهم كما كان يخصص لهم مقاعد أمامية  
تطل على الاستاد مباشرة • وكان مهمة لجنة التحكيم الأساسية هى  
الإشراف على المهرجان وتطبيق القانون والنظام ومنع أى أفعال قديئودى  
إلى قيام الفوضى والاضطرابات وقبل هذا وذاك التحكيم بين المتبارين  
دون تحيز •

وإذا ثبت لدى قضاة التحكيم أن لاعبا قد فاز بوسائل الغش أو  
الخداع أو خالف القوانين واللوائح فانه يعتبر خاسرا ويحرم من الاشتراك  
مدى الحياة فى المباريات الأولمبية بالإضافة الى غرامة مالية كبيرة يدفعها  
للمشرفين الماليين لمعبد الاله زيوس •

كانت المباريات تجرى على أنغام المزامير تشجيعا للمتنافسين حتى يتم  
تصفيات المشتركين لتنتهى المباراة بالفائز الأول ويجوز الفوز بانسحاب  
المتبارين ثم يعلن عن الفائز النهائى وعن اسم المدينة التى جاء منها وسط  
التهليل والموسيقى • هكذا كان الحال طوال الأيام الخمسة وفى اليوم  
الأخير يتم توزيع الجوائز فى حفل كبير يشهده جموع النظارة والوفود  
إلى يستقبلون الفائزين بالهتاف والتصفيق ويلقبونهم بأبطال المباريات  
الأولمبية (Olympianikoi) ثم ينادى على كل فائز فيتقدم لتسلم جائزته  
وهى أكلیل متواضع من شجرة الزيتون المقدسة • ثم يختتم المهرجان  
بحفل كبير يقدم فيه الفائزون الأضاحى والقرايين فوق مذبح زيوس وقد  
وضعوا فوق رؤسهم الأكاليل ثم يتلو ذلك وليمة كبرى تقام على شرفهم  
فى قصر الرئاسة (Prytaneum).

وعندما يعود الفائز الى مدينته يخرج الناس عن بكرة أبيهم لاستقباله لأنه رفع رأسهم وكرامتهم بين باقى المدن ، وكان البطل يدخل المدينة وهو ملبتف بعبائته الأرجوانية تحيط به جموع الناس وهم يرقصون وينشدون الأناشيد التى كان كبار الشعراء من أمثال بندار ينظمونها خصيصا لهذه المناسبة .

ثم يتوجه الراكب بعد ذلك الى معبد المدينة الكبير حيث يخلع البطل أكلیل الزيتون من فوق رأسه ويقدمه قربانا لهذا الاله ثم يذهب بعد ذلك لتسلم جائزته من سلطات المدينة وكانت عادة مبلغا ماليا كبيرا الى جانب عدة امتيازات شرفية أخرى كالجلوس فى المقاعد الأمامية فى المسارح والمباريات وفى مدينة أسبرطة كان يسمح للبطل الأولمبى بشرف القتال بجوار الملك فى الحرب .

#### ثانيا : الدورة البيئية فى دلفى Pythian games (١) :

وهى تلى الألعاب الأولمبية فى الأهمية وكانت تقام فى مدينة دلفى Delphi موطن الاله أبوللون رب الشباب والرياضة والموسيقى والشعر والعرافة . ويقال أنها بدأت بعد عام ٥٨٦ ق . م بعد الحروب الدينية الطاحنة وقد نشأ هذا المهرجان أساسا من الاحتفالات الدينية التى كانت تقام لأبوللون حيث يتبارى الشعراء والمشدون فى مديح الاله على أنغام القيثارة . وبعد انشاء المجمع الامفكتيونى المقدس عدل هذا المهرجان فأصبح يشمل مباريات رياضية مثل المباريات الأولمبية تماما الى جانب مباريات الموسيقى والغناء والشعر . وقد أخذ المهرجان اسمه من أسطورة تتحدث عن الصراع بين أبوللون والتنين المسمى بيثون Python رمز الشر وهو يعادل الاله ست عند المصريين القدماء . وانتصار أبوللون على رمز الشر وقتله بوابل من سهامه . وكان هذا المهرجان يقام كل أربعة سنوات فى شهر بوكاتئوس Bucatius ( شهر أغسطس تقريبا ) . من

---

(١) ربما سميت بذلك الاسم نسبة الى لفظ بيثو Python وهو اسم قديم لمعبد أبوللون لأن أبوللون صرع تنينا ضخما كان يسكن تلك المنطقة يسمى بيثون وأصبحت كاهنته تعرف باسم بيثيا « اى البيئية » .

السنة الاغريقية • وكان يتبع نفس الاجراءات الذى كان تتبع فى المهرجان الأولمبى الذى سبق الحديث عنه • الا أن لجنة التحكيم كانت تنتخب من أعضاء المجمع الأمفكتيونى المقدس • وكانت الجائزة اكليل بسيط من شجرة الفار وهى الشجرة المقدسة عند أبى اللون يؤتى بها من وادى تمبى الشهير فى أقصى اقليم تساليا ، وكان يشارك فى هذا المهرجان جموع غفيرة من الاغريق تذهب بقصد انتهاز الفرصة وطلب العرافة من كاهنته الشهيرة Pythia ويعتقد العلماء أن هذا المهرجان قد توقف بعد عام ٣٦٤ ميلادية •

#### ثالثا : المهرجانات الاسمية (Isthmian games) :

وكان يقوم على شرف اله البحر بوسيدون Poseidon فى ساحته الشهيرة عند خليج كورنثا (isthmos) • وكانت مدينة كورنثا تشرف على هذا المهرجان ولكنها كانت تعطى مدينة أثينا منزلة خاصة فى ادارته • أما مواعده فكان نهاية فصل الربيع ( بين أبريل ومايو ) كل أربعة أعوام وقد اتبع فى اجرائه نفس الخطوات فى المهرجانات السابقة الذكر • ويرى لنا المؤرخ الاغريقى توكوديديس أن الحروب البيلوبونيزية اضطرت للتوقف عام ٤١٣ احتراما لهذا المهرجان المقدس بالرغم من أن الحرب كانت فى أشد مراحلها وكان ترتيب المهرجانات الاسمية يلى الدورة الأولمبية مباشرة من ناحية الترتيب الزمنى • وكانت الجائزة التى توزع على الفائزين هو اكليل من شجرة البلوط •

#### رابعا : المهرجانات النيمية :

وكانت تقام فى سهل نيميا الذى يشرف عليه مدينة كليوناى احدى مدن اقليم أرجوس حيث يوجد غابة مقدسة يتوسطها معبد صغير لزيوس • وكان هذا المهرجان فى الأصل ألعابا جنازية Funeral games كان تقام على شرف صبي روت الأساطير أنه قتل ابان حملة السبعة ضد طيبة • ثم طورت بعد عام ٥٠٥ ق. م • لتصبح على نمط المهرجان

الأولمبي • وكان الفائز يعطى اكليلا من شجرة الصفصاف التى تكثر فى هذه المنطقة وكان لها قداستها عند زيوس •

تعليق على أهمية المهرجانات الرياضية فى تطور الحضارة والعلاقات بين المدن الاغريقية :

هكذا يتضح أنه لا يمر عام حتى كان الاغريق (١) يحتفلون بمهرجان رياضى وكان رياضيو الدويلات الاغريقية يتعطشون للفوز فيها طمعا فى التكریم المعنوى والمادى والذى قد يصل الى مرتبة القداسة فى بعض الأحيان حيث تقام للفائز التماثيل وتنظم فى سيرته الأشعار • مثل الرياضى الأسطورى ثياجنيس بطل جزيرة ثاسوس Thasos والذى نسبت بنوته الى الآله أبوللون نفسه •

لقد ساعدت ظاهرة التجمع سنويا عملية الاتصال والتفاعل الحضارى بل أن هذه المهرجانات أخذت شكلا وأهمية خاصة كوسيلة من وسائل الاعلام والاتصال بل ونشر الدعاية وتعريف الناس بموضوعات معينة ولهذا حرص الأدباء والشعراء الناشئون على حضورها أملا فى الحصول على الشهرة بين كل الدويلات الاغريقية • كما أن جموع النظارة كانت تتحمل مشقة السفر لا من أجل مشاهدة أبطالهم الرياضيين فحسب ، بل لمشاهدة مشاهير رجالات الفكر والفن والسياسة والأدب • فمثلا نسمع أن الخطيبين الشهيرين لوسياس وايسوقراط استعرضا بلاغتهما الخطابية فى هذه المهرجانات • كما أن هناك أدلة واضحة على أن بعض مشاهير الرجال الاغريق من أمثال الجنرال ثمستوكليس والفيلسوف أفلاطون قد زارا القرية الأولمبية ويقول لوكيان أن هيرودوت قرأ على الناس باكورة مؤلفاته فى التاريخ ابان المهرجان الأولمبي • كما يروى الكاتب الرحالة باوسانياس أنه شاهد فى القرية الأولمبية تمثالا بروثريا للفيلسوف السقسطائى جورجياس ( وموطنه الأصلى مدينة ليونتيني (Leontini) فى صقلية أقيم تكريما له لا متاعة الناس ابان المهرجان ببلاغته ومقدرته على الجدل •

---

(١) انظر : د . سيد احمد على الناصرى : الالعب الاولمبية القديمة مجلة الجمعية التاريخية - المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤ ص ٣٠ وما بعدها •

كانت تجميعات الاغريق من كل حذب وصوب ولايام عديدة كثيرا ما تؤدي الى المصاهرات والمعاملات والتآلف بعد أن يتناسوا الخلافات الفتاكة بين مدنيهم . ولقد كانت هذه الجماهير المتحابة المتآلفة تجسيدا للقومية الهلينية بكل صورها وقد نشر الخطيب ايسوقراط - نبي الوحدة الاغريقية - خطبة سياسية بمناسبة العيد المئوي للألعاب الأولمبية وضح فيه أهمية هذه المهرجانات يقول فيها « يتوجب علينا أن نشج على هؤلاء الذين أوجدوا لنا هذه المهرجانات ( أو أعياد الشئاء كما سماها وخلصوا لنا هذا التراث فيفضلهم أصبحنا نجتمع في (Paneg' ric)

مكان واحد بعد أن نعلن هدفه وتتوقف عن القتال وتتنوا الصلوات ونقدم الأضاحي للآلهة ونحن نحس في نفوسنا أننا من أصل واحد . هناك يحسن كل منا معاملة الآخر من أجل المستقبل ونعيد ممارسة عاداتنا المضيافة القديمة بل ونكون علاقات جديدة . وليست هذه اللقاءات مضيعة للوقت لا لجماهير النظارة ولا لشخص الرياضى ذاته ، فهذا الأخير يستعرض أمام الاغريق المجتمعين مواهبه الطبيعية أما الجمهور فيجد لذة وسرورا في مشاهدة هذه المواهب وليس هناك ما يهدد بأن أحدا المتسابقين سوف يضيق ذرعا بمنافسة لأن كل فريق سوف يجد ما يرضى كبرياؤه ( الرياضية ) عندما يشاهده الجمهور وهو يبذل أقصى طاقته لادخال السرور عليه وعندما يدرك الرياضيون أن كل هذه الجموع المجمعدة قد جاءت لمشاهدته والتعبير عن اعجابها له (١) .

حقا لقد كانت جوائز المتسابقين بسيطة ولكنها كانت حلم كل رياضى أن يتوج منتصرا كالآلهة أمام جماهير غفيرة ممثلة لكل بلاد اليونان وفي مجراب رب الأرباب وبحضور كبار رجال السياسة والفن والأدب .

لقد كانت كل أسرة اغريقية تفتخر بانتصارات أبنائها في المباريات الرياضية ويحدثنا الأديب والسياسى الرومانى الشهير شيشيرون (Cicero) بأن رياضيا من جزيرة رودس اسمه دياجوراس Diagoras قد اشتهر بفوزه في كل مباريات الملاكمة لدرجة أن الشاعر بندار نظم له شعرا



يتعني بانتصاراته ابان الدورة الأولمبية ، ويستطرد شيشيرون فيروي أن هذا الملاك طال به العمر حتى سمع بفوز أحد أحفاده في مباريات الملاكمة في أولمبيا . وذات يوم دخل عليه رجل من منطقة لا كونيا ليهنئه على فوز حفيديه قائلاً « تستطيع الآن أن تموت يادياجوراس وأنت مرتاح البال لأنك لن تبتهج بهجة ربانية أخرى مثل هذه البهجة » (١) .

والواضح أن شيشيرون أراد أن يعنى أن هذا الرجل ( الذى هو من منطقة لاكونيا الشهيرة بحب رجالها في التعبير بما قل ودل ) أراد أن يحذر الشيخ الرياضى من حقد الآلهة وغيرها منه اذا ما عاش فترة أطول ليشاهد انتصارات أخرى يحرزها أبنائه وأحفاده في المهرجانات الأولمبية .

#### قيام وسقوط الحكم الارستقراطى ( من منتصف اسر منتصف القرن السابع ق م ) :

في عهد ملوكهم تمكن الاغريق من غزو شواطئ آسيا ا - - والجزر المتاخمة له وتمكنوا من اقامة نظام دويلات المدن (Polis) الفريد في نوعه . فقد أوجد هذا النظام - رغم عيوبه - نوعا من الوعي السياسى و اشرف الجماعة على مصالح المدينة . ومن ثم وجد ملك المدينة (Basileus) نفسه تحت رقابة شعبية . بل وأصبح لا يخلو موقفه من النقد والحساب ولم يعد الملك كما لقبه هوميروس « راعى شعبه » بل أصبح تحت رحمة رضاء شعبه وبالذات الأغنياء الارستقراطيين منهم . وشهد القرن الثامن ق م تدهور نظام الملكيات المستبدة وقيام الجمهوريات التى يحكمها الارستقراطيون وانتشرت هذه الثورة الصامتة في كل أنحاء بلاد اليونان لقد حددت سلطات الملوك وقلمت أظافرهم وتحول « الملك » الى « موظف كبير » ليس فى يده كل السلطات مثلما كان الحال فى أسبرطة . فمثلا ترك للملك السلطة الدينية ومنصب كبير القضاة دون أن يحتكر لا القضاء ولا الشئون الدينية لنفسه .

وعلى أى حال نسمع بعد سقوط الملوك عن أسماء أسر استقراطية

حكمت بعض المدن الاغريقية مثل أسرة آل باخياس Bacciads في كورثا وبالتالي فان هذا الحكم الجديد لم يكن جمهوريا بمعنى الكلمة بل كان أوليجارخيا « فقد كان الأرستقراطيون في هذه الفترة عضد الدولة وعصبها فهم كانوا يولدون ليحكموا بظروف المولد والتعليم والاعداد والحق يقال كان حكم الأرستقراطية الأوليجارخية أكثر كفاءة وقدرة في ادارة شئون الدولة من النظام الملكي . ولهذا فقد كان عهدهم عهد ازدهار في العمران والفنون والتجارة والصناعة . فهم الذين أنشأوا المدن والمستوطنات فيما وراء البحار نشر سلطان دويلاتهم السياسى . ولهذا فهم الطاقة الديناميكية وراء حركة الاستيطان والانتشار الكبرى . الى جانب ذلك فان الأرستقراطيين هم الذين وضعوا أسس الدولة وشروط الوظائف ومدة صلاحيتها وتوزيع السلطة وتحديدها حسب كل وظيفة . لقد وضع الأرستقراطيون أساس التشريع والقانون الثابت عن طريق تقنين العرف والتقاليد ولم يعد مصير الانسان رهنا بمزاج الحاكم أو القاضى . بل أصبح القاضى والحاكم مقيدين بقواعد شرعية يحكمان على أساسها . ومن ثم أدى حكم الأرستقراطيين الى ظهور طبقة من المشرعين والقانونيين الذين مهد لهم الارستقراطيون الطريق .

لقد كان الانتقال من الحكم الملكى الانفرادى الى حكم الصفوة الارستقراطية تدريجيا ، فقد سلبت سلطات الملك العسكرية والادارية والقضائية حتى أصبح موظفا كبيرا محسود السلطة ولمدة معينة ، وأصبحت السلطة الفعلية في يد الارستقراطيين . وعلى أى حال لم يكن حكم الأرستقراطيين حكما اقطاعيا احتكاريا لمصادر الدولة بل كان في التزام الأول يقوم على احتكار الحكم والسياسة لهذه الطبقة المميزة والمستنيرة بحكم النسب والمولد . والتي كان أفرادها يشغلون مكانه متميزة في البناء الاجتماعى والدينى في المدن الاغريقية بل ومنهم خرج المشرعون وواضعو النظم والقوانين .

واذا كنا لا نعرف على وجه الدقة كيف كان هؤلاء الارستقراطيون يسيرون دفة الأمور في مدنها الا أن لدينا دلائل واضحة في الأدب الاغريقى عن فشل هذا النظام . فمثلا سجل لنا الشاعر الملحمى التعليمى

هسيودوس ( في أوائل القرن الثامن ق. م ) شكواه وسخطه لظلم  
الأرستقراطيين في تسبير شئون العدالة في بلدته اسكرا Askra الواقعة  
على سفح جبل الهليكون Hellicon في اقليم بوءتبا عندما كتب  
ملحمته الخالدة الأيام والأعمال (Erga kai hemeral).

ولقد شهدت الفترة ما بين أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع  
قبل الميلاد ثورة وتغير في الفكر والحضارة الاغريقية وبدأت ملامح  
حضارة المرحلة اعتيقة (Archaic period) والتي وصلت  
قمتها في حوالي عام ٦٥٠ ق. م . لقد أصبحت أشعار هوميروس المنعزلة  
عن دنيا الواقع شيئاً قديماً وتراثاً من الماضي يروى البطولة ومعجزات  
مشاهير الرجال والالهة . وظهر نوع جديد من الشعر يتغنى بنعمة ذاتية  
حديثة ومبتكرة ويعبر عن مشاعر الناس ويركز اهتمامه في الحاضر  
ويتخصص في الحياة بحلوها ومرها هذا الشعر الذي سماه المتخصصون  
بالشعر الغنائي (Lyrics) لاختلافه عن الشعر الملحمي في صيغة  
الموضوعات بل في الأوزان والقوافي ، ويحوى قصائد حب وغزل وحزن  
ورثاء وأناشيد حرب وهجاء وأغاني الزفاف ونواح الجناز ، كان بمثابة  
كسر للجمود والعزلة القديمة .

لقد جاء هذا التغير في الذوق الأدبي ضمن تغير شامل في الفكر  
والحضارة وكنتيجة للثورة في صناعة السفن والتوسع في الكشوفات  
الجغرافية التي شملت فترة من ٧٥٠ ق. م - ٦٥٠ ق. م حيث اكتشف  
الاغريق أو اعادوا اكتشاف الاتصال بالشرق الأوسط ومصر وآسيا  
الصغرى ووصلت تجارتهم الى البحر الأسود وجنوب ايطاليا وصقلية .  
وكان الانفتاح على الشرق مهبط الحضارة بداية تغير شامل في الفن  
والفكر الاغريقي سماها الأثريون باسم عصر التشرق Orientalizing Period  
خاصة في فن الرسم ومن الجدير بالذكر أن كورثا المدينة البحرية الأولى  
كان رائدة هذه الثورة الفكرية .

ومن أعلام شعراء هذه الفترة الشاعرة سافو Sappho شاعرة

جزيرة لسبوس الأولى وزميلها الكايوس (Alcaeus) ، وثيوجنيس Theogenis اللذان استكرا سلوك الحكم الارستقراطي في بلادهم ابان القرن السابع ، وكان هذا نذير بتدهور الحكم الارستقراطي وتجمع سحب الصراع منبئة بتغير ثورى وعنيف .

#### الفينيقيون ودورهم في تنمية الحضارة الهلينية :

سبق أن ذكرنا كيف أن أهل كريت والموكينيين كانوا قوة بحرية عظيمة في شرق البحر المتوسط . وقد مكنهم هذا الاتصال بحضارات الشرق الأوسط ومصر وتقل بذخها وفنونها الى بلاد اليونان خاصة في قصور الملوك والأمراء .

ولما سقطت الحضارة الموكينية تحت وطأة غزو الدوريين فقدت بلاد اليونان السيطرة على شرق البحر المتوسط وورث الفينيقيون السيطرة البحرية وملأوا الفراغ الذى تركه الموكينيون ابان القرنين العاشر والتاسع .

كان الفينيقيون يعيشون على امتداد الساحل السورى وهو ساحل ضيق تحده الجبال من الشرق ولما كان الفينيقيون محصورين بين الجبل والبحر فقد اضطروا الى استغلال الظروف وأصبحوا دولة بحرية وتجارية من الطراز الأول .

ويتسمى الفينيقيون الى العصر السامى (١) الذى يشمل العرب والعبرانيين والآشوريين والآراميين والكنعانيين ) ويتحدثون لغة ليست بعيدة كل البعد عن اللغة العبرية والعربية القديمة والآرامية ) . وكان الاغريق أول من سموا سكان الساحل السورى بالفينيقيين (Phoenikes) واللفظ يعنى فى اللغة اليونانية بالاراجوانيين أى الشديدي الحمرة ويقال أن هذا اللفظ اشتق من طبيعة بلادهم التى اشتهرت بالاصباغ خاصة الحمراء منها . وقد صورهم الآثار المصرية كقوم ذوى أنوف معقوفة ( أو أرمينية ) .

ومن أشهر المدن الفينيقية التي قادت الحركة البحرية والتجارية بين شرق البحر المتوسط وغربه مدينتا صور (Tyre) وصيدا (Sidon) . لقد أقامت هاتان المدينتان محطات تجارية لهما في جزيرة قبرص ورودوس وكوس وغيرها من جزر بحر إيجه كما يقال أن الفينيقيين وصلوا الى مناجم الذهب في جزيرة سيفنوس Siphnos وثاسوس Thasos ومناجم الفضة في شمال أتيكا . كذلك من المرجح أن يكون التجار الفينيقيون قد كونوا لهم جاليات في المدن البحرية الهامة مثل كورثا وأثينا وطيبه . ومن الغريب أن الاغريق تسالموا مع الفينيقيين لحاجتهم اليهم فكانت السفن الفينيقية تغزو وتروح من وإلى بحر إيجه حاملة البضائع المختلفة وعلى مدى قرنين من الزمان نقل الفينيقيون أشياء أخرى غير المواد التجارية مثل الأفكار الحضارية والدين . وقد سبق أن أشرنا الى مدى القرابة بين الربة عشتار السورية الفينيقية والربة أفروديت ربه الجمال مثلا . وظل الفينيقيون مسيطرين على البحار وخدمهم حتى بدأ الاغريق يستردون عرش أجدادهم الموكيين في السيطرة على البحار وذلك منذ نهاية القرن الثامن قبل الميلاد . بل بدأوا في انشاء محطة تجارية لهم على الساحل السوري في أوغاريت أو رأس شامرة ومحطة أخرى عند مصب نهر العاص تعرف الآن بـالمينا وربما كانت فديما تعرف باسم بوسيدونيا Poseidonia

هكذا أصبح الساحل السوري نقطة حياة وحركة منذ منتصف الألف الثاني حتى أوائل الألف الأول ق.م . وحيث ازدهرت مدنه مثل بيلوس ( بيت جبيل ) وأرادوس وأوغاريت (١) وقد كشفت الحفائر الأثرية عن مواد كثيرة أعطت صورة حية للمدى الذي وصلت اليه الحضارة ولكن يبدو أن حضارة الفينيقيين لاقت صعوبات قصرت من عمرها بسبب وقوعهم في شرك الصراع بين مصر والحيثيين ، كذلك بين الكنعانيين ( الفلسطينيين القدماء ) وبين الغزاة العبرانيين . كما لاقت الحضارة

(١) انظر انيس فريجه ( مترجم ) ، لبنان في التاريخ منذ اقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر - تأليف فيليب حتى ، بيروت وزارة الثقافة ١٩٥٩ .

الفينيقية دمارا من جراء البراكين والزلازل التي عصفت بآسيا الصغرى وهضبة أرمينيا ابان نهاية الألف الثانى ق. م.

لقد عرف الفينيقيون الحضارة الكريتية والموكينية وتشربوا بها بل وساعدوا على تلقيحها بالحضارات الشرقية كما أنهم أقاموا مستعمرات هامة لعبت فيما بعد دورا سياسيا هاما فى علاقات البحر المتوسط . ومن هذه المستعمرات الشهيرة أوتيكا فى تونس ثم فى حوالى عام ٨٢٤ ق. م أسسوا مستوطنة أخرى مجاورة للأولى سموها بقرطاجنة (Carthago) (١) . قدر لها أن تلعب دورا هاما خاصة بعد تدهور المدن الفينيقية الأم وسقوطها فى حوزة الإمبراطورية الآشورية ثم الفارسية .

ان نقطة الضعف فى الحضارة الفينيقية هى انعدام عامل الوحدة السياسية الذى هو جوهر الدولة . فكانت فينيقيا تبدو كما لو كانت دولة يجمعها اتحاد مدن تجارية . فلم يكونوا مثل المصريين الذين جمعتهم وحدة سياسية وحكومة مركزية منذ عام ٣١٨٠ ق. م ولما حاول الملك حيرام ملك صور توحيد المدن المتناثرة مع الولايات المجاورة له . والتي كانت لها علاقات تجارية ببلاده وذلك ابان القرن العاشر ق . م وقف الأراميون ( السوريون ) بالمرصاد ضد هذه الوحدة . فشلت كما فشلت الوحدة التى أقامها الفينيقيون من قبل مع الدويلات السورية وتحطمت على يد تحتمس الثالث بعد معركة ماجيدو الشهيرة فى القرن الخامس عشر ق. م.

#### الفينيقيون والأبجدية اليونانية :

ان أثمن مساهم به الفينيقيون فى الحضارة الانسانية هو ابتكار أبجدية مبسطة لتسجيل الصوتيات التى ينطقون بها الكلمات . ومن المعروف أن الفينيقيين أخذوا فكرة الأبجدية عن السومريين والذين كانت طريقتهم تعرف باسم الكتابة المسارية (Cuneiform) وجعلوا من مقاطع المسارية حروفا ويفترض العلماء أن هذا التطور حدث فى أوغاريت

---

(١) هذا هو التاريخ التقليدى اما الاثريون فيقدرون تاريخ تأسيس قرطاجه ما بين ٦٧٣ - ٦٦٣ ق. م .

ابان القرن الرابع عشرق • م • بعد ذلك قامت مدينة بيلوس باختصار هذه الأبجدية الجديدة لتصبح اثنين وعشرين حرفا بدلا من ثلاثين وهى الحروف الأساسية التى تقوم عليها الأبجدية الفينيقية • وهناك من يعزو الفضل أساساً الى المصريين القدماء باعتبارهم أول من اخترع فن الكتابة ويجادلون بأن هناك تأثير واضح من جانب اللغة المصرية على الحروف الفينيقية ولكن هذا لا يزال محل جدال •

لقد أحدث ابتكار أبجدية محددة ثورة فى الحضارة • لأن ذلك أدى الى تبسيط القراءة والكتابة ونشرها بين الناس وازدياد عدد المتعلمين مما خلق نشاطاً ثقافياً دفع الحضارة دفعا الى الامام •

ولم يكن هذا التأثير وقفا على الفينيقين وحدهم بل تعداهم الى غيرهم وخاصة الاغريق؛ حيث يذكر هيرودوت ذلك صراحة (Herodot, V. 56) ومن العدل أن نشير الى حقيقة هامة وهى أن كانت هناك أمم الاغريق عدة كتابات شرقية قديمة مثل الهيروغليفية والمسمارية بل وطريقة الكتابة المقطعية التى ورثوها عن أجدادهم الموكيينين : ولكن هذه الكتابات كانت معقدة وصعبة وأشبه بالطلاسم وفضلوا عليها جميعاً الطريقة الفينيقية ذات الاثنين والعشرين حرفا ليسجل بها كل الصوتيات التى ينطق بها كلمات اللغة اليونانية وكما يحدث عادة فى تاريخ الحضارة فقد نقل الاغريقى فى أول الأمر الأبجدية الفينيقية بكاملها ثم راح يعدل فيها ليجعلها تتناسب وحنجرتة • بل وعقليته • فمثلا أسقط فيما بعد الحروف التى لا تستطيع حنجرتة نطقها مثل الصاد والواو وأضاف الى الأبجدية الفينيقية التى تتكون أساسا من حروف ساكنة (Consonants) عددا من الحروف المتحركة (Vowels) ولكى يكون أمينا ظل يسي هذه الأبجدية بعد تطويرها بالفينيقية Ta Phoinicia أو بالأبجدية الفينيقية Phoinicia grammata

وتقترح الأستاذ ل (١) \* ه جيفرى (L.H. Jeffery) في رسالة الدكتوراه التي خصصتها لبحث تاريخ الأبجدية اليونانية في مراحل الاقتباس والتكوين أنه لا يستبعد أن يكون الاقتباس من فعل عالم اغريقى مجهول كان يلم باللغة الفينيقية وأبجديتها واقترحت الباحثة عدة أماكن لنشأة هذه الاقتباس منها كريت أو رودس أو جزيرة يوبويا حيث كانت هناك علاقات مباشرة بين الاغريق والفينيقيين \* ولكنها عادت فأثرت أن يكون هذا المكان هو مستوطنة بوسيدونيا Poseidonia التي أقامها الاغريق عند مصب نهر العاصى في الأراضى السورية والتي تعرف الآن باسم المينا (Al Mina) وترجح أن يكون ذلك قد تم بعد منتصف القرن الثامن ق م \* (٢)

ومن الطريف أن الكتابات والنقوش الاغريقية المبكرة قلدت الكتابة الفينيقية في اتجاه الخط فكانت تكتب من اليمين الى اليسار (retrograde) ثم تطورت لتأخذ شكلا جديداً وهو الاتجاه المتعرج مثل خطوط المحراث Boustrophedon ( أى من اليمين الى اليسار ثم يبدأ السطر الثانى من اليسار الى اليمين وهلم جراً ) \* وأخيراً وصلوا الى المرحلة العادية

(١) cf. L.H. Jeffery : The local Scripts of Archaic Greece :  
A study of the Origin of the Greek Alphabet and its development from the Eighth to the Fifth Centuries B. C. Oxford, The Clarendon Press. 1961, pp. 11-12; p 16 and p. 21.

(٢)  
R.M. Cook and A.G. Woodhead, «The diffusion of Greek Alphabet, A.J.A, 63 (1959) p. 175-178 ; 13. Einarson,» Notes on the Development of Greek Alphabet, CP, 62 (1967).

أما جوزيف نافيه المتخصص في النقوش السامية فيعرض رأياً جديداً وغريباً في تطور الحروف الأبجدية الاغريقية من الأصل الفينيقى ويقترح ان العملية استغرقت وقتاً طويلاً بدأ منذ أواخر القرن الثانى عشر أو فى مطلع القرن الحادى عشر ق م وان ذلك تم فى أرض على معرفة بالكتابة السامية واللغة الاغريقية وان النتائج لم تظهر قبل نهاية القرن التاسع ق م. ويقترح ان الاغريق تعلموا فكرة الكتابة من التجار الكنعانيين الذين كانوا يترددون على جزر بحر ايجه مثل كريت أو ثيرا ومنها انتشرت الى باقى اجزاء بلاد اليونان وبدأوا فى تطويرها فمثلاً « الواو » الفينيقية تحولت الى اليوبسيلون ، والكاف الى الكابا انظر :

Joseph Naveh : Some Semitic Epigraphical Considerations on the Antiquity of Greek Alphabet, A.J.A, 77 (1973) p 1-8.



وهى من اليسار الى اليمين \* ومن حسن الحظ أن عثر فى مصر على أقدم نقش يسجل توصل الاغريق الى الكتابة من اليسار الى اليمين وذلك فى خمسة سطور تجرى من اليسار الى اليمين سجلها كاتبان أغريقيان من الجنود المرتزقة فى بداية القرن السادس ق.م. يتحدثان لهجة دورية \* وربما من مواليد مصر وكانا ضمن فرقة اصطحبها الملك المصرى بساماتيخوس الثانى Psammaticus ( ٥٩٤ - ٥٨٩ ق.م ) فى حملته ضد أثيوبيا ( بلاد النوبة ) التى يتحدث عنها هيرودوت ( الكتاب الثانى - ١٦٢ ) التى سارت من جزيرة اثنتين جنوب أسوان حتى الشلال الثانى \* وقد سجل الكاتبان عبارات مقتضبة عن الرحلة جنوب الشلال ذيلها بتوقيعاتهم وزملائهم فى شكل خضر بسيط (Graffiti) سجلوه على قدم أحد تماثيل رمسيس الثانى التى تقف عند واجهة معبد أبو سنبل العظيم (١) وليس هذا النقش هاما فى تحديد تاريخ لظهور الكتابة المستقرة فى بلاد اليونان بل يلقى الضوء على الجاليات الاغريقية فى مصر ابان عصر الأسرة الصاوية مايزيد على قرنين ونصف قبل غزو الاسكندر لهذا البلد الأمين \*

هكذا أدى التوسع والافتتاح المشترك بين الاغريق من ناحية وبين غيرهم من شعوب الشرق الأوسط الى تكوين الملامح المحددة للعقلية وللتفكير الاغريقى والذى أصبح ملازما لهم منذ بداية ازدهار حضارتهم حتى أقولها \* لقد بدأ الخيال الاغريقى يتقمص الحقائق والفكر العلمى المنطقى كما تتقمص الروح الجسد \* وأصبح الاغريقى ينشد الجمال والحكمة معا \* وما الفن فى مفهومه سوى أحد أشكال الحكمة. كما كان يمتلك المفكر والفنان الاغريقى احساس شديد بالحق المطلق مما جعلهم يفرقون بدقة بين ماهو مثالى وبين ماهو واقعى وأن يعطوا لكل حقه \* ان نظرة فاحصة مثلا للعمارة الاغريقية بما تحتويه من توازن هندسى و « سيمترية » رياضية تحدد وظيفة كل جزء بدقة تبين مدى الصدق

cf. L.H. Jeffery, op. cit pp. 354-355, also p. 358  
Plate 69 no. 48.

(١)

والصراحة اللذان يتسم بها العقل الاغريقي ، فهو ميروس عندما يتحدث عن هيلينا فهو يعنى هيلينا بينما يختلف هذا الوضع عندما يتحدث فرجيل الرومانى فى انيادته عن بطلة أنياس فقد يعنى الامبراطور أغسطس سيده ومولاه ، أو عندما يتحدث فرجيل فى الانيادة عن الملكة الشريرة ديدو فقد يعنى الملكة المصرية كليوبترا همزاً ولزاً (١) .

ان هناك صفات مشتركة تميز كل جوانب الفكر الاغريقى سواء فى التاريخ أو السياسة أو أدب الشعر والمسرح أو حتى الفكر العلمى المنطقى . وقد يحدد ذلك ملاحظات الفلاسفة الأيونيين التى ترى أن لاشئ يستقر على حال بل لابد من التنوع . لأن التغير دائم وأبدى . وهو يسير على هدى قانون منطقى . وأن هذا التوالد المنطقى للأشياء هو الذى يخلق الحضارة ان الاغريق يبصيرتهم الصافية ونظرهم الثاقب وعقليتهم الواضحة المحددة هم الذين رسموا لنا بكل دقة وحرص تعريفات العلوم المختلفة وحقائق المعرفة والتى عليها يقوم العلم والفكر الحديث .

---

(١) انظر تراث العالم القديم - الجزء الأول - تأليف و . ج دى بورج  
ترجمة زكى سوس ومراجعة د . صقر خفاجه سلسلة الالف كتاب - رقم  
٥٥٧ . ١٤٥ - ١٤٦ .

## الفصل الخامس

### عصر الانتشار والاستيطان

لقد رأينا كيف أن حركة البعث والأحياء ثم قيام دويلات المدن المستقلة في شبه الجزيرة اليونانية وفي جزر بحر ايجه وعلى ساحل آسيا الصغرى ادى الى تحقيق الوعي القومى للأغريق كأمة واحدة مميزة عن غيرها من شعوب الشرق الأوسط الأجانب (Barbaroi) أمة لها تراث فكرى ودينى وأخلاقى وسلوكى مشترك قام بفضل الألياذه الاودسا وبفضل اشعار هسيودوس التعليمية الأخلاقية . ولقد دعم هذا التراث الحضارى الاغريقى بمرور الزمن وأصبح وجودا يفرض نفسه على عوامل الاتصال الجغرافى والبحرى وعلى اللهجات المحلية للغة اليونانية بل وعلى العبادات المحلية والاقليمية وقد رأينا كيف لعبت مدينة دلفى المقدسة دوراً أساسيا فى وحدة هذا التراث كما جعلت الدورات والمهرجانات الرياضية هذا التراث حقيقة يمارسها الأغريق فى لقاءاتهم السنوية والذي لا شك فيه لعبت الاسر الارستقراطية الدور الاكبر فى هذا الدعم بين دويلات المدن لما كان بينها من مصاهرات ومعاملات حققت اللقاء والتزابط.

وبفضل ذلك أصبحت الحضارة الاغريقية قوة طاردة وديناميكية وراحت تبحث عن مناطق للانتشار فى ربوع العالم المسكون (Oikoumene) وجدير بالذكر أن الانتشار والاستيطان كانا صفة أساسية للحضارة الاغريقية لان ذلك هو الذى اعطاها الروح العالية وميزها عن الحضارة المصرية القديمة أو حضارات الشرق القديم التى فضلت أن تبقى داخل مواطنها ومن أجل مواطنيها . ولهذا فحركة الانتشار والاستيطان ترجع منذ أيام الحضارة الموكينية وظلت قائمة حتى العصر الهلينستى والرومانى

لكن المؤرخين يرون أن فترة الاستيطان المبكرة لساحل أيونيا كانت ذات صفة خاصة وذلك لان نظام المدينة الدولية (Polis) صاحبة فلسفة الاستيطان الذي ساد في الفترة من بين منتصف القرن الثامن وحتى منتصف القرن الخامس ق.م لم يكن قد ظهر واكتفى ، كما أن استيطان أيونيا كان ارغاما وليس خيارا (١) أمام الغزو الدوري لأنه كان عفويا وتلقائيا ويختلف عن الاستيطان المنظم . أما الاستيطان الذي حدث ابان العصر الهلينيستي فقد وضعه المؤرخون جانبا لانه برغم الثراء في المصادر نتيجة لتكدس النقوش والوثائق في العصر الهلينيستي الا أن العلاقة بين دويله المدينة Polis وبين المستوطنة (Oikeia) كان قد تغير نتيجة التغير الذي طرأ على «البوليس» ذاتها بعد عصر الاسكندر وهذا التغير يخرج مثل هذا الاستيطان من المفهوم السياسى والكلاسيكى والفكرى للحركة (٢) . وعلى هذا فقد استقر رأى المتخصصين على تخصيص الفترة ما بين ٧٥٠ - ٥٥٠ ق.م للعصر الذى نسميه بحركة الانتشار والاستيطان .

#### اسباب ودوافع هذه الحركة :

يرجح البعض أن هذه الحركة جاءت كنتيجة حتمية لتدهور امبراطوريات الشرق القديم وبالذات تدهور السيطرة الفينيقية على

---

(١) يرى . ج . م كوك أن الحضارة الاغريقية ولدت في أيونيا أى بفضل هذه المستوطنات حيث خلقت الغربة والشتات الاحساس بالحاجة الى القومية حفاظا على الوجود الحضارى فى مواجهة الشرقيين انظر :

J. M. Cook ; «The Greeks in Ionia and the East, London 1962.

كما قام بوردمان بدراسة الانتشار الاغريقى على ضوء الوثائق الاثرية

انظر :

J. Boardman,» The Greeks Overseas, Penguin edition 1964.

A.J. Graham, Colony and Mother-City in Ancient Greece, Manchester,(٢)

University Press, 1964, p. 2 p. 25 ff., also cf..

V. Ehrenberg ; From Solon to Socrates - Greek History and Civilization during the Sixth and Fifth Centuries B.C., Methuen and Company, London 1967 p. 13 ff.

مياه شرق البحر المتوسط والتي كانت تعد من نشاط الاغريق وكانت الامبراطورية الاشورية خاصة ابان الفترة التي يشار اليها بالأسرة الرابعة ( ٩٣٤ - ٧٤٥ ق م ) قد قضت على القوة السياسية للشعوب الآرامية في سوريا وفلسطين وفينيقيا وباسقاط هذه القوة أصبح هناك فراغ كبير في المنطقة ولم يعد ينافس الاغريق كقوة بحرية أحد سوى قرطاجه تلك المستوطنة التي أنشأتها صور (Tyre) على ساحل أفريقيا . حتى مصر التي كانت قوة كبيرة لها كيائها في المنطقة أصبحت في ذلك الوقت تعاني انهياراً مستمراً أفقدها نفوذها وقيادتها . أما في آسيا الصغرى فلم يكن هناك سوى دولتا فريجيا وليديا ، وقد دمرت القبائل الكبيرة القادمة من مناطق الأستبس فريجيا . وبقيت ليديا وهي دولة شرقية ولكن أقامت جسوراً من الصداقة والتعاون مع الاغريق . أما الفرس فلم يكونوا قد نهضوا كقوة ذات نفوذ في مياه البحر المتوسط . وخلاصة القول وضعت الظروف السياسية أمام الاغريق فرصة نادرة للانتشار ، فالبحر المتوسط مفتوح أمامهم بلا عوائق ولا معارض وعندما زحفت الامبراطورية الفارسية نحو البحر الأبيض ابان القرن السادس ق م . كان الاستيطان الاغريقي قد ثبت أقدامه وأصبحت المستوطنات الاغريقية قوة واقعة وحقيقية وقادرة على الدفاع عن نفسها وعلى استعداد لاثارة الغرب الاغريقي للدفاع عنها .

لقد أدى تكس دويلات المدن في المساحات الضيقة وتمسك كل منها باستقلالها كقوة مستقلة ذات سيادة الى الاحتكاك وقيام المنازعات بسبب الحدود أو المصالح والتنافس على السيطرة التجارية فيما بينها من أجل فرض نفوذها على أكبر رقعة من العالم المسكون . وقد ساعد على ذلك تزايد عدد السكان بدرجة لا تتناسب مع المساحة الزراعية ومن ثم دفعت مشكلة « البحث عن الغذاء » (١) السكان الى الهجرة

(١) راجع مقاله :

J. Gwynn, Journal of Hellenic Studies, 38 (1918) :

Graham op. at p. 25.

بينما يرى جراهام أن الدوافع كانت تجارية ولكن العلماء يردون بأن المستوطنات كانت مستقلة اقتصادياً عن المدن الأم .

ومن ثم كان الانتشار تنفيذا حتميا. للضائقة الاقتصادية والغذائية للسكان. وقد ساعد البحر وقيام الأساطيل الصغيرة للمدن على هذا الانتشار. ولما كان وضع المواطن الاغريقي السياسى والاجتماعى مرتبطا بما يملك من أرض زراعية ابان تلك الفترة فقد أدى ذلك الى انتشار السخط من السكان الفقراء وكثيرا ما أدى اليأس السياسى للطبقات المعدمة الى ترك الوطن والبحث عن وطن جديد يحققون فيه ذاتهم ، بل ان الصراع الاجتماعى دفع الطبقات المندحرة الى الهجرة ولهذا نجد أن بعض المستوطنات دخلت فى صراع سياسى واجتماعى مع المدينة الأم التى أنشأها كما حدث بين كورثا ومستوطنتها كوركيرا حيث جر هذا الصراع مدن الاغريق كلها فى حرب شاملة هى الحروب البيلوبونيسية . كما وجد المواطنون المثقلون بالديون فى الهجرة منفذا للهرب تخلصا من أعبائهم المالية وبداية لمرحلة جديدة من الحرية بدلا من البقاء تحت نير « عبودية الدين » اذ لم يكن هناك تشريع ينظم العلاقة بين الدائن والمدين فى تلك المرحلة وكان من الممكن أن يتحول العاجز عن سداد دينه الى « عبد » يتصرف فيه الدائن كما يشاء سواء بالبيع أو الحبس بل تعدى ذلك الى أولاد المدين وأسرته .

غير أن حركة الانتشار والاستيطان لم تكن وقفا على الباحثين عن الطعام من المعدمين أو أولئك الهاربين من الديون وفقد حريتهم بل شملت بعضا من النبلاء الذين حرموا بحق قانون الارث الاغريقى الذى يورث الضياع الى أكبر الأبناء فقط (Primogeniture) حفاظا على حجم الملكية . ومن ثم وجد الأبناء الآخرون أنفسهم مضطرين للبحث عن ضياع جديدة فى أرض جديدة .

أيضا يجب الا نفعل عشق الاغريقى للمغامرات وركوب المخاطر والجري وراء الثروة لارضاء الطموح والغرور خاصة الشباب منهم كعامل له وزنه فى تشجيع الهجرة الى بلاد غريبة وبعيدة كما أن غريزة حب الاستطلاع والفضولية كاتنا عاملا مؤثرا للهجرة .

وبالرغم من هذا كله يبقى العامل الأساسي وهو الثورة البحرية والتجارية الكبرى نتيجة للتطور في فن صناعة السفن ذات الطوايق العديدة من المجدفين خاصة السفن ذات الثلاثة طوايق من المجدفين (triremes) أو ذوات الخمسين مجدافا (Pentakosia) وبذلك لم يعد الأبحار مرهونا بهبوب رياح معينة في مواسم معينة مثلما كان الحال أيام الشاعر هسيودوس بل أن سرعة السفن تضاعفت ، كما ساعدت الكشوفات الجغرافية لأسرار البحر المتوسط والتي نرى بدايتها في مغامرات أوديسيوس أبان عودته الى وطنه في جزيرة ايثاكا - على ركوب البحر حيث أصبح الانتقال سهلا وميسرا وبالتالي فتحت مناطق جديدة للتجارة وكان القمح عاملا أساسيا لأن كثير من الدويلات الاغريقية كانت تعتمد عليه في غذائها الأساسي فقد كانت التجارة حتمية اقتصادية للدويلات الاغريقية بعكس دول الشرق الأوسط التي كانت مكتفية ذاتيا من الناحية الاقتصادية (Self sufficient) ومن ثم لم تعبأ بالتجارة بل كانت مصدرة أكثر منها مستوردة وكانت تجارتها تقتصر على الرفاهيات وليس الضروريات بعكس الاغريق تماما .

#### شعائر واجراءات المستوطنة : -

كان لانشاء المستوطنة خطوات معروفة ومدروسة وتقاليد معينة وشعائر دينية . تبدأ باختيار مؤسس أو قائد (oikistes) وهو مواطن من المدينة الأم (Metropolis) يقود عددا من مواطنيها أو ممن يريدون الانضمام اليه من المدن الأخرى . ومن الملاحظ أن قيادة المستوطنات كانت عادة في أيدي الارستقراطيين بينما جمهور المستوطنين كانوا من كافة طبقات المجتمع . وكانت المستوطنة تختار المكان لشروط خاصة مثل ثراء المنطقة وغناها كوقوعها في سهل غني أو عند منفذ تجارى أو على رأس ميناء هام وكثيرا ما كانت المستوطنات تجمع بين الميزتين : السهل والميناء . إذ من الملاحظ أن جميع المستوطنات الاغريقية تحتل المنافذ البحرية الهامة المطلة على البحار أو عند التقاء نهر داخلي بصب عند بحر خارجي للاتان بالتجارة من الداخل وتصديرها الى الخارج . ويقول

هيرودوت (١) أنه كان يتحتم استشارة كهنة الإله أبوللون في دلفي قبل اختيار المكان وليس من المستبعد أن كهنة دلفي كانوا على علم دقيق بالمناطق الاستراتيجية ذات الأهمية التجارية والتي لم تكن قد استوطنت بعد (٢) ولهذا كان أبوللون أكثر الآلهة ارتباطاً بالمستوطنات الاغريقية وكثيراً ما اتخذته المستوطنات كمؤسس (oikist) اسطورى لها . وبالتالي كان قادة الاستيطان يصبحون زعماء في المستوطنات الجديدة وبعد موتهم يتحولون الى أبطال يعبدون فيها ويدفنون في أضرحة للعبادة في قلب السوق العامة . واذا حدث خلاف بين المستوطنات كان كهنة دلفي يقومون بدور المحكمين والقضاة . ويقول ثوكوديديس اذ حاولت مستوطنة انشاء مستوطنة فرعية منها كان يستوجب عليها استدعاء قائد مستوطنة من المدينة الأم (٣) .

وفي العادة كان المهاجرون يلتقون قبل الهجرة ويؤدون قسماً يؤكد التزامهم بعهود الوفاء للمدينة الأم واذا حاد أحدهم عنها تنزل عليه اللعنة وقد عثرنا على القسم الذى أخذه أهل ثيرا على أنفسهم عندما أسسوا مستوطنة قوريني Cyrene في ليبيا (٤) ثم يتفق المهاجرون على صيغ الدساتير والقوانين التى سوف يختارونها لمدينتهم الجديدة وكثيراً ما كانت تؤخذ من دساتير المدينة الأم وعادة كان زعيم المستوطنة ينتخب زعيماً سياسياً وقبل الهجرة كان يشترط أن يشعل المهاجرون شعلة من موقد المدينة الأم لحملها معهم يشعلون بها موقد مدينتهم الجديدة كرمز للارتباط النفسى والروحى بين المستوطنة (oikeia) والمدينة الأم (Metropolis) . وجدير بالذكر فى عصر الطغاة الاغريق انتشر انشاء المستوطنات رغبة من هؤلاء الطغاة فى التوسع والسيطرة ونشر نفوذهم

Herodatus, XI, 42, 2.

(١)

J. Park and Wormell, «A. History of the Delphic oracle, I, p. 71 (٢)

Graham op. cit. p. 25.

Thucydides I, 24, 2.

(٣)

(٤) يرجع هذا النقش الى القرن الرابع ولكنه كان صورة طبق الأصل

للقسم القديم انظر : -

S.E.G., IX, 3.



وكثيرا ما قاد أبناء الطغاة أنفسهم المستوطنين ، حيث تظل المستوطنة جزءا من ممتلكات الطاغى حتى سقوطه أو موته . وفى الغالب كانت المستوطنة تابعة عنصريا للمدينة الأم المؤسسة ، فالدوريون يؤسسون مستوطنات دورية والأيونيون يؤسسون مستوطنات أيونية الخ . بالرغم من أن المستوطنة كانت تعتبر دويلة ذات سيادة ومستقلة عن المدن الأم (١) .

لقد كان فكرة انشاء المدن ظاهرة عامة فى تاريخ الاغريق نشأت فى أيونيا وانتقلت الى بلاد اليونان . وقد رأينا كيف كانت المدينة دويلة مستقلة ذات سيادة برغم ضيق مساحتها التى كانت لا تزيد فى أكثر الأحيان عن ٤٠٠ ميل مربع ولم يزد عن هذه المساحة سوى أثينا واسبرطة وذلك لظروف خاصة . وكالمدينة الأم كان السوق العامة (agora) هو أهم ملامح المستوطنة ثم تتكسد الشوارع والأحياء حول موقد هستيا المقدس فى قلب المدينة ثم بضرب سور حول المدينة . وخارج هذا السور يقع الاطار الريفى الذى يمد المدينة بحاجتها من الغذاء الزراعى والحيوانى وقد وصف أرسطو ريف المدينة الزراعى بأنه « الجوهر الخيوى للمدينة » (٢) وبداخل المدينة تقوم المرافق الأساسية التى تؤكد شخصيتها (٣) كان مجتمع المواطنين (Polity) هو دولة المواطنين والدليل على ذلك أن أسماء المدن كان ينسب الى المواطنين وليس العكس فأثينا تسمى مدينة الأثينين وبلاتيا تسمى مدينة البلاتيين وهلم جرا .

وقد سارت المستوطنات على هذا النظام . وكان شعب المدينة يلتقى دينيا تحت عبادة رب أو ربة معينة ويحرص على التمسك بفكرة الحرية - العدالة (eunomia) المستمدة من صفات هذا الاله . وكان هذا المجتمع الصغير يفرض على أعضائه سلوكا معيناً وأفكارا معينة يتعلمها أفرادهم من تلقاء أنفسهم . وكانت العلاقات الاجتماعية والاحتفالات فى

J. Siebert, Metropolis und Apoikie (wuerzburg) 1963, p. 15 ff. (١)

(٢) كتاب السياسة ١٢٦٠ (ب) .

(٣) عن المرافق الأساسية للمدينة الدولة أنظر :

R. E. Wycherley, «How The Greeks built Cities, 2nd edition Mac Millan and Company, London 1962.

المناسبات العامة صفة أساسية للمدينة • وفي البداية كانت حقوق المواطنة مقصورة على النبلاء ثم توسعت دائرتها لتشمل المواطنين الأحرار ولكن بقيت النساء والأجانب والعبيد خارج المجتمع • وجدير بالذكر أن الاغريق عاملوا العبيد بنظرة أكثر انسانية من الرومان ولم يكن ملكية العبد دليل على الغنى بل ظاهرة نفسية ، اذ أحيانا كان مالك العبد يعمل بنفسه مع عبيده في الحقول (١) وفي كثير من الأحيان برز العبيد الى انصاف الأمامية في الدولة وتمتعوا بحقوق قانونية •

أما بالنسبة لعلاقة المستوطنين الاغريق بسكان المناطق الأصلية • فقد دفعوا بهم الى الداخل بينما احتلوا هم الشواطئ وفي البداية استخدموا معهم القوة ولكن بمرور الزمن حققوا تعايشا سلميا معهم لأن الاغريق المهاجرين كانوا يجرضون على انعاش السكان الأصليين اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا واشراكهم في الرخاء المشترك ، بل حدث تزاوج بينهم ، ويكفي أن نشير الى أن هيرودت جاء نتيجة لزواج امرأة أسيوية من كارييا بـرجل اغريقي في هاليكارناسوس • والأذن وبعد أن تعرضنا لظاهرة الاستيطان وظروفه لنحاول رصد المناطق التي نشأت فيها هذه المستوطنات.

#### أولا : آسيا الصغرى :

لما كان الشرق الأوسط تحت سيطرة دولة قوية هي آشور فقد ابتعد الاغريق عنه ولم يؤسسوا فيه سوى مستوطنة واحدة هي بوسيدونيا (١) Poseidonia على نهر العاصي ومكانها الآن مدينة المينا (Almina) في شمال سوريا والتي منها يعتقد العلماء أن فكرة الكتابة انتقلت من الفينيقيين الى الاغريق • ويقترح العلماء أن هذه المستوطنة انشأت حوالي عام ٨٠٠ ق م وعلى يد مستوطنين من جزيرة يوبويا Euboea وساهم فيها اغريق جزيرة قبرص •

cf. Finley : The Ancient Economy, London 1974.

(١)

(٢) لا يزال الخلاف قائما حول اسم المستوطنة التي كانت قائمة

مكان « المينا » انظر :

Wolff, J.H.S., (1938), also Boadman; op. cit,

لكن يكاد أن يكون الاتفاق الآن قائما على تسميتها ببوسيدونيا •

### ثانيا : صقلية وجنوب ايطاليا :

ساعد عدم وجود عوائق جبلية في جنوب ايطاليا وصقلية الاغريق على الأبحار اليها منذ زمن قديم ، فقد عثر الأثريون على أواني فخارية في كل من صقلية وسهل اتروريا ترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد (١) . ولما كانت منطقة جنوب ايطاليا وصقلية تواجه بلاد الاغريق فقد كانت منطقة هامة للتنفيث عن التكديس السكاني في الوطن الأم . وقد تزعم سكان مدينة خالكيس Chalkis الواقعة في جزيرة يوبويا Euboea في شرق ساحل أتيكا - حركة الهجرة والاستيطان في جنوب ايطاليا وذلك عندما أسسوا مستوطنة كوماي Cumae على مسافة بضع مئات من جنوب روما وسهل اتروريا . ويقال أن الفضل يرجع الى هذه المستوطنة في توصيل طريقة الكتابة بالحروف الفينيقية بعد أن اقتبسها الاغريق الى كل من الاتروسكيين والرومان . وقد توسعت كوماي ، وازدهرت لدرجة أنها قامت بإنشاء مستوطنة لها هي نيابوليس (neapolis) والتي تعرف الآن باسم نابولي والواقعة على الخليج الذي يعرف باسمها كذلك أنشأت خالكيس عدد من المستوطنات في صقلية أهمها مستوطنة كاتانا Catana قرب منتصف الساحل الشرقي لصقلية .

### سيراكوزة :

أما كورثا فقد قدر لها أن تؤسس سيراكوزة Syracusae في الجزء الأدنى من ساحل صقلية الشرقي وهي أكبر المستوطنات في جنوب صقلية والتي أصبحت في القرن الرابع ق.م. عاصمة للمدن الاغريقية المتحدة في صقلية . ويقول ثوكوديديس أنها أسست حوالي عام ٧٣٤ ق.م. (٢) . وسرعان ما أصبحت من أكثر مدن جنوب ايطاليا ازدهارا لكثرة خيراتها الزراعية وصادراتها التجارية فقامت بإنشاء مستوطنة متفرعة عنها هي كامارينا Camarina على الساحل الجنوبي الغربي لصقلية .

(1) cf. Dunbabin : The Western Greeks, Oxford 1948 ; AG. Wood head. The Greeks in the West, London 1962.

(2) Thucydides, 6, 3.

وقد حكم سيراكوزة عند بداية تأسيسها حكومة أوليجارخية  
أرستقراطية من ملاك الأراضي عرفوا باسم (gamoroi) انتزعوا  
الأراضي من سكان صقلية الأصليين وحوارهم الى طبقة من المستعبدین  
(Kyllyrioi) مما شجع على قيام الثورة الاجتماعية حوالى عام ٤٨٥  
حيث اتخذ فقراء الاغريق وسكان صقلية الأصليون معا وطرّدوا الطبقة  
الأرستقراطية الحاكمة .

وقد استعان هؤلاء الثوار بزعيم هو جيلون Gelon ساعدهم على طرد  
هؤلاء الاقطاعيين ونصب نفسه طاغية على سيراكوزة حوالى عام ٤٩١  
ق.م. بعد أن تنازل عن حكم مدينته الأصلية جيلا Gela لشقيقه  
هيرون Hieron . وفى عهد جيلون بلغت سيراكوزة أوج عظمتها  
وازدهارها وأصبحت تملك أكبر أسطول بحرى بين الاغريق جميعا .  
ولما زحف كسيركسيس على بلاد اليونان فى حملته المشهورة اضطرت  
أثينا واسبرطه أن يطلبوا من جيلون المعونة الحربية ولكنه اشترط أن يعين  
قائدا عاما لأسطول كل الاغريق فى الحرب ضد الفرس ولما لم يجاب الى  
طلبه انسحب بأسطوله عائدا الى صقلية حيث وجد خطرا جديدا يمثّل  
الخطر الذى كان يهدد بلاد اليونان ذاتها اذ فتح القرطاجيون جبهة جديدة  
عندما غزى الملك هاميلكار صقلية بجيش كبير ولكن جيلون وحليفه  
ثيرون Theron طاغية مدينة اكراجاس Acragas تمكنوا من  
هزيمته قرب هيميرا Himera وذلك فى عام ٤٨٠ ق.م وأنقذت  
صقلية كلها من خطر القرطاجيين وأصبح جيلون بطلا قوميا وقائدا على  
كل المدن الاغريقية فى صقلية . بل وكسب شهرة كحاكم شعبى محبوب  
ومثالى حتى موته عام ٤٧٨ ق.م . ويرجع الفضل فى توسيع رقعة  
سيراكوزا الى جيلون اذ أنه شجع سكان المدن الاغريقية الأخرى الى  
الهجرة الى سيراكوزا حيث أقام أحياء جديدة لتستوعب السكان  
الجدد . وأصبحت سيراكوزة أكبر مدينة فى غرب البحر المتوسط ،  
ولا ينافسها فى ذلك سوى قرطاجة .

وبعد موت جيلون حكم هيرون الأول Hieron الذي مد نفوذه الى جنوب ايطاليا وجعل من صقلية عاصمة للثقافة والفنون الاغريقية تنافس أثينا نفسها • وأصبحت لسيراكوزة امبراطورية • ولكن هذه الامبراطورية لم تستمر طويلا اذ أنها تدهورت بعد موت هيرون عام ٤٦٧ ق م • ودخلت الديموقراطية كنظام جديد وأصبح للمدينة مجلس شيوخ (Boule) ومجلس شعبي ومجلس تنفيذي ( مجلس الجنرالات ) وثقيب للعمامة • ورغم المصاعب التي واجهتها سيراكوزة خلال أيام الديموقراطية الأولى الا أنها نجحت في صد عدوان جيرانها ضد مدينة أكراجاس Acragas • وقد حاولت أثينا مرتين التدخل في شئون سيراكوزة ( ٤٢٧ - ٤٢٤ ، ٤١٥ - ٤١٣ ق م ) ولكن سيراكوزة نجحت في صد الآثينيين واعادتهم فاشلين • كما حاولت سيراكوزة بدورها التدخل في شئون بلاد الاغريق مما أدى الى طرد حاكم صقلية هيرموكراتيس Hermocrates والغاء مجلس الجنرالات والعودة الى النظام العتيق وهو نظام انتخاب آراخنة عن طريق القرعة •

ونظرا لتهديد القرطاجيين لسيراكوزة ابطلت طريقة الاقتراع وعادت البلاد الى نظام حكم الطغاة • ونصب ديونيسيوس Dionysius الأول طاغية أو قائدا منفردا بعد عام ٤٠٦ ق م ولكنه هزم على يد القرطاجيين وفقد تأييد الطبقات الغنية له بل وحاولت اسقاطه مما جعله يسرع بعقد هدنة مهينة مع القرطاجيين لبيدا في صراع مرير مع الأغنياء حيث أمم أراضيهم ووزعها على العبيد والمعدمين • وقام بعدة حملات ضد المدن الاغريقية في صقلية لاختضاعها له • وراح يستعد لطرد القرطاجيين ببناء الأسطول والتحصينات والقلاع حتى أصبح أقوى حاكم في صقلية بعد تعيين نفسه أرخونا عاما عليها • بل تطلع الى السيطرة على جنوب ايطاليا وأقام عددا من المستوطنات على ساحل الادرياتيک وساعد أسبرطة ضد أثينا وطيبة كما أقام علاقات مع مدينة روما الناشئة وقد عرف ديونيسيوس بأنه أديب ومؤلف وشاعر مسرحي وعرضت مسرحياته في أثينا وأولبيا وصقلية وكسب عنها جوائز في المهرجانات الأدبية •

ولما مات ديونيسيوس الأب تولى ابنه ديونيسيوس الابن الحكم في عام ٣٦٧ ق.م وهو في الثلاثين من عمره . وكان أول عمل قام به هو وقف الحرب مع القرطاجيين . وكان ديونيسيوس الثاني ضعيفا ، ولكنه كان شغوفا بالأدب والفكر والثقافة الاغريقية ، فقد كان شاعرا وفيلسوبا وأديبا . وكان دائما يدعو مشاهير الفلاسفة الى سيراكوزه وقد أعجب بأفلاطون بالذات فدعاه ليقم مدينته الفاضلة في سيراكوزه ويحاول أن يجعل منه الحاكم الأمثل الذي يتحدث عنه أفلاطون ولكن التجربة فشلت واضطر الى طرد أفلاطون ووزيره المؤرخ فيليستوس Philistus عام ٣٦٦ ق.م. ولكنه عاد ودعاه مرة أخرى في عام ٣٦١ ق.م وللمرة الثانية فشل أفلاطون واضطر للهرب عائدا الى أثينا عام ٣٦١ ق.م . وفي عام ٣٥٧ ق.م وقع انقلاب قادة ديون وكالليبوس Callippus وذهب ديونيسيوس الى المنفى وظل فيه حتى عام ٣٤٧ ق.م . وفي هذه الأثناء حاول تيموليون Timoleon أن ينقذ سيراكوزه من التدهور فجلب مستوطنين جدد الى صقلية ووضع أساس دستور ديموقراطي جديد وأكمل هذه الثورة الديموقراطية أجاثوكليس Agathocles وأصبح ارخونا منفردا عام ٣١٧ ق.م ثم تحول الى ملك ٣٠٤ ق.م وعند موته عام ٢٨٩ ق.م أسدل الستار على أعظم أيام سيراكوزه . لأن الحاكم الذي تولى من بعده وهو هيكتاس ( ٢٨٨ - ٢٧٨ ق.م ) كان ضعيفا فهزمه القرطاجيون وحاصروا سيراكوزه لولا طلبه النجدة من أبيروس حيث حضر الملك بيرهوس Pyrrhus من بلاد بلاد اليونان لنجدة سيراكوزه وانقاذها من القرطاجيين ونجح بيرهوس في فك الحصار . ولكنه فشل في إعادة سيراكوزه الى أيام مجدها الذي شهدته في عصر ديونيسيوس وأجاثوكليس . أما هيرون الثاني فقد أصبح عميلا للرومان ولما حاول خليفته هيروليموس Hieronymus ( ٢١٥ - ٢١٤ ق.م ) الخروج على هذه السياسة نشب صراع داخلي بين أنصار الرومان وأنصار القرطاجيين أدى الى تدخل الرومان وحصارهم لسيراكوزه . وقد حاول أهل سيراكوزه مقاومة الحصار الروماني وقد ساهم في هذه المقاومة العالم الرياضي ارثيميديس

Archimedes ولكن القائد الروماني ماركيللوس Marcellus دخلها عنوة بعد استسلامها في عام ٢١١ ق م وأصبحت سيراكوزة مقر الحاكم الروماني لولاية صقلية . وفي عام ٢١ ق م أرسل الإمبراطور أغسطس مستوطنين من الرومان اليها حيث أنشأ فيها مستعمرة رومانية . وظلت سيراكوزة تتضائل بسبب الاستغلال الروماني لصقلية حتى هاجمتها قبائل الفرنجة (Franks) عام ٢٨٠ ميلادية ونهبتها ودمرتها ، عندئذ بدأت المسيحية في الانتشار فيها . هذا هو تاريخ المستوطنة من القيام حتى التدهور .

ومن المستوطنات الأخرى الهامة مستوطنة ميجارا هوبلايا Megara التي أنشأتها مدينة ميجارا على الساحل الشرقي للجزيرة وذلك إبان نهاية القرن الثامن ق م ، كما قامت خالكيس بإنشاء مستوطنة زانكلي ( ميساننا ) Zancle في الركن الشمالي الشرقي من الجزيرة . وعند طرف كعب الحذاء الايطالي وفي مواجهة هذه المدينة أقامت خالكيس بإنشاء مستوطنة ريجيوم Rhegium على الأرض الايطالية وبذلك سيطرت على المضيق المائي الذي يفصل بين مياه إيطاليا وصقلية ويعرف بمضيق ميساننا .

ومن المستوطنات الاغريقية الهامة في صقلية مستوطنة هيميرا Himera على الساحل الشمالي لصقلية . كما أنشأ المهاجرون من كريت مستوطنة جيلا Gela على الساحل الجنوبي للجزيرة وقامت جيلا بدورها بإنشاء مستوطنة أكراغاس Acragas كما قامت مستوطنة ميجارا هوبلايا بإنشاء مستوطنة سيلينوس في غرب صقلية .

هكذا انتشرت المستوطنات الاغريقية في شتى أنحاء الجزيرة دون أي خطة محددة أو سياسة معينة ولكن حيثما اتفق . ولكن يجب أن نقول أن غرب صقلية بقي في أيدي الفينيقيين بينما الصقليون الأصليون محصورين في وسط الجزيرة . وانتشر الاغريق في جنوب وشمال وشرق الجزيرة .

ولقد كانت المستوطنات الاغريقية في جنوب إيطاليا وشمال صقلية مستوطنات مزدهرة وغنية لوقوعها في مناطق سهول بركانية ولسيطرتها

على المنافذ التجارية حتى أضحت منافساً كبيراً للقرطاجيين والفينيقيين .  
ولكن هذه المستوطنات نقلت معها الخلاف والشقاق من بلاد اليونان .

ولقد كان جنوب إيطاليا بالذات بسهولة الشاسعة مطعماً للمستوطنين  
الآغريق خاصة من سكان شمال اليلوبونيسوس الذين أقاموا فيها عدداً من  
المستوطنات منها سيباريس Sybaris (١) وكروتون Croton  
وميتابونتوم Metapontum . كما قامت أسبرطة بإنشاء تاراس Taras  
( أو تارتوم Tarentum ) وقامت لوكريس بإنشاء مستوطنة لوكري  
Locri . كما أقامت سيباريس بإنشاء مستوطنة بوسيدونيا (بايستوم) ،  
وبمرور الزمن ازدهرت المستوطنات المختلفة وأصبح جنوب إيطاليا  
يعج بالمدن الآغريقية لدرجة أن الرومان أطلقوا عليها اسم اليونان  
العظمى Magna Graecia . ومن الطريف أن الرومان اتصلوا  
بالآغريق وأطلقوا عليهم الاسم الذي عرفوا به وهو الآغريق Graeci

#### ثالثاً : جنوب أوروبا :

وبازدياد النشاط الاستيطاني بدأ الآغريق في استكشاف أوروبا خاصة  
أسبانيا ذات السهول الخصبة والمناجم الغنية بالفضة والقصدير فقام  
تجار فوكايا Phocaea بإنشاء ماسيليا Massilia ( ماسيليا الحالية )  
عند مصب نهر الرون وذلك حوالي عام ٦٠٠ ق.م والتي أصبحت  
قاعدة للنفوذ التجاري والحضاري للآغريق في شمال أوروبا ومنها  
خرجت مستوطنات إلى شبه جزيرة إيبيريا .

هكذا انتشرت المستوطنات الآغريقية في غرب أوروبا بسرعة  
وبسهولة وذلك لخلو هذه المنطقة من الشعوب ذات الحضارة القوية  
والنفوذ السياسي القادر على مقاومة الاستيطان الآغريقي بعكس الحال  
في الشرق الأوسط ولهذا السبب أيضاً انتشرت الحضارة الآغريقية في  
هذه المناطق بسرعة مذهلة وبدرجة تفوق الخيال وسرعان ما علم الآغريق  
شعوب أوروبا الغربية من أمثال الغالين والرومان والأتروسكيين .

---

(١) وقد ضرب المثل بشراء سيباريس ولا يزال التعبير الانجليزي Sybarite Wealth يعني الثراء الذي لا حد له .



وهذا أكبر قدر من المساهمة شارك فيه الاغريق من أجل تقدم شعوب  
القارة الأوروبية (١) .

#### رابعاً : شمال افريقيا ووادي النيل :

وابان القرن السابع اقترب اغريق ساحل أيونيا الى مناطق النفوذ  
في شمال افريقيا . وقام مواطنوا جزيرة ثيرا Thera بإنشاء مستوطنة  
قوريني Cyrene لتكون حصناً للحضارة الاغريقية في شمال افريقيا  
وكرأس جسر للنفوذ الاغريقي بين مصر وقرطاجه . كما قامت ميليتوس  
بدعم المحطة التجارية الاغريقية المقامة على الفرع الكانوبى للنيل  
 والمعروفة باسم نقراطيس Naucratis حيث تحولت الى مدينة أيونية بعد  
أن ازدهرت الأحياء الاغريقية حول الهيلينيون Hellenion الاغريقى  
وهو مجمع كل آلهة الاغريق . ولما كانت مدينتا قوريني ونقراطيس ذات  
تأثير خاص في تاريخ الحضارة الهلينية في شمال افريقيا ومصر فمن  
الواجب علينا أن نعالج كلا منهما بشئ من التفصيل .

قورينه أو قوريني ( شحات الحالية بمقاطعة برقه ) ، هى تلك  
المستوطنة الجميلة التى وصفها الشاعر بنى دار بأنها « حدائق الربة  
افروديت » . وقد أسس هذه المستوطنة مجموعة من مهاجرى جزيرة  
ثيرا ( وهى الآن جزيرة سانتورين الحالية ) بناءً على نصيحة من كهنة  
الآله أبوللون بأن يبحثوا لهم عن مستوطنة على ساحل أفريقيا الشمالى  
فى الغرب من حدود مصر . وذلك ابان القرن السابع ق.م . وبعد أن  
ذهبوا يؤسوا من الإقامة فيها فعادوا من حيث أتو بل وتجولوا فى البحر  
سنتين عدداً ثم اضطروا للعودة الى قوريني مرة أخرى وذلك فى عام  
٦٣١ ق.م حسبما تروى الأساطير .

(١) «In the west, the Greeks had nothing to learn but much to teach»  
Boardman, op. cit, p. 203.

كانت قوريني هي المستوطنة الأولى للاغريق في شمال أفريقيا (١) ، محصورة بين ساحل البحر المتوسط وحافة الصحراء الليبية . وتروى الأساطير اسم قوريني مشتق من اسم ينبوع ماء هناك اسمه كورى Cyre ، وتقول أسطورة أخرى أن قوريني كانت في الأصل حورية من حوريات البراري والأدغال وصديقة لربة الصيد ارتميس Artemis ، وكانت تعيش في أدغال جبل بليون المقدس Pelion وذات يوم رآها أبوللون تقاتل أسداً فأعجب بها وهام بها حباً ثم حملها الى ليبيا حيث تزوج بها وجعلها أميرة على المنطقة بل وأنجب منها ابناً اسمه أركستايوس Aristaeus أصبح ربا للمزارع والمراعى . وقالت أسطورة ثالثة أن أحد ملوك ليبيا القدماء قطع على نفسه عهداً بأن يهب مملكته لمن يقتل أحد الأسود التي كانت تزعج السكان وتفتك بالماشية فلما فعلت قوريني ربة الأدغال ذلك وهب لها عرشه . على أى حال أقام المستوطنسون الدوريون من قوريني ربةً حامية على البلاد جنبا الى جنب مع أبوللون رب الاستيطان الذي انتقلت عبادته مع المهاجرين من اسبرطه وثيرا حيث عبد تحت اسم أبوللون كارنايوس (Apollon Karnaios) (٢) .

من الواضح أن المستوطنين الاغريق اختاروا مكانهم لموقعه الاستراتيجي ولتضاريسه ولثراء تربته وجمال جباله التي تتخللها الينابيع وتنمو فيها المراعى الخصبة . وأقاموا أساس مدينتهم في مكان يبعد عشرة أميال من البحر على ربوة تتدرج من الجنوب صوب الشمال ثم تنحدر بانكسار شديد صوب البحر لتصبح « أكروبولاً » مناسبة للمدينة يرتقى البحر تحت قدميها . وتتكون المدينة من هضبتين يجرى بينهما طريق يربط بين قلب المدينة وشاطئ البحر . وكانت الهضبة الأولى تقع في الجنوب الغربى والثانية في الشمال الشرقى وتطل على البحر ، وبينما كانت الهضبة الأخيرة جرداء قاحلة كانت الهضبة

---

(١) أخطأ اميل البستاني في دائرة معارفه عندما ظن أن قوريني هي القيروان الإسلامية والتي أنشأها العرب في تونس بالقرب من قرطاج وكان القفطى في كتابه « أخبار الحكماء » أكثر صواباً إذ سماها بقورينا وسمى أهلها بالقورينائيين .

(2) cf. R. Goodchild : Cyrene and Apollonia, London. 1954, p. 8 ff.

الجنوبية الغربية خضراء وارفة تكسوها الشجيرات والأعشاب ويرونها ينبوع قورى (Cyre) الشهير المقدس عند أبوللون ولذا بنى لهذا الرب الأخير معبدا فيه كذلك للمؤسس الأسطوري للمستوطنة وهو رجل يدعى أرسطوطاليس \* وقد عرف هذا التل الجنوبي الغربى « بجبل الرياح » (١) \* وأصبح مركز الحياة الحقيقية للمدينة ولما توسع العمران فيها امتدت المباني الى الجبل الشمالى الشرقى حيث بنوا فوقه معبدا للربة أرتميس Artemis شقيقة أبوللون وصديقة كورى وكذلك بنوا عليه معبدا للربة المصرية أيزيس التى دخلت عبادتها الى ليبيا تحت تأثير الحضارة المصرية \*

ومن المحتمل أن يكون هذا المكان معروفا للاغريق من أماكن متفرقة منذ وقت ضارب فى القدم (٢) ويقال أن بعضهم جاء من آسيا الصغرى ومن تساليا ومن البيلوبونيسوس منذ أيام الحضارة الموكينية أو بعد الغزوالدورى \* والى جانب هؤلاء الوافدين الاغريق عاشت القبائل الليبية التى كانت تنتمى الى البربر وكما حدث فى كثير من المناطق التى ذهب اليها الاغريق حدث تزاوج بين القوميتين \*

أطلقت الأساطير على زعيم المستوطنة اسم أرسطوطاليس ولقب باسم باتوس Battus التى يرى البعض أنها تعنى لقب الملك بلهجة السكان الأصليين بينما يقول آخرون أنها تعنى « المتلثم » لأن أرسطوطاليس كان يعانى من مرض يجعله ينطق الحروف بصعوبة ونصح كنهة أبوللون بالذهاب الى أفريقيا وهناك شاهد الأسد الرهيب فصرخ مرعوبا وحلت العقدة من لسانه \* فبقى فى المكان وأسس المستوطنة \*

---

(1) S. Stucchi : Dieci Anni di Missione Tripoli (1967) p 51 ff.

(٢) مصطفى كمال عبد'العليم دراسات فى تاريخ ليبيا القديم - منشورات الجامعة الليبية - بنغازى ١٩٦٦ \*

وقد استمر حكم أسرة باتوس حوالى قرنين من الزمان والى أن سقطت الملكيات فى المدن الاغريقية وبدأ قيام الحكومات الأرستقراطية الأوليجارخية لتحل محلها . عندئذ سقط حكم هذه الأسرة أيضا مثلما الحال فى باقى بلاد اليونان وذلك ابان منتصف القرن السادس ق.م . وقد عبد باتوس كبطل قومى وأقيم له ضريح فى السوق العامة للمدينة بينما دفن باقى ملوك الأسرة فى جبانة ملكية مجاورة للقصر . وخلفه على العرش ابنه أركيسيلاس Arcesilas ومن بعد هذا الأخير تولى باتوس الثانى الملقب بالسعيد والذى فى عهده تدفق الاغريق على المستوطنة ذرافات ووحدانا لدرجة أزعجت القبائل الليبية . فطلب ملكهم النجدة من الملك المصرى ابريس Apries فأرسل الملك المصرى جيشه الذى كان يتكون من المرتزقة الاغريق الذين رفضوا أن يقاتلوا أشقائهم الاغريق وانهزم المصريون أمام اغريق قوربنائية . وقد أدت هذه الهزيمة الى عزل الملك المصرى ابريس وتعيين أماسيس ( أحموسى الثانى ) قائد الحملة المصرية ملكا على مصر . وكان مجيء أماسيس فى صالح الاغريق لأنه كان مولعا بالثقافة الاغريقية بل أنه أقام دعائم حكمه على الاغريق الايونيين ولهذا منحهم فى مصر حق تأسيس مدينة هى مدينة نقراطيس والتى سوف تتعرض لها بعد قليل . بل ويقال أن هذا الفرعون تزوج من اغريقية من قورينى اسمها لاديكى وعامل القورينائيين معاملة خاصة وأعقد عليهم بالهدايا من بينها تمثال من الذهب للربة أثينا وآخر لأماسيس نفسه كما أرسلت لاديكى تمثالا لأفروديت صنع فى مصر وبقي فى قورينى حتى وقت زيارة هيرودوت لهذه المدينة بعد قرن من هذا التاريخ .

وقد توطدت العلاقة بين فراغة الأسرة الصاوية وملوك قورينه والتى بدأها أماسيس ( أحموسى الثانى ) وباتوس الثانى الذى مات عام ٥٦٠ وتولى من بعدها ابنه أركيسيلاس القاسى وسرعان ما دب الشجار بين هذا الملك وبين شقيقه الأصغر اضطر هذا الأخير الى الهجرة من المدينة وتأسيس مستوطنة مستقلة هى برقه ( Barca ) ، ثم سقط

أركيسيلاس الثاني صريحا وانتقلت أرملته اريكسو (Eryxo) من القتلة وساعدت ابنها باتوس الثالث في الجلوس على العرش وكان ضعيفا وأعرجا ولذا لقب بالأعرج وسرعان ما ثار شعب المدينة ضده وطلبوا النجدة من أغريق شبه جزيرة البيلوبونيسوس فأرسلوا لهم مشرعا اسمه ديموناكس Demonax لوضع دستور جديد لهم ويقال أن ديموناكس قسم شعب المدينة الاغريقى الى قبائل (Phylai) على غرار ما فعله سولون وكليستينيس Cleisthenes مؤسسا الديمقراطية الاثينية . وكان من بين القبائل قبيلة لأهل ثيرا وأخرى لأهل كريت وقبيلة لليبين . وبعد هذا التشريع الجديد لم يبق للملك سوى سلطات اسمية مثل السلطة الدينية وبعض الضياع . وبعد وفاة باتوس الثالث تولى اركيسيلاس الثالث الذى حاول بمساعدة أمه فيريتيمي Pheretima أن يستعيد سلطات الملك مرة أخرى وأن يبطل التعديلات الدستورية وذلك عن طريق جيش خاص جند من اغريق ساموس وقبرص .

ولما دخل قمبيز مصر فى عام ٥٢٥ ق.م بايعت قورينه ومستوطناتها بركة الملك الفارسى وقدمت الهدايا اعترافا بخضوعها للأمبراطورية الفارسية ، ويقال أن الملك الفارسى أدمجها فى ولاية مصر تسهيلا لادارتها . واستمر الصراع الاجتماعى يعصف بقورينى وبرقه خلال حكم الملوك الفرس قمبيز ودارا وكسيركيس وقام النزاع بين قورينى وبرقه وسقط فى الصراع الملك أركيسيلاس الثالث وتولى باتوس الرابع الذى كسب لقب العادل ومن بعده حكم الملك اركيسيلاس الرابع آخر ملوك الأسرة الثمانية ويقول هيرودوت أنه بذلك تحققت نبوءة دلفى بأن يتولى عرش قورينى ثمانية ملوك أربعة يحملون اسم باتوس وأربعة يحملون اسم أركيسيلاس (١) .

---

(١) لمناقشة ذلك انظر ابراهيم نصحي : تأسيس قورينى وشقيقاتها - مطبوعات الجامعة الليبية بيروت ١٩٧٠ .

A. Rowe, A history of Ancient Cyrenaica, Cairo 1948.

كانت قورينة مستوطنة غنية ومركزا للتجارة بين افريقيا السوداء وبين بلاد الاغريق (١) ، وقد تغنى بنداز بثرائها وبوفرة محاصيلها خاصة القمح وأسهب هيرودوت في وصف خيراتها خاصة بساتين الفاكهة فيها وأشجار الزيتون وأشجار السرو ونبات السلفيوم الذى كان يكسو روايها . ونبات السلفيوم كان من أهم منتجاتها وهو نبات طبي من أسرة الاسافيتيدا (asafoetida) قريب الشبه من الأعشاب الهندية الطبية . وكان هذا النبات بعد عصره يخرج سائلا لزجا يستخدم في صناعة العقاقير . وكان يدر على المدينة دخلا كبيرا كما كان نبات البردى يدر على مصر . ولهذا احتكرت الدولة زراعته وتصديره . ولأهمية هذا النبات صور على عمله المدينة بل وأصبح شعاراً لها . لكن هذا النبات انقرض ابان عصر الامبراطورية الرومانية لشدة الطلب عليه ولعدم العناية بزراعته ونتيجة للفوضى الاقتصادية التى حاقت بالمدينة فى العصر الرومانى كما اشتهرت المدينة بعسل النحل وبالزهور ونبات الزعفران حتى تخيلها الاغريق بأنها حديقة افريقيا . وتصوروا أن حداثق الهيسبيريدس Hesberides الأسطورية موجودة فيها . كما اشتهرت المدينة بالمراعى الشاسعة التى تربى عليها قطعان الماشية والأغنام خاصة الخيول الأصيلة ولهذا اشتهر ملوكها بحبهم لسباق العربات فى المباريات الرياضية الأولمبية التى كانت تقام بين الاغريق حيث تغنى بنداز باتتصاراتهم .

وبالرغم من ثرائها ورخاء الحال فيها الا أن قورينه كانت من أكثر المستوطنات الاغريقية تعرضا للصراع الاجتماعى والسياسى . لقد بقيت قورينة ردحا من الزمن بعيدة عن تيارات التغيرات السياسية التى عصفت بأثينا وتوابعها فى شرق بلاد اليونان ابتداءً من صراع النبلاء ضد الملك فقيام الانقلابات التى أسقطت الحكم الأوليجارخى وأنت

---

(١) رجب عبد الحميد الاثرم « حالة قوريناثة ( برقه ) منذ القرن السابع ق.م وحتى عام ٩٦ ق.م رسالة ماجستير غير منشورة ( ١٩٧٥ ) ص ٥٨ » .

بالطغاة ثم سقوط الطغاة وظهور نوع جديد من الحكم سماه الآثينيون بحكم الشعب أو الديموكراسيا .

بدأ تسلل الصراع السياسى الى المجتمع القورىنى فى المرحلة التى راحت أثينا فيها تبشر بنظامها الجديد وتعمل على نشره فى أيونيا لاسقاط الطغاه الذين عينهم الفرس هناك واحلال الأحزاب الديموقراطية الموالية لأثينا محلها وقد أدى ذلك الى حدوث الصراع المباشر بين الفرس من ناحية وبين الآثينيين وأنصارهم من الاغريق من ناحية أخرى . وخرجت أثينا منتصرة ثم قامت بتأسيس حلف ديلوس الدفاعى وانطلقت فى طريق الديموقراطية والأمبراطورية . وفى ملحمة صراع أثينا مع الفرس وجدت الأولى نفسها تسارع لدعم حركة تمرد قامت فى مصر عام ٤٥٤ ق م بزعماء ايناروس ضد الحكم الفارسى وأرسلت أثينا أسطولا من مائتين من السفن لدعم الثوار ولكن الفرس دمروه تماما مثلما فعل نلسون مع الأسطول الفرنسى فى أبو قير بعد ذلك باثنين وعشرين قرنا واثنين وخمسين عاما . دمر قائد الأسطول الفارسى السفن الآثينية عن آخرها فى كارثة قومية كبرى وتشتت الحملة الآثينية وذعر الجند هائمين على رؤوسهم حتى وصل بعضهم الى قورينه . وهنا بدأ عصر الصراع الاجتماعى لأن هؤلاء الجند العائدين من القتال هو جنود الديموقراطية الآثينية ومن ثم بدأوا فى العمل على إثارة أهل قورينه من أجل اسقاط النظام الملكى واقامة نظام حكم ديموقراطى على غرار نظام الحكم الآثينى (١) .

لكن علاقة قورينه كانت تميل ناحية اسبرطه وذلك لأن نسبة كبيرة من سكان قورينه تنحدر من أصل دورى ثم أن شبه جزيرة البيلوبونيسوس يواجه قورينه ، وقد ظهر تعاطف قورينه مع اسبرطه عندما اندلعت الحروب البيلوبونيسية بين أثينا واسبرطه عام ٤٣١ ق م . بل أن قورينه ساهمت فى مساعدة سيراكوزة الصقلية لصد الحملة الآثينية عليها ،

(1) F. Chammoux : Cyrene Sous la monarchie des Battiades, Paris 1953.

وكان يمكن لقورينة أن تتورط أكثر في هذه الحروب لولا ازدياد حدة الصراع الاجتماعى فيها (١) . وقد انفجر بركان هذا الصراع عام ٤٠١ ق م حيث فتك الفقراء بألف وخمسمائة من الأغنياء ووجهاء المدينة وهرب كثيرون وتولى الحزب الديموقراطى وراح يدعم سياسته واصلاحاته مقتنيا أثر كليثينيس . فالغيت القبائل القديمة وأقيمت قبائل جديدة تقوم على السلالات القومية ، ووضعوا قوائم جديدة للأعياد من أجل مزج المستوطنين في جبهة واحدة ذات نظم واحدة في الادارة والقضاء وأصبحت المدينة بذلك أمم قبلية يجمعها اطار دولة واحدة ويمثلها حكومة شعبية وديموقراطية .

ولما اجتاحت بلاد اليونان مجاعة وقحط. بسبب انتشار وباء الملاريا ساهمت قوريني ببيع ما يقرب من ٨٠٥ ميدىنى ( مكيال اغريقى ) من القمح الى ما لا يقل عن أربعين مدينة اغريقية (٢) .

وفيما عدا ذلك لا نسمع عن المدينة شيئا حتى فتح الاسكندر لمصر عام ٣٣٢ ق م واعلان قورينة ولاءها للقاهر المقدونى . ثم ارتبطت بمصيرها بعد موته بحكم البطالمة في مصر .

كشفت أعمال التنقيب عن الآثار عن مدينة مزدهرة متسعة لها ميناء كبير على البحر الأبيض المتوسط هو ميناء أبوللوينا Apollonia بل وخرجت من المدينة عدة حملات استيطانية على ساحل افريقيا الشمالى، فالى جانب برقه Barca التى سبق ذكرها أسست مدينة هسبيرس Hysperis فى عهد الملك اركيسيلاس Arcesilas الرابع وقد ارتبط اسم هذه المستوطنة بأسطورة الجنة ذات الحدائق وأشجار التفاح ، ولكن اسم المدينة عدل الى اسم برنيكى Berenike زوجة بطليموس الثالث (ومكانها الآن بنى غازى) ومن المستوطنات الجديدة توخيرا Tauchira

cf. A. Laronde «Sur quelques grandes familles de Cyrene au IV<sup>eme</sup> Siecle, Actes du Colloque d. Histoire Sociale, 1970, Annales litt. de l'Université de Besancon, Paris les Belles lettres, 1972, pp. 63-74.

(2) cf. Marcus Tod ; «A Selection of Greek Historical inscriptions, vol II, no 196. OXford 1962, p 23 7 ff.



(مكانها الآن توكرة ) والتي أعيد تسميتها الى أرسينوى (Arsinoe) كما أسست برقة بدورها مستوطنة فرعية هي بطلمية Ptolemais (مكانها الآن طلمية) وذلك في الشمال الشرقى منها وقد زادت بطلمية في الأهمية حتى غطت على برقة ذاتها . وأخيرا حدث اتحاد بين كورينى وفروعها ميناء أبولينا ، وبرقة وبطلمية وتوخيرا وبرنيكى عرف باتحاد المدن الخمسة (Pentapolis) وبقيت كورينى رغم كل المصاعب السياسية والاجتماعية التى عصفت بها لمدينة الرئيسية لهذا الاتحاد .

لقد كانت الحياة الاجتماعية فى كورينى مبهجة ومرحة فالأرض ثرية والمناخ جميل والرخاء متوفر وحب المتعة والحياة سائدة بين الناس وهو صفة من صفات الشعوب الاغريقية . وقد لعبت المرأة الكورينية دوراً بارزاً فى المجتمع تماما مثل المرأة الاسبرطية ، وأسست المعابد الضخمة ، وعلى طول الطريق الصاعد الى أبولونيا وحول الجبل الشمالى الشرقى برزت مقابر المدينة منحوتة فى الصخر كخلايا النحل ولها بوابات من الأعمدة ذات الطراز الدورى شبيهة بمقابر مدينة الاسكندرية فى العصر البطلمى . ويرى البعض أن فى بناء القبور على التل بحيث تظل على الأحياء كان شيئا مقصودا به أن يتعلم الأحياء من الأموات أن على الانسان أن يستمتع بعمره القصير قبل أن ينتهى . هكذا وعظ فيلسوف كورينى الأول ارستيبوس Aristippus ، وبعد موت الاسكندر حاول ثيرون Thibron غزو المدينة من كريت مستغلا أموال الاسكندر التى سرقها وزير ماليته هاربالوس Harpalus وقاوم سكان المدينة حتى انتصروا ولكن سرعان ما دب الصراع بين الديمقراطيين والأوليغارخيين انتهى بطرد الأوليغارخيين واستنجاحهم ببطليموس الأول الذى أرسل لهم أوفيللاس Ophellas الذى سحق بقايا ثيرون وضم برقة لمملكة مصر البطلمية ولكن المدينة ثارت ضد هذا الاجراء واضطر بطليموس الأول الى ارسال حملة أخرى بقيادة أجيس أخضعتها تماما لمصر عام ٣١٣ ق م .

وابان هذا الصراع الأخير ولد شاعر قوريني الأول وهو كاليماخوس ابن باتوس القوريني ولهذا ادعى هذا الشاعر أنه من نسل باتوس المؤسس الأول للمدينة . وقد تلقى كاليماخوس تعليمه في أثينا ثم عاد الى الاسكندرية ليعمل مدرسا في إحدى مدارسها بضاحية اليوسيس ولما ذاعت شهرته رحب به بطليموس الثانى فيلادلفوس فعينه مسئولا عن مكتبة الاسكندرية الخالدة . وقد ترك هذا الشاعر من ورائه مالا يقل عن ثمانين مؤلفا شعرا ونثرا وهذا جعله من أشهر علماء عصره وأرقاهم فكرا وأقواهم أسلوبا وبلاغة . وكان كاليماخوس يفضل الأشعار القصيرة وهو القائل : « أن الكتاب الكبير هم ثقيل » وفضل الاشعار القصيرة عن الملاحم والقصائد الطويلة بالرغم من أنه كتب قصيدة طويلة في مديح أبوللون . ومن تلاميذ كاليماخوس عالم الرياضيات ايراتوستنيس . Eratosthenes وصاحب الأبحاث الشهيرة في الفلك وفى الجغرافيا ، ومن تلاميذه أيضا أبوللونىوس السكندرى الشهير بأبوللونىوس الرودوسى Apollonios of Rhodes والذي خالف أستاذه فى رأى وكتب ملاحم طويلة . أشهرها ملحمة رحلة بحاره السينية أرجو (Argonautes) والتي قادها البطل ياسون الاسطورى (١) .

لم يشغل الثراء ورغد العيش أهل قوريني عن البحث فى العلم والمعرفة فقامت بها مدرسة للطب والعقاقير منذ القرن السادس ق.م كسبت شهرة كبيرة واعتبرها الاغريق فى المرتبة الثانية بعد مدرسة بيثاجوراس ( فيثاغورس ؟ ) التى كانت موجودة فى مدينة كروتون فى صقلية . أما فى مجال الفلسفة فقد نبغ فى قوريني الفيلسوف أرسطىيوس Arisuppos أحد تلامذة سقراط الحكيم الذى غادر أثينا بعد موت معلمه ليعود الى قوريني حيث أسس مدرسة متميزة فى الفلسفة هى مدرسة اللذة (hedonism) وهى مدرسة تناقض المدرسة الكلية التى تدعو الى التقشف وكبح جماح الرغبات ، بينما تدعو

(1) H. Kraeling : The Ptolemaic City of the Libyan Pentapolis, Chicago 1962-1 p. 1

وعن كاليماخوس انظر : عبد الله المسلمى : كاليماخوس القوريني - منشورات الجامعة اللبنانية - بيروت ١٩٧٣ .

مدرسة اللذة الى العكس من ذلك تماما . لأنها ترى أن اللذة والمتعة هي الغاية الوحيدة الصحة في الحياة وأن الألم وتعذيب الذات ليس من رسالة الانسان وليس العاقل من يमित شهوته بل من يطلق لها العنان فينفث عما هو مكبوت منها بشرط الا يتبع ذلك ألم أو ندم على هذا الفعل ومن مدرسة اللذة والألم خرجت المدرسة الأبيقورية فيما بعد . وفي القرن الثاني ق.م ظهر في قوريني مدرسة فلسفية ثانية على يد الفيلسوف كاريناديس Carneades الذي نادى بمذهب الشك المطلق قبل المعرفة Sceptisim وهو مذهب يناقض الرواقية التي تتادى بالمعرفة والتصديق والفضيلة والايان . وكا كاريناديس فيلسوفا مفوها بهر الرومان ببلاغته ومنطقة في الجدل وذلك عندما زار وفد من رجال السناتو مدينة أثينا عام ١٥٥ ق.م حيث كان يترأس الأكاديمية الثالثة في العاصمة الاغريقية آنذاك . وطالب كاريناديس الرومان بالتغير وتغير فكرتهم عن جوهر العدالة وأنها ليست «الفضيلة» (arete) بل الضرورة (ananke) وبلغ تأثير هذا الفيلسوف درجة جعلت كاتو الرقيب يقطع المهمة ويطلب بالعودة الى روما قبل أن يؤثر هذا الفيلسوف فيبلبل أفكار الوفد ويشككهم في مبادئهم الرومانية وقبل أن ننهي الحديث عن قوريني نود أن نشير الى الأميرة القوريناثة برنيكي Berenike زوجة بطليموس الثالث الشهير بالرحيم Euergete لقد خلدت هذه الأميرة ذكرها بتقديم إحدى ضفائر شعرها قربانا لمعبد أفروديت بمدينة الاسكندرية كنذر عليها بعد عودة زوجها من حروبه في سوريا ، وقد خلد كاليماخوس هذا الوفاء في قصيدة لم يتبق لنا منها سوى بعض أبيات نقلها لنا الشاعر الروماني كاتلوس Catullus وقد ادعى المنجمون أن هذه الخصلة طارت في السماء لتصبح برجا من الأبراج السماوية هو برج برنيكي Coma Berenikes.

لقد ساءت أحوال قوريني في أواخر عصر البطالة بسبب الصراع على العرش حتى كتب بطليموس أيون ( وهو أحد أبناء بطليموس الثامن الشهير بالثرهل أو فيسكون Physkon من إحدى محظياته ) وصيته التي بمقتضاها ألت قوريني وأراضيها الى الرومان عام ٩٦ ق.م ولكن عادت الاضطرابات الى المدينة مما دعى سوللا الدكتاتور الرومانى الى ارسال حملة لقمع الثورة فيها عام ٨٦ ق.م بقيادة لوكللوس Lucullus أحد كبار ضباطه (١) ولم يمضى على ذلك كثير حتى تحولت قوريني الى ولاية رومانية ضمت الى جزيرة كريت وهكذا ينتهى تاريخ هذه المدينة الحافل بالأحداث لتصبح جزءا فى الامبراطورية الرومانية .

وكما كان الحال فى مصر كانت بداية الحكم الرومانى طيبة ولكن سرعان ما تدهور الحال بسبب الصراع بين اليهود والاغريق وبين الاغريق والليبيين الوطنيين ، ثم نشبت الأوبئة وأحدثت الزلازل كوارث مميتة بها ودمر بدو الصحراء الكثير من معالمها وتحولت قوريني الى قرية صغيرة منسية تعيش على ذكراها . وعندما زارها الكاتب الرومانى أميانوس ماركللوس فى القرن الرابع وجدها قرية شبه مهجورة . ولما انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية لم يعد للمدينة ذكر اذ طغت عليها رمال الصحراء ونهبها بدو الصحراء ولما غزاها كسرى ملك الفرس فى مطلع القرن السابع الميلادى لم يجد أحدا يسكنها .

وبقيت قوريني أطلالا غارقة فى الرمال تندب الحاضر وتبكى على الماضى الى أن لفت القنصل الفرنسى فى طرابلس واسمه ليمير Lemaire

---

(١) عن قوريناثة فى العصر الرومانى : انظر : عبد الكريم الميار : قوريناثة فى العهد الرومانى رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٣ .

نظر سلطات بلاده في أوائل القرن الثامن عشر ونشر كتابا عنها وعن آثارها ، ومنذ ذلك التاريخ توالى الدارسون والعلماء خلال النصف الثامن من القرن التاسع عشر يرسمون ويسجلون ويجمعون ما يقدرون عليه من آثارها • بل أجرى العالمان سميث Smith وبوشر (١) حفائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر • ولكن الحكومة العثمانية التي آلت إليها مصر وبلاد المغرب العربي كانت تعارض عمليات التنقيب خوفا من النهب والسلب الأوروبي لآثار ولاياتها • ولم تبدأ عمليات التنقيب والنهب الأوروبي بشكل واضح الا بعد عام ١٩١١ م عندما انتزع الايطاليون ليبيا من بين برائن العثمانيين ونقلوا ما استطاعوا أن ينقلوه الى متاحف ايطاليا وفرنسا وانجلترا لكن الكثير لا يزال تحت التراب في انتظار معاول الأثريين •

## ٢ - نقراطيس :

على خلاف المستوطنات الاغريقية الأخرى قامت نقراطيس على شفاف الفرع الغربى من النيل وبالقرب من سايس (Sais) صالحجر عاصمة الأسرة الصاوية • ولم تعرف المدينة مؤسسا ولا أقيم لها طقوس ولا أشعل لها موقد أخذت ناره من موقد في مدينة أم ولا تدخل كهنة أبوللون في اختيار (٢) مكانها ، انما يرجع الفضل في تأسيسها الى ملوك الأسرة الصاوية أنفسهم وهو رغبتهم في تجييع الجنود والتجار الاغريق في مدينة قريبة من عاصمتهم حتى يكونوا تحت بصرهم واحتراما لمشاعر المصريين الذين أثارهم اعتماد هذه الأسرة على الأجانب خاصة في الجيش • وكان الفرعون بسماتيك (٢٦٣ - ٢١٠ ق م •) هو الذى فكر جديا في تنفيذ ذلك ولكن أماسيس (أحوسى الثانى) الذى اشتهر بصداقته للاغريق ( ٥٦٩ - ٢٨ ق م •) هو الذى وضع قرار بسماتيك موضع التنفيذ وسخ الاغريق المقيمين أو العابرين أرضا ليبينوا عليها معابدهم ومحاريبهم وساحاتهم المقدسة • ويرى البعض أن السبب الدافع لذلك ليس حب

(1) cf. Smith p. Porcher : Discoveries at Cyrene 1861-2.

(2) A.J. Graham, op. cit, p. 25 ff.

الاغريق بقدر ما هو الخوف (١) والرعب من تزايد خطر الامبراطورية الفارسية واتجاهها نحو مصر ، تلك المنطقة الحيوية بالنسبة لمصالح الاغريق التجارية خاصة القمح (٢) الذى كانوا يجمعونه بالفضة أو بالعملات الفضية من قرى الدلتا ثم يصدرونه عبر الفرع الغربى للنيل الى الجزر الاغريقية فى بحر ايجيه والى مدن أيونيا وأثينا وكورثا أيضا ولهذا يرتبط تأسيس نقراطيس بتزايد النفوذ (٣) الفضية للمدن الاغريقية المختلفة . لكن الرعب من خطر الفرس هو الذى دفع بسماتيك الى الاعتماد على الجنود الاغريق (٤) وتوطيد علاقته بالمدن الاغريقية فى أيونيا والتي باتت هى الأخرى مهددة من قبل الفرس . كما لوحظ أن خبراء فى بناء الأساطيل من كورثا استدعوا الى مصر لينبؤوا سفنًا حربية (triremes) للملك هذه الاسرة من أجل تحقيق أحياء المجد المصرى المنهار (٥) . وهكذا عندما جاء الفرعون اماسيس الى العرش وجد تجارة مصر الخارجية فى أيدي الاغريق وهو خطر لا بد من احتوائه خاصة أنه جاء الى العرش بعد ثورة وطنية قادها الجيش المصرى ضد سلفه أبريس لاعتماده هو الآخر على الجنود المرتزقة الاغريق الذين رفضوا القتال ضد اغريق قورينة بنى جلدتهم مما أدى الى هزيمة الجيش المصرى هناك، ومن ناحية أخرى رأى أن أحلام الأسرة فى استعادة نفوذ مصر فى الشرق الأوسط قد أصبحت عسيرة بل ان استقلال مصر ذاته بات مهددا بسبب التوسع الفارسى وكان عليه أن يتذود بالجيوش المرتزقة لخبرتهم بالقتال وللخوف من ثورة المصريين ضدهم ولهذا رأى أن الحل السليم هو جمع الاغريق فى مكان واحد قريب من العاصمة ومن ثم

(1) cf. K. Roebuck, «The Organisation of Naukratis», Classical Philology, 46 (1946) pp. 212., also cf R.M. Cook, «Amasis and the Greeks in Egypt, J.H.S., LVII (1937) 236 ff.

(2) Karl Roebuck, «The Grain Trade between Greece F. Egypt», Classical Philology, XLV (1950), p. 241 ff. also. Milne, J.E.A., XXV (1939) p. 64 ff.

(3) K. Roebuck, loc. cit, p. 236 mate 5.

(4) Parker Greek Mercenary ., p 126.

(5) cf. Alan. B. Lloyd, «Triremes and The Saitte Nary » J.A.E, 58 (172) pp. 268-279 ; cf. also. Austin, Greece and Egypt in the Archie period, (1970) p. 55.

تستطيع أن نقول أن تأسيس نقراتيس يبدأ بعهد بسماتيك الأول وهو ما يؤكد الظواهر الأثرية (١) حيث بدأ الاغريق في إقامة المحاريب والمعابد والأسواق (emporion) وبدأوا يشرفون على إدارة الميناء ويكونون مجتمعاً مختلطاً وممثلاً لكل الاغريق وخاصة تسع مدن مؤسسة جمعها ساحة مقدسة كبرى هي الهيلينيون Hellenion وهي خيوس وتيوس وفوكايا وكلازوميناي ( وكلها مدن أيونية في آسيا الصغرى ) بالإضافة الى رودس وهاليكارناسوس وكينيدوس وفاسيليس ( وهي مدن دورية أسيوية ) ثم مدينة واحدة أيولية هي موتيليني ( في جزيرة لسبوس ) ، وقد عينت كل مدينة من هذه المدن مختاراً أو مندوباً (Prostates) عنها لتشيّلهم في الهيلينيون وخارج الهيلينيون أقامت جزيرة ايچينا محراباً خاصاً لزيوس وأقامت جزيرة ساموس محراباً لهيرا • أما ميليتوس فقد أقامت محراباً لأبوللون •

لكن النصوص التاريخية — خاصة كتابات هيرودوت واسترابون تذكر أن تجار ميليتوس هم أول من أسسوا نقراتيس (٢) وقد يكون صحيحاً أن التجار الأول جاءوا من ميليتوس حيث تخلف تقويمها الذي ظل مستخدماً في المدينة حتى القرن الثاني الميلادي رغم اختفائه في ميليتوس نفسها، ولكن يبدو أن ميليتوس شغلت نفسها بعد ذلك في استيطان الغرب الايطالي ومنطقة البحر الأسود فتدهورت مصالحها في نقراتيس وحلت محلها خيوس وتابعتها جزيرة تيوس لأنها كانت في أشد الحاجة الى القمح المصري ثم دخلت رودس كمنافس لهما حيث عينت ممثلاً تجارياً وسياسياً لها Proxenos في نقراتيس وحذت أثينا حذوها في القرن الرابع ق.م الى أن نهضت كورنثا واتجهت للتجارة مع مصر وأخيراً ترك المجال بأكمله لمدينة أثينا • ومن ثم يتضح أن نقراتيس كانت مستوطنة جماعية أيونية

(1) Prinz, Funde Aus Naukratis, Klio, VII (1903) pp. 115-116.

(2) Herodotus, II, 173 ; Strabo. XVII, 18 (301)

وفي البدء كانت كل مدينة اغريقية تدير سوقها emporion وتستقل  
بعيها أو ساحتها المقدسة Temenos وكان يدير ذلك ممثل Prostates  
للجالية تعينه المدينة الأصلية التي جاء منها أفراد الجالية . ولأن التجارة  
الاغريقية كانت عادة في أيدي الأجانب وليس في أيدي المواطنين فقد  
جاء قرار أماسيس بوضع إدارة المدينة في أيدي المواطنين الاغريق  
المقيمين في نقراطيس والذين لم يكن لهم أسواق ومن ثم فإن إدارة الأسواق  
كانت مستقلة عن إدارة المدينة تماما مثلما كانت إدارة ميناء بيرية في  
أيدي المواطنين الآثينيين بينما كانت الأسواق في الميناء في أيدي التجار  
الغرباء .

لكن ظروف الاغريق في بلد بعيد ، له شخصية قوية وحضارة عريقة  
ووسط محيط من المواطنين المعادين لهم ، دفعهم الى التماسك والارتفاع  
عن الخلافات الفكرية التي كانت سائدة في مدنهم التي جاءوا منها  
وانصهروا في مجتمع متحد لكل الاغريق وجعلوا ربتهم « أفروديتي لكل  
الناس Aphrodite Pandemos » هي الربة الجامعة وجعلوا الهيلينيون  
هو سوقهم العامة (agora) والمركز الاجتماعي والهيئة المديرة  
للمدينة بمثابة الجننازيوم ابان عصر البطالمة والرومان ، فمثلا داخل  
الهيلينيون تلك الساحة ذات الحجرات المتعددة حرصت مدينة كنيديوس  
على نصب قرار تعيين مندوب لها (proxenos) في المدينة . وبسرور  
الزمن حدث الادماج بين الطوائف والجاليات واكتسبت شخصية المواطن  
النقراطيسي الاغريقي وأصبحت المدينة جديرة بلقب « البوليس » (Polis)  
مثل أي مدينة اغريقية أخرى ، بل على العكس كسبت سمعة عالية  
وعالمية في العالم الاغريقي كمركز للهو والمتعة مشهور بالخيليات  
الجميلات (hetairai) ، وتردد ذكرها في الكتب والروايات الاغريقية .  
وعندما حرق معبد أبوللون في دلفي كانت نقراطيس على قائمة المدن



التي سارعت بالتبرع لاعادة بناء هذا المركز الدينى الهام . ولما فتح الاسكندر مصر اختار نائبه لحكم مصر من بين أبنائها ، وفي عصر البطالة احتفظت بمكانتها بل وسكت عملتها الخاصة في مطلع حكم هذه الأسرة كاصرار على الاستقلال بمدينتهم رغم اتجاه ملوك العصر الهيلينستى لبناء الممالك وليس لدويلات المدن .

أيضا تتميز نقراطيس بالقوانين الاغريقية الصارمة والمحافظة التي حظرت على مواطنيها الزواج من غير الاغريقيات (epigameia) حفاظا على العنصر الخالص ، والجدير بالذكر أن الامبراطور هادريانوس عندما أسس مدينته في مصر الوسطى وهى أتينوبوليس ( الشيخ عبادة) لم يجد دستورا اغريقيا خالصا ونقيا سوى دستور نقراطيس لينسج على منواله دستور حاضرتة مع تغيير بسيط وهو التغاضى عن فكرة نحریم الزواج من المصريات لأن أغلب الاغريق في ذلك الوقت كانوا قد امتزجوا بالمصريين بالزواج أو المولد . ومن الملاحظ أيضا أن دستور نقراطيس لم يتأثر بالتطورات السياسية والتنظيمية التى خبرتها المدن الاغريقية على يد سولون وكليثينيس وبيريكليرس فمثلا لم تعرف نقراطيس نظام تقسيم المدينة الى قبائل (phylai) أو احياء (demes) الذى أصبح طابع المدن الاغريقية فيما بعد وشرطا من الشروط الأساسية للحصول على حق المواطنة في المدينة الاغريقية . ويبدو أن سكان نقراطيس فضلوا البقاء محايدین ازاء الصراع الفكرى والسياسى بين أثينا واسبرطة لأن وضعهم في مصر يقتضى التماسك كما أن الفرس لم يسجحوا بادخال الديموقراطية الاثينية فيها خوفا من انتقال عدواها الى المصريين مما يؤدى الى الثورة والمطالبة بالتححر ، ومن المعروف أن مصر سقطت في براثن الفرس عام ٥٢٥ ق.م. وظلت هكذا - باستثناء فترات قصيرة من الاستقلال - حتى دخل الاسكندر مصر عام ٣٣٢ ق.م. وبالرغم من أن سكان نقراطيس بذلوا كل ما في وسعهم لمنع الاخلال بالمصريين والتسبب بعنصرتهم الاغريقية الا أن هذا الحرص لم يمنع من تأثير مصر الحضارى على الاغريق في نقراطيس ، فمثلا لاحظ

الأثريون تأثير الهندسة المصرية وفن الرسم الفرعوني في مقابر المدينة الاغريقية ، بل أن بعض الاغريق في ثقراطيس رسموا « الباب الوهمى » ( الذى كان الفراغة يحرسون على وجوده فى مقابرهم حتى تتردد الروح على الجسد ) وهم لا يدرون معناه . وحديثا تمكن علماء النقوش من رصد بعض أسماء يدل أصحابها على أنهم اغريق متمصرين .

ويتضح من الآثار أن ثقراطيس مرت بحركة رواج وازدهار ابان العصر البطلمى خاصة ابان عصر فيلادلفوس (١) وأصبحت مركزا تجاريا دوليا وذلك واضح من كثرة المواد والآثار المستوردة من كافة أنحاء العالم الهلينستى كما أخرجت المدينة فريقا من رجال الفكر والفن والعلم من أمثال فيليستون Philistus وعالم وأبولونيوس Apollonius الاجتماع بوليخارموس Polycharmos وشارون Charon وليكياس Lykeas فى العصر الرومانى كما أخرجت المدينة خايريمون Chairemon والكاتب الشهير أثيناىوس Athenaeus والمؤرخ يوليوس برلكس Julius Pollux.

ولكن كغيرها من مدن مصر بدأ التدهور يلحق بثقراطيس فى نهاية القرن الثانى الميلادى عندما حاق التدهور بالامبراطورية الرومانية ، فتدمر المعبد الكبير وهجرت منازلها المتجاورة والمتلاصقة والتي كانت مقامة فوق روابى المدينة واختفت مرافقها ومدرستها . حتى اضطر بروكلوس Proklos آخر أساتذتها الى الهجرة الى أثينا حوالى عام ١٩٠ ميلادية ، كما أن ثورة فلاحي الدلتا والمعروفة بثورة الرعاة (Bucolic) استهدفت المدينة وألحقت بها أضرارا بالغة فى عام ١٧٥ ميلادية . ونستطيع أن نقول أن المدينة تضاءل ما بين ١٥٠ - ٢٥٠ ميلادية لكن أغلب الظن أنها لقيت ضربة قاضية ابان ثورة رعاة الدلتا الوطنيين . وبقيت بعد منتصف القرن الثالث الميلادى ذكرى لأن استيفان البيزنطى أشار

(1) Flinders Petrie Naulcat's I, London 1898, p 11.

الى وجودها في نهاية القرن الخامس الميلادى . ويدل على ذلك وجود الموازين البيزنطية ثم وجود بقايا كنيسة (١) وبعض الرسوم المسيحية الأخرى . ولكنها ظلت تنضال حتى اختفت ابان القرن الثامن الميلادى ثم زحف الاصلاح الزراعى فى العصر الحديث عليها حتى بقيت أطلالا تطل على الحاضر فى حربة الى أن بدأ سير فلندرز بترى وارنست هوجارث فى التنقيب فى تلالها خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر حيث نشر أبحاثها فى مجلدين كبيرين احتوى على ما عثرا عليه من كليات كثيرة من الاوانى الاغريقية المصورة والتي تعتبر مصدرا أساسيا لتاريخ الفن الاغريقى وهى موزعة الآن على متاحف العالم خاصة المتحف الاشمولى بأكسفورد وفيتزويليام فى كامبردج والمتحف البريطانى بلندن ويوجد قليل منها فى متحف القاهرة .

هكذا تدهورت نقراطيس الى عدة قرى صغير تغطى الآن قرى كيماز كوم جعيف ونيرة وتل نقرش التابعة لمركز بسيون غربية .

#### خامسا : منطقة البحر الأسود :

كانت منطقة البحر الاسود منطقة حيوية للاغريق كمصدر غذائى خاصة بالنسبة لانتاج القمح الذى اشتهرت به حقول هذه المنطقة الخصبة ولهذا شجع الارخون سولون استيراد القمح من هذه المنطقة . وفى عصر الطاغية بيستراتوس شجع على ارسال حملات استيطانية فى هذه المنطقة خاصة وأن الشرق الاوسط أصبح مهددا من قبل الفرس وأصبح الاعتماد على قمح النيل أمرا غير مضمون ولما سقطت مصر فى حوزة الفرس أصبحت منطقة البحر الاسود وجنوب روسيا هى المنطقة البديلة لجلب القمح الى بلاد اليونان ولذا ارتبط ضمها الى أثينا بقيام الامبراطورية الآئينية سواء الأولى أو الثانية .

كانت ميليتوس هى رائدة المدن الاغريقية فى حركة الانتشار والاستيطان فى البحر الأسود منذ منتصف القرن السابع ق.م تقريبا وبدأ بحارتها فى استكشاف مجاهل البحر الاسود الذى كانوا يعتبرونه بحرا

(1) Cf. Von Bissing, Naukratis, B. S.A. al.,1951) p. 33ff.

بحرا مضيافا لأنهم عرفوا مجاهله (axeinos) حتى عرفوا مجاهله وأصبح  
بحرا مضيافا لأنهم عرفوا مجاهله (Euxeinos) وهو ما اشتهر به اسم هذا  
البحر حتى مطلع العصر الحديث .

ومن الجدير بالذكر أن الحاجة الى الغذاء والتجارة هي التي شجعت  
على انشاء المستوطنات في هذه المنطقة التي لم تتدخل فيها كهنة أبوللون  
لا بالنصح أو الايحاء . ففي شمال البحر الأسود أسست مستوطنة أولبيا  
olbia ( أوديسا الحالية ) وفاسيس Phasis في شرق البحر الاسود  
وترايزوس Trapezus في الجنوب . وسرعان ما دخلت مدينة ميجارا  
كمنافس في انشاء المستوطنات في هذه المنطقة فأنشأت هيراكليا Herklea  
في الخرسونيس chersonese ( القرم ) وراحت هيراكليا تقيم بدورها  
العديد من المستوطنات الصغرى في هذه المنطقة . كذلك أقامت عددا  
من المستوطنات على جانبي مضيق الهيليسبونت المؤدية الى البحر الاسود  
وعلى شواطئ بحر مرمر ( Propontis ) . وعند مدخل البحر الاسود  
أقامت ميجارا أيضا مستوطنتان للتحكم في هذا المضيق وهما خالكيدون  
Chalcedon وبيزنطيوم Byzantion من أجل احكام القبضة على  
البحر الأسود ونظرا لأهمية بيزنطة حيث قدر لهذه المستوطنة الصغيرة  
أن تصبح عاصمة لامبراطورية ووريثة للحضارة الاغريقية والرومانية في  
الشرق يتوجب علينا معالجتها بشيء من التفصيل .

#### بيزنطة :

قدر لهند المستوطنة الصغيرة التي أقامها أهل ميجارا على الجانب  
الأوروبى من مضيق البسفور أن تصبح وريثة لتراث الحضارة الاغريقية  
بل وللامبراطورية الرومانية بعد زوالها في الغرب مكونة حضارة متميزة  
سياسة ودينا وفنا عرفت بالحضارة البيزنطية .

أقام المستوطنون الاغريق مستوطنتهم فوق المرتفع الشرقى من مرتفعات  
المدينة السبع التي تحتويها الآن مدينة اسطنبول ، وكان البحر يحيط بها  
من ضليعيها ولها ميناء طويل مقوس في الشمال الغربى عرف باسم القرن  
الذهبي وفي الجنوب الغربى من المستوطنة يقع بحر مرمر و بين بحر مرمر

والقرن الذهبي يقع بوغاز البسفور • وبمرور الزمن اتسعت المستوطنة غربا وضمت لها مرتفعين آخرين من تلال المدينة ثم أحاطت نفسها بأسوار ضخمة ومنيعة ومبنية من كتل ضخمة من الحجر أكسبها شهرة بأنها مدينة لن تسقط أبدا ولا يزال بقايا هذا السور العظيم شاهدا على ضخامة البناء الذي كان يحيط بالمدينة كالهلال من ناحية البحر ويتخلله سبعة أبراج دفاعية بنيت بطريقة هندسية تكبر الصوت حتى يمكن للحراس التخاطب وهم على مسافات بعيدة ، وكان للمدينة ميناءان محصنان يمكن اغلاقهما بسلاسل حديدية ضخمة وتعطيل الملاحة • أما مناخها فهو معتدل فليس هو بالشديد الحرارة صيفا ولا شديد البرودة شتاء •

جاء المستوطنون الأول الى هذا المكان الحصين في منتصف القرن السابع ق • م • وكان مستوطنو خالكيدون المواجهة لها على الجانب الآسيوي الشرقي قد سبقوهم بقليل (١) والذين جاءوا أيضا من ميجارا • ومن مفارقات التاريخ أننا لا نعرف على وجه الدقة هوية المستوطنين الأول الذين أسسوا بيزنطة لكن نسبة كبيرة منهم جاءت من ميجارا والباقي خليط من جاليات تحدث الاغريقية بلهجة دورية كذلك لا نعرف الكثير عن تاريخ المستوطنة المبكر لأن مستوطنوها انشغلوا في مقاومة القبائل التراكية المعادية وفي تحصينها برا وبحرا • ومن الغريب أن بيزنطة أيدت الفرس أثناء حملتهم ضد بلاد الاغريق وقدمت للملك الفارسي بعض السفن ولكنها عادت وتمردت على الفرس فاستولى عليها القائد الفارسي أوتانيس Otanes. وادخلها في حوزة الامبراطورية الفارسية •

كان موقع بيزنطة مسبا للكثير من المشاكل لها • اذ تنازع عليها المدن الايونية من ناحية والفرس من ناحية أخرى وتناوب الطرفان احتلالها مما ألحق الأذى الكثير بسكانها • وبعد هزيمة الفرس بقيادة كسيركسيس عام ٤٨٧ حرر الملك الأسبرطي باوسايناس بيزنطة من

---

(١) فيما بعد سخر الاغريق من غباء المستوطنين الميجاريين لعدم ادراكهم أهمية بيزنطة وآثروا الهروب من خطر القبائل التراكية والنزول على الجانب الآسيوي الشرقي حيث أسسوا خالكيدون التي سماها الاغريق سخرية « بمدينة العميان » لأن موقع بيزنطة كان على مرمى البصر منهم ولم يدركوا أهميته •

قبضة الفرس ثم حكموها بقبضة حديدية لا تقل عن تسلط الفرس حتى حررها الأثينيون مرة أخرى من الأسبرطيين عام ٤٧٠ ق.م . ومنذ ذلك التاريخ ارتبط مصيرها بمصير أثينا وأصبحت عضوا بارزا في حلف ديلوس ومن أكبر توابع أثينا عندما تحول هذا الحلف الى امبراطورية . وفي أثناء الحرب البيلوبونيسية ظلت بيزنطة وفيه لأثينا حتى هزيمة أثينا في صقلية حيث تأكد أهل صقلية من عدم جدوى تأييد أثينا فحدث انقلاب أطاح بالحزب الديمقراطي المتعاطف مع أثينا وحل محله الحزب الموالي لأسبرطه وهو الحزب الأوليجارخى وذلك في عام ٤١١ ق.م . وانفصلت عن الامبراطورية الأثينية . ولم تكن أثينا لترضى بذلك وهى التى تعتمد اعتماداً حيويا عليها في الغذاء والتجارة ، فقام الكياديس بحملة ضدها اسقط فيها الحزب الأوليجارخى وأعاد الحلف الديموقراطى الى الحكم وأعيدت بيزنطة الى حوزة الامبراطورية . ولكنها وقعت في حوزة الاسبرطيين بعد هزيمة أثينا النهائية عام ٤٠٤ ق.م . وأقام الاسبرطيون فيها حامية . هكذا كان تاريخ أسبرطه محمل صراع عليها بين الفرس والاعريق من ناحية وبين الأثينيين والاسبرطيين من ناحية أخرى .

كان ميناء بيزنطة مركزا تجاريا هاماً وحيويا سواء للقمح أو الأسماك المملحة أو غسل النحل البرى كله يتجه الى أثينا مركز الاستهلاك وكانت أثينا تصدر لها زيت الزيتون والمنسوجات الصوفية والنبد بينما كانت بيزنطة تقوم بتوزيع هذه المنتجات على بقية المستوطنات في البحر الأسود وبذلك أصبحت تجنبي أرباحاً طائلة من وراء ذلك ومن المكوس التى كانت تفرضها على السفن التى تمر عبر البحر الأسود الذى سيطرت على مداخله تماماً .

ولما كانت المدينة مقامة على تربة صخرية جافة قليلة المياه ، فقد اعتمدت في رى حقولها في السهول المحيطة بها على تخزين مياه المطر وبفضل هذه الخزانات الجوفية زرعت المدينة السهول بالقمح الجيد وبالكروم الممتاز ولذا صورت على عملتها ديميتير ربة القمح وديونيسوس رب الكروم والخمور . بالاضافة الى ذلك اشتهرت المدينة بأشجار

التين ، فضلا على شهرتها بأسمائها المصنعة والتي كانت تشكل دخلا كبيرا للمدينة من تصديرها . كما اشتهرت بيزنطة بأنها مدينة العقاقير والسحرة والعرافين . ولقد ألهمى الرخاء مواطنيها عن الصراعات والحزازيات السياسية فوضعت قوانين عادلة ساوت بين كل المواطنين فلا تفرقة في الفقر أو الثراء أو الوضع الاجتماعي . وكان معظم سكانها يتمتعون بحقوق المواطنة في المدينة .

وفي أبان الامبراطورية الاثينية الثانية أعيدت بيزنطة الى أثينا على يد ثراسيبولوس Thrasybulus بالرغم من أن العلاقة مع أثينا لم تعد قوية كما كانت . ولما حاول فيليب المقدوني احتلالها بالقوة قاومت بيزنطة وحصنت نفسها بقيادة ليون أحد تلامذة أفلاطون وسارعت أثينا لنجدها بكل ما تملك حتى أن ديوسثينيس جهز سفينة من أمواله الخاصة لمساعدتها ، وازاء المقاومة العنيفة انسحب فيليب وهلت بيزنطة لهذا النصر ووجهت الشكر لأثينا وأمرت بإنشاء نصب تذكاري اعترافا بهذا الفضل ومنحت الاثينيين حقوقا شرفية أعلنتها خلال الألعاب الأولمبية وفي دلفي ونيشيا وكورنثا . ولما سقطت بلاد اليونان الوسطى في حوزة مقدونيا أثرت بيزنطة الانزواء والاهتمام بالربح والتجارة حتى بعد موت الاسكندر وقيام الصراع بين ورثته من القادة بقيت بعيدة عن هذا الصراع ولم تتعرض للخطر الا في عام ٢٧٨ ق.م عندما هاجمها الغاليون واستولوا على أراضيها وبقوا فيها حتى نزحوا الى آسيا الصغرى . كما دخلت بيزنطة في حرب مع رودس بسبب السفن المارة عبر البسفور وانتهت هذه الحرب بتنازل بيزنطة عن هذا الحق .

وفي ابان القرن الثاني ق.م بدأت علاقة بيزنطة بروما حيث عقدت بينها معاهدة صداقة وتعاون وأصبحت بيزنطة قاعدة روما العسكرية في آسيا الصغرى ونعمت المدينة بالسلام والرخاء الروماني ابان القرن الثاني الميلادي الا أن أصبحت مداراً للقتال بين الجزارين نيجر ومنافسه سبتيميوس سيفيروس عام ١٩٣ ق.م بسبب التصارع على العرش، ولما كانت المدينة من مؤيدي القائد الأول فقد فتك سبتيميوس سيفيروس بها حتى بعد

استسلامها عام ١٩٦٦ بقسوة أذهلت العالم المتحضر حيث سلبها امتيازاتها وحولها الى قرية تابعة لمدينة بيرنثوس (Perinthous) المجاورة لها . وبالرغم من أن سيثيروس حاول بعد ذلك اصلاحها وتعميرها بكافة وسائل الترفيه من مسارح وحمامات ومعابد .

وفي القرن الثالث تعرضت لخطر القوط المهاجمين الذين لم يستطع الرومان صدhem . ولما قرر دقلديانوس اعادة تقسيم الامبراطورية اختار بيزنطه لتكون عاصمة الجزء الشرقى ويعد انتصار قنسطنطينوس على خصمه ليكيونيوس وطارده شرقا حتى بيزنطه أعجب بالمدينة وقرر أن يجعل منها روما الجديدة ، وذلك فى عام ٣٢٣ م ، وبذلك بدأ العهد البيزنطى والذي أصبحت المدينة مركزه وعاصمته .

ومن أعظم العبقريات التى أخرجتها المدينة فى مجال العلوم والفنون والثقافة والأدب الناقد الأدبى أرسطوفانيس البيزنطى والمتخصص فى دراساته الأدبية للألياذة والذي جاء الى الاسكندرية أبان عصر بطليموس الثانى أو الثالث . وخرج من هذه المدينة أبطال فى الألعاب الرياضية كسبوا جوائز فى المهرجانات الرياضية . ومن أشهر الآلهة الاسريفية التى عبدت فيها أفروديت ربة الجمال ودبيتر وابنتها برسينفونى ربنا القمح وهيرا زوجة زيوس وبوسيدون رب البحار وبنوا لها المعابد فوق اكروبول المدينة ولم تتعرض للتيارات الدينية الآسيوية باستثناء سيراييس وكوبيلى . وقد عرف عن أهل بيزنطه حبههم للخرافات والأساطير وأعمال الشعوذة وغرامهم بالجدل والنقاش العقيم وأصبح ذلك فيهم غريزة وصفة من صفاتهم وقد ظهرت قدرتهم وولعهم بالنقاش أثناء الجدل الذى قام بين الكنيستين الشرقية والغربية وبذلك عرفت بأنها مدينة التبرطقة والتحدى .

وجدير بالذكر بالرغم من أن المدينة كونت حضارتها المتميزة بها الا أنها ظلت مرتبطة بأثينا روحانيا وثقافيا . وكان البيزنطيون يذهبون للدراسة فى جامعات هيللاس لكن المدينة عانت من النقص فى مجال المدارس الفلسفية مما شجع على ازدهار الدجالين والمشعوذين والسحرة



أشهرهم أبولونيوس التيانى (Apollonius of Tayana) صاحب الكرامات والمعجزات السحرية . ومن العجيب أن حكومة بيزنطة كانت تقوم بفرض ضرائب على المشعوذين والسحرة منذ القرن الثالث ق.م .

ولا نعرف بالضبط تاريخ وصول المسيحية الى بيزنطة التى قدر لها أن تصبح مقرا للكنيسة الشرقية ويقال أن قسطنطين عندما وصل الى بيزنطة علم أن كنيستها شهدت اثنين وعشرين أسقفا من قبل .

تلك هى المستوطنة الصغيرة التى قدر لها أن تشهد حضارتين مختلفين وقدر لاسمها أن يرتبط لألف عام بحضارة عظيمه حافظت على كل التراث القديم ، وبقيت صامدة فى وجه الغزاة والطامعين ولكن الذى لا شك فيه أن الفضل يرجع فى الأصل الى مجوعة المستوطنين الاغريق الذين أسسوها .

#### سانسا : - منطقة نراكيا وشمال غرب حوض بحر ايجه :

فى مطلع حركة الاستيطان أقامت بعض المدن الاغريقية التجارية بعض محطات لها على شاطئ تراقيا لتقفل الدائرة الاستيطانية الاغريقية حول حوض بحر ايجه، حيث بدأوا فى استغلال خبرات منطقة غنية بمناجمها الفضية والذهبية وبغاباتها ومراعئها . وكان كورثا من أولى المستوطنات التى زرعت نفوذها فى هذه المنطقة بإنشاء بواتيدايا (Potidaea) فى خليج خالكيديكى .

#### سابيا : انساخلى القربى تبرزد اليونان والبحر الأدرياتيكي :

كذلك أحكت كورثا قبضتها على الطريق المتجه غربا الى ايطاليا وصقلية فأنشأت مستوطنات فى جزيرة كوركيرا ( كورفو الحالية ) وأخرى على طول الساحل الادرياتيكي منها اييدامنوس Epidamnos التى أقامت بالاشتراك مع سكان كوركيرا ذاتها كمحطة نهائية فى اقاص عالم النفوذ الاغريقى ومن الجدير بالذكر أن نزاعا قام بين كورثا وكوركيرا حول اييدامنوس أدى الى حرب مريعة جرت اليها العالم الاغريقى كله وهو ما يعرف بالحروب اليبوبونيسية .

### نتائج عصر الانتشار والاستيطان :-

لقد أحدث هذا الاستيطان والتحكم في منافذ العالم المسكون تجاريا واقتصاديا رواجاً تجارياً أغرق الكثير من المدن الاغريقية بالثراء الخرافى وتكدست الثروة عند بعض الطبقات مما زاد الهوة بين الأغنياء والفقراء من ناحية ، وبين الأغنياء الجدد والنبلاء الارستقراطيين من ناحية أخرى وراح هؤلاء الأثرياء الجدد يطالبون بحقوق مساوية مثل النبلاء مما أدى الى عملية التحول من الحكم الارستقراطى الى الحكم الأوليجارخى أى حكم الصفوة الغنية بضرف النظر عن عراقاة الأصول . ومن ثم نستطيع أن نقول أن الاستيطان أدى الى ازدياد لىب الصراع الاجتماعى والطبقى وبدأت المدن الاغريقية على وشك من حافة بركان ثورى رهيب حطم النظام الاجتماعى والطبقى القديم .

لكن يجب ألا نسى أنه بفضل هذا الانتشار أوصل الاغريق حضارتهم الى كل ركن من أرجاء المعمورة وانتشرت هذه الحضارة بن كثير من الشعوب الغير اغريقية وبهذا حققت حضارتهم الروح العالمية التى هى صفة أساسية من صفات هذه الحضارة . ولم تعد حضارة الاغريق وفقاً على العنصر الاغريقى وحده ، وفى نفس الوقت تفاعلت هذه الحضارة مع حضارات العالم الأخرى فاستفادت منها وأخذت وأعطت وكان لهذا أثره فى ازدياد جيويتها وتطورها . كذلك فإن وجود الاغريق فى بلاد بعيدة عن بلادهم وبين شعوب غريبة الوجه واليد واللسان الى تساسك الاغريق معنوا من أجل البقاء حضاريا ومن ثم تبلورت فكرة الهلينية لتصبح عاملاً هاماً فى تاريخ الاغريق .

## الفصل السادس

### الدولة الاسبرطية

عندما هبطت جحافل الدوريين على شبه جزيرة البيلوبونيسوس في القرن الحادى عشر قبل الميلاد ووضعوا نهاية مفاجئة للحضارة الموكينية، حاولوا التوغل الى قلب سهل لاكونيا فاستولوا على معظم أجزائه ولكن قرية آخية محصنة هى أموكلاى (Amyclae) ردت المعتدين الدوريين ومن ثم قرروا أن يبنوا مدينة على مقربة منها سموها اسبرطه وربما كان هناك قرية ترجع الى ما قبل الغزو الدورى فى هذا المكان وربما أيضا أن هذه القرية كانت تسمى لاكيدايمون Lacedaemon وهو اسم تردد فى الألياذة ، وكان يطلق أيضا على سهل لاكونيا بأكمله لقد أسس الدوريون مدينة أسبرطة الجديدة بعد ادماج أربعة قرى صغيرة كانت قائمة على ضفاف نهر يوريتاس ثم سرعان ما أضافوا اليها أموكلاى بعد استسلامها لتقوم المدينة الجديدة . وسرعان ما تمكنت المدينة من أن يضم اليها مساحة كبيرة من البيلوبونيسوس بل وتفرض على الجزء الباقي نفوذها كاملا وتدخله فى حلف تابع لها ولتصبح مركز الزعامة الاغريقية المنافسة لأثينا فى غرب بلاد اليونان .

لم تكن مدينة أسبرطة مدينة ذات طراز معمارى معين — كما يقول ثوكوديديس فى مطلع مؤلفه — ولا يزينها المعابد الفخمة والمنشآت العامة — بل كانت مدينة لا تزيد عن قرى صغيرة مقامة على النسق الاغريقى العتيق مما يجعل من الصعب على الانسان أن يربط بين حالتها وشهرتها التاريخية . ولهذا لم يتبق من أثارها سوى جدران حتى معظمه يرجع الى منشآت وترميمات قام بها الرومان . ولم يعثر الاثريون على شئ من معابدها سوى بقايا معبد أرتميس الربة المفضلة فى اسبرطه .

وبالرغم من هذا فقد كانت اسبرطه أولى المدن الدورية التي نهضت من ظلام الركود لتبعث الحياة والحركة في شبه جزيرة البيلوبونيسوس ولتضع نواميس غربية على العادات الهيلينية الأصلية ومجاهدة للطبيعة ذاتها ولتكرس نفسها للحرب والعسكرية مما جعل منها أسطورة تروى عبر التاريخ ولتضع نظاما جماعيا تتحكم فيه السلطة المركزية في جميع حياة المواطنين الذين كان عليهم أن يدينوا للدولة - جهاز الحرب - بالطاعة العمياء ويلتزموا بالنظام الصارم . ما جعلها نموذجاً لنظم الحكم « الجماعى » والعسكرية الصارمة .

إذا فالاسبرطيون هم سلالة الدورين الغزاة الذين أخضعوا لسلطانهم الآخيين الذين كانوا موجودين قبل غزوهم - وحولهم الى رعايا تابعين (Perioeki) والكلمة الاغريقية تعنى الرعايا الذين يقيمون على هامش المدينة . أى بمعنى آخر مواطنين من الدرجة الثانية . وكان هؤلاء الرعايا التابعين يقومون بالأعمال غير العسكرية والذى يعافها السادة الاسبرطيون ويعرضون عنها مثل التجارة والصناعة . كما كان لهم شرف الخدمة العسكرية في ساحة الحرب حيث يخدمون في فرق المشاة الثقيلة السلاح (Hoplites) . وبالطبع لم يعتبرهم القانون الاسبرطى مواطنين لأنهم كانوا محرومين من حق الترشيح للمناصب العامة أو الأدلاء بصوتهم في الانتخابات العامة .

أما السكان الأول الذين ينخرطون من جنس البحر الأبيض المتوسط والذين كان الآخيون قد أخضعوهم لسلطانهم وحولهم الى رعايا لهم فقد حولهم الدوريون الى طبقة من المستعبدين (Hielots) أو المسخرين وكانوا فقراء معدمين غرباء في بلادهم لا عمل لهم سواء فلاحه الأرض التى كانت موزعة على السادة الاسبرطين بالتساوى وكانوا يفلحونها نظير جزء صغير من المحصول أما الباقي فكان يذهب الى السادة الاسبرطين . وكان الهيلوت أيضا يخدمون في الجيش كجنود مشاة ثقيلى السلاح وكحمله الأسلحة الخفيفة Pelastes وكانوا يلقون معاملة قاسية اذ كانوا أشبه بالشعب المقهور الذى يستلئ قلبه بالسخط والحقد وكانوا دائماً مستعدين للتمرد والثورة كلما سححت لهم الظروف

بذلك . وكثيرا ماثاروا ضد الأسبرطين الأسياد الذين كانوا أقلية ضئيلة بالنسبة للغالبية المقهورة . ومن ثم كان على السادة الأسبرطين وضع نظام حكم صارم وعنيف للسيطرة على هذه الغالبية الساخطة بقوة السلاح ومن ثم أملت ظروف مواجهة حركات التردد والثورة على المواطنين نظاما معيناً في التربية العسكرية سوف تتعرض له فيما بعد كما أجبرت الظروف الأسبرطين على انشاء نظام سرى للتجسس على الرعايا والهيلوت يعرف باسم الجهاز السرى (Krypteia) لاكتشاف حركات التردد والثورة والقضاء عليها قبل اندلاعها وأحيانا كان هذا الجهاز يخلق ظروف الثورة كلما أحس بأن العبيد أو الاتباع في وضع أقوى \*

أما المواطنون الأسبرطيون (Spartiates) فكانوا يتمتعون بكامل الحقوق والدولة ملك لهم بالتساو دون تمييز بين شخص وآخر<sup>(١)</sup> وكان لهم وحدهم حق الترشيح في الانتخابات والتقدم لشغل الوظائف العامة في الدولة ، وهم جميعاً أعضاء في الجمعية العامة اذا ما بلغ الفرد منهم سن الثلاثين وكانوا لا يقومون بأى عمل سوى العسكرية<sup>(٢)</sup> وشغل وظائف الدولة . وكانوا ينقسمون الى ثلاثة قبائل دورية هي :

( أ ) قبيلة الهيليين Hyleis

(ب) قبيلة البامفوليين Pamphyleis

(ج) قبيلة الدونامينيين Dynamenes

ومن هذه القبائل الثلاث يتكون طبقة المواطنين والجنود والموظفين

---

(١) ذكر شنرون مثلاً - اسبراطيا مترجماً عن الاغريقية وهو  
Spartam nauctus es, hanc exorna !  
Spartan elaches, tautan kosmei

هو ومعناه انت تملك اسبرطة فزينها بنفسك  
Sparta is your Country, make the most of it (cicero Attic, 4, 6, 2).

(٢) كان لدى اسبرطة بالرغم من هذا حوالي ٨٠٠٠ مواطن قادر على حمل السلاح ابان الحروب الفارسية ثم حط هذا العدد الى ما بين ١٢٠٠ - ١٥٠٠ قبيل معركة ليونترا عام ٣٧١ وفي ايام ارسطو هبط هذا العدد الى اقل من ١٠٠٠ مواطن وهذا يبين مدى احسار طبقة المواطنين وانقراضها مما ادى الى المطالبة في اعادة النظر في تضيق حدود المواطنة .

وكانوا يمرون بسلسلة طويلة من التربية العسكرية من سن السابعة حتى سن الستين •

#### دستور اسبرطة :

يتكون الدستور الاسبرطى من أربعة هيئات تنظيمية رئيسية :

( ا ) الملكية المزدوجة

( ب ) مجلس الشيوخ أو الجيروسيا Gerousia

( ج ) الجمعية العامة أو الايللا Apella

( د ) نقباء الشعب أو الايفورات Ephors

ولنتناول هذه الهيئات الأربعة بالتفصيل :

( ا ) الملكان : يجى على رأس الحكومة الملكان وكانا ينحدران من

أسرتين نبيلتين « أحدهما من آل آجيس Agis والأخرى من آل يوروبونتيس Eurypontids وكان الملكان يقومان بجهة القيادة العليا فى الجيوش وكان لهم حق الجلوس فى أماكن الشرف المنصبة لهم فى الحفلات العامة والمهرجانات الرياضية والدينية وعند موتهما كانا يأتيان من الدولة جنازة رسمية ومراسيم خاصة • وكان الملكان ينتخبان من الأسرتين السابقتين بحيث ينتخب ملك واحد من كل منهما • وكان الملكان عضوين فى مجلس الشيوخ أو الجيروسيا بحكم منصبيهما • وكان لوجود ملكان لا ملك واحد ميزة الرقابة حيث كان كل ملك يراقب الآخر فى عمله •

( ب ) مجلس الشيوخ أو الجيروسيا Gerousia : كان مجلس

الشيوخ يتكون من ثمان وعشرين عضوا يمثلون أنبل الأسر وكان يشترط ألا يقل عمر العضو عن ستين عاما ، وكان الملكان بحكم منصبيهما عضوين فى هذا المجلس وكانت تنحصر مهمة المجلس فى اعداد المشروعات الدستورية والقرارات العامة لكى تعرض على الجمعية العامة وكان المجلس يتحول الى محكمة جنائية للنظر فى القضايا التى يروح ضحيتها

مواطنون أسبرطيون كما كان لهم حق الإشراف الإداري على أجهزة الدولة المختلفة .

(ج) الجمعية العامة Apella : وكانت عضويتها مفتوحة لكل المواطنين الأسبرطيين الذين تزيد أعمارهم عن ثلاثين عاما ويمثلون مجلس المحاربين وكانت الجمعية تعقد جلساتها مرة كل ثلاثين يوما وكان نقباء الشعب يترأسون جلساتها وكانت سلطة الجمعية العامة محدودة فلم يكن من حقها اقتراح القرارات أو مناقشتها بل الموافقة عليها أما بالاجماع قبولا أو رفضا وبالرغم من أن الجمعية العامة كانت تمثل الشعب إلا أنها كانت مسلوبة السلطات لأن السلطة الفعلية كانت في أيدي الشيوخ والايفورات ( نقباء الشعب ) .

( د ) الایفورات Ephors : وهم نقباء الشعب وكان عددهم خمسة وينتخبهم الشعب ومدة شغلهم للوظيفة عام واحد . . كان الایفورات يمثلون الشعب ويشرفون على الشعب ويستمدون سائر أشبه « بترابنة العامة » عند الرومان . وكانوا المشرفون على الأخلاق والآداب والسلوك العام للمواطنين وهم المسئولون عن حفظ النظام العام . وهم الذين يراقبون سلوك الموظفين بما في ذلك الملكين . وعندما يذهب الملك الى ميدان الحرب يصطحب معه اثنين من الایفورات ليراقبا سلوكه في الميدان وليتأكدوا من شجاعته واقدامه دون أن يتدخلوا في سير المعارك أو القرارات العسكرية وكان الایفورات يشرفون على شئون الدولة الخارجية فكانوا يعقدون المعاهدات ويقابلون ممثلي الدول المختلفة والسفارات الأجنبية وكانوا يسافرون للتفاوض باسم الدولة مع المدن الأخرى كما كانوا يتمتعون بسلطات قضائية واسعة وخاصة ما يخص المشاكل المدنية والإدارية . كما كان الضباط مسئولين عن السيطرة على الهيلوت ومنعهم من التمرد على الدولة .

#### قوانين لوكرجوس والتربية الأسبرطية :

كانت الدولة جهاز حرب وحياة المواطنين العامة كحياة الجنود في الثكنات والإجيش هو الشعب والقوانين صارمة ، وعن طريق التفوق

العسكري نجحت اسبرطة في فرض سيادتها على البيلوبونيسوس كله وادمجت فيها أراضيها . ولكن اهتمام اسبرطة بالجيش والادارة العسكرية جاء على حساب تراثها الحضارى والفكرى اذ لم تساهم سوى بالقليل في مجالها . فهناك شذرات لأوانى فخارية مصورة صنعت في أسبرطة وبقيت أشعار الكمان Alcman شاعر اسبرطة الكبير الذى كتب أشعارا رقيقة تغنى فيها بالحب وبالطبيعة لكن لما دارت رحى الحروب لم تخرج أسبرطة شعراء بل على العكس حرم الاسبرطيون قراءة الألياذة على المواطنين ربما لأنها قد تشجع الرعايا التابعين على الثورة لأنها تسجد أيامهم قبل الغزو الدورى . وفى أثناء الحروب المسينية لجأت اسبرطة الى الارسال فى طلب شاعر من أثينا فجاءهم تورتاىوس Tyrtæus ذلك الشاعر الأعرج الذى ألف للاسبرطين أناشيد حماسية تحضهم على القتال لأنه لم يكن للاسبرطيين وقت للحب أو الغزل كما كانوا يرفضون الميوعة فى الفن أو الشعر . كما لم يكن هناك مسرح أو روايات مثل التى كانت تعرض فى أثينا ولا أعمال النحت والفنون ولم يكن أمام مواطنيها أى تسلية سوى حلبة الرياضة وملعب السباق ومشاهدة الشباب وهم يتدربون أو يتسابقون فى مبارياتهم فى تحمل الألحاح والمذابح .

وتروى الأساطير أن النظام الذى خلقته اسبرطة لنفسها وجعل منها أسطورة الاغريق فى العسكرية من صنع مشرع اسمه ليكرجوس Lucyrgus الذى جاب بلدان العالم المتحضر قبل أن يكتب قوانين أسبرطة التى سارت عليها وتشبثت بها حتى النهاية . ويعتقد البعض أن ليكرجوس شخصية أسطورية ولكن آخرين يعتقدون أنه ظهر فعلا عام ٧٥٠ ق.م وأنه لم يضع قوانين من صنعه وإنما قن ما كان قائما وأعطى له الصيغة القانونية وحول السلوك الى قوانين لها صفة الالتزام والدوام .

وجوهر القانون الأسبرطى هو أن الدولة ملك لجميع المواطنين دون تمييز وبما أنها جهاز حرب فإن مهمة الدولة هى اخراج وتربية الجنود الأقوياء والأصحاء وتربية البنات بحيث يصبحن أمهات لأبطال



ولهذا وضعوا أسسا لنظام التربية العسكرية (Aguge) ، ومن ثم فقد كانت الدولة تهتم باختيار الزوجات للزواج من أجل تفريخ نسل قوى وسلالة أفضل .

فعندما يولد الطفل يفصل بالنيذ . ثم يفحص الأطباء الوليد فإذا وجدوه هزيلا أو مشوها تخلصوا منه بتركه في العراء عند سفح جبل تاوجيتوس Taugetos أما الأصحاء فكانوا يتركون في كنف والديهم حتى سن السابعة ، ثم ينتزع الولد من أسرته ليتلقى تعليمه العسكري التربوي تحت رعاية معلمين ومدرسين ، وكان أساس التربية هو تحمل المشاق والصبر واطاعة الأوامر طاعة عمياء والالتزام بالنظام الحازم ، وتناسي الذات لأن الدولة ملك لجميع رجالها الأبطال . وكان الصبيان يقسمون الى مجموعات يترأس كل مجموعة نقيب وهو أكثر المجموعة شجاعة والتزاما بالقوانين وتحسلا للمشاق . وكان على الجماعة طاعته طاعة عمياء ويتحصلون أى عقاب ينزله بهم .

وعندما يصل الفتى الى سن الثانية عشرة يمنح جلبابا واحدا كل عام ليقيه برد الشتاء وقيظ الصيف ، وكان لا يسمح لهم بالاستحمام الا نادرا وكان يحرم عليهم تدليك أجسامهم بالزيوت حتى تبقى أجسادهم خشنة . أما الأسرة التي كانوا ينامون عليها فلم تكن تبعد عن الاعشاب التي يجمعونها من شواطئ نهر يوروتاس Eurotas . وكان رئيس كل جماعة يكلف الصبية بجمع الحطب والشار والخسراوات من أجل الطعام وكان يسمح بالسرقة ولكن بشرط ألا يكتشف أمره فإذا ضبط متلبسا فإنه يجلد بلا رحمة بالسياط ليس بسبب السرقة ولكن لأنه لم يكن ذكيا حتى أن أمره قد كشف . ويقول بلوتارخوس كان الأطفال الاسبرطيون يأخذون السرقة مأخذ الجد حتى أن صبيا سرق تعلبا صغيرا وأخفاه تحت جلبابه ولكن الشعب راح ينهش أحشاءه بأنياه وأضافه والطفل يتجمل في صبر العذاب حتى سقط ميتا مفضلا ذلك على أن يكتشف أمره (١) .

(1) Plutarchus, Lucyrus.

كان الفتيان يربون على تعلم النظام الصارم الحازم وإذا خرجوا عنه لأقل درجة جلدوا بالسياط ، وإذا ظهر عليهم الارهاق أثناء التمرينات أو في ملاعب الرياضة جلدوا أيضا بالسياط ، ومن أشهر الألعاب الترفيهية المسابقة التي كانت تقام في معبد الربة أرتيميس على ضفاف نهر يوروتاس بين الشباب وهي أن يضرب كل منهم الآخر بالسوط دون أن ينطق أحدهم بمنت شفة فإذا صرخ أحدهم من الألم نال عقابا صارما وكان بعضهم يسقط ميتا في صمت ويروى لنا بلوتارخوس أنه شاهد هذه المباراة عندما زار أسبرطة في نهاية القرن الأول بعد الميلاد أي بعد سقوطها في حوزة الرومان •

كان الفتيان أيضا يدرّبون على فن الإيجاز في القول وعند الإجابة حتى أن كلمة لاكوني (Laconic) أصبحت تعني في اللغات الحديثة « الإيجاز في القول » ، وكان ممنوعا على السادة الأسبرطيين العمل في غير الجيش أما العمل في التجارة والصناعة فكان من اختصاص الرعايا المجاورين Periceki ، أما زراعة الأرض فهو من عمل الهيلوت ( عبيد الأرض ) •

واعتقد الأسبرطيون أنه مادامت الملكية الفردية ممنوعة والالتزام بالقوانين ملزم فليس هناك حاجة الى المحاكم والمحامين ويقول المثل : « الرجال الذين لا يتحدثون الا قليلا لا يحتاجون الا لقوانين قليلة » •

وفي سن الواحد والعشرين يبدأ الاسبرطى خدمته العسكرية الكاملة ، وكان يسمح له بالزواج حيث يختار واحدة من رفيقاته الفتيات اللائى يظهرن معه في ساحة الألعاب الرياضية وفي ملعب سباق الجرى وهن عرايا كالرجال تماما لأن التربية الأسبرطية كانت تؤهل الفتاة في السيطرة الكاملة على غرائزها على النحو الذى كانت الفتاة اليابانية تفعله حتى وقت قريب • وبعد اختيار « الزوجة » تحجب عن خطيبها حتى يبلغ سن الثلاثين وهو سن الرجولة الكاملة والتي عندها يسمح بالزواج • وفي هذه السن يعتبر الاسبرطى مواطنا كامل الحقوق ولكنه يظل « تحت الطلب » ويخضع للنظم العسكرية والنظامية حتى سن الستين •

وكان على المواطن الاسبرطى أن ينضم الى أسرة عسكرية يجتمع بأقرانه فيها ويتناول معهم الغداء وتسمى هذه الأسر بأسماء مختلفة منها مجتمع الرجولة *Andreia* أو باسم الميز ( وهو نفس الاسم الذى لا يزال يطلق على المكان الذى يتناول فيه الجنود الطعام حتى يومنا هذا ) أو باسم السوسيتيا *Syssitia* أو الفيتيديا *Phitidia* ( أى المآدب الجماعية ) • وكانت كل مجموعة تتكون من خمس عشرة عضو يتناولون غداءهم البسيط معا يوميا • وكان المجتمع الاسبرطى يطبق مبدأ المساواة بين جميع الاسبرطيين فكان استخدام المعادن الثمينة والنقود محرما وكانت الدولة توزع الأراضى الصالحة للزراعة على المواطنين بالتساو حيث يقوم الهيلوت بفلاحتها نظير نصيب قليل أما الباقي فيحمل الى بيت السيد الاسبرطى ليعيش هو وأسرته منه وبذلك يكرس كل طاقاته لخدمة الدولة للعسكرية والدفاع عن الدولة والتفنن فى ممارسة أصول الحرب • وكان الاسبرطيون يلقبون أنفسهم بالرفاق (*hetairoi*) أو الأقران ، وكانت قوانين ليكرجوس تحرم على المواطنين حياة البذخ والترف ولم يكن هناك أى استثناءات ، وكانت الفتيات يتلقين نفس التمرينات الرياضية التى يتلقاها الفتيان ويظهرون مثلهم عرايا فى الملاعب دون أى خجل من الفتيات أو فضول من الفتيان لأن قتل الشهوة كان جزءا من تربية الفتاة التى كانت تعد تربويا ومعنويا لتكون اما قادرة على انجاب الأبطال وعندما كانت الأم الاسبرطية تودع ابنها الى ميدان القتال كانت تقول له « عد الى حاملا درعك أو محمولا عليه ا » •

لم يعرف الاسبرطيون « الديموقراطية » وحرية الكلام (*Isegoria*) أو الثروة التى لا حد لها (*Parrhesia*) كما كان شائعا فى أثينا ، ولأن نظامهم مقدس ووسط بين الدكتاتورية والديموقراطية الشعبية ونظرا لخطورة المستقبل اذ ما دب أى نزاع داخلى خوفا من اندلاع ثورات المجاورين أو الهيلوت فلم تتعرض اسبرطة لأى تطورات سياسية كما حدث فى سائر مدن اليونان القديمة • بل على العكس قاوم الاسبرطيون الديموقراطية الأثينية خوفا من اثارها للهيلوت والعبيد تحت اسم

الحرية في « التعبير » أو « المساواة أمام القانون » بالرغم من أن النظام الأثيني كان لا يختلف في جوهره عن النظام الاسبرطي خاصة في « ديموقراطية الأقلية » ولهذا نجد الاسبرطيين يساندون النظم الأوليجارخية المحافظة ويمادون الأحزاب الديموقراطية وهذا سبب العداء بين أثينا واسبرطة بل يفسر ذلك سبب التعاطف الخفى بين الفرس والاسبرطيين لأن الفرس أيضا كانوا يؤيدون النظم الأوليجارخية وحكم الصفوة الموالية لهم .

ويقول لوكرجوس « لقد كانت اسبرطة مدينة محصنة بالرجال وليس بأسوار من الأحجار » وبالفعل بقيت أسبرطة بغير أسوار حتى عام ٢٠٠ ق م . بالرغم من عدم مناعتها الطبيعية لأي هجوم برى .

وقد يتساءل البعض لماذا اتبع الاسبرطيون مثل هذا السلوك العسكى القاسى وحرموا أنفسهم من مزايا عديدة والرد على ذلك يجىء من المؤرخ الكبير ارنولد توينبى فى كتابه « دراسة فى التاريخ » عندما يقول : « كان على الاسبرطيين أن يواجهوا تحديا عاما وقف فى وجه كل الاغريق خلال القرن التاسع قبل الميلاد . عندما كان عدد السكان فى ازدياد مضطرد الى أن بلغ عدد السكان قدرا لا يساير طاقة البلاد المادية والذى أدى الى ما يعرف « بالانفجار السكاني » وقد وجد الاغريق عامة حلا لمشكلة الانفجار السكاني فى حركة الاستعمار عن طريق اكتشاف أراضى جديدة فيما وراء البحار ثم انتزاع هذه الأراضى من السكان الأصليين الذين كانوا « برابرة » فى نظر الاغريق ولم يجد الاغريق صعوبة فى تحقيق ذلك لأنهم وجدوا أصحاب البلاد الأصلية ضعفاء مفككين . هذا بالنسبة للاغريق الذين تطل بلادهم على البحر أما بالنسبة للاسبرطيين فان الأمر يختلف لأن بلادهم تقع بعيدا عن البحر ولم يكن أمامهم سوى التوسع أرضا فى البيلوبونيسوس على حساب الشعوب المجاورة لهم وخاصة فى منطقة مسينيا Messenia لأنها كانت منطقة خصبة وطبقا للتراث الشعبى الاسبرطى فان اسبرطة قد خاضت حربا من أعنف الحروب مع سكان منطقة مسينيا ويقال أن الحرب الأولى ( ٧٣٦ - ٧٢٠ ق م تقريبا ) والتي ذكر التراث الشعبى بعض أبطالها مثل أريستوديموس وأريستومينيس

— لم تكن سوى نزاع بسيط بالنسبة للحرب الثانية ( ٦٥٠ — ٦٢٥ ق م تقريباً ) والتي أشعل حماها ترقايوس ذلك الشاعر الأعرج الذي جاء من أثينا لكي يساعد الاسبرطيين على الانتصار والذي يرجع الفضل في انتصار الاسبرطيين الى أناشيده الحماسية التي حفظت أوراق البردى لنا بعضها .

وبعد أن أخضع الاسبرطيون أهل مسينيا حولهم الى مستعبدين « هيلوت » Helots ولكن بالرغم من هزيمة المسينيين الا أنهم ظلوا على استعداد للثورة والتمرد اذا ما سمحت لهم الظروف بذلك بل وقاوموا السيطرة الاسبرطية ووجد الاسبرطيون أنفسهم سجناء لحرب المقاومة المسينية ولأن الاسبرطيين كانوا أقلية بالنسبة لغالبية السكان المستعبدين والمجاورين فقد كان عليهم عمل شاق وهو أن يكرسوا أنفسهم للعسكرية القاسية والتضحية من أجل كبح جناح الشوح الشعوب المقهورة (١) . ولم يستطع المجتمع الاسبرطي أن يهدأ أو يستقر بل ظل متوتراً ومتيقظاً خائفاً من حركات التمرد والثورة .

ولهذا كرست الدولة الاسبرطية كل طاقاتها من أجل غرض واحد فقط هو السيطرة والاحتفاظ بتمتلكات الدولة . ويقول ارنولد توينبي « لقد أصبح الاسبرطيون بعد غزوهم « لمسينيا » سجناء حرب تماماً كما أصبح أهل الاسكيمو بعد غزوهم للقطب الشمالى سجناء لظروف مناخية كان عليهم أن يتعودوا عليها (٢) » وظلت اسبرطة على هذا النظام القاسى ( حتى بعد فقدانها ممتلكاتها بعد هزيمتها في معركة ليوكترا على أيدي أهل طيبة عام ٣٧١ ق م بل وحتى عام ١٨٨/١٨٩ ق م عندما خضعت بلاد اليونان لروما وأصبح سكان البيلوبونيسوس متساوين تحت سلطة الحاكم الرومانى لا فرق بين اسبرطى وغير اسبرطى .

(1) P. Oliva, «Sparta and her Social problems, Prague's» Akademia, 1971. p. 205 ff.

(2) Cf. Arnold, J. Toynbee : A Study of History. (Abridged by D.C. Somervell) Oxford University Press (1960) pp. 178—182.

ومن الجدير بالذكر أن توينبي ذكر اسبرطة كمثال لنظريته في

التحدى والاستجابة (Challenge and response)

على أى حال قدمت اسبرطة نموذجاً بديلاً فى غرب بلاد اليونان للدولة التى قامت فى الشرق وهى أثينا وتوابعها ، وفى رأى البعض أن أسبرطة كانت ثكنة للجيش لادولة أو بمعنى آخر أنها كانت آلة حرب كبيرة المواطنون تروس فيها ، وكانت تحتقر التجارة لأنها كانت ترهب التعامل مع غير الاسبرطيين خوفاً من تدخلهم فى شئونهم • وتمسكت بنظامها القديم رافضة أى تجديد أو تطوير ومن ثم فلم تضيف الا القليل فى بناء صرح الحضارة الاغريقية لكنها احتفظت بوجودها بسبب شجاعة جنودها وعزلتها ، ومن الملاحظ أن مواطنيها البارزين كانوا مثالا للانضباط فى بلادهم فاذا ما خرجوا عنها يصبحون فريسة سهلة للفساد والعبث والرشوة نتيجة للكبت التربوى القاسى والحرمان المادى الشديد •

لكن تمسك الاسبرطيين بنظامهم قال اعجاب أفلاطون عندما يش من مساوئ الديمقراطية الأثينية بالرغم من ادراكه لتعسف الحكم الاسبرطى وضيق أفقه ووصف هذا النظام بأنه أقل أنواع الحكم فساداً (١) •

---

(١) أفلاطون الجمهورية الكتاب الثامن ٥٤٧ - ٨ وكذلك انظر القوانين ، أما أرسطو فقد نقد النظام الاسبرطى نقداً لاذعاً فى كتابه السياسة الكتاب الثانى ٩ ، والسابع ١٤ - ١٥ أما المؤرخ العالمى بوليبيوس (٦ - ٤٨ ، ٥٠) فقد وصف النظام الاسبرطى بأنه لا يوجد له مثيل فى الاحتفاظ بالوجود وبالاكتفاء الذاتى لكن هذا النظام غير مؤهل للنجاح فى اقامة علاقات خارجية وفى بناء الامبراطورية . انظر : دى . بورج المرجع السابق ص ١٥٢ هامش (١) •

## الفصل السابع

### الدولة الأثينية

نجحت مدينة أثينا في فرض زعامتها على اقليم أتيكا تدريجيا وذلك منذ العصر الموكيني • وأصبحت أتيكا ذلك الاقليم الذي يقع في الركن الجنوبي الشرقي من وسط بلاد اليونان ويكاد أن يكون هضبة مثلثة وحدة سياسية متماسكة ومتحدة (١) تبلغ مساحتها حوالي ألف ميل مربع مما جعلها أكبر دويلة في بلاد اليونان جميعا وهذا أكسبها وضعا خاصا (٢) •

كان اقليم أتيكا يشبه المثلث قاعدته الكبرى في الشمال والشمال الغربي حيث يفصله جبل كيتاريون Cithareon عن اقليم بوءتيا ويفصله مرتفعات ميجارا عن خليج كورثا • أما طرفه فهو في الجنوب فكان عند رأس سونيون (Sunion) حيث توجد جبال لاوريوم الغنية بمناجم الفضة وقد حفته الطبيعة بموقع استراتيجي ممتاز ، فمن الشرق تطل على خليج الماراثون Marathon وبحر يوبويا، ومن الغرب على ساحل فاليريون (Phaleron) حيث يوجد الخليج السارونيكي الدائري (Sinus Saronicus) والذي تتوسطه جزيرة ايجينا Aegina في مواجهة جزيرة سلاميس Salamis المواجهة لميناء أثينا الهام ، بيرايوس (Piraeus) وعن طريق ساحلها

(1) R.A. Padung, Eleusis and the Union of Attika, G.R.B.S., XIII, 1972, p. 135-150.

(٢) نستطيع ان نعرف مدى هذه المساحة لو قارناها بمساحة مدن جزيرة كوس الصغيرة والتي لم تكن مساحتها تزيد عن ٦٥ ميلا مربعا ومقسمة الى ثلاث مدن مستقلة لكل منها سيادتها •

الطويل المتعرج في الشرق والجنوب أصبحت أثينا منفتحة بحريا وتجاريا على جزر بحر ايجه وأهمها أندروس (Andros) وتينوس (Tenos) وكوس (Kos) وكينثوس (Kynthos) وسوروس (Syros) وسيريفوس (Seriphos) وسيفنوس (Siphnos) وباروس (Paros) وميلوس (Melos) وناكسوس (Naxos) وغير ذلك من الجزر الصغيرة وقد اعتمدت أثينا في ضم هذه الجزر اليها عندما أقامت امبراطوريتها عقب انتصارها على الفرس . كما جعل هذا الموقع الاستراتيجي أثينا على مقربة من الأحداث في أيونيا والجزر المتاخمة لشاطئها خاصة أن المهاجرين الى هذه المنطقة كانوا من نفس العنصر الأيوني الذي كان تنتمي اليه أثينا بل وتزرعه .

ولم تكن أثينا منفصلة تماما عن اقليم بوءتيا الذي يجاورها في الشمال . بل كان هناك عدد من المرات الجبلية الضيقة التي تخترق الجبال منها ممر فولي (Phyle) وممر بلاتيا Platea الذي يبدأ من طيبة عاصمة بوءتيا ويسير صوب الغرب مخترقا جبال كيثاريون حتى يصل الى سهل اليوسيس Eleusis في غرب أتيكا ، ثم ممر ديكيليا (Decelea) الذي يبدأ من أوروبوس (Oropus) المطلة على بحر يوبويا في الشرق ويخترق جبال بارنيس Parnes حتى يصل الى أثينا ولهذا تمسكت أثينا بمدينة أوروبوس بالرغم من أنها كانت تنتمي جغرافيا وسكانيا الى اقليم بوءتيا الذي يجاورها في الشمال .

كان اقليم أتيكا في مجموعة اقليما جبليا تتخلله شعاب جبلية تقسمه الى أربعة سهول محصورة بين الجبال هي سهل اليوسيس Eleusis (ثريا) في الغرب ويواجه جزيرة سلاميس Salamis ، ثم سهل كيفيسوس Kephisos الذي تقع فيه مدينة أثينا ذاتها حيث يرويه نهران هما نهر كيفيسوس ونهر الليسوس Illyssos وهو أكبر السهول الأربعة مساحة ، ثم سهل ميسوجيا Mesogaea ومعناه الأراضي المتوسطة



لأنها تقع بين جبلى هيميثوس وبتليكوس ، ثم يأتى أخيراً سهل الماراتون الذى يقع فى الشرق بحذاء الشمال ويطل على بحر يوبويا وهو أصغر السهول مساحة .

هكذا قسمت الطبيعة تضاريس أتيكا الى جبال وسهول وسواحل . وبفعل الظروف الاقتصادية لكل منطقة فقد نشأ ثلاثة أحزاب سياسية واقتصادية أثرت تأثيراً كبيراً على مجرى الصراع الاجتماعى فى الدولة الأثينية وهى حزب السهل (Pediakoi) ويتكون من أصحاب الضياع الشاسعة وكبار ملاك الأراضى وهم الذين احتكروا الحكم والسلطة وكانوا فواة التجمع الارستقراطى فى الدولة ، والحزب الثانى هو حزب الشاطىء أو الساحل Paralioi ويقوم على آكتاف التجار وأصحاب السفن وذوى المصالح والنفوذ الاقتصادى ولم يكن هؤلاء نبلاء بحق المولد مثل حزب السهل ولكن كانوا طبقات مكافحة عصامية ولهذا اتخذت موقفاً وسطاً بين الارستقراطيين وبين أصحاب الحزب الثالث وهو حزب الجبل Diakrioi والذى كان يتكون من سكان المناطق الداخلية الفقيرة ولا يقومون بعمل سوى الرعى ولما كانوا لا يملكون شيئاً يخافون عليه فكانوا أقرب الى الثورة والتمرد على الأوضاع وعلى النقيض من أصحاب حزب السهل الذى كان يمثل وجهه نظر الارستقراطية المحافظة .

وجدير بالذكر أيضاً أنه بقدر ما تمسكت أثينا بمدينة أوروبوس بالرغم من أنها كانت تنتمى سكانياً وجغرافياً الى بوءتيا ، تمسكت كورثا الدورى بمدينة ميجارا الأيونىة ( ذات العنصر الأثينى ) ، وكانت ميجارا تسيطر على السهل الضيق الذى يقع بين سهل اليوسيس وخليج كورثا والخليج السارونى لأنها المنطقة المانعة لنفوذ أو تسرب النفوذ الأثينى فى خليج كورثا والبيلوبونيسوس - خاصة أن المنافسة البحرية والتجارية كانت قائمة على أشدها بين كورثا وأثينا وأن سياسة كورثا كانت ازالة أثينا من الوجود حتى تنفرد هى وحدها بعالم البحر والتجارة . و انتهى الأمر بضم ميجارا ( رغم قرابة عنصرها مع العنصر الأثينى ) الى حلف البيلوبونيسوس لكن حياة ميجارا ظلت تعتمد على الموانى الأثينية وقد

سمحت أثينا لميجارا باستخدام موائنها بعد حل النزاع بينهما حول جزيرة سلاميس التي تمكن المشرع سولون من ضمها الى أثينا .

ومن أسباب تمسك كورثا بمدينة ميجارا هو أن الأخيرة كانت تتحكم في ممرات جبال كيرانيا التي تفصل بين أتيكا وكورثا ومن ثم حرصت كورثا على تأمين خطوطها الأولى لمنع أثينا من التسرب الى البيلوبونيسوس . هكذا كادت منطقة أتيكا أن تنفصل انفصالا تاما عن البيلوبونيسوس وقد ساعد ذلك على أن تنقسم بلاد اليونان الى جبهتين متنافستين ومتصارعتين ومختلفتين ثقافيا وعنصريا الأولى الجبهة الشمالية . وهى جبهة أيونية وتتزعما أثينا والجبهة الثانية في الجنوب ويتزعما أسبرطة وتنتمى الى الدوريين وهما القوتان اللتان حددت علاقتهما مسار تاريخ الاغريق .

ولو تركنا أثر الموقع على تحديد علاقة أثينا بسائر الاغريق واتجهنا الى أثر البيئة والمناخ والمصادر الطبيعية على تكوين الدولة الأثينية ذاتها ، لوجدنا أن مناخ أثينا كان من أكثر مناطق بلاد اليونان جفافا ، فهى قليلة المطر معظم أيام السنة وعموما كانت منطقة جبلية وسهولها المنحصرة بين الجبال ضيقة وتربتها فقيرة نسبيا ولا يناسب مناخها زراعة القمح بوفرة وبمساحات تكفى غذاء سائر السكان ولما كان الاغريق كسائر شعوب البحر الأبيض المتوسط يعتمدون في غذائهم على الخبز حتى أن علماء السكان لقبوهم بصفة آكلة الخبز (artophagi) فقد كان النقص في إنتاج القمح هو المشكلة الأساسية بالنسبة الى الأثينيين ، وهذه المشكلة هى العامل المحرك للسياسة الأثينية ولعلاقتها بالاغريق الآخرين وبسائر دول العالم . ولهذا لجأت أثينا الى اقامة علاقات تجارية مع مصر أشهر صومعة للغلال في العالم القديم وشراء القمح المضرى عن طريق الفضة التي كانت معدنا نادرا في مصر بينما توجد بوفرة في مناجم اللاوريون Laurion ، ولما سقطت مصر في حوزة الفرس وأصبح الاعتماد على قمحها ضربا من ضروب المقامرة لجأت أثينا الى توسيع مستوطناتها في منطقة البحر الأسود أغنى مناطق العالم بإنتاج القمح

وأصبحت هذه المنطقة جوهرة الامبراطورية الاثينية وعلى استعداد لأن تقاتل من أجلها حتى الموت . كما لجأت أثينا الى تحسين غلاتها بمستوطنة قورينة بالرغم من أنها كانت منطقة نفوذ دورى تابع للأسبرطة .

لكن الطبيعة عوضت أثينا عن ضعف انتاج القمح بوفرة أشجار الزيتون والكروم . وكانت شجرة الزيتون هي حياة الاغريقى حيث استخدم زيتها بل وجعلها رمزا للحضارة والسلام فصور على واجهة معبد البارثينون الغريبة الربة أثينا وهي تنتصر على بوسيدون لأنها ضربت الأرض بحربتها فأخرجت شجرة الزيتون ، بينما أخرج رب البحر عين ماء مالحة ١١ أما الكروم الذى كان ينبت بكثرة فقد صنع منه الاثينيون النبيذ الذى كانوا يحتفلون بعيدين له عيد فى الربيع وعيد فى الخريف حيث كانت تقام المهرجانات الثقافية والتي فيها ظهرت الدراما والتراجيديات احتفاء برب النبيذ ديونيسوس Dionysos ، بل كان الاثينيون يصدرون النبيذ وزيت الزيتون فى أواني فخارية جيدة الصنع ومضقولة وذات رسوم متنوعة من أساطيرهم ومن حياتهم اليومية وقد وجدت هذا الأواني منتشرة فى مساحة كبيرة من حوض البحر المتوسط ومنطقة البحر الأسود وجنوب ايطاليا وبذلك عرفنا مدى انتشار النشاط التجارى وعن طريق تحديد عصور صناعة هذه الأواني المتنوع أمكننا تحديد هذا النشاط زمنيا ، بل اننا أيضا عرفنا الكثير عن الأساطير الاغريقية ومظاهر الحياة اليومية من المناظر المصورة على هذه الأواني الجميلة والتي تنتشر فى متاحف العالم كله . والى جانب الكروم وزيت الزيتون كانت أتيكا تشتهر بتربية النحل التى تخرج العسل الجيد وبالأسماء التى كانت تصنع وتملح فضلا عن وجود مساحات كبرى من المراعى التى عاشت عليها قطعان كبيرة من الماشية والاغنام ، مما زود البلاد بثروة حيوانية كبيرة استفادت منها وصدرت أصوافها .

الى جانب ذلك فقد كان يوجد فى أتيكا العديد من المحاجر التى ساعدت الاثينيين على البناء وال عمران ، ومناجم الرخام الجميل التى شجعت فنانيها على نحتها وتشكيلها الى تماثيل حية تكاد أن تنطق بالحياة بل كانت أثينا تصدر الرخام الى البلاد التى لا يوجد بها رخام كمصر ،

وشمال أفريقيا وحوض البحر الأسود ، كما اشتهرت شواطئ أنهار أتيكا بالطمي الجيد الذي شجع الأثينيين على صناعة الفخار منه وصناعة الخزف والتماثيل الصغيرة بعد حرقها عند درجة حرارة معينة في أفران خاصة وتصدير ذلك الى خارج البلاد . أما مناجم الفضة في لأوريون فقد كانت عاملا من عوامل الثراء التي ساعدت أثينا على صك عملة من الفضة الخالصة فرضت احترامها في عالم التجارة والتعامل . كما كان يوجد في أتيكا مناجم الرصاص والنحاس والحديد وقد استغلها الاثينيون في صناعة المطروقات والأسلحة التي صدروها أيضا الى مناطق مختلفة من العالم وكانت مصدرا كبيرا من مصادر الدخل . لكننا لا نستطيع أن نعتبر الحضارة الاغريقية في أثينا حضارة صناعية أبدا لأن الزراعة بقيت هي الجوهر الأول فيها .

غير أن البحر الذي يحيط بأتيكا ذات السواطيء المتعرجة الطويلة هيا لها خلجاناً وموانئ طبيعية جعلها تطل على جهات متعددة على بحر ايجه وعلى أيونيا وعلى البحر المتوسط جنوبا وشمالا على بحر مرمرة ، فضلا عن وجود الجبال التي تفصلها عن بوءتيا وعن البيلوبونيسوس جعل أتيكا تتجه الى البحر لحل مشاكلها الغذائية والبحث عن حضارات الشعوب وخبراتها ولهذا كان الأثينيون بشهادة ثوكوديديس مجددون بعكس الاسبرطيين الذين كانوا محافظين متحجرين .

وكانت أثينا - عاصمة إقليم أتيكا - تتوسط سهل كيفيسوس أغنى سهل أتيكا ذات تاريخ حضارى قديم وقد أمكن العثور على آثار ترجع الى العصر الحجري الحديث فيها . وقد ذكرت الأساطير قصة ثيسوس ابن ملك أثينا الذي نجح في ذبح المينوتور الكريتى وتخليص عبودية الأثينيين للملك مينوس ملك كريت ويعتقد بعض العلماء أن هذه الأسطورة ترمز الى وجود نوع من العلاقة مع كريت منذ الألف الثالث ق . م ، كما أن الحفائر الأثرية كشفت عن وجود نوع من التحصينات حول الاكروبول شبيهة بتحصينات الموكينيين خاصة في مدبنة تيرنس ، وكان قلب أثينا هو الاكربول (Acropolis) تلك الصخرة البيضاء

الشكل التي يبلغ ارتفاعها حوالي ٢٠٠ قدما وعرضها من الشرق الى الغرب حوالي ١٠٠٠ قدم ومن الشمال الى الجنوب حوالي ٤٨٠ قدم ولا يمكن الوصول اليها الا من ناحية الغرب حيث تنحدر الصخرة تدريجيا وقد أحيطت باقى الجهات بالحوائط الضخمة المحصنة مما جعلها مركز الحماية لسكان الهل من العدو ومن مركز الحكومة والمكان المقدس للمعابد وللتنجيم فى المناسبات العامة أو للعروض والمهرجانات . هكذا أصبح الاكروبول هو مركز ادارة المدينة وقلعتها ، وقلب الدولة المتحدة .

هكذا نستطيع أن نقول أن الطبيعة وهبت أثينا ظروفها جعلتها تتحكم فى اقليم أتيكا وتدمجه فيها وتلعب بالنسبة له دور العاصمة ومركز القيادة الدفاعية والفكرية والروحية كما أن اقليم أتيكا أمدتها بالمصادر الطبيعية مما جعلها قدرة على صناعة الحضارة وأن تقوم بدور كبير فى حياة وقدر الاغريق .

لكن جدير بالذكر أيضا أن نقول أن أثينا لم تكن مشهورة أيام الحروب الطروادية التى دارت رحاها فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد لأن دورها كان صغيرا وربما كانت قرية صغيرة يحكمها ملك على طريقة الملوك الموكيشيين ويساعده مجلس من الشيوخ ورؤساء العشائر ، بينما كان يلعب مجلس المحاربين أو العامة دورا رمزيا . لكن بعد تدمير الدوريين لمدينة الحضارة الموكينية فى البيلوبونيسوس وهجرة هؤلاء السكان الى أتيكا التى فتحت أبوابها لهم وامتزجت بهم خاصة سكان مدينة بيلوس Pylos ونشأ العنصر الاتيكي اليلى Pylo-Attic الذى ورث الحضارة والثقافة الموكينية وحماها من الدمار الدورى وأصبحت بذلك محط آمال الاغريق الايونيين .

وجدير بالذكر أيضا أن العنصر الجديد الذى أثرى سكان أتيكا بالتراث والتاريخ والخبرة والثقافة هو الذى سبب تضخم عدد السكان فى أتيكا كنتيجة للغزو الدورى لدرجة أصبح عندها يهدد باتفجار سكاني . نذكر أن مصادر الاقليم كانت لا تسمح باطعام عدد كبير من السكان

ومن ثم فقد قام العنصر الاثيني - الموكيني بتشجيع الهجرة الى ساحل آسيا الصغرى الغربى حيث قامت مدن أيونيا التى انتقلت اليها الحضارة الاغريقية لتمتزج بحضارات الشرق القديم وتتزود من خبراتها وتجارب شعوبها ، ولهذا من أيونيا بزغت شمس الحضارة الاغريقية الجديدة ممثلة فى الاشعار الهومرية وفى الفلسفة الايونية الطبيعية العلمية ، لتنتقل بعد ذلك الى أتيكا ولتجعل منها مركزا للحضارة الاغريقية •

غير أن افتتاح أثينا على الشرق وعلى تجارب الشعوب فيه سبب صراعا اجتماعيا جعل السكان يمرون بسلسلة طويلة من الصراع الطبقي والاجتماعى بحثا عن نظام حكم عادل يرضى جميع الطبقات والذي انتهى بنظام الحكم الاثينى الذى يعرف بالديموقراطية •

#### بذور الديمقراطية الاثينية :

أهم ما خلفته أثينا للحضارة الانسانية كلمة «الديمقراطية» وهى تعنى حكم الشعب مجتمعا حتى وان اختلف مفهومها فى عصرنا الحاضر •

كانت الديمقراطية الاثينية مرحلة منطقية بعد الانتقال من الملكية الارستقراطية (١) لقد كان ظهور هذا النظام الجديد نتيجة لعوامل اجتماعية واقتصادية كثيرة أهمها اختراع النقود • وأغلب الظن أن فكرة النقود جاءت الى بلاد الاغريق من آسيا الصغرى وعلى وجه الدقة من مملكة ليديا بعد عام ٧٠٠ ق • م بقليل وسرعان ما تلقت المدن الاغريقية هذه الفكرة وتبارت فى سك نقودها واضعة عليها شعارها فيما عدا اسبرطة التى التزمت بالنظام الجماعى الذى حرم الملكية الخاصة ولم تستخدم النقود كباقي مدن بلاد اليونان بل لجأت الى استخدام القضبان الحديدية لتحديد القيمة المالية اذا لزم الامر • ومما لاشك فيه فان سك النقود ساعد على الثورة التجارية الكبرى وقد يكون احدى نتائجها وقد عرفنا أن الثورة التجارية الكبرى وتطور صناعة السفن من القوارب

(1) Donlan, «A note on «aristos» as a Class term, Philologus, CXIII, 1969, p. 268.

الشراعية الى السفن ذات الثلاث طوبق من المجدفين **Tiromes**  
أدى في النهاية الى حركة الاستيطان الكبرى والتي سبق لحديث عنها .  
واذا كان صك النقود قد ساعد على انعاش التجارة والهجرة  
الاستيطانية فقد كان بداية لثورة اجتماعية كبرى عصفت بالنظام الاثيني  
طويلا - والنقود سهلة الجمع والتخزين أكثر من مواد الملكية الزراعية  
والحيوانية والطبيعية الأخرى . ومعنى ذلك أن بعض الناس أثروا  
اثراءاً فاحشاً بتخزين هذه النقود وبمرور الزمن ازداد الغنى غنا والفقير  
فقرا . وأصبح هناك هوة كبيرة تفصل بين الأغنياء والفقراء . ووجد  
الفقير نفسه يلجأ الى الاستدانة من المرايين الأغنياء وعندما يعجزون عن  
تسديد الديون ذات الفوائد الباهظة كانوا يصبحون عبيدا لدائنيهم ،  
يعملون في مزارعهم ويبيعون في أسواق النخاسة ولم يستطع الفقراء  
أن يحركوا ساكناً لأن السلطة كانت مركزة في أيدي الارستقراطيين  
بالرغم من أن الملك كان موجوداً الا أنه كان يملك ولا يحكم ومجرد  
موظف كبير بعد أن سلبت سلطاته فمثلاً سلبت منه السلطة العسكرية  
عندما أنشأت وظيفة قائد الجيش **Polemarch** ثم انتزعت منه السلطة  
الادارية بإنشاء وظيفة الأرخون **Archon** وهكذا وضحت خطوط  
الحكم في أثينا في أيدي ثلاث يتكون من الملك **Basileus** وقائد  
الجيش والأرخون ، وفي بادئ الأمر كان شغل هذه الوظائف الثلاث  
مدى الحياة ثم عدلت الى عشر سنوات في منتصف القرن الثامن قبل  
الميلاد ثم الى سنة واحدة وكان ذلك في أوائل القرن السابع (٦٨٠ ق م)  
وبعد مرور فترة من الزمن أضيف الى هذا الثلاث مجلس العدالة  
**Thesmothetac** وهو يتكون من ست من الفقهاء مهمتهم التشريع  
وتسجيل ومراقبة تطبيق القوانين . وهكذا صبحت شئون الدولة  
الاثينية تدار عن طريق مجلس التسعة والذي يتكون من الثلاث الأول  
بالإضافة الى المجلس السداسي الثاني .

والى جانب مجلس التسعة كانت توجد محكمة الاريوخوس

Areopagus وكان أعضاؤها من الموظفين السابقين والذين أقاموا من أنفسهم حماة وأوصياء على القوانين وعلى اجراء الانتخابات للمجلس السابق فهي هيئة دائمة عضويتها مدى الحياة وكانت تجتمع فوق صخرة عالية على مقربة من الاكروبول حيث يلقون بالذين يحكمون عليهم بالاعدام •

أما من ناحية التركيب القبلى للدولة الاثينية في أثينا فنجد السكان ينقسمون الى أربعة قبائل تتخذ كل منها اسما مميزا قد يمتد عبر الحدود ويشارك مع أسماء القبائل الأيونية الأخرى • بينما انقسم السكان الى طبقات اجتماعية هي :

( أ ) النبلاء Eupatridas وعملهم تولى الوظائف العليا في الدولة وفي الجيش •

( ب ) المزارعون Georgoi

( ج ) الحرفيون وأصحاب الأعمال الحرة Demingoi وكانوا يحتكرون التجارة والبيع والشراء •

وفي نهاية هذا الهرم الاجتماعى يجيء طبقة معدمة لا تملك أرضا تزرعها أو مالا تتجر فيه رجالها يعيشون من العمل في مزارع الملاك نظير جزء صغير من المحصول ولذا أطلق عليهم اسم أصحاب السدس • وعلى أى حال ظلت طبقة النبلاء تحتكر الوظائف الكبرى السابقة وكانت عضوية محكمة الأريوباجوس وقفا عليهم وكانوا يمتلكون أقطاعات زراعية يقوم المعدمون والرقيق بزراعتها •

محاولة كولون Kylon الفاشلة لاقامة دكتاتورية :

حقيقة ظلت دولة مدينة أثينا تقوم على حكم الارستقراطية حتى أوائل القرن السابع، ولكن منذ حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد حدث تطوير في نظام الجيش وفي التكتيك الحربى كانت له نتائج خطيرة على المفهوم الاجتماعى السابق فقد كان نظام الدفاع في عصر الجمهورية الاثينية الارستقراطية يقوم أساساً على الأشرف الذين يقودون أتباعهم الى الحرب •



وكان هؤلاء الأشراف يكونون سلاح الفرسان ~~سهم~~ ولكن منذ القرن السابع نجد ثورة في التنظيم والتكتيك العسكري تنسب أحيانا الى الملك فيدون ملك أرجوس وهو قيام نظام المشاة المسلحين تسليحا ثقيلًا ويعرفون باسم Hoplites وبذلك كسر احتكار الارستقراطيين للجيش الذي أصبح يتطلب أعدادا غفيرة من الطبقات المتوسطة والتي سارعت بالانضمام اليه ، ولما أحس جنود الجيش بأهميتهم في الحروب والمعارك طالبوا بامتيازات جديدة لأن الظروف العسكرية غيرت الأحوال الاجتماعية وساعد على ذلك ظهور النقود التي خلقت طبقات جديدة ثرية وقوية النفوذ وكانت أول دولة صكت النقود هي جزيرة أيجينا الصغيرة Aegina القرية من ساحل أتيكا ثم تبارت المدن الاغريقية في صك عملتها الخاصة ، وبلغ من تفاقم الأمة الاجتماعية في أتيكا أن حاول أحد النبلاء الأثينيين وهو كولون Kylon الاستيلاء على مقر الحكم فوق الأكروبول بالقوة وذلك حوالي عام ٦٣٠ ق م ولكن هذه المؤامرة اكتشفت والتجأ أعوان كولون وأنصاره الى إحدى المعابد الاغريقية معتصمين بالحماية الآلهية المقدسة asylum ولكن أرخون هذا العام وكان اسمه ميچاكليس Megacles طلب منهم مغادرة ملجئهم مقابل العفو التام عنهم وما أن غادروه حتى ألقى القبض عليهم وثُذ فيهم حكم الاعدام مما آثار امتعاض الناس ضده وضد أسرته الحاكمة من آل الكمايون Alcameonidae لأنهم تعدوا قوانين الآلهة ضد اللاجئين بأراقة دماهم باردا مما أدى الى نفى أسرة آل الكمايون كلها من أثينا . ولكن أفراد هذه الأسرة بقوا يتآمرون ويتسلقون كهنة دلفي لكي يعودوا الى الحكم في أثينا .

#### قوانين دراكون : Draconic laws

أحس الارستقراطيون بأنهم نجحوا في كشف مؤامرة كانت تهدف الى القضاء عليهم وعلى نظام حكمهم ولكنهم شعروا أنه لا بد من وضع تعديل في القانون ليمنع من مثل هذه المؤامرات مستقبلا . فعينوا أرخونا اسمه دراكون عام ٦٢١ وأعطوه سلطات استثنائية لمراجعة القوانين والدستور . فوضع قوانينا اشتهرت بقسوتها وصرامتها حتى أن كلمة

دراكونى أصبحت مضرب الأمثال للقسوة واليأس وكما ذكر أحد الخطباء أن قوانين دراكون لم تكتب بالحبر بل بالدم، ويبدو أن دراكون جعل الأعدام عقوبة لأقل خطأ يرتكب وقد اعتبر دراكون جريمة القتل من كبريات الجرائم Homicide (١) وهو الشيء الذى بقى حيا فى قوانيننا المعاصرة لكننا لا نعرف الى أى مدى حاول دراكون اصلاح الدستور الاثينى ، ولكن المصادر المتأخرة وصفته بأنه هو الذى منح الجنسية لكل مواطن يقدر على تسليح نفسه للحرب . وربما استمد المشرع سولون الكثير من اصلاحات دراكون وأصبحت تنتسب اليه . ومهما يقال عن قسوة قوانين دراكون الا أنها أعطت الطبقات الدنيا حقوقا أمام القانون بدلا من الحرمان والتجاهل فى العهود السابقة . وهذه خطوة نحو الاعتراف بهم .

#### سولون الأرخون المشرع Solon :

لم تخفف اصلاحات دراكون من خطورة الموقف على الإطلاق إذ أخذت أعداد المعدمين تزداد وبدأوا يفقدون حريتهم ويصبحون عبيدا لدائنيهم وبدأت أثينا وكأنها مقبلة على ثورة اجتماعية كبرى لولا أن ظهر فى الأفق ارستقراطى معتدل ووطنى متطرف اسمه سولون ، وقد أصبح هذا الارستقراطى أرخونا عاما ٥٩٤ ق م وسمى بالارخون الموفق لأنه استطاع عن طريق ارضاء كل الأطراف المتنازعة وعن طريق اللجوء الى أنصاف الحلول من تهدئة الموقف وتيسير قضية الطبقات المحرومة .

كان سولون ينحدر من أسرة أثينية وقد قيل أن أباه كان مسرفا أضاع الكثير من ثروته فأرسل ابنه ليعمل بالتجارة فى البلاد البعيدة لكي يستعيز ثروته . ولكن سولون انتهز هذه الفرصة وتعلم من البلاد التى زارها كما درس تشريعات دراكون وتفهمها وصمم على أن يوفق بين طرفي النزاع فى المجتمع ، وهم الذين يملكون The haves والذين لا يملكون The have-nots قبل أن يوجهه البلاد الى طريق الديمقراطية المعتمدة ويحقق التوافق بين الطبقات .

(١) هل جاءت قوانين دراكون القائمة على الثار من القتال نتيجة لؤامرة كولون وقتل المشتركين فيها هذا ما يناقشه :

R. S. Straud : Drakon's law on homicide, Univ. of California Publications in Classical Studies, III, 1968.

تحدث الأقايصص عن سولون الشاعر والوطني الغيور والجنسدى الشجاع فتروى الأقايصص أن نزاعا شب بين مدينة أثينا ومدينة ميجارا القريبة منها حول امتلاك جزيرة سلاميس وحدث أن أعلن أهل أثينا تنازلهم عن حقهم في المطالبة بجزيرة سلاميس ، ولكن سولون رفض أن يقبل ذلك وانطلق الى سوق المدينة العامة Agora وألقى قصيدة من الشعر الحماسى وضح فيها أهمية موت هذه الجزيرة لأمن أثينا وهتف الناس به قائدا واستطاع أن يعيد سلاميس لأثينا وأصبحت منذ ذلك الوقت جزءا لا يتجزأ منها . وقد ثبت أهمية هذه الجزيرة عندما هاجم الأسطول والجيش الفارسى بلاد اليونان حيث حقق الأثينيون نصرا حاسما في موقعة بحرية في المضيق البحرى بين الجزيرة وشاطئ بلاد اليونان . أدرك سولون خطورة الديون وخطر الدائنين على المدينين وأن الخطر يتحتم عليه اتخاذ خطوة حاسمة وجريئة . وساعد على ذلك أن كافة الطوائف وثقت به فانتخبته أرخونا عام ٥٩٤ ق م وبدأ على الفور في تعديل الاحوال الاجتماعية عن طريق برنامج اصلاحى شمل النقاط الآتية :

#### ( ١ ) الغاء الديون ورهن الحرية :

بدأ سولون اصلاحه بالغاء الديون Seisachtheia ( وهى كلمة يونانية تعنى هز ما يثقل ظهور الناس ) كما حرم رهن الانسان الحر لنفسه لقاء دين حتى لا يصبح المدين عبدا لدائنه .

#### ( ب ) الحد من البذخ والاسراف :

راع سولون أن الأغنياء ينفقون بترف في مناسباتهم مثل الشعائر الجنائزية وفي حفلات الزواج وغيرها من المناسبات وحدد مبلغا معينا كحد أقصى ينفق على هذه المظاهر الاجتماعية حتى لا يثير بذخ الأغنياء حقد الفقراء الذى قد يدفعهم الى الثورة .

#### ( ج ) تحذير تصدير القمح :

أدرك سولون أن انتاج اقليم أتيكا من القمح لا يكاد يكفى سكانه وبالرغم من ذلك فقد كان التجار الآثينيين يتاجرون فيه ويصدرونه للمدن المجاورة الأخرى وغيرها من البلدان ثم يستوردونه مرة أخرى الى أثينا

ليباع بأسعار باهظة وهكذا وجدوا في ذلك موردا للكسب السريع وعلى ذلك حرم سولون تصدير القمح خارج أتيكا وجعل التصدير وقفا على زيت الزيتون والمصنعات حتى يهبط ثمنه ويضمن للفقراء خبزهم .

#### ( د ) تشجيع الصناعة وتصديرها :

شجع سولون الصناع وألزم كل والد أن يعلم ابنه حرفة أو تجارة حتى لا يشب عاطلا كما شجع الحرفيين الأجانب على العيش في أثينا بالرغم أنه لم يعتبرهم مواطنين بل عرف وضعهم الاجتماعي «بأصحاب المهنة» Metikoi . وكان هدف سولون هو أن يشجع الصناعة الأثينية لأن الأواني والصناعات الكورثية كانت تحتكر الأسواق وقتئذ وبالفعل بدأت صناعة الأواني الأثينية تأخذ طريقها الى الأسواق الخارجية . وكانت هذه بداية لصناعة اشتهرت بها أثينا فيما بعد . ومن الرسوم التي كانت تزينها نستقي مصادرها عن الحياة الاجتماعية واليومية بل والدينية أيضا . كما غير سولون النظام النقدي فاستخدم للمعاملة المالية وحدة جزيرة يوبويا النقدية Euboea لأنها كانت أكثر شيوعا من وحدة جزيرة ايجينا المالية Aegina والتي كانت مستخدمة في أثينا قبل مجيء سولون كما نسب اليه إعادة تنظيم الموازين والمكاييل والمقاييس (١) .

#### ( هـ ) إلغاء قوانين دراكون الارهابية :

أدرك سولون أيضا أن قوانين دراكون قاسية أكثر مما ينبغي فألغاها كلية الا فيما يختص بجرائم قتل المواطنين homicide لاتفاقه معه في شناعة هذا الجرم . وبالتالي فرض عقوبة الاعدام على من يرتكب هذه الجريمة .

(1) E. Levy ; La reforme Solonienne des mesures, poids et monnaies. Apropos d'une Controvers, recente, Gazette Numismatique Suisse, XXIII, 1973, Cahier 89, p 1-6; (R H CCXLVI, 1971, p 109).

حيث يؤكد ما ذكره كراي من قبل من ارتباط إعادة تنظيم النقد بإعادة تنظيم المقاييس والموازين والمعايير لكن آخرين يفصلون بين اصلاح النقد ويرون لا علاقة له بالموازين انظر :

M.H. Crawford : «Solon's alleged reform of weights of measures, Eirene, X, 1972, p. 5-8.

### ( و ) اعادة تنظيم الوضع الاجتماعى :

وبعد أن وضع سولون أساس الصناعة الأثينية ارتأى اعادة تحديد الامتيازات الطبقة لارضاء كافة الطبقات • فمثلا منح بروليتاريا المجتمع الأتيكى الحق فى أن يصبحوا أعضاء فى تنظيم شعبى هو الجمعية العامة Ecclesia كما منحهم حق العمل كمحلفين فى القضايا العامة • ولذا أعاد تقسيم طبقات المجتمع حسب ما تملكه كل طبقة من أموال أو حسب النظام التيموقراطى (Timocracy) (١) وعلى ذلك قسم الأثينيين الى الطبقات الاجتماعية التالية :

الأغنياء : وعرفهم بالذين لا تقل ملكيتهم عن خمسمائة مكيال من الجيوب Pentacosiomedimni وجعلهم يتربعون على رأس الهرم الاجتماعى ويتمتعون دون غيرهم بشغل الوظائف الكبرى مثل منصب الأرخون ومناصب الجيش والادارة •

الفرسان : Hippeis وهم الطبقة المتوسطة ومنحهم حق شغل الوظائف الصغرى التى تلى الوظائف الكبرى فى الأهمية •

الحرفيون : Zeugitao وتشتغل بالعمل بالتجارة وزراعة الارض وبعض المناصب الصغرى والحرف •

المعدمون : أو الذين « لا يملكون » Thetes وهم يشملون بروليتاريا المجتمع الأثينى وحرم عليهم الوظائف الرسمية تماما مقابل عضوية الجمعية العامة والعمل كمحلفين فى المحاكم بلا أجر وقد أعطى سولون لهذا المجلس سلطات هامة مثل السلطة القانونية ومراقبة سير العمل وحق استدعاء الموظفين والاستماع الى تقاريرهم فى نهاية مدد وظائفهم وعلى ذلك يمكن القول بأن سولون وضع بين يدى الطبقات الدنيا سلطات كبرى وجعلهم هم المسيطرون على الدولة وهذا بداية الطريق الفعلى الى الديموقراطية •

---

(١) وفى اللاتينية Plutocracy

( د ) توزيع الوظائف حسب القبائل :

وحتى لا يعطى سولون الفرصة لفئة معينة لكي تحتكر وتسيطر على الدولة ابتدع نظام ترشيح الموظفين حسب قبائلهم • فكانت كل قبيلة ترشح عشرة من أبنائها لشغل وظيفة الأرخون ثم تجرى القرعة بين المرشحين لاختيار العدد المطلوب •

( ح ) انشاء مجلس الاربعمائة :

وعن طريق النظام القبلى السابق ذكره كون سولون مجلسا تشريعا من الطبقات الثلاث الأولى للإشراف على ادارة شئون الدولة واجراء الانتخابات وجعله هيئة تنظيمية لها وزنها فى ادارة شئون البلاد • وكان هذا المجلس هو نواة مجلس الشيوخ الذى عرف بمجلس « البولى » فيما بعد •

( ط ) تعزيز سلطة المحكمة الدستورية : Areopagus

وأخيرا عزز سولون من مركز محكمة الاريوباجوس والتي كان مركزها قد تزعزع نتيجة للصراع الطبقي الاجتماعى وجعلها حامية للقوانين وللدستور وأعلى سلطة دستورية والرقب العام على الأخلاق والسلوك العام • وكانت هذه المحكمة تمثل نفوذ الارستقراطيين •

ان نظرة عامة على اصلاحات سولون تجعلنا نحس بأنه لم يقم بثورة اجتماعية هدمت النظام القديم وقضت على الظلم الاجتماعى تماما (١) وعلى الارستقراطيين مصدر هذه القلاقل لأنه كان أرستقراطيا نفسه ، وان كان قد حد من نفوذ الطبقة الارستقراطية الا أنه تركها قوية كما كانت، ونستنتج من هذا أن سولون بنى نظامه الجديد على الملكية أو ما يعرف بالنظام التيموقراطى هيئة فقد خطى سولون خطوة كبيرة بالمجتمع الاثينى نحو الديمقراطية Timocracia حيث ترتبط فيه الامتيازات السياسية بالوضع الاجتماعى

(١) من الجدير بالذكر ان الشاعر والسياسى ثيوچنيس الميجارى Theognis of Megara قلد فى نهاية القرن السادس أعمال سولون منعا لحدوث ثورة ضد أسرته الارستقراطية ويعتبر من الشعراء القلائل الذين خلدوا آراءهم الايديولوجية فى قصائد الشعر انظر :

Al, Dovatur Theognis von Megara und sein soziales ideal, klio, LIV, 1972 p. 77 ff.  
وعن تأثير اصلاحات سولون فى التشريع الرومانى انظرالمقال التالى :  
J. H. Oliver" The Solonian Constitution and a Roman Consul of 149 A.D., G.R.B.S, XIII, 1972. pp. 99-101.

المعين ونظرا لوجود أغنياء باهظى الثراء فى المجتمع الاثينى ، فقد وضع ذلك الكثير من الامتيازات السياسية فى ايدى الذين يملكون الكثير . ولكن باعطائه سلطات للذين لا يملكون وهى سلطات كما رأينا ليست هيئة فقد خطى سولون خطوة كبيرة بالمجتمع الاثينى نحو الديمقراطية حتى أن الاثينيين لم ينسوا له ذلك عندما حققوا نظامهم الذين عرفوه باسم الديمقراطية وذلك ابان القرن الخامس قبل الميلاد فوصفوه بأنه أبو الديموقراطية ومؤسسها الاول .

تقول الروايات أن سولون بعد أن وضع تشريعه غادر أثينا ليتجول فى بلاد عديدة لمدة عشرة سنوات حتى يعطى لنظامه الفرصة فى أن يختبر نفسه وهو بعيد عنه، وزار سولون ابان رحلته هذه مصر وقبرص ومملكة ليديا Lydia فى آسيا الصغرى . وقد ابتكرت الروايات قصة لقائه مع كرويسوس Croesus ملك ليديا الذى اشتهر بثرائه الاسطورى الفاحش وكيف أن كرويسوس تجول فى صحبته ليريه خزائن ذاهبة ثم سأله عرضا عما اذا كان ( سولون ) يعرف من هو أسعد منه حظا . فروى له سولون حياة مواطن أثينى متوسط الحال ورب لأسرة مات وهو يقاتل من أجل وطنه ثم كرر كرويسوس السؤال عليه مرة أخرى فروى له سولون قصة شاين ماتا من الارهاق بعد أن جرا عربة أمهما العجوز الى مهرجان دينى أقيم فى دلفى (١) عندئذ غضب كرويسوس لأنه لا يجد لنفسه مكانا فى قوائم السعداء عند الاغريق ثم شرح له سولون أن الاغريق لا يهنئون الانسان على نجاح أو فى مناسبة سعيدة لأنهم يعلمون أن القدر يخبىء له ما هو سعيد أيضا وأنهم لا يعترفون بالانسان السعيد الا اذا مات سعيدا وأن الحياة فى ظن الاغريق صراع لم ينته بعد فكيف يهنئون الانسان علن الفوز فى جولة بينما لم تنته المباراة بعد (٢) ؟

وتستطرد الرواية فتروى أن الأحداث خبأت لكرويسوس ما تنبأ به

---

(١) هذان الفتيان هما كليوبيس Kleobis وبيتون Biton اللذان

خلدا فى تماثيل ضخمة Colossal ابان القرن السابع قبل الميلاد فيما يعرف

بالكوروى (koroï)

(٢) هيرودوت الكتاب الاول . فقرة ٣٠ وما بعدها .

سولون فقد زحف ملك الفرس قورش واستولى على مملكة ليديا وقبض على كرويسوس وأوثقه ووضع فوق كومة من الأخشاب أشعل فيها النار ولما أحس كرويسوس بأن النار قد أوشكت أن تلحق به تذكر سولون الحكيم وقوله له : « نحن ننتظر حتى نهاية الصراع » فهتف باسمه ثلاث مرات وسمعه قورش وأمر بحل وثاقه ليسأله عن سولون هذا ولما روى له القصة أمر بالعفو عنه واتخذه صديقا له .

تلك هي الاقصوصة التي رواها لنا هيرودوت بالرغم من أن هناك فارقا زمنيا بين سولون وبين حكم كرويسوس يبلغ أربعة وثلاثين عاما الا أنها تلفت النظر الى تفاقم خطر الفرس في آسيا الصغرى واحتلالهم مملكة ليديا وتهديدهم للمدن الاغريقية الموجودة على ساحل آسيا الصغرى .

وعاد سولون من رحلته التي امتدت الى عشر سنين ولدهشته وجد أن اصلاحاته لم تقض على الخطر بل أخرجت في انفجار . لأنه ترك المتطرفين من كلا الأطراف المتنازعة يعملون لمنازلة كبرى من أجل الاستيلاء على الحكم ووجد المجتمع الاثيني منقسما على نفسه الى ثلاثة أحزاب متقاتلة هي حزب الجبل وحزب السهل وحزب الشاطئ حيث كان يتزعم كل منهم زعيم . كما وجد أن أحد أقربائه ويدعى بيسستراتوس Peisistratus يتزعم حزب الجبل ويكون عصاة لتحل الاكروبول ثم ينصب نفسه حاكما مطلقا أو طاغيا على البلاد وهو نظام حكم جديد لم تعرفه البلاد من قبل .

(١) عن صراع الاحزاب الثلاثة بعد سولون انظر :

(1) E. Klume, "Bemerkungen zu den Diskussionen über der drei «Parteien» in Attika zur Zeit der Machtergreifung des Peisistratos», Klio LIV, 1972, p. 101-124.



## الفصل الثامن

### عصر الطغاة الأغريق

### أو

### قيام دكتاتورية الفرد الواحد

(Greek Tyrants)

أطلق الاغريق على كل من ينتزع الحكم بالقوة ليقيم من نفسه حاكما على أشلاء الدستور لفظ «الطاغي» Tyrannos ولقد مرت بلاد اليونان

يرى البعض ان فكرة حكم الطغاة جاءت الى بلاد اليونان من آسيا الصغرى وعلى وجه التحديد من ليديا حيث قلدوا حكم ملكها جوجيس Gyges أنظر :

J. Labarbé, "L' apparition de la notion de tyrannie dans la Grece antique, 'Acta Classica, XL (1972), p. 471-504.

ويرى بعض آخر أن ظاهرة قيام حكم الطغاة تطور طبيعي لظهور فئة من العسكريين الطموحين استخدموا الجنود المشاة الثقلي التسلح hoplites والمحترفين لقلب نظم الحكم الارستقراطية وتنصيب انفسهم بقوة السلاح حكاما منفردين مقلدين ملوك الشرق من امثال جوجيس ملك ليديا وفراغة الاسرة الصاوية خاصة بسماتيك أنظر :

R. Drews : The first Tyrants of Greece, Historia XXI, 1972, p. 129—144.

وهذه هي الآراء الحديثة بدلا من الآراء القديمة والتي يمثلها اور Ure الذي يربط هذه الظاهرة بالتطور الاجتماعى مثل ظهور الطبقة البرجوازية الجديدة ويشبه الموقف بأسره المديتشي في فلورنسا ايان عصر النهضة حيث كانوا طغاة لانهم كانوا اغنياء قادرين على الانفاق على الانقلابات العسكرية أنظر :

P.N. Ure, The Origins of Tyranny (1922).

وقد انتقد اندروز هذا الراى بأنه يتحم مفهومات سياسية معاصرة على هذه الظاهرة

Cf. A. Andrews, The Greek Tyants, Hutchinson University library, 1966, p. 154.

كذلك راى نيلسون الذى يرجع ظاهرة الطغاة الى ظهور طبقة رجال الصناعة وازدهارها أنظر :

M.P. Nilsson, The Age of Early Greek Tyrants (Dill Memorial Lecture Belfast 1936).

بهذا النوع الجديد من الحكم ابان القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ولذا يطلق عليه بعصر الطغاة وهو نظام نشأ عندما انتزعت طائفة معينة من الشعب - عادة الطبقة الوسطى - الحكم عن طريق السلاح من الارستقراطيين الذين كان حكمهم يترنح في هذه الآونة ، والحق يقال كان هذا الحكم أكفأ بكثير من حكم الارستقراطيين الذين فشلوا في معالجة المشاكل الاجتماعية بالسياسة والكياسة بل لجأوا الى القوة والعنف مثلما فعلت أسرة آل الكيمايون في أثينا ، بعد محاولة كولون الفاشلة .

لقد كان الطاغى الاغريقى يقيم من نفسه وصيا على الفقراء والمعوذين لكى يكسبهم الى جواره وكثيراً ما كان الطغاة عقلاء ومستنيرين بالرغم من أن بعضهم كان دمويًا وعنيفًا وارتكب أفعالاً تقشعر لها الأبدان حتى أصبحت الكلمة تعنى طاغية بمفهومنا الحديث .

لقد ارتبط ظهور الطغاة بتدهور الأحوال الاجتماعية القديمة نتيجة للثورة التجارية الكبرى وما تلا ذلك من تقدم صناعى و طبقات غنية جديدة نافست طبقة النبلاء وطالبتها بالمزيد من الحقوق بل حنت عليها لاحتكارها السلطة والحكم وحدها . كما أن التطور فى نظام الجيش الذى أصبح يعتمد على جنود الطبقة المتوسطة أثر تأثيراً كبيراً اذ أدركت هذه الطبقة التى ملأت صفوف الجيش أن ييدها وحدها يتحقق سلام الأمة حتى أنها أصبحت تلقب نفسها بالشعب Demos . يبرز من بين صفوفها زعماء ، خاصة عندما اندلعت الصراعات عند الأزمات (١) الداخلية الناتجة من الصراع والتدخل الاجتماعى أو من وجود خطر خارجى ، وكان قائد الجيش بعد عودته من ميدان المعركة ظافراً حيث تستقبله الجماهير بالهتاف والتصفيق يجد الطريق مفتوحاً أمامه لانتزاع السلطة بقوة السلاح مخالفاً الدساتير والعرف والقوانين ليجعل من

(١) عن تطور معنى كلمة Demos الى مفهوم اجتماعى وسياسى انظر :

W. Donlon, «Changes and Shifts in the meaning of «Demos», in the Archaic Period, Pars. del Pass CXXXV, 1970. p. 381-395.

نفسه حاكما منفردا غير شرعى وهذا ما تعنيه كلمة تورانوس Tyrannos ( التى ترجمت خطأ الى « طاغية » (١) فى اللغة العربية ) والمثل على ذلك واضح فى حالة جيلون طاغية سيراكوزة Gelon Tyrant of Syracuse الذى بعد انتصاره على أهل قرطاجنة الذين غزوا جزيرة صقلية عام ٤٨٠ ق.م نصب نفسه طاغية عليها . وفى بعض الأحيان كان قائد الجيش يقوم بانقلابه بحجة أنه ذاهب للدفاع عن الوطن فى وجه خطر خارجى والمثل فى ذلك واضح من حالة الطاغية ديونيسيوس Dionysius الأول الذى قام بانقلابه قبل ذهابه لانقاذ الأمة من الخطر الخارجى الذى كان يحيق بها وفى بعض الأحيان نجد « الطفأة » ينحدرون من أسر أرستقراطية نائمة على الحكم الارستقراطى نفسه . كما أن بعض الطفأة كانوا من أسرة قادرة (٢) على تمويل الانقلاب أو أسر جمعت لنفسها رأس مال من التجارة وأثرت أن تتزعم الفبقات الدنيا واستخدامها وتجنيد عواطفها للوصول الى الحكم . بالاضافة الى ذلك كان هناك طبقة من الطفأة العملاء كالذين أقامهم الفرس على مدن ساحل آسيا الصغرى فى ظلال حاميات عسكرية ليحكموا باسمهم فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد .

وبالرغم من أن الطفأة الاغريق وجدوا فى كافة المدن الاغريقية على كافة عصورها ( منذ القرن السابع قبل الميلاد عندما بدأ حكم الارستقراطيين يترنح حتى أواخر القرن الثانى قبل الميلاد قبيل سقوط بلاد اليونان فى « حوزة » روما ) الا أن العرف جرى على جعل عصر الطفأة فى بلاد اليونان يبدأ من عام ٦٥٠ ق.م ( عندما استطاع كوبسيلوس Cypselus فى كورنثا من أن يسقط حكم أسرة آل باخيس Baacides و يقيم من نفسه طاغيا على المدينة ) وينتهى فى عام ٥١٠ ق.م ( عندما تمكن الأثينيون من طرد هيباس Hippias ابن الطاغية

(١) اشتق اللفظ العربى من الفعل طغى يطفى أى جار وزاد على الحد أو بمعنى يثور ويجور ، لكن المعنى فى اللغة العربية مثل اللغات الاوربية الحديثة يتضمن الشر والأذى فى السلوك ، لكن الكلمة الاغريقية لا تنظر الى ذلك الجانب بتاتا وانما تعنى الوصول الى والانفراد بالحكم بدون القانون ورغمما عن القانون . بصرف النظر عما اذا كان « الطافى » خيرا أو شريرا .

بيستراتوس من أثينا وإعلان الحكم الديمقراطي ( ومن أشهر الطغاة في هذا العصر طغاة مدينة كورثا مثل كوبسيلوس وابنه برياندر Periander وبسماتيكوس Psammatichus وكذلك طغاة مدينة سيكيون من آل أورثاجوراس Orthagoras (١) وعلى رأسهم كليستينيس Cleisthenes وأيضاً طغاة مدينة ميجارا Megara وعلى رأسهم ثياجينيس Theagenes وبالنسبة لنا فإن آل كوبسيلوس في كورثا وآل بيستراتوس Peisistratus في أثينا يعتبرون من أهم الطغاة الذين أثروا في تاريخ الاغريق . وفي بعض الأحيان كان الطغاة يساندون بعضهم البعض وقيمون بينهم أواصر الصداقة والقربة والمصاهرة . وكانوا حلفاء لبعضهم البعض . هكذا على امتداد المائة والأربعين عاما خبرت المدن الاغريقية هذا النوع من الحكم الجديد والغريب أنه هو الذي وضع حد النهاية للاستبداد الارستقراطي ورعوثته وعدم قدرته على مسايرة التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع ، كما أن نظام الطغاة نفسه كان مقدمة للنظام الديمقراطي الذي تلاه، اذ يمكن أن نقول باختصار أن عصر الطغاة كان فترة انتقال بين الحكم الارستقراطي القديم والحكم الديمقراطي الجديد .

#### كورثا تقيم نظام حكم الطغاة والمدن اليونانية تحذو حذوها :

قبل أن نتحدث عن ثورة كورثا ضد الارستقراطيين وأثر هذه الثورة على باقي المدن الاغريقية لابد لنا من أن نتحدث عن كورثا ومكاتها بين مدن اليونان .

---

(١) عن دراسة أسرة آل أورثاجوراس وتفسير انقلاب كليستينيس على أنه صراع بين أسرتين أحدهما دورية الأصل والثانية ترجع الى سكان المدينة ما قبل وصول الدوريين مما أدى الى قيام الأخيرة بالانقلاب ضد الاولى انظر :

كانت كورثا تحتل المركز الثالث بعد أثينا واسبرطة من الناحية السياسية والحضارية \* وهي تدين بسرعظمتها الى موقعها الجغرافى الهام ، اذ تقع على البرزخ المعروف باسمها وعلى الخليج الواقع شمال البيلوبونيسوس كما أنها سيطرت على الطريق البرى الشمالى الذى يبدأ من هذا البرزخ سواء المتجه منه الى الشرق - أعنى الى بحر ايجه عبر المضيق أو الى الغرب على الساحل الشمالى لاقليم البيلوبونيسوس ، وهكذا حتم الموقع الجغرافى على هذه المدينة أن تكون مركزا بحريا وتجاريا وميناء بلاد اليونان الأول ترسو فيه السفن القادمة من أعالى البحار محملة بالواردات ، والمواد الأولية وتخرج منه السفن المحملة بالمصنعات الكورثية . ولذا نهضت الصناعة الكورثية فى أعقاب ازدهار التجارة لتسد حاجتها ، وكان من الطبيعى أن تنظر قوانين المدينة الى الصانع نظرة احترام وتقدير تفوق نظرتها الى الجندى بعكس الحال فى اسبرطة ولهذا لم تنجب مثل أثينا فحول الشعراء والأدباء والفلاسفة بل كانت كورثا ترسانة الصناعات ومحط أهل الفنون العملية الذين كانت تشجعهم على النزوح اليها وتغريهم بالوضع الاجتماعى اللائق والفريد من بين سائر صناعات بلاد اليونان \* وسرعان ما ازدهرت المدينة وكبر حجمها حتى بلغ سكانها ما بين ٤٠ ألفا الى خمسين ألفا وهو عدد يفوق سكان أثينا التى كانت تفاخر بأنها المدينة الأولى لبلاد اليونان \* كذلك كانت كورثا تستوعب عددا كبيرا من القوى العاملة والعمال خاصة من الرقيق حيث راجت تجارتهم فى أسواقها بسبب السفن القادمة من آسيا الصغرى \*

وكان من الطبيعى اذا أن ينشأ التنافس والعداء المرير بين أثينا عندما ازدهرت وقوى أسطولها وبين كورثا لأن الأخيرة رأت فى ازدهار الأولى خطرا يهدد مصالحها التجارية والبحرية ولذا كانت سياسة كورثا دائما هى تدمير أثينا وازالتها من الوجود فكانت تؤلب عليها اسبرطة وسائر أعضاء حلف البيلوبونيسوس ولكن آمال كورثا لم تتحقق ، بل من سخرية القدر أن منافسا سياسيا وبحريا جديدا برز من الجانب الآخر

للبحر الإديرياتيكي ليدمر كورنثا عن آخرها لأنه وجد فيها خطراً عليه سياسياً وتجارياً ، هذا المنافس الجديد هو روما (١) .

إن الزائر لكورنثا الحديثة ليدعش عندما يجد أطلال المدينة القديمة تقع على بعد ثلاثة أميال ونصف الميل فقط من البحر . ومن أهم أطلال كورنثا سوقها العامة agora وبعض مباني قديمة من عصور مختلفة وقد كشفت البعثات الأثرية الأجنبية عن بقايا معبد أبوللون الشهير والذي بناه طاغيتها برياندر Periander وهو عبارة عن سبع أعمدة من الطراز الدوري Doric Style كل منها منحوت من قطعة واحدة من الحجر Monolithic ومغطاة بالجص الأحمر يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد .

وعلى مسافة قليلة من المعبد جنوباً يقف تل المدينة الشهير بالأكرو كورنث Acrocorinth والذي ترمي المدينة بل إقليم البيلوبونيسوس كله تحت سفوحه إذ يستطيع الواقف على قمته أن يشاهد أشهر وأجمل بقاع البيلوبونيسوس مثل جبال أركاديا وقممها التي تغطيها الثلوج البيضاء وقمة جبل بارناسوس المقدس Parnassos والهليكون Helicon بل إن المشاهد يستطيع أن يلمح أكروبول أثينا وأطلال البارثينون إذا ما كان الجو صافياً والسماء خالية من الغيوم . ومن أجل هذا الموقع الهام للأكروكورنث Acrocorinth فقد دارت معارك عديدة من أجل الاحتفاظ به ورد الطامعين في احتلاله .

إن نظرة موجزة عن تاريخ المدينة المبكر تجعلنا ندرك أنها لم تختلف عن أي مدينة أخرى في بلاد اليونان فتاريخها يبدأ بالأساطير الخرافية التي تفسر الفترات الغامضة من تاريخها والدارس لا يجد مهرباً من أن يتعرض لهذه الأساطير وتحليلها وذلك لغياب الدليل المادي .

ويقول أهل كورنثا أن اسم مدينتهم راجع إلى اسم « أحد أبناء زيوس - رب الأرباب وكان اسمه Corinthus ولكن الاغريق سخروا من هذا الادعاء واعتبروا اقتراء من جانب الكورنثيين » .

(١) وكان ذلك في عام ١٤٦ ق.م. في نفس العام الذي دمرت فيه روما فرطاجة وأزالتها من الوجود انظر كتابي : تاريخ الرومان - القاهرة ١٩٧٦ ص ١٨٢ .

كذلك تتحدث أساطير المدينة عن أسرات حكمت ، أولها أسرة قديمة ساعدها هليوس Helios رب الشمس على الجلوس فوق العرش ولما مات آخر ملوكها دون أن ينجب وريثا فقد أرسل أهل المدينة شابا مغامرا اسمه ياسون Jason ليستكشف منطقة البحر الأسود وليأتى منها بملك وبعد رحلة أسطورية بحرية شاقة عاد البطل ياسون ومعه أميرة اسمها ميديا Medea من أهل هذه المنطقة وأجلست على العرش وتزوجت من ياسون الذى أصبح يحكم المدينة باسمها ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهما بسبب رغبة ياسون فى الزواج من أخرى فهجر ياسون زوجته الشرقية فاضطرت الى تسليم العرش لحاكم وطنى جديد هو سيسيفوس وبهذا بدأت أسرة جديدة من الأسرات التى حكمت المدينة • وجدير بالذكر أن وجهة نظر الكورثيين تختلف عن رواية الاثينيين لهذه الاسطورة • فمثلا روى الشاعر يوريبديس فى مسرحيته المعروفة باسم « ميديا » أن هذه الأميرة كانت شرقية بربرية ذات سلوك متوحش وتمارس السحر الأسود ضد من لا يعجبونها ولهذا هجرها زوجها فحنقت عليه لدرجة أنها ذبحت يديها ولديها منه ثم تقتل عروس زوجها الجديدة وتعود الى بلادها • كذلك روى أهل مدينة كورثا أن ولدى ميديا من ياسون رجما حتى الموت لأنهما حملا السم الى زوجة أبيهما كذلك يروى لنا الكتاب الاغريق أن قبرى هذين الولدين كانا من أهم الأماكن السياحية التى يذهب الزوار لمشاهدتها حتى القرن الثانى الميلادى •

وخلاصة القول أنه بينما نظر الاغريق - وخاصة أهل أثينا - الى ميديا نظرة تحقير اعتبرها أهل كورثا ملكة عظيمة حكمت المدينة ومن الواضح أن العداء السياسى بين البلدين كان وراء هذا الاختلاف ونحن لا نملك أن نؤيد احدى الروايات على الأخرى نظرا لغياب الدليل المادى •

أما الحاكم الجديد سيسيفوس Sisyphos فيبدو أنه كان شخصية تاريخية بالفعل ولقد أصبح اسم هذا الملك فيما بعد مصرب الأمثال

للمكر والخداع وانعكاساً لشخصية الكورثى التاجر ولكن نجد  
الخلافاً يظهر بين الروايات الاثينية والروايات الكورثية بخصوصه  
فبينما يصوره هوميروس في الأوديسا وهو يقضى عقوبة شاقة في الجحيم  
عند هاديس Hades يصوره الكورثيون كبطل من أشجع الأبطال  
وملك لا يقل عن الآلهة قوة وعظمة .

وأيضاً من أشهر الأساطير التى سادت بين الكورثيين قبل حرب  
طروادة أسطورة البطل الكورثى بلروفون Bellerophon حفيد  
ميسيفوس - والذي استطاع أن يأسر الجواد الأسطوري المجنح  
بيجاسوس Pegasus وهو يشرب من ينبوع ماء فوق الاكروكورنث  
وكان ذلك بمساعدة الربة أثينا التى أعطت بلروفون لجأماً وشكيمة من  
ذهب ليأسر بها هذا الحصان الأسطوري ويستخدمه فى مغامراته البعيدة  
وربما يفسر ذلك تسمية معبد الربة أثينا بالمدينة باسم « معبد الربة أثينا  
صاحبة اللجام » .

ولما حدثت حرب طروادة تحدثت الأساطير عن عجز كورثا فى ارسال  
حملة مثلما فعلت موكتناى وييلوس لمساعدة الأخيين وتحدثت عن  
ارسال المدينة لفرقة واحدة غطت تحت قيادة أجاممنون ملك موكتناى .  
ومن المواقف الظريفة التى روتها الأسطورة أن أحد أحفاد بلروفون كان  
يحارب مع الطرواديين وبينما كان يتبارز مع ديوميديس Diomedes  
أجد أبطال الاغريق وفى أثناء الحوار الذى دار بينهما تبين لهما أنهما  
أهل وأقارب ومن ثم تصافحا . وأعجب بلروفون بدرع ديوميديس  
النحاسى فتبادله بدرعه الذى كان من الذهب الخالص وسخر الاغريق  
فيما بعد لهذه الصفقة واعتبروا الحفيد الطروادى غشياً غيباً حتى أن  
هوميروس يعقب على هذه الصفقة بأن « زيوس ذهب بذكائه » فأقدم  
على المبادلة .

وعندما تلى حرب طروادة الغزو الدورى الذى غير من وجه بلاد  
اليونان سياسة وثقافة وتاريخاً وهاجر المطرودون من بلادهم الى آسيا  
الصغرى حيث أسسوا أيونيا لا نسمع شيئاً عن مهاجرين من كورثا



ولكن نسمع أن كورثا بعثت من جديد كمدينة دورية لحما ودما بصورة غير التي كانت عليها قبل الغزو الدورى • ونسمع عن نظام جديد لحكم المدينة عن طريق طبقة أوليجارخية من النبلاء من أسرة آل باخياس . Bacciadae والتي طردت الأسرة النبيلة السابقة ودفعت بهم الى الهجرة خارج البلاد فهاجروا حيث أسسوا مستوطنتين أحدهما كوركيرا ( جزيرة كورفو المواجهة للساحل الغربى لبلاد اليونان والأخرى مستوطنة ايديامنوس Epidamnus دورانزو الحالية على ساحل البحر الادرياتيكي ) كما هاجر بعضهم الى صقلية وأسسوا مستوطنة قدر لها أن تكون سيدة المستوطنات الاغريقية جميعها فى هذه الجزيرة وهى مدينة سيراكوزة Syracusae.

#### أسرة باخياس تضع أساس نهضة كورثا :

يروى لنا التراث القديم أن أسرة آل باخياس Bacciades حكمت مدينة كورثا قرابة مائة وأربعين سنة من ٧٥٠ الى ٦١٠ ق.م واستطاعت خلالها هذه الأسرة أن تضع نواة أسطول المدينة العظيم الذى أصبح فيما بعد سر قوتها وسلطانها فيما وراء البحار لأنهم بنوا الترسانات البحرية ويقال أن الكورثيين أول من ابتكروا السفن ذات الثلاث طوابق Triremes وأن أول معركة بحرية فى تاريخ الاغريق هى تلك التى حدثت عام ٦٤٠ ق.م ما بين مدينة كورثا ومستوطنتها المتمردة عليها كوركيرا Korkyra • وهكذا دفع حكام أسرة آل باخياس قوة الدولة الى الأمام فنشروا سلطان كورثا فيما وراء البحار وعلى الطرق والممرات المائية الحيوية كما طهروا البحار من خطر قراصنة البحر وفرضوا مقابل ذلك اتاوة على السفن فضمنوا لهم بذلك دخلا زاد من ثرائهم واقتصادهم • وفى ظلال ازدهار التجارة ازدهرت الصناعة وتعلم الكورثيون الكثير من خبرة شعوب الشرق الأوسط فكانوا أول من

اقتبس من فنون الشرق (١) خاصة فن الرسم الطبيعي المتحرك والحى والنماذج المليئة بصور النباتات والحيوانات ذاب الألوان الزاهية مما يعرفه علماء الآثار بأسلوب الاستشراق Orientalizing Style خاصة فى معالجة الرسم على الاوانى Vase Painting كما أن كثرة الأسلوب الاستشراقى على (٢) الأوانى الكورنثية التى انتشرت انتشارا كبيرا يدل على صناعة ناجحة ظلت تكتسح الاسواق حتى طورت أثينا صناعتها وقليلًا قليلًا انتزعت من كورنثا هذا النجاح ولا نسمع بعد ذلك الا عن الصناعة الاثينية ومدارس الرسم الاثينية فوق الأوانى المتعددة حتى العصر الهلينستى .

ولكن من الواضح أن المدينة لم تسلم من الصراع الاجتماعى نتيجة الظهور طبقات ثرية جديدة ونتيجة لضعف الأسرة الارستقراطية الحاكمة وعدم قدرتها على مواجهة التحديات والظروف الجديدة حتى تمكن أحد أنصاف النبلاء الساخطين واسمه كوبسيلوس Cypselus عام ٦١٠ ق.م من أن يستخدم القوة ويجند القوانين ويحكم منفردا ويبطش بأعدائه وهو ما يعرف عند الاغريق بحكم الطاغية Tyrannos.

#### عصر الطغاة فى كورنثا :

إذا كانت عظمة كورنثة تدين لأسرة باخياس فانها تدين بدرجة أكبر لنشاط وديناميكية الطغاة . حقيقة أننا لا نعرف الكثير عن الطاغى الأول

(١) من المعروف أن اول معبد اغريقى بنى على الطراز الدورى الذى هو صورة مطورة من المعبد المصرى ( خاصة معبد زوسر فى سقارة الذى بنى حوالى عام ٢٦٠٠ ق.م ) هو معبد الربة ديميتير فى جزيرة كوركيرا والذى بنى حوالى عام ٦٠٠ ق.م . وعن علاقة الاغريق بمصر فى هذه الفترة انظر :

M.M. Austin, Greece and Egypt in the Archaic Age. (Proceedings of the Cambridge Philological Society, Supplement no. 2). 1970. p. 15 ff.

(٢) اندريه ايمارد وجانين أو بوايه : تاريخ الحضارات العالم الشرق واليونان القديمة - ترجمة فريد واعز وفؤاد أبو برحان بيروت - منشورات عويدات ١٩٦٤ .

كوبسيلوس لأن المعلومات التي وصلت إلينا متناقضة فقد وصفه بعض الكتاب بأنه كان قاسيا ، غنيفا ومتسلطا ، كبح حرية الناس بالقمع وطرده النبلاء بالقوة وصادر أموالهم ودفعهم للهجرة خارج البلاد حيث أسسوا المستوطنات ( وهذا يفسر العداء السافر بين المدينة ومستوطناتها والذي وصل الى حد الحرب بل وجر بلاد اليونان كلها الى ساحة الحرب معها) ويرى آخرون أنه كان حاكما عادلا أحبه الناس ووثقوا فيه ووثق هو بدوره فيهم ، فكان يسير في الطرقات والأسواق دون حراس حوله وأنه كان مسالما لا يميل الى الحرب ( وبالفعل لم تشغل كورثا أى حرب أثناء حكمه لها ) بل كرس همه فى اقامة المستوطنات جنوب ايطاليا وصقلية وأقام علاقات طيبة مع سلطات العبادة الكهنية فى دلفى حيث معبد أبوللون الشهير بأن بنى هناك دارا لخزن النفائس التى ترسل كقرايين لهذا الآله Treasury وأغدق على كهنة دلفى بالهدايا كذلك أقام كوبسيلوس علاقات طيبة مع دول غير هيلينية مثل مملكة ليديا فى غرب آسيا الصغرى •

ولما مات كوبسيلوس حكم من بعده ابنه برياندر Periander الذى فاق أباه نجاحا فى الوصول بكورثا الى قمة العظمة والازدهار ولكن التراث القديم لا يترك لنا صورة واضحة عن شخصيته بل يظهره متناقضا بين الخير والشر ولكن أغلب الظن أنه بدأ حياته معتدلا ومحسوبا ولكن مالبث أن تغير فتسلط على الناس وارتكب جرائم بشعة من أجل تأمين العرش لنفسه وذكر أرسطو أنه كان أول من ابتدع قطف الرؤس اذا نمت أكثر من اللازم ، وروى التراث الاغريقى فيما بعد أنه حرم على الناس العلم وأغلق النوادى والمجتمعات حتى لا تشجع الناس على التمرد والثورة وكانت سياسته الابقاء على الشعب جاهلا ومعدما حتى لا يكون له حول ولا قوة كما بث بين الناس العيون والجواسيس ومنع التجمهر والاجتماعات وعلى العكس من أيه قام بعدد من الحروب فغزى مستوطنة كوركيرا المتمردة كذلك دخل فى صراع مسلح مع مدينة ميليتوس Miletus

كذلك أقام برياندر علاقات قوية مع فراعنة مصر حتى أن ابن شقيقه أعطى اسم بسماتيخوس Psammaticus (١) تيمنا باسم الفرعون سميستيك أحد فراعنة الأسرة الصاوية . وعموما تمتع برياندر باحترام كبير على مستوى العالم الهليني كله لدرجة أنه كان يدعى للتحكيم في المنازعات بين المدن المتصارعة ، ومن أهم المستوطنات التي أسسها برياندر مستوطنة بوتيدايا في الشمال الغربي من حوض بحر ايجه وكانت هذه المستعمرة الدورية شوكة في حلق المصالح الاثينية والتي كانت تسيطر تماما على هذه المنطقة ( كان مهاجمة أثينا لهذه المدينة أحد أسباب قيام الحرب البيلوبونيسية التي اشتعلت رحاها بين أثينا وأسبرطة فيما بعد .

كذلك روى التراث القديم أن برياندر كان أول من أوجد المهرجان الرياضي لخليج كورنثة المعروف باسم المباريات الاسمية Isthmian games والتي كانت تقام كل عامين تكريما لرب البحار بوسيدون Poseidon . إكاد هذا المهرجان من أنجح المهرجانات الرياضية لكثرة زواره وجماهيره وقد جنت كورنثا دخلا كبيرا منه ولذا بقيت ادارة هذا المهرجان في يدها حتى النهاية . كذلك شغل نشاط برياندر الديانة اذ أعجب برب الخمر ديونيسوس وسحره الرمز الذي يتضمنه موته ثم بعثه في الربيع عندما ينضج النبيذ الجديد ولهذا أنشأ برياندر جوقة لانشاد ترانيم مقدسة لهذا الاله عرفت باسم الديثورامب Dithyramb والذي منه تبلورت المسرحية الاغريقية فيما بعد .

كذلك كان عصر برياندر عصر بناء وتعبير اذ بنى معبد أبوللون الكبير والذي سبق ذكره ويقال أن المهندسين الكورثيين هم أول من أوجدوا قواعد البناء المعماري مثل بناء الواجهة المثلثة pediment التي توجد في المعابد والمباني الكبرى وهم أول من بتدعوا تزيينها بالرخام المنحوت

---

(١) من المعروف أن ملوك الأسرة الصاوية ٦٦٣ - ٥٢٥ ق.م في محاولتهم لاحياء الامبراطورية المصرية المنهارة حاولوا بناء اسطول مصرى حربى من السفن الاغريقية ذات الثلاثة طوابق من المجدفين triremes. والتي تعرف في الهيروغليفية باسم Kbnt وليس من المستبعد ان يكونوا قد جندوا خبراء من كورنثا لهذا الغرض انظر المقالة الطريفة :

Alan. B. Lloyd. «Trieremes and The Saite Navy», Journal of Egyptian Archaeology, 58 (1972). p. 2 68. 279.

وقد لمعت أسماء مهندسين كورثيين أثناء هذه النهضة المعمارية ولكن للأسف لم يصل إلينا كثير من هذه المباني حتى معبد أبوللون فقد دمره حريق كبير عام ٥٤٨ ق. م كما أن عجز كورثا على أن تكون خلاقة في مجال الشعر والأدب جعلها تعوض ذلك بدعوة مشاهير الشعراء والأدباء خاصة من أثينا واغرائهم بالاقامة وحسن الاستقبال ولهذا مدحها الكثيرون في أشعارهم ومؤلفاتهم .

#### نهاية حكم الطغاة في كورثا :

حكم برياندر أربعين عاما حتى دهمته الشيخوخة وبدأ الصراع حول العرش . واختار برياندر ابن شقيقه بسماتيخوس . ولكن هذا الأخير كان ضعيفا ولم يستطع حماية الحكم من ثورة النبلاء الذين عادوا من المنفى ومعهم قوات من أسبرطة . واستولوا على كورثا وقتلوه . ومنذ ذلك الوقت انضمت كورثا الى حلف البيلوبونيسوس وأصبحت من أبرز أعضائه . كذلك أقام الارستقراطيون حكما أوليجارخيا على نمط النظام الذي شجعته أسبرطة في مدن البيلوبونيسوس .

ومهما يكن من أمر فإن فضل الطغاة في بناء كورثا عظيم لأنهم هم الذين جعلوها تنتزع السيادة على البيلوبونيسوس من مدينة أرجوس المجاورة وهم أصحاب التوسع الاستيطاني<sup>(١)</sup> والانتشار التجاري وبناء القوة البحرية وهم أول من أوجدوا نواة لحياة ثقافية واجتماعية من أجل الترفيه على قلوب الشعب العامل الكادح . وقد بلغ اقتصاد كورثا في عهدهم درجة عالية من القوة فهم أول من سكوا عملة فضية باسم مدينتهم بدلا من التعامل بعملة أرجوس . وكانت العملة الجديدة تحمل على إحدى وجهيها صورة للجواد الاسطوري بيغاسوس وعلى الوجه الآخر شعار الصليب المعقوف Swastika<sup>(٢)</sup> ولقد عثرت البعثات الأثرية على كميات كبيرة من هذه العملة في صقلية وإيطاليا مما يدل على النفوذ والرخاء ، وليس من الغريب أن نعثر على بعضها في مصر وربما في ممفيس أو

(١) وهو نفس الشعار الذي اتخذته ألمانيا النازية في النصف الأول من القرن العشرين .

(1) cf. Carl Roebuck, "Some Aspects of the urbanization of Corinth, Hesperia XLI (1972), p. 96-127.

(2) وهو نفس الشعار الذي اتخذته ألمانيا الهتلرية شعارا لها .

نقراطيس أو سائر الأماكن التي وفد اليها التجار الاغريق قبل فتح الاسكندر لمصر وعموما فان منطقة صقلية وجنوب ايطاليا كانت منطقة حيوية للمصالح الكورثية كما كانت منطقة البحر الأسود بالنسبة لأثينا

هكذا بسقوط حكم الطغاة سقطت الامبراطورية الكورثية واعتكفت كورثا على التجارة فقط وحاولت أن تكون على علاقة طيبة مع كثير من الدول من أجل مصالحها . أما من ناحية نظام الحكم الداخلي فقد اقتبس الأوليجارخيون نظام أرجوس القديم وأقاموا مجلسا تشريعا عدد أعضائه ثمانين عضوا يختارون على أساس عشرة أعضاء من كل قبيلة ووزعت الاختصاصات الادارية عليهم . حقيقة أن الأوليجارخية خنقت كورثا وحرمتها من التطور والانطلاق التي تمتعت به أثينا ، وقيدت يداها وربطتها بالحلف البلوبونيزي ولكن بالرغم من هذا كله فقد كانت كورثا مثالا يحتذى به سائر المدن الاغريقية في الادارة والنظام وتطبيق القوانين . كما أنها لعبت دورها التاريخي في الحروب ضد الفرس وأكبر من هذا وذاك فهي التي حرضت حلف اليبلوبونيسوس على الانزال في الحرب على أثينا منافستها وطالب مندوبوها بتدميرها ومحوها من الوجود . واختارها فيليب المقدوني في عام ٣٣٨ ق.م مقرا للحلف الدفاعي الجديد ضد الفرس بل ان الاسكندر الأكبر زارها فيما بعد وأقام فيها حامية مقدونية كموقع استراتيجي بحجة حراسة اليونان ، كما لعبت دورها في حروب ورثة الاسكندر وظلت تابعة لمقدونيا حتى هزيمة فيليب الخامس عام ١٩٧ ق.م على يد القنصل الروماني فلامينيوس Flaminius والذي أعلن حرية كورثا باسم روما ولكن الكورثيين شكوا في نواياه فانضموا للحلف الآخى لمقاومة التوسع الروماني وحاول الرومان ابعاد كورثا عن نشاط هذا الحلف ولكن الكورثيين رفضوا ذلك بشدة لدرجة أنهم ألقوا بالطين في وجه السنراء الرومان عند مرورهم في المدينة ، عندئذ أدركت روما أن سياسة القوة واجبة فأرسلت القنصل لوكيوس موميوس M. Mummius حيث سحق قوات الحلف الآخى ودخل كورثا وهرب الآخى . بتدمير المدينة وحرقها وضم أراضيها لمدينة سيكيون المجاورة وذلك في عام ١٤٦ ق.م .

وظلت كورثا أطلالا مهجورة حتى جاء يوليوس قيصر وأصدر قراره بإعادة بناء كورثا وإقامة مستوطنة رومانية فيها مثلما فعل مع قرطاجنة ويبدو أن قرار قيصر لم ينفذ إلا بعد اغتياله عام ٤٤ ق. م .

#### بيسستراتوس Peisistratos طاغية أثينا :

كان بيسستراتوس زعيم حزب الجبل وأحد أقرباء المشرع سولون لأن اسمه تردد أثناء عمليتين حرييتين قام بها سولون وهما احتلال نيسايا Nisaea ميناء مدينة ميجارا واستعادة جزيرة سلاميس Salamis ، استطاع بيسستراتوس أن يستغل سخط الفقراء الاجتماعى وأن يتعظ من أمر كيلون ويحتاط بتجنيد حراس حوله واستطاع عن طريقهم احتلال الاكربول ويمكن أن نصف طريقة حكم بيسستراتوس بأنها كانت أكثر عدلا و"انسانية من حكم الأرستقراطيين ولقد وضع بيسستراتوس المشرع سولون موضع الاحترام وأنزله منزلة التكريم ولم يحتج سولون على الطاغى لأنه كان وقتئذ فى الثمانين من عمره ولأنه لم يعيش طويلا اذ مات عام ٥٥٩ ق. م ان قضية الطغاة دائما هى كيف يستولون على الحكم، وكذلك كانت مشكلة بيسستراتوس لأنه قام بثلاث انقلابات قبل أن ينجح فى أن يصبح طاغية وذلك عندما قام بحيلة ظريفة اذا قدم لمجلس الشعب وقد تمزقت ملابسه وتزرف جراحه مدعيا أن أعداءه السياسيين تعرضوا له بالاعتداء . عندئذ تحمس له قطاع كبير من المجلس واتخذوا قرارا يسمح له بأن يتسلح بعدد من الحراس لحمايته . وسرعان ما هاجم الاكربول بهؤلاء الحراس واحتله . ولكن أعداءه استطاعوا طرده فاضطر للهرب . فلبجأ الى حيلة أخرى وهى أنه دخل المدينة وهو يركب عربة وبجواره امرأة فارعة القوام ارتدت زيا شبيها بالزى الذى كانت تصور به الربة أثينا وادعى أن الربة جاءت معه لتنصره على أعدائه وبالفعل استطاع بيسستراتوس عن طريق هذه الخدعة أن يكسب تأييد الطبقات الساذجة والأمية وأقام نفسه طاغية لفترة وجيزة ثم طرد مرة أخرى وظل فى النفى المدة عشر سنوات حتى عاد عام ٥٤٦ ق. م بقوة من الرجال وتمكن من إقامة حكمه بالقوة والذى استمر حتى عام ٥٢٧ ق. م .

حكم بيسستراتوس بمهارة فائقة . اذ حاول كسب العطف العام

الشعبي بتنظيم المهرجانات الدينية مثل مهرجان الاله ديونيسوس Dionysus ابان الربيع حيث كانت تقام العروض المسرحية من تراجيديات وكوميديات وكان بداية لقيام مدرسة من شعراء المسرح الاثيني ذاع صيتها فيما بعد . كما كرم الربة أثينا الحامية للمدينة فنظم عيدها الشهير بالباناثينيا Panatheneia والذي فيه كانت تلقى مقطوعات الشعر وتجرى المباريات الرياضية بين كل الاغريق كلهم وليس بين الاثينيين وحدهم لأن بيسستراتوس كان يهدف من وراء ذلك الى فرض مركز أثينا على كافة مدن اليونان . ودعم ذلك بالاهتمام بتزيين العاصمة حتى تبدو بجمالها وروعها وكأنها عاصمة لبلاد اليونان اذا ما توحدت . وعلى ذلك فقد شجع الفنانين من مهندسى العمارة والنحاتين للقيام بعدد من المشروعات العمرانية . وكان ذلك بداية سياسة سار حكام أثينا عليها حتى نهاية القرن الخامس ق. م (١) .

لقد بدأ بيسستراتوس العمل نحو بناء الامبراطورية الاثينية فشجع المغامرين من الشباب والباحثين عن الذهب على انشاء المستعمرات الاستيطانية في اقليم تراكا Thracia شمال اليونان حيث توجد مناجم النضة وحول منطقة البسفور والدردنيل Hellespont حتى يضمن سلامة مرور السفن الاثينية المحملة بالقمح من منطقة البحر الأسود واقليم أوكرانيا الشهير بقمحه لأن الدولة الاثينية كانت تعتمد على القمح المستورد أكثر من اعتمادها على القمح المنتج من أرضها كما عمل بيسستراتوس على تنظيم الزراعة المحلية بتوزيع الاقطاعات الزراعية المصادرة والتي تركها النبلاء الهاربون ووزعها على الفلاحين المعدمين وأمدتهم بالمال اللازم لزراعتها كما شجع زراعة أشجار الزيتون لوفرة انتاجها ورخص تكاليفها ولأنها كانت عباد الغذاء والصناعة والزراعة في البلاد . كما حرص هذا الطاغية على تشجيع التجارة الخارجية وجعل سياسته الخارجية تقوم على هذا الاساس . فاستولى على ميناء سيجيوم Sigeum على ساحل آسيا الصغرى وأرسل الجنرال الاثيني الماهر مليتياديس Miltiades ليؤمن له منطقة شبه جزيرة القرم والشاطئ التراكي المقابل لها كما تبنى

(1) J.S. Boersma, Athenian building Policy from 561-405 B.C., Gronigen, 1970.



بيسستراتوس الشعراء الفنانين وجباهم بعطفه وبماله وقام بتعيين لجنة منهم لتنقيح الالياذة والأوديسا بعد تسجيل أشعارها . هكذا كان بيسستراتوس طاغية مستتراً واستمرت هذه السياسة حتى بعد موته عام ٥٢٨ ق.م عندما حكم ولداه هيباس Hippias وهيبارخوس Hipparchos حكماً ثنائياً أظهر فيه كل منهما حبه لأخيه .

### اغتيال هيبارخوس :

حدث أن كان الأخوان هيباس وهيبارخوس على صداقة بشاين من النبلاء هما هارموديوس Harmodius وأرستوجيتون Aristogelton وحدث أن اختلف هذان النبلان معهما فقررا اغتيالهما فانتهزا عيد الباناثينيا الكبير عام ٥١٤ ق.م حيث كان يسمح فيه بحمل السلاح دون تشكك أو خطر لأن الحياة في أثينا في عصر أسرة بيسستراتوس كانت مؤمنة وهادئة ولم يتمكن هذان النبلان الا من قتل هيبارخوس الأخ الأصغر وقد قتل الحراس هارموديوس عقب اغتياله لهيبارخوس أما زميله أرستوجيتون فقد قبض عليه ومات من التعذيب . كانت تلك نقطة التحول من الحكم الانفرادي المستترا الى الحكم الانفرادي الديموى والذى يتمثل فيه بحق الطغيان لأن هيباس اتقم من مقتل أخيه بقسوة وعمل الخوف عمله في تشدده وشكوكه وبطشه . فكان حكمه غنيماً وكابناً للحريات الشخصية . أما النبلان هارموريوس وأرستوجيتون فقد اعتبرا بطلين مخلصين وقتله الطغاة Tyrannophonoi كرما فيما بعد فأقيم تمثالان لهما فوق الاكروبول . ولقد حاول هيباس خطب ود أسبرطة لتأييده في البقاء فوق مقعد الحكم واستغل الارستقراطيون المنفيون (١) استياء الناس من حكم هيباس فقاموا بعرض قضيتهم على كهنة الآله أبوللون في دلفى وكسبوا عن طريق الرشاوى والوعود تأييدهم ومن ثم أراد الاسبرطيون اظهار حسن نواياهم في تحرير أثينا فقام ملكهم

(١) خاصة أسرة الكمايون التى شئت بيسستراتوس شملها انظر :

P.J. Bicknell, The Exile of the Alcmeonidai during the Peisistratids tyranny, Historia, XIX, 1970, p. 129-131.

كليومينس Cleomenes بقيادة جيش سار الى أثينا وطرد الطاغية في عام ٥١٠ ق.م . ففر الى مستعمرة سيجيوم Sigeum ثم التجأ الى قصر ملك الفرس دارا Darius أملا في حثه على اعادته الى الحكم مرة أخرى .

والآن نجد سؤالا يفرض نفسه ما الذي كان يهم الاسبرطيون من تحرير أثينا من حكم الطغاة مع أنهم كانوا على خلاف مع أثينا ؟ لقد فعل الاسبرطيون ذلك خوفا من نظام الطغاة لأن الطغاة كانوا يحلمون ببناء امبراطوريات توسعية على حساب الآخرين ويهمهم وجود حكم ضعيف وليس قويا ولذا عملوا على اسقاط الدكتاتورية الاثينية . أيضا أدرك الاسبرطيون أن حكم الطغاة يعتمد على الذين لا يملكون وعلى الطبقات الكادحة والفقيرة مما قد يدفع المستعبدين في بلادهم الى الثورة مقلدين فقراء أثينا وفي ذلك خطر عليهم لأن سياسة أسبرطه كانت دائما تتركز في اقامة حكومات أوليجارخية رجعية ويمنية بالمنهوم المعاصر .

ولكن ظن أسبرطه خاب اذ لم تستطيع الارستقراطية ارجاع ساعة التقدم الى الوراء الى أكثر من مائة سنة ليعودوا بأثينا الى أيام سولون . ومن باب سخرية التاريخ أن الذين وضعوا أساس التفسير الآثيني للديمقراطية هم الأرستقراطيون فقد وضع كليثينيس Cleisthenes حلولا أولية لمشكلة الحكم أذهلت العالم فيما بعد . اذ أوجد حكم الشعب للشعب democracy . بينما أطلقت أبواق الدعاية الآثينية مرددة التضحية الكبرى التي قدمها هارموديوس Harmodius وأرستوجيتون Aristogiton للبلاد وللحرية ومن ثم أصبحت أسطورة وجدت مكانها بين أساطيرهم الغنية بالخيال .

(١) وعن سقوط هيبياس وعلاقة ذلك بحملة الفرس على ثراكيا عام ٥١٣ انظر :

Castritius." Die okkupation Tharkiens durch die Perser und der Sturz der athenische Tyrannen Hippias Chiron, II, 1972, p. 1-15.

وبعد أن سقط هيبياس انسحبت قوات الفرس من تراقيا التي لم تضم نهائيا لحوزة الامبراطورية الفارسية الا في عام ٤٩٢ ق.م . ومن ثم يربط المؤلف بين غزو الفرس السريع لثراكيا وسقوط الطاغية هيبياس ولكن ذلك مجرد رأى .

### محاولات كليثنيس لايجاد نظام ديموقراطي :

يستطيع الدارس أن يشعر بمدى ادراك الاثينيين لأهمية نظامهم الجديد في غيرتهم عليه أبان حروبهم ضد الفرس ثم ضد الاسبرطيين (١)، وكما يتضح من خطبة التآين التي ألقاها أحد ساستهم الكبار وهو بيركليس Pericles والتي سجلها لنا المؤرخ الاثيني ثوكوديدس Thucydides اذ تحدث بيركليس عن مدى دفاع الاثينيين عن نظامهم السياسي في هذه الحروب لأنهم كانوا يدركون الاسبرطيين جاءوا ليسلبوهم اياه فماذا يا ترى كان هذا النظام ؟

كان كليثنيس أحد المحركين لفكرة طرد هيبياس واسقاط نظامه وكان الأول من أسرة الكمايون التي طردت منذ وقت طويل الى خارج البلاد وبعد قدوم الجيش الاسبرطي وانهاؤه مهمته دخل كليثنيس في منافسة مع نبيل آخر اسمه ايساجوراس Isagoras كان الملك الاسبرطي كليومينيس يحاييه • وهب الاثينيون في وجه الملك الاسبرطي فانحجب تاركا كليثنيس يكسب الجولة • وبدأ هذا الزعيم في تحقيق نظامه الجديد الذي نوجزه على النحو التالي :

١ - ألغى كليثنيس نظام تقسيم الاثينيين الى أربعة قبائل تقوم على المولد والأصل وأحل محله تقسيمهم الى عشرة قبائل تقوم على محل الإقامة وحسب التقسيمات الاقليمية، كما قسم أتيكا اقليمياً الى ثلاث أقسام : المدينة والشاطئ والمناطق الداخلية وقسم كل جزء الى عشرة مراكز محلية Trittyes وبالتالي قسم كل مركز الى عدد من الأحياء السكنية demes ، واختار من كل اقليم مركزاً ، أى من كل ثلاثة مراكز مختلفة تتكون القبيلة الجديدة • وبذلك قضى على النعرة الاقليمية لنظام الحكم القبلي وأبعد الخطر عن ثورات القبائل • لأن القبيلة بذلك أصبحت موزعة على عدد من المراكز الجغرافية المتباعدة •

Cl. Mossé, " Histoire d'une démocratie : Athènes, des originés à la Conquête macedoniéenne, [ Coll. Points Serie Histoire ] Paris Ed. du Seuil, 1971 pp 9 و ١٠

٢ - وعلى ضوء هذا التقسيم العشري الجديد للقبائل اختار كليثنيس مجلساً وطنياً تعداده خمسمائة عضو أى اختار من كل قبيلة خمسين عضواً وقد أعطى هذا المجلس أهمية خاصة كهيئة دستورية وتشريعية وقضائية تنفذ القوانين وترعى الأمن والنظام (١) .

٣ - وامعانا فى الديموقراطية جعل كليثنيس الأراخنة ينتخبون بالاقتراع بواسطة أعضاء هذا المجلس . وبالإضافة الى ذلك أوجد مجلساً من الجنرالات strategoi عدده عشرة أعضاء يختار واحد من كل قبيلة ويرأسه قائد الجيش Polemarch ومن الجدير بالذكر أن هذا المجلس تطور فيما بعد ليصبح أعضاؤه بمثابة الوزراء وزئفيه بمثابة رئيس الوزراء تماماً كما كان بيركليس الشهير .

(١) وقد تطور هذا المجلس فيما بعد ليصبح مجلس الشيوخ او الشورى (Boule) حيث أصبح من حق أى مواطن مقيد فى حى (deme) وفى قبيلة أن يرشح نفسه لعضوية المجلس بشرط أن يزيد سنه على الثلاثين . وكان الاختيار يتم عن طريق القرعة ويشغل العضوية لمدة سنة ويجوز إعادة الترشيح بشرط مرور فترة فاصلة وكانت مهمة « البولى » إدارة الدولة بالاشتراك مع كبار الموظفين واعداد القضايا للجمعية العامة الاكليسيا Ecclesia . ومقابلته الوفود الأجانب والعناية بالاسطول وإدارة أموال الدولة ورعاية المعابد والعبادات وبمرور الزمن أصبح لهذا المجلس سلطات قانونية دون التدخل فى سير المحاكم او التعرض لحقوق الاكليسيا ، خاصة فى قضايا الخيانة العظمى وبالرغم من أهمية البولى إلا أن القوة الفعلية بقيت فى يد الاكليسيا . وقد قدم الأستاذ رودس دراسة جديدة للبولى الاثينية على ضوء النقوش التى عثر عليها حديثاً فى الأجورا الاثينية . وبين كيف قويت شوكته مع ازدهار الديموقراطية خاصة ابان القرنين الخامس والرابع ق.م وتدهور مركزها مع تدهور سلطة المدينة (polis) فى العصر الهلنستى حيث اختفى مجلس الاكليسيا وترك أمر القرارات الصغرى للبولى وخلاصة القول كان للبولى يد فى كل شئ فى إدارة الدولة انظر :  
« The boule had its Finger in every Pie ! ».

انظر :

P.J. Rhodes, The Athenian Boule, Oxford Clarendon Press 1972 (= R.E. Wycherley, JHS, XCIII (1973) pp. 255-256).

٤ — كما أوجد كليثينيس نظام النفي عن طريق الاستفتاء ostracism ( والكلمة الاغريقية مشتقة من اللفظ ostraka أى شقافة ) (١) حيث كان من حق الجمعية العامة — أى سكان المدينة أن يقترحوا عن طريق كتابة اسم شخص معين على قطع الشقافات — بأغلبية لا تقل عن ١٠٠ صوت وأن يطلبوا منه مغادرة البلاد لمدة عشر سنوات دون التعرض لمصادرة ممتلكاته والغرض من ذلك تجنب الخطر الناتج عن سوء سلوك شخص معين حتى لا تحدث الصراعات ولكى لا تعطى فرصة لقيام طاغ جديد على البلاد .

٥ — وأخيرا أعطى كليثينيس سلطات قوية للمواطن العادى الذى أصبح من حقه أن يكون محلفا dikastes فى المحاكم ولكن بدون أجر وأعطاه الحق فى المطالبة بسحاكمة الأراخنة أمام المجلس عند نهاية السنة الوظيفية كما حول كليثينيس قوة الأمن الى قوة تخدم المواطن وتحمى ممتلكاته .

ان اصلاحات كليثينيس والتي تقوم فى جوهرها على الهندسة الطبقيّة وعلى التوازن بين طبقات المجتمع وعلى وضع حدود لآمال كل طبقة لم تكن فى الحقيقة سوى تطوير للأفكار التى وضع أساسها سولون ، فشلا مجلس الـ ٤٠٠ لم يكن سوى مجلس الـ ٥٠٠ الذى أنشأه سولون، أما عن فكرة تقسيم المواطنين الى أحياء demes وقبائل Phylai فهى تطوير لفكرة العشيرة genos والبطون Phratries

وجدير بالذكر أن هذه الامتيازات التى أوجدها كليثينيس لم تكن متاحة لكل سكان أتيكا بل كانت وفقا على من سناهم «بالمواطنين الآثينيين

(١) ومن الكلمة اشتق الفعل بشقف Ostraw أى ينفى وعن نظام الحى فى اصلاحات كليثينيس أنظر :

(2) Cf. W.E. Thompson, The deme in Kleisthenes' reforms, Symbolae Osloenses, XXVI, 1971, p. 72-79, also cf. W.E. Thompson : Notes on Attic demes, Hesperia, XXXIX, 1970, p. 64-67.

وعن نظام « التشقيف » أو النفي انظر الأبحاث الآتية :

J.J. Kaeny, "The texts of Androtion F6 and the origin of Ostracism, Historia, XIX, 1970 p. 1-11 ; G.R. Stanton, "The Introduction of Ostracism and Alcmaeonid Propaganda, J.H.S., XC, 1970, p. 180-183 ; D.W. Knight, "Some Studies in Athenian Politics in the 5th Century B.C. p. 22-23 (Hist. Einzelschr. 13., 1970 ; kl. Meister : zur zeitpunkt der Ein führung des ostrakismos, Chiron, I, 1971, p. 85-88.

فقط » وأصبح هناك فرقا في الامتيازات بين مواطن وقاطن أى كان هناك من بين سكان أتيكا وأثينا أغلبية لم يعترف بها كمواطنين وبالتالي حرمت من الامتيازات الديمقراطية الجديدة • فمثلا لم يعترف الدستور الاثيني بأن النساء مواطنات *Politai* بل وصفهن بأنهن *astai* أى قاطنات فى المدينة • وكذلك العبيد *douloi* والصناع والحرفيين ذوى الأصول الأجنبية حتى ولو كان هؤلاء من أصل أغريقى *metikoi* هكذا فان الديمقراطية الاثينية كانت ديمقراطية الأقلية وديمقراطية مغلقة غير عادلة حيث لم يكن هناك نظام تمثيلى انتخابى برلمانى مثلما تعنى الكلمة الحديثة للديمقراطية بالرغم من الادعاء بالمساواة التامة بين المواطنين أمام القانون (Isonomia) (١) •

لقد أبدى الاثينيون لنظامهم تحمسا شديدا واعتبروه انتصارا لحقوق المواطن وتجسيما لاسمى الحلول لمشكلة الحكم بالرغم من أنه لم يكن نظاما ديمقراطيا ينتخب فيه الشعب ممثليه بطريقة مباشرة بل كان يقوم على فكرة منح أى أثينى يتمتع بحقوق المواطنة الحق فى عضوية المجلس الشعبى الذى كان يتكون من كافة سكان المدينة واطارها الريفى حيث كان يتمتع المواطن فيه بحرية الكلمة (*Isegoria*) (٢) وكان لهذا المجلس سيادته القانونية والادارية كجهاز لمراقبة ومحاسبة الموظفين ولكننا نجد المواطنين الاثينيين يتخاذلون فى حضور جلسات المجلس حتى أدخل بيركليس نظام الأجر على حضور هذه الجلسات ضمن برنامج لتدعيم النظام الديمقراطى فى

(١) لا يزال المؤرخون يختلفون فى تفسير معنى الايسونوميا *isonomia* هل هى المساواة أمام القانون أم تساوى الطبقات بفعل القانون ، أم هى نظام حكم يعنى مشاركة جميع الطبقات فى الحكم وعلى أساس الحدود المسموحة لكل طبقة بحيث لا تتجاوز غيرها وهى نفس الفكرة التى دعى اليها كليثينيس عام ٥٠٩ مع التوسع فى مفهومها انظر :

H.W. Pleket, *Isonomia and Cleisthenes : a note* Talanta, IV, 1972, p. 63-81.

وهناك من يرى ان فكرة المساواة المطلقة بين الطبقات غير واردة فى قوانين كليثينيس ومن ثم فان الايسونوميا ليست سوى نظام حكم ويست مبدأ دستورى انظر :

B. Bercsky, "Die Politische Isonomie, Eirene, IX, 1971, p. 5-24.

(٢) اما عن حرية الكلام او الايسيجوريا انظر :

A. Momigliano, "La liberta di parola nel mondo antico, *Revista della Societa grolliana*, LXXXIII, 1971 p. 515-516 ( ... R.H. CCCLVI, 1971, p. 111-112 ) ; also. J.D. Lewis, "Isegoria at Athens : When did it begin ? , *Historia*, XX, 1972, p. 129-140.

الرابع الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد عندئذ حُرض عدد كبير من المواطنين على حضور هذه الجلسات من أجل هذه المنفعة .  
والحق يقال أن النظام الأثيني للحكم لم يختلف كثيرا عن النظام الأسبرطي . بالرغم من الدعاية السياسية الواسعة لهذا النظام ويذهب بعض الدارسين إلى أن الأثينيين أنفسهم اشتقوا نظامهم من فلسفة الحكم الأسبرطي ذاته ففي كلا النظامين نجد أقلية من السكان تتمتع بمرتبة المواطنة ، في أثينا نجد طبقة المواطنين الأحرار *Athenaioi politai* وفي أسبرطة نجد طبقة السادة الأسبرطيين *Lacedaemonaioi (Spartiates)* .  
لقد غالطت الدعاية الأثينية الحقيقة عندما أدعت بأنها رمز للعدالة الاجتماعية . متهمه أسبرطة ونظامها بالرجعية والحكم الظالم لأنها حرمت الهيلوت *Helots* أصحاب البلاد الأصليين من كافة الحقوق . لأن الديمقراطية الأثينية فعلت نفس الشيء مع النساء والعبيد والصناع وهم غالبية سكان إقليم اتিকা . وبقيت الامتيازات وقفا على الأقلية التي سيطرت على مجلس الشورى *Boule* وعلى الجمعية الشعبية *ecclesia* وعلى أي حال كان هؤلاء المواطنون الأحرار ، هم جسد الدولة الأثينية فهم الذين كانت قلوبهم تشتعل بالغيرة والقومية والوطنية ويرجون بالموت دفاعا عن دويلتهم وهم الذين دفعوا الثمن غالبا .

وقد انتقد بعض المؤرخين الديمقراطية الأثينية بأنها تقوم على جمهرة غوغائية تجعل من الصعب السيطرة عليها وتمير القرارات الصالحة على أعضائها مما جعل السياسى الصالح يأس منها . كما أورد أفلاطون الديمقراطية الأثينية في نهاية قائمته عن نظم الحكم لأنه أشار الى خطورة الانحراف فيها خاصة اذا أسئء استخدامها لأنه من السهل جدا إثارة الغوغاء بالخطب النارية الرنانة والحماسية المليئة بالدراما الوطنية والعاطفية كالتى نشاهدها في التراجيديات المسرحية . وبالرغم من وجود مجلس الشورى الذى كان يناقش الأمور قبل عرضها على الجمعية العامة إلا أن القوة الفعلية ظلت متمركزة في المجلس الشعبى لكثرة عدد أعضائه اذ اعتبر هو الشعب يحكم الشعب *democracia* ويقرر مصيره . وخلاصة القول أن جوهر التفسير الاثينى للديمقراطية كان يقوم على التجنهر ، وفى التجنهر

منطلق للمواطن المجنونة ، مما أدى الى ظهور الفوغائية أو الديماجوجية ومن ثم دفعت أثينا ثمن هذا الجنون الجماهيري الذي كان يتمثل في قرارات عيياء اتخذت في لحظة انفعال هستيري وطني ثم دفعت الأمة ثمنها خالياً فضلاً عن الضغائن والأحقاد الشخصية بين السياسيين حيث أدى نظام « النفي بعد الاقتراع » الى تدمير كفاءات كانت أثينا في أشد الحاجة اليها .

وعلى أى حال فقد أحب الأثينيون نظامهم ومن الصعب علينا أن نفرق بين الحماس والولاء للدولة والولاء لنظام الحكم فيها . فقد كان هذا النظام جديراً بالقتال والدفاع عنه وحمايته لأنه مكاسب خاصة بالاثينيين الذين ركبهم نعمة الاستعلاء ليس على باقى الشعوب الأجنبية فحسب بل حتى على المدن الاغريقية الأخرى .

#### النظام الديمقراطي يثبت نفسه :

هكذا نجحت اصلاحات كليثينيس في القضاء على الانقسامات والتعصبات (١) التى سادت أتيكا ردحا من الزمن وخلقت دولة لأول مرة على أساس الجوهر الدستوري وليس القبلى ، ولقد شاءت الظروف لهذا النظام الجديد أن يثبت صلابته ونجاحه في مواجهة الخطر عندما أزعج أسبرطة قيام مثل هذا النظام في أثينا فكلفت ملكها وهو كليومينيس بالقضاء عليه فسار بحملة عسكرية مشتركة من أعضاء الحلف البيلوبونيزى الذى كانت أسبرطة تسيطر عليه ومعه جيش من بؤوتيا Boeotia (في شمال أتيكا) ومن مدينة خالكيس في جزيرة يوبويا ولكن حدث خلاف بين الحلفاء البيلوبونيزيين بسبب اعتراض مدينة كورثا على شرعية هذا العمل العسكرى . فانهزت أثينا هذا الظرف وهاجمت أعداءها في الشمال وهزمت أهل بؤوتيا وأهل خالكيس ولأول مرة أجبرت أثينا أعداءها على قبول مستوطنين منها (Cleruchoi) عندما أجبرت مدينة خالكيس على قبول ٤٠٠٠ مستوطناً في أراضيها .

(١) عن التعاون بين بقايا أنصار القبلية والنظام الديموقراطى الجديد بعد انتهاء التطاحن الذى ساد قبل عصر كليثينيس انظر :

Davario-Rocchi, "Politica di famiglia et politica di tribù nella polis aténiese (Vsiécle), Acme, XXIV, 1971, p. 13-44.



وبينما كان هذا يحدث في شمال بلاد اليونان كانت أسبرطة مشغولة في عملية التوسع على حساب جيرانها وأعدائها مثل مدن تيجا Tigea وأرجوس Argos أبان النصف الأخير من القرن السادس قبل الميلاد؛ حتى اذا ما انتهى هذا القرن نجد أسبرطة وقوتها العسكرية تنجح في فرض سيطرتها على شبه جزيرة المورة وتقيم حكومات أوليجارخية يمينية وتحارب النظم الديمقراطية الأثينية للقضاء عليها لأنها رأت أن في ذلك خطرا على حلفائها وعلى امبراطوريتها \* ومن هنا نشب العداء بين المدينتين الذي أدى الى حرب ضروس فيما بعد \* وعلى أى حال نجحت أسبرطة في جمع مدن شبه جزيرة المورة في تحالف عسكري وضعته في خدمتها ويعرف هذا بالهلف البيلوبونيزي \*

هكذا نجحت أثينا في بناء نظام شعبي، حق، العدالة أمام القانون.

لكل مواطنيها (nomia)

مجتمعيها (Isogoria) ،

للدولة ، بل وأخضع هذا النظام العدالة و

حيث وصل علم الاختصاص القضائي الى مستوى من الكمال لا يضارعها فيه أحد لا في العالم الغير اغريقي ، بل في كافة أنحاء العالم الهليني وبتحقيق رقابة الشعب على السلطة التنفيذية ، استطاعت أثينا أن تواجه الأزمات الخارجية وتدخل مرحلة الصراع الدولي وهي مليئة بالثقة والأمل والتفاؤل، وذلك بمكاتها الجديدة بين المدن الاغريقية ، بل كان هذا النظام هو سر قوتها وقدرتها على التقدم السياسي وقبول التحدي الخارجى ، والنبوغ الفكرى والفنى والانطلاق الحضارى مقدمة بذلك نموذجا سياسيا مغايرا ومنافسا للنظام الأسبرى \*

## الفصل التاسع

### الصراع بين الفرس والاغريق

لو أردنا أن نرصد حركة التاريخ القديم في منطقة الشرق الأوسط والبلدان الواقعة على البحر المتوسط ، لقلنا أن جوهره هو الصراع حول فرض النفوذ البحرى في ذلك البحر الذى أضحى كالبخيرة لكثرة الحضارات التى قامت على سواحله ولشدة الروابط والاتصالات بين شعوبه وأن حركة تاريخ دويلاته تتجه دائما الى ازدياد نفوذ أحداها فتملا فراغ القوة فيه ثم تفرض نوعا من السلام يحيا في ظلاله جميع الدويلات ، واذ انهارت هذه القوة العظمى أو سمحت لقوة أخرى غيرها لتكبر وتنافسها فان هذا التنافس ينتهى عادة بحرب ضروس مثل قتال الديكة حتى تنتصر واحدة على الأخرى لتفرض نفوذها فيه وبناء السلام الذى ترتب عليه • فشلا ساد السلام المصرى ابان الامبراطورية المصرية وعاش في كنفه كل من اكرت وفينيقييا ، ولما انهارت الامبراطورية المصرية في الالف الاخير • الميلاد ساول الفينيقيون بما لهم من خبرة في الملاحة وبناء السفن ملا ذلك الفراغ ولكن ظهور آشور كدولة قوية حرم الفينيقيين من تحقيق حلمهم في وراثة السيادة المصرية على البحر المتوسط ومن الجدير بالذكر أن السيادة المصرية تعرضت للتحدى من قبل هجوم الأخايواشا والدانونا من شعوب البحر على السواحل المصرية والتى صدها الفرعون المصرى مرنبتاح وكذلك رمسيس الثالث ، وقد ذكرنا أن الاخايواشا والدانونا هم الأخيون الذين سيطروا على شبه جزيرة البيلوبونيسوس بعد تدمير القوة الكريتية ، وهو

العصر الذى درسناه تحت اسم الحضارة الموكينية ، بل أن الاخيين أنفسهم خاضوا حرباً ضد طروادة احدى الدويلات التى كانت تسيطر على احدى المنافذ المؤدية الى البحر المتوسط وهو البسفور والدردنيل وتعرف هذه الحرب بالحروب الطروادية ، وذلك بعد فشلهم فى السيطرة على الساحل المصرى واللىبى ابان القرن الثالث عشر ق . م .

كانت فينيقيا لا تعدو أن تكون اتحاداً بين مدن تجارية وليس لها الشخصية السياسية والعسكرية التى تتطلبها الدولة ، ولهذا بزغ نجم الفرس كقوة بحرية ، ووجد الفينيقيون أنهم يستطيعون الاستفادة من هذه القوة بالعيش فى كنفها والاستفادة من حمايتها لهم خاصة أنه كان ينافس الفينيقيين فى تلك الفترة عدد كبير من الدويلات الاغريقية التى نشرت مستوطناتها فى صقلية وجنوب ايطاليا وشمال أفريقيا ، ومن ثم دخل الفرس حلبة الصراع على السيادة البحرية فى البحر المتوسط .

#### قيام الامبراطورية الفارسية :

منذ عصور ضاربة فى القدم تحركت بعض القبائل الهندو أوروبية من مواطنها الأصلية فى سهول شمال شرق بحر قزوين ميمية وجوها غرباً صوب جنوب غرب آسيا بحثاً عن الكأ والمرعى . ومن بين هذه القبائل فصيلة أطلقت على نفسها اسم الايرانيين نسبة الى أصلهم الآرى استوطنت هضبة ايران والمرتفعات التى تشرف على الخليج العربى من ناحية الشمال الشرقى . ثم راحوا يتسللون الى سهول ما بين النهرين وممالكها حتى أصبح نفوذهم يمتد من بحر قزوين الى بحر العرب ، بينما سكنت القبائل الآرية الأخرى مناطق مختلفة ، فسكن الميديون جنوب بحر قزوين والبارثيون فى خراسان والبكتريون فى هضاب الهندوكوش الشمالية ، ونظراً للتوسع والانقسام فقد قسمت هذه المنطقة الشاسعة الى أقاليم كبرى مثل اقليم ميديا وبارثوماش

وفارسا ثم قسمت هذه الأقاليم الكبرى الى مقاطعات صغرى • وقد حدث هذا الاستقرار حوالى عام ٢٠٠٠ ق م •

ولقد كان من نتائج استقرار الفرس تطور كبير فى الأوضاع فى الشرق الأوسط ، فلقد دخلت الخيول التى لم يعرفها البابليون أيام حمورابى وسرعان ما انتشرت حتى أصبح الجيش الأشورى يعتمد عليها ، كذلك أحضر الفرس معهم ديناً جديداً مخالفاً لفكرة الأديان السامية الوثنية ، لأن لا يقوم على الوحدانية بل يقوم على الأثينية التى تتحكم فى العالم ، أحداها قوة إيجابية وهى الخير والحق والنور والحياة وقد رومزوا لها بالرب « أهورا مزدا » ، أما الأخرى فهى الشر والظلم والظلام والموت وقد جسدوها فى الرب « أهرين » وجعلوا الصراع أبدياً بين أهورا مازدا و « أهرين » تماماً مثل الصراع بين أوزيريس وست عند المصريين •

أما الإنسان فيقف وسطاً بين القوتين وله مطلق الاختيار فى أن ينساق الى أحداها ، ورغم هذا فقد كانت الديانة الفارسية تدعو الإنسان الى الحق والتزام آداب السلوك والأخلاق • لأن فكرة « خلاص النفس » عند الفرس هى خلاص فردى وليس خلاصاً قومياً • كما كان الفرس يتسامحون مع الديانات الأخرى ما دامت لا تناصبهم العداء وقد توسعت الديانة الفارسية وانتشرت مع انتشار الامبراطورية • خاصة بعد أن ظهر نبيهم الأول « زرادشت » حوالى عام ٦٥٠ ق م • ووضع أساس عقيدة تكاد أن تكون توحيدية وهى عبادة النار لأنها أنقى مظهر يظهر فيه رب النور والخير « أهورا مزدا » وكان يمكن لهذا المذهب أن يلقى انتشاراً كبيراً لولا أن طبقة من الكهنة احتكرت أسرار العقيدة الزرداشتية وهم طبقة « المجوس » (Magi) وعزلتها عن الناس وحولتها الى طلاس وأسرار ، وتركت الناس تعيش فى أفكار الديانة الفارسية ما قبل الزرداشتية •

كان يتحكم فى الفرس عقدة الاستعلاء العنصرى بأنهم ولدوا

ليحكموا غيرهم من الشعوب ، وكانوا يتيهون حبا بحياة الابهة  
والعظمة والغرور ، ويعشقون الصيد واقامة الولائم الصاخبة لكنهم  
كانوا متسامحين مع أعدائهم في الحروب ويفتحون قلوبهم لأي أفكار  
أجنبية وعلى استعداد لاستحواذ هذه الأفكار . ولهذا لم يظهروا في  
الفن أو العمارة الكثير من الابتكار ، بل نقلوا عن البابليين والآشوريين .  
وكان الفرس يعملون بالفلاحة والجنديّة ويعلمون أولادهم التفاني في  
الحق والواجب ، أما التجارة فقد احتقروها لأنها في نظرهم غير خليقة  
بالرجل الحر ولأنها سرقة بالاكراه ، وكان الرجل الفارسي يذوب في  
الدولة ولقد لاحظ هيرودوت ذلك عندما ذكر أن « الرجل الفارسي كان  
يصلى من أجل الملك وجميع الفرس الآخرين ولم يكن يصلى لنفسه  
أبدأ » (١) .

وكان الميديون أسبق من الفرس ادراكا لفكرة الدولة أو المجتمع  
السياسي ، فأقاموا نظام الدويلات أو الامارات والمشيخات الصغيرة  
وذلك منذ الألف الأول ق.م . لكن دولة آشور لم تسمح لهذه  
الامارات لكي تزدهر لأنها استوعبتها خلال فترة سيادتها ما بين  
عام ٧٠٥ - ٦٢٦ ق.م ، لكن الحق يقال خلال عصر التوسع  
الآشوري برزت ميديا كمملكة قوية متماسكة تحالفت مع البابليين ومع  
أهل ليديا والمصريين ليهزموا الأمبراطورية الآشورية ودمروا نينوى  
عاصمتها وذلك في عام ٦١٢ ق.م .

بعد ذلك انسحب الميديون الى مرتفعاتهم محاولين توحيد القبائل  
الهندو أوروبية في دولة واحدة ، كما قاموا بتأسيس عاصمة واحدة  
لهم هي إكباتانا Ecbatana (٢) وخلال الفترة ما بين ٥٩٣ وحتى عام  
٥٥٠ ق.م نجح الفرس في توحيد رقعتهم ثم آل عرش البلاد الى أمير

(1) Herodotus I, 136. ; I, 132.

(٢) وهي همدان الحالية في شمال اقليم ميديا على الهضبة الإيرانية  
ويقول هيرودوت (I, 98) أن مؤسسها هو ديوقيس Deioces وسرعان  
ما أصبحت مقر الحكم الصيفي لحكم الأسرة الأكمنية التي أسسها قورش  
الأكبر.

cf. Strabo, II, 522-4 ; Xenophon, Cyr., 8-6-32.

فارسي قوى اسمه قورش Cyrus أول ملوك الأسرة الأكمينية (الهخامنشية) والذي قاد عدة حملات توسعية أخضع بها ليديا واستولى على عاصمتها سارديس Sardis وذلك في عام ٥٥٦ ق.م ورغم مساعدة ملوك الأسرة الصاوية المصرية ومدن الاغريق وملوك الكلدانيين لكرويو سوس ملك ليديا الا أن هجوم قورش كان مباغتاً وحاسماً ، بل استدار قورش واستولى على بابل عام ٥٣٨ ق.م . ولم يتوقف قورش عن الفتح والتوسع الا عند سقوطه في ميدان القتال في شمال ايران ، وذلك في عام ٥٢٩ ق.م .

يعتبر قورش الأكبر بحق مؤسس الامبراطورية \* الفارسية وأحد بناء الامبراطوريات القلائل في تاريخ الشرق القديم اذ مد حدود امبراطوريته حتى أصبحت تمتد من بحر ايجه في الغرب الى جبال الهندوكوش في الشرق ومن بحر قزوين في الشمال حتى صحراء العرب في الجنوب . وكان قورش جندياً محبوباً بين جنوده يقاتل وسطهم ولا يركب العربات الحربية وكان يحف به حرسه الخاص الذي يعرف باسم « الخالدين » وقد خلع على نفسه لقب « الشاهنشاه » أي ملك الملوك ، وهذا يدل على آماله في خلق امبراطورية عالمية فدرالية متحدة تحت قيادته .

وبعد موت قورش تولى ابنه قمبيز Cambyzes (٥٢٩ - ٥٢١ ق.م) وقد حقق قمبيز انتصارات كبيرة في آسيا وسار الى أفريقيا بهدف تأمين سيطرة الفرس على مركز الصراع في العالم القديم وهو حوض البحر الأبيض المتوسط ، وأدرك قمبيز أن أكبر وأخطر المنافسين للامبراطورية في امتلاك السيطرة على البحر المتوسط هو المدن الاغريقية التي كانت قد انتشرت في حركة استيطان واسعة حول منافذ وسواحل هذا البحر العظيم ، فقرر أن يأخذ المبادرة الأولى بالمسارعة باحتلال مصر وقورينة ، وذلك لحرمان المدن الاغريقية من خيارات مصر

(1) Cf Percy Sykes, A. History of Persia, Poutledge and Kegan Paul London (1969), p. 160-165.

(\*) وقد اتحد الإيرانيون حديثاً تاريخ تأسيس قورش للامبراطورية الأكمينية عام ٥٥٨ ق. م بداية للتقويم الإيراني الاعتباري .

وليبيا ، فقد كانت مصر صومعة القمح التي تظم الأغريق ، كما كان لهم فيها مصالح هامة وتجارة وعمل وكانت لهم رعوس أموال كبيرة مستثمرة في مشروعات تجارية في سوقهم الدولية في نقراطيس التي كانت بمثابة سوق مصر الحرة في العصر القديم The Ancient Free Zone of Egypt. كما كان الاغريق يجنون ثروات كبيرة من خيرات قورينة خاصة من نبات السلفيوم الطبي والحياد الأصلية . ومن ثم فإن حملة قمبيز على مصر وقورينة ليست سوى الخطوة الأولى في المعركة الكبرى ضد المدن الاغريقية من أجل السيطرة على البحر المتوسط .

وبعد موت قمبيز تولى ابنه دارا ( ٥٢١ - ٤٨٦ ق م ) الذي يعتبر بحق النموذج الأمثل للحاكم الشرقي المتعقل والذي نجح في ادارة امبراطورية مترامية الأطراف تضم شعوبا وأجناسا وقوميات متعددة لا يجمع بينها لا وحدة العنصر أو اللغة أو العقيدة ومن ثم قسمها الى عشرين ستراية جعل على رأس كل منها ستراب بدرجة وكيل الملك يساعده مجلس من أعيان وشيوخ الاقليم ، وفي كل ستراية كان يضع زمام السلطات الادارية والعسكرية والمالية في أيدي متعددة ومتنافسة حتى لا يفكر أى ستراب في الاستقلال ، بالإضافة الى ذلك أقام « جهاز عملاء الملك » الذين انتشروا في كافة أنحاء الولايات لمراقبة الحكام والشعوب على السواء وإبلاغ رئيسهم « عين الملك » والذي بدوره يقوم بإطلاع الملك على أحوال الولايات ، كما ساعد على ربط الامبراطورية شبكة الطرق الكبرى التي ربطت بين أطراف الامبراطورية؛ فمثلا كان هناك لأول مرة في التاريخ طريق يمتد من سوسا عاصمة الامبراطورية حتى سارديس عاصمة ليديا في آسيا الصغرى ، ويقول المؤرخون أنه لولا هذا الطريق ما أمكن للإسكندر غزو فارس والوصول الى عاصمتها فيسا بعد ، كما كان هناك طريق آخر يمتد من بابل الى اقليم البلخ (١) في جنوب العراق ثم يتجه الى فينيقيا وسوريا ويتجه جنوبا الى سيناء ثم عبر ممراتها يتجه الى مصر . وكان لهذا الطريق أهمية

(١). هو نفسه اقليم بكتريا في الجنوب الشرقي من ايران .

حيوية في التجارة الدولية اذ أصبحت القوافل تسير من الخليج الفارسي الى مصر أى ربط بين تجارة الشرق والغرب ، كما أوجد الفرس نظام البريد المتنقل عن طريق محطات بريدية تمر بها الجياد لنقل المراسلات وبذلك أصبح الملك يعرف أنباء الامبراطورية في أيام يبدلا من شهر ، ولكي يوحد الامبراطورية اقتصاديا سك عملة رسمية من الذهب سماها الداريكوس Dareikos نسبة اليه وفي نفس الوقت سمح للاستراقات بسك عملة فضية محلية في البلاد التي يحكمونها (١) ثم ربط بين العملتين. بنسبة ثابتة بين الذهب والفضة هي نسبة ١ الى ١٣ ، هكذا أعطى دارا ولايات الامبراطورية استقلالاً ذاتياً شبه كامل لأنه لم يكن يريد منها سوى الاعتراف والاذعان لسلطته ودفع الجزية ومساعدته في الحروب التي يقوم بها من أجل الصالح العام للامبراطورية . ولم يتدخل في عقائد شعوب الامبراطورية أو عاداتها أو تقاليدها بل ألقى لها الحبل على الغارب ، بل أنه لجأ الى احترام وتلقى ديانة هذه الشعوب بتقديم القرابين والأضحيات والنذور وقد استخدم هذه السياسة حتى مع الشعوب التي لم تكن تابعة للامبراطورية مثل مع كهنة دلفي مهبط وحى وعبادة أبوللون لدرجة أن كهنة دلفي أيدت دارا في مشروع غزوه لبلاد اليونان في أول الأمر .

ولقد ترك لنا دارا نقشا تاريخياً هو سجل لأعماله نقش بهستون Behistun الشهير ، وكان في الأصل قوس نصر سجل عليه دارا أعماله وفتوحاته واصلاحاته وكشف فيه عن نفسه كقاهر وقاتح وبناء عظيم ، عامل الشعوب التي فتحها بالرحمة والعفو والانسانية واحترم عقائدها وتقاليدها ما دامت لا تتعارض مع سلامة الامبراطورية (٢) . وبذلك كسب حب رعايا الامبراطورية ، وشهدت البلاد في عهده استقراراً ورخاءً لم تشهده من قبل ، لقد حاول دارا أن يستفيد من تجارب وخبرات شعوب الشرق الأوسط خاصة بلاد الرافدين ووادي النيل ،

(1) cf. Charles Seltman, "Greek Coins. A History of Metallic Currency, and Coinage down to the Fall of the Hellenistic Kingdoms, Methuen and Comany, London, Second Edition 1955, p. 63.

(2) Pierr's L'évéque ; The Greeks, (L'translated by M. Kochan) Weidenfeld and Nicolson, 1968, p. 241.



فمثلا اعاد تنظيم التقويم الرسمى للامبراطورية على أساس التقويم المصرى القديم ويقال أنه أمر بنك أسر أحد الكهنة المصريين واعادته الى مصر مكرما معززا بعد أن علم بأنه عالم فى الطب يريد فتح مدرسة للطب والتشريح فى بلده .

ولهذا كله أصبح النظام الذى أوجده دارا هو النموذج الأمثل لطراز الحكم الشرقى الذى حاول الغرب تقليده ، فقد حاول الاسكندر بناء امبراطوريته على غرار الامبراطورية الفارسية ، بل أن روما نفسها فى عصر يوليوس قيصر وأغسطس استفادت من تجارب هذه الامبراطورية فى وضع سياسة السلام الرومانى .

لكن بالرغم من هذا لم تتوقف أثينا عن بث الدعاية ضد نظام الحكم الشرقى وعن وصف الفرس بأنهم برابرة لا يعرفون الحرية الاغريقية ويخضعون للتسلط الملكى وكان يقوم بهذه الدعاية أنصار الحزب الديموقراطى ، أما أنصار الحزب الأوليجارخى فلم يكن يحقدون على نظام الفرس بنفس القدر بل كانوا يكونون اعجابا خفيا لتبات النظام الفارسى وقوة شخصيته وكتبوا عن قورش المؤسس واعجبوا بشخصيته ولهذا كان الأوليجارخيون يهربون الى فارس ، بل أن بعض أعضاء الحزب الديموقراطى نفسه كانوا يلجأون الى ملك الفرس عندما يختلفون مع زملائهم . فضلا على أن شطرا كبيرا من الجنود المرتزقة الاغريق كانت تحارب فى صفوف الجيش الفارسى ففى بعض المعارك التى قامت بين الفرس والاغريق وجد الاغريق أنهم يحاربون أشقائهم الاغريق ، بل أن الاسكندر الأكبر أصدر قرارا دعى فيه المرتزقة الاغريق فى الجيش الفارسى بالعودة لأنهم هم الذين حاربوه وقاوموه بعنف دفاعا عن الامبراطورية الفارسية ثم عاد وأصدر حكم النفى والأشغال الأبدية فى المزارع لمن يقبض عليه منهم . ولم يكن الأوليجارخيون الأثينيون هم الذين وحدهم يعجبون بالحكم الفارسى . بل كان يشاركهم فى ذلك الأسبرطيون ولهذا فقد كان هناك نوع من الاعجاب الخفى المتبادل بين الأوليجارخين الأثينيين والأسبرطيين من ناحية ، وبين الفرس من ناحية أخرى . وقد سبق أن ذكرت أن كهنة دلفى ايدت فى أول الأمر دارا فى

مشروع غزو أثينا لأنه كان ينوى إسقاط النظام الديموقراطى الذى أحدث صراعاً فى مدن بلاد اليونان واحلال نظام أوليجارخى هادىء محله ، وربما لهذا السبب وحدة امتنع الاسبرطيون عن مساعدة الآثينيين عندما غزى دارا بلاد اليونان فى حملته الأولى ، وقد استغل الحزب الديموقراطى اعجاب الاسبرطيين بالفرس لاثهارهم بمظهر الخونة لقضية وحرية الاغريق خاصة فى أيونيا التى ضمها الفرس الى امبراطوريتهم .

إذا لم يكن الاختلاف فى نظام الحكم هو السبب فى العداء الذى استعر بين الفرس والاغريق ، بل كان السبب هو الصراع حول السيطرة على مياه البحر المتوسط وامتلاك السيادة البحرية فيه لأن فكرة الامبراطورية العالمية فى العصور القديمة ارتبطت دائماً بالسيادة البحرية Thalassocracy على البحر المتوسط . وكان الفرس قد أدركوا ذلك مؤخراً مثلما أدرك الآشوريون والبابليون من قبل فاندفع قبيز من عاصمته البعيدة فى وسط آسيا صوب البحر ليظهر بمظهر المطالب بعرش السيادة البحرية فى البحر المتوسط ، ومنافسة المدن الاغريقية فى ذلك سواء فرادى أم متحدين . ونظراً لأن دولة فارس كانت تسعى لربط تجارة الخليج الذى كانت تسيطر عليه بالبحر المتوسط ، فقد تحالفوا مع الفينيقيين الذين كانت لهم خبرة واسعة بالتجارة وبناء الأساطيل وقدم الفينيقيون سواحلهم لتكون قواعد للأسطول الفارسى فى شرق البحر المتوسط ووجد الفينيقيون فى الامبراطورية الفارسية قوة شرقية يمكن أن تحقق لهم مظلة دفاعية حتى يتفرغوا للتجارة والانتشار ومنافسة المدن الاغريقية فى نشر المستوطنات التجارية خاصة فى صقلية وشمال أفريقيا (١) وكان الفينيقيون يعتقدون أنهم يستطيعون ردع الاغريق عن طريق الأسطول الفارسى الذى بنوه ودعموه وقدموا له سواحلهم لكى يحميهم حتى أصبح الأسطول الوحيد القادر على منازلة أساطيل المدن الاغريقية ، بل كان الفينيقيون يحرضون الفرس ضد الاغريق ؛

(١) عن هذا التنافس فى المستوطنات بين الاغريق والقرطاجيين فى صقلية انظر : محمد كامل عياد - تاريخ اليونان - الطبعة الاولى دمشق ١٩٦٩ ص ٣٤٦ مع مراعاة عدم دقة المؤلف فى نقل الأسماء الاغريقية الى العربية .

وربما كانوا هم الذين أوعزوا الى الملوك الفرس بغزو الشام ومصر لطردهم  
النفوذ الاغريقي ومنع انتشار المستوطنات الاغريقية في هذه المناطق ،  
فقد كانوا يعلمون مدى الخسارة التي ستزول بالاغريق اذا فقدوا مصر  
ومصالحهم فيها ، وأنهم سوف يحرمون من المصدر الأول للقمح الجيد  
والرخيص ، كما أن فقدان الاغريق لقورينة سوف يحرمهم من الجياد  
الأصيلة ومن دخل نبات السليوم ، خاصة أن قورينة كانت منافساً عنيدا  
لمستوطنة قرطاجة الفينيقية .

حقيقة لقد أدرك قديمي أهمية وجوب السيطرة على القوة البحرية  
في حوض البحر المتوسط ، لكن دارا كان أكثر ادراكا واقتناعاً بآراء  
الفينيقين ، فزاد من استعداداته البحري ولهذا حفر قنالا ربطت بين  
النيل والبحر الأحمر « حتى تبحر السفن من مصر الى فارس حسب  
رغبتي » كما يقول في سجل أعماله المنقوش على بوابة « بهستون » (١) ،  
وربما اقتنع دارا بتحريض الفينيقين في وجوب تدمير المدن التجارية  
للمنافسة لهم .

وفي نفس الوقت بدأت الجمهورية الأثينية الوليدة بعد طرد الطاغى  
هيبياس وعلان النظام الديمقراطي أن تتزعم حركة تدعو المدن  
الاغريقية في أيونيا الى الثورة ضد الطغاة الذين يحكمونهم باسم الملك  
الفارسي ، وقبل النموذج الأثيني للديموقراطية ، مستغلين الكراهية  
الطبيعية التي كان يشعر بها الاغريق ازاء نظام دكتاتورية الطغاة لتنافيها  
مع الأحاساس الطبيعي للاغريق لمعنى « الحرية » واحترام القوانين  
والالتزام بها حكاماً ومحكومين ، استغل الأثينيون ذلك لطردهم النفوذ  
الفارسي من أيونيا ومدن البحر الأسود واحلاله بالأحزاب الديموقراطية  
التي تقام على غرار الحزب الديموقراطي الأثيني الذي يصبح الحزب  
الأم ومن ثم يكون ذلك الخطوة الأولى نحو قيام قوة بحرية متحدة  
من كافة المدن الاغريقية للسيطرة على السيادة البحرية في البحر المتوسط

(١) ومكانها الآن مدينة بستيون بأقليم كرمنشاه وتقع على طريق  
القوافل من بغداد الى طهران وعن النقش وتفسيره انظر :

A.T. Oimstead. «Darius and his Behistun Inscription», *AJSL*, vol. 55,  
1938, pp. 392-416.

وطرد النفوذ الفارسي والفينيقي منه ، وبالتالي يمكن بناء الامبراطورية الاثينية ، ومن ثم عمل الاثينيون على اذكاء نار الثورة في أيونيا ضد الفرس بل وفي مصر أيضا وقد كانت الثورة الايونية هي الشرارة التي أشعلت الصراع بين الفرس والاغريق للسيطرة على البحر المتوسط ، وكان الفينيقيون بلا شك هم المحرضون عليها .

#### ثورة المدن الايونية ضد الفرس ٤٩٩ ق.م :

كانت أثينا تمر برحلة تهور سياسي نتيجة لتعصبها لنظامها الديمقراطي ورغبتها في نشره بين كافة المدن الاغريقية وخاصة تلك التي كان الطغاة لا يزالون يحكمونها وثار الايونيون ضد طغاتهم المواليين للفرس وارسلت أثينا قوات لمساعدتهم حيث أحرقته مدينة سارديس تماما مما أدى الى اشتعال النيران في قلب الملك دارا الذي لم ينس ذلك وقد قيل أنه أوصى أحد عبيده لكي يهيمس في أذنيه كل مساء « مولاي لا تنسى الاثينيين ! » (١) .

لقد عاش الايونيون مع الفرس في سلام لمدة طويلة وتقدمت حضارتهم المادية والمعنوية فقدموا للحضارة الاغريقية عباقرة مثل الفيلسوف طاليس Thales أحد مواطني مدينة ميليتوس ( ٦٤٠ - ٥٤٦ ق.م ) والذي سجل مواعيد خسوف الشمس ووضع أسس علم الأجرام السماوية للاغريق ، ومثل العلامة فيثاغورس Pythagoras مواطن جزيرة ساموس (Samos) وكان أحد كبار علماء الرياضيات .

كان طاليس عالما وسياسيا فنادى بقيام اتحاد بين مدن أيونيا واقترح أن ترسل كل مدينة ممثليها لمجلس يتكون من كافة المدن ويقرر شئونها بينما تبقى كل مدينة مستقلة تماما ولكن هذا المشروع فشل وسقطت المدن الايونية في حوزة الامبراطوريات الآسيوية لمملكة ليديا ثم للفرس . وأدرك الايونيون أن دارا قد شدد قبضته فقد أعاد هذا الملك الذي حكم بلاد الفرس حتى عام ٤٨٥ تقسيم الامبراطورية الى عشرين سترابية ( أى مقاطعة ) يحكم كل منها ستراب Satrap وأقام نظام المراسلات البريدية بينها ليلم بأخبارها يوماً بعد يوم .

(1) Herodotus. IV, I.

وبذلك أصبح درا يعرف أخبار سارديس مثلاً بعد أسبوع بدلاً من ثلاثة شهور وهى المدة التى تستغرقها الرحلة من عاصمة بلاد الفرس سوسا (Susa) الى سارديس عاصمة ليديا كما ساد الأيونيين الذعر من نظام اقامة الطغاة الاغريق الموالين للفرس ومن الضرائب التى كانوا يدفعونها مما دعاهم الى الثورة (١) بتحريض وبمساعدة أثينا وتكلف الفرس كثيراً فى احباطها والقضاء عليها فى عام ٤٩٤ ق. م. عندما دمروا مدينة ميليتوس وتلدعات المدن النائرة بعد ذلك. ولم ينس درا ذلك فحاول معاقبة الاثينيين عام ٤٩٢ ق. م عن طريق ارسال حملة بقيادة ماردونيوس (٢) ولكن هياج البحر وقيام العواصف أعاقت استمرار الحملة فعادت من حيث أتت ولكن فى عام ٤٩٠ ق. م. نجح أثان من قواده فى انزال الجنود فى سهل الماراثون الذى يبعد ست وعشرين ميلاً عن أثينا وكان من بين القادمين مع الفرس هيبياس العجوز.

#### موقعة سهل الماراثون :

هكذا نزلت القوات الفارسية بسهل الماراثون عام ٤٩٠ بقيادة الجنرالين دانيس Datis وارتافرنيس Artaphernes وكانت هذه الحملة قد أبحرت من جزيرة ساموس بعد أن دمرت جزيرتى ناكسوس واريترى فى طريقها. وصمم الاثينيون والاسبرطيون على تناسى خلافاتهم والدفاع عن بلاد اليونان. قلما ذهب رسول ملك الفرس الى أثينا مطالباً أن يسلم الاثينيون أرضهم ومياهم للفرس ألقى به الاثينيون من فوق صخرة الأريوباجوس حيث كانوا يلقي بالمجرمين قائلين «هذه هى الأرض» ولماذا ذهب رسول آخر الى أسبرطة يحصل نفس المطالب القى به الاسبرطيون فى بئر عميقة قائلين «هذه هى المياه». وكان التعدى على الرسل تعد على قداسة التقاليد التى تحميهم ولو كان الاثينيون والاسبرطيون قد هزموا فى المعارك التى تلت ذلك لنسبوا هزيمتهم لغضب الآلهة نظير قتلهم الرسل ، لأنه تعد على حدود الآلهة.

ولما سمع الاثينيون بوصول الفرس أعدوا جيشاً سريعاً بلغ تعداده

(1) G.A.H., Chapman, « Herodotus and Hisitaeus, rôle in the Ionian revolt, *Historia* XXI, 1972, P. 546-568.

(2) J.M. Balcer, «The date of Herodotus, IV, I, Darius Scythian expedition, *Harv. Stud. Phil.* LXXVI, 1972, p. 99.

هذا بين تسعة آلاف وعشرة آلاف مقاتل بقيادة القائد كاليماخوس Callimachus يساعده جنرال اسمه مليتياديس Miltiades والذي كان يقود فرقة تتكون من ألف متطوع جاءوا من أثينا . كما أرسل الاثينيون عداء اسمه فيديبيديس Pheidippides ليقطع رحلة طولها مائة وأربعين ميلا عبر مناطق وعرة وهي المسافة بين أثينا واسبرطة . وتقول الروايات الشعبية أن هذا العداء قطع الرحلة في يومين أى سبعين ميلا في اليوم الواحد ولكنه عاد يخفى حين لأن الاسبرطيين كانوا يحتفلون بأعياد دينية تحرم القتال وتسير الجيوش . وقبل الاثينيون التحدى والمقاومة لمواجهة الجيوش الفارسية وحدهم معتبين على أنفسهم وبعض حلفائهم وقاتلوا بشراسة منقطعة النظير وأنزلوا بالفرس خسائر فادحة بلغت ٦٤٠٠ قتيل بينما خسروا هم ١٩٢ قتيل فقط حسب ادعائهم لقد كان انتصار الاثينيين ناتجا من ارتفاع روحهم المعنوية إذ أنهم كانوا يخوضون حربا دفاعية عن نسائهم وأولادهم وبيوتهم وبالقرب من موطنهم (١) . كما كانوا يحاربون وهم يدافعون عن نظامهم « الديستقراطى » الذين الثفوا حوله لحمايته لأنهم أدركوا أن الفرس إذا ما انتصروا سوف يقيمون هييلاس طاغية عليهم وبذلك يفقدون حريتهم ونظامهم الديسوقراطى .

وبالرغم من هزيمة الفرس في البر إلا أن أسطولهم كان لا يزال متأهيا بالقرب من الشواطىء الاثينية وكان هييلاس على ظهر إحدى سفنه ينتظر اشارة للنزول وجاءت اشارة من أحد عملاء هييلاس الى الاسطول الفارسى أن « اهجموا على أثينا فوراً ! » وأبحر الأسطول الفارسى ولكن الاثينيين كانوا في انتظاره وأدرك الفرس أن القوات الاثينية قد انتقلت بسرعة من سهل الماراثون الى العاصمة وحصنتها . فتردد الفرس في النزول واستدار أسطولهم عائدا وهكذا ضاعت أحلام هييلاس في العودة الى الحكم مرة أخرى وأعلن الاثينيون « النصر » وهتفوا يبطل المعارك

---

(١) لقيت معركة ماراثون ذكرى لا تنسى في وجدان الشعب الاثينى الى زمن طويل حتى أن ديموستينيس في القرن الرابع ذكر مواطنيه بشجاعة أسلافهم الذين سقطوا في سهل الماراثون أنظر ديموستينيس خطبه التاج  
فقرة ٢٠٨ .

مِيلِيْتَاْدِس ولكن هذا البطل تهور وأسرع في حملة ضد جزيرة باروس<sup>(١)</sup> فشلت تماما وعند عودته حوكم بسبب ذلك ولكنه لم يعيش طويلا بعد محاكمته وهكذا فقدت أثينا أحد أبطالها العظام .

**الصراع والمنافسة بين أَرِسْتِيْدِس Aristides Dikaos و ثِيْمِسْتوْكَلِيس Themistocles :**

كان الأثينيون قد تركوا قوة في جزيرة سالاميس بقيادة ضابط اسمه أَرِسْتِيْدِس الذي عرف بنزاهته وعدله حتى أنه لقب بالعدل dikaos وكان هذا الضابط يطمح في أن يقود الحكم في أثينا في نفس الطريق الذي بدأه كليثينيس . وخاصة أن أَرِسْتِيْدِس كان معجبا بكليثينيس ويتمنى أن يكون مثله ولكن الأثينيين حقدوا عليه ونفوه وروى أن مواطنا أثينيا أميا لا يعرف أَرِسْتِيْدِس طلب منه أثناء عملية الاقتراع على قيئه أن يكتب له اسم أَرِسْتِيْدِس على قطعة الشقانة الخاصة به فسأله أَرِسْتِيْدِس متعجبا « هل الحق بك أَرِسْتِيْدِس أذى في شيء » . فأجاب « لا ولكني سمعت من تلقية بالعدل ! » فتعجب أَرِسْتِيْدِس وكتب على الشقانة اسمه مطيعا . وكان في استداعته أن يكتب اسم غريبه ولكنه أبى وهكذا نفى أَرِسْتِيْدِس عام ٤٨٣ ق . م .

كان ثِيْمِسْتوْكَلِيس زعيما مغرورا متباهيا وقد روى عنه أنه قال للناس « عفوا أننى لا أعرف كيف أعزف أى آلة موسيقية ولكنى أعرف كيف أجول مدينة صغيرة الى مدينة عظيمة » . ولما غنمه أحد سكان جسرز بحر ايجه مذكرا الأثينيين أن ثِيْمِسْتوْكَلِيس اكتسب شهرته من شهرة أثينا أجابه قائلا « نعم أن ذلك حقيقى ولو أننى أعيش في جزيرتك لما اشتهرت تماما كحالتك لو أنك عشت في أثينا ! » (٢) .

وقد عرف عن ثِمِسْتوْكَلِيس مرحة وميله للمداعبة والسخرية فقد قيل عنه أنه لقب ابنه « بأقوى أبناء اليونان » وشرح ذلك قائلا « لأن أثينا يا ولدى تتحكم في مدن بلاد اليونان وأنا أقوى أبناء أثينا وأملك تتحكم في وأنت تتحكم في أمك ! » ولكنه اكتسب شعبية كبيرة بين الأثينيين لأنه

(1) cf. cf. p. Bicknell «The date of Miltiades Parian expedition, A.C., XLI, 1972, p. 225-227.

(2) Plutarchus, Themistocles.

كان يعرف كيف يتخلق من يتحدث اليهم بعكس أرستيديس العادل الذي كان صريحا وجافا ، كما كان ثمستوكليس سياسيا بعيد النظر لأنه بعد نفى منافسه وجد فائضا من الفضة في خزانة المدينة وطلب الأثينيون أن توزع عليهم . ولكنه أقنعهم بأن يدخروها لبناء عشرين سفينة حربية ذات ثلاث طوابق triremes لأن الفرس سوف يعاودون الهجوم على اليونان وقد ثبت حدوثه فيما بعد .

### الحرب ضد ايجينا Aegina وبناء الاسطول والقلاع :

كانت سياسة ثمستوكليس هي انشاء أسطول بحرى قوى فى أثينا وتحصين ميناءها ، ومن ثم دخلت أثينا حربا سريعة ضد جزيرة ايجينا والتي كانت منافسا بحاريا وتجاريا خطيرا لها وخرج ثمستوكليس من هذه الحرب وهو يدعو لانشاء قوة بحرية وأن أثينا خلقت لتكون أمة بحرية . وكان ثمستوكليس قد أشرف على برنامج تحصين العاصمة وميناءها بعد معركة الماراثون واهتم بالذات بميناء بيرايوس Piraeus (١) وربما كان سبب نفى منافسه أرستيديس هو معارضه الأخير لسياسته البحرية . هكذا ما أن قدم عام ٤٨٠ ق.م حتى كان لدى أثينا بفضل ثمستوكليس أسطولا يتكون من ٢٠٠ سفينة على الأقل ومحصنة تماما .

### الحملة الفارسية الثانية ضد بلاد اليونان :

مات دارا الأول عام ٤٨٦ وهو لم يشف غله من الأثينيين بعد وكان قبل موته قد بدأ الاعداد لحملة حربية ثانية تفوق الاولى عدداً وعدة وبعد موته أشرف ابنه كسيركسيس Xerxes والذي يعرف بالفارسية باسم خشيانشاى - على هذه الحملة التى شملت جيشا وأسطولا جمع من كافة الأجزاء التى تتكون منها الامبراطورية الفارسية بما (٢) فى ذلك

(1) Thucydides, I, 93, 3.

وجدير بالذكر انه عندما أوكل اليه ذلك لم يكن أرخونا بل تفرغ للشئون الفنية الدفاعية والعسكرية : انظر :

C.H. W. Fonara, "Themistocles' Archonship, Historia, XX, 1971, p. 534-540.

(2) Herodotus, VII, 61-46.

وربما كان هدف الملك الفارسى تقليد ما حدث عام ٦١٢ ق.م عندما تعاونت شعوب الشرق الأوسط ومصر لتدمير السطوة الاشورية وهدم نينوى عاصمتهم .



قوات من اغريق أيونيا الموالين للفرس . كما شملت أثيوبيين في زعيم  
الوطني الذي يتكون من جسد الفهود وهنود من أقصى حدود  
الامبراطورية بزيهم القطنى الأبيض الخفيف ومن الشمال جاء أهل  
سكيشيا بجواربهم الطويلة وخوذاتهم المديية ونبالهم الشهيرة وسار  
كسيركسيس في المقدمة متطيا عربة حربية تحيط به كوكبة من الفرسان  
المعروفين باسم « الخالدين » ، وكان كسيركسيس واثقا من نفسه فقد أعد  
لكل شىء عدته حتى المؤن والعتاد فقد أمن وصولها لقواته وأقام جسرا  
من السفن عبر مضيق الدردنيل ولكن العواصف دمرته أثار غضب الملك  
الفارسى فلم يستطع السيطرة على عواطفه الشرقية فأمر بجلد البحر ثلاثمائة  
جلدة وأن تصب عليه لعنات كهنة الفرس . أما الذين أشرفوا على بنائه  
فقد أمر الملك بقطع رقابهم جزاء فشلهم (١) .

وأخيراً في ربيع عام ٤٨٠ تمكن الجيش الفارسى من عبور البسفور  
والدردنيل واخترق اقليم تراقيا وعند وصوله الى ثرما Therma في  
مقدونيا انضم اليه الأسطول وكانت ذلك في أوائل شهر أغسطس من  
العام نفسه .

تبالغ الروايات والأقاصيص الاغريقية في تعداد الجيش الفارسى  
وتتحدث عن الملايين التى تكون منها ولكن المؤرخين المعاصرين يعتقدون  
أن هذا الجيش لم يزد عن ٣٠٠٠٠٠ مقاتل وأن أسطوله لم يزد بأى حال  
من الأحوال عن ٨٠٠ قطعة حربية .

وعندما أدرك الاغريق أن الخطر محقق بهم جميعا . عقدوا اجتماعا  
عاما قرب خليج كورثا عام ٤٨١ ق م تصالحوا فيه ، وسمحت أثينا بعودة  
المنفيين السياسيين وعلى رأسهم أريستيديس العادل وانتخبت  
أسبرطة لما لها من قوة عسكرية رئيسا للحلف الدفاعى الجديد وحاولوا  
ادخال اغريق صقلية في هذا الحلف أيضا ولكن جيلون طاغية سيراكوزة  
أصر على أن يكون هو على رأس هذا الحلف الدفاعى وهذا لم يعجب  
لا الاثينيين ولا الاسبرطيين ، وعلى أى حال يبدو أن جيلون فتح جبهة

جديدة ضد الفرس في صقلية بإعلانه الحرب ضد الفينيقيين والقرطاجيين في صقلية ، وكان الفينيقيون حلفاء مخلصين للفرس ويمتون بصلة قرابة وثيقة للقرطاجيين<sup>(١)</sup> ، وقد أقام الفينيقيون مستوطناتهم في صقلية منذ وقت سابق على المستوطنات الاغريقية في هذه الجزيرة ، ومن الغريب أننا لا نسمع عن مبادرة من جانب اغريق أيونيا لمساعدة وطنهم الأم بل نسمع عن مساعداتهم للجيش الفارسي الغازي لبلاد اليونان .

أدرك الاغريق أن المضائق والممرات الجبلية التي تمتلأ بها بلادهم سلاح دفاعي فعال اذا ما استخدم جيداً فبدأوا في تحصينها . فحصنوا ممر تمبي Tempe الشهير الذي يربط بين تساليا ومقدونيا ، وعند مضيق ثرموبيلاي Thermopylae الذي ينحصر بين الجبل والبحر عسكر الملك الاسبرطي ليونيداس Leonidas ومعه قوة مكونة من ٧٠٠٠ رجل منهم ٤٠٠٠ من اليلوبونيسوس في انتظار الفرس بينما وقف الأسطول الاغريقي الذي كان يتكون من ٣٠٠ قطعة حربية متاهبا عند رأس ارتيميسيوم Artemisium في شمال جزيرة يوبويا Euboea لحراسة الممر المائي بين القارة والجزيرة .

#### معركة مضيق الثرموبيلاي :

حاول الاغريق منع الفرس من اختراق المضائق الجبلية التي تربط بين تساليا شمالاً وبلاد اليونان جنوباً . وبدأ الالتحام بمعارك بحرية بين الطرفين لم يعرف نتائجها ولكن العواصف فتكت بجزء كبير من أسطول الفرس عند خليج مجنيزيا .

ثم حاول الفرس احتلال مضيق ثرموبيلاي الجبلي بالتسلل عن طريق ممر آخر حيث فاجأوا القوة الأسبرطية هناك التي قاتلت حتى آخر رجل فيها ومن الواضح أن الخيانة لعبت دوراً كبيراً في هذه الهزيمة لأن الفرس استعانوا بعدد كبير من المرشدين الاغريق هكذا

(1) cf. Kl. Meister, "Das Persisch-Karthagische Buednis von 481-v chr. Historia, 1970, p. 607-612.

سقط هذا الممر الحصين في أيده الفرس ومجدت الروايات فيما بعد بطولة الملك الأسبرطى ليونيداس وتضحيته بنفسه وبرجاله من أجل الواجب (١) . وبعد سقوط هذا الممر أصبح وسط بلاد اليونان تحت رحمة الفرس وتقدم كسيركسيس وجحافله جنوبا ، وقرر الأثينيون اخلاء عاصمتهم ونقلوا النساء والشيوخ والأطفال الى الجزر المجاورة مثل سلاميس وايجينا حتى لا يسبيهم الفرس . وتقدم الفرس جنوبا محاولين اختلال دلفى ونهب خزائن معبد الاله أبوللون ، ولكن كهنة هذه المنطقة المقدسة نظموا مقاومة عنيفة ساعدهم عليها هبوب عواصف شديدة مما جعل للفرس يولون الأدبار . أما أهل منطقة بيوتيا فقد سلموا عاصمتهم طيبة للفرس دون مقاومة بينما هجر الأثينيون عاصمتهم وانتظروا ماذا سيفعل بهم تمستوكليس وأسطوله الذى وضعوا فيه كل آمالهم .

#### معركة سلاميس :

وبينما كان أسطول الفرس راسيا عند رأس فاليروم Phalerum قرب أثينا كان الأسطول الاغريقى المتحد يراقب المضيق المائى بين جزيرة سلاميس وشواطئ أتيكا .

وتقدمت جحافل الفرس واستولت على اقليم أتيكا ودخلت أثينا وأحرقتها بينما كان تمستوكليس يحاول عبثا اقناع قائد الأسطول الأسبرطى بالهجوم على أسطول الفرس ولكن الحلفاء الاسبرطيين كانوا مهتمين بالدفاع عن البيلوبونيسوس بالرغم من أن أثينا ساهمت بمائة وثمانين سفينة من مجموع الأسطول المتحد البالغ عدده ٣٧٨ سفينة ، وكان على تمستوكليس أن يفعل شيئا (٢) ، فأرسل رسولا الى ملك الفرس ليبلغه أن أسطول الاغريق واقع فى مصيدة وأنه سوف يفلت منها بالهرب وأسرع ملك الفرس وأرسل قوة من فرقة مصرية كانت مع

(1) cf. R. Hopp Simpson, Leonidas' decision, Phoenix, XXVI, 1972, p. 1-11.

(٢) عرض بيتر جرين فى دراسة حديثة قضية الحرب الفارسية اليونانية وسياسة تمستوكليس فى الاعتماد على الأسطول وما تلى ذلك من انتصار أثينا وتراجع الفرس ثم حلل نتائج النصر وأسبابه أنظر :

Peter Green : The Year of Salamis-480-479, B.C. Weiden Field and Nicholson, London 1970.



نمستو کيس بطل سلاميس

جيئته لتسد المضيق بين سلاميس وسواحل أتيكا لكي لا يخرج منها أحد ودخل الجيش الفارسي المصيدة وهو لا يدري ، فبالرغم من كثرة عدده الا أن ضيق المكان وخفة حركة السفن التجارية حقق للاغريق نصرا كاملا في سبتمبر عام ٤٨٠ ق.م . لقد كان انتصار الاغريق في سلاميس عظيما ، واندفع المنفيون عائدين وعلى رأسهم أرسثيديس العادل وتغنى الشاعر ايسخولوس Aeschylus بهذا الانتصار في رواية سماها « الفرس » تحدث فيها عن عناية زيوس رب الأرباب وانتصاره على الفرس ولم يذكر شيئا عن ثمستوكليس على الاطلاق .

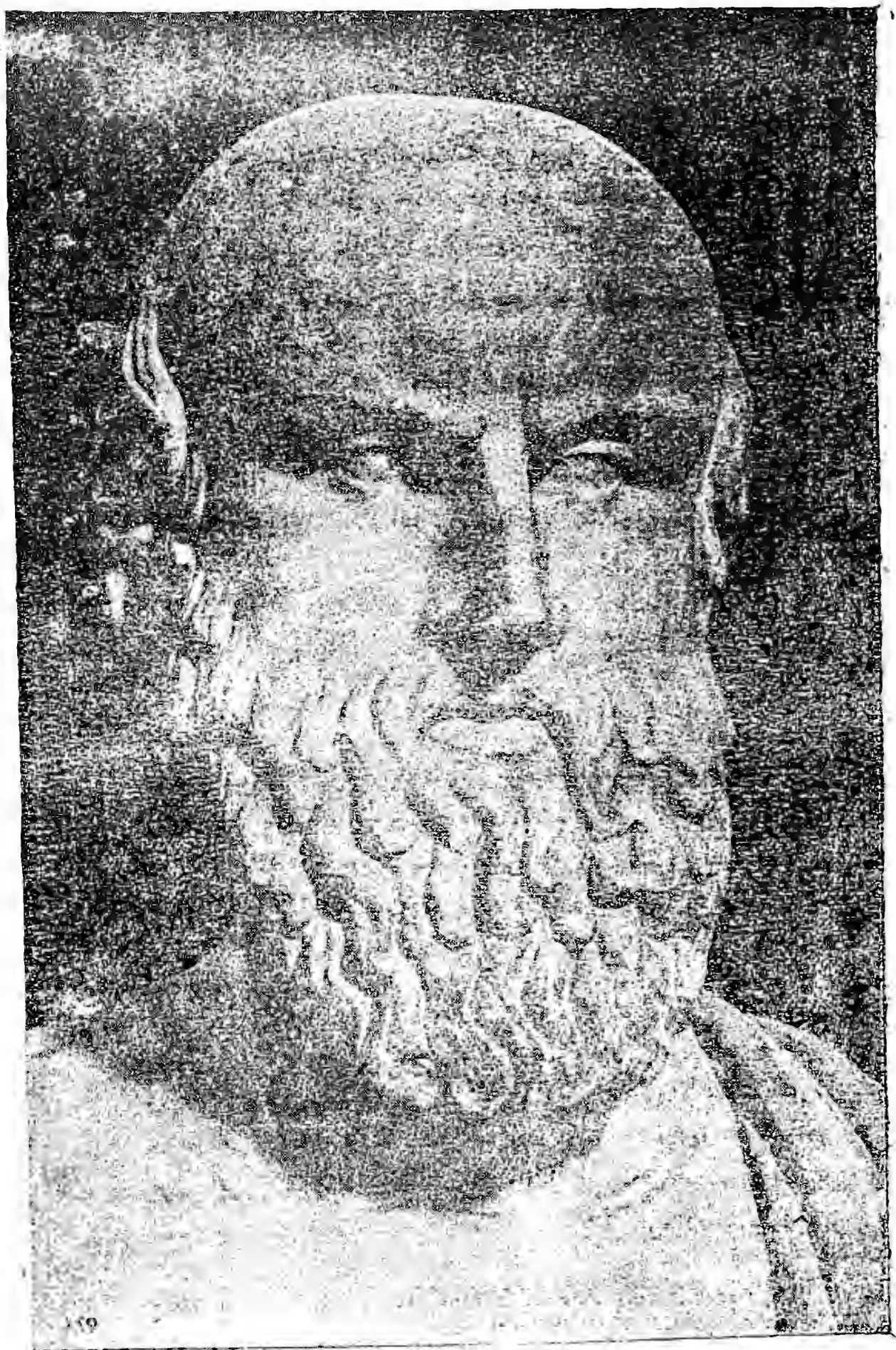
وكان كسيركسيس يرقب المعركة من ربوة عالية ولما عرف نتائجها قرر العودة فوراً الى بلاد الفرس تاركا نائبه ماردونيوس ليشرف على الحملة نيابة عنه . وفي نفس الوقت نجح الاغريق في صقلية في الانتصار على القرطاجيين في معركة هيمرا Himera فكان انتصاراً للاغريق على جبهتين (١) .

#### معركة بلاتيا Plataea البرية وموكالى البحرية :

انسحب ماردونيوس شمالا الى طيبة عاصمة بيوتيا ولاحتقته القوات الاغريقية المتحالفة وقرب مدينة بلاتيا تمكنت القوات الأسبرطية بالذات من إلحاق هزيمة ساحقة بالفرس عام ٤٧٩ ق.م قتل فيها ماردونيوس وانسحب الجيش والحاميات الفارسية من بلاد اليونان كلها وكانت المرة الثانية والأخيرة التي حاول فيها الفرس وإن شئت فقل بلاد الشرق المتحد غزو أوروبا .

وتقول الروايات التاريخية أن الاغريق حاربوا معركة بحرية ضارية في عام ٤٧٨ ق.م عندما انقض الأسطول الاغريقى على الأسطول الفارسي في موكالى Mykale بالقرب من ميليتوس بآسيا الصغرى وفتك به وتحرق غربى أيونيا نتيجة لذلك وكانت هذه المعركة بقيادة ادميرال أسبرطى اسمه توخيلاس . ثم انسحب الأسبرطيون عائدين الى بلادهم بينما أكمل

(1) Y. Garlon, Etudes d'histoire. militaire, VIII : à Propos du Parallèle Himère-Salamine, B.C.H., XCIV, 1970. p. 630-635.



إسخرلوس

الاثينيون والأيونيون المارك شمالا عند مضيق البسفور والدردنيل حيث استولوا على مدينة سستوس المحصنة Sestus بقيادة كساتيوس Xanthippus ، وتفاخر الاثينيون بأنهم قادوا أشرف المعارك دفاعا عن حرية هيللاس الغالية ووضعوا أقدامهم على الطريق الموصل الى الامبراطورية الكبرى في الوقت الذي انسحب فيه الأسبرطيون الى معقلهم في اليلوبونيسوس، اذ لم تكن لديهم نية في التوسع أو فرض سياسة القوة (Machtpolitik) وانما كان كل هدفهم هو دعم حلفهم ومن أجل ذلك غزلوا الملك الأسبرطي باوسانياس الذي يمثل القوة الدافعة للتوسعية (١) .

#### الشاعر الماسوي ايسخولوس :

لا يمكن ذكر انتصار الاغريق على الفرس دون الاشارة الى الشاعر التقى الورع ايسخولوس ، كان ييستراتوس قد وضع اللبنة الأولى لحركة تطور المسرح الاغريقي بايجاده الأعياد الثقافية والدينية مثل عيد الديونيسيا الذي كان يقام احتفاء برب الخمر ديونيسوس وعيد الباثينييا الخاص بأثينا ، وكان يقام في هذه الأعياد عرض غنائي أشبه بفصول الأوبرا الدينية تقام في الهواء الطلق ومتاحة لكل المتفرجين . وكانت الجوقة أو الكورس Chorus هي نواة المسرح الاغريقي وكانت تتكون عادة من خمسين رجلا يغنون ويرقصون بطريقة دينية مبدعة وبين الفينة والفينة كان يقطع غنائهم وانشادهم راويا يحاورهم ويحاورونه . وهكذا كان حال المسرحية الاغريقية قبل مجيء الشاعر ايسخولوس الذي أضاف ممثلا آخر الى الراوي وجعله يدخل في حوار معه ويدخل المشلان بدورهما في حوار مع الجوقة أو مع قائدها بينما يرتدى الجميع أروبا واسعة وأقنعة وأحذية طويلة تضي عليهم قداسة الشخصيات المؤلفة أو الأبطال التي كانوا يحاكونها (٢) .

(1) cf. D. Lotze, Selbsthe wusstsein und Macht Politik. Bemerkungen zen Machtpolitischen Interpretation Spartanischen Verhaltens in der Jahren 479-477., V. Chr. Klio, LII, 1970, p. 255-257.

(2) T.A. Sinclair, A. History of Classical Greek literature, from Homer to Aristotle, P. 224 ff.

وكانت الأعياد الدينية تشتمل على أكثر من عرض مسرحي ومأسوي يستمر طوال اليوم وقد أضيف الى الممثلين شخصية ثالثة بينما حدد عدد الجوقة فأصبح خمس عشرة وكان الرجال يقومون بدور النساء بواسطة الأقنعة والثياب \* وأغلب الظن أن العرض المسرحي كان يتم على أنغام المزامير تماما كما كان الحال في المباريات الرياضية \*

وبالنسبة لتاريخ الأدب الأغريقي يعتبر ايسخولوس أول أثيني يفرض نفسه على عالم الشعر \* لأن كل من سبقوه من أعلام الأدب كانوا من جنسيات غير أثينية فهو ميروس ناظم الألياذة والأوديسا كان أيونيا وكان هسيودوس ناظم ملحمة الأيام والأعمال من اقليم بيوتيا تماما مثل الشاعر الغنائي بندار الذي تخصص في أغاني انتصارات الأبطال الرياضيين ، كما كانت سافو الشاعرة الغنائية العاطفية الاباحية من جزيرة لسبوس الأيونية قرب ساحل آسيا الصغرى . كما كان سيمونيدس Semonides من جزيرة كيوس \* وغير ذلك كثيرون ممن أتوا من جزر بحر ايجه ولم نسمع عن شاعر أثيني مشهور قبل ايسخولوس \*

ومن أشهر مؤلفات ايسخولوس التراجيدية المأساة المعروفة باسم « الفرس » Persae التي سجل فيها حقبة من الأحداث التي عاصرها واشترك فيها خاصة هزيمة الفرس في معركة بلاتيا وهذا تقليد جديد لم يعرف مثله (١) من قبل أو من بعد لأن معظم موضوعات المآسي الاغريقية كانت أسطورية أو مأخوذة من الماضي البعيد بينما أراد ايسخولوس أن يضرب مثلا من التاريخ على غرور البشر وتعاليمهم وصلفهم ثم عقاب الآلهة لهؤلاء الناس ووجد في سيرة كسبركيس وحملته ضالته المنشودة لموضوع هذه المأساة ، ولكن هذا النوع من التجديد لم يعجب الاثينيين ولهذا فضلوا عليه شاعرا جديدا أكثر منه تحسرا واسمه سوفوكليس Sophocles وكان ذلك إبان أعياد الديونيسيا في شهر

(1) cf. George Thompson, "Aeschylus and Athens-A study in the Social origins of Drama., London 1950.

وقد ترجم هذا الكتاب الدكتور صالح جواد القاسم - تحت عنوان « اسخيلوس وأثينا » - بغداد - المطبعة الجمهورية ١٩٧٥ .



مارس عام ٤٦٨ ق.م وكان سوفوكليس أصغر سنا من ايسخولوس .  
لأنه وقت هجوم الفرس كان عمره خمس عشرة عاما ، وغادر ايسخولوس  
أثينا الى صقلية ولكن لم يكن في ذلك نهايته لأن أعظم أعماله وهى  
مسرحية « أجاممنون » كتبت بعد ذلك التاريخ .

### تحصين أثينا :

أثارت دعاية أثينا وتفاخرها حقد أسبرطة الدفين فأنتهى الوئام والتحالف  
بينهما وبدأ فصل جديد من العداء والصراع انتهى بحرب طاحنة بينهما .  
وخاصة ان الاسبرطيين راحو ينظرون بعين الشك الى مشروعات أثينا  
الدفاعية الخاصة ببناء أسوار تربط ميناء بيرايوس Piraeus بالمدينة وكان  
الفرس قد دمروا هذه التحصينات أثناء احتلالهم لأثينا ويرجع الفضل في  
اقامة هذه التحصينات الى ثمستوكليس وكذلك اليه يرجع فضل انشاء  
قوة بحرية فرضت زعامة أثينا على مدن هيللاس كما يينا من قبل (١) .

تآمر الملك الاسبرطى باوسانياس Pausanias مع الفرس ضد  
أثينا :

في عام ٤٧٨ ق.م سار أسطول الحلفاء الاغريق بزعامة أريستيديس  
الاثينى والملك باوسانياس الاسبرطى ليحرر جزيرة قبرص من نير الاستعمار  
الفارسى وبعد أن تم لهما ذلك أبحرا شمالا وحررا مدينة بيزنطة . ولكن  
حقد الملك الاسبرطى على الاثينيين وتشككه في نواياهم (٢) جعله يتآمر  
مع الفرس ضدهم ولما اكتشف الاثينيون وحلفاؤهم ذلك فضحوا أمره  
واعتبروا ذلك خيانة لقضية الاغريق مما أثار سخط باقى المدن الاغريقية  
على أسبرطة وازاء ذلك اضطر الاسبرطيون الى استدعاء ملكهم وتقديمه  
للمحاكمة وتركت أسبرطة مضطرة ميدان الصراع لأثينا المنتصرة التى ألنف

(1) F.J. Frost, Themistocles and Mnesiphilus, Hist. XX, 1971, p. 20-25. ;

(2) cf. A. Blaimaire, " Pausanias and Persia, G.R.B.S., XI, 1970. P. 295-305.

حولها الاغريق جميعا وانتقضوا من حول أسبرطة التي آثرت أن تسترك  
البحر كله وما فيه لأثينا وأن تعود أدراجها الى البيلوبونيسوس حيث  
مكانها الأساسى (١) .

وهكذا خرجت أثينا من معارك الفرس منتصرة وأصبحت سيدة على  
مياه بحر ايجه بلا منازع وجنت ثمار الصراع الطويل وحدها دون  
أسبرطة التي كلفها خيانة وغباء ملكها دماء رجالها بل واحترامها بين  
سائر الدويلات الاغريقية وسلطت الأضواء على أثينا كزعيمة لحرية بلاد  
الاغريق ضد الاستعباد الشرقى الفارسى (٢) . كما أن تحصين المدينة  
ومينائها جعلها تنافس أسبرطة فى القوة البرية ، فى نفس الوقت الذى  
راحت فيه أساطيلها تحرس بحر ايجه وتحتكر التجارة فيه .

ولقد دفع هذا النصر الاثينيين الى التفكير فى الجمع بين الدفاع عن  
حرية الاغريق والمصلحة الخاصة لأثينا بعد أن جنت ثمار النصر  
تمثلا فى العظمة السياسية وفى التوسع التجارى وفى تحقيق السيطرة  
البحرية جزئيا على حوض البحر المتوسط ، بل وفى حركة الانطلاق  
الحضارى والفكرى الراقى الذى جعلها بحق مدرسة هيللاس ، كما كان  
لزما على مواطنيها أن يعيشوا حياة تليق بالعهد الجديد ، فضلا على أن  
حلم توحيد كل المدن والجزر الاغريقية فى دولة واحدة بزعامة أثينا بدأ  
يداعب خيال السياسيين الاثينيين لأول مرة .

---

(1) M. Amit, Athens and the Sea, Coll. Latomus 74, Brussels 1965 (Reviewed in Phoenix, 19 (1965) p. 251-2 ; Athenaeum 43 1965 p. H 65-6.

(2) W.C. West, Saviours of Greece, G.R.B.S., XI, 1970, p. 271-282.

## الفصل العاشر

### قيام الامبراطورية الاثينية

#### نكرة الاستعلاء والغرور تظهر في السياسة الاثينية :

عندما لمع نجم الشاعر الماسوى سوفوكليس ابن السابعة والعشرين ربيعا وفاز على منافسه ايسخولوس في اعياد الديونيسيا في مارس عام ٤٦٨ ق. م ( وكان ايسخولوس وقتئذ يقترب من الستين من عمره ) حدث حادث هام . اذ فاجأ كيمون Cimon وهو ادميرال وسياسى اثينى ينحدر من سلالة ارستقراطية الناس في المسرح ومعه تسعة من ضباطه ومساعديه وكانوا قد عادوا لتوهم من حملة بحرية ضد جزيرة سكورس Scyros التى اعتقد الاثينيون ان ثيسيوس البطل الاثينى مدفون بأرضها . وقدم كيمون للناس عظاما نخرة وقال انه عاد بنظام ثيسيوس استجابة لنبوءة الكهنة واصبح كيمون بطل الساعة وتردد اسمه على كل لسان . ويبدو ان مثل هذا الادعاء كان مقصودا به اشعار الاثينيين بانهم منقذون للأمة الاغريقية من أخطار الفرس تماما كما أنقذ بطلهم فتيان اليونان وفتياتهم من شر المينوتور وحش كريت الأسطورى ، كذلك أرادت أثينا أن تبلغ هزم الرسالة الى كافة المدن والجزر الاغريقية بدورها التاريخى بينهم . وباختصار كان ذلك بداية سياسة الغرور والطمشوح اللذان حققا الامبراطورية الاثينية بسرعة وقضيا عليها بسرعة (١) .

(1) cf. R. Meigs : " The Athenian Empire, Oxford The Clarendon Press, Press., (1972) p. 14 f.

### قيام حلف ديلوس الدفاعي :

بذل الاسبرطيون جهدا كبيرا في رد الفرس عن بلاد الاغريق وكان في استطاعتهم أن يجنوا ثمار ذلك ويطالبوا بزعامتهم لليونان ولكنهم لم يفكروا في ذلك على الإطلاق لأن عقولهم وقلوبهم في ميدان المارك كانت أولا وقبل كل شيء مع المشاكل التي تهدد بلادهم وهي خطر الثورات الداخلية التي كان يقوم بها الهيلوت Helots كلما تاحت لهم الفرصة وخشى الاسبرطيون أن يستغل الهيلوت غياب الجيش الأسبرطي بعيدا عن البلاد فيهبون في ثورة قد يفتكون فيها بطبقة الاسبرطيين وهم أقلية بالنسبة لهم كما نعرف \*

وأدرك الاثينيون ذلك فانتهزوا هذه الفرصة وراحوا يدعون الى انشاء حلف دفاعي تحت زعامتهم لكي يكمل الحرب ضد بلاد الفرس وبالفعل تكون حلف من المدن الأيونية والأيولية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى وانضم اليهم عدد كبير من مدن بحر مرمرة Propontis واقليم تراقيا Thracia وجزيرة لسبوس Lesbos وخيوس Chios وساموس Samos ومعظم جزر بحر ايجه \* كما انضم اليهم مدن جزيرة يوبويا Euboea الواقعة شرق الشاطئ الاثيني باستثناء مدينة كاريستوس Carystus الواقعة في أقصى طرف الجزيرة الجنوبي التي آثرت الحياد \*

وثق الجميع باريستيديس العادل — بالرغم من تقدم السن به وقتئذ لكي يقرر نوعية المشاركة من قبل الأعضاء \* فاتفق أن نساهم كبريات الجزر الاغريقية بعدد من السفن بينما يدفع باقى المدن والجزر الصغرى اتاوة Phoros (١) قدرها أريستيديس حسب امكانية كل منها على أن تكون في مجموعها ٤٦٠ تالنت (حوالي أحد عشر ألفاً وخمسمائة جنيه

(1) cf. A. French, «The Tribute of the allies Hist, XXI, 1972, p. 1-20 = Meiggs, op. cit., p. 63. also cf. R. Sealey, «Votes on tribute quota lists in the Athenian Empire, Phoenix, XXIV, 1970, p. 13-25.

استرليني) وتقرر أن يحفظ هذا المبلغ في جرار توضع داخل محراب الآله أبوللون في دلفي Delphi حيث يجتمع الأعضاء المشتركون دورياً تحت رئاسة مندوب الدولة الاثينية . كما احتفظت أثينا بحق جمع هذه الأتاوات عن طريق موظفين أثينيين عرفوا باسم مندوبي الاغريق Hellenotamiae وكان هذا دليلاً على سيطرة أثينا على الحلف منذ نشأته وبالرغم من أنها كانت تعلن دائماً أنها شريك ولكن كبير ، لكن لا يوجد أى دليل على أنها كانت تحكم حكماً عادلاً .

#### نفي ثمستوكليس وتولى الحزب المحافظ بزعامه كيمون :

وبينما كانت أثينا تمضى قدماً الى الأمام في تأكيد سيادتها وشخصيتها على سائر المدن والجزر الاغريقية مضت أسبرطة في فرض سيطرتها على جيرانها في البيلوبونيسوس فحققت انتصارات على أرجوس Argos وتيجيا Tegea وعلى أركاديا ، واستدعت ملكها باوسانياس للمرة الثانية لتآمره مع الفرس وسجنته في المعبد الذي التجأ اليه حتى مات جوعاً وعطشاً . وفي أثينا واجه ثمستوكليس تهماً مماثلة وجهها اليه الحزب المحافظ الذي كان يتزعمه أرسيتيديس العادل كيمون ابن ميلتياديس، فهرب ثمستوكليس من أثينا الى جزيرة كوركورا Corcyra ومنها الى آسيا الصغرى حيث أحسن ملك الفرس استقباله عام ٤٦٥ ق.م وكان هدف القائد الاثيني أن يقنع الفرس بإعادته الى منصبه ، وعينه الفرس طاغية على ماجنيسيا Magnesia ولكنه مات بعد عام من حكمه ميتة غير مشرفة لبطل سلاميس وبطل الاثينيين ضد الفرس . وتولى أرسيتيديس الحكم ولكنه هو الآخر مات بعد أربعة سنوات فقط من طرد ثمستوكليس البطل الخائن (١) .

(1) G.L. Cawkwell, " The Fall of Themistocles, Auckland Classical, Essays Presented, to E.M. Blacklock Auckland (date ?) p. 39-58.

وعن آراء توكوديديس فيه وفي باوسانياس أنظر :

P.J. Rhodes, " Thucydides on Pausanias and Themistocles, Historia XIX, 1970, p. 387-400.

### زعامة كيمون :

كان كيمون زعيما للحزب المحافظ وكان صديقا للأسبرطيين • وكان ثريا وكريما اذ فتح بيته وحدائقه للناس وحاول كسب سمعة حسنة باتفاق أمواله في أعمال الخير • وكانت سياسة كيمون وحزبه هو إقامة علاقات طيبة مع أسبرطة وملاحقة الفرس • وكان قبل توليه زعامة الحزب المحافظ قائدا للأسطول الأثيني ولعب دورا هاما في تحرير بيزنطة وسستوس ، وملاحقة باوسانياس ملك الأسبرطيين الخائن عام ٤٧٦ ق.م وفي عام ٤٧٥ استولى على أيون Eion في قلب آسيا الصغرى وفي ٤٧٣ استولى على جزيرة سكوروس Scyrus وأتى بعظام ثيسيوس البطل الأسطوري ، وفي عام ٤٦٨ حقق انتصارين على الفرس في آسيا الصغرى عند نهر يوريميدون Eurymedon في بامفوليا Pamphylia في آسيا الصغرى وقد كان لهذا النصر أثره العظيم اذ جلب أعضاء جدد للحلف الدفاعي الجديد الذي تزعمته أثينا ضد الفرس بهدف الانتقام منهم على ما فعلوه بالاغريق وانتزاع السيطرة على البحر المتوسط منهم •

### حلف ديلوس Delian League يتحول الى امبراطورية لاثينا :

وبعد أن أثبت كيمون للاغريق أن حلف ديلوس قادر على تنفيذ هدفه وهو الانتقام من الفرس ، بدأ الحلف يتحول من سياسة اغراء المدن والجزر الاغريقية للانضمام اليه الى سياسة الارغام بالقوة لقبول ذلك وقد سلك الحلف - وأعنى أثينا - مسلكا قاسيا تجاه المدن الأعضاء التي كانت تحاول الانسحاب من عضويته فشلا أرغمت أثينا مدينة كاريستوس في أقصى جنوب جزيرة يوبويا على دخول الحلف بالقوة وكانت هذه المدينة قد آثرت البقاء بعيدا عنه ولما حاولت جزيرة ناكسوس وثاسوس Naxos and Thasos الانفصال عن الحلف وتمردتا عليه في أعوام ٤٦٩ و ٤٦٣ ق.م حوصرتا حتى الاستسلام ثم حرمتا من حق الاستقلال وأصبحتا مستعبرتين تابعتين رأساً لأثينا • وكان هذا بداية اعلان أثينا لرغبتها في تحويل الحلف الى امبراطورية تابعة لها • وخاصة عندما بدأت تطالب الحلفاء بدفع أموال بدلا من المساهمة بعدد من السفن وبدأت تدس أنفها وتفرض نفوذها في الشؤون الداخلية للمدن الحليفة حتى في

حق التشريع والتحكيم داخل المدن وبين المدن والمدن خاصة فيما يتعلق بالقضايا الجنائية وأصبح المتهمون يرسلون الى أثينا ليلقوا محاكمتهم فيها أمام محاكمها وهذا تدخل سافر أثار امتعاض وشكوك المتحالفين .

وحدث في عام ٤٥٤ ق . م أن فقدت أثينا مائتين سفينة كانت قد أرسلتها للعمل في عدة جبهات خارجية كانت مصر (١) أحداها . وادعت أثينا أن هذه الكارثة البحرية سوف تترك جزيرة ديلوس - حيث توجد خزائن الحلف معرضة لعدوان السفن الفينيقية والفارسية وعلى ذلك قررت نقل خزائن الحلف الى العاصمة . وأخيرا أعلنت أثينا شروطا جديدة في وجه الحلفاء الراغبين في الحصول على حق المواطنة فيها وهو أن يكون الفرد من أبوين مولودين في أثينا كان ذلك بمثابة اعلان الامبراطورية الاثينية حيث سادت سلطة أثينا (Arche) قولا وعملا ، برا وبحرا . ونمت المدينة في الثراء والسكان كنتيجة طبيعية لهذه المزايا بينما راح شعور من الكراهية ينتشر نحوها بين رعاياها .

#### كيمون يهب لمساعدة الأسبرطيين ضد الهيلوت :

كان أهل جزيرة ثاسوس Thasos أثناء تمردهم على الحلف الديلي قد طلبوا النجدة من أسبرطة ولكنها كانت غارقة في قمع حركة التمرد الكبرى التي قام بها الهيلوت في مسينيا Messenia حول معقلهم في جبل قلعة ايثومي Ithome وقد هددت هذه الثورة الوجود الاسبرطي ذاته . لأنها حدثت في أعقاب الزلزال العنيف الذي حدث في أسبرطة والحق بها خرابا ودمارا كبيرا . عندئذ طلب الأسبرطيون النجدة من أثينا مثلما طلبت الأخيرة النجدة منهم عندما هاجمها الفرس . ووجد كيمون الفرصة مواتية لتطبيق سياسة الصداقة مع أسبرطة فسار على رأس حملة قوامها ٤٠٠٠ جندي من جنود المشاة المسلحين hoplites ولكن القوة الاثينية وجدت نفسها عاجزة أمام متاهات جبل ايثومي العالي حيث لم يسبق لهم خوض أى حرب في الجبال من قبل . ولما أدرك

---

(١) وذلك لمساعدة الثائر ايناروس أحد ملوك مصر ضد الفرس وقد هزم الاثينيون في ممفيس وأحرق أسطولهم وتفرقت جنودهم . وساروا مشيا على الأقدام حتى وصلوا الى قورينة .

الاسبرطيون ذلك رأوا أنه لا داع من وجود كيمون وقواته فرجوههم أن يعودوا من حيث أتوا واعتبر الأثينيون ذلك اهانة لهم أما الاسبرطيون فقد أكملوا بعد ذلك القتال وحدهم حتى سقط معقل الثوار عام ٤٥٠ ق.م ولكن الأثينيين بعد ذلك ارتكبوا حماقة كبرى عندما قبلوا الفارين من ميسينيا ووطنوهم في ناوباكتوس Naupactus على خليج كورنثا كرد عملى على هذه الأهانة مما ضايق الاسبرطيين كثيرا .

#### نفى كيمون وظهور ايفيالتيس :

انتهر أعداء كيمون من الحزب الديمقراطي فشل الحملة الاثينية في أسبرطة والاهانة التي حاقت بهم وهاجموا كيمون وسياسته - وقاد الهجوم محام شاب عنيف وغيور اسمه ايفيالتيس وكان يساعده زميل له اسمه بيريكليس Pericles وكان الاثنان قد بدأ الهجوم على كيمون عقب عودته من الحملة ضد ثاسوس وتكن الزعيمان الناشئان من ازكاء نار العداء ضد أسبرطة بالخطب السياسية النارية ، ونتيجة لذلك صوت الأثينيون بنفى كيمون عام ٤٦١ ق.م ونادوا بعقد معاهدة صداقة مع أرجوس Argos العدو التقليدية لأسبرطة وكان ذلك ردا آخر على اهانة أسبرطة لشرف الجنود الأثينيين . ولكن ايفيالتيس أعتيل ابان حوادث الشغب التي تلت نفى كيمون وتولى رفيقه بيريكليس الذى قاد البلاد لفترة تقرب من ثلاثين عاما .

#### بيريكليس يدفع ببرنامج اصلاحى ديموقراطى :

أكمل بيريكليس رسالة رفيقه الراحل وقدم برنامجا يعطى المزيد من الديموقراطية للأثينيين يشتمل على النقاط التالية :

١ - تحديد سلطات محكمة الأريوباجوس المحافظة وزيادة سلطات مجلس الخمسائة الشعبى واقامة المحاكم الشعبية وأصبحت سلطات محكمة الأريوباجوس قاصرة على القضايا الجنائية التى يذهب ضحيتها مواطنون أثينيون ، وكذلك على التخصصات القانونية والتشريعية الرفيعة (١) .

(١) A.V. Harrison, "The Law of Athens, Vol I, Property and Family 1963, Vol II, Procedure, Oxford 1971.

وهم بهم المتخصص فى القانون أكثر من المتخصص فى التاريخ .



٢ - فى عام ٤٥٧ ق. م أدخل بيريكليس نظام الأجور لكل الوظائف التى تشغل بالانتخاب وكانت الحكمة من ذلك هو اعطاء صفة الجدية العمل فى هذه المناصب والقاء المسئولية على كل من يشغل منصبا والحد من الابتزاز والارتزاق من الوظائف وبذلك شجع الفقراء وغيرهم من الطبقات الدنيا فسعوا لترشيح أنفسهم لوظائف الأراخنة لأنها لم تعد شرفية يتهافت عليها الأغنياء • ونتيجة لذلك فتح باب الترشيح لهذه الوظائف لكل المواطنين دون النظر الى وضعهم الاجتماعى مادام هناك أجر يدفع لشاغريها •

٣ - ألغى بيريكليس نظام الترشيح بالاختيار ثم القرعة لوظائف الأراخنة ومجلس الخمسمائة وأصبح الترشيح يتم عن طريق القرعة مباشرة من بين المتقدمين ومن بين من تتوفر فيهم شروط الوظيفة • وكان قبل ذلك يطلب من كل قبيلة ترشيح عدد من أبنائها ثم يجرى الاقتراع بينهم •

٤ - ذهب بيريكليس أبعد من سولون وكليثينيس فى دفع البرنامج المديموقراطى الذى خطط له ايفيالتيس وأدخل نظام الأجور لمن يحضرون جلسات المحاكم ويعملون كمحلفين dicastes ووجد الفقراء فى ذلك عملا يتقاضون عليه أجرا وبذلك أصبحت الطبقة الفقيرة فى وضع تسيطر فيه على مقاعد الجمعية العامة وعلى جلسات المحاكم • وأصبحوا يسيطرون فعلا على الجهاز التشريعى والادارى •

بينما جاء بيريكليس بهذه الامتيازات لمواطنيه ضيق إلحزام على أعضاء حلف ديلوس وأصبح سلوك أثينا تجاه حلفائها يروقاطيا وكانت سياسته تجسيدا لسياسة الأنانية الأثينية وتحقيق الرخاء والحرية للأثينيين على حساب المدن الاغريقية الأخرى • فمثلا أرسل حملة عسكرية للاستيطان فى منطقة البحر الأسود لتأمين وصول القمح الجيد والرخيص لمواطنى أثينا • وأصبحت الجنسية الأثينية تعنى الكثير لحاملها مثلما كانت الجنسية الانجليزية يوما ما •

كانت سلطة الدولة التنفيذية متركزة في يد مجلس الجنرالات العشرة Strategoi الذي أصبح بمثابة مجلس الوزراء وكان هذا المجلس يفرض سيطرته على الأراخنة وكان الجنرالات أو الوزراء ينتخبون من قبل الشعب مباشرة وكان رئيسهم بمثابة رئيس الوزراء • وجدير بالذكر أن بيريكليس حكم بصفته رئيسا لهذا المجلس • وتكرر انتخابه لهذا المنصب كل عام حتى موته في خريف عام ٤٢٩ ق • م •

ويرى بعض الدارسين أن نظام الحكم الذي أوجده بيريكليس كان ديمقراطيا شكلا ولكنه كان من الناحية الفعلية حكم رئيس مسيطر أو بلغة الرومان السياسية حكم مواطن أول (Princeps) (١) •

#### بداية التحرش والمناورات بين أثينا واسبرطة وحلفائهما :

بالرغم من أن الأثينيين والأسبرطيين حاربوا جنبا الى جنب لطرد الفرس من بلاد اليونان ، وامتزجت دماء شهدائهم في ساحات القتال وفي مضائق الممرات الجبلية ، الا أن قلوبهم لم تكن صافية ، لقد كان خوف كل منهم على مصيره هو الذي دفعهم الى تناسي خلافاتهم والقتال ضد الفرس تحت راية واحدة • وما أن فرغوا من طرد الفرس حتى بدأت ظواهر العداء القديم تظهر وبدأ كل من المدينتين ترقب الأخرى بعين الشك وترصد حركاتها وتصرفاتها ، فمثلا عندما بدأ الجنرال ثمستوكليس في تحصين ميناء بيرايوس ( بيريه ) وربطه بالعاصمة عن طريق حوائط ضخمة طولها أربعة أميال عام ٤٧٨ ق • م اعترضت أسبرطة على ذلك ولكن ثمستوكليس زاوغها عن طريق مفاوضات طويلة الأمد حتى أتم بناء الحوائط • ثم ترك الاسبرطيون المعركة قبل نهايتها فبدلا من أن تقود أسبرطة حركة تحرير المدن الأيونية من نير الفرس تأمر ملكها باوسانياس منع الأعداء ولما فضح أمره انسحبت أسبرطة من المعارك وأكمل الاثينيون تحرير المدن الأيونية تحت قيادة كيمون وبذلك جنت أثينا ثمار

(1) Paul Cloche, La démocratie athénienne, Paris 1951. P. 26 ff.

انظر : لطفى عبد الوهاب يحيى : مقدمة تاريخية للتفكير السياسى عند الاثينيين ، مطبعة مصر ١٩٥٨ •

الحروب الفارسية وحدها ، وبنت منها امبراطورية كبرى • ولم يقابل ذلك أيضا بالارتياح من جانب الاسبرطيين •

ولما هب هيلوت أسبرطة في حركة تمرد عنيفة عام ٤٦٤ ق • م على أثر حدوث مأساة الزلازل بأسبرطة كان الحزب المحافظ وعلى رأسه كيمون - الذي عرف بسيله لأسبرطة - في الحكم • وبالفعل ذهب على رأس قوة لانقاذ أسبرطة من هذا الخطر وسواء ردت هذه القوة مكرمة أو غير مكرمة فان الأثينيين بعد ذلك أضاعوا ما فعلوه • وكما عرفنا فان كيمون تقي بسبب سياسته المسالمة تجاه أسبرطة • وتولى الحكم الحزب الديموقراطي بزعامة ايفياتيس ولكن اختفاه مبكرا من مسرح الأحداث ترك بيريكليس وحيدا لا ينافس •

وتمشيا مع المزاج العام للمواطنين فقد هجرت أثينا سياسة مصادقة الاسبرطيين وبدأت في مصادقة أعداء الاسبرطيين وتحالفت مع أرجوس وThessalia وكان هذا التحالف بداية التحرش الفعلى بين الدولتين أو على وجه الدقة بين أثينا وحلفاء أسبرطة خاصة مدينة كورثا وجزيرة إيجينا • فعندما احتلت أثينا مدينة ناوباكتوس Naupactus على خليج كورثا استاءت كورثا من ذلك وشاركتها في ذلك كافة أعضاء حلف البيلوبونيسوس ولكن الأمور تفاقت عندما انسحبت مدينة ميجارا من حلف البيلوبونيسوس وطلبت الانضمام الى حلف ديلوس وكان هذا أكثر مما تتحمله كورثا التي أوغرت صدرها حليفها جزيرة إيجينا فاندلعت المعارك عام ٤٥٩ ق • م وتمكن الأسطول الأثيني القوى من هزيمة أساطيل إيجينا وكورثا مجتمعين ونزل جنود الأسطول الأثيني وحاصروا جزيرة إيجينا • وحاولت كورثا فتح جبهة أخرى لتخفيف الحصار على إيجينا فهاجمت مدينة ميجارا نفسها ولكن القائد الأثيني ميرونيديس

Myronides: رد هذا الهجوم عام ٤٠٨ ق. م وفي أثناء ذلك كانت أسبرطة تستعرض قوتها شمالا في بيوتيا عند مدينة فوكيس وعندما تعرضت لهم قوة أثينية عند تاناغرا Tanagra عام ٤٥٧ ألقوا بها خسائر فادحة ولكن الأسبرطيين انسحبوا بعد ذلك . أما الأثينيين فواصلوا تقدمهم شمالا وهزموا أهل إقليم بيوتيا قرب مدينة أينوفوتا Oenophyta عام ٤٥٧ ق. م بعد أن اخضعوا معظم هذا الإقليم وتلى ذلك استسلام جزيرة ايجينا عام ٤٥٦ ق. م .

#### بيريكليس يزيد من تحصين العاصمة :

أدرك بيريكليس أن الحرب ضد أسبرطة وحليفاتها كوثا آتية لا محالة ولذا استمر هذا الاتجاه في تحصين العاصمة وربط بينها وبين موانئها بيرايوس وفاليروم Phalerum وذلك ببناء أسوار على جانبي الطريق المؤدى إليها وتبلغ المساحة بين كل حائط ٤٠٠ ياردة على طول مسافة قدرها أربعة أميال وإلى جانب ذلك زاد بيريكليس من دعم الأسطول الأثيني لأنه كان ثروة اقتصادية وسلاحا دفاعيا وكلما قوى الأسطول الأثيني قوى مركز أثينا الاقتصادي والسياسي والعسكري مما أدى إلى زيادة حقد المدن البحرية عليها وخاصة كورثا التي أدركت أن أثينا قد سلبتها سر قوتها وهو التوسع التجاري والبحري والصناعي . وكانت كورثا تتننى لو تهزم أثينا وتزال من الوجود حتى تنفرد بالسيادة على بحر ايجيه وغرب البحر المتوسط .

#### بيريكليس يتوسع شرقا في بلاد اليونان :

عمل بيريكليس بطاقة ديناميكية وسياسية شديدة Machtpolitik من أجل تحقيق امبراطورية برية تتماشى مع الامبراطورية البحرية ولكن الأثينيين أدركوا أنهم قد توسعوا برا أكثر من اللازم على حساب قوتهم البحرية وذلك بعد تجربة حملتهم لتحرير مصر من الفرس كعمل عسكري ضد

الامبراطورية الفارسية ومن أجل استعادة مصالحهم التجارية القديمة (١) مع المصريين ، وكان بداية تدخلهم في مصر عندما ثار أحد ملوك مصر الليبيين واسمه ايناروس Inarus . على الحكم الفارسي في مصر وطلب العون العسكري من الأثينيين وبالفعل أرسل الأثينيون قوة بحرية نجحت في بداية الأمر ولكنها انتهت بالفشل بعد تحطيم سفنها بل وقضى عليها تماما (٢) . عام ٤٥٤ ق . م . وعلى أثر ذلك توقفت أثينا عن سياسة التوسع شرقا في بلاد اليونان وعملت على استعادة مركزها في شرق البحر الأبيض المتوسط . وتعبيرا عن رغبتها في المسألة مع أسبرطة أعاد الأثينيون كيمنون من المنفى حيث عقد معاهدة سلام لمدة خمس سنوات مع الأسبرطيين وتلى ذلك معاهدة سلام بين أسبرطة وأرجوس لمدة ثلاثين عاما . ولكن كيمنون لم يعيش طويلا إذ أرسل على رأس قوة بحرية طويلة لغزو قبرص من عام ٤٥٠ ق . م . وتمكنت القوة من تحقيق انتصارات بمساعدة الثوار من أهل قبرص ، ولكن كيمنون سقط قتيلًا أثناء حصار مدينة كيتيوم Citium . وتحت تهديد الأسطول الأثيني وخطر الاضطرابات الداخلية اضطر ملك الفرس هو الآخر الى عقد معاهدة مع الأثينيين عام ٤٤٩/٤٤٨ ق . م . وبمقتضاها أعلن الفرس اعترافهم بسيطرة أثينا على بحر ايجه ووعدوا بعدم التدخل في هذه المنطقة مقابل أن تتوقف أثينا عن مضايقة الفرس أو التحرش (٣) بهم أو ممتلكاتهم ، وانسحبت القوات الأثينية من قبرص وشرق البحر الأبيض المتوسط ، ويعرف هذا السلام بسلام كالياس Calias (٤) .

(١) خاصة تجارة القمح الذي كانت تنتجه مصر بوفرة وتصدره الى أثينا مباشرة أو عن طريق المدن التجارية الايونية نظير معدن الفضة الذي كان نادر الوجود في مصر .

(٢) عن تفاصيل هذه الحملة وخسائرها الفادحة انظر :

J.B. Bury : History of Greece, pp. 354-358. also cf. E. Lippino : l'intervento ateniese in Egitto nelle tragedie eschilee Aegyptus, XLVII, 1967 (1969) p. 197-212. also cf. J.M. Libourel, "The Athenians" disaster in Egypt, A.J. Phil X CII (1971).

(3) Samuel. K. Eddy, "The Cold war between Athens and Persia CA 448-412 BC., Classical Philology, LXIII, 4 (1973), p. 241-258.

(4) cf. S.K. Eddy, "On the Peace of Calias, Class philology LXV 1970, p. 8-14, also cf. C.L. Maurison, "The Peace of Calias : its historical Contexts Phoenix, XXV, 1971, p. 12-31.

### أثينا تقبل سلاما لمدة ثلاثين عاما مع أسبرطة :

أحسن الأثينيون صنعا بعقدهم السلام مع الفرس لأن الخطر بدأ يهدد وجودهم ولأن ممتلكاتهم التي حصلوا عليها بسرعة بدأت تنفصل عنها نتيجة لحركات التمرد ونتيجة لنشاط أسبرطة المعادى فمثلا في عام ٤٤٧ حدثت حركة تمرد في يويوتيا هزم على أثرها الأثينيون واستعادت مدينة طيبة سيطرتها على اقليمها ، وفي نفس الوقت ثارت جزيرة يوبويا وكذلك مدينة ميجارا وأعلنت استقلالهما • وحق الخطر عندما توغل جيش ييلوبونيزي شرقا في أراضى أتيكا تحت قيادة الملك بليستوناكس Pleistonax ووصل الى أسوار مدينة أثينا ويقال أن ييريكليس اشترى ذمة هذا الملك بدفع رشوة كبيرة له مقابل عقد معاهدة سلام صورية معه حتى يتفرغ لتأديب جزيرة يوبويا الشائرة ويعيدها الى حظيرة الامبراطورية الاثينية • وتضمنت هذه المعاهدة تنازلات من جانب أثينا فاعترفت بالوجود وبالسيادة الاسبرطية وكذلك سيادة حلفائها (١) بعد أن تنازلت أثينا عن كافة ممتلكاتها خارج أراضيها فيما عدا جزيرة ايجينا وناوباكوس وقبلت أثينا وأسبرطة وحلفائهم السلام لمدة ثلاثين عاما ابتداء من عام ٤٤٥ ق م •

من الواضح أن هذه المعاهدة لم تكن سلاما بل كانت هدنة لكي يستجمع كل طرف قواه ولم يكن من المعقول أن ترضخ أثينا بهذه السهولة وهي في أوج عظمتها وفي قمة مجدها ومواطنوها مدركون للدور العظيم الذي يجب أن تلعبه بلادهم في لحظه غرور (Selbsbewusstsein) • لقد كانت أثينا وأسبرطة تستعدان لحرب طويلة وشاملة اندلعت عام ٤٣١ وظلت حتى عام ٤٠٤ هزمت فيها أثينا وأنهارت بعدها امبراطوريتها • وقبل أن تسترسل في تفاصيل هذه الحرب البيلوبونيزية لتتوقف ولتلق نظرة شاملة على الحياة والثقافة في أثينا في القرن الخامس أو ما يعرف بالحضارة الكلاسيكية في عصر ييريكليس •

(١) وعن توسع أثينا في شرق بلاد اليونان انظر :

(1) R.J. Buck, " The Athenian domination of Boeotia Class. Phil. LXV (1970). p. 217-227.

## الفصل الحادي عشر

### أثينا في عصر بيريكليس

برز بيريكليس كرجل الدولة الأثينية الأول خاصة في الفترة التي ساد فيها السلام ما بين ٤٤٥ - ٤٣١ ق. م ، وكان بيريكليس ينحدر من أسرة ثرية توارث أعضاؤها العمل بالسياسة ، فأبوه كساتبوس الرجل الذي تسبب في نفى ملتياديس ، وكانت أمه ابنة شقيق كليستينيس Cleisthenes واضع أساس الحكم الديموقراطي ، والذي كان ينحدر من أسرة آل الكمايون النبلاء . وكان بيريكليس قد تلقى تعليمه لكي يصبح فيلسوفا ولكنه أجاد فن الخطابة حتى أصبح من أشهر خطباء عصره في الالتقاء والبلاغة إذ كان حلو الحديث قوى التأثير . كانت سياسة بيريكليس سياسة استعمارية مكشوفة تهدف الى جعل أثينا صاحبة السيادة على كافة أجزاء امبراطوريتها هذا من الناحية السياسية أما من الناحية الحضارية فقد بذل بيريكليس جل جهده لجعلها « جامعة بلاد اليونان » ومنارا للثقافة والفنون الاغريقية (١) .

وأصبح عصره هو قمة الحضارة الاغريقية في العصر الكلاسيكي (Hochklassik) ، وعلى أفكاره قامت فكرة الديموقراطية بمفهوم حسي جديد وهو تحويل مجتمع المواطنين الى مجتمع راق ثقافيا وسياسيا (Elite-Volk) وكما يرى بعض المؤرخين الألمان فان هذا التفكير الراديكالي الراقى Elite radikale Gedanke هو الذي حقق على يديه

(1) Fitz Schachermeyer, ; Perikles, Stuttgart, Kohlhammer 1969 (= R.H., 505 1973, p. 175-181 by Edouard Will).



بیریکلیس



ذلك الازدهار الحضارى فى أثينا ، ويجب ألا نفعل فضل معلمه السياسى ايفيالكليس Ephialtes والذى خطط لهذه السياسة ولكنه لم يعش لكى ينفذها فنفذه بيريكلليس العظيم ، حيناً بروح التسامح المتساهل وحيناً بروح الوطنية الغيورة المتطرفة (Staatfanatismus)

لكن يجب أن ندرك أن سياسة رفع مستوى الشعب الأثينى فى الحضارة والسياسة والاقتصاد كان يقابلها تحويل حلفاء أثينا الى ضعاف متخلفين حتى يظهرون أقل مرتبة من الأثينيين وبالتالي يتحولون الى خدم لهذا الشعب الراقى (٢) • ومن أجل القضاء على الفقر فى أثينا اتزع أراضى الحلفاء وهجر اليها الفقراء الأثينيين ووزع الأراضى الزراعية عليهم •

ولما أدرك بيريكلليس أنه لا يمكن فرض القوة السياسية لأثينا فى نفس الوقت الذى يرفع فيه الثقافة والوعى ويحارب فيه الفقر وأن الحرب على جبهتين لا يمكن أن تحقق خلق المجتمع الراقى بدأ يتجه الى سياسة السلام والمسالة خاصة أنه كان يدرك أنه يمكن تحقيق السيادة الأثينية ليس عن طريق السلاح ولكن عن طريق النهوض بالآداب والفنون والعظمة المعنوية أو ما يعرفه الألمان بسياسة النفوذ الحضارى Kulturpolitik كبديل عن سياسة التوسع العسكرى (٣) •

لقد تأثر بيريكلليس بروح الفلاسفة الطبعيين والفيزيائيين الذين عاشوا ابان القرن السادس والخامس - أمثال بروتاجوراس وأناكساجوراس من أجل القيام بحركته التى تغير مفهوم سيادة دولة المدينة السياسى الى مفهوم جمالى وفكرى يحقق الاحساس بالوجود والتفوق لدى المواطن تجاه الدولة Staatsgesittung أو كما يقول ادوارد فييل (٤)

(transfiguration spirituelle et esthetique de la puissance de la polis).

لكن فئة قليلة من المثقفين الاثينيين هى التى فهمت رسالة هذا الزعيم عن اقتناع أما الغالبية العظمى من الشعب الأثينى فقد وافقته

(1) R.H. loc. cit., p. 176.

(2) op. cit. p. 47.

(3) op. cit. 142.

(4) R.H., 505, 1973, p. 176.

بسبب قوة شخصيته وانغزلوا عن التجارب معه من أجل الهدف الاسمى لسياسته وشغلوا أنفسهم بأحلام الثراء والاستعلاء فتحولوا الى مواطنين ضيقى الأفق قصيرى النظرة (Spiesburger) وعلى أيدي هؤلاء برزت المعارضة لهذا القائد عندما تقدم به السن عندما اتهموا صديقه فيدياس بتبديد أموال الشعب فى مشروع معبد البارثينون وبأنه تجرأ ورسم نفسه على درع تمال أثينا فى هذا المعبد ولما أدرك بيريكليس فشل سياسته الحضارية عاد الى سياسة الحرب بهدف انقاذ الروح الوطنية من التسيب ، وعلى ذلك يدافع البعض عن حروبه بأنها حرب من أجل الأحياء القومى *guerre regeneratrice* . وبناء شخصية المواطن وليس حربا بهدف شغل الجبهة الداخلية عن مشاكلها . ولكن هذا الرأى يتعارض مع رأى ثوكوديديس فى مسئولية بيريكليس كصاحب فكرة التوسع الاستعمارى والتي دعى الى التمسك بها لأنها مصدر القوة أما الفكرة الحديثة فهي ليست سوى وجهة نظر شخصية<sup>(١)</sup> . كما أن بيريكليس لم يهمل سياسة التفوق الاقتصادى لأثينا أبداً ومن أجل ذلك دخل فى تناحر تجارى مع كورثا (Konkurenskampf) .

نعم لقد كان بيريكليس قائدا نابغا ولكنه لم يسبق عصره بل كان تاج ظروف ازدهار فكرى وثقافى *Geistige Umwelt* ومن ثم لم يكن الرجل النادر أو رجل العناية الإلهية وهبة السماء *homme providentiel* بل لا يمكن فصله عن الواقع الذى برز منه الذى تأثر به وأثر فيه ومنه خلق ايدىولوجيته من أجل بداية الطريق نحو الدولة الجديدة . *der weg zum neuen staat* . ان دراسة شخصية بيريكليس لا يمكن فهمها بدون المناخ الفكرى العام فى أثينا ابان القرن الخامس ، كما أنه من الصعب تذوق هذا الفكرة دون تفهم شخصية هذا القائد والزعيم وباختصار يمكن أن نقول أن عظمة أثينا مرتبطة بعقلية مواطنيها ، ومرتبطة بأفكار وايدىولوجية بيريكليس ، وبسياسة فرض النفوذ البحرى والتجارى والتفوق الحضارى ، وبحركة التعمير والبناء فى المعابد ونبوغ الفن على أيدي ميرون وفيدياس وبوليكليتوس وفى

تراجيديات سوفوكليس ويوريديس وفي كتابات هيروdot وثوكوديديس  
وفي تفكير الفلاسفة العلميين من أمثال بروتاجوراس وأناكساجوراس ،  
وفي عقلانية الفكر السوفسطائي ، وفي الاحساس بالتقوى بمناجاة الآلهة  
والاتجاه نحو تفسير نبوءاتها حسب مصلحة الدولة السياسية . ومن ثم  
كان لزاما علينا أن نتوقف لنلقى نظرة شاملة على المناخ الحضارى  
والفكرى فى أثينا ابان القرن الخامس ق.م .

#### اولا : الادارة والحكم الداخلى :

لقد وصلت الديموقراطية الى أقصى درجة وصلت اليها فى اليونان  
أبان عصر هذا الزعيم وخاصة فى النصف الأخير من القرن الخامس ق.م  
لأنه زاد من سلطات الجمعية الشعبية ecclesia وحدد من تفوذ قداماء  
السياسيين والحكام السابقين وأصبحت الجمعية الشعبية هى التى  
تشرف وتناقش وتصوت على كل ما يخص الدفاع والنظم المالية  
والسياسة الخارجية والتموين والفلال والدين والشعائر الخاصة به  
واعلان الحرب وتحقيق السلم . وأصبحت الجمعية الشعبية تجتمع  
أربعين مرة فى العام ( أى مرة كل تسعة أيام ) وهو جوهر النظام  
الديموقراطى الأثينى لأنه عضويتها كانت من حق أى مواطن بالغ .  
وأصبح هو الجهاز الذى يرسم السياسة الخارجية للدولة ويشرف على  
ماليتها ويعين حكامها ويحاسبهم عند انتهاء خدمتهم . أما مجلس  
الشورى Boule فكان يختص بتحضير اللوائح التشريعية للجمعية  
العامة ، ويجتمع عشر أعضائه شهرا فى كل سنة كمجلس دائم وذلك فى مقر  
الرئاسة (prytaneia) لادارة أعمال الدولة .

لقد دعم بيريكليس حرية القضاء وحق المواطن فى الاستئناف  
ونقض الأحكام الصادرة ضده بشرط أن يعاقب اذا ثبت بطلان نقضه .  
وهكذا لعب مجلس الخمسمائة دورا أكثر ايجابية مما كان عليه فى  
عهد كليستينيس وأصبحت وظيفة الأراخنة مجردة من السلطة التى

تجمعت في مجلس القادة Strategoi (١) والذي كانت القبائل تنتخب أعضائه كل عام (٢) .

أما عن القضاء والمحاكم فقد أدخل نظام الأجور لكل مواطن يعمل مجلّفاً في الجلسات وتظهر حرية الدفاع من المناقشات والشتائم والالتهامات التي كانت تتبادل أثناء المحاكمات والتي صورها لنا شاعر المسرح الكوميدي الأول أرسطوفانيس Aristophanes في روايته الزنابير Wasps . وغيرها من روايات المسرح السياسي الذي تعرض لحياة السياسيين بالنقد والتقريع (٣) .

ونستطيع أن نقول أن نظام الحكم الذي كان سائداً في أثينا كان ديموقراطياً إلى درجة كبيرة إذا ما قارناه بنظام الحكم الأخرى والتي كانت سائدة في بلاد اليونان وفي خارج بلاد اليونان وبالرغم من أن ما يقرب من نصف المواطنين كانوا محرومين من حقوق المواطنة وبالتالي من حق الاقتراع ويشمل ذلك النساء والعبيد والصناع الأجانب (٤) . أما البقية فقد أحست بأنها تمتلك الدولة وتسير أمورها .

(١) عن مجلس الجنرالات العشرة انظر :

Ch. Fornara, "The Athenian board of generals from 501-404 [ Hist. Einzelschr. 16] Wiesbaden 1971.

الذي يرى أنه أسس عام ٥١٠ ق. م ليحل محل مجلس رؤساء القبائل (Phylarchoi) الذي كانت عضويته بالوراثة وليس بالانتخاب . أما عن تطوره إلى مجلس الجنرالات فربما تبلور في شكل مجلس القادة الذين واجهوا غزوة الفرس انظر :

P. Bicknell, "The Command Structure and the generals of Marathon's Campaign, Acta Classica, XXXIX, 1970, p. 427-442 ; also cf. B. Jordan, "A note on the Athenian Strategieia, T.A.P.A., CI., 1970.

(٢) عن نظام انتخاب هذا المجلس . انظر :

B. D. Meritt, "The election of the Athenian generals, Klio, LIII (1970) p. 277-282.

cf. V. Ehrenberg, "The Peoples of Aristophanes, New York 1962. (٣)

وقد وصف شاعر ماير تهكم أرسطوفانيس على الوضع السياسي بأنه صادر من أوليجارخي ضيق الأفق .

«engstirniger Oligarch!» cf. Schacher meyer, op. cit p. 182.

(٤) عن نظام الاقتراع انظر :

J.D. Mosley, "Voting procedure and the elections of Athenian envoys, Wiener Studien N.F. VI, 1972. p. 140-144 ; also E.S. Staveley "Greek and Roman Voting and elections, London 1972.

### ثانيا : الحالة الاقتصادية :

كانت أثينا في حالة رواج منقطع النظير ورخاء لم تشهده البلاد من قبل (١) . وكان من أهم مصادر الدخل ضريبة الحلف الديلى والتي حددت أصلا بـ ٤٦٠ ألفا ( حوالى أحد عشر ألفا وربعمائة جنيه استرلىنى ) ثم زيدت بعد اضافة خلفاء جدد الى ٦٠٠ تالنت ( حوالى ١٤٤ ألف جنيه استرلىنى ) وكان هذا الدخل يعادل ثلاث أخماس الدخل العام للدولة الأثينية الذى يبلغ ألف تالنت ( حوالى ٣٤٠ ألف جنيه استرلىنى ) وفى عصر بيريكليس اتفق هذا المبلغ الضخم على تجميل العاصمة وتزيينها لكى تبدو جديدة بمكان الصدارة وكعاصمة فعليه لامبراطورية توحد شمل الاغريق .

أما الخمسان الآخرا من الدخل العام فكانا يجبيان من الضرائب المفروضة على الصادرات والواردات ومن زرع أراضي الدولة ومن ضريبة العمل المفروضة على الصناع والحرفيين metikoi . وكذلك من دخل المحاكم العامة نظير البت فى الدعاوى ومن القرامات والالزامات التى كانت تفرضها الدولة على الأغنياء Liturgies وفى حالات الخطر والحروب كانت الدولة تفرض ضريبة اضافية على كل المواطنين .

ومن مظاهر مجتمع الترف الأثينى أن الدولة كانت تستورد أكثر مما تصدر ، من أهم الواردات القمح ومن أهم صادراتها زيت الزيتون والأوانى الفخارية المزينة بالرسوم والرخام والأسلحة وبعض المصنوعات المعدنية .

ويمكن أن نقول أن حضارة أثينا كانت الى حد كبير زراعية لأن فلاحه الأرضى كانت من أهم الحرف بالرغم من أن الدولة شهدت نهضة فى الصناعات اليدوية الفنية على أيدي الحرفيين الأجانب وعلى

(١) انظر عبد المحسن الخشاب ( مترجم ) : الحياة العامة اليونانية السياسة والاقتصاد فى أثينا فى القرن الخامس ، لجنة البيان العربى - الالف كتاب (٤٦) القاهرة ١٩٥٨ ص ٤٦١ وما بعدها .

أيدى العبيد المهرة لأن المواطن الأثيني كان يرفض أن يعمل لحساب شخص آخر بل كان يعمل لنفسه أو لحساب الدولة فقط (١) .

وبفضل قوة الأسطول الأثيني الذى اتجه الى التجارة أيام السلام ازدهرت التجارة الخارجية كما أمن الطرق المائية وأعلى البحار وجعلها مفتوحة ومؤمنة للسفن الاغريقية التى راجت تجوب البحار محملة بالبضائع من شرق البحر الأبيض المتوسط حتى سردينيا غرباً . بازدهار التجارة وثبات الحكم وبازدياد النفوذ الأثيني تمتعت العملة الأثينية باحترام كبير وقبلت كوحدة للتعامل الدولى (٢) . ونتيجة لذلك فقد نشأت طبقة رجال المال والأعمال وذوى رؤوس الأموال والذين أصبحت مصالحهم عاملاً حيوياً فى الاقتصاد داخل أثينا وفى المدن الاغريقية الأخرى الموالية لها وهذه الطبقة هى التى حثت الدولة على التوسع وفرض الانضمام الى الامبراطورية الاثينية بالقوة على المدن والجزر الاغريقية (٣) .

### ثالثاً : مظاهر الحياة الاجتماعية :

يتضح من الدراسات والاستنتاجات التاريخية أن تعداد أتيكا العام فى عصر الامبراطورية بلغ ما يقرب من ٣٠٠.٠٠٠ نسمة منهم ٥٠ ٪ مواطنون ، ١٥ ٪ صناع أجانب (metikoi) و ٣٥ ٪ كانوا عبيداً . وجدير

(1) S.C. Humphreys : Economy and Society in Classical Athens, Annali della Scuola Normale Superiore di Pisa Ser 2 XXXIX, 1970, p. 1-26.

وفيه يقارن بين الأيديولوجية الديمقراطية والواقع الاقتصادى لتحديد الوضع للمواطن الأثينى وأن العوائق الاقتصادية خلقت فجوة بين النظريات المثالية والواقع اذ تمتعت الطبقات الدنيا بالديموقراطية لكن بقيت معدمة ، وبقي الأغنياء يتحكمون لأنهم كانوا يملكون .

(٢) عثر على بعض من هذه العملة فى مدن مصر مثل ممفيس وتقرطيس وتانيس وتل دفنه وسابس وهى المناطق التى تدفق اليها الاغريق قبل الفتح المقدونى لمصر .

Cf. J.G. Milne : Trade between Greece and Egypt before the time of Alexander, J.E.A., XXV, (1939) pp. 177-183.

(3) J.K., Davies ; Athenian Propertied Families 600-300 B.C., Oxford The Clarendon Press, 1971, p. 20 ff.

بالذكر أن معظم الحرفيين الأجانب كانوا يسكنون أثينا وخاصة حى كيراميكوس Kerameikos بالقرب من بوابتها الشرقية ويكاد أن نقول أن ٣٣٪ من التعداد العام لسكان أتيكا كانوا من الحرفيين الأجانب . أما العبيد فقد كانوا عنصرا هاما فى الحياة الأثينية أشبه بالآلة فى المجتمعات الحديثة ولكن يمكن أن نقول أن تعداد العبيد فى أثينا كانوا أقل بكثير من تعدادهم فى المدن الاثينية الأخرى .

أما عن مستوى الحياة فى العاصمة فإن الآثار تظهره بسيطا ومتواضعا لأن الناس كانوا متواضعين وبسطاء فى ثيابهم وفى طعامهم وفى أثاث منازلهم التى كانت تبنى من الطوب اللبن . حتى الأغنياء كانوا أيضا بسطاء فى حياتهم وفى سلوكهم ولكن بالرغم من هذا أحب هذا الشعب المناسبات العامة والأعياد حيث يجد فيها التسلية والرياضة ومباريات الشعر والأدب وبلاغة الخطباء ولذا فإن الأعياد والمهرجانات الدينية كانت كثيرة أهمها الديونيسيا ( أعياد رب الخمر ) والباناتينيا ( أعياد تغيير ثياب الربة أثينا ) الى جانب المهرجانات الأولمبية الأربعة التى كان يشترك فيها الاغريق فى أوليمبيا ودلفى ونيما واسثيا (Isthmian) ولهذه الأعياد يرجع الفضل فى تطور ونضوج الحضارة والفكر الاغريقى ولم تدخر الدولة وسعا ولا مالا فى الاتفاق ببذخ على هذه المهرجانات واحتضان الشعراء والخطباء والفنانين والرياضيين نجوم هذه المناسبات العامة .

وكان المجتمع الأثينى مجتمع الرجل لأن المرأة الأثينية - بعكس زميلتها الأسبرطية - عاشت وراء الجدران مثل نساء المجتمعات الشرقية وكن - فى نظر القانون الاثينى - غير مواطنات بل قاطنات astai . بالرغم من هذا فقد لمعت أسماء بعض السيدات فى التاريخ الاثينى مثل أسباسيا Aspasia عشيقة بيريكليس العظيم ومصدر الهامه وتفكيره . كان الاثينيون يقدسون العلم والمعرفة ويرسلون أولادهم فيما بين السادسة وحتى الرابعة عشرة ليتلقون تعليمهم عند معلم محترف لأن الدولة لم تكن تنفق على التعليم . وفى دور « التعليم الخاصة » كان

الصبية يتعلمون القراءة والكتابة وأصول الحساب والموسيقى وقرض الشعر وبحوره • وكانت الرياضة البدنية من أساس التعليم حيث يدرب الأبطال رياضي محترف أيضاً • ويشمل التعليم أيضاً التمرن على أصول المعاملة والبيع والشراء لمن يرغبون في اتخاذ التجارة حرفة لهم (١) •

أما أغنياء الاثينيين فكانوا يرسلون أبناءهم ليتعلموا عند الأساتذة السوفسطائيين (Sophists) (٢) الذين كونو طبقة ذاع سيطها ابان حكم بيريكليس وقدموا من جميع أصقاع العالم الهليني وكما يتضح من اللفظ اللغوي فقد كانوا فلاسفة عمليين ومعلمين ليا لأنهم أجادوا فن التعليم بل هم طلائع التربية والتعليم على أسس علمية فكانوا يحاضرون في علم الفلك astronomy وعلم الأخلاق ethics وعلم قياس الأرض geometry والقانون والسياسة والبلاغة rhetorie وفن الشعر وكان الأساتذة السوفسطائيون يتجولون من مدينة لأخرى وهم يلقون دروسهم بهدف تعليم الانسان كيف ينجح في شق طريقه في الحياة ويحقق السعادة والراحة لنفسه وكانوا يتخصصون في تدريب الشباب على فن السياسة (Politike Techne) ليصبحوا من الطبقة الراقية (agathoi) بصرف النظر عن أصولهم الاجتماعية (١) ومن أشهر السوفسطائيين بروتاجوراس Protagoras الذي أعلن أنه يعلم الفضيلة وهو الذي وضع أسس النظريات السياسية والاجتماعية وكذلك جورجياس

(١) عن علاقة الآباء بالأبناء انظر :

(1) S.C. Humphreys : Economy and Society in Classical Athens, Annali della l'epoque Classique, A.C., Xp, 1971, p. 589-606.

(٢) انظر : فتحة سليمان : التربية في المجتمعين اليوناني والروماني كلية البنات جامعة عين شمس ١٩٥٨ ، ص ٤٨ والكلمة معناها معلموا الحكمة .

(٣) ونهنا يرى الأستاذ أدكنز أنهم ساعدوا على تعميق الممارسة الديمقراطية واذابة الفوارق الطبقية بين الفقراء (Kakoi) وأبناء الطبقة الراقية (Kaloï Kaga:hoi) برفع مستوى الطبقة الأولى ثقافيا الى مستوى الطبقة الاخيرة انظر :

A.H.W. Adkins : Democracy and The Sophists, London 1972 (Reviewed in JHS, rae XCIII (1973) p. 3-12.



Georgias الذى عكف على تعليم البلاغة والخطابة وقوة التأثير في الجماهير وهي الأسس الأولى والسلاح الأول لكل من يريد العمل في السياسة . وكان من بين الدارسين فريق ممن كانوا يريدون تدريباً أرقى وارفع لكي يزدوا من قدراتهم ؛ فشلا عرف عن السوفسطائي هيبياس Hippias أنه كان يحاضر في كيفية تحقيق القدرة على التذكر (mnemonics) ووصف نفسه بأن أستاذ كل فن كما حاضر في الرياضة والفلك وفي التقويم وعلم الأصوات ودراسة الايقاع وفي النحت والتصوير والموسيقى والحرف وقد روى أن ظهر في الألعاب الأولمبية يرتدى ملابس كلها من صناعه .

هكذا لم ينادى السوفسطائيون بفلسفة معينة ولم يتقيدوا بنظرية محددة بل كانوا عمليين متنوعين محترفين والنواة الأولى للجامعات ولكنهم كانوا سطحيين ويمكن القول بأن جوهر التعليم السوفسطائي كان تحقيق القدرة على الجدل عن طريق الاقتناع ولو كان ذلك على حساب الحقيقة . وأساس جدلهم هو الشك في كل شيء موجود ، كبداية للتفكير السليم ولكنهم في نفس الوقت سلموا بتقاليد المجتمعات العقائدية أو الأخلاقية ولم يحاولوا التشكيك فيها . وبالرغم من هذا هاجمهم أفلاطون ووصفهم بأنهم تجار لبضائع ليست من صنعهم لكن الذى لا شك فيه كان بعضهم موهوبا وأحدثوا ثورة في التعليم القديم (١) .

### الفنون والآداب والفلسفة والعلوم :

#### ( ١ ) الفنون والمعمار :

بدأ الأثينيون بعد طرد الفرس في إعادة بناء مدينتهم التي دمر الفرس معظم معالمها . وفي عصر بيريكليس اشتد هذا الاتجاه بل ودعى هذا القائد أشهر مهندسى المعمار وهو هيبوداموس Hippodamus من موطنه ميليتوس Miletus ليشرف على تخطيط المدينة من جديد . وقد خطط هذا المهندس شوارع المدينة الواسعة وميادينها المربعة ومسرحها وموانئها وقد استخدم القائد الأثيني ميزانية الحلف الديلى لهذا الغرض .

(١) من الكتب الجيدة عن السوفسطائيين ، انظر :

M. Untersteiner The Sophists (translated by K. Freeman) Oxford 1954., K. R. Popper, The Open Society and its Enemies, London 1945.  
E.A. Havelock, The liberal Temper in Greek Politics, London 1957.

كان تل الاكروبول - قلب أثينا - الدينى والتاريخى والسياسى محط عناية خاصة من بيريكليس خاصة لأن الفرس كانوا قد دمروا المعابد والتماثيل التى كانت مقامة فوقه • والاكروبول عبارة عن صخرة بيضاوية الشكل يبلغ قطرها ٢٧٥ مترا طولا وعرضها ١٥٥ مترًا وترتفع عن سطح السهل الذى يبلغ فيه المدينة بحوالى ٣٠٠ قدما •

والصخرة ذات سفوح وعرة أو منحدره انحدارا شديدا مما يجعل الصعود اليها صعبا الا من الناحية الغربية حيث يبدو السفح شبه متدرج فى الانحدار وعلى مقربة من الاكروبول تقف صخرة مرتفعة تعرف بتل آريس حيث كانت تجتمع محكمة الأريوباجوس ويلقى منها بالذين يحكم عليهم بالموت وعلى مقربة من صخرة الاريوباجوس تقف صخرة الحوريات Nymphs وصخرة ربات الشعر والأدب والموسيقى والفنون - التسع Musae.

وكما رأينا أن الأثينيين وجدوا فوق الاكروبول ملامح حضارية وأبنية واستحكامات دفاعية شبيهة بتلك التى عثر عليها فى مدن الحضارة الموكينية وخاصة الاسوار الضخمة التى أطلق عليها أسوار الككلوبس Cyclopean Walls والتى كانت تحيط به فتجعله قلعة محصنة كقلاع موكيناي وييلوس وتيرنس • وقد قام بيريكليس ببناء حائط فى أقصى المنحدر الجنوبى لتلك الصخرة ثم قام بردمها لكى يوسع من المساحة المسطحة فى أعلى الاكروبول ثم أحاطه بالأسوار فيما عدا الجانب الغربى • وفى الفجوة المطة على هذا الجانب ألقى ببقايا الابنية القديمة وبخطام التماثيل التى حطمها الفرس عند احتلالهم لأثينا ثم غطيت بالتراب تلك هى الفجوة المعروفة باسم The debris of the Acropolis وقد توصل علماء الآثار الى هذا المكان وأزاحوا التراب عن آثاره وخرجت مجموعات التماثيل الرخامية لسيدات أطلق عليهن علماء الآثار اسم Korai أى «السيدات» • ويدهش المشاهد لهن لقدرة الفنان فى العناية بأناقتهن كما يرسم على شفاه بعضهن ابتسامة شاحبة حتى أن أحد العلماء الفرنسيين لم يتمالك نفسه وهو يتفحص تلك التماثيل الموجودة الآن فى متحف الاكروبول وصاح مداعبا « أنها مثل خالتي » (Ha ! C'est ma tante !)

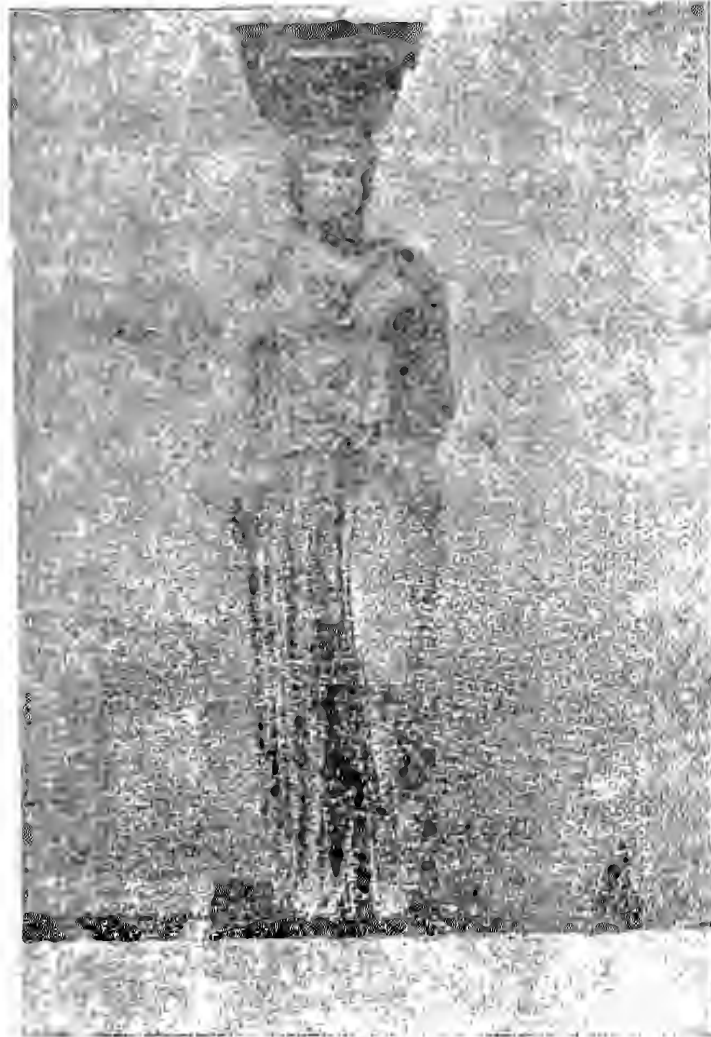


منظر للأكربول ومعابده

ومن أهم المنشآت من ناحية النحت والعمارة معبد « البارثينون » (١) أو معبد « الزهرة العذراء » أى أثينا ، لقد أقيم هذا المعبد مكان المعبد الخشبي القديم والذي كان مقاما أيضا للربة أثينا حامية العاصمة (٢) . وبالرغم مما لاقاه هذا البناء العظيم - ذرة الحضارة والعمارة الاغريقية - الا أن ما تبقى منه وما نقله الانجليز الى المتحف البريطانى بلندن قادر على أن يعطينا صورة لما كان عليه، والبارثينون عبارة عن قاعدة مستطيلة (Cella) مقسمة الى حجرتين واحدة كبرى تشغل حوالى ثلثي مساحة المستطيل والأخرى تحتل الثلث الباقي منه، وجعل الأثينيون الحجرة الكبرى لقدس الأقداس Shrine حيث كان يوجد فيها تمثال أثينا العظيم والذي صنعه فيدياس خصيصا واستجابة لرغبة من صديقه بريكليس - من الذهب والعاج Chryselephantine ووضع في المعبد عام ٤٢٧ ق.م أى بعد عشر سنوات من بدء العمل فى بناء المعابد وقد فقد هذا التمثال أيام الضيق الاقتصادى نتيجة للحروب المتعاقبة ابان القرن الرابع ق.م .

أما الحجرة الصغرى فقد جعلت خزانة Treasury وجعل لها بوابتان من صفائح النحاس المطروق . وحول الحجرات « أقيم رواق من أعمدة مزدوجة سبع عشر فى كل جانب طولى وثمان فى كل واجهة عرضية ويبلغ جميعها خمس وأربعين عمودا طول كل واحد منها أربع وثلاثين قدما . وفى أعلى الأعمدة الداخلية يجرى أفريز من الرخام يصور الاستعراض الرسمى لمهرجان الباثينيا Panatheneia والذي كان يقام ليلا وعلى ضوء المشاعل ويبدأ من المدينة الى أعلى الاكروبول من أجل تغيير كسوة تمثال قديم للربة مصنوع من الخشب . وفى الركن الشرقى من الأفريز يظهر مجلس آلهة الأولمب مجتمعاً يراقب هذه المسيرة كما يقف قضاة المدينة وسياسيوها لاستقبالها. وقد نقل هذا الأفريز بأكمله الى المتحف البريطانى وقد أعيد وضعه فى حجرة خاصة بنفس الترتيب الذى كانت عليه فى المعبد . أما عن الواجهة الخارجية فكانت مصممة على الطراز الدورى أى أن الأفريز كان مقسما الى مربعات منحوتة Metopes ويفصل ما بين

(1) B. Ashmole : Architect and Sculptor in Classical, Greece Phaidon 1972  
(2) I.T., Hill, The Ancient City of Athens, London 1953, Chapter XIV,



أحد أعمدة معبد الإرخنيون مملا في سكن عذراء

كل مربع ثلاث فواصل طولية triglyphs ويبلغ عدد المربعات اثنتين وتسعين مربعا مساحة كل منها أربعة أقدام مربعة ولا يزال بعضها قائما في مكانه ولكن معظمها نقل أيضا الى المتحف البريطاني (١). وتصور هذه المربعات قصة الصراع بين أهل لابث Lapiths والقنطرة Kentauri والقنطرة مخلوقات أسطورية نصفها الأعلى بشرى ونصفها الأسفل في شكل جواد . وتروى الأساطير الأغريقية أن الملك بيرثوس Perinthous ملك اللايثيين دعى القنطرة الى حفل زفافه ولكنهم أكثروا من الشراب وحاولوا خطف العروس بالقوة عندئذ هب الملك وقومه واشتبكوا في صراع عنيف وحشى وانضم الآله أبوللون مع أهل لابث حتى طردوا القنطرة ، هذه الرواية الطريفة ترمز الى حقيقة الصراع بين الحضارة والبربرية وربما رمزت الى الصراع بين أثينا ولقرس الذين كانوا يعتبرون في نظر الاغريق برابرة . وفي أعلى البوابتين يوجد الواجهة المثلثة المعروفة باسم الفرتونة Pediment ويبلغ مساحة كل واجهة ما يقرب من تسعين قدما طولا وأحد عشر قدما عرضا وثلاث أقدام عمقا . وكانت هذه المساحة مملوءة بتماثيل منحوتة ومثبتة في كل واجهة نقلت كلها الى المتحف البريطاني . ويصور تماثيل الواجهة الشرقية قصة مولد أثينا من رأس آيها زيوس بعد أن انهار هيفايستوس الى الحداادة على رأسه بفأسه . أما الواجهة الغربية فتصور حادثة بناء المدينة عندما دخلت الربة أثينا في صراع مع بوسيدون رب البحار وأتى بوسيدون بمعجزة اذ أنه ضرب الأرض فتفجر ماء البحر المالح ومعه أول حصان عرفه الاغريق . أما أثينا فقد ضربت الأرض بخربتها المشهورة فخرجت أول شجرة زيتون ونظرا لأهمية هذا النبات في الحضارة والحياة اليومية الاغريقية فقد نصبت أثينا ربة على العاصة .

ومن أهم ردهات المتحف البريطاني قاعة لورد الجن Lord Elgin's Room حيث توجد آثار البارثينون . وكان لورد الجن سفيرا لبريطانيا

(١) ويوجد واحد فقط منها معروض في متحف اللوفر بباريس وآخر في متحف أوليمبيا في اليونان .



تمثال ميرون رامي القرمص

في اليونان ابان حكم الأتراك لها واستطاع أن يشتري من الحكومة التركية آثار (١) البارثون ما بين أعوام ١٨٠٢ - ١٨٠٤ ونقلها الى أثينا ولا يزال اليونانيون يطالبون بعودة آثارهم اليهم لأن الذي لا يملك باع لمن لا يستحق آثارا غالية عليهم .

ويجىء على رأس النحاتين الذين قادوا هذا العمل الكبير الفنان فيدياس Phedias (٥٠٠ - ٤٣٠ ق م) والذي خلد اسمه عملان عظيمان أولهما تمثال أثينا العذراء Athena Parthenon وتثال زيوس الأولمبي Olympian Zeus وكلاهما مصنوعان من الذهب والعاج ويعتبر الأخيران من عجائب الدنيا السبع . ومن بين فناني عصر بيريكليس أيضا ميرون Myron الذي صنع تمثال رامى القرص Discobolos والذي تزين صورته حتى الآن الشعارات الأولمبية والرياضية في كثير من بلدان العالم كما عرف عصر بيريكليس الفنان بوليكليتوس Polycleitus والذي خلده لنا تمثاله الشهير حامل الحربة Doryphoros والذي كان تجسيدا كاملا لجسم الرياضي لأن هذا الفنان تخصص في وضع الصورة الكاملة لكمال أجسام الرياضيين .

ولم يكن فن التصوير أقل كمالا من فن النحت في هذا العصر اذ شهد أعظم الرسامين وهو بوليغنوتوس Polygnotos الذي ينسب اليه الصورة الكبرى التي كانت تزين بوابة أثينا Propylaea وأعمدتها والتي كانت تمثل قصة سقوط طروادة وعودة أبطال الاغريق . ولحسن الحظ أن الرحالة الاغريقي الشهير باوسانياس Pausanias شاهد بنفسه هذه الصورة وسجلها لنا عندما زار بلاد اليونان عام ١٦٠ ميلادية ومن الطبيعي أن تعصف الظروف الطبيعية والبشرية بهذه اللوحة الخالدة ولكن نستطيع أن نرى انعكاسات من التصوير على الأواني الفخارية ، والتي كانت تطلو باللون الأحمر ثم يرسم عليه باللون الأسود black-figure

(١) وفي سنة ١٦٨٧ م بينما كان جيش امارة البندقية يحاصر الأتراك في البارثينون الذي كان قد تحول على ايديهم الى مسجد واقامت له منارة حدث يوم ٢٦ سبتمبر من ذلك العام ان اصاب قذيفة مخزن البارود في البارثينون فانسحق ولا يزال مند ذلك الوقت مهتما .





نموذج لاحدى الاوانى المسورة

أو يطلى الاناء باللون الأسود ثم يرسم عليه باللون الاحمر (Red-figure) وبالرغم من أن ألوانا أخرى قد استخدمت مثل الأبيض والأصفر والأرجوانى ولكن الأسود والأحمر بقيا من أهم الالوان المستخدمة فى الرسم على الاوانى الفخارية .

#### (ب) الآداب :

عاش فى هذه الفترة أيضا عدد كبير من الشعراء الغنائيين Lyricists فقدت أعمالهم ولم يتبق لنا منها سوى الترجمة اللاتينية التى خلفها لنا الرومان أو بعض شذرات باليونانية . ويحيى على رأس هؤلاء الشعراء الغنائيين بنداروس Pindar ( ٥٣٢ - ٤٤٣ ق . م ) وهو من أهل طيبة وقظم شعرا غنته الجوقات وخاصة فى مديح الأبطال العائدين من الألعاب الرياضية والأولمبية .

أما معظم الشعراء فقد اتجهوا نحو المسرح (١) لأن المسرحية تبلورت فى هذه الآونة من مجرد حوار بين جوقة ومنشد ورئيس الجوقة ، الى حوار بين شخصيات وصل عددها الى أربعة وأصبح هناك عقدة درامية وبداية وقمة ونهاية يظهر فيها الآله المنقذ *deus ex machina* هابطا من سقف المسرح ليضع نهاية ويحل العقدة وكانت المسرحيات تتجه عموما نحو التراجيديات اعتقادا بأنها تحقق الاشفاق والرغبة عند المواطن وهو ما عرفه أرسطو بأنها عملية التطهير *Catharsis* لأنها تطهر نفسية المواطن من كل الانفعالات المكبوتة وينصرف ويغمره السلام وانعزاء وسكينة القلب كما اعتادوا أن يعرضوا أكثر من رواية مأسوبة فى يوم واحد كلها تدور حول موضوع واحد أو فكرة متشابهة .

---

(١) انظر : عبد المحسن الخشاب : التياترو القديم - القاهرة ١٩٧١ وهو كتاب طريف يحاول مؤلفه تتبع جذور المسرح الاثينى وعلاقة ذلك بالمسرحية المصرية القديمة ولكن الجزء الايجابى من كتابه هو الدراسة الاثرية للمسرح القديم . كذلك انظر الكتاب القيم

P. Vidal — Naquet, " Mythe et tragedie en Grece ancienne, Paris, Maspero 1972, P. 23 ff. also cf.

والمعروف أيضا أن فن « الفاجعة » أو المأساة وطد نفسه في المسرح الاغريقي منذ ما قبل هجوم الفرس على بلاد الاغريق لكن النشاط في الحياة العامة ، والازدهار الثقافى الكبير وارتفاع مستوى الفرد الفكرى هو الذى أوجد الحافز الحقيقى لتقدم هذا الفن . وقد وهب المسرح الأيئنى بثلاثة من الشعراء العظام كل واحد منهم يمثل مرحلة مختلفة ويعكس مرحلة من مراحل الفكر الأيئنى وهؤلاء الشعراء العظام هم :

١ - ايسخولوس Aeschylus ٥٢٤ - ٤٥٦ :

كان ايسخولوس أول الثلاثة ظهورا في أثينا . وحارب في ماراثون ضد الفرس كما أشرنا اليه خلال حديثنا عن هذه الحرب وكان محافظا شديد التدين وشديد التمسك بالتقاليد ، محبا للالفاظ القديمة والعتيقة في اللغة . وكان ينسب كل حدث الى ارادة الاله التى شاءت للايئنيين أن يهزموا الفرس ونال المعتدون جزاءهم لأن عين زيوس لا تنام . وبعد حياة حافلة بالمناصب الشرفية في أثينا وقضاء وقت في قصر هيرون Hiero طاغية صقلية عاد لينافس عبقرية جديدة هى سوفوكليس وفي عام ٤٤٥ ق.م اعتزل ايسخولوس وهاجر الى سيراكوزة محتجا على تورط الديمقراطية الفوغائية التى باتت تهدد التراث والنظم القديمة ومات في مستوطنة جيلا بجزيرة صقلية في حادث غامض حيث أقام أهل المدينة له ضريحا هناك . وقد نسب لايسخولوس تسعون رواية ولكن لا نعرف سوى أسماء اثنين وثمانين منها . أما ما وصل إلينا كاملا فسبعة فقط أهمها «الفرس» والتى عرضت عام ٤٧٣ ق.م ويلعب الكورس الدور الاول فيها وتدور حول هزيمة كسيركسيس في موقعة سلاميس . أما الثانية فهى « ثلاثية سبعة ضد طيبة » تتحدث عن أسطورة أوديب في ثلاثة مسرحيات ، أما الثالثة فهى المستجيرات وتدور حول هروب ملك مصر وبناته الخمسين الى أرجوس رفضا للزواج وهى جزء أخير من ثلاثية من احدى مؤلفاته المبكرة ، أما الرابعة فهى بروميثيوس فى الأغلال وهى أيضا ثلاثية تروى شهيد الانسانية الذى تمكن من خداع الاله وسرقة النار لتوصيلها الى البشر فعرفوا أول طاقة من طاقات الطبيعة من أجل صنع الحضارة . ونال البطل جزاءه عندما ربطته الاله فى صخرة وجعلت نسرا ينهش أحشاءه وكلما

نهش جزءا نما آخر عقابا له على تحديه وانتصاره فى الذكاء على الاله وتنتهى الرواية بقدم هيراكليس فى النهاية لىقتل النسر وينك وثاق بروميشوس من الأغلال ولسكى يوفى بين التقوى ازاء الاله ، وحب الانسانية جعل ايسخولوس بروميشوس ابنا لربة العدالة وأنه سرق النار من براكين هيفايستوس رب الحدادة ليعين البشر المساكين فى الحياة والتحدى وليرقى بهم الى مرتبة أعلى فى التقدم والمعرفة . ثم أعلن عن أصله بعد أن أنقذه هيراكليس البطل وعاد الى جبل الأولمب ليصبح عرافا فى مجسع الالهة .

أما الرواية السادسة فى « حاملات القرايين » وهى تروى الأسيرات الطرواديات وهن يقدمن القرايين على روح أجاممنون ثم ينتقم أورستيس ابنه من أمه كلوتمنسترا وعشيقتها ، وأخيرا مسرحية Euméindés الى تروى محاكمة أورستيس القاتل أمام محكمة الأريوباجوس حيث تساعده ربات الانتقام على اقناع المحكمة ببراءته . وهذه الرواية الأخيرة التى ألقت حوالى عام ٤٥٨ ؛ تعتبر أكثر الأعمال الفنية نضجا سواء فى فن بناء الرواية أو الأسلوب (١) .

## ٢ - سوفوكليس Sophoclés ٤٩٦ - ٤٠٦ ق.م :

يعتبر سوفوكليس تجسيدا للكمال والمثالية التى اكتسبت فى عصر بيريكليس (٢) وهو شاعر محافظ لكنه أكثر اعتدالا من ايسخولوس . ولد حوالى ٤٩٦ من أسرة ثرية تعمل فى صناعة الأسلحة والدروع باحدى ضواحي مدينة أثينا وتلقى تعليما راقيا وفى سن الخامسة عشرة قاد كورال الأطفال ليغنى أناشيد الانتصار فى سلاميس . ولهذا لعبت الموسيقى دورا كبيرا فى مسرحياته مثلا قدم رواية عن الموسيقى الأعمى تاموريس

---

(١) للمزيد عن المأساة اليونانية ودورها انظر : د . محمد صقر خفاجه : تاريخ الأدب اليونانى مكتبة دار النهضة العربية ١٩٥٦ ، نفس المؤلف مع د . عبد المعطى شعراوى : المأساة اليونانية ١٩٥٨ وأخيرا انظر الدراسة المبسطة : د . ابراهيم سكر - الدراما الاغريقية - المكتبة الثقافية ١٩٦٩ .

(2) V. Ehrenberg ; Sophocles and Pericles, Oxford 1954. Passim.



سو فو کلیس

حيث قام هو بالدور الأول وعزف فيه بمهارة على القيثارة ، كما لعب دور البطلة ناوسيكافى مسرحية حبلت نفس الاسم . وفى عام ٤٦٨ ق.م وفى السابعة والعشرين من عمره نجح فى الفوز على منافسه ايسخولوس الذى كان يكبره بثلاثين سنة وهزمه وتربع على عرش المسرح التراجيذى ويتميز سوفوكليس عن سابقه ، وعن خلفه يوريديس أنه رفض دعوات الملوك الآخرين لزيارتهم والاقامة عندهم للكتابة عن بلادهم وأنسابهم لأنه كان آثينا غيورا لعب دورة فى السياسة ففى عام ٤٤٠ ق.م كان أحد القادة العشرة الذين ساعدوا بيريكليس فى غزو ساموس (١) . كما كان أحد كبار الضباط فى أثناء الحروب البيلوبونيزية وكان زميلا لنكياس . كما تولى عام ٤٣٥ وظيفة الرقيب المالى *Héllénotamias* للامبراطورية الاثينية . وعندما أثير عام ٤١٣ مسألة تولى الأوليجارخين الحكم كان سوفوكليس أحد أعضاء اللجنة التى أوكل لها تقصى الحقيقة (١) وكان عضوا فى مجلس الأربعةماية فيما بعد . كان سوفوكليس محبوبا له أصدقاء كثيرون منهم هيرودوت المؤرخ وكان يعتبر نفسه محظوظا عند الآلهة لأن أسكيليبوس عد أعطاه عمرا مديدا وعقلا شابا عبقريا . ويقال أنه مات من شدة الفرح بعد نجاحه فى القاء دوره فى مسرحيته أتيجونى وذلك فى عام ٤٠٦ ق.م كما نسب اليه تأليف مايقرب من ١٣٠ رواية لايعرف أسماء سوى مائة منها ، أما ما يصل إلينا كاملا منها سبعة فقط أهمها أتيجونى - احدى بطلات الاغريق وتعالج أزمة الصراع بين ولاء البطل للوطن وولائه لصديقه المخلص خاصة اذا تعارضت مصلحة كل منهما مع الآخر ثم راوغ الشاعر فى تقديم اجابة لهذه القضية عندما أعلن أن ولاء الجندى يجب أن يكون لشيء واحد فقط هو الأوامر الصادرة اليه من قائده . ومن مسرحياته الشهيرة أوديب ملكا *Oedipus rex* وأوديب فى كولون ، والبطل أجاكس *Ajax* و « واليكترا » شقيقة أورستيس ومسرحيته التراخينيات *Trachiniaié* وهى تعالج موت هيراكليس ، ثم فيلوكتيتيس *Philoctetés* التى مثلت عام

(1) L. Woolbury, Sophocles among the generals, Phoenix, XXIV, 1970, p. 200—224.

(2) M.H. Janes, "Sophocles and the Four Hundreds, Historia, XXI, 1971, p. 541—568.

٤١٠؛ وكانت آخر مسرحية ، مثلت على المسرح هي مسرحية أوديب في كولون والتي ظهرت على المسرح عام ٤٠١ ق م •  
كما طرق سوفوكليس باب الشعر الغنائي والابجراما ولهذا يعتبر المثل الواضح للنضوج الدرامي المعقول • وإذا كان ايسخولوس هو الذى وضع أساس التراجيديات الاغريقية فان سوفوكليس هو الذى أكملها • ولقب « بتلميذ هوميروس » • ويعزى الى سوفوكليس بأنه طور وظيفة الكورس وزاد عدد جوقته من اثنا عشر الى خمسة عشر وادخل الممثل الثالث بل وأضاف الرابع ، فضلا عن تطويره للملابس والمناظر المسرحية أدب لغته فكانت ساحرة امتدحها النقاد القدماء كثيرا لأنها لم تكن عتيقة مثل لغة ايسخولوس ولا متهورة مثل لغة يوريبيديس بل سهلة ولكن ممتعة وممتنعة •

### ٣ - يوريبيديس Euripidés ( ٤٥٤ - ٤٠٦ ق م ) :

كان على النقيض من سابقه ، ثائرا ومجددا ، واقعيا وملحدا ، حيث عبر عن القلق الفكرى الذى بسط رواقه فى أثينا بسبب الحروب ، عرفه الأثينيون كشاعر مسرح عام ٤٤١ ق م عند ما فازت إحدى مسرحياته • وقد كان يوريبيديس محل النقد والتقريع من جانب كتاب الكوميديا لآرائه التقدمية وخاصة من جانب زعيم المسرح الكوميدى أرسطوفانيس ، ويبدو أن الأثينيين لم يتقبلوا آرائه الجديدة بصدور رحب بالرغم من أنهم وضعوه فى منزلة رفيعة بعد موته ويقال أنه ترك العاصمة عام ٤٠٨ ( أو ٤٠٧ ) تحت تأثير الهجوم الشديد عليه وانهى به المقام بيلاط ملك مقدونيا حيث كتب مسرحية مجد فيها ملكها أرخيلائوس Archelaus كما كتب هناك أشهر مسرحياته وهى « الباخيات » Bacchae وأغلب الظن أنه مات هناك ، ويقال أن يوريبيديس كتب روايات كثيرة تقرب من التسعين رواية لقيت رواجا من الجمهور بعد موت الشاعر بالرغم ( ١٩ - الافريق )

من انصرافهم عنها ابان حياته ونظراً لذلك فقد وصل الى أيدينا تسع عشرة رواية من أعماله يختلف كل منها حسب أهميتها الأدبية . ويلاحظ أن يوريبيديس هذا حذو السلف في رجوعه الى مناجم الفكر الأسطوري وأولى ظهوره للطريقة التقليدية في استخدام أسلوب قديم سقيم ومتقعر كما أنزل بطلاته من علياء الماضي وجعلهن يتحدثن ويسلكن سلوك النساء العاديات ، كما بلغ من حبه للواقعية أن أظهر على المسرح نماذج من الحياة اليومية كالشحاذين ورجال البروليتاريا الأثينية (١) . وقد اتخذ أرسطوفانيس من ذلك مادة للسخرية ، ومن أحب رواياته الى قلوب متذوقي الأدب الأغريقي رواية افيجينيا في أوليس Iphigénéia in Aulis وتروى كيف قدم أجاسمنون ابنته كقربان للربة أرتميس بعد أن أرسل اليها ليأتي بها خادعا اياها أنها سوف تزف الى أخيليس بطل الاغريق ولكنه بدلا من الذهاب بها الى مكان الحفل اقتيدت الى مذبح المعبد عندئذ يعلن الشاعر استنكاره على لسان الجوقة التي ترتفع عقيرتها بالغناء الحزين على قدر العذراء التي تذبح لكى تدخل الارضا والسرور على قلب ربه ، وتقول لها الجوقة « ان دماءك سوف تخلدك كقاهرة لطروادة » . كما كان يوريبيديس أول من بدأ الطريق لنوع جديد لروايات الحب والدراما والرومانسية الطريفة والتي حولت الى كوميديا من نوع جديد في الأدب الأغريقي . وهذا النوع من الروايات ملئ بالمفارقات ومظاهر الاكتشاف للحقيقة . لكن شعر يوريبيديس هو تعبير عن التلق العقلي والنفسى الذى خيم على الناس ابان الحروب البيلوبونيسية .

### الكوميديا الاتيكية :

كانت الكوميديا تجمع بين الحياة العامة في مدينة أثينا وبين فن التراجيديات . ولفظ كوميديا لفظ مركب من كلمتين اغريقيتين هما ( كومي ) (Komé) و « أودى » Ode أى أغانى الريف بما فيها من

(١) انظر : جلبرت مورى : يوريبيديس وعصره ترجمة عبد المعطى شعراوى - القاهرة ١٩٥٦ ، كذلك انظر :

G. Zuntz ; The Political Plays of Euripides, Manchester, 1955.

وهى محاولة لمطابقة المسرحيات بتاريخ الاحداث السياسية .



عريضة وصخب ونكات متبادلة بين الجوق والجمهور ، ومن مظاهر الكوميديا القديمة التى أتاحت فرصة للتهكم والنقد ما يعرف بـ الباراباسيس parabasis وفيها تخلفت أغاني الريف القديمة الصاخبة والتي كانت فيها الجوقة تظهر وسط الرواية لتخاطب النظارة بأزجال تسخر من شخصيات بارزة أو من موضوعات الأحداث التى تهتم الناس . والذي لا شك فيه كان لمناخ الأمن الذى عاش فيه الأثينى فى ظلال الديمقراطية أكبر الأثر فى نجاح هذا النوع من المسرحيات ، اذ كان لكل مواطن الحق فى أن يقول ما يريد فى أى انسان أو موضوع Parrhesia والفضل يرجع لبيريكليس الذى لدهشتنا لم يجعله أرسطوفانيس محل سخريته كغيره من السياسيين ، ولما هزمت أثينا فى الحروب انيلوبونيزية وسقطت الديمقراطية وتغيرت النظرة الى فكرة المدينة الدولة المستقلة واتجهت نحو التحالفات ، اختفى هذا النوع من الكوميديا الذى لقب بالكوميديا الآتيكية القديمة (Old Attic) وبدأ ظهور نوع جديد يضحك ولا يسخر من أحد أو يعتمد على كوميديا المواقف ، وتصور نماذج من الناس وتظهر التناقض بين سلوكهم . مثل السيد الحر الغبى وعبد الذكى الحيث ، كما تبين الكوميديا الجديدة انهيار الأخلاق العامة وغياب شمس العظمة البيريكلية . لكن الكوميديا الجديدة يمكن فهمها فى أى مكان وفى أى زمان لأنها تعتمد فى اضحاكها على أنماط من النفس البشرية نحسها ونلمسها فى أنفسنا وفى غيرنا ، أما المهابة القديمة فهى كوميديا نقد اجتماعى وسياسى لعهد معين عاشه الشاعر ولا يمكن لنا أن نفهمه ما لم نعرف كل كبيرة وصغيرة عن ذلك العهد ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يضحك على مسرحيات أرسطوفانيس الا اذا كان ملماً بكل شئ عن الأغريق والشخصيات البارزة والشعراء والفنون الخ (١) .

ويعتبر أرسطوفانيس ( ٤٤٨ - ٣٨٥ ق م ) عملاق ذلك الفن من الكوميديا . اذ تخصص فى التشهير والسخرية من السياسيين وصقور

(1) C.H. Whitman, Aristophanes and the Comic hero, Cambridge, Mass 1964, p. 61.

اخرى والتحريرين سواء من الفلاسفة أو الشعراء ، ولقد وصف أحد المؤرخين الألمان أرسطوفانيس بأنه كان أوليجارخيا متطرفا قصير النظر<sup>(١)</sup> éngstirnigér Oligarch لأنه كان مثل غيره من الديموقراطيين المحافظين غير تواق لأي تجديد . وكان محافظا غيورا كما كان أرسطوفانيس أيضا غنيا بكل شئون الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية (٢) .

ومن أعمال أرسطوفانيس أحد عشرة مسرحية أهمها « السحب » (٤٢٥ ق م) سخر فيها من سقراط وأتباعه واتهمه فيها بالشعوذة وتضليل الناس بتعليمهم كيف يقبلون الحق الى باطل والباطل الى حق بالاقناع الجدلي الشيطاني واتهمه بأن سفسطائي ملتوى المنطق ، أما الضفادع (٤٠٦ ق م) فهي مسرحية نقدية أدبية تهكم فيها من اتجاهات يوريبيديس العصرية في فن المأساة الحديثة ، وفي مسرحية « الدباير » (٤٢٢ ق م) سخر من سلوك الدهماء الجاهلة التي سمحت لها الديموقراطية بالجلوس في مقاعد المحلفين في المحاكم وبينت كيف يتبادل المتهمون والقضاة الشتائم والالتهامات في حرية كاملة . وفي مسرحية الفرسان (٤٢٤ ق م) تناول شخصية الزعيم الديموقراطي الديماجوجي كليون دباغ الجلود بالنقد والتفريع كما أظهر جنرالات أثينا الكبار على المسرح وأضحك الناس عليهم وعلى جهلهم وأنهم سوف يقودون الأمة الى كارثة بديموقراطيتهم الغوغائية ، وفي مسرحية الطيور (٤١٤ ق م) سخر من أحلام المتطرفين الديموقراطيين لبناء الامبراطورية تلك الأحلام الجامحة التي تعكس جنون العظمة واللامبالاة الغوغائية فقادت البلاد الى كارثة في النهاية . وفي مسرحية لوستراتا Lysistata حيث تقرر نساء أثينا واسبرطة القيام بانقلاب لوقف الحرب وعقد السلام لأن هذه الحرب تآكل الرجال وبالفعل ينجحون في ذلك وفي مسرحية برلمان النساء Ecclesiazousai يسخر من النساء ومن مطالبهن في المشاركة في الحياة العامة وهي نفس الآراء التي نادى بها أنصار النسوفسطائيين والكليبيين وأتباع سقراط وما جاء في تعاليم أفلاطون في

(1) Fr. Schacherneyer, Perikles," p. 182.

(2) cf. V. Ehrenberg," People of Aristophanes, Paperback New York 1962.

الجزء الخامس من الجمهورية • ومن مسرحياته الطريفة رواية «الشموفوريات» أى المحتفيات بأعياد النساء اللائى كن يجتمعن فى معبد خاص دون الرجال • ويدور موضوع الكوميديا عن رغبة الشاعر يوريبيديس فى التجسس على النساء لمعرفة ماذا يقلن عنه ولماذا يناصبه العداء ، فطلب من صهره أن يرتدى زى النساء مثله ويقومان بالاندساس بين المحتفيات ليكتشف أن النساء يكرهنه لأنه يعرفهن جيداً وفضحهن فى رواياته وهذا دليل على اعتراف أرسطوفانيس بواقعية يوريبيديس ونجاحه فى تحليل شخصياته •

والى جانب النقد اللاذع الساخر كان لأغانى أرسطوفانيس فى مسرحياته جمالها الساحر الذى يأخذ بألباب الناس • لقد كان أرسطوفانيس قطعة لا تتجزأ من العظمة والرقى السياسى والأدبى فى القرن الخامس وتناح الفكر الحر الديموقراطى الذى وضعه بيريكليس •

#### الفلسفة والعلوم :

تقدمت العلوم (١) تقدماً كبيراً فى هذه الفترة وخاصة « الطب » فقد عرف الاغريق فى هذه الفترة أن المخ هو مركز الحس والتذوق وهو المتحكم فى الأعضاء كما عرفوا تدفق الدم فى الشرايين بفعل ضربات القلب • ومن أشهر أطباء هذه الفترة هيپوقراطيس Hippocrates الذى ترجم الى العربية خطأ أبو قراط والذى لا يزال الأطباء يرددون قسمه قبل ممارسة المهنة (Hippocratic Oath) ولذا اعتبر أبو الطب ومن أشهر اكتشافاته أن المرض يتسبب من عوامل طبيعية وأن خير علاج يكمن فى الوجبة الخاصة diet والراحة والهواء الطلق •

(١) أنظر : بنيامين فارتن - العلم الاغريقى ترجمة أحمد شكرى سالم مراجعة حسين كامل أبو الليف - الجزء الاول - سلسلة الألف كتاب رقم ١٦٠ ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ ص ٤٠ وما بعدها .

(2) L. Edelstein, " The Hippocratic Oath Baltimore, 1943, p. 5 ff.

أما الفلسفة فهي المرتع الطبيعي الذي نشأ في بلاد اليونان ومن قادة الفلسفة : (١)

(١) أناكساجوراس Anaxagoras ( ٥٠٠ - ٤٢٨ ق.م ) :

هو معلم يريكليس الذي توصل الى فكرة العقل الأكبر الذي يحكم الأمور الدنيوية كلها ، وهو الذي توصل الى فكرة خلود المادة وأن كل شيء يتكون من المادة والمادة تتكون من مزيج من « ذرات » صغيرة من صنع العقل الأكبر .

كما ذكر أناكساجوراس أن الشمس مصدر الطاقة والقوة وهي جرم سماوي كبير من المعادن الملتهبة . ونظراً لآرائه الفلسفية بالاضافة الى صداقته بالسياسي يريكليس فقد طرد من أثينا عام ٤٥٠ ق.م .

(ب) امبيدوكليس Empedocles ( ٤٥٥ - ٤٣٠ ق.م ) :

وهو مواطن من مدينة أكراغاس Agragas احدى المستوطنات الاغريقية في صقلية وكان فيلسوفا وشاعراً وزعيماً للحزب الديموقراطي . وهو أول من عرف الوجود بعناصر أربعة هي النار والهواء والماء والتراب وأن المادة مزيج من هذه العناصر . والمادة لا تتغير ولكن التغير في تركيباتها يؤدي الى التغير في الظروف والأحوال . وأن دراسة ظروف النبات والحيوان والانسان تؤكد نظرية التطور وتبجعة لآرائه الفلسفية والسياسية فقد طرد من بلده الى المنفى .

(ج) ديموكريتوس ( ٤٧٠ - ٣٨٠ ق.م ) :

وهو مواطن من مدينة أديرا في إقليم تراشيا بشمال اليونان واليه يرجع الفضل في تطوير نظرية « البذور » أو « الذرات » atoma اذ قال ان المادة تتكون من ذرات صغيرة لا ترى وهي دائمة الدوران حول نفسها . وكان ديموكريتوس مادي التفكير والنظرية ولذا فقد دعا الناس الى نبذ الأساطير الدينية القديمة .

(١) من أحسن الكتب عن تاريخ الفلسفة الاغريقية :

W.K.C. Guthrie, History of Greek philosophy, 2 vols. Canbridge 1963, 1965.

( د ) بيثاجوراس Pythagoras ( ٥٧٦ - ٤٩٧ ق.م ) :

وهو مواطن من جزيرة ساموس Samos وأول من نادى بأن الأرض كروية الشكل وحاول حساب ذلك بالأرقام وكيف تدور حول نفسها كما آمن بخلود « الروح » وذلك بأن الروح تنتقل من جسد لآخر وتختلف في اختيار الجسد حسب حسن سيرة صاحبها في حياته فالأشرار تحل أرواحهم في أجساد الحيوانات ولذا حرم على أتباعه أكل اللحوم . وهناك من يشكون عما اذا كان بيثاجوراس هو واضع نظرية فيثاغورس في الهندسة . وعلى أى حال انتشرت فلسفته في جنوب ايطاليا (١) وأثرت في الفكر السياسى هناك .

سقراط الحكيم ( ٤٦٨ - ٣٩٩ ق.م ) :

كان سقراط بلاشك أعظم معلم ظهر بين البشر ، وهو رمز للعبقريّة والنبوغ الذى حققته أثينا ابان قمة ازدهارها في القرن الخامس ق.م. ولد عام ٤٦٨ ق.م من أم قيل عنها أنها كانت تعمل « قابلة » للنساء ومن ثم وصف نفسه بمولد الأفكار الصادقة في نفوس الناس (٢) ، وكان أبوه يعمل في البناء والنحت وبالتالي ليس من المستبعد أن يكون سقراط نفسه قد بدأ حياته العملية بناء خاصة أن الاغريق نسبوا اليه نحت مجموعة من التماثيل وضعت فوق الاكروبول . لكن سقراط سرعان ما هجر هذه الحرفة ليعمل بالفلسفة وراح يعظ الناس ويعلمهم في كل مكان دون أن يتقاضى على ذلك أجرا لأنه كان يعتبر ذلك رسالة الهية كلفته بها السماء و « الضرورة » معا وهنا لا يمكن أن يكون مثل باقى السوفسطائيين الذين كانوا يتقاضون أجورا باهظة من الناس نظير تعليمهم .

كان سقراط قصير القامة قبيح الخلقة ، بدين الجسم ، أصلع الرأس ذا أنف مفلطح وعينين جاحظتين ، يسير في طرقات أثينا في ثياب رثة وهو حافى القدمين لكنه كان يسير في خيلاء وكبرياء وقد سخر منه الشاعر

(1) K. Von Fritz, Pythagorean Politics in South Italy New York 1940 passim.

(2) Apologia 30-31., cf. also A.D. Winspear and T. Silverberg, Who was Socrates ? ; Gordon and Company, U.S.A, 1939. P. 55. ff. ; O. Gigon Sokrates, Berne, 1947.



سورة توضیح وجه سقراط

الكوميدي أرسطوفانيس لذلك ووصفه بأنه « ابن الماء » (١) وذلك في روايته السحب . وكان يفاجئ الناس في السوق العامة أو في ملعب الرياضة *gymnasium* أو في الولاثم والتجمعات فيحدث فيهم دهشة وضجة وقبل أن ينطق فاه بكلمة كان يعتريه غيوبة وصمت يتم خلالها هبوط الروح الربانية فيه (٢) ، ثم يبدأ جدله بتوجيه أسئلة في شكل ثروة جدلية يهدف بها الكشف عن ماهية مجادلة واستكشاف ما يعرفونه وما لا يعرفونه (٣) ثم يعلمهم عند طريق الجدال البناء الذي يبدأ من العدم الفكري لأنه كان يرفض قبول أمر دون إثبات عقلاني أو دليل واضح . وبهذا دعى الآثينيين الى البحث عن الحقيقة دون الخوف من أحد . وكان يرى أن الفضيلة هي العلم والمعرفة والرياسة هي الجهل وأن روح الانسان لن نستطيع رؤية الحق الكامل الا بعد كفاح ذهني مرير . وكان سقراط يؤكد لجمهوره وتلاميذه بأن رخاء الانسان اذا تحقق دون معرفته بذاته يصبح مصدر تعاسة وشروع وأن الانسان اذا قنع عند حد معين بالمعرفة يكون كمن قبر روحه . وهكذا قضى سقراط حياته في فقر مدقع لكنه دخل خلالها في جدل مع كافة طبقات الشعب الاثيني : مع الاغنياء ومع الفقراء ، ومع رجال السياسة ورجال الحرب ، مع الفلاسفة ومع الشعراء ، مع العلماء ومع الحرفيين كالاسكافية والحمالين ، وكان جدله يبدأ ساخرا يشير الضحك ثم يتحول الى جدية تسحر الناس وتجعلهم يعصرون أذهانهم للرد على أسئلته . وكان يقول : اننى أعشق المعرفة ورجال المدينة هم الذين يعلموننى أما الريف أو الأشجار فلا تعلمنى شيئا (٤) .

كان سقراط مواطنا صالحا شجاعا حمل السلاح دفاعا عن بلده في الحروب البيلوبونيزية وقبل أنه قاتل بشجاعة وأنقذ من الموت شابا ارستقراطيا جميلا اسمه الكيباديس *Alkibiades* صار تلميذه فيما بعد

(1) *Clouds*, 150.

(2) *Plato : Symposium*, 215, 22.

(٣) انظر : اميرة حلمي مطر : الفلسفة عند اليونان ، دار النهضة العربية ١٩٧٤ ( الطبعة الثانية ص ١٣٥ - ١٦٠ ) .

(٤) محاوراة فايدروس ٣٢٠ .



سراط الحكيم  
المتحف البريطاني ( بلندن )



وأصبح زعيما سياسيا بعد موت الزعيم بيريكليس • لكن سقراط كان ساخطا على النظام الاثيني في الديمقراطية لأن رأيه هو أن السياسة يجب أن تقوم على آكتاف العارفين بالعلم وليس على آكتاف محترفي هذه المهنة • ولهذا قدم للمحاكمة بتهمة تحريض الشباب على التمرد على سنة الآباء وتقاليد المدينة كما اتهم بالكفر والالحاد ازاء الآلهة • ولكنه كان بريئا من التهمة الثانية لسبب بسيط هو أنه كان يعتبر نفسه صاحب رسالة ربانية وأنه أشبه بوحى يهبط ليلسح جوادا هو الشعب الاثيني فيوقظه من خموله ليسرع الخطى نحو اليقظة الفكرية • ولما سمع نبوءة كهنة دلفي بأنه « أحكم الناس » وكان عمره وقتذاك بين الثلاثين والاربعين تساءل مستكرا كيف يمكن أن يكون حكيما وهذا صفة موقوفة على الآلهة وأنه اذا قورن بها فهو لا يعلم من الحكمة شيئا بل كان دائم القول « انى أعرف شيئا واحدا وهو أننى لا أعرف شيئا ! »

اذا فالتهمة التى وجهت اليه كان دافعها سياسيا • والذي لاشك فيه أن أنصار الحزب الديمقراطى هم الذين دبروها انتقاما لموقفه العدائى من الحزب وانتقاما من اثنين من تلاميذه هما من ألد أعداء الديمقراطيين الأول هو كيتياس الذى اشترك فى الانقلاب الذى دبره الاسبرطيون لاقضاء الحزب الديمقراطى عن الحكم واقامة دكتاتورية أوليجارخية وبالفعل تم ذلك وأصبح كريتياس من أبرز زعماء هذه الحكومة التى فتكت بالديموقراطية وشتت شملهم وبعد كفاح مرير نجح الديمقراطيون فى هدم الدكتاتورية واعادة الديمقراطية الى الحكم ومن ثم أرادوا الانتقام من كريتياس فى شخص سقراط •

أما الثانى فهو الفتى الكياديس الذى تسبب فى نكبات كثيرة وهرب من جيش الحملة الأثينية ضد صقلية الى أسبرطة ليكشف لهم عن أسرار عسكرية هامة أدت الى هزيمة أثينا فى صقلية بل وهزيمتها الكبرى على يد أسبرطة •

اذا فالتهمة التى حكم بسببها على سقراط بالموت عام ٣٩٩ ق • م كانت سياسية وانتقامية لأن أثينا أصبحت كالهرة تأكل عجافها ولم تكن التهمة

دينية لأن سقراط اعتبر نفسه مفكرا عقلانيا وصوفيا روحانيا في نفس الوقت . وجاء الحكم عليه بالموت قاسيا . ومن ناحية أخرى أصدر القضاة حكمهم عليه بالموت وهم على مضض بل كان يمكن لسقراط أن يبرأ نفسه لو لم يبرر في دفاعه رسالته الربانية العلمانية بطريقة لا تقبل الجدل ، متحديا قضائه بأنه يدرك مدى العداوة التي يجنيها بسبب رسالته ولكن الضرورة وكلمة السماء يجب أن تكون فوق كل اعتبار<sup>(١)</sup> كذلك كان يمكن له أن يبقى حيا لو قبل النفي بمحض الإرادة . ولكنه رد بطريقة لا تقبل المساومة بأن السماء أقامته أمينا وحارسا على رسالة ومن ثم فلن يخون الأمانة ويهجر الرسالة وبالتالي رفض أن يرجع عما نادى به ولو دفع حياته ثمنا .

ولما رشا حوارايوه الحراس ونصحوه بالهرب رفض قائلا بأنه من العبث أن يخرج على قوانين المدينة التي رعتة طوال حياته وولد وعاش في كنفها كما ولد وعاش والداه من أجل أن يظفر بالحياة ، وآثر أن يموت شهيدا لرسالة الحق والعقل بل قيل انه استقبل الموت ليحرر روحه من الألم والمعاناة ، ومن ثم تجرع حتى الثمالة كأسا من السم جاء بها الحراس أصلا الى سجين آخر ثم راح يودع الحاضرين من مريديه ، وارتمى يحتضر متمما عبارة خاطب بها صديقه كريستو هي « يا كريستو ان على ديننا وهو « ديك » لاسكليبيوس فلا تنسى أن ترد عنى هذا الدين » ويقول البعض أن أسكليبيوس المقصود هنا هو رب الشفاء ( المعادل لأمحتب عند المصريين ) وبالتالي فان مقصد سقراط هو أن يقدم قربانا لرب الشفاء . لأنه شفاه بالموت من آلام الحياة .

مات سقراط الحكيم دون أن يترك من ورائه مؤلفات تسجل فلسفته ولكنه ترك عددا كبيرا من تلاميذه الذين نبغ بعضهم في ميدان الفلسفة مثل أفلاطون الذي سجل كل فلسفة أستاذه في شكل محاورات ( dialogues ) ولكن بصورة راقية ومثالية ، ومن تلاميذ سقراط الذين خلدوا حياته أيضا الأديب المؤرخ والعسكري كسينوفون Xénophon الذي ترك لنا فصلا عن سيرة أستاذه في كتابه المذكرات ( Memorabilia ) ،

(1) Apologia, 21, Y.

أما أرسطوفانيس الشاعر الكوميدي فقد ترك لنا مسرحية كاملة تتهم على سقراط واتباعه هي مسرحية « السحب » يمكن أيضا أن يستخرج منها ما نعرفه ومالا نعرفه عن هذا المعلم العظيم .

#### علم التاريخ :

ظل التاريخ مادة لكتاب المقالات (١) من أهل أيونيا Logographers الذين مزجوا الأساطير بالروايات وبالحقائق ثم أعطوها تاريخا تقريبا . ومهما تبدو أعمالهم ساذجة ومضحكة إلا أنها عكست أشياء ذات قيمة بالنسبة للمؤرخ وأشهر المؤرخين الذين عاصروا الإمبراطورية الإثينية اثنان هما هيرودوتوس Hérodoteus وثوكوديديس Thucydides

#### هيرودوت أبو التاريخ ( ٤٨٥ - ٤٢٥ ق.م ) :

ولد هيرودوت في هاليكارناسوس Halicarnassus إحدى المستوطنات الدورية القليلة على ساحل آسيا الصغرى ولكن هيرودوت كتب بلهجة أيونية وليس دورية وكانت أمه من إقليم كاريا ( وهم أهل البلاد الأصليين ) وقد اعتاد هيرودوت أن يسافر إلى أثينا ويلتقي بقادتها وزعمائها وشعراء مسارحها وكان متعصبا ومتحيزا لأثينا وسياساتها حتى أنه قبل أن يكون عضوا في إحدى المستوطنات التي أقامت أثينا في إيطاليا وهي مستوطنة Thurii وبقي فيها حتى مات .

اعتمد هيرودوت في كتابته للتاريخ على الرحلات والزيارات أو السياحة الأدبية وحول مشاهداته وتسجيلاته إلى مادة لكتابة تاريخه . وقد أتم تسع مؤلفات تاريخية أعطى لكل منها اسم إحدى ربّات الفنون والآداب التسع Musae . وتدور كتبه الخمس الأولى حول نشأة

#### (١) عن علم التاريخ عند الإغريق انظر المراجع الآتية :

(1) Usher, " The historians of Greece of Rome," London 1970 ; M. Grant, " The Ancient historians," London 1970 ; A. Momigliano, " The Development of Greek biography [ 4. Lectures ] Cambridge Mass., Harvard University Press, 1971.

كذلك انظر :

الفكر التاريخي ، عند الإغريق تأليف أرنولد توينبي وترجمة لمصطفى الطمى ومراجعة محمد صقر خفاجة - مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٦٦ .

الامبراطورية الفارسية تحت حكم قورش ووصف بعض الولايات مثل مصر وتراكيا في ظلال الحكم الفارسي ثم روى في الكتب الثلاث الأخرى قصة الصراع بين الفرس والاعريق « أو قصة الحروب الفارسية حتى تحرير سستوس Sestus عام ٤٧٨ ق. م ، وجدير بالذكر أن كتابه الثاني (١) كرس لوصف مصر وعاداتها وديانتها وتاريخها وهو الذي قال فيه عبارته الخالدة « مصر هبة النيل » .

أهم ما يؤخذ على هيرودوت جهله بلغات الشعوب التي كتب عنها وتحدث عن تاريخها وقيامه بعمل واسع غير محدود . كما مال الى ارجاع الحوادث التاريخية الى مسببات مباشرة فقط أو الى دوافع فردية ولذا يعتبر مؤرخا سطحيا وغير منهجيا . اذ أنه أغرق نفسه في عالم الخرافات الاسطورية والغيبيات الدينية التي تكشف عن معدنه ونشأته وتربيته الدينية . وبالرغم من هذه التحفظات فهو طريف ومحبب الى قلوب قرائه وهو أمير المؤرخين القدامى بلا منازع ولذا اسماه الرومان Pater historiae أي أبو التاريخ لأنه بالرغم من أخائه فهو أول من (٢) جمع المادة ثم نقحها بقدر ما يستطيع ثم صاغ منها مادته التاريخية في شكل متحدد مترابط وهادف . لقد قال هيرودوت في أكثر من موضع « ان واجبي هو أن أسجل كل ما يقال ولكنني لست مقيدا بتصديق كل ما يقال » . وهذه العبارة أيضا تكشف كيف أنه جمع قدرا كبيرا من مادته من أفواه الناس وروايات الكهنة المصريين ومن الأدب الشعبي فمزج الحقيقة بالخيال وهذا ما يأخذه عليه المؤرخون القدامى والمحدثون . ويعتبر بعض الناقدين أن هيرودوت هو أبو علم الانثروبولوجيا الاجتماعية وليس أبو التاريخ ليله الى الحقل الثقافي والاجتماعي والديني أكثر من الحقل السياسي .

(١) ترجم هذا الكتاب الى العربية الأستاذان الدكتور محمد صقر خفاجة والدكتور أحمد بدوي تحت عنوان هيرودوت في مصر . دار القلم ١٩٦٦ القاهرة . ويرجع أهمية هذه الترجمة ليس الى دقتها فحسب بل الى قيمة التعليق عليها .

(2) A Fahling, " Die Quellengaben bei Herodot. Studien zur Erzählungs kunst, Berlin ; 971, also cf. Ch. W. Fonara, " Herodotus : an intepretative essay, Oxford 1971 (= Revue Philologique XLVI (1972) p. 117-118.

### هيرودوت في مصر :

عندما زار هيرودوت مصر - أبان الحكم الفارسي - وجدها مليئة بالعجائب وبكل ما هو غريب وأنها تحوى آثار الأولين بكميات تفوق أى بلد آخر في العالم القديم ، كما أدرك هيرودوت سحر شخصية مصر وعبقريه مكائنها وقوة تأثيرها النابع من ثراء ماضيها العتيذ كما سجل طريقة حياة المصريين التي وجدها مخالفة لسائر الشعوب الأخرى لا في بلاد الاغريق فحسب ، بل حتى في بلاد شرقية مثل آشور وبابل وبلاد الفرس .

وكان النيل بالطبع أول شيء ميز مصر في نظره ، فهو نهر عظيم جبار غامض المنبع ملئ بالتماسيح التي ترتع بحرية فيه وتلقى من الناس كل احترام وتبجيل . كما دهش من حرص المصريين على جثث موتاهم وتحنيطها لتبقى تقاوم التحلل آلاف السنين .

لقد دفعت بديهية هيرودوت أن يصف حياة وسلوك المصريين بأنه على النقيض التام لسلوك شعوب العالم ، فهم يكتبون من اليمين الى اليسار بينما يكتب الاغريق من اليسار الى اليمين وهم يعجنون العجين بأقدامهم أما الطين فبأيديهم وبها أيضا يجمعون روث البهائم ، وبينما يمكث رجالهم في المنازل ليقوموا بالغزل ، تذهب النساء الى السوق للبيع والشراء حتى طريقة غزل الصوف مخالفة ، فبينما يغزل الناس جميعا دافعين للحمه من أسفل الى أعلى فان المصريين يدفعونها من أعلى الى أسفل » ، وبينما يقضى المصريون حاجاتهم سرا داخل المنازل وجدهم هيرودوت يأكلون في العلانية وعلى قارعة الطريق معتقدين أن الضاررات القبيحة هي وحدها التي يجب أن تؤتى في الخفاء . ويقول هيرودوت أن النساء المصريات يتبولن وهن وقوف بينما يفعل الرجال ذلك وهم يجلسون القرفصاء ، وبينما يحمل الرجال الأثقال على رؤسهم تحمل النساء الأحمال على أكتافهن ، وبينما يسكن سائر الناس في عزلة عن الحيوانات ، يعيش لصريون جنبا الى جانب معها . وبينما تعيش الناس على القمح والشعير يعيش المصريون على الذرة ، حتى القبط في مصر

وجدها هيروdot عن غريبة عن غيرها ووجد الناس يعاملونها برقة وتبجيل  
يشير دهشة الاغريقى •

ان ملاحظات هيروdot تجعلنا نعتقد أن زيارته لمصر لم تكن سياحة  
عابرة بل كانت رحلة استطلاع ودراسة ومسح اجتماعى وجغرافى شامل  
مما يجعلنا نعتقد أن بقاءه فى مصر لا يقل عن عامين بعد رحلة طويلة فى  
عالم كانت وسائل الانتقال فيه بدائية علما بأنه تفقد مصر حتى أسوان  
جنوبا كما زار الفيوم • ومن المحتمل أنه دخل مصر من البوابة الشرقية  
من ييلوزيوم لأنه جاء الى مصر عن طريق آسيا الصغرى •

ومهما يكن من أمر فقد بقيت المعلومات التى جمعها هيروdot عن  
مصر هى الجوهر والمصدر الأول لعلم الدراسات المصرية القديمة حتى  
مطلع القرن التاسع عشر وقبل حل رموز الكتابة الهيروغليفية على يد  
فرانسواز شامبليون • أما المصدر الثانى فكان مؤلف مانيتون Manetho  
ذلك الكاهن السنودى الذى كلفه بطالمة مصر بكتابة تاريخ مصر باللغة  
الاغريقية فأنجز ذلك حوالى عام ٢٥٠ ق • م ولكن لم يصل إلينا  
شئ منه سوى اشارات منقولة عن طريق بعض الكتاب الاغريق  
والرومان على رأسهم جوزيفوس الكاتب اليهودى السكندرى • ويقول  
أودرى دى سلنكور Audrey de Selincourt (١) ، حتى ولو  
قدر لمؤلف مانيتون أن يصل إلينا كاملا فانه لن يكون بالجودة والفائدة  
التاريخية التى تنافس كتابة هيروdot لأن مانيتون كتب التاريخ تحت  
دافع معين وهو تبرير أن مصر كانت أقدم من سوريا لأن البطالمة كانوا  
فى صراع مع أسرة آل سليوكوس وكانت كلتا الأسرتين تتباهى بأنها  
أعرق حضارة من الأخرى ومن ثم شجع البطالمة مصرىا وطنيا تلقى تعليما  
اغريقيا لكى يكتب تاريخ مصر بالاغريقية لأنها اللغة التى كانت سائدة  
آنذاك فى كل من مصر وسوريا وسائر العالم الهلينستى •

أما هيروdot فكان حرا لا يدفعه الى الكتابة سوى الرغبة فى  
تسجيل الحوادث ودراسة الامبراطورية الفارسية وأسباب الحرب بينها

(1) Audrey de Selincourt, The World of Herodotus, Seeker and Warburg  
(1962), p. 217-218.

وبين بلاد اليونان ، ولكنه كان يبلور النظريات لو وجد هناك ظاهرة جديدة بالتسجيل . كان هيرودوت يكتب التاريخ بعينه لأنهما كانا لسانه في بلد لا يعرف لغته ، ثم يحاول أن يسأل ويستفسر من الكهنة عن الظواهر التي تلفت انتباهه . وهذا منهج استقراي سليم طبقه في كتابه الثاني الذي سماه باسم ربه الفن يوتربى (Euterpe) فجاء أقرب الى العمل التاريخي الناضج .

لقد انتقدنا هيرودوت ولكن يجب أن نقول أن الجزء الذي اعتمد فيه على المشاهدة والتسجيل الفوري والتنقل والحركة يجعله يبدو مؤرخا موثوقا فيه ، أما الجزء الذي اعتمد فيه على نقل ما يسمعه دون نقد أو تمحيض يجعله يكتب تاريخا غامضا ، بل ومشكوكا فيه ، لأنه اعتمد على روايات الآخرين ومعظمهم من أنصاف المتعلمين والذين يلمون بقدر ضئيل من الاغريقية ، وربما أحدث ذلك سوء فهم بين هيرودوت وبينهم . كما اعتمد هيرودوت على روايات وشروح التراجمة (dragomen) المصريين الذين يحترفون اصطحاب السواح الأجانب حول آثارهم ويمطرونهم بمعلومات من أجل تسليتهم وامتاعهم على حساب الحقيقة التاريخية . ولهذا جاء مؤلف هيرودوت مزيجا متنوعا من الحوادث الشعبية والاساطير القومية المحلية ومن الطرائف والطرائف من حكاية لص مقابر الفراعنة الذكي الذي حير ملوك عصره . وربما قصد هيرودوت من جمع هذه الطرائف أن يجعل من نفسه محبوبا وممتعا لدى قرائه الاغريق .

يجب ألا يفوت عن أذهاننا أن مصر التي رآها هيرودوت لم تكن مصر الفراعنة العظام ، لأن مجد مصر كان قد انهار ودفن في المقابر وغطتها الرمال الا الأهرامات وأبى الهول وبعض المعابد التي وقفت تتحدى الزمن ، لقد سقطت مصر فريسة لضعف ورعونة ملوكها المتأخرين منذ الأسرة العشرين ، ولعدوان شعوب طامعة في احتلالها وفي نهب خيراتها . ولقد ألحق هذا العدوان الكثير بمصر وشعبها وحضارتها اثر على العلاقة التجارية بينها وبين بلاد الاغريق والتي كانت قائمة منذ . اارة كريت .

لقد كان للاغريق بمصر مصالح حيوية وكانت لهم جاليات وثبت وجود أحياء لهم في منف ومقابر لهم في سقارة • وكان من الطبيعي أن يحرص الاغريق على بسط نفوذهم على مصر ، فمثلا منذ بداية حكم الأسرة الصاوية في منتصف القرن السابع نجد الجنود المرتزقة الاغريق يتدفقون على مصر للعمل في جيشها ، بل واعتمد ملوك الأسرة الصاوية على خبرة الكورثيين في بناء السفن الكبيرة عابرة البحار سواء من أجل الهدف التجارى أو العسكرى لأن هذه الفترة تعرف بعصر اليقظة المصرية المتأخرة ، ان النقش الذى عثرنا عليه على قدم احدى تماثيل معبد أبو سنبل العملاقة حوالى عام ( ٥٨٠ ق م ) وكتبه الجنود المرتزقة التى قادها الملك المصرى أحموسى الثانى المعروف عند الاغريق باسم أماسيس (Amasis) فى حملته ضد جنوب الشمال الثانى لدليل على ذلك • والى جانب نفوذ الاغريق فى الجيش المصرى زاد نفوذهم فى التجارة وأصبحت لهم مدينة خاصة بهم هى نقراطيس ( سيدة البحار ) وقد أدى اختلاط المصالح الى تعمق الاغريق فى الشؤون المصرية والاقتراب من سر حضارتها المغلق •

كانت الديانة المصرية قد ماتت أيضا مع تدهور العظمة وغياب الملوك العظام وتحول الكهنوت المصرى الى شعوذة شعبية وديانة ساذجة يلعب السحر دورا كبيرا فيها ولهذا اعترف هيرودوت بأن المصريين كانوا أكثر شعوب العالم تمسكا بالقيم الدينية وبالتراث الروحى خاصة بشعائر « الطهارة » والسحر من أجل الوقاية من الجسد ومن الأذى •

لقد سجل هيرودوت أيضا صوت الشعب المصرى الموصود بالأغلال من ظلم الحكام • وبالرغم من موت طغاتهم منذ آلاف السنين الا أن التراجمة رووا لهيرودوت فظائع الملك خوفو مثلا ورووا له عن الثلاثين عام من العبودية والسخرة من أجل بناء مقبرته الضخمة والتى



هى الهرم الأكبر (١) • ولكن الحياة فى مصر وقت زيارة هيرودوت لهم تكن بهذه الصورة المقبضة بسبب العبودية واليد الفولاذية الحاكمة وبسبب الجمود التقليدى (traditionalism) فى طريقة الحياة لأن معاول الأثريين صححت هذه الصورة المقبضة التى صررتها التوراة وكتاب هيرودوت ، لأن الناس تعودوا على هذه الحياة القاسية وأصبحت واقعا نفسيا لا يمنع من المرح والرقه والابتهاج والانسياب •

ويقول سيريل الدريد فى كتابه الموجز والشيق عن المصريين ، والذى استقى مصادره من الحفائر الأثرية - أن بلدا كمصر يقوم رخاؤه على الزراعة أساسا لابد وأن يسود مجتمعه الفكرة الريفى حيث يلعب الفلاحون الدور الأول فيه ، وفى حضارته • ويقول أيضا أن المصريين اختلفوا عن سائر الشعوب الأوروبية القديمة فى تحررهم من « عقدة الذنب » التى سيطرت على فكرة شعوب كثيرة شرقية وغربية ، فالمصريون فى نظره بسطاء ، سليمى الطوية لا يؤمنون بحقد الآلهة وحقها وتحفزها فى الانتقام مثلما آمن الاغريق وانما آمنت الديانة المصرية القديمة بأن غضب الآلهة ينفجر فى لحظة واحدة ويذهب مع الريح • ولهذا لم يشغل المصرى نفسه كالاغريقى والرومانى فى تهدئة الآلهة وعقد سلام معها خوفا من انتقامها بل شغل باله بالبحث عن سر الكون الذى ترعاه « ماعت » ربه العدل الآلهى وتحديد مكان الانسان فيه وقبول الكون على الحالة التى خلفته به الآلهة ولهذا جاء الفكر المصرى القديم خاليا من القلق النفسى الذى اتتأب شعوب كثيرة ويقول هيرودوت فى كتابه الثانى فقرة ٧٨ « وفى اجتماعاتهم عند الأثرياء منهم بعد أن ينتهوا من الطعام - يطوف بهم رجل يحمل فى تابوت جثة من الخشب تشبهه تماما بما عليها

(١) روى هيرودوت ( الكتاب الخامس ، ١٢٦ ، ٦ ) أن أحد المرشدين روى له أن تكاليف البصل والثوم والفجل التى استهلكها العمال طوال فترة بناء الهرم كانت مسجلة على هرم خفرع •

Herodotus V, 125, 6.

See. W. Spiegelberg. (translated by Blackerzan) The Credibility of Herodotus' account of Egypt, (Oxford 1927). p. 15—16.

من نقش وتصوير ..... ويرى الرجل لكل فرد من الحاضرين وهو يقول « أنظر الى هذه ثم اشرب وتمتع ، ذلك لأنك سوف تصير ثلها بعد الموت » ، ذلك يفعلونه في الولايم (١) .

لقد نمت ظروف مصر المناخية في شخصية المصري الاحساس بالهدوء والاستكانة وادراك أن كل شيء يسير في نظام دقيق « فالشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل يسبق للنهار » ، والفيضانات موقوت ، ولا يوجد عواصف ولا زلازل ولا براكين ولا صواعق وغير ذلك من مسببات الكوارث الطبيعية ، حتى النيل يسير وديعا في مجراه مسالما حتى في فيضانه . ولهذا يقال أن مصر كانت من أسعد بلاد العالم لأن الأشياء فيها تبقى سنينا على حالتها وهذا ولد في الفكر المصري الاحساس « بالخلود » الذي لم يقدره هيرودوت عندما فشل في أن يفهم معنى أن يستعبد ملك شعبه لمدة ثلاثين عاما من السخرة لكي يبنوا له مقبرة على شكل هرم ، لقد تبدوا الأهرامات للغريين مقابر للطغاة العتاة الذين استغبدوا شعوبهم وسخروهم لكي يبنوها ارضاء لنزعة الكبرياء والسيطرة عندهم ولكن الأهرامات عند المصريين كانت مقابر للآله التي تموت لتحيا من جديد ولم يفهم هيرودوت ألوهية الانسان وحلول الرب في صورته. ولكنه أعجب بالهندسة المعمارية الخارقة في رفع هذه الكتل الحجرية الضخمة ( يبلغ عدد أحجار الهرم حوالي مليونين و ٣٠٠ ألف كتلة تتراوح وزن كل منها ما بين طنين وثلاثة أطنان ونصف الطن ) الى مثل هذا الارتفاع الشاهق ( كان ارتفاع الهرم لا يقل عن ١٤٦ مترا ) وتعجب هيرودوت كيف حملوا هذه الكتل الضخمة من محاجرهم في أقصى جنوب مصر عن طريق النيل .

لقد استغل هيرودوت روح المصريين الساخرة الضاحكة لكي يكتب تاريخا ممتعا وشيقا وجذابا ، ان نكات المصريين عند هيرودوت مبعثها الاحساس بالاستعلاء التاريخي على الاغريق وضالة هذا الشعب اذا

---

(١) أنظر محمد صقر خفاجه واحمد بدوى العمل السابق ص ١٨٥ .

حاول أن يقارن نفسه بالمصريين • نعم لقد كان المصريون في القرن الخامس قبل الميلاد منهارين حضاريا ويرزحون في أغلال الاستعمار الفارسي لكنهم لم ينسوا ما حققه أجدادهم القدامى في مجالات متعددة من العلوم مثل الرياضة والفلك وعلم قياس الأرض من أجل تحديد الضرائب على الأراضي المنزرعة كل عام • وعلى حد قول هيرودوت لقد كان المصريون هم أول من اكتشف السنة الشمسية وقسموها الى اثني عشرة شهراً والشهر الى ثلاثين يوماً • وقد أعجب هيرودوت بتقوى المصري نحو آلهته ولهذا أبدى احترامه وتقديره لمصر وحضارتها العتيقة حتى ولو في وقت متأخر •

ومن المفارقات الطريفة بين المصريين والاعريق ما سجله هيرودوت من دهشة المصريين عندما علموا أنه لا يوجد عند الاعريق نهر مثل نهر النيل يرتوون منه وأنهم يعيشون على المطر وتساءل المصريون ماذا لو انزلت الآلهة بهم الجفاف وقل المطر ؟

ثم يدخل هيرودوت بعد ذلك في دراسة جيولوجية عن وادي النيل نقلها عن أحد كهنة ممفيس وكيف أن مصر كانت مستنقعا كبيرا الا المنطقة الواقعة حول طيبة وكيف أن الأرض الواقعة حول بحيرة موريس ( بركة قارون ) كانت مغطاة بالمياه تماما • ويقول هيرودوت أن الزائر يستطيع أن يدرك أن مصر هبة النيل لأنها أرض كونها الطمي القادم مع مياه الفيضان ، وكيف أن وادي النيل نفسه لم يكن سوى ذراع للبحر ( الأبيض ) تماما مثل البحر الأحمر ، ثم يتحدث عن ظاهرة فيضان النيل وأسبابه وينفى القول بأن الفيضان سببه ذوبان بعض الثلوج التي تغطي قمم الجبال العالية ويقدم رأيا بديلا وهو أن الفيضان سببه انفجارات تحدث في الشمس من فعل العواصف ، ثم يتقصى منابع النيل ويتحدث عن جزيرة الفاتنين (أنس الوجود) والتي يقول أنه قد زارها ثم يتحدث عن مجرى النيل منها الى النوبة والى المناطق الاستوائية التي لا يسكنها أحد من شدة الحرارة •

وبعد ذلك يتحدث هيرودوت عن مستوطنة قوريني ( شحات من

أعمال برقة في ليبيا ) ويروى ما سمعه من بعض الحجاج القادمين من  
واحة سيوه بعد زيارة معبد آمون ، عن كيف روى لهم ملك الواحة  
أتيارخوس أن مجموعة من شباب الواحات ضلت طريقها نحو الغرب ،  
وبعد مسيرة أيام من القيقظ والعطش والجوع وصلوا الى غابات لها  
أشجار ذات ثمار وبينما هم مشغولون في قطفها هاجمهم مجموعة من  
الأقزام الزوج يتحدثون لغة غير مفهومة وخطفهم الى مدينتهم التي  
يشقها نهر النيل ( ربما يقصد نهر النيجر ) المليء بالتماسيح ، ثم بعد  
ذلك أطلقوا سراحهم . هكذا جاء وصف هيرودوت لجغرافية مصر  
وجيرانها مدهشاً لو قدرنا مشقة السفر وغياب الخرائط .

ثم ينتقل هيرودوت بعد ذلك ليصف بعين الخبير الحيوانات التي  
تعيش في مصر ويعددتها ويذكر من بينها وصف طائر العنقاء الخرافي  
الذي رأى رسمه فقط في هليوبوليس ثم يذكر لنا حكايته كما سنعيا من  
أفواه المصريين ، ثم يتحدث عن عادات المصريين وطبائعهم وملبسهم  
وطعامهم ولا تفوته حتى طريقة تحييتهم لبعضهم البعض وهو هنا باحث  
اجتماعي يرصد بعين المراقب الدقيق والتقدير . ثم يتحول للحدث عن  
الطب والتطبيب ويذكر تخصصات الطب المختلفة ويقول « وبلاذهم كلها  
خاصة بالأطباء ، بعضهم متخصص في العيون وبعضهم في الرأس وبعضهم  
في الأسنان وبعضهم في الأمراض الخفية » (١) . وكيف أن نظامهم  
شبيه بنظام الطب الذي كان موجودا في بابل . ويتعرض هيرودوت  
لأثر الطقس على الصحة العامة ويعالج عملية التحنيط بدقة واهتمام (٢) ،  
ثم يتعرض لحب المصريين الفطري للطيور والحيوانات ويعتصم هذه  
الطيور والحيوانات من واقع الطبيعة مثل الطائر المتخصص في تنظيف  
أسنان التمساح ولكننا تشكك في وصفه لفرس النهر « الذي له عرف  
كالفرس وأخافر مثله » (٣) .

(١) الكتاب الثاني فقرة ٨٤ ، انظر محمد صقر خفاجه واحمد بدوي

المرجع السابق ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٢) فقرة ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ من الباب الثاني .

(٣) فقرة ٧١ .

بعد ذلك يبدأ هيرودوت في الحديث عن ملوك مصر منذ حكم الملك مينا موحد القطرين وهنا نجد على التاريخ الشعبي الذي رواه له التراجمة والكهنة ولذا جاء بعضه يحمل طابعا رومانسيا مدسوسا ، وهيرودوت يقبل الحوادث الشعبية لأنه يوجد لدى المصريين غريزة فطرية لتسجيل كل شيء ولهذا فهم أحسن من يكتب التاريخ في العالم . ويستشهد هيرودوت على ذلك عندما استفسر عن صدق حرب طروادة من أحد الكهنة المصريين فأجابوه بأن لهم مصادر مباشرة عن مينالاءوس زوج هيلينا نفسه (١) ، بأنها لم تذهب الى طروادة بل بقيت في مصر في قصر الملك بروتوريوس (٢) لأنها لو كانت في طروادة لردت الى الاغريق وكذاهم شر القتال ويقول هيرودوت أن هوميروس نفسه شاعر ملحة الألياذة كان يعلم بهذه الحقيقة التاريخية ولكنه اختار ما يناسب البناء الدرامي لملاحته . ويذكر أن ارادة الآلهة كانت أن يرفض الاغريق تمديد الطرواديين بأن هيلينا ليست موجودة في طروادة ، تبريرا للحرب التكفيرية عقابا ربانيا للأخطاء التي ارتكبتها أهل طروادة (٣) . هكذا وضع هيرودوت فلسفة النقد الأدبي عند الاغريق ، فنقدهم لشعرائهم لا يقوم على أساس القيمة الجمالية بل على الموقف الأخلاقي والواقعي فمثلا التمثال الجليل لم يكن يعنيه أن يكون جميلا أو غير جليل انما الذي كان يعنيه ما مدى قرابته من الصورة الحقيقية للرب الذي يمثله وكلما كان أقرب الى الصورة الحققة كان أقرب الى الكمال والجمال .

يرسم لنا هيرودوت شجرة الأسر التي حكمت مصر منذ عصر مينا نقلا عن كهنة هليوبوليس ، ويقول أنه حكم بعد مينا ثلاثماية وثلاثين ملكا على طول فترة تبلغ عشرة آلاف عام ثم يركز على سيزوستريس

(١) فقرة ١١٨ .

(٢) والغريب ان يوربيديس ردد هذا الاعتقاد في مسرحيته هيلينا .

(٣) فقرة ١٢٠ .

( سنوسرت الثالث حوالي ١٩٥٠ ق م ) أعظم ملوك الدولة الوسطى وفتوحاته العسكرية خارج مصر ومحاويلته كشف المحيط الهندي ويتحدث عن قصة العمى الغامض الذي أصاب الفرعون فيروس ( ربما كان يعنى مفتاح وأن القصة من تشنيع اليهود (١) ) وقصة الفرعون بروتوس ( ربما ست نخت أول ملوك الأسرة العشرين (٢) ) والفرعون رامبسينتوس ( ربما رمسيس الثاني (٣) ) وقصته مع لص المقابر ويتحدث عن خوفو الطاغى وقصة بناء الهرم الأكبر وابنه خفرع وعن منكاورع أيضا \* ثم يتحدث عن الفرعون موكرينوس Mycrinus وحكمه العادل ، ثم الملك سيثوس ( ربما الحاكم النوبى شباتاكا ) (٤) وحكاية هزيمة الملك الأشورى سنحريب على يد جيوش من الفيران التى قرضت أوتار نباله وهو نائم ولذا لم يتمكن من غزو مصر (٥) .

وهنا يترك هيرودوت الاعتماد على المصادر المصرية المباشرة من كهنة هليوبوليس ويعود الى الاعتماد على المصادر الاغريقية ربما على كتابات المؤرخ الاغريقى هيكتايوس الذى يكاد يعاصر تلك الفترة وهى حكم الملك بسماتيك الأول ( حوالى منتصف القرن السابع ق م ) ذلك الفرعون الذى أقام حكمه على الجنود من الاغريق المرتزقة بأسلحتهم المصنوعة من البرونز ، وهكذا يبرز تاريخ مصر من الغموض الأسطورى عندما أنشأ الاغريق مستوطنتهم نقراطيس وأصبح يراقبون المصريين عن قرب بل وارتبط تاريخ مصر بتاريخ بلاد اليونان وانتهت فترة العزلة بين الشعبين منذ غزو الدورين لبلاد اليونان وغزو الأشوريين لمصر . وبعد مائة عام يحكم الملك أماسيس (أحموس الثانى) صديق الاغريق وحليف بوليكراتيس (Polykrates) طاغية ساموس . ويذكر هيرودوت بدهشة كيف أن هذا الملك أدهش النبلاء وعليه القوم باغراق نفسه فى المجون والمرح بعد الانتهاء من العمل اليومى الشاق « لأن أصحاب الأقواس بشدونها عندما

(١) انظر صقر خفاجه وأحمد بدوى ص ٢٢٨ ملحوظة (١) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٠ ملحوظة (١) .

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٩ ملحوظة (١) .

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٠ ملحوظة (١) .

(٥) هيرودوت فقرة ١٤١ .

يحتاجون الى استعمالها وبعد استعمالها يرخونها ، لأنها اذا بقيت على الدوام مشدودة انقطعت ولا يمكن لهم أن يستخدمونها عند الحاجة وذلك أيضا طبيعة الانسان أيضا اذا ابتغى الجد دائما ولم يسمح لنفسه باللهم ساعة فانه - من غير أن يدرك - يصير مختلا أو محتوها (١) » .

ثم ينتقل 'هيرودوت للحديث عن فن البناء والمعمار ويصف بعض المباني الهامة مثل قصر الالابيراث ( وهو معبد امنحات الثالث ١٨٤٢ - ١٧٩٧ ق م الجنائزى الذى أقامه قرب هواره عند مدخل الفيوم ) ويعصف أروقته وحجراته البالغ عددها ثلاثة آلاف حجرة ، ثم يتحدث عن القناة التى حفرها الملك نيخو والتى كانت تربط النيل بالبحر الأحمر والتى أكملها الملك دارا الفارسى ، ويتحدث عن شروع الفرعون نيخو للدوران حول القارة الافريقية وكيف أنه بالفعل دار حول طريق رأس الرجاء الصالح ودخل البحر الأبيض عن طريق مضيق جبل طارق لترسو السفن عند الشاطئ بعد ثلاث سنوات من الابحار المتواصل (٢) .

وقرب نهاية حكم أماسيس الذى بلغ أربع وأربعين عاما كان قمبيز بن قورش يستعد لاحتلال مصر ضمن خطته للسيطرة على العالم ولكن هيرودوت يفتش لنا عن سبب شخصى لهذه الحملة وهو أنه أرسل الى فرعون مصر يطلب طبيبا كبيرا متخصصا فى علاج العيون ويرغم هذا الملك طبيبا كبيرا على ترك زوجته وأولاده ليسافر الى بلاط قمبيز وهناك ينتقم الطبيب بأن يسلأ رأس الملك الفارسى بأن علاج عينيه يكمن فى زواجه من ابنة فرعون مصر (٣) . وكان الطبيب يعلم أن هذا الزواج لن يرضى الأسرة الفارسية ، كما أن فرعون مصر سيرفض أن تذهب ابنته كعشيقة فى بلاط قمبيز . ويتحایل فرعون مصر بارسال جارية جميلة على أنها ابنته ولما اكتشف قمبيز ذلك يقرر غزو مصر انتقاما للخديعة وعقابا لذلك الفرعون .

(١) هيرودوت فقرة ١٧٣ ، المرجع السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٢) هيرودوت ١٥٨ .

(٣) وهنا يبدأ الكتاب الثالث الذى سماه هيرودوت باسم ثاليا Thalia ولكن الموضوع يستمر ولهذا نهمل الحدود القديمة للكتاب الثانى ونعبر الى الكتاب الثالث من اجل الفكرة الواضحة ، الكتاب الثالث فقرة ١ .

كل هذه القصص والحكايات الطريفة ليست سوى تبرير لفكرة تاريخية وثقافية في عقل هيرودوت وهي أن هناك قوى مجهولة تسير بالإنسان إلى قدره وتحركه نحو مصيره وهو لا يعرف . ثم يتحدث عن هرب أحد كبار الضباط الاغريق المرتزقة العاملين في الجيش المصري وكشف أسرار الجيش المصري للفرس وعن أحسن طريقة لاحتلال مصر . ثم يموت أماسيس ويتولى ابنه وتدور المعركة قرب ييلوزيوم ( الفرما ٢٧ كيلومتر شمال شرق بور سعيد في صحراء سيناء ) ويهزم المصريون وتسقط مصر في حوزة الفرس . ومن العجيب أن هيرودوت يروي أنه زار ميدان المعركة وذلك بعد مرور حوالي مائة عام وشاهد جماجم القتلى مبعثرة في صحراء سيناء وادعى هيرودوت أنه تمكن من تمييز جماجم المصريين من جماجم الفرس ، لأن الأخيرة هشّة تكسر بسهولة بينما جماجم المصريين صلبة لأنهم تعودوا على حلق شعرهم منذ الطفولة وبالتالي فقد جعلت الشمس جماجمهم صلبة (١) لا تكسر .

نلاحظ أن هيرودوت حرص على أن يصف غزو قمبيز لمصر بأنه اجرامى ملئ بالأفعال الدنيئة التي تقشعر لها الأبدان مما يجعلنا نشك في أن يكون هيرودوت قد رجع الى الكهنة المصريين في هذا الموضوع لأنه من المعروف أن الكهنة المصريين كرهوا قمبيز لاحتقاره ديانتهم . وربما بالغ هيرودوت في بشاعة الجرائم التي ارتكبها قمبيز ليمهد لنظرية الانتقام الرباني من الفرس عندما هزموا على يد الاغريق مرة عندما كن يقود الفرس دارا. ومرة عندما كان يقودهم كسيركسيس . وهذا يتفق وفكر هيرودوت التاريخي . ومن الواضح أيضا أن هيرودوت اعتمد على مصادر مصرية معادية للفرس ومتحيزة خاصة عند معالجته لحملة قمبيز ضد بلاد النوبة وفشل الحملة بسبب سوء التخطيط حتى أن الجنود الفرس أكل بعضهم البعض من الجوع .

ويتحدث هيرودوت عن الأثيوبيين ( أهل النوبة (١) ) ويصف حياتهم

(٣) الكتاب الثالث فقرة ١٢ .

(١) الكتاب الثالث - فترة ١٧ - ٢٠ .



السعيدة ، فهم معمرين ولهم قانات مشوقة ووجود بهية الطلعة وسيمة ، وهم يقيدون المسجونين بأغلال من ذهب . ويعمر بعضهم ليصل الى مائة وعشرين عاما ويشربون من ينبوع له رحيق البنفسج ويستخدمون نبالا لا يقدر على ثنيها أحد سواهم . ثم يتحدث هيرودوت عن نكبة الفرس في واحة سيوة ( واحة آمون ) الواقعة على بعد ٤٠٠ ميل غربا من مدينة القاهرة ، ويروى كيف ابتلعت العواصف وبحور الرمال ربع مليون جندي هو تعداد الجيش الفارسي المهاجم . ويركز هيرودوت على جرائم قمبيز وجنونه لأنه سخر (١) من عجل آيس وأنه فعل ذلك لأنه استطاب أن يسخر من كل شيء يقدسه المصريون . ثم يعطى لنا درساً أخلاقيا عندما يروى كيف أن الملك قمبيز طلب من الاغريق ماذا يأخذون مقابل أكل موتاهم فقالوا « الذهب » ، ثم سأل قبيلة هندية كانت تنارس عادة أكل الموتى ماذا يأخذون لو طلب منهم حرق موتاهم فكان جوابهم صراخ مرعوب ولم يقدروا حتى على الجواب من هولاء وهو يعنى أنه لكل شعب عقائده التي يشب عليها ، ومن ثم فمن الجنون أن نسخر من عقائد الناس لأنها غريبة علينا .

وفي النهاية كالمأساة يروى لنا هيرودوت موت قمبيز على أثر جرح أصابه في فخذه من أثر سقوطه من فوق صهوة جواده (٢) ، ثم يروى لنا المؤمرة على العرش وكيف أن قمبيز يعترف وهو يلنظ أنفاسه الأخيرة بالحقينة ويحزن الفرس وينتهي حديث هيرودوت عن مصر كما تنتهى الألياذة بنظر حزين ولكنه عبره من عبر التاريخ والانتقام الربانى التي لا تغفل عن الظلم ولا تترك الظالم .

---

(١) الكتاب الثالث ٢٧ - ٢٩ .

(٢) الكتاب الثالث ٦٤ - ٦٦ اعتقد أن الحديث عن مصر ينتهى من

ناحية الواقع التاريخى فى الكتاب الثالث عند آخر الفقرة ٦٦ .

**ثوكوديديس Thucydides** صاحب المنهج العلمى ( ٤٧٠ - ٣٩٦ ) :  
تخصيص ثوكوديديس فى دراسة وتاريخ الحروب البيلوبونيسية  
الكبرى بين أثينا وأسبرطة ( أنظر الفصل التالى ) • والتى اندلعت عام  
٤٣١ ق.م وسلعد على تفهمه فى الحروب وقضيتها أنه كان أحد القادة  
العسكريين الأثنين الذين اشتركوا فيها ولكنه ارتكب خطأ طرد بعده  
من الجيش فكرس نفسه لدراستها وتحليلها وكان قد جاوز الأربعين  
وقتئذ • فأمضى عشرين عاما متنقلا بين مسارح المعارك المختلفة ليدرسها  
ويسجلها (١) • ولم يرجع الى أثينا الا بعد سقوطها واعلان الأمن العام  
لجميع المنفيين عام ٤٠٣ لذا فهو شاهد عيان وخير ناقد (٢) • ويبدو أنه  
لم يعيش طويلا بعد عودته إذ أنه مات عام ٣٩٦ ق.م فى اقليم تراقيا •  
وغطى عمله عن الحروب البيلوبونيسية ثمان مؤلفات سجل آخرها الانتصار  
الخاطف للأسطول الاثينى عام ٤١١ ق.م ونظرا لارتباط هذا المؤرخ الفذ  
بالحروب البيلوبونيسية فسوف نعالجه بإسهاب أثناء معالجه هذه الحرب  
التى تعد من أخطر الحروب التى خاضتها بلاد اليونان •

• هذه هم نظرة شاملة عن الازدهار الثقافى والحضارى للجمهورية  
الأثينية فى عصر بيريكليس الذى يمثل قمة الازدهار الديموقراطى  
والديناميكية السياسية الخلاقة والتفوق المادى والفكرى بفضل القيادة  
الرشيده القائمة على ارادة الجماهير دون الانصياع لها كلية •

---

(١) أنظر : « تأملات فى طبيعة الفكر التاريخى عند الاغريق » للدكتور  
سيد احمد على الناصرى - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية -  
الموسم الثقافى عام ١٩٧٢ - ١٩٧٢ من ص ٨٣ - ٩٨ •  
(٢) أنظر : ابراهيم نصحي : ثوكوديديس : بيروت منشورات  
الجامعة اللبنانية - كلية الآداب ١٩٧٠ •

## الفصل الثالث عشر الحروب البيلوبونيسية الكبرى

لا يمكن لدارسى التاريخ الانسانى عامة والحضارة الاغريقية خاصة الا أن يتوقف طويلا عند الحديث عن هذه الحرب الضروس التى شملت العالم الهللىنى كله زهاء سبع وعشرين عاما ( ٤٣١ - ٤٠٤ ) أنها تراجيديا التاريخ الاغريقى كله اذ أن أثينا دفعت كل رأس مالها السياسى عبر قرون عديدة من العرق والعمل والدم من أجل بناء امبراطورية قوية وقادرة على فرض سلطانها برا وبحرا على كل مدن هيللاس ، ومن أجل الحفاظ على هيبة العنصر الاثينى وجعله على قمة الهرم الهللىنى سياسيا وحضاريا . لقد قامرت أثينا فى هذه الحرب بكل ما تملك على قوس خاسر ودفعت الثمن غالبا وعزيزا .

ان موضوع الحرب أمر معروف وحدث متوقع لأنه ثمرة سياسة الاستعلاء والصلافة التى اتبعتها أثينا وهى فى قمة سلطانها . فهى لم تتورع عن التحرش بأسبرطة وحلفائها - خاصة كورثا - بغرض الارهاب والاذلال . لقد كان الصراع بين أثينا وحلفائها أو بمعنى أدق - وتوابعها - وبين أسبرطة وحلفائها ( أعضاء الحلف البيلوبونيزى ) أشبه بصراع الديكة (١) . وقد انتهى الصراع كما قلت آتيا عام ٤٠٤ ق.م. بفقدان

(١) من أعظم المؤلفات عن جذور الحروب البيلوبونيسية كتاب :

G.E.M. de Sainte Croix, The origins of the Peloponnesian war, Londen, Duck Worth 1972.

وقد قام المؤلف بمسح شامل لاوضاع بلاد اليونان قبل أن يتطرق الى موضوع الحرب ، وركز على اسبرطة ومجتمعها وحكمها ومشاكلها الاجتماعية لكى يبين مسؤوليتها فى اندلاع الحرب فليست اثينا وحدها المسؤلة ، كما تطرق المؤلف الى القرن الرابع واحواله ، وهو فى مؤلفه يقلد ثوكوديديس عندما يعطى العمق أهمية على حساب الحدث ذاته .

القوة الاثينية السياسية الى الأبد حيث أصبحت هذه الدولة من الدرجة الثانية رغم أنها استمرت - باعتراف الاغريق جميعا - جامعة هيللاس الأولى للثقافة والحضارة بل جامعة العالم المسكون بأسره

ان هذه الفترة الحالكة من تاريخ بلاد اليونان تكاد أن تخلو من أى بريق سوى كتابات المؤرخ العظيم ثوكوديديس (١) الذى استطاع بتحليله للأحداث أن يرفعها الى درجة انسانية خالدة وأن يتتبع أطراف الصراع الى جذوره الأصلية وأن يتعمق بتحليلاته الى أعماق النفس انبشرية فيحول الوقائع اليومية الى مواد تاريخية كنا استطاع بعبقريته الفذة أن يكشف النقاب عن القوى الحقيقية التى كانت تحرك الأحداث .

يمثل ثوكوديديس شخصية المواطن الذى عاش فى أثينا الامبراطورية تحت زعامة بيريكليس اذ يتضح ذلك من قوة أسلوبه وعق فكره وصرامته الناقطة فى حكمه . كما كان رجل عمل وحركة بقدر ما كان رجل أدب وتأمل . فهو أحد « جنرالات » أثينا الكبار الذين خططوا للحرب واشتركوا فيها فعلا . فالأحداث التى يصفها رآها بعينه والظروف التى يتحدث عنها عاشها بنفسه . لقد أحس هذا المؤرخ أن تلك الحرب لن تكون كأي حرب أخرى لأنها صراع حتى النهاية . ولذا بدأ يجمع المواد ويسجل الوقائع وقد قيل أنه طرد من الجيش ونفى من العاصمة لأسباب تتعلق بالحرب ذاتها . عندئذ كرس نفسه لدراساته الميدانية فزار المناطق التى تلاحمت فيها القوات المتحاربة وتفحص مواقع العمليات العسكرية الكبرى فهو عندما يصف الحقيقة يصفها بعين عسكرى قدير ، يحس بكل حركة ويتفهم كل عملية صادرة من الجيوش المتقاتلة . وأروع ما فيه أنه استطاع أن يطابق الدراسة النظرية بالدراسة الميدانية ، ولذا فإن تاريخه أقرب الى الكمال (٢) .

وبالرغم من أن ثوكوديديس أحب أثينا حبا جما كأحد أبنائها المخلصين إلا أنه لم يتردد فى أن يفكر بصوت عال منتقدا سلوك الدولة الاثينية معترضا على سياستها . لقد هام ثوكوديديس حبا بالعظمة واستعراض

(1) Cf. Luschat in Pauly-Wissowa, Supplement II, (1970) Coll. 1085, Sub. Thukydides der Historiker..

(2) A. Kirchhoff, Thukydides und sein Urkundenmaterial (Berlin 1895).

العضلات تماما مثل بيريكليس فهو يتبنى فكرة « الاستعمار العارى » اذ أنه يرى من الطبيعى للدول أن تتوسع ما دامت تمتلك من عناصر القوة ما يحقق لها ذلك وأن الحرب ليست الا تعبير عن هذه القوة . كما اهتم ثوكوديديس بالمسيبات التاريخية للأحداث فهو يرى أن القوى التى تصنع التاريخ مصدرها السياسيون أولا لأنهم يتصرفون بدوافع ذات نتائج ثم أعضاء المجلس الشعبى بما فيه غوغاء تحركها عواطف مشبوبة ومحسومة فحينما تتصرف بجنون وحينما بتعقل ولهذا وزنه فى انقرارات التى اتخذت والتى كان تمسك بمصائر الأمور من قريب أو بعيد . ويكاد تاريخه ينطق أن الدولة الفاضلة هى تلك التى يسودها نظام حكم معتدل مثل النظام الاثينى وخاصة لو كان على رأس الحكومة قائد حكيم وكفاء وعظيم مثل بيريكليس ولكنه يعترف فى النهاية أن القوة وحدها لا تضمن النصر لأن للحظ أو القدر ( أو ما يمكن تسميته بعناية الله ) دور فى الحروب والانتصارات .

ما من قارئ للآداب الاغريقية يستطيع أن ينكر أن مؤلفات ثوكوديديس عن الحروب البيلوبونيسية قطعة عزيزة من روائع الأدب الراقى القديم ، غراء فى جيب الزمان . لقد تأثر ثوكوديديس بروح شعراء المسرح الاثينى ففسح تاريخه بطريقة مسرحية محبوكة فهو يفسح مجالا للشخصيات لكى تجيء وتذهب بعد أن يلقي كل منها دوره فى خطبة غراء ويتخيل المواقف التراجيدية ويحاول بقدر الامكان أن يشير فى نفس القارئ « الخوف والرثاء » وهما العنصران اللذان اشتراطهما أرسطو لاكتمال التراجييديا . كما تأثر ثوكوديديس بجدل المدرسة انسوفسطائية فهو يكثر من الجدل ولا سيما المناظرات بين ذوى الآراء المختلفة ، كما تلعب الخطابة العاطفية المؤثرة دورها فى تاريخه اذ يسجل لنا الآراء فى شكل خطب مؤيدة ومعارضة أشبه بما يدور فى «البرلمانات» المعاصرة وليس من شك فى أن الخطب من أسلوب ثوكوديديس نفسه صاغها من أفكار شخصياته وباختصار هضم ثوكوديديس قضية الحرب ثم صاغ تاريخها بأسلوب جذاب وحبكها بطريقة مسرحية تراجيدية ثم أخرجها للناس بطريقة ممتعة وشيقة .

لا يكاد المؤرخ الحديث يعرف مؤرخا آخر يفوق ثوكوديديس في الطريقة التي كتب بها فقد تتبع بصبر وأناة هدفه الذي يعرفه جيدا دون أن يستهويه موضوعات جانبية تجعله ينسى هدفه الأول . كما كان أول من استفاد من التحليل النفساني لشخصياته من أفراد وقادة حتى الجماعات السياسية بل والدول بكاملها حللها نفسيا بدقة علمية بالغة النظر . أيضا أفصح ثوكوديديس الطريق لأعداء أثينا لكي يقولوا رأيهم أمام التاريخ دون أن يتعصب ضدهم أو يشوه حقائقهم . هكذا كان ثوكوديديس ذكيا ذكاء فطريا عميقا في تحليلاته مجتهدا ذا بديهة حاضرة وعبقرية نادرة . كما كان متواضعا فلم يظهر نفسه ويؤكد « أناته » إلا عندما كتب متفاخرا بأعماله . في المقدمة تحدث فيها عن نفسه قائلاً « ان كتاباتي التاريخية كتبت لتبقى خالدة لأنها ليست عملا كتب بغرض نيل جائزة سرعان ما ينسى بعد الاستماع اليه .

تنقسم مؤلفات ثوكوديديس عن الحرب الى خمس أجزاء (١) :

( أ ) المقدمة ( وهي تغطي الكتاب الأول ) .

( ب ) أحداث العشر سنوات الأولى من الحرب ( الكتاب الثاني ) .

( ج ) محاولات نيكياس لعقد السلام ( الكتاب الخامس ) .

( د ) حملة أثينا ضد صقلية ( الكتاب السادس والسابع ) .

( هـ ) شذرات عن هجوم اسبرطة بعد هرب الكبياديس اليها واحتلالها لمنطقة دكليا في شمال أثينا .

هذا من ناحية الشكل ، أما من ناحية الفعل فان تفاصيل الحرب

سجلها في الجزء الأول ( أ ) والرابع ( د ) .

(1) R. Warner (translators Thucydides History of the Peloponnesian War with introduction and notes by M.E. Finley, Penguin books, Harmonds Worth 1972 ; A.=. Gomme, A. Andrews and J.K., Dover," A. Historical Commentary on Thucydides, Vol. IV Book Oxford 1970.

### اسباب اندلاع الحروب البيلوبونيسية :

لم يقبل ثوكوديديس الاسباب المباشرة بل تحدث باسهاب عن الاسباب العميقة التي أدت الى قيام هذه الحرب الكبرى فهو يقول : « اننى أعتقد أن السبب الحقيقى والذى لم يعلن عنه هو ازدياد قوة أثينا لدرجة أن أفزعت أهل اسبرطة ودفعتهم الى الدخول فى حرب معها (١) ، ثم يعرض ثوكوديديس الاسباب التى من بينها مساهمة اسبراطة المحدودة فى التاريخ وذكر أنه لا يوجد من القرائن التاريخية ما يؤيد الاتهام العام بأنها المسؤولة عن اندلاع هذه الحرب الكبرى . وتحدث ثوكوديديس عن حقيقة هامة وهى أن مدينة أثينا مدينة « مجددة » و « خلاقة » اذ فتحت الأبواب على مصراعيها لكل جديد مما سبب ازعاجا لسياسى اسبرطة المحافظين وقد وضع ثوكوديديس هذه الفكرة على لسان مثل مدينة كورثا فى اسبرطة حين يقول : أن الأثينيين مجددون سريعو الادراك والتففيذ لأى مشروع جديد بينما أتمم - أيها الاسبرطيون - محافظون تضعون كل همكم فى الاحتفاظ بما معكم » ويكمل ثوكوديديس الصورة برد مندوب أثينا الذى قال « لقد وضعت الظروف بين أيدينا امبراطورية أيدهشكم سلوكنا - الذى هو سلوك كل البشر دائما وأبدا - فى أن تتقبلها وأن نرفض التفريط فيها . لقد دفعنا الى ذلك ثلاثة عوامل شديدة الالزام هى الطموح والخوف والمصلحة الذاتية ... لسنا أول من تطلع الى التوسع . إنها سنة الخلق دائما أن يخضع القوى الضعيف وهل يخوف العدل وما فى طريق انسان يريد أن ينتزع بالقوة ما يستطيع ؟

ولذا يعتقد كثير من المؤرخين أن الحروب البيلوبونيسية ~~كانت~~ قبل ذلك ويطلقون على الفترة ما بين ٤٥٩ - ٤٤٦ - المرحلة الأولى من الحرب ، والمعروف أن أثينا فى تلك الفترة كانت منهكة فى تحويل حلف ديلوس بالقوة الى امبراطورية . اذا يمكن أن نقول أن سياسة بيريكليس الاستعمارية التوسعية واجباره الدويلات الاغريقية على الخضوع لسلطانه هو السبب الأساسى لاندلاع هذه الحروب . كما كان من الصعب على

(1) Thucydides, Book I : 23.

الدويلات الاغريقية التى استماتت فى الدفاع عن حريتها *eleutheria* وسيادتها *autonomia* وتكاملها الاقتصادى *autarkia* أن تخضع بسهولة ، كنا أن هذه السياسة لم تعجب اسبرطة المحافظة واعتبرت هذا السلوك الأثينى تهديدا مباشرا لها ولياستها التى وضعت أسسها وحافظت عليها عبر العديد من القرون •

#### تدخل أثينا فى الحروب الأهلية فى جزيرة كوركيرا ( كورفو ) :

من أهم الأسباب المباشرة التى قربت موعد الحرب وفجرت الجو المشحون بالكراهية والشكوك بين أثينا واسبرطة هو تدخل أثينا فى خلاف قام بين مدينة كورثا - إحدى كبريات أعضاء حلف البيلوبونيسوس وبين مستعمرة استيطانية هامة لها هى جزيرة كوركيرا ( كورفو الحالية والمتاخمة للشاطئ الغربى لبلاد اليونان والمواجهة لىطاليا ) وكان سبب الخلاف بين المدينة الأم ومستعمرتها مستعمرة جديدة فى منطقة الليريا *Illyria* فى شمال البلقان هى مستعمرة اييدامنوس • وكانت كورثا ومستعمرتها كوركيرا قد تعاوتتا فى اقامة هذه المستوطنة الجديدة • ولكن قامت حرب أهلية اجتماعية (*stasis*) فى هذه المستوطنة أيدت أثينا أحد أطرافها ثم أيدت كورثا الطرف الآخر ولما تطور الأمر طلبت كوركيرا من أثينا التدخل وسرعان ما عقدت أثينا اتفاقية معها وزودتها بالسفن البحرية وكان من نتيجة ذلك هزيمة كورثا المهينة البحرية فى معركة سيبوتا *Sybota* عام ٤٣٣ ق.م على يد كوركيرا •

#### كورثا ترد بالتدخل لمساعدة بوتيدايا *Potidaea* ضد أثينا :

كانت بوتيدايا فى الأصل إحدى مستعمرات كورثا فى خليج بالينى *Pallene* ولكنها وقعت فى حظيرة أثينا وأجبرت على أن تكون إحدى تابعها بينما كانت المدينة تتعاطف مع كورثا • وبتشجيع من الأخيرة رفضت بوتيدايا أن تعلن ولاءها وتبايع أثينا علنا تنفيذا لأوامر كورثا • ولما تأزمت الأمور ثارت ضد أثينا وطلبت الحماية من الحلف البيلوبونيزى المجاور لها • وأسرت كورثا فأرسلت ألفى متطوع لمساعدة الثوار



ولكن أثينا قطعت عليها خط الرجعة بمسارعتها محاصرة المدينة التائرة في خريف عام ٤٣٢ ء واجبارها على الاستسلام .

#### القرار التأديبي ضد ميجارا Megarian decree

حتى هذه اللحظة لم تنفعل اسبرطة بل آثرت أن تنتظر على مضض منها بالرغم من الالاحاح المتزايد من جانب حلفائها بمسارعة التدخل ويبدو أن بيريكليس . كان يعلم بأن الحرب قادمة لا محالة فأثر أن يقرب موعدها فسارع واتخذ قرارا عدوانيا ضد مدينة ميجارا احدى توابع الحلف الاسبرطى وينص هذا القرار على تحريم الموانئ التابعة للامبراطورية الأثينية على السفن الميجارية واغلاق الأسواق في وجه التجار من هذه المدينة التي كانت حياتها تقوم أساساً على التجارة أى أن هذا القرار كان بمثابة حكم الاعداء على أهل هذه المدينة من الناحية الاقتصادية .

#### مجلس حلف البيلوبونيسوس يعلن الحرب على أثينا :

كان القرار التأديبي باغلاق الموانئ والأسواق في وجه السفن والتجار الميجاريين هو بمثابة « القشة التي قصمت ظهر البعير » اذ أحست اسبرطة وحلفائها أن « الوعاء قد فاض بما فيه » فاجتمع مجلس الحلف في اسبرطة وألقت الخطب النارية من مثلى الوفود كلها تقطر حقدا وكرهية ضد أثينا وتحث اسبرطة على الحرب . وفي خريف عام ٤٣٢ ق م اجتمع أعضاء الحلف وقرروا رسميا اعلان الحرب ضد أثينا . ولكي تكسب اسبرطة الوقت قامت بعدة مشاورات بينها وبين وفود حلفائها ثم أقرت مطالب ثلاثة على أثينا تنفيذها والا قامت الحرب والمطالب الثلاثة هي :

( أ ) أن تنهى أثينا حصار مدينة بوتيدايا .

( ب ) أن تعلن أثينا تحرير جزيرة أيجينا .

( ج ) أن تلغى أثينا الحظر الذى أقامته ضد ميجارا .

ولما رفضت أثينا هذه المطالب الثلاثة بشدة أرسلت اسبرطة ائذارا شديد اللهجة تحرض فيه على الثورة ضد أثينا واظهارها بسظهر المعتدى . و خلاصة القرار « أن اسبرطة ترغب في السلام بشرط أن تدع أثينا المدن

الإغريقية وشأنها » • وكان هذا يعنى حل الامبراطورية الآلينية • وأرسلت  
أثينا ردها المشهور « ان أثينا تقبل التحكيم وهى لا ترغب فى أن تكون  
البادئة بالحرب ولكنها سوف تدافع عن نفسها بشدة اذا ما هوجمت » •  
كان بيريكليس وقتئذ فى الستين من عمره وكان متحمسا للحرب  
بل تمنى لو قامت قبل ذلك بستين قبل أن تدهمه الشيخوخة حينما كان  
هو وأثينا فى عنفوان شبابهما • وعلى أى حال فقد رفض بيريكليس  
الغيور أى محاولة لمنع نشوب الحرب على حساب تنازل أثينا واو عن  
قليل من سيادتها على أجزاء امبراطوريتها ارضاء للحلف البيلوبونيزى  
من ناحية وحلف مدينة طيبة من ناحية أخرى (١) •

---

(١) لا يزال هناك جدل يدور بين العلماء حول مسئولية بيريكليس عن  
القرار التاديبى ضد ميجارا الذى أشعل شرارة الحرب «سانت كروا» يبرىء  
نية بيريكليس فى العدوان بينما يلقى «فلى» اللوم كله على بيريكليس وعلى  
نظريته فى سياسة فرض النفوذ ولو عن طريق الضربة القاضية ، وان هذه  
الفكرة هى التى جعلت بيريكليس يؤمن ان الحرب مع اسبرطة حتمية  
ومقدرة انظر :

K.W. Welwei « Das Problem des » Praevent Krieges in Politischen Denken des  
Perikles und des. Alkibiades, Gymnasium, LXXIX, 1972, p. 289—305.

لجأت نيتهم سياسة بيريكليس بأنها فصيرة النظر وغير منطقية  
لانه لم يدرك تكاليف المعارك التى هى فوق طاقة أثينا ولم يقدر قوة  
اسبرطة العسكرية . لكننا نتساءل هل كان بيريكليس يقرأ الغيب ويتوقع  
وباء كالتاعون الذى كان سببا من اسباب الهزيمة ؟ ام ظهور قائد داهية  
فى اسبرطة مثل براسيداس ؟ ان رأى ثوكوديديس فى الهزيمة واضح وهى  
أن السبب ليس استراتيجية بيريكليس بل مسلك الكبياديس ومحاولته  
ضرب اسبرطة بأى ثمن : انظر :

D.W. Knight, " Thucydides and the War Strategy of Pericles, Mnemosyne,  
Serie 4, XXIII, 1970, p. 150 ff.

ورغم هذا يلقى سانت كروا مسئولية الحرب على صفوف الحرب فى  
اسبرطة وفى كورنثا وتفشى روح الحرب فيها . اذا فالمسألة ليست مسألة  
أثينا وحدها .

### الحرب الكبرى :

أصبح معروفا لدى الاغريقية أن الحرب على وشك من الاندلاع وبدأت المدن والجزر تعلن عن تأييدها للطرف الذى تناصره ودخلت فى ذلك الخلافات الاجتماعية والأحقاد السياسية .

ولكى نتفهم حجم الحرب لابد وأن نعرف مدى قوة الأطراف المتحاربة .

### اسبرطة :

كان يساندها كافة مدن البيلوبونيسوس (شبه جزيرة المورة) فيما عدا أرجوس واقليم آخيا فى الشمال . وعن طريق كورثا وميجارا كانت اسبرطة تسيطر على خليج كورثا كما تعاطفت طيبة عاصمة اقليم بيوتيا Boeotia ( فى شمال شرق أتيكا ) مع اسبرطة وأيدتها وكذلك اقليمى لوكريس Locris وفوكيس Phocis الواقعتين فى شمال شرق منطقة بؤتيا وبذلك قطعت اسبرطة الطريق على أثينا من ناحية الشرق . وكذلك فعلت من ناحية الغرب اذ أيد اسبرطة من الساحل الغربى جزيرة ليوكاس Leucas ومدينة أناكتوريوم Anactorium على خليج أمبراكيا على الساحل الغربى لبلاد اليونان .

### أثينا :

اعتسدت أثينا أساسا على ولاء حلفائها كما وجدت بعضا من المؤيدين لها خارج أراضيها مثل مدينة بلاتيا Platea ( جنوب طيبة ) راقبم أكارنانيا Acarnania المثل على الساحل الغربى لبلاد اليونان ( جنوب خليج أمبراكيا ) وكذلك جزيرة كوركيرا وجزيرة زاكينثوس Zacynthus التى تقف فى مواجهة شبه جزيرة المورة .

كانت أثينا سيدة البحار بلا منازع تكمن قوتها فى أسطولها الحربى أما من ناحية القوات الأرضية فلم يكن لها من الرجال سوى ما يقوم بالدفاع وحماية القلاع وخلاصة القول أن كان لأثينا قوتان : قوة هجومية هى الأسطول والقوات البحرية وقوة دفاعية أرضية . أما اسبرطة فكانت تسلك من القوات البرية المدربة تدريبا عاليا ما جعل أثينا تتفادى الدخول

في معركة برية معها ولكن لم يكن لاسبطة من الأساطيل ما يجعلها قادرة على مواجهة أثينا كما كانت دولة تفتقر الى المال والابتكار وهما وقودا للحرب •

كانت خطة الحلف البيلوبونيزي تتلخص في غزو أتيكا برياً وتخریب الحقول ونهب المدن والقرى وفرض القتال على الأثينيين ، أما سياسة بيريكليس فكانت تتلخص في « الدفاع السلبي » وهي الانسحاب والتحصن داخل أسوار العاصمة وتجنب الدخول في معركة فاصلة مع قوات الحلف البيلوبونيزي حتى ولو ضحت في سبيل ذلك بأقليم أتيكا كله بينما تتمسك بسيادتها على البحار ، وكان الأسطول يقوم بجلب المواد الغذائية الى جانب الدفاع عن الامبراطورية في أعالي البحار كما تجنب بيريكليس سياسة التوسع أثناء الحرب •

#### الشراة الأولى طيبة تهاجم بلاتيا :

كانت بلاتيا مدينة ذات وضع شاذ فهي تؤيد أثينا بينما هي تقع في منطقة معادية لها وقد ساء مدينة طيبة التي تقع في شمال هذه المدينة أن تتركها دون عقاب فدبرت مع بعض الخونة الموالين لها مؤامرة للاستيلاء على المدينة ليلا ويروى لنا ثوكوديديس كيف أن أهل المدينة هبوا عن بكرة أبيهم للدفاع عن استقلالهم وطرّدوا المهاجمين واستعدّوا لمواجهة حصار يضرب عليهم وكان ذلك في مارس عام ٤٣١ بينما بدأ القتال الفعلي بين أثينا وأسبطة في شهر مايو من العام نفسه •

وفي مواجهة هذه التحديات طلب بيريكليس من سكان المناطق الأتيكية أن يهجروا ديارهم ويتركوا حقولهم وينسحبوا بأمتعتهم الى داخل أسوار المدينة • ويبدو أن بيريكليس توقع أن القوات المهاجمة لن تصبر على البقاء طويلا فقد كان على علم بأن معظم جنود اسبطة من صغار المزارعين الذين سوف يشعرون آجلا أو عاجلا بحنين للعودة وممارسة حياة الزراعة ولم يكن هناك ما يدعو الأثينيين للقلق فقد كانوا محصنين داخل أسوار مدينتهم يقومون بحراسة الجوائط التي كانت تربط بين العاصمة وميناء بيرايوس كما قام الأسطول الأثيني بامداد

انسكان بكافة ما يحتاجونه من المواد الاستهلاكية والغذائية • وبين الفينة والفينة كانت قوات الأسطول الأثيني تقوم بهجمات على شواطئ البيلوبونيسوس وتوقع بها أقصى ما يمكن من الخسائر المادية • خلاصة القول كانت سياسة بيريكليس في مواجهة أعدائه هي الصمود والاستنزاف السلبي والديجاني • فمثلا طرد أهل أيجينا من جزيرتهم وهاجم الأسطول الأثيني ميجارا وشاطئ البيلوبونيسوس •

#### قوات البيلوبونيسوس تغزو أتيكا :

وصلت قوات البيلوبونيسوس الى أتيكا في ربيع عام ٤٣١ تحت زعامة أرخيدامرس ملك اسبرطة وراحت تقتلع أشجار الكروم وتخرب الحقول • تحرق القرى بينما تذرع الأثينيون بالصبر كابحين بقوة عواطفهم الوطنية • وقد صور لنا ثوكوديدبس هذا الموقف بدقة ، فوصف جماهير الأثينيين وهي تتحرك الى الاندفاع عبر الحواط وملاقة الأعداء ووصف كيف كانوا يقتفون في مجموعات في شوارع المدينة المحاصرة يثرثرون ويتجادلون في أمر سياسة بيريكليس وينتقدونه علنا متهمين اياه بالتخاذل أمام العدو •

هكذا ، مضى العام الأول من الحرب كئيبا فقد أنزلت الحرب خسائر مادية ومعنوية فادحة اذ تدهورت الروابط الاجتماعية وتفككت الأسرة • ويصور لنا الشاعر الكوميدي أرسطوفانيس ما خلفته الحرب من مشاكل اجتماعية اذ تركت الأسرة حطاما وانتشر الانحلال الخلقي نتيجة للنقص في عدد الرجال فقد التهمت الحرب عددا كبيرا منهم وأصبحت أسرهم دون عائل يحييها ويرعاها ومن ثم فقد تزايد عدد النساء وتناقص عدد الشباب مما تسبب عنه هذا التدهور الأخلاقي الذي كان شبيها بذلك الذي مرشت له روما أثناء حربها مع هانيبال •

#### بيريكليس يكرم الشهداء :

بالرغم من حالة التذمر والاحساس بالضيق التي سادت الأثينيين وبالرغم من هجومهم الشديد على سياسة بيريكليس الباردة ، الا أن هذا النائد الحكيم استطاع أن يستص غضب الجماهير ويستوعب تقدّمهم ويبث فيهم الأمل بالنصر وكانت أخبار الأسطول الأثيني ترفع من روح

الاثنين المعنوية بين الحين والحين • ولا شك أن دعاية بيريكليس كانت تلعب دوراً في المبالغة في حجم الانتصارات •

وقد انتهز بيريكليس فرصة ليشرح سياسته ويبين وجهة نظره ، فأعلن تكريم الشهداء الذين سقطوا في معارك الصيف وقامت الدولة بأعداد جنازة شعبية ورسمية لتشجيع القتلى إلى مثوانهم الأخير في مقبرة كيراميكوس Cerameikos • أما هؤلاء الشهداء الذين لم يعثر على جثثهم فقد رمز لهم بسرير خال • وأقيمت المراسيم الجنائزية وسط بكاء الشعب ونحيبه •

وأمام مقبرة الشهداء الجميلة في كيراميكوس وقف كسانثوس ابن بيريكليس على ربوة عالية ليؤنن الشهداء ويقرأ خطبة أيه • لقد سجل ثوكوديديس (١) على لسان هذا السياسي العظيم قطعة غراء من البلاغة الاغريقية ووثيقة لها دلالتها ومفهومها في التاريخ والحضارة •

لقد جاءت هذه الخطبة بمثابة دفاع عن بيريكليس نفسه وعن سياسته وصورة جياشة للعواطف الوطنية والشوفانية المطلقة بحب أئينا والاصرار على حمايتها والدفاع عنها لآخر قطرة دم • كما تعتبر خطبة التأين هذه (Funerary Oration) صورة مجسمة لآراء هذا السياسي العظيم في لحظة صفاء ذهني كامل وان شئت قل - النظام الأثيني الديمقراطي يتحدث عن نفسه « لأن الأثينيين كانوا يدافعون عن نظامهم السياسي بقدر ما كانوا يدافعون عن ترابهم • فهي تبين مزايا حكم « الشعب للشعب » وأن حرية الكلمة وعلنية النقاش جديران بالدفاع عنهما حتى في أحلك ساعات الحرب فمثلاً بينما كانت الصدور تفيض بكراهية اسبرطة وبينما كانت هستيريا الحرب تسيطر على الأثينيين جميعاً شعباً وحكومة نجد أرسطوفانيس يتبنى « قضية السلام » ويسخر من السياسيين الأثينيين ويرميهم واحداً تلو الآخر بالنكات الساخرة • هذا مثال واضح لاحترام حرية الرأي حتى في الأوقات العصيبة • ان القارئ لنص الخطبة - كما جاء في تاريخ ثوكوديديس عن الحرب - ليدرك مدى ايمان بيريكليس.

واقناعه بأن الحق سوف ينتصر على الباطل وبأن الخير سوف يذهب الشر وأن أثينا سوف تسود رغم كل المعوقات ، واكمالاً لهذا الموضوع نعرض فقرات مترجمة من نص هذه الخطبة .

يقول بيريكليس في هذه الخطبة « ان دستورنا يعرف بالديموقراطية لأن الإدارة فيه لا تقع في أيدي الأقلية ، وبالرغم من أن القوانين تفيض المساواة بين كل المواطنين ازاء مشاكلهم الخاصة ، الا أننا أيضاً نعترف بحق النبوغ أيضاً ، فإذا ما أظهر المواطن نبوغاً في أى شكل كان فإنه يلقي تفضيلاً في الوظائف العامة ليس كنوع من التمييز بل مكافأة له على النبوغ ... ليس الفقراء عائقاً لأن المواطن يستطيع أن يفيد وطنه مهما شغل الغموض شخصه . اننا في حياتنا العامة لا تقتصر على فئة معينة كما أننا في علاقاتنا الخاصة نأبى أن نشك في بعضنا البعض ولا نغضب من جار لنا اذا فعل ما يريد ، ولا نلقاه حتى بنظرة جائعة لأنها - وإن كانت عديمة الأذى - غير مستحبة » نحن أحرار في تصرفاتنا الشخصية الا أن احساساً بالاجلال يسود تصرفاتنا العامة ، فنحن نأف ارتكاب الخطأ من أجل احترام النظام ومن أجل احترام القوانين خاصة تلك التي وضعت من أجل حماية الضعيف وقوانين العرف ( الغير مكتوبة ) التي تجلب على المعتدى عليها استنكار الشعوب العام .

« رغم كل هذا لم ننس أن نعطي نفوسنا المرهقة قسطاً من الراحة والترويح من شق العمل ، فعلى مر العام نحتفل بألعاب دورية ونقدم الأضاحي وقد هذبنا طريقة حياتنا الأسرية ، أن السرور الذي نحس به كل يوم مبعثه هذه الأشياء وهو الذي يساعدنا في التغلب على حالة الكآبة ، ولأن مدينتنا عظيمة فان خيرات العالم كله تتدفق علينا لدرجة أننا نستمتع بخيرات البلاد الأخرى كما لو كانت خيرات بلادنا » .

« اننا نعشق الجمال ولكن تذوق البسيط ( منه ) ونهذب العقل دون أن نفقد الرجولة ونستشر الرخاء لا حبا في الكلام والتفاخر بل لأن الحاجة تقتضى استثماره ليس من العيب أن نعترف بالفقر ولكن العيب - كل العيب - ألا نفعل شيئاً من أجل تفاديه . ان الأثيني لا يهمل

شئون الدولة من أجل اهتمامه بأمور أسرته ، وحتى هؤلاء الذين يعملون بالتجارة بيننا على ينة بقدر وافر من السياسة • انتا دون غيرنا - نعتبر الرجل الذى لا يساهم فى المصلحة العامة - لا عديم الأذى فحسب ، بل عديم الفائدة • حقيقة - قليل منا خلاقون ولكننا جميعنا قضاة حكماء لأمورنا السياسية • وفى رأينا أن العائق الأكبر للعمل ليس هو الجدل • بل التقص فى المعرفة المكتسبة عن طريق الجدل ذلك الشرط الأساسى قبل التنفيذ اذ لدينا طاقة خارقة فى التفكير قبل التنفيذ وكذلك عند التنفيذ بينما نجد الشعوب الأخرى بالرغم من شجاعتها النابعة من جهلها - تردد فى التفكير فى أنهم شجعان - ولا شك فى ذلك لأنهم بالرغم من ادراكهم لآلام الحياة وملذاتها لا يتهربون من المخاطر كذلك نختلف عن الآخرين فى فعل الخير اذ نكون أصدقاءنا عن طريق تبادل الرأى وليس عن طريق المجاملة وخلاصة القول فاننى أؤكد أن أثينا هى جامعة هيللاس وأن الفرد الأثينى يستطيع بغريزته الفردية أن يتحكم فى تكييف نفسه تحت وطأة ظروف العمل المتقلبة بقدرة عالية ومرونة وكياسة » •

« لقد أدت الواجب المطلوب مطيعا للقانون مستفيداً من علاقتنا المترابطة كسأ فعلت • ان ضريبة العمل لم تدفع كاملة بعد ، فقد وورى التراب شهداء لنا مكرمون منا وبقي علينا الآن أن نفق على أولادهم من الخزانة العامة حتى يبلغوا رشدهم • هذه هى الهدية الفعلية التى ترين أثينا بها أبناءها سواء الأحياء منهم أو الذين سقطوا فى معاركها خاضوها ( وكأنها معاركهم الشخصية ) - وكأنها تزين صدورهم بأكاليل الغار • وبالرغم من أن الشجاعة هى خير جزاء الا أن أنبل المواطنين هم الذين يعملون فى سلك وظائف الدولة • والآن فلتنصرفوا بعد أن يندب كل منكم موتاه بالقدر الواجب » •

وباء الطاعون يجتاح أثينا :

وفى مطلع العام الثانى من الحرب غزت قوات البيلوبونيسوس أراضى أثينا وردت أثينا بهجوم بحرى يأس على شواطئ البيلوبونيسوس تماما مثلما حدث فى العام الأول • ولكن لم يكد ينتهى العام الثانى حتى دهم



أئينا وباء الطاعون الذى جاء إليها من الشرق عن طريق القادمين الى ميناء بيرايوس وقد وصف ثوكوديديس وصف خير مقتدر أعراض المرض لدرجة أن القارىء يكاد أن يحس به ويتخيله . ويصف كيف أن المرضى كانوا يلقون بأنفسهم فى الآبار ومستودعات المياه من شدة حرارة أجسامهم وبسبب تدفق الناس من الريف وتكدسهم فى الأكواخ مما ساعد على انتشار هذا الوباء لدرجة أن الأحياء لم يعد يهتمون بدفن الأموات بل كان كل همهم هو التخلص من جثثهم بأى وسيلة ممكنة . ويصف لنا انهيار الروح المعنوية للأثينيين وانتشار اللامبالاة والاستهتار بالآلهة والقوانين لأن الناس - على حد تعبير ثوكوديديس رأوا بأعينهم الموت وهو يلحق بالورعين والملحدين دون تمييز . كذلك تحدث ثوكوديديس عن انتشار الجرائم « اذ لم يكن هناك من يخاف العقاب نتيجة التعدى على القانون لأن أحدا لم يكن يضمن ليعيش حتى يتم استدعاؤه التحقيق » كذلك تحدث ثوكوديديس عن انتشار البوهيمية والاتجاه نحو الانغماس فى الملذات « لأن كل فرد كان يدرك أن حكماً بالموت قد صدر عليه وهذا الحكم معلق فوق رأسه . فلماذا لا ينغمس قليلا فى المتعة قبل أن ينفذ الحكم » .

#### بيريكليس يسقط ضحية لهذا الوباء :

لقد بلغ من شدة هذا الوباء أن أتى على ما يقرب من ثلث سكان أثينا ، وفى خريف عام ٤٣٩ ق.م سقط بيريكليس ضحية للطاعون (١)

(١) يروى أحد الأطباء المتخصصين فى تاريخ الأوبئة أنه من المحتمل أن يكن بيريكليس قد مات بسبب وباء الملاريا وليس الطاعون . فقد كانت الملاريا من الأمراض المستوطنة فى بلاد اليونان وصقلية فى العصور القديمة وقد وصف هوميروس حمى الملاريا Pyretos فى الألياذة (Book, XXII, 3) . كذلك أشار أرسطوفانيس الى الملاريا فى روايته الزنابير وأهل اكارنانيا واللذان قدمتا عام ٤٢٥ . ويرى أنه طبقا لوصف أعراض المرض الذى أودى بحياة بيريكليس والذى وصفه بلوتارخوس [Perikles, 38] وما أشار اليه ديودوروس الصقلى [IV, 82] فإن اللفظ والوصف يرجع الاحتمال بأن سبب وفاته كانت الملاريا . ولكن المؤرخ ثوكوديديس وهو مؤرخ علمي =

ذاته ففقدت أننا أشجع أنبائها وأعظم سياسيا إذ كان بيريكليس الرجل الوحيد الذى استطاع أن يجمع شمل الأمة وأن يفرض شخصيته القوية على أصدقائه وأعدائه على السواء . واهتزت « وحدة الأمة وبدا المستقبل مظلماً . وخلا المسرح السياسى لشرادم الانتهازين وللديماجوجيين من أنصار الحرب من أمثال كليون (١) الذى عرف باسم « ذباغ الجلود » ولما يتس كليون من كسب تأييد النبلاء ومساندة الطبقة المتوسطة لجأ الى السياسة الرخيصة والسوقية من أجل استمالة الغوغاء وتجنيدهم خلفه . وكان هذا بداية صراع اجتماعى رهيب شبيه بذلك الذى خبرته روما لمضى قرن من الزمان بين العامة والاشراف . ولقد كان هذا الصراع على حساب وحدة الأمة الأثينية التى تفككت بموت القائد « وعلى حساب « النصر » الذى كان يتبعه .

مؤثوق به لم يستخدم في وصف أعراض هذا الوباء كلمة الحمى Pyretos بل استخدم لفظاً آخر هو Kauma أى « الفيوبة » . ومن ثم فهناك احتمال وجود وباء الطاعون فعلا الى جانب احتمال أن يكون لفظ Kauma لفظ مرادف للكلمة Pyretos ومهما يكن من أمر فإن بلاد اليونان تعرضت للكوارث البشرية بسبب الملاريا ومن أجلها أدخلت عبادة رب الشفاء إسكليبيوس المرادف لامحتب المصرى وجعلوا له عيداً خاصاً هو (Askylpeion) في شهر أبريل من كل عام موسم الحمى والوباء ، وعيدا آخر اسمه (Epidaurcia) في شهر سبتمبر موسم تكاثر البعوض بسبب هطول الأمطار وتكوين المستنقعات ويذكر باوسانياس أن وباء الملاريا هو الذى أحدث الكوارث بالاقتصاد الاغريقى ودمر نفسياتهم وجعلهم يترددون في الغيبات والسحر والشعوذة وأصبح دور الزوجة الأول هو أن تكون « ممرضة » كما يقول ميناندر في إحدى كوميدياته انظر :

W.H. Jones, Malaria and Greek History, University of Manchester, Historic Series no. VIII London 1919, p. 36 ff.

(١) وقد وصفه كاهرشتدت Kahrstedt بأنه سبب الحرب (Pauly. Wissowa, XI, 1921, 714 Sab ID).

Clemenceau وقارنه بالسياسى الفرنسى كليمنصو وعن حياة هذه الشخصية وتقييمها انظر :

Raymond Renaud, Le Demagogue Cleon, Etudes Classiques, Tome XLI, no. 2, April 1973, pp. 181—196.

لقد قدم لنا ثوكوديديس صورة حية للمجتمع الأثيني وقد أرهقته مصائب الحرب وخسائرها المادية والمعنوية . لقد قل الدخل وزادت النفقات واختل نظام المدفوعات . وبالرغم من هذا فقد كان هناك من شجعوا استمرار الحرب وحاربوا أى فكرة للسلام — من أجل الرغبة فى تحقيق الربح والحفاظ على المكاسب . أولئك كانوا التجار والحرفيين لأنهم كانوا من أكثر طبقات المجتمع الأثيني استفادة من الحرب لأنهم كانوا يسرون فى أذيال الجيوش لكى يسوقوا بضائعهم حتى الطبقة المعدمة فقد وجدت عملاً فى خدمة الأسطول وكانت مثل طبقة التجار تؤيد استمرار الحرب وتبنى فكرة التوسع . أما « السلام » فلم يعد يتحدث عنه سوى المثقفون المدركون لمآسى الحرب وكذلك أصحاب الاقطاعات الزراعية والعاملون بالزراعة اذ هجرت المزارع نتيجة لنقص الأيدي العاملة وقل المحصول واعتمدت أثينا على ما يجلبه الأسطول من الغلال .

وبالرغم من هذا فقد نجح الأسطول الأثيني بقيادة الجنرال الماهر فورميون Phormion فى حصار مدينة بوتيدايا Potidaea على خليج كورثا وإجبارها على الاستسلام فى نفس الوقت قامت قوات الحلف اليلوبونيزى بمحاصرة مدينة بلاتايا .

#### تمرد مدينة موتيليني ورعونة كليون فى معالجة الموقف :

وفى العام الثالث من الحرب جاءت الأنباء الى أثينا تحفل خبر تمرد موتيليني Mytilene عاصمة جزيرة لسبوس Lesbos قرب ساحل آسيا الصغرى وانتشار هذا التمرد الى معظم أجزاء الجزيرة . وخشى الأثينيون من نجاح الثوار لأنه يهدد كافة أجزاء الامبراطورية الأخرى وخاصة فى بحر ايجه . وفى الحال حاصر الأسطول الأثيني المدينة براً وبحراً الى أن استسلمت عام ٤٢٧ ق.م ، وهنا بدى التهور فقد (١)

(١) عن مسئولية كليون من هذه المأساة انظر : المقال السابق ص ١٨٢

كذلك انظر :

D. Gills, " The Revolt of Mytilene, A.J. Ph. XCII, 1971. P. 38—47 ; also J.J. Quinn, " Political groups in Lesbos during the Peloponnesian war, Historia, XX, (1971) p. 405—417.

دعى كليون الى قتل جميع أبناء المدينة القادرين على حمل السلاح وبيع النساء والأطفال في أسواق العبيد وحتى عندما اجتمعت الأكلisia لتخفص من هذا الحكم القاسى خطب فيهم كليون قائلاً « أننى ما زلت عند رأى فى أن تلتزموا بالقرار السابق فى هذا الشأن وألا تدعوا التشفقة أو الكلمات المعسولة والاحساس العام بالعفو يضللكم » وجاء القرار بالموافقة على اعدام زعماء التمرد وهدم التحصينات ومصادرة سفن المدينة المتمردة .  
وباليت القرار يقف عند هذا الحد بل ذهب الى مصادرة كافة الأراضى فى الجزيرة وتقسيمها الى ثلاثماية جزء وتوزيعها على مستوطنين جاؤا بهم من أثينا بعد تخصيص عشر هذه الأراضى للمعابد الأثينية وكان هذا يسئل فقدان السياسة والكياسة فى وقت كانت فيه أثينا فى أشد الحاجة اليهما .

وقد ردت قوات طيبة على هذا العمل بتضييق الحصار على مدينة بلاتايا حتى سقطت فى صيف عام ٤٢٧ نفسه بعد حصار دام أربع سنوات . ومهما كان الأمر فقد كان العام عام انتصار للأسطول الأثينى التى استطاع بفضل خبرة جنرالاته المحنكين من أن يحقق عدة انتصارات صغرى فى ايتوليا ( على الجانب الشمالى من خليج كورنثا ) ثم تمكن فى النهاية تحت قيادة الجنرال ديموستينيس Demosthenes من تحقيق انتصار حاسم على سكان خليج أمبراكيا Ambracia وتوكيد السيادة الأثينية عليهم وكان ذلك فى عام ٤٢٦ ق.م .

#### القوات الأثينية تضرب أسبرطة فى عقر دارها :

بلغت القيادة العسكرية الأثينية روعتها عندما أبحر الأسطول الأثينى حول شبه جزيرة البيلوبونيسوس ثم انقض على مسينيا فى الجنوب الغربى منها واحتل مدينة بيلوس Pylos عام ٤٢٥ ق.م وحاولت أسبرطة عبثا طرد الأثينيين من هذه المنطقة الحساسة ولكن الجيش الأثينى بقيادة ديموستينيس وكليون نفسه ردوها على أعقابها خاسرة بل وأسر مائتين وتسعين جنديا أسبرطيا كانوا قد تحصنوا فى جزيرة سفاكتيرا Sphacteria المواجهة لمدينة بيلوس ذات الماضى التليد أيام مجد الحضارة الموكينية

والتي تحتل مكاناً استراتيجياً هاماً فتقع في الطرف الشمالي من خليج نافارين Navarino الضيق وتكاد تلتحم بجزيرة سفاكتيرا الصخرية ولقد أظهرت حروب محمد علي الكبير في المورة وعمليات الحرب العالمية الثانية أهمية هذه المنطقة عسكرياً .

لقد كان احتلال القوات الأثينية لهذه المنطقة انتصاراً وهزيمة محققة للأسبرطيين ولذا دعى الأسبرطيون الى عقد السلام وكانت خسارة كبيرة لأثينا أن ترفض هذه الدعوة لأنها كانت ستجنى على مائدة المفاوضات كل ما تطلبه وهي في أروع ساعاتها .

اسبطة تبعث بالجنرال براسيداس Brasidas في حملة ضد المصالح الأثينية في تراقيا :

وفي مطلع عام ٤٢٤ ق . م كان الأسطول الأثيني يضرب بعنف في المنطقة المحصورة بين شواطئ أتيكا وشواطئ البيلوبونيسوس الشمالية الشرقية محتلاً جزيرة كوثيرا Cythera ونيسايا Nisaea الميناء الشهير لمدينة ميجارا ، وكان قصد الأسطول الأثيني احتلال هذه المدينة والتي بالفعل كادت تسقط في يد أثينا لولا مقاومة السكان .

ورداً على الأعمال العسكرية الأثينية في عمق الأراضي الأسبرطية أرسل الأسبرطيون في العام نفسه ملكاً شهيراً اسمه براسيداس (١)

(١) من الطريف أن نقارن بين شخصية كل من كليون الدباغ الزعيم الأثيني وبين الجنرال الأسبرطي براسيداس ذلك القائد الذي ظهر ليغير وجه المارك في صالح اسبرطة وحلفائها بعد هزيمة سفاكتيرا المريعة وكسب تهليل وأعجاب اسبرطة وحلفائها خاصة في كورنثا إذ وصف براسيداس بأنه أوديب الجديد الذي جاء لينقذ بلادهم من الجوع والوباء . وقد نشر جون بوردمان (J. Boardman) حديثاً وعاء مرسوماً عليه كليون في صورة أبو البول في شكل كلب يمارس مع نفسه عملاً جنسياً خليعاً J.H.S., XC, 194-5, p. 1970 وقد فسر أ . ل . سراون هذا الرسم بأنه يعني كليون كنقيض في الفكرة والدور للقائد براسيداس أوديب اسبرطة خاصة أن هذا الوعاء يجيء من كورنثا وربما اكتسب كليون وصف « الكلب » الذي وصفته به الكوميديا السياسية الأثينية في ذلك الوقت من جسارته وجراته الوثقة تماماً مثلما اكتسب الفيلسوف ديوجينيس الكلب هذه الصفة وتوارثها من بعده أتباعه الكليون Dudley, History of Cynicism, London, 1937, p. 29 . وفي نفس الوقت الذي اكتسب فيه براسيداس شعبيته بدأ المثقفون الأثينيون يبدون نقدهم لسياسة كليون الغوغائية التوسعية =

على رأس حملة مكونة من الهيلوت لتدمير المصالح الأثينية في منطقة تراقيا والتي كانت المواد التموينية تجيء من منطقة البحر الأسود الشهير بغلالها الوفيرة . وقد تمكن براسيداس من فك الحصار عن مدينة ميجارا وتحريرها وسار شمالا حيث استولى على عديد من المدن الهامة مثل مدينة أكانثوس Acanthus وحاصر أمفيبوليس Amphipolis وأرسلت أثينا نجدة لانقاذ هذه المدينة بقيادة المؤرخ ثوكوديديس نفسه ولكنها وصلت بعد سقوطها وكذلك سقطت مدينة توروني Torone .

### حملة أثينا الفاشلة ضد طيبة واقليم بيوتيا :

كما تلاحقت الضربات في نفس الوقت بالقوات الأثينية في اقليم بيوتيا عندما خطط الجنرالان ديموستثيس وهيوكراتيس Hippocrates للقيام بحملة لغزو هذا الاقليم انتهت بهزيمة القائد الأخير هزيمة ساحقة في معركة ديليوم Delium .

= وتهكموا على كليون فوصفه ارسطو فانيس بأنه دباغ جلود الكلاب ؛ [Ecc. 420 ; Av. 490] Skylodepses. كما كتب سوفوكليس مسرحية « أوديب ملكا » في العام التالي لوفاة بيريكليس أظهر فيها أوديب كبطل مناضل ومنقذ وهذا يعكس اعتراض المثقفين على سياسة كليون وتعاطفهم حتى مع براسيداس وكما تقول مدام دي روميلي بالحرف الواحد « لقد كان براسيداس وحدة هو الذي ظهر على مسرح الاحداث كصاحب سياسة منهجية وهي « التحرير » كرد على سياسة أثينا التوسعية الامبريالية ولكي يجعل براسيداس سياسته هذه ذات مفعول استخدم كل وسائله لاقتناع حلفاء أثينا بهجرها حتى تتفوز امبراطوريتها ... » ، ومن الواضح ان ثوكوديديس اجل وقدر براسيداس في مؤلفه :

J. de Romilly : Thucydides and the Athenian Imperialism translated by p. Thody (Oxford 1963) p. 43:

وفي رأينا ان رسم كليون في صورة ذكر ابو الهول في شكل الكلب يمارس العادة السرية سخريه مريرة من جانب اهل كورنثا ترمز الى القشل النفسى لكليون وتتصل بموضوع أوديب التي يعتبرها المحلون نظرة نفسية ورمزية اكثر منها روائية انظر :

Cleon Caricatured, on a Corinthian Cup. JH. S. XCIV, 1974, P. 166-170 (by E.L. Brown).

### محاولات نيكياس لعقد السلام : Peace of Nikias

وتحت تأثير هذه الضربات المتلاحقة وجدت أثينا نفسها مضطرة إلى الدخول في محادثات للسلام مع أسبرطة وبالفعل تم عقد هدنة لمدة عام دون اشتراط وقف العمليات العسكرية في تراقيا حيث قاد كليون حملة بنفسه عام ٤٢٢ ق م ، وبالفعل استطاع أن يعيد مدينة ثوروني إلى أثينا ولما حاول تخلص أمفيبوليس لاقاه براسيداس بقوات ضخمة ودارت معركة حامية سقط فيها كليون وبراسيداس قتيلين وهزمت فيها أثينا هزيمة ساحقة .

### صلح نيكياس وانتهاء الجولة الأولى من الحرب :

هكذا وضعت الظروف أمام الأطراف المتحاربة فرصة فادرة للسلام لأن صقرا الحرب كليون وبراسيداس سقطا في المعركة السابقة . خاصة أن الأثينيين والاسبرطيين كانوا يتوقون للسلام . ولقد جاءت المبادرة من جانب ارستقراطي أثيني مشهور بثرائه اسمه نيكياس Nikias استطاع أن يوفق بين أثينا واسبرطة لعقد معاهدة سلام عام ٤٢١ ق م لمدة خمسين ابان الحرب مع بعض التغيرات البسيطة .

١ - أن يحتفظ كل من الطرفين المتحاربين بالأراضي التي احتلها ابان الحرب مع بعض الاستثناءات البسيطة .

٢ - أن يتبادل الطرفان الأسرى وكان هذا يعنى بالدرجة الأولى الجنود الأسبرطيين الذين أسرهم القوات الأثينية في حملتها ضد مدينة بيلوس .

لقد كانت الجولة الأولى من الحرب عامة في صالح أثينا والتي صمدت كما توقع لها بيريكليس - لعشر سنين قاسية من الضغط الاقتصادي وللوباء الذي قضى على ما يقرب من ثلث سكانها .

### الاحوال السياسية بعد عقد صلح نيكياس :

ان نظرة على معاهدة السلام التى عقدها نيكياس لتوضح تماما أنها ولدت ميتة (١) . فالشروط لم تكن مقبولة لحلفاء اسبرطة الذين لم يدعوا حتى للتوقيع عليها والذين كانوا ينتظرون نصيبا منها لأن السلام كان لصالح اسبرطة وأثينا وحدهما ولذا ساد التذمر بين أعضاء الحلف اليلوبونيزى انى حد التمرد على اسبرطة . فمثلا ثارت أرجوس ( عدوة اسبرطة القديمة ) وانضم اليها بعض من الساخطين على اسبرطة من أعضاء الحلف اليلوبونيزى مثل دويلة ايليس *داسط* وماتتيا *Mantineia* وبلغ من عنفوان التمرد أن انضمت كورنثا اليه ولكنها انسحبت بسرعة منه خوفا من اسبرطة ) وسارعت أثينا بالتحريض واذكاء نار الفتنة بل وأرسلت قوات لمساعدة الثوار وكان المحرض لذلك سياسى جديد بدأ نجهه يسطع فى السياسة الأثينية ألا هو الكياديس .

### الكياديس Alcibiades ( ٤٥٢ - ٤٠٤ ق م ) :

أصبح الشكل العام للسياسة الأثينية فى السنوات التى تلت صلح نيكياس صورة واضحة من شخصية الكياديس . لقد كان هذا الفتى محبوبا لأنه نشأ وترعرع فى بيت بيريكليس العظيم . أى أنه ولد وفى فمه معلقة من ذهب (٢) . ولذا نشأ مختلا بنفسه ذكيا مثقفا ، جميلا يسحر الناس . وسرعان ما قامت بينه وبين سقراط صداقة وطيدة . وقد اشترك الكياديس فى عدد من معارك الحرب اليلوبونيزية . ويقال أن سقراط أنقذ حياته فى معركة بوتيدايا عام ٤٣٢ ، وكان يبلغ وقتئذ عشرين عاما . ولا يهنا المدى الذى بلغته هذه الصداقة ولكن الذى يهنا أن هذا الفتى أفسده تدليل أسرته له وعبادة جمهور المدينة لسحره فكان يقضى وقته فى المتعة وفى الثروة مع سقراط وفى الاشتراك فى سباق العربات خاصة فى الأعياد الأولمبية وقد تلقى الفتى تعليما رفيعا على أيدي السوفسطائيين فنشأ لا يؤمن بمبدأ ولا برسالة الا طموحه الشخصى .

H. D. Westlake, "Thucydides and the uneasy Peace. A Study in incompetence, Classical Quarterly, XXI, 1971 pp. 315-325.  
Jean Hatzfeld, Alcibiade, Paris 1961., P. 8 ff.



كان انتهازيا على استعداد أن يتخطى القوانين والعرف مستهترا ماجنا ،  
فجمع بين الديماغوجية وسحر الشخصية حتى استطاع أن يصل الى  
القيادة عام ٤٣٠ ق.م وما أن عين جنرالاً Strategos حتى بدأ في ترميم  
حزب الحرب القديم ، بأمل الحصول على مكاسب في صورة انتصارات  
في ميادين القتال وكانت تلك هي الطامة الكبرى .

ولعلنا لا ندهش اذا ما خلف أرستقراطي نبيل مثل الكياديس دباغا  
وضيعا مثل كليون في الحكم، اذ أن سيكلوجية الأثينيين كانت تميل بطبيعتها  
الى الارستقراطية وتطمئن اليها ، أو على الأقل اتسمت نظرتهم باللامبالاة  
بالنسبة الى الوضع الاجتماعي لأن الذي كان يعينهم في الدرجة الأولى  
هو عظمة الوطن ورخائه . ولقد نجح الكياديس في حملته الانتخابية  
باقناع الجماهير بأنه يعرف العلاج الأمثل لمشاكل أئينا الاقتصادية وأنه  
يعرف الطريق الذي سيقوده ليعيد المجد والرخاء ليصنع المجتمع العظيم .  
ولما كانت تلك هي أحلام الأثينيين فقد فاز في الانتخاب دون أن يحقد  
عليه أحد لأنه كان فاحش الثراء . وبفوزه انتهى سلام نيكياس ولاحق  
الحرب في الأفق القريب .

ولهذا يلقي المؤرخون مسؤولية الهزيمة النهائية على الكياديس لأنه  
هدم فرصة السلام (١) .

استشاطت أسبرطة غضبا لتدخل أئينا في أرجوس ولارسالها قوات  
لمساعدة الدويلات المتمردة وكادت الحرب تندلع من جديد عام ٤١٨ ق.م  
عندما أرسلت أسبرطة حملة بقيادة ملكها آجيس Agis والذي حقق  
نصرا ساحقا على الثوار وعلى الجنود الأثينيين قرب مانتينيا. وقد أعاد هذا  
النصر لاسبرطة شرفها العسكري ومستواها الرفيع في فن القتال . والحق  
يقال أن هذه الهزيمة قد تمت في غياب الكياديس الذي هزم في معركة  
الانتخابات في هذا العام قبل هذه المعركة بوقت قليل .

(1) K.W. Welwei, op. Cit., p. 303 ff.

### مذبحة ميلوس :

وفي العام التالي أعيد انتخاب الكياديس ليرتكب حماقة كبرى دفعت أثينا ثمنها باهظا لها ألا وهي مذبحة ميلوس . وميلوس إحدى جزر بحر ايجه الفقيرة الا من محاجر الصخور الأوبسيدية . ولقد كانت هذه الجزيرة غنية أيام الطلب على هذا النوع من الحجر ولكن عندما اكتشف النحاس لم يعد هناك طلبا عليه فانكمش ثراؤها وعاشت على الكفاف شبه منسية ولهذا لم تدفع قط الاقاوة السنوية التي كانت أثينا تفرضها على أتباعها منذ نشأة حلف ديلوس . وفجأة يكتشف الأثينيون هذه الحقيقة ويرسلون قوة حربية تطالب أهل الجزيرة بالاستسلام . ولما علم أهل الجزيرة بهذا الخطر أرسلوا مندوبين عنهم الى معسكر الجيش الأثيني في الجزيرة لاجراء مفاوضات . وقد سجل لنا ثوكوديديس هذا الحوار الذي دار بينهم والذي وضع فيه منطق أثينا الاستعماري بأن « القوة هي الحق » فالأثينيون يعلنون بصلافة واستعلاء عن حقهم في السيطرة « لأنهم هزموا الفرس » ويعلنون أيضا أن « فرص العدل تجيء فقط اذا ما تساوت القوي المتصارعة وأن على القوي أن ينتزع ما يقدر عليه وعلى الضعيف أن يمنح ما يستطيع » لقد كان منطق أهل جزيرة ميلوس منطق الحمل الضعيف في وجه ذئب غادر .

ولما يئس وفد ميلوس تركوا مائدة المفاوضات وأخبروا قومهم الذين عاثروا لأسلوب التكابر والغرور والصلافة التي اتصفت بها المحادثات الأثينية . وما أن عادوا حتى تحرك الجيش الأثيني وبمساعدة الخونة من سكان الجزيرة دخلت القواد الأثينية المدينة وقتلت كل رجال الجزيرة وشبابها وباعوا نساءها وأطفالها في أسواق العبيد كل هذا بتحريض الكياديس الذي اقتنى امرأة من نساء الجزيرة لتعمل عنده . وأخيرا صادروا أراضي الجزيرة وقسموها بين خمسمائة مسوطن أثيني (١) .

لقد ألحق هذا العمل البربري الكثير بسمعة أثينا وجر عليها الحقد من جانب حلفائها وأعدائها على السواء كما ارتفعت أصوات المثقفين

(1) W. Fornara, «The date of the regulations for Melos» A.J. Phil, Xell, 1971, p. 473-475.

بالاحتجاج وعبر عن ذلك صراحة ثوكوديديس وهو يسجل التاريخ كما  
لمح الشاعر المأسوي بوريبيديس عن أسفه لمثل هذا السلوك البربري  
في مسرحيته « نساء طرواده » ولم يكن هذا العمل هو آخر عمل ورمز  
فيه الكياديس المستهتر أثينا بل ارتكب حماقة كبرى وكان آلهة الاغريق  
أرادت أن تعاقب الآثينيين على جرائمهم ضد حلفائهم . وأما هذه الحماقة  
فهي حملة صقلية الفاشلة .

### حملة صقلية المشؤومة :

سبق أن عرفنا شيئا عن استيطان الاغريق لجزيرة صقلية وكذلك عن  
اتحادهم عام ٤٨٠ ق.م وهزيمتهم لقوات قرطاجة . ولكن هذا الوئام بين  
المدن الاغريقية في صقلية لم يدم طويلا بعد النصر اذ سرعان ما دب الشقاق  
والخلاف ثم تشب بينهم القتال في عام ٤٢٧ ق.م عندما طلبت مدينة  
ليونتيني Leontini من أثينا التدخل لصالحها ضد جارتها سيراكوزة  
مستعمرة كورثا . ولكن أثينا تباطأت في النظر في هذا الطلب . وفي عام  
٤١٦ ق.م طلبت مدينة سيجستا Segesta من أثينا نفس الطلب .  
ولكن في هذه المرة أرسل الأثينيون وفدا اليها للبحث في هذا الطلب .  
ولما كان أهل المدينة يعلمون جيدا نفسية الآثينيين فقد أظهروا الثراء  
القاحش حتى على حساب الحقيقة . فمثلا كلما دخل الوفد الأثيني يتسا  
فيه وجدوا أطباقا من الذهب والفضة ولم يدر بياهم أنها نفس الاطباق .

وعاد الوفد مبهورا بالثراء وقص على الكياديس مشاهداته وسال  
لعابه ووجد الفرصة سانحة لمغامرة جديدة غربا اذ لم يعد هناك عقبات  
في الشرق كما تخيل أن مستقبل الامبراطورية الاثينية هو في الغرب وليس  
في الشرق الذي بدأت مصادره تنضب . وبالطبع هدف الآثينيين الى  
التحالف مع أهل مدينة سيجستا حتى يثبتوا أقدامهم في الجزيرة ثم  
يحولوهم الى اتباع مثلما فعلوا بأعضاء الحلف الديلي . ولم ينقص  
الكياديس الحجج في اقناع الآثينيين بالموافقة على ارسال الحملة ضد  
سيراكوزة . فالأخيرة مستعمرة كورثا عدوة أثينا اللدود بحكم عضويتها  
في حلف البيلوبونيسوس . ثم أن أهل سيراكوزة كانوا سيطلبون العون من

كورتنا أو في أحسن الظروف سوف يرسلون العون لمساعدة اسبرطة وخير  
لأثينا أن تنتهز الفرصة وتتدخل حتى تضمن موارد جديدة تأتي بالمال  
الذي هو عصب الحرب . ولم يجد الكياديس معارضة سوى من  
نيكياس رجل السلام وأمعانا في توريطة وأحراجه فقد انتخب مع  
الكياديس نفسه وجنرال آخر اسمه لاماخوس Lamachus لقيادة  
الحملة . هكذا رفض المجلس الشعبي نصائح نيكياس المسن والذي دهمته  
الشيخوخة والمرض ورفض منطقته الذي كان يرى عدم جدوى أو احتمال  
اقامة الامبراطورية غربا أو تدخل الكورثيين في صقلية أو تدخل سيراكوزة  
ضد أثينا . واستجاب الجمهور لجدل الكياديس الذي كان يسلم  
الخامسة والثلاثين وقتئذ وكان في عنف شبابه وحيوته .

وما أن ووفق على الحملة حتى بدأت أثينا في تجنيد كل طاقاتها لها  
وأعدت أسطولاً ضخماً قوامه ١٣٤ سفينة حربية ذات ثلاث طوابق  
Tribes وماية وثلاثين سفينة صغيرة للامداد والتموين كما أعدت من  
القوات خمس آلاف رجل مسلح بالعتاد الثقيل (Hoplites) وألف  
وثلاثمائة جندي مسلح بأسلحة خفيفة يدعمهم ثلاثين فارساً . وبلغ عدد  
من اشتركوا في الحملة سبع وعشرين ألف رجلاً ما بين جندي وبحار .

#### حادثة تحطيم تماثيل الاله هرميس :

وبينما كانت الاستعدادات للحملة قائمة على قدم وساق بل وفي صبيحة  
اليوم المحدد لاجاز الأسطول ، حدث حادث مروع وغريب آثار الذعر  
من الالهة وغضبها واعتبر طالع نحس لمستقبل أثينا اذ حطم مجهولون  
تماثيل الاله هرميس النصفية Hermae والتي كانت مقامة أمام أبواب  
البيوت وفي الطرقات والميادين . ولما كان هذا الاله حارساً لحرية التجارة  
والنظام السياسي الاثيني فقد اعتبر ذلك اعتداء على الديموقراطية  
الاثينية وبالغ آخرون في تصور مؤامرة أوليجارخية ضد الديموقراطية .  
فانتشر الذعر والقلق بين الناس وتجمعوا في ساحة المدينة واتخذوا قراراً  
بالاجماع بتخصيص مكافأة كبيرة لمن يرشد عن « النعلة » ولم يتقدم أحد  
لأن الحادث في أغلب الظن كان من عمل فتيان سكارى قاموا به ليلاً دون

قصده بالرغم من أن بعض الناس يرون أنه تم بتدبير من مدينة كورثا أو سيراكوزة لعاقة الحملة وبث البلبلة بين الأثينيين .

وعلى أى حال فقد وجد فريق من الانتهازيين السياسيين فرصة للتشهير بالكبياديس فاتهموه بالقيام بهذا العمل مذكّرين الناس بسابقة له تعدى فيها على حرمة الشعائر السرية الزراعية والتي كانت تقام فى اليوسيس . كما طالب أنصار الحزب الديموقراطى بتقديم الكبياديس الى محاكمة عاجلة لزندقته وبالطبع نفى الكبياديس هذه التهمة عن نفسه وأعلن عن استعدادة للمشول أمام المحكمة ولكنه طلب تأجيل المحاكمة لأن أنصار الحزب الديموقراطى كانوا يدركون مدى شعبيته بين الجنود وتأثير محاكمته على روحهم المعنوية وأنه ذاهب الى مغامرة قد لا يعود منها . وبالفعل ووفق على تأجيل المحاكمة .

الأرمادا الأثينية يبحر الى صقلية :

أبدع ثوكوديديس فى وصف الحملة وتحدث عن طموح القادة للحصول على مكاسب وشهرة مادية ومعنوية كما شرح سبب اقبال المتطوعين من فقراء الشعب رغبة فى التخلص من مشكلات الحياة اليومية خاصة تحت وطأة الحرب وفضلوها عن الانتظار داخل الأسوار الحصينة . ويقول ثوكوديديس : « لقد ساد الجميع بلا استثناء رغبة جامحة للإبحار ، فالمتقدمون فى السن من الجنود كانوا يحسون بأنهم قادرون على غزو صقلية وأما الشباب فكانوا متلهفين لأن يسلوا أعينهم بأعاجيب بلد بعيد ، وأما البقية الباقية من القوات فكانت تتلهف على الأجور والمرتبات (١) وتحلم بغزو بلد ثرى خيراته لا تنضب . »

(١) أبان هذه الحرب كان الجندى الأثينى ينفق على نفسه خلال الأيام الثلاثة الأولى لالتحاقه بالجيش ثم تتولى الدولة الإنفاق عليه بعد ذلك . وكان يسمح للجندى بالسلب والنهب بشرط أن يقدم للدولة عشر ماينهب . وعن دراسة الجيش الاغريقى ونظمه وتمويله وعباداته وشعائره قبل المعارك أنظر :

W.K. Pritchett, Ancient Greek military Practices, I, (Univ. of California Publications' Classical Studies 7.) 1979 (Hammond, JHS, XCIII, 1972, p. 254).

كما يصور لنا ثوكوديديس يوم الابطار في صباح أحد أيام صيف عام ٤١٥ ق. م. حيث خرجت المدينة عن بكرة أبيها لتودع أبناءها وساروا الى ميناء بيرايوس كل له فلذة كبذ ، أخ أو قريب في هذه الحملة « وكلما اقتربت ساعة الرحيل كان القلق يتزايد وتتدفق العواصف الجياشة بالدموع ويتسلل الخوف الى قلوبهم من هذه المغامرة الخطرة، ولكن قوة الأسطول وكثرة العتاد كانت تهدء من روعهم . ويصف ذلك ثوكوديديس بقوله : « لم يحدث قط أن خرجت حملة الى بلد أجنبي بمثل هذا العدد والعدة ولم يحدث قط أن قام مشروع مثل هذا بررت فيه القوة الفعلية أحلام النصر » .

وسرعان ما انطلقت السفن « كل تسارع الأخرى » وتعال الصلوات وشقت ترانيم الجند عباب السماء يشتركهم المودعون من الشاطئ » وراح القادة يسكبون الخمور قربانا للآلهة .

#### استعلاء الكبياديس للمحاكمة وهروبه الى أسبرطة :

وما كاد الكبياديس يصل الى مسرح العمليات العسكرية في سيراكوزة (١) حتى أرسل في استدعائه وذلك لأنه أعداءه السياسيين انتهزوا فرصة غيابه وأقاموا دعوى عليه يتهمونه فيها بانتهاك قدسية الدين وبالفعل وصلت سفينة تحمل أمرا بالقبض عليه . ولما أحس الكبياديس أن الموقف في أيدي أعدائه السياسيين قرر الهرب وتم له ذلك في عرض البحر . ولدهشة المتابع لسيرة هذا القائد فجده يلجأ الى أسبرطة عدوة بلاده . وهنا كشف النقاب عن أسرار البلاد العسكرية ووضع أمام الأسبرطيين كل ما يحتاجونه من معلومات ونصائح وأشار عليهم بأمرين

---

(١) يناقش ذلك ثوكوديديس في الكتاب الثامن أنظر الدراسة الحديثة عن هذا النص :

Thucydides, la guerre du Peloponnese, Livre VIII Edité traduit par R. Weil avec la Collaboration de J. de Romilly (Assan G. Gude) Paris, les Belles Lettres, 1972. L = JHS, XCIV, 1974, p. 188—ff.

قلبا مركز أثينا العسكرى ، أولهما نصيحته للاسبرطيين بأن يسارعوا ويحتلوا دكيليا وهى منطقة حساسة فى الشمال من أثينا بالنسبة للاتاج الزراعى والتموين الغذائى والصناعى وبالفعل سارع الأسبرطيون وأرسلوا حامية احتلت هذه المنطقة مما كان له أشد الأثر على الاقتصاد الأثينى الذى صمد طويلا للحصار ازاء السنوات السابقة للحرب . اذ هجر المزارعون حقولهم وفر العبيد الذين كانوا يعملون فيها الى معسكرات الجيش الأسبرطى وانهمر سيل من اللاجئين الى داخل أسوار أثينا وانكمش حجم التجارة الأثينية وأحس الناس لأول مرة بالتقلص الاقتصادى والنقص فى التموين لأول مرة .

أما النصيحة الثانية التى قدمها الكياديس لأعداء وطنه فكانت صيحته فى وجه الاسبرطيين « أرسلوا قائدا أسبرطيا الى سيراكوزة فى الحال » ، وعلى الفور أرسل الاسبرطيون جنرا الاشهير اسميه جوليبوس (tylippus) ومعه ثلاثة آلاف جندى ليزيقوا الجيش الأثينى خسائر فادحة .

ولما علم الإثينيون بخبر هروب الكياديس لغنوه وصادروا ممتلكاته وبيع أثاث منزله فى مزاد علنى . ومن الطرائف التاريخية ذلك النقش الذى وصل الينا يحمل قائمة بهذا الأثاث كلها تدل على أشياء بسيطة برغم ما نعلمه عن ثراء هذا الرجل مما يدل على مدى بساطة الحياة الأثينية .

نيكياس رجل السلام يتولى القيادة :

هكذا استطاع القائد الاسبرطى جيليبوس التسلل بقواته الى سيراكوزة فى خريف عام ٤١٤ ق . م . وكان الإثينيون وقتئذ يقومون بمحاصرة المدينة وفى الحال انقلب ميزان المعركة وأصبحت القوات الأثينية فى موقف الدفاع ولم يكديمر الشتاء حتى تمكن هذا القائد من تكوين أسطول بحرى سرعان ما دخل المعركة وطرده الإثينيين الذين كانوا يتحكمون فى مدخل المدينة البحرى ونتيجة للعمليات الاسبرطية الناجحة وضعف القيادة الأثينية انهارت روح القتال وساد الاستهتار واللامبالاة وساء الموقف أن الجنرال لاماخوس أكفأ قادة الحملة قتل فى احدى المعارك ، وبقي نيكياس وحده ونحن نعلم مدى معارضة هذا الرجل للحملة منذ

بدايتها ولكنه فجأة وجد نفسه منوطا بمسئولية كبرى فد تعرض لتهمة الخيانة العظمى لم يجد أمامه سوى طريقا واحدا وهو تحمل مسئولية قيادة المعركة حتى في أحلك الظروف لأن القائد يجب أن يتصرف حسبما يجب أن يفعل بغض النظر عن النصر • وكان أول شيء فعله نيكياس هو أن أرسل في طلب تعزيزات عسكرية واستجاب المجلس لتسعى إلى منبه وأبحر الجنرال ديموستينيس بقوة بحرية قوامها خمسة عشر ألفا من الرجال • • • أن رست سفنها حتى حاول ديموستينيس القيام بهجوم ليلي على سيراكوزة وعلى القوات الاسبرطية ولكنه رد على اعتدبه خسرا ويبدو أن ديموستينيس راعه انهيار الروح المعنوية وتذمر الجند الأثينيين فدرك استحالة النصر وأخذ في اقناع نيكياس بالانسحاب اشرف بدلا من الهزيمة المهينة وبعد تردد ومعارضة وافق نيكياس على الانسحاب والعودة الى الوطن • وبدأ الاستعداد لذلك • وفي ليلة الانسحاب وذلك في السابع والعشرين من أغسطس تصادف خسوف القمر • ورأى العرافون ضرورة تأجيل موعد الانسحاب تجنباً لهذا الطالع النحس وصدق نيكياس قولهم • وأجل الانسحاب الذي قدر له أن لا يتم أبدا وذلك لأن شعب سيراكوزة علم بخطة الأثينيين فحاصروا الميناء ثم قاموا بهجوم على السفن الأثينية الراسية • ويصف لنا ثوكوديديس باستفاضة ودقة تفاصيل معركة حامية الوطيس انتهت بدمار السفن الأثينية جميعا ومقتل ما يزيد عن ٥٠٠٠ جندي ولما حاول نيكياس ومعه ديموستينيس انقاذ ما يمكن انقاذه هجر الجرحى والمرضى وما تبقى من السفن وحاول التقهقر برا ، وفي هذا خطأ كبير اذ « لم يعودوا بحارة بل جنود مشاة لا يعتمدون على أسطولهم بل على جنودهم » • وتكبد الجيش الأثيني أثناء انسحابه خسائر فادحة بسبب أعمال المقاومة من جانب سيراكوزة ، وسقط الجنرالان ديموستينيس ونيكياس قتيلين وهلك جيشهما ما بين قتيل وأسير • اذ أسر أهل سيراكوزة عددا كبيرا من الجنود الأثينيين وساقوهم



الى العمل في المحاجر في ظروف لا انسانية لشدة البرد ليلا والحرارة نهارا الى جانب القذارة ولتعضن لذى كان ينبعث من جثث لموتى . هكذا رأى الأثينيون مرارة الاستعباد التى تحدث عنها الشاعر المأسوى يوريديس فى مأساته « نساء طرواده » والتى صور فيها أكابر الأسر الطروادية تعاني مرارة الرق . لقد كتب يوريديس هذه المأساة وأسلوبه يقطر مرارة واحتجاجا على ما فعله الأثينيون فى ميلوس والآن جاء دور الأثينيين ليشرّبوا من نفس الكأس (١) . وكأن يوريديس كان يتنبأ بأحداث المستقبل عندما وضع على لسان هيكوبا ملكة طروادة صرخة من الأعماق تقول فيها « يارب الرحمة ! ... ولما ادعو الآلهة أنهم يعرفون حالى ولم يعودوا يستمعون لصلواتى منذ وقت طويل ... » .

هكذا لحق بأثينا أكبر هزيمة عرفتھا المدينة منذ قيامها (٢) . هزيمة لم تفق منها قط . وأسدل على تاريخ المدينة ستار حجب انتصارات الأمس التى استمرت أثينا تجنى ثمارها لمدة سبع وسبعين عاما هى أعظم السنوات

---

(1) cf. P.G. Maxwell-Stuart : The Dramatic Poets and The Expedition to Sicily, (Historia, Band, XXII (1973) Heft 3, PP. 397—404.

(٢) لا تزال حملة صقلية محط الجدل بين المتخصصين أهمها مقالة :

U. Laffi, " la Spedizione ateniese in Sicilia del 415 A.C., Revisita Societa Italiana, LXXXIX, 1970, pp. 227 — 307.

وفيهما يناقش المؤلف أسباب الهزيمة فى صقلية الى هروب الكبياديس وافصاحه بالخطة العسكرية للاسبرطيين كما يرجع الهزيمة الى الخلاف بين قادة الحملة وعدم وجود خطة متفق عليها . ولكن يدافع البعض عن هروب الكبياديس الى يأسه وادراكه انه قد تورط فى حملة لن تكسبها أثينا ووصفوا الحملة بأنها اشبه بحملة ماكسيمليان فى البرازيل ومن الدراسات الجديدة عن هذه الحملة .

S. Van De, Maele, " Le recit de l'expédition athenienne de 415 en Sicile et l'opinion de Thucydides sur Le rappel d' Alcibiade, A.C., XL, 1971, p. 21—37 ; Kl. Meister, " Die Sizilién. Expedition des Athences bei Timaos, Gymnasium, LXXVII, 1970, pp. 598-517 ; H. Meier-Welcker (Athen und Sizilien. zum Problem der — Politische-militarischen Legebeurteilung nach Thucydides und Clauswitz, Hist. Zeits, CCXV, 1971, p. 1—32.

في عمرها كله بالرغم من حماقات التي ارتكبت . لقد كانت هزيمة أثينا في سيراكوزة عام ٤١٣ مأساة واقعية بل وأكثر فجاعة من تلك المآسي التي خلدها شعراء أثينا للعالم الحديث . ولا ينبغي علينا أن نقلل من شأن أغريق صقلية لأنهم كانوا لا يقلون تذوقا للثقافة والحضارة الاغريقية عن الاثينيين فقلل أن أهل سيراكوزة كانوا يعفون عن أى أسير أثيني اذا ما ردد أبياتا من أشعار يوريديس . ومن الواضح أنها كانت أبياتا حزينة لبطلة مهزومة مثل الملكة هيكوبا العجوز وهي تندب حظها التعس وتشكو قسوة القدر وكان الشاعر يوريديس كان يريد أن يقول « ارحموا عزيز قوم ذل » .

وبدت ملامح الهزيمة الكبرى تلوح في الأفق عندما بدأت الآثار الاقتصادية المترتبة على احتلال أسبرطة لمنطقة ديكيلىا في الظهور . لقد ألحق الكياديس بأثينا الكثير عندما قال للاسبرطيين « أبدأوا الحرب ولكن لا تجعلوها قاصرة على غزو أتيكا لبضع أسابيع من العام بل احتلوا مكانا على أرض أتيكا وحصنوه جيدا » ثم اختار لهم منطقة ديكيلىا على الحدود بين منطقة بيوتيا وأتيكا . وبهذه النصيحة أصبحت أسبرطة تقبض على عنق أثينا اذ توقف تدفق الغلال وقطع الطريق بين أثينا وجزيرة يوبويا Euboea حيث أرسل الأثينيون قطعان مواشيهم وأغنامهم بعيدا عن الخطر وأصبحت العاصمة معرضة لأى هجوم عليها . بل وأكثر من هذا هجر الأثينيون مناجم الفضة في لاوريوم Laurium وانضم العبيد الذين كانوا يعملون فيها الى القوات الأسبرطية . في هذه اللحظة التي بدأ فيها الأثينيون يحسون بهذه المشاكل الجديدة وصلت أنباء الهزيمة في صقلية وذلك عندما وصل رجل الى ميناء يرايوس قادما من الغرب ودخل حانوت حلاق وراح يثرثر عن الهزيمة الساحقة التي لحقت بالقوات الأثينية ولما ذعر الحلاق وأخبر الناس قبضت السلطات الأثينية على هذا الحلاق بحجة نشر الاشاعات المخرفة . ولكن سرعان ما توافدت أنباء كثيرة عن هذه الهزيمة وذاعت بين أهل الجزر التابعة لأثينا في بحر ايجه والتي كانت تتمنى في قلوبها يوما مثل هذا ليتخلصوا من هذا الاستعمار الذي

جشم عليهم طويلا وفي هذه المرة لم يثوروا ليطالبوا بالحرية بل تلفتوا يمينا ويسارا وراحوا يحثون عن حليف يقضى على ما تبقى من سلطان أثينا .

### الفرس يتحركون مرة ثانية - الثورة ضد أثينا :

لقد علمنا من الفصول السابقة كيف أن بلاد فارس لم تمنع عيونها ولو مرة واحدة عن ساحل آسيا الصغرى وعن الجزر القريبة منه ووجدت بلاد فارس عندما عرفت أن الوهن قد حل بأثينا - فرصة لعقد تحالف مع أسبرطة لأنها كانت تعلم أن الأسبرطيين لا يعينهم الا ما حولهم فقط . ورحب الاسبرطيون بهذا التحالف ووافقوا على أن يستعيد الفرس ممتلكاتهم في أيونيا مقابل أن يتولى أسطولها محاربة الأسطول الاثيني في المياه الشرقية والقضاء على سلطانها . وذلك لأن كبريات حلفاء أثينا من أمثال جزيرة خيوس ولسبوس ويوبويا أبلغت أسبرطة باعترامها الثورة ضد أثينا ، وبالفعل تم عقد اتفاق بين الفرس وأسبرطة في ميليتوس عام ٤١٢ ق م . ولما علمت أثينا بهذه الخيانة اندفعت بأخر ما لديها من قوة فحاصرت خيوس والتي كان يحميها الكبياديس الهارب ومعه تيسافريس Tissephernes الستراب الفارسي الشهير وسرعان ما سقطت خيوس مرة أخرى في حوزة القوات الاثينية وكذلك جزيرة لسبوس ولكنهم فقدوا رودس التي تحالفت مع الفرس .

### الكبياديس يعود للقوات الاثينية :

كانت أسبرطة تنظر للكبياديس نظرة الشك وخاصة بعد أن تأكد لها أنه يحرك الأحداث لكي يضغط على المسؤولين في أثينا من أجل العفو عنه والسماح له بالعودة الى الوطن أما الفرس فلم يشقوا فيه لموقفه من الثورة في خيوس . ولما أحس الاثينيون بذلك عفوا عنه وعهدوا اليه بقيادة أسطولهم في البحر الايجي والذي كان يتخذ من جزيرة ساموس قاعدة له وكانت هذه الجزيرة هي الوحيدة التي وافقت على أن تبقى تابعة لأثينا وقد بذل الكبياديس كل جهده لكي يجعل مواطنيه ينفقون له ماضيه الأسود ويعفون عنه .

### النظام الديمقراطي الأثيني يتلقى ضربة :

لما كان معظم الأخطاء التي حدثت أثناء الحرب — خاصة في صقلية — من فعل أنصار النظام الديمقراطي فقد بدأ الهجوم علنا على هذا النظام كما ساعد على ذلك انتشار شائعة قوية وهي أن الفرس سوف يرفعون أيديهم عن المصالح الأثينية في آسيا الصغرى إذا ما قام نظام أوليجارخى بدلا من النظام الديموقراطى ، وهذا النظام الذى أيده الفرس يعرف في اليونان بالأليجارخية Oligarchia أى حكم الأقلية . وهو حكم رجعى تخلصت منه أثينا منذ أحداث القرن السادس قبل الميلاد بالرغم من أنه بقى معمولا به في كثير من المدن الاغريقية الأخرى . وهو يعنى حكم الأرستقراطية الاقطاعية ولكن كلمة الحكم الأرستقراطى لم تستعمل كثيرا في وصف هذا الحكم لأن معظم الأسر النبيلة قد تغير بها الحال كما أصبح كثيرون من غير النبلاء — أغنياء — ولهذا فالكلمة جامعة مانعة . وبالفعل حدث انقلاب أوليجارخى قضى على الديموقراطية وأعدم قادتها وتكون مجلس من أربعماية (٢) عضو كان من بينهم الشاعر سوفوكليس لادارة شئون البلاد عرف بمجلس الأربعماية . ولكن سرعان ما دب خلاف بين الأوليجارخين المعتدلين بزعامة ثيرامينيس Theramenes (٣) والأوليجارخين المتطرفين بزعامة

(1) Cf. M.H. Jameson, "Sophocles and the Four Hundreds, Historia, XX, 1971, p. 541—568.

(٢) من الطريف أنه قد عثر على وثيقة بردية من مصر من بين الأوراق البردية التي عثرت عليها جامعة ميتشجان تتحدث عن ثيرامينيس في دفاع عنه ولا نعرف المؤلف الحقيقى وربما كانت هذه الأبولوجيا موضوع انشاء كتبه تلميذ . انظر :

R. Merkelbach H.C., Youtie, "Ein Michigan Papyrus uber Therameanes, Zeitschrift Fur Papyr. und Epigr., 11, 1968 p. 161—169, Comment by Heinrich, ibid, III 1968 p. 101—108 also A. Andrews, ibid, VI, 1970, p. 35—38.

ومهما يكن من أمر فان المؤلف تأثر جدا بأسلوب لوسياس الخطيب خاصة في خطبته دفاعا عن ايراتوثينيس ( انظر ص ) ومن المعلومات الجديدة التي ذكرتها الوثيقة ان ثيرامينيس سافر الى ساموس ليلتقى بالزعيم الأسبرطى لوساندر .

فرينيكوس Phrynichus وأنتيفون Antiphon • هذا من ناحية أما من الناحية الأخرى فقد أعلنت قوات الأسطول الأثيني ولاءها للديمقراطية وعصيانها لهذا الحكم الأوليجارخى • لأن الأسطول ارتبط دائماً بالديموقراطية الأثينية • وأكثر من هذا هدد الأسطول من قاعدته في ساموس بالتدخل ما لم يعاد النظام الديموقراطى •

#### انهيار الحكم الأوليجارخى :

من الواضح اذا أن الحكم الأوليجارخى كان ضعيفا منذ البداية وكان معرضا للسقوط فى أية لحظة • وعندما ظهر الأسطول الأسبرطى فجأة خارج مياه ميناء بيريه دعر الأثينيون ولما أبحر شرقا الى جزيرة يوبويا سارع الأسطول الأثينى لملاقاته على عجل ولم يكن مستعدا وكانت النتيجة هزيمة الأسطول الأثينى تماما ثم اعلان يوبويا الثورة ضد أثينا • وما أن وصلت أنباء الهزيمة حتى ارتعدت قلوب الأثينيين ذعرا ووضح رعونة الحكم الأوليجارخى فى معالجة الأزمات وانعزاله عن الشعب وعندما أدرك زعماءه تلك الحقيقة فروا واحدا وراء الآخر الى منطقة ديكيليا وعقد الأثينيون اجتماعا شعبيا أعلنوا فيه سقوط الحكم الأوليجارخى وعودة النظام الديموقراطى فى شكل حكومة ال • • وبصورة أكثر اعتدالا من المفهوم القديم بالرغم من بقاء امتيازات المواطنة مغلقة على خمسة آلاف مواطن فقط هم تعداد الأكلisia (١) بحجة أنهم هم وحدهم القادرون على تسليح أنفسهم فى الحرب مكونين مجتمع المواطنين Politeia ومن الواضح أن الديموقراطية قد عادت تحت الحاح جنود الأسطول الذين أعلنوا منذ اللحظة الأولى عن سخطهم على نظام حكم الأوليجارخين ولم يمهلوه طويلا سوى أربعة أشهر هى المدة التى حكم فيها هذا النظام ( من مايو حتى سبتمبر ٤١١ ق م ) وتولت حكومة انتقالية مهدت لعودة النظام الديموقراطية بصورة أكمل •

cf. P.J. Rhodes, "The Five Thousands in Athens I, Revolution of 411 B.C., J.H.S., XCII, 1972, pp. 115—127.

### عودة الديموقراطية ترفع من روح جنود الاسطول المعنوية :

هلل جنود الأسطول بعودة مكاسبهم الديموقراطية اليهم وارتفعت روحهم المعنوية وجاءت فرصتهم في أواخر عام ٤١١ ق.م (١) . عندما أبحر أدميرال اسبرطى جدير اسمه منداروس Mindarus الى بحر مرمره Hellespont للقيام بعدوان على هذه المنطقة الحساسة اقتصادياً بالنسبة لاثينا عندئذ تعقبه (٢) الأسطول الاثيني واستطاع أن يجهز عليه في كونوسيا Cynossema بالقرب من سستوس Sestus عند مدخل هذا البحر ثم أعقبه بانتصار آخر عند أيسدوس Abydos ( في الشمال الغربى على ساحل آسيا الصغرى ) وسارع الأسطول الاسبرطى الى مدينة كوزيكوس Cyzicus على الساحل الجنوبي لبحر مرمره وحاصرها يعاونه في ذلك القائد الفارسى فارنا بازوس Pharnabazus

ولكن الأسطول الاثيني تقدم اليه وجنوده يحذوهم الأمل بالنصر وحاصروه حصاراً محكماً ، ثم انقضوا عليه بشراسة أتت عليه تماماً وسقط قائده منداروس صريعاً وكان ذلك في ربيع عام ٤١٠ وكانت ضربة قاصمة لاسبرطة فطلبت السلام وعرضت مقترحات طيبة ولكن الغرور الاثيني رفض هذه المقترحات وطالب بالنصر كل النصر ولا شيء غير النصر ولم تجد أثينا مكافأة لأبنائها خيراً من إعادة النظام الديموقراطى كاملاً اليهم . وكان عام ٤٠٩ ق.م عام الانتصارات بالنسبة لاثينا اذ توالى الأنباء بعودة المدن المتمردة الى حوزة الامبراطورية اذ أعاد الأسطول الاثيني جزيرة ثاسوس Thasos وسليمبريا Selymbria وخاليكدون Chalcedon وأمنت أثينا تماماً منطقة بحر مرمره والبحر الأسود وطهرتها من القوات الاسبرطية والفارسية معا . وسرعان ما استسلمت مدينة بيزنطة Byzantium بعد حصار طويل وكان الفضل في هذه الانتصارات يرجع الى براعة القيادة للأسطول

(١) يتوقف تاريخ ثوكوريديس عند عام ٤١١ ق.م. وهنا نبداً في الاعتماد على مؤرخ آخر له أهميته وهو أكسينوفون .

(2) cf. S. Van De Maele, " Le livre VIII de Thucydide et la politique de Sparte en Asie Mineure (412—411). Phoenix, XXV, 1971, pp. 32—51.

والتي كان على رأسها الكبياديس خائن الأمس الذي أضحي بطل اليوم  
تتردد سيرته على كل لسان . وسرعان ما عاد الى الوطن بين الهتاف  
والعناق ونودي به جنرالاً أعلى له كافة السلطات العسكرية لكي يقود  
الامة والأسطول الى مرفأ النصر والمجد . وبالفعل تولى الكبياديس  
القيادة في مايو عام ٤٠٧ ق.م .

#### قورش يرمى بثقله في المعركة ويتحالف مع اسبرطة :

كان لسوء حظ أثينا أن تدخل الفرس في الحرب ورموا بثقلهم فيها .  
وكان هناك ثمة تحالف بين الفرس والاسبرطيين ضد أثينا خاصة وأن  
عيون الفرس لم تحول أبداً عن أيونيا وعن الجزر القريبة منها . ولكن  
هذا التحالف ظل حبراً على ورق الى أن أوكل شئون آسيا الصغرى الى  
الأمير الفارسي قورش الثاني يساعده تسافرنيس بدلاً من دارا الثاني  
وقرر الأمير الشاب أن يجعل قوة فارس حقيقة وينفذ شروط التحالف مع  
اسبرطة . وفي نفس الوقت اكتشف الاسبرطيون شخصية عسكرية بينهم  
وهو الأدميرال لوساندر Lysander وسرعان ما كسب هذا الأدميرال ثقة  
الأمير الشاب قورش وقررا أن يعملوا معا وأن يدفعوا بقوات كبيرة إلى  
الحرب لهزيمة أثينا عليها .

#### هزيمة أثينا وعزل الكبياديس :

وبعد التمهيل والتكبير أبحر الكبياديس في خريف عام ٤٠٧ من أثينا  
في اتجاه الشرق حيث رابط الأسطول عند رأس فوتيوم Notium ( والتي  
تقع في الشمال الغربي من أفسوس Ephesus على ساحل آسيا  
الصغرى ) وتمكن لوساندر من أن يناوش القائد المناوب لأكياديس  
ويجره الى مصيدة بحرية ومن ثم الى هزيمة كبرى في مطلع عام ٤٠٦ ولما  
وصلت الأنباء أعلنت أثينا عزل الكبياديس وذلك لأن أعداءه أثاروا  
الشبهات حوله مذكرين الناس بتاريخه الأسود وهرب الكبياديس الى  
فريجيا في شمال آسيا الصغرى حيث لجأ الى حاكمها الفارسي فارناباسوس  
وظل هناك حتى أغتيل عام ٤٠٤ ق.م بتحريض من حكومة الطغاة الثلاثين  
( سنعالجها فيما بعد ) وتحريض من لوساندر نفسه . وبهذا ينتهي تاريخ  
( ٢٣ - الاغريق ) .

الكبياديس الحافل بالمغامرات والانتصارات والخيانة وبالفساس والمؤامرات . وكل ما نعلق به عليه أنه كان رجلاً شديد الأنانية انتهازياً من الدرجة الأولى حيث ارتكب عدة حماقات جرت على وطنه سخط الأصدقاء وحقد الأعداء وكان لهذا أثره في هزيمة أثينا فيما بعد . وعلى أى حال فإن المؤرخ ثوكوديديس لم يتردد في أن ينتقد الأثينيين لفشلهم في استغلال مواهب هذا القائد العسكري . ويتهمم علناً بأنهم كانوا يبعدونه عن مناصبه في وقت كان الوطن في حاجة ماسة إليه . وعلى أى حال أسرع الأثينيون بتعيين أميرال جديد لقيادة الأسطول وهو كونون Conon أحد القادة العشرة Strategoi الذين اختيروا في ذلك العام .

#### معركة أرجينوساي Arginusae ومحاكم الأعدام :

في نفس الوقت الذي اختير فيه كونون أميراً للبحر الأثيني اختير قائد جديد للأسطول الأسبرطي وكان اسمه كالكرايتداس Callicratidas بدأ على الفور في تقوية أسطوله بأن أضاف إليه مائة وأربعين سفينة جديدة ثم بدأ في مناوشة كونون واستطاع بنصف هذا الأسطول أن يحاصر كونون ويهزمه في ميناء موتيليني بجزيرة لسبوس نفسها وما أن وصلت أنباء الهزيمة إلى أثينا حتى اشتد حماس الشعب وأصروا على الحصول على نصر بأي شكل وبالفعل أرسلوا مائة وخمسين سفينة لنجدة كونون . وعند جزيرة أرجينوساي جنوب جزيرة لسبوس دارت معركة حامية الوطيس بين الأسطولين استطاع الأسطول الأثيني فيها أن يدمر ويفرق سبعين سفينة أسبرطية كما سقط القائد الأسبرطي كالكرايتداس فيها قتيلاً وكان بالفعل انتصاراً شرف أثينا ورفع رأسها ولكن بدلاً من أن يقابل قادة الأسطول عند عودتهم بالهتاف وأكاليل الفار قوبلوا بالاتهامات . إذ نما إلى علم الأثينيين أن القيادة لم ينقذوا العرقى الأثينيين وتركوهم معلقين بحطام السفن يصارعون الموت ويقال أن قادة الأسطول عجزوا عن انتقاذهم بسبب العواصف وهياج البحر وعلى أى حال فقد أثار هذا الحادث غضب الشعب وطالبوا بتقديم القادة إلى



المحاكمة بتهمة الاستهانة بأرواح جنودهم والاهمال في العمل وأمام الجمعية العامة أدين القادة وحكم عليهم بالاعدام ومصادرة الأموال وخذ الحكم في ستة منهم كانوا حاضرين وبهذا العمل الأهوج خسرت أثينا كفاءات عسكرية في وقت كانت في أشد الحاجة اليها ومما لاشك فيه فان الديماجوجية هي التي كانت وراء هذه الأحكام البشعة والظالمة .

ولم يستمع أحد الى احتجاجات الفيلسوف سقراط الذي كان يترأس المجلس وقتئذ وجدير بالذكر أن الأثينيين كانوا دائماً أعداء أنفسهم وكانت الدولة هي الضحية لأنها كانت « كالهرة تأكل جعافها » . وبذلك خسرت كفاءات عسكرية وسياسية لو قدر لبعضها البقاء لتغير مسار تاريخ أثينا فحسب بل تاريخ بلاد اليونان .

#### هزيمة أثينا النهائية :

وبعد موت كاليكراتيداس قائد الأسطول الأسبرطي عادت القيادة مرة أخرى الى الأدميرال لوساندر عام ٤٠٥ ق.م . الذي أبحر على الفور الى بحر مرمرة Hellespont واستولى على لامباسكوس Lampascus وسارع الأسطول الأثيني على عجل لنجدة هذه المنطقة من عدوان الاسبرطيين وعند ساحل « ايجوسبوتامى Aegospotami ( نهر الماعز ) تلك المنطقة الساحلية الوعرة وفي مواجهة الأسطول الأسبرطي رسا الأسطول الأثيني متحفزاً للقتال وظل لأربعة أيام يتحرش بالأسطول الأسبرطي والأسطول الأسبرطي يتمانع الى أن اعتقد الأثينيون أنه لم يعد في وسع الأسبرطيين القتال فانخفضت درجة استعدادهم للمعركة . ولكن الأسبرطيين كانوا ينوون أخذ الأسطول الأثيني على غرة وبالفعل في اليوم الخامس غادر الجنود الأثينيون السفن الى الشاطئ للاحتفاء ولتناول غذاء جيد بينما كان لوساندر الأدميرال الأسبرطي يرصد تحركاتهم فلما اطمأن الى مفادرة الجنود للسفن أبحر بسرعة الى مكان السفن الأثينية وبسرعة خاطفة استولى عليها جميعا دون أدنى مقاومة ولم ينج من الماية والثمانين سفينة سوى

تسع سفن من بينها سفينة القيادة بارالوس Paralus التي كان عليها كوفون قائد الأسطول والذي لم يجرؤ على مواجهة قومه فأرسل « البارالوس » لتحمل الأنباء التبعة وقد سجل لنا المؤرخ كسينوفون Xenophon وصفا دقيقا للساعات الرهية التي شهدت أثينا عقب وصول سفينة القيادة . أنها ساعات احتضار الامبراطورية الاثينية عام ٤٠٤ ق.م لقد قوبلت الأنباء بالبكاء والعويل على الضحايا والرعب من المستقبل المظلم الذي ينتظرهم « لقد كانوا يفكرون في جزاء رهيب شبيه بذلك الذي كانوا يوقعونه على أعدائهم مثلما فعلوا بأهل جزيرة ميلوس كما أحسوا بأن « جبروت الانتقام » الذي كان يثير شفقتهم وهم يشاهدون مآسى الشعراء على المسرح على وشك أن يلحق بهم »

#### أثينا تستسلم وتقبل شروط أسبرطة :

ووسط هذه الآلام والأحزان عقد المجلس الشعبى اجتماعا قرر فيه اقامة التحصينات واغلاق الموانى وقصر استقبال السفن وابحارها على ميناء واحد كما أمروا باقامة دوريات الحراسة على الأسوار وكان الصمود والمقاومة هو حلم الاثينيين جميعا والأمل الوحيد لنجاتهم من القتل والتعذيب والبيع فى أسواق العبيد ، ولكن موقف أثينا كان ضعيفا لا أمل فيه لأن لوساندر يستطيع محاصرتها حتى الموت جوعا وبالفعل ظهر فى نهاية العام فى مياه خليج سارونيكوس ( حول جزيرة سلاميس وفى مواجهة ميناء بيريه ) بأسطول كبير للغاية وتقدم فحاصر ميناء بيريه ومنع الخروج منه أو الدخول اليه .

وفى نفس الوقت أصدر الملك باوسانياس أمراً بأن يتحرك جيش كبير لاحتلال أثينا قاده بنفسه وعسكر هذا الجيش فى منطقة كانت تسمى «بالأكاديمية Academia» (١) عندئذ وجد الاثينيون أنفسهم محاصرين براً وبحراً ولم يدروا ماذا يفعلون فلا سفن ولا خلفاء ولا طعام

(١) وهو المكان الذى افتتح فيه افلاطون مدرسته الفلسفية فيما بعد

ولا امدادات . ونتيجة لذلك انتشرت المجاعة وظلوا يرفضون الاستسلام الى أن نفذ مخزون الغلال تماما ، عندئذ أرسلوا سفارة الى الملك أيجيس عارضين عليه قبول معاهدة صداقة يصبحون بمقتضاها حلفاء لأسبرطة على أن تبقى تحصيناتهم العسكرية وخاصة الأسوار العالية التي كانت تربط ما بين العاصمة والميناء وفي معسكر الجيش الأسبرطي قابلهم الملك وبعد أن استمع لهم اعتذر لهم قائلاً لهم أنه محدود السلطة وليس في إمكانه تحقيق ذلك بل عليهم السفر الى أسبرطة لمقابلة الايفورات Ephors والاتفاق معهم . وبالفعل سافرت هذه السفارة الى أسبرطة ولكن شروطها قوبلت بالرفض وعادت السفارة الى العاصمة حيث كانت المجاعة قد عصرت المواطنين عصراً . عندئذ تقدم رجل يدعى ثيرامينيس الى الجمعية الشعبية بمشروع بعودة الاتصال بأسبرطة وجس نبضها وبالفعل سافر ثيرامينيس على رأس وفد من الأثينيين والتقوا بالايפורات Ephors عند مدينة سيلاسيا ولما سئل الوفد عن القصد من مجيئه أجابوا بأنهم مفوضين لعقد معاهدة السلام . عندئذ دعاهم الايفورات الى حضور مجلس حلف اليلوبونيسوس حيث تحدث مندوبو كورثا وطيبة محرضين أسبرطة على رفض السلام وتدمير أثينا نهائياً وشاركهم في ذلك كثيرون من حلفاء أسبرطة ولكن الأسبرطيين أجابوا بأنهم لا ينوون تدمير قطعة عزيزة من بلاد هيللاس وأنهم لن يبيعوا سكانها في أسواق العبيد لأنهم قاموا بدورهم في حماية بلاد اليونان وهزموا الفرس كما أخبروا الحلفاء بأنهم راغبين في انتهاء الحرب اذا ما قبلت أثينا الشروط التالية :

( ا ) أن تنكمش الامبراطورية الأثينية الى اقليم أتيكا وجزيرة

سلاميس فقط .

( ب ) أن تزال كل التحصينات والأسوار الدفاعية خاصة ما بين

العاصمة والميناء .

( ج ) أن يسلم الأثينيون أسطولهم التجارى فيما عدا اثنتا عشر

سفينة .

( د ) أن يسمح الأثينيون لجميع المنفيين السياسيين بالعودة .

( هـ ) أن يعلن الأثينيون اعترافهم بقيادة أسبرطة على بلاد اليونان في السلم والحرب تاركين لها وحدها حرية تحديد الصديق والعدو وأن يتبعوا خطاها في البر والبحر .

كانت هذه هي الشروط التي حملها ثيرامينيس الى أثينا وعند أبواب العاصمة وقمت حشود الأثينيين في انتظاره يعلو وجوههم الخوف والتلف وأبلغ ثيرامينيس المجلس بشروط أسبرطة وتحت ضغط المجاعة التي لم تعد تحتمل وافقت الأغلبية على هذه الشروط بينما اعترض نفر قليل من المتطرفين وعاد ثيرامينيس ليبلغ قرار الاستسلام الى أسبرطة في أبريل عام ٤٠٤ ق . م . وعلى الفور بدأ الأثينيون في هدم الأسوار والتحصينات بحماس بالغ حيث راحت النساء تعزف لهم على الناي لتشجيعهم وأعلن حلفاء أسبرطة عن مشرق شمس الحرية على كافة أجزاء بلاد اليونان . هكذا انتهت الحروب البيلوبونيسية بسقوط الامبراطورية الآثينية .

تعليق على رأى ثوكوديديس في الحرب البيلوبونيسية :

ان التاريخ الذي تركه لنا ثوكوديديس وثيقة هامة تكشف لنا كيف تحولت أثينا من أخلص الدويلات الاغريقية تمسكا بالقيم الانسانية واحترام حقوق الانسان الى أشدها قسوة وعنفا وبربرية في التصرف ليأسها من المستقبل وخوفها منه . اذ يعتقد ثوكوديديس أن خسارة أثينا في الحرب راجعة الى مخالفتها سياسة بيريكليس وانصياعها الى عواطف الحزب الديموقراطى المتطرف فاندفعت في فتوحات لا معنى لها فأرهقت نفسها وفقدت بذلك طاقة كبرى كانت في حاجة ماسة لها ابان الحرب .

كذلك يتحدث ثوكوديديس عن عامل آخر من العوامل التي سببت هزيمة أثينا وهو الصراع الدامى بين السياسيين الأثينيين وخاصة بين الجزين التقليديين، الحزب الديموقراطى والحزب الأوليجارخى - لدرجة أن كل فريق كان يعتبر انصياعه للفريق الآخر أشد الحاقا بالعار من سيطرة الأجنبى عليه . كما يجب ألا ننسى ما سببه وباء الطاعون الذى حاق بالأثينيين وقضى على ما يقرب من ثلث السكان .

لقد كان حظ أثينا تعسا اذ فقدت أعظم سياسى فى تاريخها ولم يعد

هناك من يحل محله ويتصرف مثله بنفس اتزانه وحكمته . لقد غاب بيريكليس عن أثينا وترك مسرح السياسة لمجموعة من الساسة المحدودى السلطة والتأثير ، راح كل منهم يصارع الآخر ، دون أن يستطع فرض شخصيته على الجميع ويمسك بزمام الأمور ويعيد توجيه دفة الدولة الى الاتجاه الصحيح وبلغ اليأس بهؤلاء السياسيين الضعفاء مبلغا لدرجة أنهم كانوا على استعداد للمتاجرة بمصالح البلاد طمعا في كسب تأييد الغوغاء الذين انصاعوا لجنونها وعمائها تعلقا منهم بها بالرغم من علمهم بمدى الخطر الذى يلحقه الانصياع لأحلام الغوغاء . فمثلا تمسك كليون دباع الجلود دائما بسياسة العدوان والاستمرار فى القتال ونبذ فرص السلام لأنه على حد - تعبير ثوكوديديس - « كان يتصور أن ألاميه سوف تنكشف فلا يصدق الناس افتراءاته » .

ومن أعظم الفلسفات التاريخية التى يؤكدتها ثوكوديديس قوله « الحروب تولد العنف . والعنف يولد الفوضى السياسية » ثم يستشهد على ذلك بصورة دقيقة رائعة ومعبرة لسيكلوجية مواطنى جزيرة كوركيرا نتيجة للحرب الأهلية التى اجتاحتها عام ٤٢٧ ق.م (١) . كما يتحدث عن أثر الحرب على شخصية المواطن وذكر أنها ظاهرة انسانية حدثت وتحدث وستحدث دائما . وفرق بين طباع الناس وقت السلام وطباعهم أثناء الحروب ذلك أنه المحرك لسلوك الدول والأفراد فى عيد السلام يكون دائما الروح النبيلة العالية نظراً لأنهم يعيشون على أن يكونوا تحت سيطرة الحاجة الملحة . ولكن الحرب معلم قاس ينتزع وسائل الرفاهية اليومية كما تطبع شخصيات المواطنين بطابع الظروف » ثم يعود فيقول : « وما أن تندلع أعمال الشغب فى المدن حتى يندفع مشيروها وهم يحملون علم الثورة قدما الى الأمام وهم مصممون على أن يفوقوا ما يروى عن الذين سبقوهم أصالة فى مشروعاتهم وبشاعة

(1) A.F. Bruca ; The Corcyrean Civil war of 427 B.C., Phoenix, XXV 1971, p. 108-117 ; A. Fuks, Thucydides and the Stasis in Corcyra A.J. Phil. XCII, 1971, p. 48-55.

ومن الجدير بالذكر أن كولنجوود هاجم ثوكوديديس لاستخدامه منهج التحليل النفسى واتهمه بأنه « الرجل الذى مزق تحت أقدامه الفكر التاريخى جريا وراء أسباب ودوافع غير تاريخية » انظر :

R.G. Collingwood, The Idea of History, New York, Galaxy book 1956 pp. 29-30 ff.

« في انتقامهم » ، ويقول « ان الروابط الحزبية أصبحت أقوى من روابط الدم » وأن السياسى كان على استعداد « أن يجرؤ على أى عمل دون أن يسأل نفسه الغرض من ذلك » .

كما يتحدث ثوكوديديس بلهجة المؤرخ الفيلسوف فيقول : « ان سبب هذه الشرور هو حب السيطرة التى تتبع من النهم والطموح ومن روح الحزبية عندما يشتبك الناس فى الصراع » ، ثم يقول « لأن زعماء الحزبين المتصارعين استخدموا شعارات براقة فحزب يعلن تمسكه بسيادة القانون بين أغلبية المواطنين بينما يتغنى الحزب الآخر بعقلانية ( واتزان ) حكم الارستقراطية وبذلك تتحول مصالح الجمهور التى هى فى الأصل أسمى ما يجب أن يكرسوا له أنفسهم الى جائزة يتصارعون عليها » (١) . « هكذا تمخضت الثورة عن كل أنواع النذالة فى بلاد اليونان واختفت البساطة التى هى عنصر أساسى للسلوك النبيل وأصبحت محل تهكم من قبل الناس وأصبح الميل عاما الى المنافسة القاسية وأضحت قوة الفرد تكمن فى ايمانه بأن لاشئ فى مأمن عن الأخطار وعليه أن يبحث عن سلامته وألا يثق فى الآخرين ولذا أصبح الأقل ذكاء هم فى العادة الأكثر نجاحا فى الحياة » .

#### النظام الديموقراطى يتعرض لمؤامرة أوليجارخية :

لم يكن فقدان الأسطول الأثينى هو ضياع الاستقلال والسيادة فحسب ، بل انهيار النظام الديموقراطى من أساسه خاصة وأن شيوخ الأوليجارخية وأتباعها لم ينتهوا بعد . وما شجع دعاة الأوليجارخية هو علمهم بأن أسبرطة تحبذ قيام مثل هذا الحكم وتؤيده . وعلى أى حال فقد وجدوا المناخ مناسباً للقيام بانقلاب وبالفعل استطاع زعيمان من زعماء الأوليجارخية هما كريتياس Critias وثيرامينيس ( الذى كان عضواً فى حكومة الأربعماية السابقة ) بمساعدة القائد الأسبرطى لوساندر من اقامة هيئة دكتاتورية تتكون من ثلاثين عضواً عرفت بمجلس الثلاثين تحت اسم اعادة النظر فى الدستور والقوانين وحكمت

(1) cf. C.H. Grayson : " Two Passages in Thucydides, Class. Quar. XXII, 1972—p. 62-73.

حكما مطلقا يساعدها في ذلك حامية اسبرطية . وكان الارهاب والاعدام هو وسيلة الحكم الجديد مما أدى الى اعتراض ثيرامينيس على طريقة كريتياس في الارهاب مما حدا بالأخير الى ادائه وتقديمه للمحاكمة ثم اعدامه . وقد عانى الشعب الأثيني الكثير من هذا الحكم فهرب عدد كبير الى خارج البلاد اتقاء من شر هذا الحكم .

**عودة النظام الديموقراطى مرة أخرى ( سبتمبر عام ٤٠٣ ق م ) :**

ولما ازداد عدد المطرودين والمنفيين خارج أثينا تجمعوا وتحصنوا في قلعة فولبي Phyle ثم هبطوا على ميناء بيريه بقواتهم حيث دارت معركة رهبة بينهم وبين حكومة الثلاثين الأوليجارخية وسقط كريتياس صريعا فيها وهزم أتباعه وسقط هذا النظام وأقيم مكانه « مجلس العشرة » الذى طلب على الفور تدخل أسبرطة لمساعدته ، ولما كان الملك باوسانياس الاسبرطى على غير وفاق مع لوساندر وسياسته فقد سارع بالتدخل وعزل « مجلس العشرة » و « مجلس الثلاثين » وأعلن الأمان السياسى لكافة الأثينيين وفى خلال هذا الأمان . أعيدت الديموقراطية مرة أخرى الى مهدها - أعنى الى أثينا .

وبعد تلك هى الحرب الكبرى التى أنزلت أثينا من عليائها وسلبت منها سلطانها العسكرى ووضعت نهاية لتجبرها على شقيقاتها الدويلات الاغريقية عندئذ فقط بدأ الأثينيون يتمتعون عند سماع الأحلام السياسية التى كانت تثير الحمية فى نفوسهم وبدأوا فى تفضيل السلام والحضارة على الحرب والسيطرة وبدأت ملكاتهم فى العمل حتى غدت أثينا فى القرن الرابع منارة للعلم والحضارة وكعبة الفلاسفة فى كافة أنحاء المسكونة وظلت جامعة هيللاس بلا منازع حتى انتزعت مدينة الاسكندر فى مصر منها هذا الشرف .

## الفصل الثالث عشر

### الامبراطورية الاسبرطية (٤٠١ - ٣٧١ ق م)

باتتصار اسبرطة على أثينا في الحروب البيلوبونيسية . أبعدت الأخيرة الأولى عن طريقها وافردت على مسرح السياسة الاغريقية تلعب الدور المنتظر وهو دور الامبراطور الجديد . لأنها لأول مرة أتيح لها فرصة التوسع خارج قوقعتها في البيلوبونيسوس والتعامل مع مدن اغريقية وليس مع الهيلوت أو المجاورين Peroeci.

والحق يقال كان سلوك اسبرطة مع خصمها أثينا مهذبا وذكيا . فقد رفضت أسبرطة بشدة طلب مثلى بيوتيا وكورثا بتدمير مدينة أثينا عن آخرها وازالتها من الوجود وجادلت مبينة لحلفائها فضل أثينا على الحضارة الانسانية واكتفت بتقليم أظافرها بأن أرغمت أثينا على ازالة أسوارها وتحديد أسطولها واسقاط حكومتها الديمقراطية وأرغمتها على قبول حامية اسبرطية فوق « اكروبولها » . ويرى بعض الدارسين أن اسبرطة كانت تهدف من وراء هذه الاجراءات استيعاب أثينا وجعلها رأس حربة للقوة الاسبرطية في وسط البلاد اليونان ضد مخططات طيبة التي كانت نحلم بنجل اقليم بيوتيا وحدة جغرافية تتحكم فيه كما تتحكم أثينا في اقليم أتيكا واسبرطة في اقليم لا كونيا . وحتى هذه الاجراءات لم تبق طويلا فقد ساعدت بيوتيا اللاجئين الأثينيين في اسقاط دكتاتورية مجلس الثلاثين الذي أقامته اسبرطة . وفشلت اسبرطة أن تفعل شيئا بسبب العداء الشديد بين قادة اسبرطة لوساندر وباوسانياس . وانتهى الأمر بعقد معاهدة بين أثينا وباوسانياس اعترف فيها بعودة الديمقراطية وبصورة أمثل . كل هذا بين مدى تأكل حجم الانتصار الاسبرطى على أثينا . ووجود نية المقاومة عند الأثينيين .



لقد حاولت اسبرطة منذ معركة نهر الماعز ولمدة ثلاثين عاما اقامة امبراطورية شاسعة تمتد فيما وراء البيلوبونيسوس . وفي غمرة الانتصارات نسيت شعارها الذي رفعته ابان الحروب البيلوبونيزية وهو « تحرير كافة المدن الاغريقية » فأخذت تقيم حاميات عسكرية في المناطق التي استولت عليها وعلى رأس كل حامية أمر اسبرطى harmost كما راحت تسقط الحكومات الديمقراطية وتقيم مكانها حكومات رجعية أوليجارخية تتمثل في مجالس العشرة decarchy ، وبهذا ضيقت قبضتها على المدن الاغريقية عن طريق هؤلاء الأوليجارخين الذين كرههم الشعب . وولد الخوف من ثورة الشعب عليهم العنف الدموى فيهم فراحوا يتخلصون من أعدائهم بالاستئصال الجسدى والنفى والتشريد لأن هذه الحكومات كانت تقوم على ف

الهارموسات الاسبرطيون أنفسهم

والربط « بعيدين عن قيود القانون » الليدروجسى « ولا رقيب عليهم فانطلقوا يعيشون في رفاهية وترف وكأنهم ملوك شرقيون . وكثيراً ما راحوا يوقعون بين الشعب والحكام الرجعيين بقصد إبقاء المدن الاغريقية ضعيفة ومقيدة اليدين بسبب صراعاتها الداخلية . هكذا كانت قبضة اسبرطة أعنف من قبضة أثينا على بلاد اليونان خاصة عندما راحت الامبراطورية تدر على اسبرطة ألف تالنت كل عام ، بل أن المدن الاغريقية التى انشقت على أثينا أثناء الحروب البيلوبونيزية راحت تروح تحت وطأة الجبروت الاسبرطى وتتمنى عودة الامبراطورية الاثينية الى جانب ذلك غضبت المدن الاغريقية من اسبرطة لخياقتها لقضية حرية أشقائهم فى آسيا الصغرى عندما تخلت عنهم للفرس فى صفقة سلام مع الشاهنشاه . وظل هذا الأمر يؤرق بالهم غيره على الهلينية وهم يرونها تحت رحمة الاستعباد الفارسى الشرقى بسبب خيانة اسبرطة لقضية الاغريق .

والى جانب ذلك لم تتخل اسبرطة عن سياستها القديمة وهى حماية

اليلوبونيسوس والمحافظة على بقاءه هادئا ولم تتوانى في اتخاذ خطوات حاسمة ازاء ذلك مثلما فعل الملك أجيس Agis عام ٤٠١ ق.م عندما قاد حملة ضد مدينة ايليس Elis لكي يعيد ايليس الى صوابها ، على حد تعبير كسينيفون .

وكان رد الفعل لسياسة استعراض القوة والعنف شديداً عند حلفاء اسبرطة فقد ساد الخوف بينهم بل أن تجبر شخصية الزعيم لوساندر Lysander (١) ولدت الخوف داخل المجتمع الاسبرطى نفسه وسرعان ما دب الخلاف بين اسبرطة وحلفائها فقد اعترضت كورثا وطيبة على فكرة اقامة حكومة اوليجارخية في أثينا حتى لا تصبح أثينا مخلب القط الاسبرطى ضد طيبة ، كما رفضت طيبة وكورثا الاشتراك في الحملة العسكرية الاسبرطية ضد ايليس . بل أكثر من هذا أخذتا تتعاطفان مع الحكم الديوقراطى الأثينى وتحاولان التحالف مع أثينا . وهما المدينتان اللتان طالبتا بتدميرها بعد هزيمتها في الحرب اليلوبونيزية .

كان لوساندر هو العقل المدبر وراء هذه السياسة العنيفة التى اعترض عليها الملك باوسانياس نفسه وكان يؤيده في ذلك عدد من الايفورات وبالفعل حدثت عدة قلاقل ضد حكومات العشرة في المدن الاغريقية والذي كان من تخطيط لوساندر . ووجدت اسبرطة نفسها وقد كسبت كراهية الجميع بعد أن فقدت عددا كبيرا من مؤيديها الذين أصبحوا يتعاطفون مع أعدائها . وساد الفرع على فقد الامبراطورية التى تدر عليها ألف تالنت سنويا فسارعت اسبرطة الى توريث الفرس في القضية بالصدقة حينما وبالعداء حينما آخرو . كانت الصداقة الفارسية الاسبرطية تقوم على رجلين صديقين هما لوساندر والأمير قورش Kyrus كان لوساندر ذا شخصية ونفوذ في اسبرطة بالرغم من أنه لم يكن ملكا . بل كان صانع الملوك فعندما مات الملك أجيس عام ٣٩٩ ق.م اعترض على تنصيب ابنه الأكبر بحجة الشك في بنوته واستطاع بنفذه أن يقيم

(١) عن لوساندر انظر الدراسات الآتية :

C.D. Hamilton Spartan Politics and policy, 405—401 B.C. Andrews.  
Tow Notes on Lysander, Phoenix, XXV 1971, p. 206—226.

أجيسلاؤس 'Agessilaos' وهو أخ غير شقيق لولى العرش ، أما قورش فكان أميراً ذا طموح يَتمنى أن يجلس على عرش فارس وكان يطمح أن تساعد أسبرطة في ذلك مستقبلاً . وعندما بدأ النزاع بين الأمير قورش وأخيه الأكبر الملك ارتاكسركسيس Artaxerxes أخذ الأمير الأصفر في اعداد حملة عسكرية من الاغريق المرتزقة للاطاحة بحكم أخيه ولم تتردد أسبرطة في مساعدته فالمعركة بالنسبة لها هي معركة بين بربرى وبربرى وأن ضحاياها سيكونون من البرابرة أيضاً وعلى أرض بعيدة عن أراضي بلاد الاغريق ، بل انها تمت أن ينجح قورش الصديق ، في خطته . ولكنها كانت تعرف أن هزيمة قورش يعنى فقدان صداقة بلاد الفرس وبداية الصراع معها .

#### قورش ورحلة العشرة آلاف مرتزق من الاغريق :

وكما قلنا ، بعد موت الملك دارا الثانى خلفه على العرش ابنه الأكبر ارتاكسركسيس ولكن حدث أن دب العداء بين الأخ الأكبر وأخيه الأصغر قورش والذي كان «سترابا» على آسيا الصغرى . وأخذ قورش يدبر المكائد للاطاحة بأخيه والجلوس على العرش مكانه . ومن أجل ذلك استطاع أن يجند جيشاً من المرتزقة الاغريق تحت قيادة أسبرطى اسمه كليارخوس وقد بلغ تعداد جيش قورش عندما سار به الى سوسا - عاصمة بلاد الفرس - ما يقرب من مائة ألف جندي من الشرق وثلاثة عشر ألف اغريقى مرتزق منهم عشرة آلاف وستماية جندي مشاه hoplites هم الذين أطلق اسمهم على المغامرة .

تترك هذا الحشد في ربيع عام ٤٠١ ق.م وأخفى قورش على الجنود هدف الحيلة الا من قائدها كليارخوس . وقيل للجنود أن هدف الحملة هو منطقة بيسيديا Pisidia في آسيا الصغرى وقد انطلت هذه الأكذوبة حتى على اكسينوفون Xenophon الأديب والمؤرخ وأحد الفرسان الاثينيين من تلامذة الحكيم سقراط . والذي بفضل اشتراكه في الحملة استطعنا أن نتعرف على تفاصيلها يوما بيوم وذلك لأن اكسينوفون سجل

يومياتها في كتابه الشهير الصعود Anabasis أى السير الى أعالي الشرق داخل قلب آسيا الصغرى والى قلب الامبراطورية الفارسية فيما وراء دجلة والفرات •

تحركت الجيوش من تجمعها في سارديس Sardis في آسيا الصغرى ولم تتجه الى يبيديا بل اتجهت شمالا ثم شرقا عبر ولاية كيليكيا Cilicia ومنها الى ميناء طرسوس وهناك عرف الجنود أنهم متجهون الى بلاد الفرس وساروا الى داخلها لمدة ثلاثة أشهر بعد تركهم شاطئ البحر • وعند ايسوس Issos وجد قورش أسطولا مجهزا ومعدا له وعليه سبعماية جندي أرسلتهم أسبرطة للأمير • وساروا عبر سوريا شرقا الى نهر دجلة حيث عبروا الى قلب الصحراء التى ساروا فيها لمدة اثني عشرة يوما حتى أشرفوا على بابل •

ولما علم ارتاكسر كسيس بتقدم أخيه أعد جيشا لملاقاته قوامه أربعماية ألف رجل وأخذ يقيم التحصينات والعوائق عبر بابل ولكن جيوش قورش عبرتها • وعند مشارف قرية كوناكسا Cunaxa التقى جيشا ارتاكسر كسيس وقورش • وكان الأخير يعلم طباع الشرق بأنه في حالة قتله للملك فان جيوش أخيه سوف تعلن الولاء له ولذا طلب من كليارخوس تشديد الحراسة حوله ولكن كليارخوس المتحذلق رفض ولم يشأ قورش أن يثير الخلاف بينه وبين الاغريق الذين فاتهم أن حياة قورش تعنى لهم الكثير • ولما بدأ الالتحام أنزل الاغريق الرعب في قلوب الفرس بينما اندفع قورش ومعه ستماية فارس لمهاجمة قلب دفاع الملك الذى كان يترصد أخاه وغريمه واندفع قورش غير مبال وهم يهاجم أخاه ولكنه أصيب بسهم قاتل وسقط صريعا ولما أشيع نبأ مقتل قورش تفرقت القوات الشرقية أما القوة الاغريقية فقد انسحبت الى خيائها حيث وجدتتها قد نهبت وأحرقت • ولكنها حافظت على نظامها وأبدت رباطة جأش منقطعة النظير في وجه هذه المحنة القاسية وهى في قلب قارة معادية ووسط متاهات جبلية لا يعرفون مخرجها وبالرغم من ذلك فقد

رفضوا دعوة ارتاكسيركسيس لهم بالاستسلام. عندئذ لجأ الملك الفارسي الى سلاح الخديعة فأوعز الى أحد ولاته واسمه تسافرنيس Tissaphernes أن يعرض على الجيش الاغريقي تزويده بالمؤونة وقيادته عبر الصحراء والجبال عبر طريق أقصر من ذلك الطريق الذي جاءوا منه. وساروا خلفه حيث عبروا بابل الى قلب ميديا (بلاد الفرس القديمة) ثم عبروا نهر الزاب الأصغر والزاب الأكبر في سلام. وفجأة دعى تسافرنيس قادة الجيش الخمسة الى خيمته بحجة التشاور ولما فعلوا ذلك قبض عليهم وأرسلهم الى سوسا عاصمة الملك ليحاكموا ويمدوا. وكان تسافرنيس يعتقد أنه بفعلته هذه سيجعل باقى أفراد الجيش يستسلمون. ولكن الجنود ازدادوا عناداً وعقدوا اجتماعاً حيث وقف أكسينوفون يخطب فيهم ليرفع من روحهم المعنوية وعلى أثر ذلك اختاروه قائداً لهم ليقودهم في عودتهم وكان أكسينوفون قد انضم الى هذه الحملة كجندى متطوع. وسار أكسينوفون بهم شمالاً مخترباً صحارى وجبال ووديان وعبر بهم أنهار وهو يواجه الأخطار من القبائل المعادية ويسجل يوميات هذه المغامرة الخطرة ولهذا جاء كتابه الصعود Anabasis سجلاً حافلاً بالشجاعة والمغامرة والنظام والتصرف العاقل في مواجهة الأخطار. انها ملحمة الألم والشجاعة « وأوديسا » واقعية.

وما أن حل شهر ديسمبر ببرده وثلوجه حتى كانوا على مشارف أرمينيا واستمروا في اتجاه الشمال عبر الجبال المغطاة بالثلوج وقد نال منهم الجوع والبرد والارهاق كثيراً حتى علموا أنهم يقتربون من البحر الأسود. وأخيراً سمع أكسينوفون صياحاً من طلائع القافلة التي كانت تستكشف الطريق من فوق صخرة فظن أن خطراً يلاحقهم فلما صعد اليهم سمعهم يهللون بجنون ثالاسا ! ثالاسا ! Thalassa ! Thalassa ! أى البحر ! البحر ! وبعد مسيرة أيام وصلوا الى مدينة تراپيزوس Trapezus على البحر الأسود وكان ذلك في ربيع عام ٤٠٠ ق.م. وهى مدينة اغريقية. وهناك استراحوا شهراً وقدموا الأضاحى وأقاموا مهرجاناً رياضياً على شرف زيوس المنتقذ ثم سافروا بحراً الى مدينة بيزنطة وهناك تشرق الجنود الذين كان عددهم قد تناقص الى ستة آلاف جندى ولكن

الغالبية العظمى منهم وجدت نفسها رفاق سلاح ولا يريدون التفرق بل البحث عن مغامرة جديدة ، فانضموا تحت قيادة قائد أسبرطى للعمل في خدمة أحد أمراء تساليا ولكنه خدعهم في أجورهم فتركوه . ولما قامت الحرب بين بلاد الفرس وأسبرطة قررت أسبرطة الاستفادة من خبرة هذه الفرقة . وبالفعل قبلوا العمل بعد أن قبضوا مرتباتهم مقدما وسافروا مع الجيش الأسبرطى في حملته ضد بلاد الفرس عام ٣٩٩ ومعهم أكسينوفون أيضا . وأخيراً عاد أكسينوفون الى بلدته الحبيبة أثينا بعد أن جمع مالا وفيراً ولكنه حزن كثيراً لأنه علم بموت معلمه وسيد سقراط . ولم تستقبله أثينا بالترحاب بل بالغضب لأنها كانت في ذلك الوقت متحالفة مع بلاد الفرس ضد أسبرطة ولهذا حكمت عليه بالنفى فاختر أن يذهب طواعية الى أسبرطة حيث اشترك مع الجيش الأسبرطى في عدة حروب ضد يوتيا وأثينا وأخيراً اختار قرية هادثة بالقرب من أوليمبيا ليستقر بها حيث قدم له الأسبرطيون بيتا ريفيا وزوجة لخدمته . وهناك انعكف أكسينوفون على الكتابة في الأدب والتاريخ حتى صودرت مزرعته بعد عام ٣٧١ ، فهاجر الى كورثا وبقي فيها حتى مات حوالي عام ٣٥٤ ق م .

ويعرف الدارسون للأدب الاغريقى مكانة أكسينوفون كأديب متنوع القدرات ، وفضلا عن ذلك فهو يكتب بأسلوب سهل مبسط وبالرغم من هذا فلم ينقصه الخيال الذى يصطنع المواقف ويجسم الشخصيات . والى جانب ذلك كان أكسينوفون فيلسوفا هاويا ، مؤرخا وخبراً في الاقتصاد حيث له أبحاث في هذا المجال ، كذلك فان أكسينوفون كان فارسا مغوارا وجنديا بارعا بفنون العسكرية . ولكن كان في كتاباته يميل الى الاتجاه الأخلاقى والتربوى وأثر ذلك على الفرد بل ويقدم حلولاً وعلاجا لمشاكل الأخلاق والمجتمع والاقتصاد ولكنه يكرر أفكاره مرات ومرات حتى تكاد أن تصبح ثقيلة على النفس .

والى جانب رحلة الصفود Anabasis كتب اكسيثوفون مؤثفا آخر هو هليلينكا Hellenica (١) فى سبع مجلدات بدأها من حيث انتهى ثوكوديديس تاريخه عام ٤١١ حتى عودة الديسوقراطية مرة أخرى على يد ثراسيبولوس ويستمر فى تسجيل جويلات الأحداث حتى موقعة مانتينيا عام ٣٦٢ ق م حيث اشترك فيها ولداه فى صفوف الجيش الأثينى ضد طيبة وسقط فيها أكبر أبنائه . كما روى فى مؤلف آخر اسمه «تربية قورش» Kyropaedia الذى كرسه لدراسة ونسبة وتربية مؤسس الامبراطورية الفارسية وهى ملحة رومانسية وسياسية وفلسفية كتبها فى ثمان مجلدات . ومن أعماله الكبرى أيضا مذكراته عن سقراط ودفاعه عن أفكاره وهى تعرف باسم Memorable أو الذكريات هذا الى جانب العديد من الأبحاث الصغيرة التى شملت عدة موضوعات متفرقة أهمها المأدبة Symposium وهى تدور حول مخاورات سقراط والاقتصاد أو الاويكونوميكوس Oeconomicus . وفيها يعرض آراء سقراط فى مجال الزراعة .

وكما سبق القول يعتبر أسلوبه أرقى المؤلفات الاغريقية الاثينية حيث لا يخلو من التشبيهات والألفاظ الجديدة والشاعرية المتأثرة بخكم رحلاته واقامته فى بلاد مختلفة . كما أنه استعار الكثير من كتابات من سبقوه خاصة فيما كتبه عن أفكار سقراط ولعل لعجابه بالشخصية الاسبرطية ودفاعه عنها يشرح ويبين طبيعته العملية الواقعية التى تتجلى فى كتاباته خاصة فى الهليلينكا .

وعلى أى حال فقد أثار مؤلفه « الاناباسيس » خيال المغامرين وخاق فى قلوب العسكريين والسياسيين آمالا رومانسية لغزو فارس . اذ لم تبض سنوات حتى كان الملك الاسبرطى اجينلاءوس يقوم بحملة عسكرية الى قلب بلاد الفرس باغت بالفشل ، ثم أعد فيليب الخامس ملك مقدونيا حملة مشابهة من كل الاغريق ولكنه قتل قبل أن يقوم بها والتى القدر اتسام هذا الحلم الرومانسى على أكتاف الاسكندر الأكبر .

(1) K : Bringman, " Xenophon's Hellenika und Agesilaos. zzu ihren Entstehungsweise und Datering, Gymnasium, LXXVIII (1972) pp. 224-241.

### تور العلاقات بين الفرس واسبرطة واندلاع الحرب :

كانت المدن الاغريقية في آسيا الصغرى قد استغلت اندلاع الصراع بين أرتاكسيركسيس الثاني وأخيه قورش ، خاصة بعد أن ارتفعت روحها المعنوية وهى ترى الأمير الثائر يعتمد على أشقائهم الاغريق في محاربة أخيه . فأعلنت الثورة ضد السلطة الفارسية ووجد والى آسيا الصغرى ، الجديد تسافرتين صعوبة شاقة في القضاء على ثوراتها وهو يعيدها بالقوة الى حوزة الامبراطورية الفارسية كما أن العلاقات بين الفرس واسبرطة كانت قد نرمت نتيجة لتأييد أسبرطة العسكرية لقورش بإرسال سبعمائة جندي لمساندته ، وبعد مقتل قورش أحس الملك أكسيركسيس بمرارة شديدة ازاء الاغريق عامة والاسبرطيين خاصة .

وأدركت أسبرطة أن الحرب بينها وبين الفرس قادمة لا محالة . فأثرت أن تأخذ المبادرة فتتذكر فجأة في عام ٤٠٠ ق م الشعار القديم وهو حق المدن الاغريقية في التمتع بالحرية والاستقلال ، فتلبى نداء اغريق آسيا الصغرى الذين راحوا يطلبون النجدة ضد سياسة القمع الفارسية . كما أن السياسيين الاسبرطيين كانوا ينظرون بتلهف شديد الى نهب مدن آسيا الصغرى الغنية والى تحقيق حلم مغامر في فتح بلاد الفرس نفسها . وتحركت قوة اسبرطية الى آسيا الصغرى بقيادة ديركوللديس Dercyllides ضمت اليها بقايا الجنود المرتزقة الذين حاربوا مع قورش . ولما وجد القائد الاسبرطى صعوبة في تحقيق هذا الحلم حاول استخدام قواته في الضغط على الملك الفارسى لقبول معاهدة سلام يعترف فيها باستقلال المدن الأيونية وبالفعل أرسل قائد الحملة الى الملك في عاصمته صوصا . وبناء على نصيحة وزيره فارنا بازوس Pharnabazus رفض الملك مثل هذا الاقتراح ، كما أشار الوزير على الملك باستخدام الأسطول في الحرب ونجح الفرس في تجنيد القائد الاثينى كونون Conon الذى كان قد فر الى فارس بعد تدمير أسطوله في معركة نهر الماعز لأن الفرس كانوا يدركون مدى تحرق كونون لغسل الاهانة المرة التى لحقت به وتحفزوه للانتقام من الأسطول الاسبرطى . وبالفعل عينه



الفرس قائدا للأسطول الفارسي الذي كان يتركز عند شواطئ فينيقيا ولا يقل عن ٣٠٠ سفينة حربية .

في هذه الأثناء كان الملك آجيس قد مات في أسبرطة واستطاع لوساندر أن يدفع بالأمير أجيسلاؤس الى كرسى العرش بدلا من المستحق الشرعى « ليوتوخيداس » وربما كان لوساندر على حق لأن هذه الشخصية كانت قادرة على تحقيق الكثير لاسبرطة فقد كان الملك أجيسلاؤس ذكيا وهادئا، مفكرا ورزينا الى جانب ما اتصف به من شجاعة. ولكن اعتراض الاسبرطيين الوحيد عليه كان بسبب نبؤة قديمة تحذرهم من ملك أعرج . ولم يكن ذلك عيبا ولكن العيب هو الغرور الشديد والطموح القاتل الذى اتصف به هذا الملك والذى يظهر في تلغفه الشديد لرأس الحملة العسكرية ضد الفرس (١) اذ كان يتخيل نفسه وهو يسير الى المعركة وكأنه أجاممنون وهو يقود الاغريق ضد طرواده . وسار الى ميدان القتال في آسيا الصغرى ومعه قوة من الاسبرطيين الجدد neodamones تقدر بألفين من الجنود كما كان يرافقه مجلس استشارى عسكري مكون من ثلاثين خبيراً على رأسهم لوساندر نفسه . ووصلت الحملة الى آسيا الصغرى عام ٣٩٦ ق.م ولكن حدث خلاف على اصدار الأوامر بين الملك ولوساندر مما اضطر الأخير أن ينسحب في دبلوماسية رقيقة بأن طلب من الملك ارساله على رأس حملة اسبرطية لتأمين منطقة بحر مرمرة والبحر الأسود حيث حقق بالفعل الكثير لاسبرطة في هذه المنطقة . أما الملك أجيسلاؤس فقد حقق عدة انتصارات ضد فريجيا وأحضر أسلابة كثيرة الى مدينة أفيسوس Ephesus كما ألحق بتسافرنيس وبقواته خسائر فادحة مما دعى الفرس الى عزل هذا الوالى وارسال والى

(١) جدير بالذكر ان هذا الملك قام بحملة الى وادى النيل عام ٣٦١ ق.م لمساعدة الملك المصرى تاخوس في حملته ضد فينيقيا الفارسية ولكن الخلاف دب بينهما ولما برز نختانبو كمدعى لعرش مصر سارع اجيسلاؤس لتأييده وهكذا تحولت حملته عن هدفها الاساسى وهو طرد الفرس من مصر الى التدخل في الصراع على العرش . كما أن المصريين استاءوا لكونه أعرجا .

جديد هو تراوستيس Tihraustes وكان هذا الأخير أكثر تعقلا فأخذ يسنعي للسلام وعرض على أجيسلاؤس اقتراحا بعقد معاهدة سلام تمنح فيها المدن الأيونية استقلالها مقابل دفع الجزية المالية للفرس ومقابل انسحاب الاسبرطيين من آسيا الصغرى ولما لم يكن من حق الملك الاسبرطى عقد أى معاهدة دون أخذ رأى الايوزانت فقد عقد هدنة لمدة ستة أشهر وأرسل صيغة السلام الى وطنه منتظرا جوابا . فى أثناء فترة الانتظار راح يكيل الضربات ضد ولاية فريجيا Phrygia حتى أجبر ملكها على أن يجثوا على قدميه طالبا السلام .

وفى منتصف صيف عام ٣٩٤ ق.م ظهر أسطول كوثون بالقرب من شواطئ آسيا الصغرى يحوم منتظرا الانقضاء على الاسبرطيين وبلغ من حقد فارنا بازوس على الاسبرطيين أن انضم الى قيادة هذا الأسطول . ولما علم أجيسلاؤس أعد أسطولا كبيرا يفوق أسطول كوثون ولكنه أخطأ عندما عين ضمه يساندر Pisander قائدا عليه وهو يجهل حروب البحر . واندفع يساندر للقاء كوثون قرب مدينة كيندوس Cindus ولكن كوثون تمكن من ايقاعه فى الترك ودمر أسطوله وقتله واستولى على ما تبقى من سفنه .

وما أن علمت المدن الأيونية نبأ هذه الهزيمة حتى ثارت ضد الحاميات الاسبرطية وطردت الهارموسات وأعلنت ولاءها للفرس لأنها كانت تعلم أن هزيمة كيندوس قد كسرت ظهر اسبرطة وأن التخاذل بدأ يدب فى امبراطوريتها وأن تعقل الحكم الفارسي أفضل من رعبونة الاسبرطيين .

اندلاع الصراع بين اسبرطة وحلفائها فى السيلوبونيسوس (٣٩٥ ق.م) :  
وبينا كان أجيسلاؤس يحلم بمعارك واقتصارات جديدة ضد بلاد الفرس اندلعت حركات التمرد ضد اسبرطة داخل عتق دارها فى السيلوبونيسوس . وكانت جذور هذا التمرد تمتد الى أيام انتصار اسبرطة على أثينا فى الحروب السيلوبونيزية فقد اجتهدت اسبرطة لنفسها بكل ثمار النصر ، وأخذت تعامل حلفاءها باستعلاء وباحتقار وتسلك معهم سلوكا مهينا قاسيا مثلما فعل الملك آجيس مع أهل المدينة أيلينس عندما

دخل مدينتهم ونهب أرضهم وفرض عليهم شروطاً مهينة كما طرد أحفاد  
اللاجئين المسيحيين من مستعمراتهم في ناوباكتوس وكيفالينيا .

ووجد الفرس فرصة لفتح جبهة جديدة ضد الاسبرطيين بتشجيع  
التمرد وتآليب المدن الاغريقية ضد اسبرطة ومن أجل ذلك أرسل الفرس  
عميلاً لهم من جزيرة رودس اسمه تيموكراتيس Timocrates راح  
يطوف بالمدن الاغريقية في أرجوس وكورنثا وطيبة يحرضها على الثورة .  
وكانت طيبة بالذات تثير شكوك اسبرطة نظراً لاتباعها سياسة توحيد  
اقليم بيوتيا تحت زعامتها ، وبدأ الصراع بنزاع على الحدود بين مدينتي  
فوكيس Phocis ولوكريس Locris وأيدت اسبرطة الأولى فما كان  
من لوكريس الا أنها طلبت من طيبة المعونة . ولم تردد طيبة في ذلك  
لأنها كانت تعلم مدى انشغال الجيش الاسبرطى في بلاد الفرس .  
وهددت طيبة بغزو البيلوبونيسوس وعقدت معاهدة صداقة مع الحلف  
الآثيني . أما الاسبرطيون فقد ركبهم الغرور وظنوا أنها فرصة نادرة  
وهي قمع الثورة داخل البيلوبونيسوس والقضاء على خطر طيبة ووضع  
الاسبرطيون خطة هي أن يطبق الجيش على طيبة من الشمال بقيادة لوساندر  
ومن الجنوب بقيادة باوسانياس وتكون مدينة هاليارتوس Haliartus \*  
هي نقطة الالتقاء . ولكن الملك باوسانياس تأخر في الوصول وتقدم لوساندر  
وحده ومن ثم أخذت قواته على غرة وسقط صريعاً . وفي فقدانته منيت  
اسبرطة بأكبر خسارة ، ولما وصل باوسانياس وجد أن خطته قد فشلت  
وحاول استرداد جثة الزعيم الاسبرطى . وفي نفس الوقت وصلت القوات  
الآثينية لمساعدة طيبة بقيادة ثراسيبولوس Thrasybulus وآثر باوسانياس  
السلام فعقد معاهدة انسحب بمقتضاها من بيوتيا ولم يذهب باوسانياس  
الى أسبرطة لأنه كان يعلم بالذى ينتظره هناك بل ذهب الى المنفى  
في تيجيا من تلقاء نفسه .

\* وهي مدينة صغيرة في وسط اقليم بيوتيا تطل على بحيرة كوبايس

Copais

### كورنثا تنور على اسبرطة ( الحروب الكورنثية ) :

وفي عام ٣٩٤ ق.م . احتفل المتحالفون الاغريق بانتصارهم على اسبرطة وتجمعوا حول أثينا مركز هذا التحالف المضاد والذي اليه انضمت كثير من المدن البيلوبونيسية أهمها كورنثا وطيبة وأرجوس . وكانت كورنثا أكثر المتحالفين تحمسا لاستمرار الحرب ضد اسبرطة وتحريضا على غزوها وتدميرها عن آخرها حين طلب مثلها القيام بحملة عسكرية مشتركة « لحرق الزناير وهي في عشاشها » (١) ويرجع السبب في اشتعال الحروب الكورنثية الى مؤامرات طيبة ضد أسبرطة في بلاد اليونان الوسطى ، يساعدها في ذلك تحريض الفرس بالرشوة والمال لاجداث الثورة ضد اسبرطة رداً على مساعدتهم للأمير قورش ولابعاد أجيسلاؤس عن آسيا الصغرى . وراحت أسبرطة تدافع عن زعامتها لبلاد اليونان بأن مساعدتها لقورش كان دافعها مصلحة المدن الأيونية الموجودة في آسيا الصغرى ولكن مثل هذا الادعاء كاذب لأن اسبرطة لم تكن تعنى كثيراً بقضية الحرية في بلاد اليونان اذ لم يمر ثلاث سنوات حتى نجدها تباع استقلال المدن الأيونية في آسيا الصغرى مقابل صفقة مع بلاد الفرس . وهذا التذبذب بين الظهور كمدافع عن المدن الأيونية وبين بيع قضيتهم للفرس هو بمثابة الاتهام الرئيسي الذي يمكن أن يوجه الى السياسة الاسبرطية .

كذلك فان هناك من يلتقى اللوم على اسبرطة في مسئولية قيام الحروب الكورنثية ويقولون أن مدينة فوكيس حليفة اسبرطة هي التي بدأت بالعدوان . حتى اكسينوفون نفسه وهو المتعاطف مع الاسبرطيين لا يخفى سرور وابتهاج الاسبرطيين بهذه الحرب أملا في معاقبة طيبة التي كانت تثير شكوكهم بمحاولة توحيد اقليم بيوتيا تحت زعامتها . ومن ثم يمكن أن تتهم الاسبرطيين بالغرور المطلق الذي أفقدهم توازنهم فنسوا الحدود التي يجب أن يتوقفوا عندها وهي البيلوبونيسوس فقط . لأن أقصى الطاقة الاسبرطية يتوازن مع السيطرة على البيلوبونيسوس ،

(1) cf. C.H.D. Hamilton, 'The Politics of revolution in Corinth', 395-386, *Historia*, XXI, 1972, P. 21-27.

أما الانتشار الى مناطق توسعية فيما وراء البيلوبونيسوس فإن في ذلك اختلال بالتوازن بين القدرة والسيطرة . وهذا الشيء هو الذى أدى الى هزيمتها فيما بعد .

لم ينتظر الاسبرطيون حتى يهاجمهم المتحالفون الاغريق فأرسلوا جيشا في عام ٣١٤ ق . م ، الى كورثا الت، دارت حولها المعارك حقق فيها الاسبرطيون انتصارات سياسية، اذ كسرت القيود وأ. ولم ينس الاسبرطيون خطر قدومه لمحاربة ييوتيا وتركه الجديد « أن يغادر أرض ا الى ييوتيا مخترقا ثراكيا ومه اجيسلاؤس بجموع الجيوش الوطيس سجل لنا اكسي اجيسلاؤس . وأخيراً حقق اذ بلاده لأنه أدرك عدم جدوى هزيمة اهل طيبه .

وفي هذه الأثناء كان كونون وفارنا بازوس يقومان بهجمات بحرية ضد الأراضي الأسبرطية على شواطئ البيلوبونيسوس تشجيعا للثورة ضد أسبرطة . وفي النهاية أهدى فارنا بازوس الأسطول الى كونون وطلب منه العودة الى أثينا للمساعدة في بناء قوتها البحرية واعادة بناء الأسوار بين أثينا وميناء بيريه والتي كانت اسبرطة قد أمرت بهدمها بعد هزيمة أثينا في الحروب البيلوبونيزية . هكذا كان كونون أول من أعاد بناء الأسوار منذ أن بناها سلفه القديم ثيمستوكليس ، أنه من باب السخرية أن يساعد الفرس أثينا في بناء أسوار بنيت أساساً لحماية المدينة منهم . وسرعان ما أحيا قيام الأسوار الحنين في نفوس الاثينيين الى المجد القديم واحياء الامبراطورية ولكن هدف الفرس لم يكن مساعدة أثينا بقدر ما كان هزيمة أسبرطة واحداث فتنة تشغلهم عن آسيا الصغرى .

تركزت معارك الجولة الأخيرة بين اسبرطة من ناحية وحلفائها الثائرين عليها من ناحية أخرى حول كورثا، وكانت كورثا قد حصنت

مينائها الشرقى والمغربى وأقامت أسوار بين المدينة وبين هذين المينائين وأصبحت بذلك تسيطر على الخليج المعروف باسمها . أما الانسبرطيون الذين جعلوا قيادتهم فى سيكيون Sicyon فقد حاولوا تدمير تحصينات كورنثة ولكنهم ردوا على أعقابهم خاسرين بفضل فرقة من المرتزة والمسلحين بأسلحة خفيفة Pelastes والثى كان يقودها ايفيكرايس Iphicrates . الأثينى . ولقد ثبت فى هذه المعارك مدى كفاءة الجنود المسلحين بأسلحة خفيفة وتفوقهم على الجنود المسلحين بأسلحة ثقيلة Hoplites حيث تمكنوا من التسلل الى خلف خطوط الاسبرطيين والقضاء على فرقة كاملة منهم فضلاً عن أعمالها الخاطفة النسيبة بحرب العصابات التى ألحقت الكثير بالجيش الاسبرطى فاضطر الملك أجيسلاؤس الى الانسحاب ليلاً عائداً الى اسبرطة بينما أكلت فرقة ايفيكرايس تحرير باقى مدن طيبة . حدث هذا فى الوقت الذى كانت فيه القوات الأثينية قد حققت نجاحاً كبيراً فى منطقة البحر الأسود حيث انضم إليها خلفاؤها السابقون مثل مدينة بيزنطة وجزيرة ثاسوس ومدن شبه جزيرة القرم Chersonese وخالكيدون ولسبوس وثاموسراكى وراج أسطولها يجمع المساهبات المالية للإمبراطورية الجديدة . وكان يمكن أن تستفيد أثينا كثيراً من مساعدات بلاد الفرس لولا حدوث أزمة مفاجئة بينهما بسبب تأييد أثينا لافاجوراس حاكم قبرص والذى انشق عن الامبراطورية الفارسية .

أسبرطة تمنحى لعزدة السلام مع الفرس وعقد «سلام» الملك عام ٣٨٧ ق م :

لجأت أسبرطة الى التحالف مع ديونيسيوس طاغية سيراكوزه بصقلية حيث أمدّها بأسطول قوامه عشرين سفينة ومن ناحية أخرى أدركت أسبرطة عدم جدوى تحدى دولة الفرس ولذا لجأت الى سياستها القديمة وهو التصالح مع الفرس وإقامة صداقة معهم واستخدام هذه الصداقة فى إخضاع المدن الاغريقية وان كان ذلك على حساب بيع حرية أغريق آسيا الصغرى للفرس . وما كان من السهل اقناع

ارتاكسيزكسيس<sup>(١)</sup> بعودة العلاقات مع الاسبرطيين لولا مجهودات الدبلوماسي الاسبرطي البارع انتالكيداس Antalcidas . حيث توصل مع الملك الى صيغة سلام يفرض بالقوة على كافة المدن الاغريقية وتكون اسبرطة مسئولة عن تطبيق نصوصه . وقبلت أثينا مجبرة هذا الصلح حيث دعى الى سارديس ممثلو الأطراف المتحاربة ثم قرأ تيريبازوس Tiribazus عليهم قرار الملك بعد أن أراهم خاتمه موضوعاً على هذه القرارات وجاء في هذا القرار المعروف بسلام الملك « أن الملك ارتاكسيزكسيس يرى أنه من العدل أن يؤول له مدن آسيا الصغرى وجزيرتي قبرص وكلازوميناي<sup>(٢)</sup> وفيما عدا ذلك تصبح كل المدن الاغريقية كبرىها وصغيرها حرة مستقلة باستثناء جزر لنوس وامبروس وبكوروس التي كانت تابعة للآثينيين منذ زمن سابق ومن يرفض هذا السلام فسوف أحاربه جنباً الى جنب مع الذين لهم نفس الهدف ( ويعني الاسبرطيين ) في البر والبحر بالسفن وبالمال » .

هكذا باعلان هذا «السلام المفروض» فقدت أثينا كل مجهوداتها لاستعادة امبراطوريتها القديمة كما زاد غضب الاغريق لحياسة اسبرطة لأشقائهم في آسيا الصغرى وأن يصبح الاغريق تحت تحكم الملك الفارسي يطبق عليهم شروطه كما يريد وسرعان ما انتشر العداء والسخط تجاه اسبرطة لأنها هي التي سعت الى عقد هذا الصلح بل أنها أقامت من نفسها وصية على مراعاة نصوصه من أجل التحكم في المدن الاغريقية .

اسبرطة تسعى معاملة المدن الاغريقية :

استلمت اسبرطة وضعها الجديد وصداقة الملك الفارسي وراحت ترتكب حياقات ضد المدن والتحالفات الاغريقية سالكة أسلوباً استبدادياً ، فكان استقلال المدن الاغريقية عندها يعني التفكك ومحاربة أى اتجاه للاتحاد ، وكان أول اسطدام لها مع حلف أولينثوس Olynthos الذي تكون من

(١) ويعرف في المصادر الفارسية باسم الملك ارتاخشاشا الاول

( ٤٦٤ - ٤٢٤ ) .

(1) Merkelbach, Das attische-Dekret Für Klazoumenai aus Jahr 287, Zeitsch. Für Papyr. und Epigr., XX, 1970, p. 32—36.

تحالف المدن الواقعة في شبه جزيرة خالكيدىكى وانضمت اليه معظم المدن الواقعة هناك فيما عدا مدينتا أبولونيا وأكانثوس Acanthus اللتان قاومتا أولينثوس وطلبتا العون من اسبرطة . وفي نفس الوقت استغلت اسبرطة الصراع الذى نشأ بين ملك مقدونيا أمونتاس Amyntas وبين جلف أولينثوس بسبب مطالبة الأخير برد أراضي كان قد أعطاها للحلف . ولم تتوانى اسبرطة في تلبية المعونة وأرسلت حملة بقيادة فويبيداس Phoibedas عبرت اقليم بؤتيا في طريقها الى مقدونيا وبعد معاركة طاحنة هزمت اسبرطة أولينثوس وأجبرتها على حل الحلف الذى كانت قد أقامته وأن تلتزم باتفاقية عام ٣٨٧ ق م . كذلك اتبعت اسبرطة نفس السياسة داخل البيلوبونيسوس حيث أمرت مدينة ماتينيا Mantinea بازالة حصونها ولما رفضت حاصرتها القوات الاسبرطية حتى سقطت وحولتها الى خمسة قرى منفصلة مثلما كانت عام ٥٠٠ ق م . ولم يتوقف الطغيان الاسبرطى عند هذا الحد بل راحت ترغم المدن على قبول العملاء الموالين لاسبرطة وتقييم الحكومات العميلة لها وتفرض على المدن حامياتها . وكانت بالطبع تستغل في ذلك صداقتها للملك الفارسى ولديونيسيوس طاغية سيراكوزة مما زاد من حقد المدن الاغريقية عليها حتى أن اكسينوفون المتعاطف معها وصف هزيمتها فيما بعد على يد طيبة « بأنه جزاءها على ما اقترفته في حق المدن الاغريقية » .

#### مؤامرة اسبرطة ضد طيبة ( ٣٨٢ ق م ) :

وبينما كان القائد الاسبرطى فويبيداس Phoibedas يخترق بيوتيا في طريقه الى مقدونيا اتصل به مجموعة من المتآمرين من أنصار اسبرطة في طيبة بقيادة رجل اسمه ليوتيداس Leontidas من أجل احداث انقلاب أوليجارخى للاستيلاء على الحكم والتخلص من الحزب الديموقراطى الجاكهم . وسهل المتآمرون للقائد الاسبرطى مهمة احتلال قلعة كادمية Cadmea التى تسيطر على طيبة ، واختير يوم عيد النساء Thesmophoria حيث تخلى القلعة من الرجال تماما حسب شعائر هذا العيد الدينى ولا يبقى فيها غير النساء وبالفعل وجد أهل طيبة حامية اسبرطية تحتل فجأة القلعة دون



مقاومة أو اراقة دماء وأقام المتآمرون حكومتهم الموالية لاسبطة وهي شبه دكتاتورية معتمدين في ذلك على الحامية الاسبرطية التي كان قوامها ألف وخمسمائة جندي وبدأت هذه الحكومة الاولي جارية في التخلص من معارضيها بالقتل والطرْد وفرت أعداد غفيرة من اللاجئين الى أثينا التي فتحت لهم أبوابها وأخذت تساعدهم على تنظيم أنفسهم من أجل تحرير بلادهم وكان من بين اللاجئين السياسيين رجل وطني اسمه يلوبيداس Palopidas كونه جماعة من سبعة من الرفاق من بينهم صديقه الحميم إبامينونداس Epaminondas وقرروا القيام بمؤامرة لطرْد الاسبرطيين وإعادة الحكم الديموقراطي الى طيبة . وبعد اتصالات بالمتعاطفين معهم داخل طيبة والذي كان على رأسهم نائب الزعيم في طيبة تسللوا عائدين وهم متخفون في زي الصيادين ودخلوا بوابات المدينة مع جموع الفلاحين العائدين من حقولهم دون أن يعلم بأمرهم أحد ولما اتفق على موعد المؤامرة دعى نائب الزعيم الطبيعى أعضاء الحكومة الحاكمة الى حفل كبير وعدهم فيه بتقديمهم الى نساء جميلات من علياء القوم ولم تكن هذه النساء الا يلوبيداس ورفاقه الذين أغمدوا خناجرهم في صدورهم ثم سارعوا باطلاق السجناء السياسيين وفتحوا الأبواب لعودة المنفيين وعلان الثورة الديموقراطية . واجتمع المجلس الشعبى في سوق المدينة حيث حيا شجاعة أبطال طيبة السبعة (١) وانتخب ثلاثة منهم من بينهم أبامينونداس كوزراء Polemarchs في الحكومة الديموقراطية الجديدة والتي طالبت بجلاء الحامية الاسبرطية من قلعة المدينة ولم يجد قائد الحامية فائدة في المقاومة حتى وصول فجدة من اسبرطة لأن الثوار كانوا يحاصرون القلعة فأعلن رضوخه لمطالبهم بالجلاء عن القلعة ولما عادت الحامية الى اسبرطة قبلت بالغضب وحوكم ثلاثة من قادتها ، أعدم اثنان ونفى الثالث خارج البلاد ، وحاول الملك كليومينيس استرجاع القلعة بقوة عسكرية ولكنه استدار عائداً قبل أن يصل الى طيبة .

(١) ربما كان في ذلك اشارة الى الاسطورة القديمة المسماة بالسبعة

أسبرطة ترتكب حماقة مماثلة ضد أثينا ٣٧٨ ق م :  
 كانت أثينا أيضا تشك في نوايا طيبة بالرغم من تأييدها لها وكان يمكن  
 لأسبرطة أن توسع من هذا الشك لتضم اليها أثينا وبالفعل جرت محاولات  
 أسبرطة لكسب ود أثينا وردت أثينا مظهرة استجابة أكبر عندما حاكمت  
 الضباط الأثينيين الذين اشتركوا مع ثوار طيبة وأعدمت واحدا منهم ونفت  
 الآخر ولكن فجأة وبدون مبررات نجد أحد القادة الأسبرطيين واسمه  
 سنفودرياس Sphodrias وكان يشغل قائد حامية مدينة تسبياس  
 Thespieae الواقعة على الحدود الشمالية لأتيكا ، نجده يسير فجأة ليلا  
 محاولا اختلال مناء يريه الأثيني ردا على تعاقب أثينا مع أهل طيبة  
 وتأيدها للثوار . ولكن هذا العدوان فشل فشلا ذريعا . وساد الغضب  
 في أثينا وكان يمكن لأسبرطة تصحيح هذا الخطأ بحكمة هذا  
 « الهارموس » ولكنه كان صديقا للسلوك أجيلاؤوس الذي تدخل  
 لتبرئته . مما جعل الأثينيين يتهمون الملك الأسبرطي بتدبير هذا العدوان  
 على أراضيهم . وكان ردها بذ كل محاولات السلام مع أسبرطة وتوثيق  
 التحالف مع طيبة وكانت أثينا وقتئذ منهكة في بناء امبراطوريتها  
 الكونفدرالية الثانية .

#### طيبة تكون قوة عسكرية ضاربة :

بعد أن استتب الحكم الديموقراطي في طيبة أخذت تستعد لبناء قوة  
 عسكرية تمهيدا للدخول في معركة فاصلة مع أسبرطة وكان يلويداس  
 هو المخطط العسكري بينما كان صديقه ايبامينونداس المخطط السياسي .  
 وكانت القوة العسكرية في طيبة تقوم أساسا على فرقة قوامها مائة وخمسون  
 زوجا من الرجال الأصدقاء كل يحارب جنبا الى جنب مع أعز صديق له (١)  
 وبالفعل ثبت كفاءة وفاعلية هذه الفرقة من الجنود المشاه hoplites  
 بحسن التدريب والتكتيك الجديد بينما لم نجم ايبامينونداس في مجال  
 السياسة . فقد كان رجلا متواضعا ، قادرا ووطنيا وشجاعا . والى جانب  
 ذلك فقد كان حكيما على قدر كبير من الثقافة الفلسفية خاصة البيثاجورية

(١) وهو ما يعرف بالفرقة المقدسة Sacred Band

كما كان رجلا زاهدا في المال والجاه ورغم هديوته فقد كان خطيبا بفوها .  
لقد لمع نجمه في عام ٣٨١ عندما انتخب رئيسا لببوتيا Boeotarch  
المتحدة بعد طرد كل الحاميات الاسبرطية وبعد الحاق الهزيمة بالاسبرطيين  
في عدة مواقع أهمها موقعة تجورا Tegyra والتي أضرت كثيرا بسبعة  
الجيش الاسبرطي التقليدي .

أثينا توالى ضرباتها الانتقامية ضد اسبرطة ( ٣٧٦ ق م ) .

كان الأسطول الأثيني بقيادة خابرياس يقوم بحراسة الطريق بين  
البحر الأسود وجزر بحر ايجه حيث كانت أثينا تستورد القمح لغذاء  
شعبها وحدث أن حاول الأسطول الإسبرطي أن يقطع هذا الطريق على  
أثينا وكان قوامه ثمانين سفينة وعند منتصف الطريق بين جزيرتي ناكسوس  
وباروس انتقض الأسطول الأثيني على الأسطول الاسبرطي ودمره تماما  
وهكذا شفي قادة الأسطول البحري الأثيني غليم القديم وانتقم خابرياس  
لوزيمته البحرية القديمة في أرجينوساي Arginusae أباب الحروب  
اليلوبونيزية . وفي مطلع عام ٣٧٥ ق م ظهر أسطول أثينا وحلفائها  
خارج شواطئ اليلوبونيسوس وحدث أن ثارت جزيرة كوركيلا وأعلنت  
انضمامها إلى التحالف الأثيني الجديد ولكن الأسطول الاسبرطي وصل  
إلى شواطئ كوركيلا وحاصرها بغية إسقاط الحرب الديوقراطي  
الموالي لأثينا ولكن أهل الجزيرة قاوموا هذا الحصار بشراسة وصنوه  
وقتلوا قائد الأسطول الاسبرطي قبل وصول الأسطول الأثيني الذي  
تأخر وصوله بسبب فشل المجلس في تعزيز الأموال والرجال البلازين لهذه  
العملية مما دعى المجلس إلى تعيين قائد جديد للحملة وفر القائد القديم  
تيموثيوس Timotheus إلى مصر . حل الخانة في جيش الموالي  
الفارسي هناك .

وإزاء ذلك غضبت اسبرطة للبسرة الثانية أوقفت محاولات التقرب  
إلى أثينا لعقد سلام معها ولكن لسوء حظ اسبرطة حدثت سلسلة من  
الزلازل في اليلوبونيسوس أحدثت خسائر فادحة مما دعاها إلى طلب السلام  
رسميا مع أثينا التي استجابت لهذا الطلب تحت ضغط الأزمة الاقتصادية

التي كانت تعانيها من ناحية ولتخوفها من مطامع طيبة من ناحية أخرى خاصة بعد أن بدأت الأخيرة في مهاجمة فوكيس Phocis التي كانت قد أعلنت انضمامها الى التحالف الكونفدرالى الأثينى ، كما أن طيبة هاجمت مدينة بلاتيا Plataea وشردت أهلها الذين كانوا يعتزمون الانضمام الى التحالف الكونفدرالى الأثينى وتدفع عليها لاجئوها هكذا وجدت المدينتان المتحاربتان نفسيهما مرهقتين من طول القتال وتترنحان من الارهاق ونضب الموارد بينما لاح في الأفق خطر داهم عليهما ألا وهو طيبة فلم يجدا بديلا من تكوين تحالفة لوقف هذا الخطر الجديد .

#### صلح كالياس Callias ٣٧١ ق م :

وتحت الحاح الحاجة أرسلت أثينا وفدا من ثلاثة مندوبين الى العاصمة الأسبرطية يترأسه سياسى ماهر اسمه كالياس ودعت أسبرطة كافة المدن الاغريقية الى ارسال وفود اليها من أجل التوصل الى صيغة سلام عادل ومقبول يفرض بالقوة على غرار صلح الملك . وأرسلت طيبة وفدها برئاسة ابامينونداس واتفق الأثينيون والاسبرطيون على صيغة تضمن استقلال كل المدن الاغريقية وكان المقصود بها احراج طيبة ولأن هذا كان يعنى أيضا حل الامبراطورية الأثينية الثانية وحلف أسبرطة الا أن الاتفاق سمح بقيام التعاون والاتحاد بين المدن من تلقاء نفسها وليس بالارغام والاجبار ولكن عند التوقيع على هذه الاتفاقية أصر ابامينونداس على أن يوقع باسم بيوتيا وليس باسم طيبة وجادل في ذلك بقوله أن بيوتيا وحدة جغرافية اقليمية متحدة مثل أتيكا بالنسبة لأثينا وعندما سأله الملك أجيسلاؤس محتدا « هل لكم أن تتركوا كل مدينة في بيوتيا وشأنها » رد بقوله : « هل لكم أن تتركوا كل مدينة في لاكونيا وشأنها » . عندئذ أمر المجتمعون بشطب اسم طيبة من الاتفاق وصوت المجلس الشعبى الأسبرطى على قرار بارسال حملة على الفور لهزيمة طيبة ولم يتمهل الاسبرطيون ويستمعوا الى نصيحة أحد أعضاء المجلس الذى طالب بالتريث لحين اعداد حملة مشتركة من كافة الموقعين على اتفاقية كالياس بل سخرؤا منه ووصفوا حجته بأنها « رأى تافه » .

هكذا جاء صلح كالياس نهاية لتاريخ طويل من الحروب بين أثينا وأسبرطة حيث استعادت أثينا قوتها وسيطرتها بعد هزيمتها في الحروب البيلوبونيسية على حساب أخطاء أسبرطة التي أرهقتها الهزائم المتعددة في البر والبحر وكانت هزيمة كوركيرا آخرها ، كما أن نضب مواردها أعاقها عن تحقيق أحلامها . لقد كان صلح كالياس اعترافا من جانب أسبرطة بفشل سياستها في تحقيق مطامع سياسية على حساب صلح الملك عام ٣٨٧ ق م ، وتخليها عن أحلام تحقيق امبراطورية شاسعة .

#### تحالف طيبة مع ياسون ملك مدينة فيراى في تساليا :

وفي وجه هذا الخطر والعزلة سارعت طيبة الى التحالف مع ياسون طاغية مدينة فيراى Pherae في تساليا وكان هذا الطاغى يأمل في توحيد تساليا تحت زعامته مستخدما الدبلوماسية والقوة العسكرية في آن واحد وهو نفس الطريق الذى اتبعه فيليب المقدونى فيما بعد . واستطاع ياسون أن يكون فرقة عسكرية قوامها ستة آلاف جندى تمكن بها من فرض سيطرته على منطقة شاسعة من شمال بلاد اليونان تمتد من مقدونيا شرقا الى ايبيروس Epirus غربا ووحده هذه المنطقة وعين نفسه حاكما عليها يحمل لقب تاجوس Tagus . لقد كان هدف ياسون هو اضعاف أسبرطة من أجل الاستيلاء على بعض أراضيها ومن أجل ذلك تحالف مع طيبة ضد أسبرطة ليحصل على نصيب من الأسلاب في حالة هزيمة أسبرطة وقبلت طيبة هذا التحالف لكسر العزلة السياسية التى فرضت عليها بعد صلح كالياس .

#### معركة ليوكترا ونهاية أسبرطة ( يولييه ٣٧١ ق م ) :

صدرت الأوامر الى كليومبروتوس بالتحرك نحو طيبة وترك الحرب مع فوكيس وفي الحال امثل للأمر وسار الى طيبة . وهناك وجد جيوشها محصنة في مرتفعات ليوكترا . وقد لعب التكتيك العسكرى الذى أدخله ابامينونداس وييلوبيداس دورا كبيرا في تحقيق النصر على الأسبرطيين الذين كان جيشهم يقارب الأخذ عشرة ألف رجل بينما كان جيش طيبة لا يتعدى ستة آلاف رجل الا أن سرعة التحرك واستخدام الفرسان

لتفريق مؤخرة العدو أمكنها من إيقاع الجيش الأسبرطي في كمين. قاتل سقط فيه ما يقرب من ألف أسبرطي وكاد كليومبروتوس نفسه أن يسقط قتيلا. ولزاء هذه الهزيمة الغير متوقعة طالب قائد الجيش الأسبرطي بعقد الهدنة بحجة دفن قتلاه بينما كان يطمع في الحصول على نجدة تساعده على تغيير ميزان المعركة لصالحه. وانسحب الأسبرطيون إلى خنادقهم بينما أرسل أهل طيبة إلى حليفهم باسون يطلبون النجدة. وما أن وصلت الدعوة حتى انطلق باسون محترقا المناطق التي كان يتمنى الانهتلاء عليها وبعد سبعة أيام ووصل إلى مكان المعركة. وهناك دعاه أهل طيبة إلى الهجوم والاكمال على ما تبقى من الجيش الأسبرطي ولكنه راوغ أهل طيبة حتى لا يفقد صداقة اسبرطة إلى الأبد وحتى لا يحقق أهل طيبة نصرا على حنايه. وبدلا من الهجوم على الأسبرطيين توسط بين الأطراف المتحاربة واستطاع أن يقنع الأسبرطيين بترك يوتيا كلها ويعودوا إلى بلادهم. بينما عاد باسون إلى مستوليا على هيراكليا في طريقة وأخذ يستعد لاستعراض قوته عند ه الألعاب الأولمبية طمعا في ترأس المجلس الامفكتيوني ولكنه حين على يد سبعة من الشباب وانهارت كل أحلام فيراي في أن تصبح قوة اتحادية في شمال بلاد اليونان بينما سر ذلك طيبة جيدا لأنه أراح إحدى القوى المناوئة لها في بلاد اليونان من طريقها لتنفرد على مسرح السياسة في بلاد اليونان وتصبح زعيمته الأولى بلا منازع أو منافس. أما الأسبرطيون فقد حاولوا تنظيم صفوفهم تحت قيادة أرخيداموس ابن أجيسلاؤس ولكن الوقت كان متأخرا. وكان تأثير هذه الهزيمة على نفسية الأسبرطيين مدمرا لأنه كسر ظهرها وانهى قيادتها للعالم الاغريقي.

تحليل تاريخي لأسباب سقوط الإمبراطورية :

لاشك أن سقوط الإمبراطورية الاسبرطية جدير بالتحليل التاريخي لأنه جاء نتيجة لعدة عوامل سياسية واجتماعية ونفسية. كان التذبذب والتخبط في السياسة الاسبرطية من أهم العوامل التي ساعدت على سقوط الإمبراطورية فحينما نجد أسبرطة تعقد الصفقات

مع بلاد الفرس من وراء ظهور الاغريق وعلى حساب أشقائهم في آسيا الصغرى وحينا تظهر أسبرطة كمظهر المدافع عن حرية الاغريق واستقلالهم مما أفقد الثقة بها بل ان تأمرها مع الفرس حط من قدرها بين الدويلات الاغريقية خاصة وأنها أحكمت من قبضتها على المدن الاغريقية باقامة الحكومات الأوليجارخية العسيلة لها وباقامة الحاميات وتعيين القواد أو « الهارموسات » عليها واذلال المدن الاغريقية بسياسة الاستعلاء والحق الاهانات دون أى اعتبار أو احترام لاحساس الاغريق . هذا الجبروت والقوة ولد للإهبة من أسبرطة لدى حلفائها الاغريق وسرعان ما انفجر هذا الخوف الى الثورة عليها .

عندما أذيع نبأ انتصار أسبرطة على أثينا في الحروب البيلوبونيسية لم يتفائل أحد بل تذكر الناس قولاً مأثوراً شائعاً يقول ان نهاية أسبرطة ستكون بسبب ثرائها . لقد تدفق الثراء على أسبرطة بشكل لم تعرفه من قبل فالامبراطورية — كما ادعى البعض — كانت تدر عليها ٤٠٠ تالنت سنوياً فضلاً عن الأسلاب والغنائم التي كانت تعود بها الحملات العسكرية التي شنّها لوساندر ثم الأسلاب التي عاد بها الملك أجيسلاؤس من حملته ضد آسيا الصغرى فضلاً عن الضرائب والاتاوات . هذا الثراء تسبب في فساد أخلاق الأسبرطيين وانتشار الرشوة بينهم ، ان سر قوة أسبرطة كان يكمن في تربية ونشأة المواطن عسكرياً والانضباط الكامل والالتزام بقوانين ليكرجوس والبساطة والتقشف وبذ الثراء والعيش في مجتمع المساواة ، كل هذا قد تحطم بتدفق الثروة فلم يعودوا يلتزمون بالقواعد القديمة القاسية . واذا كنا نتهم المواطن الأسبرطى باهمال قوانين ليكرجوس فاننا نتهم قوانين ليكرجوس بأنها هي التي شجعت المواطنين على الخروج عليها . لقد كان هذا النظام جامدا لا يتطور وغير مرن ولذا لم يعد يناسب ظروف الامبراطورية الجديدة والانطلاق الى ما بعد حدود البيلوبونيسوس .

لقد كانت الامبراطورية بداية نكبة أسبرطة فمواطنوها لم يعودوا رجالاً. أشداء جادين مثل الجيل الأول الذى وضع أساس المجتمع القديم بل صورة شاحبة منه ، كما أن تغير الظروف سبب تغير الأحوال ومن ثم حدث تخلخل فى بناء المجتمع الأسبرطى وأصبح على شفا ثورة اجتماعية فمثلاً نسمع عن حركة تمرد يقوم بها الأسبرطيون المعتبرون من الدرجة الثانية hypomeiōnes . وهم مواطنون أسبرطيون وليسوا من المستعبدين الذين انضموا اليهم فى جبهة واحدة ضد الطبقة الأسبرطية ذات النفوذ وقام بالتمرد الذى حدث فى عام ٣٩٨ أسبرطى من المبعدين أو المنبوذين اسمه كندانون Kindanon وبسرعة قضت أسبرطة على هذه الحركة وأعدمت زعيمها ولم نسمع عنها شيئاً ولكنها كانت دليلاً على الصراعات الاجتماعية التى تغلى فى باطن المجتمع الأسبرطى . كان ثورة كندانون موجهة ضد القوة الحاكمة من طبقة الأسبرطيين ذوى النفوذ . وكانت عناصر الثورة تقوم على جبهة عريضة من الساخطين سواء من طبقة المواطنين أو دونهم . والساخطون من طبقة المواطنين كانوا يشملون أيضاً مواطنى الدرجة الثانية hypomeiōnes وهم المواطنون الذين سلبت منهم بعض الحقوق والامتيازات بسبب عجزهم عن الالتزام الكامل بواجباتهم وبالقوانين الليكرجية ، وكذلك طبقة المواطنون الجدد neodamodeis وهم من الهيلوت والمجاورين الذين خدموا فى الجيوش الأسبرطية من أجل الحصول على الجنسية بعد عتقهم من العبودية وقد تطوعت أعداد كبيرة من هؤلاء فى الحروب البيلوبونيسية ومع أجيسلاؤس فى حملته ضد آسيا الصغرى . وبعد عودتهم من الحروب والمخاطر حصلوا على جنسية اسمية لأنهم حتى فى أثناء الحروب كانوا يحاربون فى جيوب متفرقة وليس مع « الرفاق » الأسبرطيين .

ومن ظواهر التخلخل فى المجتمع الأسبرطى ضعف شخصية الملوك وظهور شخصيات من الموظفين طغت على شخصياتهم بل وأصبحت تتحكم فيهم أو بمعنى آخر ظهور مراكز قوى متعددة خلخلت ميزان القوى داخل



المجتمع ومن هذه الشخصيات براسيداس ولوساندر وكلاهما لم يكن ملكا بينما فاقا سلطة الملوك مما سبب الكثير من المشاكل . كذلك فان التوسع في منح السلطة أو الافتتاح في منح الجنسية لدائرة أكبر من المواطنين أفقد التوازن القديم فلم تعد المناصب مصطفىاه على دائرة ضيقة من المواطنين الاسبرطيين بل شملت أطراف المجتمع الاسبرطى وضمت عناصر أبعد ، ومن أمثلة هؤلاء يجيء الايفوزات الذين زادت سلطتهم وطفى سلوكهم وسلطانهم في الداخل وعلى القادة العسكريين في ميادين القتال . وهؤلاء المواطنون الجدد لم يكونوا من نفس الجوهر الذى كان عليه أسلافهم . ويقول أرسطو أن الايفورات في أيامه كانوا ينتمون الى دائرة اجتماعية أوسع حتى من التى ينتمى اليها مجلس الشيوخ « الجيروسيا » .

لقد كان هناك قلق يسود النظام الاسبرطى بأكمله سرعان ما تفجر الى صراع مكشوف حينما ظهر عجز النظام الليكرجوسى وفساد مواطنيه . ولم يكن الثراء وحده هو العامل المسئول عن فساد المواطنين بل أن ظهور المطالب الجديدة في ظل ظروف جديدة جعلت النظام الحديدي القديم عاجزا على أن يتماشى مع الأوضاع الجديدة . هذا الى جانب أخطاء كثيرة كان لها رد فعل جديد مثل غرور واستعلاء قادة الحاميات الاسبرطية harmosts ومغالاتهم في التبذير وتقليد ملوك الشرق . ومثل جنون الملك اجيسلاؤوس بالعظمة حتى خيل له بأنه أجامنون الجديد يسير ليدمر طروادة ، والغرور والانخداع بالنفس الذى ساد المجتمع الاسبرطى خاصة بين العسكريين لدرجة الترحيب بالدخول في حرب ضد طيبة في نفس الوقت الذى يحاربون فيه الفرس أقوى دولة في الشرق الأوسط وقتذاك .

لقد قدم لنا أرسطو فيما قل ودل وجهة نظره عن أسباب سقوط الامبراطورية الاسبرطية بقوله « لقد كان للأسبرطيين دائما الفوز في ميدان الحروب ولكن الامبراطورية دمرتهم وذلك لسبب بسيط : هو أنهم لم يكونوا يعرفون كيف يستفيدون من المزايا الجديدة التى اكتسبوها

كما أنهم لم يتعودوا على أى مهارة ذهنية أخرى تفوق مهارتهم فى فن الحرب » .

ولا يمكن أن نفعل فى تحليلنا الصراع الخفى بين الملوك والشخصيات القوية فى اسبرطة وبين نظام ليكرجوس ولو . قدر لهذه الشخصيات أن تعيش مدة أطول لقادت حركة اصلاحية ضد هذا النظام ولكن الأحداث كانت تعصف بها فمثلا لقي لوساندر مصرعه فى معركة هاليارتوس عام ٣٩٥ وبقى باوسانياس لفشله فى نجده .

ومن الجدير بالذكر أن باوسانياس كان دائم الهجوم على النظام السياسى للدولة وعلى قوانين ليكرجوس حتى لوساندر أشيع بعد موته أنه كان يخطط لجعل الملكية . بالانتخاب وترشيح نفسه لهذا المنصب . وهذا دليل على أن قوانين ليكرجوس الجأمة كان تحت الهجوم المستمر . ولكن بمقدم الملك أجيستلاؤس بشخصيته الطاغية اختفت ارهاصات المعارضة والاصلاح .

مهما يقال عن الملك أجيستلاؤس فلقد كان أعظم ملوك اسبرطة قدرة وكفاءة وربما أجل قدومه سقوط الامبراطورية التى كانت تترنح . كان هذا الملك سياسياً ، داهية ، سريع التصرف ، حاسم القرار ، كما أنه كان جنرالاً عسكرياً قديراً مشهوداً له ، ولهذا كان اختيار لوساندر له سليماً فما أن أعتلى العرش حتى أمسك بزمام الأمور المترنحة جيداً وقاد الأمة الاسبرطية فى طريقها التقليدى حتى موته عام ٣٦٠ ق . م . وهو فى سن متقدمة جداً . كان الخطأ الوحيد الذى وقع فيه أجيستلاؤس هو سياسة المتاجرة باستقلال وحرية مدن آسيا الصغرى الاغريقية وبيعها للفرس مقابل رضا الفرس عن تصرف اسبرطة فى بلاد اليونان الأم وإطلاق يدها تفعل بهم ماتشاء . مناقضا بذلك مابداً به عهده باعلان الكفاح لاسترداد حرية الاغريق فى آسيا الصغرى من الملك الفارسى . وقد لجأ أجيستلاؤس الى التصالح مع الفرس بعد تأكده من فشل فكرة السيطرة الكاملة وذلك بسبب الهزائم التى لحقت به فى البحر على يد الأسطول الفارسى

بقيادة كونون في كنيديوس ٣٩٤ اهتزت عن أثره الامبراطورية فيما وراء البحار وبدأت تتفكك وتلى ذلك الهزيمة البرية في نيميا في اليلوبونيسوس عام ٣٩٤ مما دعا الى السعى الى السلام مع الفرس فأرسل دبلوماسيا ماهرا هو أنتالكيداس للتوسط في عقد صلح الملك الذي فسره الاسبرطيون بطريقتهم الخاصة وهو استمرار سيطرتهم على ممتلكاتهم بينما يحظر على باقى الدويلات الاغريقية خاصة طيبة أن تتوسع اقليميا أو خارجيا تحت شعار الحرية لكل المدن الاغريقية وكان تفسير كلمة « الأوتونوميا » ( أى الاستقلال ) التى تردد ذكرها - فى نظر الفرس وأسبرطة هو حظر قيام الاتحادات الكونفدرالية بين الاقاليم الاغريقية المتجانسة عملا بسياسة «فرق تسد» ويذكر لنا أكسينوفون شيئا هاما يتجلى فى اقتراح مندوب أسبرطة بتعديل فقرة من صلح الملك كانت تقول « فسأحاربه جنبا الى جنب مع الذين يرغبون » الى « فسأحاربه عن طريق توكيل لمن يرغب فى ذلك » مما يدل على نية أسبرطة فى أن تكون « الوكيل العام » لتطبيق سلام الملك .

وهناك رواية تقول أن الملك أجيسلاؤس أنهم بالتعاطف مع الفرس فرد قائلا « لا بل هم الفرس الذين يتعاطفون مع أسبرطة » .

وكان رد فعل هذا السلام هو تكاتف الولايات الاغريقية ضد الفرس وأسبرطة وقيام الامبراطورية الاثينية الكونفدرالية . وتكونت جبهة متحدة من طيبة وأثينا وكورنثا وأرجوس لتقف فى وجه أسبرطة ولأول مرة وصل الحزب الديموقراطى الى الحكم فى كورنثا التى انضمت الى أثينا ولكن هذا لم يدم طويلا بعد هزيمتها على يد أسبرطة وأعادتها الى حظيرة الحكومة الأوليجارخية والى عضوية حلف اليلوبونيسوس بالقوة .

الى جانب بيع استقلال وحرية المدن الأيونية ارتكب أجيسلاؤس حماقة كبرى بعدم احترامه لاحساس المدن الاغريقية ومشاعرها الوطنية وغيرتها على استقلالها ونظامها السياسى فقام بعدة تصرفات سخيفة قصد بها اذلال هذه المدن ، فمثلا هاجم مدينة مانتينيا الديموقراطية

عام ٣٨٥ ق.م ودمرها وحولها الى خمسة قرى صغيرة وبذلك أرجع عقارب الزمن الى عام ٥٠٠ ق.م الميلاد عندما برزت هذه المدينة بعد اتحاد قراها الخمسة ، وأكثر من هذا جعل السلطة في يد الطبقات الأوليجارخية . وفي عام ٣٨١ أمر مدينة فلايوس Phleious بالسماح للهاربين الأوليجارخين بالعودة اليها ثم عاد فحاصرها حتى استسلمت ثم ترك فيها حامية لتحرس الحكم الأوليجارخي الجديد . أضف الى ذلك حماقة الاستيلاء على قلعة كادميا Cadmea ومحاولة الاستيلاء على ميناء يريه . ولا ننسى الحملة التي أعدها هذا الملك ضد اتحاد أولينثوس الفيدرالى وارغامه هذا الاتحاد على حل نفسه عام ٣٧٩ ودخول مدنه رطة كل هذه التصرفات تكاد أن تكون ذات طابع عدوان والقسوة والاحتقار وفرض التفريقة تحت اسم يؤكد أنها صادرة من عقلية واحدة وهى عقلية الملك

اجيسلاوس .

أما فيما يختص بسياسة اسبرطة مع حلفائها القدامى داخل البيلوبونيسوس فقد طرأ عليها التغير أيضا . نعم لقد ظل مجلس الحلف Synod يجتمع ولكن ليس بالصورة التي كان عليها مثلاً عام ٤٣٢ ق.م فلم يعد هناك نقاش أو اعتراض أو استماع الى وجهة انظر الأعضاء وقد أعطانا كسينوفون صورة عامة لأحوال هؤلاء الحلفاء عام ٣٨٢ عندما يقول : « كانت الغالبية تؤيد ارسال الحملة ( ضد أولينثوس ) ولكن لمجرد أنهم كانوا يريدون ارضاء الاسبرطيين » .

كذلك ألحقت اسبرطة بحلفائها القدامى اهانة كبرى عندما وافق هذا المجلس في نفس الجلسة على اقتراح اسبرطة في جواز مساهمة بعض المدن بالأموال بدلا من الرجال أثناء الحروب ما دامت هذه الأموال معادلة لدفع أجور نفس العدد ولكن من الجنود المرتزقة التي يمكن لاسبرطة استئجارهم .

ولقد كان هذا القرار ضربة قاسية لمشاعر حلفاء قدامى . تساقط رجالهم على مر زمن طويل في حروب اسبرطة واستهانة بكرامتهم وتشكيكا في قدرتهم العسكرية واستنزافا لأموالهم بدفع أجور جنود مرتزقة يتقاضون أجورا باهظة الثمن كان مريرا على نفوسهم أن تفضل اسبرطة عليهم هؤلاء المرتزقة .

كان هذا خلق جوا من التعاطف مع طيبة حتى داخل دول اليلوبونيسوس وجعل أثينا تهب في أكثر من مرة لتقديم العون لطيبة . حتى أولينثوس أبدت تعاطفا مع هذه المدينة .

ويمكن لأحد أن يتساءل ألم يوجد هناك اعتراض من الملك الآخر ؟ ليس دستور اسبرطة ينص على وجود ملكين حتى لا يستبد ملك معين بسياسة معينة ؟ نعم لقد كان هناك سياسة شبه مضادة ولكنها كانت صادرة من شخصيات ضعيفة . مثلا كان هناك شبه اعتراض من جانب الملك أجيسبوليس Agespolis الذي خلف أباه باوسانياس على العرش وقيل أنه كان مثل أبيه يتعاطف مع الديموقراطيين ( تعاطف أبوه مع الاثينيين عام ٤٠٣ ق.م ) ويميل الى احترام حرية واستقلال المدن الاغريقية بصدق ، ولما مات هذا الملك وتولى من بعده أخوه كليومبروتوس Kleombrotos أبدى هذا الأخير اختلافا بسيطا في سياسته . هو أنه كان يفضل توجيه طاقة اسبرطة للمعارك البحرية ضد أثينا وامبراطوريتها على أن تستمر اسبرطة في حملاتها البرية ضد طيبة تخفيفا عن كواهل اسبرطة .

ومن أكبر الحماقات التي ارتكبتها اسبرطة وتسببت في اسقاط امبراطوريتها استعدادها الدائم لأثينا دون أدنى مبرر مثل محاولة سفودرياس الفاشلة لاحتلال ميناء بيريه وما تلاها من اشتعال الحرب بين أثينا وأسبرطة استمرت ثلاث سنوات مما أدى الى اضعاف طاقة أسبرطة ضد طيبة التي ألحقت بها عدة ضربات . ثم القيام بحملة بحرية كبيرة بقيادة كليومبروتوس ضد أثينا ( رداً على تدخلها الى جانب الديموقراطيين في

جزيرة زاكينثوس ( Zakynthos ) بمساعدة ديونيسيوس طاغية سيراكوزه عام ٣٧٣ ولم تحقق هذه الحملة شيئاً بل تزايدت الخسارة على حساب اسبرطة .

كذلك يمكن ان تتهم الاسبرطيين بالغرور القاتل والثقة بالنفس الى حد الانخداع وينجلى ذلك في الهرولة بارسال قوتهم لمحاربة طيبة بعد طردها من مؤتمر الصلح عام ٣٧١ ولم يتأثروا أو يحاولوا استغلال باقى الدويلات الاغريقية التى كانت تعارض توسع طيبة . مما سبب الهزيمة الكبرى والمهينة فى ليوكترا .

#### نهاية اسبرطة :

استقبل حلفاء وأعداء اسبرطة على السوء أنباء هزيمتها فى ليوكترا براحة ورضاء حيث ظهر الحقد الدفين عليها من بين الذين استعبدتهم داخل البيلوبونيسوس وجن جنون هؤلاء عندما ظهرت جيوش طيبة على ضفاف نهر اليوروتاس حيث تقع اسبرطة وذلك فى عام ٣٧٠ ق م واستقبل جيش طيبة على أنه جيش تحرير وتمكنت الدولة الاسبرطية حتى داخل البيلوبونيسوس . فقد استقلت اركاديا Arcadia وظهرت عواطفها القومية الدفينة والتى لم يستطع الاحتلال الاسبرطى أن يمحوها بل نجد أركاديا تكون هى الأخرى حلفا من اتحاد أبنائها . أما ميسينيا Messenia مركز المقاومة القديم ضد اسبرطة فقد ذاقت أخيراً طعم الحرية والاستقلال لأول مرة منذ القرن الثامن قبل الميلاد ووجدت اسبرطة نفسها غارية تماماً كما كانت قبل عام ٧٥٠ ق م .

كان ذلك بداية النهاية اذ ازداد تدهور أسبرطة والاسبرطيين خلال المائة سنة التى تلت هزيمتها فى ليوكترا عام ٣٧١ ق م وتضاءلت أهميتها السياسية وتناقص عدد الاسبرطيين . ولما حاول الملك آجيس الثالث Agis عام ٣٤٢ احياء قوانين ليكرجوس وزيادة عدد المواطنين الاسبرطيين بتحرير العبيد وتحويلهم الى مواطنين لاقى معارضة شديدة

من الايفورات ومن قدماء المواطنين الباقين . وبعد مصرع آجيس الثالث على يد كليومينيس الثالث حاول الأخير القيام بثورة اجتماعية ألغى فيها نظام الايفورات وزاد عدد المواطنين الاسبرطيين الذين كان قد انقرض الى أربعة آلاف فقط ولكنه وجد اعتراضاً من الحلف الآخى بقيادة اتيجونوس دوسون Antigonos Doson وهزموه في عام ٢٢٢ ق.م . وكان الملك نلبيس Nabis آخر ملوك اسبرطة الأقوياء ولكنه هزم على يد القائد الرومانى فلامينيوس Flaminius عام ١٩٥ حيث أرغمت اسبرطة على الانضمام للحلف الآخى وبعد سقوط هذا الحلف أرغمها الرومان على الاندماج في شمال البيلوبونيسوس في دولة متحدة Civitas Confederata اطلق عليها اسم ولاية آخايا Provincia Achaia .

حقيقة أن أسبرطة مرت بفترة من الازدهار كما شملتها حركة احياء وذلك ابان عصر الامبراطورية الرومانية خاصة ابان حكم الامبراطور هادريان في القرن الثانى الميلادى لأن ذلك الامبراطور كان عاشقا للحضارة والثقافة الاغريقية كما يشهد بذلك الآثار والنقوش التى تركها في أسبرطة . كذلك حاول الامبراطور سبتيميوس سيفيروس احياء قوانين ليكرجوس من باب الرومانسية والخيال وبالفعل أعيدت هذه القوانين ولكن لم تكن بالصورة التى كانت عليها قديما . وظلت أسبرطة مدينة جميلة وهادئة حتى تعرضت لهجوم القبائل البربرية عام ١٦٧ ميلادية ونجت من هذا الدمار المهلك ولكنها لم تنج عام ٣٩٥ ميلادية من الدمار الشامل الذى ألحقه بها القوط تحت قيادة آلاريك Alaric حيث وضع هذا الهجوم البربرى نهاية مأسوية محزنة لمدينة عتيقة لعبت دوراً عظيماً في تاريخ الاغريق بل وفي تاريخ الانسانية .

## الفصل الرابع عشر

### الامبراطورية الاثينية الثانية

( ٣٧٨ ق.م - ٣٣٨ ق.م )

لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لتاريخ الاغريق وتاريخ الفكر السياسى عند الاغريق وجبت دراسته كموضوع مستقل . ومما يجعل هذا الموضوع شيقاً أن النقوش اليونانية هى مصدره الأول ، ولأول مرة يجد المؤرخ نفسه يعتمد على النقوش بالدرجة الأولى بينما يعتمد على النصوص الأدبية بالدرجة الثانية .

ويكفى أن نقول أن مشروع قيام الامبراطورية الأصلية كما قدمه رجل سياسى من ماراتون اسمه أرسطوطاليس وصل الى أيدينا سليماً . كذلك اهتم الكتاب الاغريق فى هذه الفترة بظاهرة قيام هذا الاتحاد ومن هؤلاء الكتاب ديودوروس الصقلى Diodorus الى جانب كتابات كسينوفون الذى عاصر أحداث هذه الفترة ولكنه قلما يقطع استرساله الروائى ليجيء بسيرة هذا الاتحاد . ولكنه بالرغم من هذا يعكس لنا صورة حية وصادقة للأحوال فى أثينا (١) . وهناك نصوص أدبية لكتاب آخرين يمكن الاستفادة منها فى دراسة هذا الموضوع مثل ايسوقراط Isocrates وديموستينيس Demosthenes وأيسخينيس Aeschines ولكن يجب الحذر عند التعامل معها . فمثلاً كان ايسوقراط يعارض

---

من الكتب المفيدة جداً فى هذا الموضوع كتاب :

J.K. Anderson : Military Theory and Practice in the Age of Xenophon, Berkeley-Los Angeles 1970.

حيث كانت الحرب أهم مظاهر تلك الفترة .



بشدة فكرة الامبراطورية بأى شكل كان ومن أجل هذا راح يبالغ الى حد المغالطة ولكن بالرغم من هذا لا نستطيع اغفاله لأنه شاهد عيان لقيام الامبراطورية كما أن جوهر كتاباته هو موضوع الوحدة .

أما ديموستينيس ، الخطيب السياسى المقوه ومنافسه ايسوقراطيس فيلسوف الوحدة الاغريقية الكبرى فقد تحدثا فى مناسبات متفرقة عن الامبراطورية الآثينية ولكن آراءهما متضاربة أحيانا لذا يجب الحرص والاستعانة بشارحى نصوصهما من القدماء .

ورغم أن هذا الموضوع يبدو شيقاً ومشجعاً للدراسة لوفرة مصادره الا أن المعلومات تبدأ فى التضاؤل بعد مرور عدة سنوات على قيام الامبراطورية الثانية لأن الكتاب هجروا الكتابة عنه واتجهوا للكتابة عن أحوال أثينا وهنا يصبح البحث عن النقوش أمراً ملحا . وأنه لمن باب المشقة على الدارسين أن يفتشوا بين كتابات هذه الفترة من أجل استخراج النادر الذى يتعلق بهذا الموضوع . ولكن تكون دراستنا شاملة لهذا الموضوع فان تغطيته لا بد وأن تشمل العناصر الموضوعية التالية .

١ - الأحوال السياسية التى مرت بها أثينا منذ هزيمتها فى الحروب البيلوبونيسية حتى اعلان الامبراطورية الثانية .

٢ - المبادئ والمؤسسات الدستورية وحقوق وواجبات المتحالفين طبقاً لميثاق الوحدة .

٣ - تقييم تاريخى ناقد لهذا الاتحاد ومدى مساهمته فى احياء فكرة الوحدة الاغريقية الشاملة .

٤ - الأحداث التى مرت على الاتحاد بعد نشأته وحتى سقوطه .  
هذه هى العناصر الأربعة الأساسية لدراسة هذا الموضوع دراسة لا شاملة فحسب بل مفيدة تاريخياً وفكرياً .

## ١ - الأحداث السياسية التي مرت بها أثينا منذ الهزيمة حتى قيام الامبراطورية الثانية :

ومن المعروف أن هزيمة أثينا الفعلية في الحروب البيلوبونيسية جاءت نتيجة لفقدان أثينا جزيرة ساموس القاعدة المثالية لاسطولها عام ٤٠٤ ق.م على يد الملك الاسبرطى لوساندر . وبعد هزيمة أثينا قدمت اسبرطة شروطا ليست بالقاضية القاسية بل اكتفت بتجريدتها من حصونها وحوائطها وأسطولها ، ومن ممتلكاتها ، ومن نظامها الديموقراطى .

ولم يفق المواطنون الاثينيون من صدمة الهزيمة الا بعد اسقاط نظام مجلس الثلاثين دكتاتورا الذى أقامته اسبرطة واصلاح ما أفسده ونقض كل ما فعله وعودة نظامهم الديموقراطى بمساعدة طيبة . ولقد قضى الاثينيون سنوات وهم يصلحون مخلفات الهزيمة والدكتاتورية . وهذا شغلهم عن التفكير في مستقبل بلادهم من جديد لعدة سنوات ولكن بعد ذلك أخذوا يعملون بطاقة ونشاط غير معمولين من أجل استعادة قوتهم البحرية وإعادة بناء الأسطول وسرعان ما أدى ذلك الى رخاء الحالة الاقتصادية لدى الدولة ولدى المواطنين ومن ثم بدأوا يفكرون في استعادة الأمجاد الضائعة . ولقد لعب القائدان الاثينيان كونون Conon وثراسيبولوس Thrasybulus دوراً عظيماً من أجل احياء الامبراطورية القديمة .

كانت خطة كونون ( ٤٠٤ - ٣٩٢ ق.م ) لاستعادة بناء الامبراطورية تقوم على استغلال أخطاء الامبراطورية الاسبرطية لصالح أثينا بعد تأليب المدن الاغريقية عليها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى الاستفادة من قوة الأسطول الفارسي لتدمير قوة اسبرطة البحرية ( وقد نجح كونون بالفعل في تدمير الأسطول الاسبرطى في معركة كنيديوس ٣٩٣ ) ومن ثم يصبح أحياء الامبراطورية سهلاً .

ولتحقيق ذلك أخذ كونون يستغل الخلاف الذى نشأ بين اسبرطة وبلاد الفرس بل أخذ يتقرب الى ملكهم على حساب الاسبرطيين من أجل طرد حامياتهم من الجزر والمدن الاغريقية وحثهم على المطالبة

بالحرية والاستقلال ، بل ساعد في تحرير بعضها دون هدف أو مقابل مما زاد من احترام أثينا بين المدن الأخرى . كما شجعت أثينا على زيادة الخلاف بين أسبرطة وكورثا وبث الفرقة داخل البيلوبونيسوس .

هكذا بنشر سياسة السلام والمصادفة والوئام مع كافة الجزر والمدن الاغريقية أصبحت أثينا مدينة محبوبة بقدر ما أصبحت اسبرطة مدينة ممقوته ، ومن مظاهر نجاح أثينا استعادتها لنفوذها القديم في جزيرة ديلوس Delos ذلك المركز الروحي للاغريق جميعا والكعبة التي تتجه اليها أنظارهم في كل مكان .

كان المحرك الأول لنشاط كونون هو عقدة الذنب التي نشأت في نفسه بأنه هو المسئول عن هزيمة أثينا البحرية في أيجوسبوتامي Aegospotami ( معركة نهر الماعز ) ولذلك حرص على الانتقام من أسطول الاسبرطيين بقدر ما حرص على إعادة بناء أسطول أثيني جديد يعوضها عن أسطولها الذي تحطم في هذه الموقعة . وبالفعل تحقق له ذلك عندما قاد الأسطول الفارسي ليلحق بالأسطول الآسبرطى هزيمة مدمرة عام ٣٩٩ ق.م قرب مدينة كنيديوس Cnidos وتلى ذلك تحريره لعدد كبير من المدن والجزر الاغريقية من الاستعمار الآسبرطى بعضها أثر الاستقلال والانزواء وبعضها أقام علاقات ود وصداقة مع أثينا فمثلا نسيت جزيرة أرتريا Eretria خلافتها مع أثينا وأقامت معها علاقات وطيدة . وكافأ الفرس كونون باعطائه ما تبقى من أسطولهم ليعود به الى أثينا حيث يبدأ في إعادة بناء الأسوار القديمة التي كانت تربط بين بيريه والمدينة .

وبالرغم من أن الرياح السياسية هبت فيما بين ٣٩١ - ٣٨٩ ق.م . على أثينا من حيث لا تشتهي الا أن التصميم والعزم على استعادة الأمجاد السلبية لم يقل أو يفتر. لدرجة أن أحد سياسى أثينا واسمه اندوكيداس

Andokidas عبر عن رأيه في السلام عام ٣٩١ ق.م فعارض فكرة الاستقلال لكل المدن الاغريقية وهذا دليل على وجود النية الاستعمارية . وكان من بين المضايقات لأحلام الآثينيين النفقات الباهظة التي أنفقتها أثينا في تحرير المدن وإحياء الأسطول التي أحدثت أزمة اقتصادية . وثانيهما قيام الخلاف وقيام الشك بين كونون والفرس الذين اتهموه بسعيه لتحقيق مصالح ذاتية لبلده خاصة بعد مساعدة أثينا لحاكم قبرص يواجوراس الذي ثار ضد الفرس وطلب العون من أثينا ، بينما راحت اسبرطة تعيد بناء قوتها البحرية من جديد وتستعيد المدن التي فقدتها مثل كنيديوس وساموس وأيفيسوس عام ٣٩١ ق.م فضلا عن تأرجح زودوس بين المؤيدين لأثينا والمؤيدين لاسبرطة . وهكذا انهارت خطط كونون الذي قبض عليه الفرس أثناء زيارته لسارديس في مهمة دبلوماسية ، وبالرغم من أنه تمكن من الهرب إلا أنه لم يعيش بعد ذلك طويلا .

وبعد أن انقشعت هذه السحب التي كانت تلبد سماء الآمال السياسية الأثينية برز من بين صفوف الآثينيين القائد العسكري ثراسيبولوس Thrasybulus ، ولم يكن ثراسيبولوس بالنجم الجديد ، فهو فهو زعيم ديموقراطي متطرف وقف في وجه مجلس الأربعماية الذي قام في أثينا وفر الى طيبة حيث نظم عدداً من اللاجئين الديموقراطيين يقدر بسبعين متطوعاً هاجم بهم ميناء بيريه وهزم قوات الأوليجارخيين الآثينيين . وبعد اعلان اسبرطة عودة اللاجئين بعد هزيمة أثينا عاد ليكافح من أجل إعادة الحكم الديموقراطي ، لقد كان ثراسيبولوس « بيريكلي » التفكير فهو يؤمن بفكرة الاستعمار والسيادة الأثينية المطلقة حتى ولو كان تحقيق ذلك يفوق امكانية أثينا المادية .

برز ثراسيبولوس الى الصفوف الأولى في الوقت المناسب ليحول

دون ضياع كل ماحقه كونون في السنوات السابقة . بدأ هذا الجنرال المتطرف بتنفيذ تحقيق الامبراطورية وذلك بقيامه في ربيع عام ٣٨٩ ق م بحملة بحرية الى منطقة بحر مرمرة والبحر الأسود ليضع النواة الأولى والأساسية للامبراطورية الجديدة مستغلا الصراعات المحلية ليضم الكثير من المدن الى تحالف مع أثينا كما قام بمساعدة الأحزاب الديموقراطية المتعاطفة معها للوصول الى الحكم مثلما فعل في مدينة بيزنطة . كذلك أعاد لأثينا اتاوتها القديمة على السفن المارة عبر البسفور والدردنيل وهي ١٠٪ من حمولة كل سفينة . وبعد أن أعاد سيطرة أثينا وتفوذها في البحر الأسود وثرانيا والخالكيدون . اتجه جنوباً الى جزيرة لسبوس حيث كسب الى جانب أثينا موتيلني العاصمة وانضم الى أثينا عدد آخر من المدن الأيونية مثل هاليكارناسوس وكلازوميناي وثاسوس وساموثرافي . ثم اتجه الى رودوس ليضع نهاية للتطاحن بين الديموقراطيين والأوليغارخيين معتمداً على معونة جزيرة خيوس ، وهكذا استطاع ضم رودس الى أثينا . ولكن نهاية هذا البطل البار لأثينا والمنقذ لامبراطوريتها كانت مفاجئة . فعندما ذهب الى أسبندوس Aspandos ليجمع التبرعات من أجل تحقيق مشروعاته حوالى عام ٣٨٨ فاجأه سكانها وقتلوه انتقاماً لنهب قواته لحقولهم عندما كان يعسكر هناك .

يتضح من دراسة النقوش التي تركها ثراسيبولوس من ورائه في الجزر الاغريقية أنه كان يتحرك طبقاً لخطة محددة قصد بها إعادة الامبراطورية القديمة على النحو التي كانت عليه فيما بين ٤١٣ - ٤١٢ ق م كما ذكرت النقوش أنه أعاد حق أثينا في اتاوة قدرها ٥٪ على الصادرات والواردات وهي نفس النسبة التي كانت تفرضها أثينا على توابعها أثناء الامبراطورية الأولى . وذهب ثراسيبولوس الى أكثر من هذا فأقام بعض الحاميات الأثينية في بعض المدن لأننا نجد الأكليسيا الأثينية تناقش امكانية اقامة حامية في كلازوميناي . ويبدو أن محاولات إعادة امبراطورية أثينا القديمة قد لاقى اعتراضاً من بعض الأثينيين . وخلاصة

القول أن كونون وثراسيولوس ضحيا بحياتهما من أجل إعادة  
الامبراطورية القديمة التي سقطت تحت جحافل الغزو الاسبرطى .

ويبدو أن الاسبرطيين ارتاحوا لموت ثراسيولوس وحاولوا استعادة  
سيطرتهم على البحر الأسود بارسال حملة بقيادة أناكسيوس لمساعدة  
أنصار اسبرطة في مدينة ابيدوس Abydos (١) على البحر الأسود ،  
ولكن الإثنيين سارعوا بارسال ايفكراتيس Iphicrates وتمكن  
ايفكراتيس من هزيمة القائد الاسبرطى بالقرب من « أبيدوس » . . .  
وبذلك احتفظ الإثينيون بمكاسبهم في منطقة البحر الأسود ومدخله .

وفي عام ٣٨٨ ق.م عين الاسبرطيون قائداً جديداً للأسطول  
الاسبرطى (nauarchos) وهو أنتالكيداس الشهير ووصل هذا القائد  
الى مدينة أفيسوس ومن هناك أرسل نائبه الى بحر مرمرة بينما سعى  
هو لزيارة ملك الفرس . وبالفعل وصل الى سوسا حيث لاقى ترحيباً  
كبيراً من الملك واستطاع بدبلوماسيته أن يعيد المياه الى مجاريها بين  
اسبرطة وبلاد الفرس . ويبدو أن أنتالكيداس قد أقنع الملك الفارسي بأن  
ازدياد قوة أثينا البحرية خطر على فارس بقدر ما هي خطر على اسبرطة ،  
وتوصل الحليفان القديمان الى وسيلة لتفكيك الامبراطورية الإثينية  
فيما عدا المنوس وامبروس وسكوروس تحت اسم الحرية والاستقلال  
لكافة المدن الاغريقية ( فيما عدا اغريق مدن آسيا الصغرى ) ومن  
يرفض الانصياع لشروط الملك سيصبح عدو له وتتولى اسبرطة  
محاربته نيابة عنه .

وعاد أنتالكيداس في خريف عام ٣٨٧ ق.م من بلاد الفرس متجها  
الى منطقة البحر الأسود حيث تسلم العمل بأسطول اسبرطة وتمكن

---

(١) سميت هذه المدينة الاغريقية على فرار اسم المدينة المصرية ابيدوس  
( العرابة المدفونة ) .

من مطاردة الأسطول الأثيني في الشواطئ الشرقية لمداخل البسفور وأبعده الى شواطئ خاليكدون في الشمال الغربى لبلاد اليونان . وهكذا تمكن الاسبرطيون بمساعدة حليفهم ديونيسوس طاغية سيراكوزة ، من استعادة السيطرة البحرية على البحر لآسود وأصبح في مقدورهم قطع الطريق على سفن القمح الأثينية كما أخذ مساعد اتالكيداس يهدد ميناء بيريه من قاعدته في جزيرة ايجينا Aegina . وازاء هذا التهديد لم تجد أثينا بدا غير أن تعلن موافقتها على سلام الملك وأرسلت مندوبيها ليقسموا أمامه احترامهم والتزامهم به . وكما اعترضت أثينا في بادىء الأمر على سلام الملك اعترضت طيبة التى كانت تسعى لتوحيد اقليم بيوتيا تحت زعامتها ولكنها في النهاية أجبرت على قبول هذا السلام كما أجبرت أرجوس أيضاً .

هكذا تغير مسار تاريخ أثينا باعلان سلام الملك . اذ تحطم حلم سياسيتها القدامى وهو احياء الامبراطورية الاولى التى كانت تقوم على الاستعمار وفرض الاتاوة على الأتباع ورضى الأثينيون بجزرهم الثلاث التى منحت لهم وأصبح الموقف الجديد يحتم على الأثينيين مواجهة المستقبل الاقصادى لبلادهم معتمدين على أنفسهم ومصادرهم الاقتصادية فقط ولعل الضائقة المالية التى كانوا فيها هى التى شجعتهم على قبول هذا الواقع وأن يعطوا لبلادهم الفرصة لالتقاط أنفاسها قبل أن تفكر في مستقبلها الجديد .

ولكن مجهودات السنوات الماضية لم تضع كلها هباء لأنها خلقت من أثينا قوة بحرية بصرف النظر عن فقدتها سيطرتها السياسية . بل على لعكس كان السلام في صالح الأثينيين ، لأن هذه الصدمة جعلتهم لا يفكرون في جعل مدينتهم مرة ثانية استعمارية ميطرة تتحكم في غيرها من المدن بل آثروا أن يجعلوا منها أختنا كبرى تدافع عنهم وتحميهم وتصون استقلالهم من الفرس والاسبرطيين على السواء وكان لزاما على الأثينيين أن يهجروا الأفكار الاستعمارية القديمة التى أودت بالامبراطورية الاولى وبأى محاولة لاسترجاعها . وبدأ الأثينيون يفكرون في فلسفة جديدة ألا وهى ( ٢٦ - الاغريق )

اقامة علاقات ومصالح بين مدن بلاد اليونان المختلفة خاصة البحرية منها .  
وأن تقوم هذه العلاقة على أساس المساواة والاحترام المتبادل . وسرعان  
ما أتت هذه السياسة الحكيمة أكلها إذ استمرت المدن التي كانت لها  
علاقة حسنة بأثينا قبل سلام الملك على نفس علاقاتها الطيبة ان لم تكن  
قد ازدادت في بعض منها . وفي عام ٣٨٠ ق م تحدث ايسوقراط عن  
علاقات أثينا الطيبة مع خيوس وبيزنطة وموتيليني كما أن علماء النقوش  
كشفوا نصوصا من معاهدات مثل التي قامت بين أثينا وخيوس على  
أساس الاستقلال والحرية والالتزام بشروط الملك .

وقد ساعد على نجاح هذه السياسة استغلال الاثينيين جيدا لأخطاء  
اسبرطة وتخبطها في سياستها ثم في سلوكها العدواني المهيمن ضد  
أوليتشوس وماتينيا وطيبة مما جعل كثيرا من المدن ترمى في أحضان  
أثينا معتبرة إياها الأخت الكبرى الحامية ضد الأخت الشريرة  
اسبرطة .

#### أثينا تساعد ثوار طيبة ورد الفعل الاسبرطي :

ارتكبت اسبرطة عدة حماقات معتمدة على تفسير نصوص سلام  
الملك لصالحها ومعتمدة على حليفها ديونيسيوس طاغية سيراكوزة ،  
وتمادت في اذلال المدن الاغريقية وحل الأحلاف وتقييد تحرك طيبة في  
بيوتيا . وكانت تلك سياسة الملك أجيسلاؤس . ومن أكبر الحماقات التي  
ارتكبها هذا الملك احتلال قلعة كادمية في طيبة بقوة تعدادها ١٥٠٠  
جندي بمعاونة الحزب الأوليجارخي الاسبرطي عن طريق انقلاب مفاجيء  
تم أثناء عيد ديني للنساء في هذه القلعة مما أثار امتعاض الاغريق وتدفق  
أنصار الديموقراطية على أثينا حيث استقبلتهم وساعدتهم ردا لجميل أهل  
طيبة على الاثينيين في كفاحهم لاسقاط الدكتاتورية الأوليجارخية التي  
أقامها لوساندر في أثينا بعد هزيمتها في الحروب البيلوبونيسية .

استغلت أثينا أخطاء اسبرطة الفادحة وراحت في صمت تعقد  
معاهدات الصداقة بينها وبين المدن والجزر الاغريقية حيث حرصوا كما  
يؤكد لنا علماء النقوش على كلمة الاستقلال 'autonomia' والحرية



eleutheria في ظل سلام الملك . كما كسبت أثينا احترام أهل طيبة بمساعدة بعض اللاجئين في القيام بانقلاب مضاد في ديسمبر عام ٣٧٩ ق.م أعادوا فيه الديموقراطية وطردها الحامية الاسبرطية . ولكن نلاحظ أن الأثينيين بالرغم من تعاطفهم ومساعدتهم لأهل طيبة إلا أنهم حرصوا على ألا يتورطوا في معارك ضد أسبرطة خوفا من المضاعفات من ناحية وخوفا من أن يخلقوا « طيبة » قوية تهدد مصالحهم من ناحية أخرى ، حقيقة حدث أن أغلق القائد الأثيني خابرياس Chabrias الممر الشمالي عبر اليوثيراي Eleutherae في وجه الملك كليومبروتوس الاسبرطى وهو في طريقه الى طيبة ولكن هذا التصرف يمكن أن يعتبر تصرفا محايدا لدولة لا تريد التورط في معارك أما أن يشترك قائدان اثينيان في صفوف ثوار طيبة فقد كان أبعد مما تتحمله أسبرطة وهو مالا تريده أيضا أثينا ويبدو أن الاسبرطيين فقدوا فرصة نادرة وهى رغبة أثينا في عقد السلام مع أسبرطة وذلك بمحاكمتها لهذين القائدين وإعدامها واحداً ونفى الآخر إلا أن سفودرياس الاسبرطى ارتكب حماقة في ربيع عام ٣٧٨ ق.م وقام بهجوم ليلي فاشل هدف به احتلال ميناء بيريه رداً على مساعدة أثينا لثوار طيبة . وتبع ذلك غضب أثينا وتأزم الموقف خاصة بعد تبرئة سفودرياس نتيجة لتدخل الملك الاسبرطى . وكسب أنصار طيبة الموقف في أثينا حيث أعلن عن قيام تحالف بين المدينتين . بل وبدأت أثينا في تحصين ميناء بيريه وبناء أسطول جديد . ولم يكن هذا رد الفعل الحقيقى لأن رد الفعل الحقيقى عند الأثينيين كان التعجيل باحياء فكرة قديمة وهى تحالف من نوع جديد بين أثينا وباقي المدن الاغريقية في وجه الخطر الاسبرطى المتعاون مع الفرس .

تكوين التحالف الكونفدرالى وقواعده ( الامبراطورية الاثينية الثانية ) :

ما أن أعلنت براءة سفودرياس حتى دعا الأثينيون حلفاءهم الى ارسال ممثلين الى أثينا للتشاور في أمر قيام اتحاد كونفدرالى لوقف العدوان الاسبرطى ووافق عدد من المدن الاغريقية على المشروع من ناحية المبدأ . ومن أوائل المدن والجزر التى وافقت على الفكرة خيوس ورودس وبيزنطة وموتيلينى وطيبة ويقول ديودورس الصقلى أن خيوس

ويزنطة كانتا أول من أعلن قطع علاقاتهما مع أسبرطة والدخول في هذا الاتحاد الجديد ثم تلى ذلك رودس وموتيليني عاصمة جزيرة لسبوس وعدد آخر من المدن . ودخلت خيوس الاتحاد بأداء القسم الخاص به كما اتفق المتحالفون على أن تكون عضوية الاتحاد مفتوحة لأي عضو يريد الانضمام .

وفي ربيع عام ٣٧٨ ق.م قدم رجل اسمه أرسطوطاليس الماراثوني Aristotles of Marathon مشروع الوحدة بطريقة جذابة وبعد ذلك بوقت قليل خرجت وفود الى المدن ذات المصالح البحرية ومعها نسخ من هذا المشروع لعرضه على حكوماتها لدخول هذا الاتحاد . وكان من حسن الحظ أن عثر علماء النقوش على شذرات من مشروع أرسطوطاليس بين آثار أثينا عام ١٨٥١ . وأصبح التاريخ متكاملاً بين مطابقة نص النقش وبين ما سجله ديودورس الصقلي . ويبدأ النقش بتاريخ الموافقة على هذا المشروع وهو فبراير عام ٣٧٨ ق.م ثم بيان الغرض من تكوين الاتحاد وهو إرغام الاسبرطيين لكي يسمحوا للاغريق بممارسة حرياتهم حتى يصبح في امكانهم ممارسة السيادة على أراضيهم والدفاع عنها . وفي النهاية يدعو القرار الاغريق وغير الاغريق الى الانضمام الى هذا التحالف بشرط ألا يكونوا من بين رعايا الملك الفارسي ويضمن للأعضاء الاستقلال autonomia وبدون أي احتلال أو فرض حاكم معين أو الزام بدفع أتاوة ومن الجدير بالذكر أن النقش يعنى بكلمة «غير الاغريق» - أهل تراكيا ومقدونيا وايروس في شمال بلاد اليونان حيث كانوا يعتبرون برابرة Barbaroi أو انصاف اغريق في أحسن الأحوال ، وأن دخول أي عضو الاتحاد يكون على نفس المساواة مثل أي عضو من الأعضاء البارزين مثل طيبة وخيوس وغيرهما . وينص الاعلان أيضاً على أنه في حالة موافقة مدينة على الانضمام للاتحاد يشترط على شعبها (demos) أن يعلن تنازله عن أي ادعاء سابق للمطالبة بأي أراضي داخل أي من المدن المتحالفة واذ شك أي من الأعضاء في وجود وثائق ضارة به في أثينا منذ أيام الامبراطورية الأولى فان هذه الوثائق تدمر فوراً بعد موافقة المجلس الاتحادي .

وتأكيداً لمبدأ المحافظة على الاستقلال حظر دستور الاتحاد على مواطنى المدن المتحالفة وحكوماتها امتلاك ضياع أو عقار فى مدن غير مدنها الأصلية ابتداء من تاريخ الانضمام الى التحالف . وفى حالة الابلاغ من وجود مثل هذه الحالات يخطر المجلس الاتحادى والذي سيقوم بدوره ببيع هذه الممتلكات ويكافئ المبلغ بنصفها ويذهب النصف الآخر الى خزينة الاتحاد .

كذلك نص الاعلان على تقديم المساعدة المادية والمعنوية لآى عضو يتعرض للعدوان . كذلك نص الاعلان على معاقبة أى فرد يحاول الخروج عن هذه المبادئ السابقة باسقاط جنسيته وكافة حقوقه السياسية *Capitis deminutio* ومصادرة ممتلكاته وتقديمه للمحاكمة أمام الاثنيين وحلفائهم ليعاقب بالاعدام أو النفى من البلاد .

وفى نهاية النقش تمكن العلماء من قراءة أسماء المدن التى قبلت الدخول فى الاتحاد ثم ترك فراغ للمدن التى قد تنضم مستقبلاً .

ومن الملاحظ أن هذا النقش يحمل الروح العاطفية الاعلامية أكثر من الهدف القانونى والتشريعى والتنظيمى للاتحاد فهو أشبه بمنشور *manifesto* موجه الى الهلنيين وغير الهلنيين بقصد اغرائهم للانضمام الى هذا التحالف الجديد والذي يحدد هدفه وهو « ارغام الاسبرطيين لترك الاغريق وشأنهم يتمتعون بالسلام والحرية والاستقلال ولكن يمارسوا سيادتهم على أراضيهم » ومما لاشك فيه أن الاثنيين كانوا صادقى النوايا عندما أعلنوا هذه المبادئ فقد تعلموا من الامبراطورية الأولى دروساً قيمة ، كما أن هجوم اسبرطة المباغت على ميناء بيريه وبراءة مرتكب هذا الهجوم جعل الاثنيين مقتنعين أكثر من أى وقت مضى بأن اسبرطة دولة لا تحترم المعاهدات ولا تلتزم بمواثيق لأنها تخالفت نصوص سلام الملك وعلى ذلك يجب مقاومة عدوانها بالتكثف وتوحيد الصفوف . ذلك هو منطق « الفرض من الوجود » *raison d'être* بالنسبة لهذا الاتحاد ولذلك تعرض هذا المنطق للجدل والاعتراض عندما ضعفت أسبرطة وأفل نجمها فى سماء

السياسة الاغريقية عندئذ تساءل بعض المتحالفين عن الغرض من تمسك  
 أثينا بهذا الاتحاد بعد زوال السبب لقيامه . كذلك فان تمسك أثينا  
 « بسلام الملك » في هذا النقش وفي باقى معاهداتها يدل على ذكاء  
 السياسة والدبلوماسية الاثينية وحرصهم على الابتعاد عن المسائل التى  
 قد تورطهم فى حرب مع بلاد الفرس حتى لاثير العقبات فى طريق  
 وحدة الاغريق . ولعل من يقرأ مديح ايسوقراط Paengyricus لهذا  
 الاتحاد يدرك مدى التغير الذى طرأ على مفهوم السياسة الاثينية وحرصهم  
 على عدم تكرار الأخطاء التى ارتكبت أثناء قيام الامبراطورية الاولى  
 وهى سياسة الأناية والاستعمار المكشوف والتى بها حولت حلف ديلوس  
 الدفاعى الى امبراطورية لها . وتجنبنا لأخطاء الماضى سمحت لوائح  
 الاتحاد الجديد للندن الأعضاء أن يقيموا العلاقات الثقافية والتجارية  
 والسياسية فيما بينهم دون الرجوع الى أثينا بعكس ما كان فى  
 الامبراطورية الاولى التى كانت تشترط ارتباط المدينة بأثينا فقط وأى  
 مصالح بين مدينة وأخرى لابد أن تتم عن طريق أثينا وحدها . كما  
 حرصت أثينا فى الاتحاد الجديد أن تتنازل عن أى حق للتدخل فى  
 الشؤون الداخلية للأعضاء واعلان رفضها ارسال حاميات عسكرية أو فرض  
 أتاوة اجبارية Phoros أو تملك أراضى فى المدن المتحالفة . ولذا  
 حرص الاثينيون على ذكر عبارة « الاثينيون وحلفاؤهم » Athenaiot Kai  
 Symmachoi . توضيحاً لسياستهم وهى أن يتولى مصالح المدن  
 المتحدة مجلس اتحادى خاص بهم يسمى بالمجلس العام للمتحالفين  
 To Koinon Syndrion Symmachon والذي كان يتكون من ممثلى المدن  
 المتحالفة وكان لكل مدينة مندوب أو أكثر ولكن صوت واحد لكل مدينة  
 مهما اختلفت حجم هذه المدن أو أهميتها . وكان هذا المجلس الاتحادى  
 Syndrion يتولى ادارة شئون الاتحاد الذى تقبّر أن يكون مقره  
 الدائم أثينا .

### تقييم الاتحاد ومناقشة الأسس التي قام عليها :

كأى اتحاد وحدوى آخر فى أى زمان أو مكان - قام هذا الاتحاد على ثلاثة سلطات تنظيمية هى السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية •

فمن ناحية السلطة التنفيذية تمتعت أثينا بنصيب الأسد ؛ فهى مقر المجلس الاتحادى الذى يتولى شئون المدن المتحالفة ، وكان مجلس الشيوخ الأثينى Boule هو الوسيط بين المجلس الاتحادى Synedrion والمجلس الشعبى الأثينى ekklesia والذى كان لابد من استشارته لأن على الأثينيين كان يقع العبء الأكبر خاصة فى مجال الحرب وأمور السلام •

وفى أول عهد الاتحاد اعتبر المجلس الشعبى الأثينى ekklesia والمجلس الاتحادى مؤسستان دستوريتان متساويتان • ولكن بمضى الزمن وازدياد المسؤولية على عاتق أثينا ازدادت مسئولية المجلس الشعبى الأثينى ففطت على سلطات المجلس الاتحادى خاصة ابان اندلاع الحروب بين المتحالفين وهذا أمر طبيعى فى حالة الطوارئ • ولم يؤثر ذلك البتة على مؤسسات الاتحاد ومبادئه الأساسية الأخرى •

كذلك حظيت أثينا بنصيب كبير فى المجال التنفيذى فموظفوها هم الذين كانوا يقومون بتنفيذ بنود الاتحاد فى الحرب والسلام ويقول ديودورس أن ذلك جعل من الأثينيين قوة حقيقية وأعطى لمدينتهم دور القيادة الفعلية • ففى مجال الجيش كان جنرالات أثينا يسكون بزمام الموقف فى البر والبحر وفى مجال الاقتصاد والمال كان موظفوها يجمعون مساهمات الأعضاء •

ولكن بمضى الوقت تعدت أثينا على استقلال القضاء وتدخلت فى محاكم المدن المتحالفة فمثلا تدخلت أثينا فى السلطة القضائية لجزيرة كيوس Keos لتضمن عقوبة قاسية ضد المتمردين على الاتحاد كذلك حدث شئ مماثل فى جزيرة ناكسوس فى منتصف القرن الرابع ق م • ومن الأمثلة الصارخة على تدخل أثينا فى استقلال المتحالفين وتعيديها على حرمة القضاء فيها اصرارها على الاحتفاظ بحق اعتبار من تراههم من

الأفراد أيا كانت مدتهم خارجين على القانون وذلك بمقتضى قانون يصدر من إحدى المحاكم الأثينية ويصبح سارى المفعول فى كافة مدن الاتحاد . أيضاً كان فى تمسكها بحق حماية بعض الأفراد واعتبار من يتعرض لهم بالأذى خارجين عن القانون فى كافة مدن الاتحاد وكان ذلك تعد على استقلال المتحالفين بالرغم من أن بنود الاتحاد نصت على مادة تجيز انشاء محكمة مشتركة من الأثينيين وحلفائهم للنظر فى مثل هذه القضايا .

ومن الأمثلة الأخرى الدالة على خرق أثينا تعهداتها باحترام واستقلال المتحالفين تدخلها من أجل اصدار تشريعات بهدف الحد من تجارة بعض المدن المنافسة لها حماية لاقتصادها ، خاصة بالنسبة للمواد الخام التى تقوم عليها صناعاتها ، اذ احتكرت تجارة هذه المواد وحرمت على المتحالفين الاتجار فيه مما يدل على أن أثينا كانت تنتهك القرض لتسلب حلفاءهم حقوقهم من أجل مصلحتها الذاتية وكما ، قرارات (dogmata) المجلس الاتحادى Synedrion تعتبر من الناحية النظرية معادلة لقرارات المجلس الشعبى الأثينى Ekklesia لأن القرارات التى أريد للمجلس الاتحادى مناقشتها كانت تتعلق بالمصالح المشتركة بين المدن المتحالفة مثل الحرب والسلام وعقد المعاهدات ، كذلك نصت بنود الاتحاد على انشاء محكمة فدرالية مشتركة لمحاكمة من يخرج عن نصوص الاتحاد وغير ذلك من المشاكل المختلفة ولكن ذلك لم يحدث . بل بمرور الوقت حدث شرح بين المبادئ النظرية والواقع السياسى . فقيام الاتحاد لم يمنع حدوث صراع بين مصالح المدن المتحالفة مما أدى الى الانفجار فى الصراع فى بعض الأحيان ، وكان على أثينا أن تتصرف بسرعة دون انتظار الى قرار من مجلس الاتحاد . وعندما ازدادت نفوذ ومسؤولية أثينا اضطرت الى التفاوض فى بعض الأحيان عن بعض البنود الأساسية من أجل مصالحها . كما أن قيامها بقمع حركات التمرد ضد الاتحاد اعتبرت خرقاً لمبدأ الاستقلال وحق السيادة للمدن المتحالفة . وكما رأينا ، كيف تدخلت أثينا فى استقلال وحرية القضاء فى المدن المتحالفة ، كذلك بدأت

أثينا في جمع اشتراكات (Syntaxeis) مالية من الأعضاء لمساعدتها في القيام بالتزاماتها ازاء الاتحاد ولكنهم آثروا أن يتفادوا كلمة اتاوة Phoros القديمة واستخدموا بدلا منها تعبيرا مهذبا هو « اشتراكات » Syntaxeis تدفع في شكل مبالغ مالية أو سفن حربية وقوات برية .

كما احتفظت أثينا لنفسها بالقيادة العامة في مجال الحرب والادارة العليا وفي التنفيذ والتنظيم مما أهلها لمركز القيادة السياسية (hegemonia) على الاتحاد ومن ثم يحلو لبعض المؤرخين بتسميته الامبراطورية الآثينية الثانية . أما اذا أردنا تتبع نقاط الضعف في هذا الاتحاد فسنبداً بنقد جوهر قيامه اذ كان الغرض من وجوده (raison d'etre) شبيها بالغرض من وجود حلف ديلوس القديم - وهو تكوين جبهة عسكرية ضد عدو مشترك يهدد مصالح المتحالفين فاذا انتهى هذا الخطر لم يعد هناك أى تبرير لبقاء التحالف ثم سرعان ما تحول أثينا التحالف الى امبراطورية لها . لقد كان الغرض من وجود التحالف الأخير هو حماية استقلال المدن الاغريقية من العدوان الاسبرطى ولقد فات الذين وضعوا مبادئ وأسس الاتحاد أن يجعلوا العامل العاطفى والنفسانى الموجود فى أعماق الاغريق ، وهو الوحدة الهلينية حجر الزاوية لهذا الاتحاد لأن السبب الأول كان عرضيا وربما تجنب الآثينيون ذكر كلمة الوحدة الهلينية حتى لا يتهموا بالاطماع وتهديد استقلال المتحالفين وآثروا ذكر سبب قريب ومباشر ألا وهو التهديد والخطر الذى كان لابد من وجوده لكى يجمعوا المتحالفين فى جبهة واحدة ولكى يتناسوا التعصب الوطنى لاستقلال مدنها .

ومن نقاط الضعف الأخرى فى نصوص الاتحاد مساواة المدن المتحالفة عند التصويت بصرف النظر عن تعدادها ومصادرها وأهميتها مما جعل مصالح المدن الغنية تحت رحمة المدن الفقيرة فلم يكن من العدل مثلا أن تعطى جزيرة صغيرة فقيرة مثل منفوس Siphnos صوتا واحداً مثلها مثل المدن الكبرى مثل طيبة أو موتيلينى أو أثينا . وقد يدافع

البعض عن ذلك بأن المساواة في التصويت هي تأكيد لمبدأ المساواة الكاملة والتامة بين المدن المتحالفة ولكن هذا ليس بعدل . ومن الغريب أن هذا الاتجاه الخاطيء ظهر فيما بعد عند قيام الحلف الآخى Achaean league مما جعله تمثيلاً غير عادل لشعوبه .

كان من الخطأ أيضاً قيام مجلسين تشريعيين منفصلين بل ومتنافسين في وقت واحد وفي مدينة واحدة وهما المجلس الاتحادى Synedrion والمجلس الشعبى الأثينى ekklesia . وكثيراً ما دب الخلاف بينهما خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمور الحرب والادارة مما أوجد بوادر الشقاق منذ البداية . كان المقروض قيام مجلس تشريعى واحد ومتحد يضم الأثينيين وحلفاءهم على أساس تمثيلى عادل ، وهو أمر في الحقيقة كان من الصعب تحقيقه بسبب غيرة الأثينى الوطنية على مدينته ذات التراث والنفوذ وكان من الصعب عليه أن يقبل إلغاء مجلسه الشعبى الذى كان يرى فيه ديموقراطيته العزيزة على نفسه ورمز حريته واستقلاله لسكى يدمج في مجلس اتحادى غريب عليه ينصهر فيه فيفقد فرديته واستقلاله وهذه نقطة ضعف سيكلوجية في المواطن الاغريقى خلقتها نظام دويلات المدن مما عطل قيام الوحدة الاغريقية الشاملة لوقت طويل .

ولكن كل هذه العيوب لا تبعدنا عن ذكر أهمية هذا الاتحاد في تقريب فكرة الوحدة السياسية الشاملة على أساس ناجح . لقد كانت الامبراطورية الثانية خطوة جريئة موفقة من أجل تحقيق وحدة فيدرالية بين الدويلات الاغريقية . حقيقة لقد قام الاتحاد الثانى على أسس متشابهة مع حلف ديلوس الا أنه في هذه المرة ضمن حقوقاً للمتحالفين وحدد مسئولياتهم بصورة تمثيلية شعبية أكثر نجاحاً من الماضى .

لقد كان هذا الاتحاد النموذج الأول لاتحادات فيدرالية أخرى قامت بين المدن الاغريقية فيما بعد ونخص بالذكر الحلف الآخى (١) ونحن لا ننكر أن نظام التمثيل والتصويت داخل المجلس الاتحادى

(١) لقد عالج فريمان ظاهرة قيام الاتحادات الفدرالية عند الاغريق في بحث قيم صدر في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ولم تظهر حتى الآن أبحاث أخرى تكمله أو تزيد عليه :

F. A. Freeman, History of Federal Government (edit by Bury, London 1889).



لم تكن عادلة الا أن تكوين مجلس دائم ممثل لمدن مختلفة في مدينة أثينا يعتبر عملا رائعا وتطورا كبيرا في فكرة الوحدة الشاملة الاغريقية لأن هذا المجلس كان المنبر الذي من فوقه عبرت المدن المختلفة والبعيدة عن رأيها على لسان ممثلها كما وضع للآتينين مدى أهمية نظام التمثيل عن طريق نواب محدودى العدد وصحح لهم خطأهم في تصور ووجوب تمثيل كل الشعب مجتمعا كشرط لتحقيق الديوقراطية لأنه من المحال جمع شعوب كل المدن المتحدة في مكان واحد . كذلك فإن فكرة تأسيس محكمة فيدرالية ( بالرغم من أنها لم تنفذ ) للنظر في الخلافات بين أثينا والمدن المتحالفة ولمحاكمة الخارجين على هذه الوحدة يعتبر خطوة رائعة في طريق تحقيق الوحدة لأنها كانت بمثابة مزج جماهيري حقيقى على مستوى الاتحاد كله . انها لم تنفذ ولكن مجرد التفكير فيها يعتبر نصرا كبيرا لأنصار الوحدة . كذلك فإن اثناء خزانة فدرالية أمر هام للغاية لأن وجود خزانات للمدن المتحالفة مستقلة عن الخزانة الأثينية حال دون وقوع الخطأ الذى وقعت فيه أثينا في الامبراطورية الأولى عندما اتهمها الأعضاء باستغلال أموالهم للاتفاق على مشروعات خاصة وذاتية .

هكذا يمكن أن نقول أن هذا الاتحاد يمكن أن يعتبر النواة الأولى للوحدة الاغريقية الشاملة .

**الظروف المختلفة التى مر بها الاتحاد منذ قيامه حتى سقوطه :**

نستطيع أن نقول أن هذا الاتحاد قد مر بثلاثة مراحل مختلفة هي :

١ - المرحلة الأولى أو مرحلة التأسيس ٣٧٨ - ٣٧١ ق . م وفيها كان الحماس لفكرة الاتحاد قويا حتى ولو على حساب التضحية . ويمكن أن نسميها بمرحلة الانفعال العاطفى التى ساد فيها الاحساس المثالى لمبدأ الوحدة الهلينية دون التفكير المنطقى فى تحقيقها . تبدأ هذه المرحلة باعلان الاتحاد عام ٣٧٨ وتنتهى بانسحاب طيبة منه عام ٣٧١ ق . م أيضا تتميز هذه الفترة بوجود الحافز للوحدة وهو الخطر الذى هددت به أسبرطة استقلال ، وحرية المدن الاغريقية لقد بدا الاتحاد بخمس أو ست أعضاء مؤسسين وأخذ يتزايد حتى أعادت أثينا امبراطوريتها شرقا وغربا ووصل عدد

المتحالفين الى ما بين ٧٠ و ٧٥ عضوا • وكانت أثينا ترحب بقبول أى متحالف حتى المشكوك فى أطماعهم مثل ياسون طاغية فيراى الذى انضم الى التحالف وأصبح عضوا فيه •

ولما هزمت طيبة العدو المشترك أسبرطة فى معركة ليوكترا وانهارت الأمبراطورية الاسبرطية بدأ الأعضاء المتحالفون يتساءلون خفية عن السبب فى بقاء التحالف وبدأت الشكوك تحوم حول أثينا من جديد بأنها تسعى لفرض نفوذها البحرى الذى أصبح قويا •

وتنتهى هذه الفترة بانسحاب طيبة من الحلف والحقيقة أن انسحاب طيبة لم يؤثر على الحلف اطلاقا لأن انضمامها اليه منذ البداية كان مشكوكا فيه • فقد كان لها أطماع وأحلام سياسية تريد تحقيقها فى بيوتيا ولكن أسبرطة كانت تقف لها بالمرصاد ولذا انضمت الى الحلف الآثينى طمعا فى استخدام تسهيلاتة العسكرية لصالح مشروعاتها الوحودية وضد أسبرطة •

ويمكن أن نلاحظ أن الحلف كان يعانى ضعفا ماليا منذ بداية تكوينه لدرجة أنه لم يستطع مواجهة أى أزمة اقتصادية أو مالية فيما بعد • لقد تحملت أثينا منذ البداية العبء الأكبر من ميزانية الاتحاد واضطرت ازاء المسئوليات المتزايدة الى فرض ضريبة اضافية على مواطنيها *eisphoron* لأن الاشتراكات التى كانت تجمع من الأعضاء *Syntaxeis* لم تكن كافية للوفاء بالتزاماتها العسكرية ووصل الحال ببعض القادة العسكريين مثل تيموتيوس *Timotheus* وايفكراتيس *Iphicrates* الى الاستدانة وبيع ممتلكاتهم أو تشغيل الجنود والبحارة فى الحقول ونهب المدن والعمل كمرتزقة من أجل الاتفاق على العمليات العسكرية المطلوبة • وليس بالحماس وحده يقوم الاتحاد • فتحمس الآثينيون واستعدادهم للتضحية من أجل نجاح الاتحاد لم يكن كافيا لبقائه طويلا وكان فى امكانهم مطالبة المتحالفين الأعضاء بمساهمة أكبر ولكن هزيمة أسبرطة العدو الأساسى لم يعط أثينا التبرير الكافى لطلب ذلك بل وصل الحال الى تراكم مؤخرات

الاشتراكات (١) Syntaxeis على الأعضاء دون أن تحاول أثينا الضغط عليهم لتسديدها حتى لا تظهر بمظهر الطامع أمام الحلفاء .

المرحلة الثانية : مرحلة تدهور العلاقات بين أثينا وحلفائها - ٣٧١ - ٣٥٧ ق.م :

بعد هزيمة أسبرطة وانسحاب طيبة ساءت العلاقات بين أثينا والحلفاء وتتميز هذه الفترة بندرة المعلومات التاريخية عن نشاط الاتحاد حتى يصعب على المرء تتبع نشاطه حيث غطى نشاط العلاقات الخارجية لأثينا على نشاط المتحالفين .

لقد حاولت أثينا في بداية هذه الفترة تحويل الاتحاد الى حلف لها والمتحالفين الى مناطق تفوذ لها . ومن أجل هذا توسعت أثينا في قبول الأعضاء فقبلت عددا من مدن البيلوبونيسوس . ولم يعد انضمام هذه المدن على الحلف بفائدة اذ انسحبت منه واحدة تلو الأخرى بعد تحقيق أغراضها الخاصة . ووصل الحال أن أثينا لم تجد أحدا يعاونها عام ٣٦٦ ق.م وهي تحاول استعادة مدينة أوروبوس Oropos المنشقة عليها . ومن أخطاء أثينا في هذه الفترة تورطها مع مدن البيلوبونيسوس . فبعد هزيمة أسبرطة انضمت كثير من المدن الصديقة لأسبرطة الى الحلف الأثيني بغية الحصول على مساعدة ضد طيبة وتحت الحاح هذه المدن وجدت أثينا نفسها حليفة لأسبرطة ضد طيبة مما أثار احتجاج الأعضاء القدامى في الحلف وهم الذين أقاموا الحلف أساسا لمحاربة أسبرطة . وسادت موجة من الاعتراض على قبول أصدقاء أسبرطة الجدد في الحلف بل ووصل الحال ببعض الأعضاء الى الانسحاب من الحلف احتجاجا والانضمام الى طيبة المنتصرة مثلما فعلت يوبويا وأكارنانيا . ثم تلى ذلك انسحاب أولينثوس وتوابغها بحجة واهية وهي تهديد أثينا لمدينة أمفيبوليس Amphilpolis .

هكذا فقد الحلف الكثير من الانسجام الذي كان يتميز به عند تكوينه ، خاصة بعد انتصار طيبة الساحق في ليوكترا والذي وضع نهاية

(1) C.M. Wilson, "Athens military Finances 378-7 to the Peace of 375 B.C., Athen. XLVIII, 1970, p. 302—326.

لمجد أسبرطة العسكرية ولخطر تهديدها لاستقلال المدن الاغريقية مما أفقد التحالف الغرض الأساسى الذى من أجله قام . ولما تغيرت سياسة أثينا ازاء حلفائها تغيرت سياسة الحلفاء ازاءها أيضا وظهرت موجة من الاحتجاج والانسحاب فانسحبت بيزنطة وكيوس وبدأ التذمر يظهر فى رودس وخيوس . وبينما راحت المدن المؤسسة تسليخ عن الاتحاد شهدت الفترة ما بين ٣٥٨ و ٣٥٧ ق. م موجة جديدة من الانضمام من جانب أعضاء جدد ربما دفعوا الى الانضمام تحت تهديد القوة الأثينية البحرية المتزايدة وكان أعظم حدث فى تاريخ الحلف هو عودة جزيرة يوبويا الى الاتحاد ولكن بعض المؤرخين يعزون هذه الموجة من الانضمام الى عملية تنشيط مؤقت سرعان ما اختفت .

لقد تغيرت سياسة أثينا ازاء حلفائها فى هذه الفترة من التحمس والاستعداد للتضحية الى الأنانية والبحث عن المكاسب الخاصة فكل المعارك العسكرية التى تمت فى هذه الفترة فيما عدا تأمين شبه جزيرة القرم Chersonese لم يكن بذات فائدة للأعضاء بل لصالح أثينا فقط . واذا حدث وطالب الحلفاء بعمل عسكري لصالحهم تراخت أثينا فى تنفيذه . فمثلا عندما أخذ الاسكندر ملك فيراى يهدد جزر الكوكلايس Cyclades بأسطوله نجد الأسطول الأثينى بقيادة خايس لا يهتم بذلك ويفضل الابحار الى جزيرة كوركورا للتدخل لصالح الحزب الموالى لأثينا . وفى نفس الوقت نجد أثينا تتدخل بالقوة لاختضاع الأعضاء المنشقين عليها فقد أخضعت جزيرة كيوس وحددت استقلالها وسلطاتها القضائية والتجارية وأصدرت أثينا أحكاما ضد المارقين عليها وجعلتهم خارجين عن القانون وطالبت جميع المدن بتنفيذ هذه الأحكام مما جرح كبرياء المدن المتحالفة وملا صدرها بالتذمر والتشكك فى نوايا أثينا . كذلك عانت أثينا والحلف عجزا ماليا شديدا<sup>(١)</sup>

(1) Cf. Mossé. " La vie économique d'Athènes au IV<sup>e</sup> Siècle : crise ou renouveau ?", Praelectiones Patavinae, Rome 1972, P. 135—144.

وازداد العجز بين الدخل من الضرائب والنفقات العسكرية لدرجة أن بعض القادة كانوا يدفعون مرتبات الجنود والبحارة من أموالهم الخاصة ودون أن يستردوا هذه المبالغ من الدولة مما دعاهم الى تعويض ذلك عن طريق السلب والنهب والحق الأذى ببعض المدن . وبهذا دفعت أثينا جنرالاتها الى أعمال اللصوصية مما أثار امتعاض الدويلات الاغريقية . وربما يجد الباحث عذرا للاثينيين في ذلك فقد زادت النفقات العسكرية بسبب التطورات السياسية المتعاقبة . كذلك فإن اعتماد الجيش الاثيني على الجنود المرتزقة زاد من بهاظة لتكاليف .

وخلاصة القول أن بوادر التدهور بدأت في الظهور على الاتحاد عندما بدأت المدن الكبرى المؤسسة في الانسحاب أو الاستعداد للانسحاب من التحالف بينما استمرت أثينا في توسيع رقعة نفوذها وسيطرتها البرية والبحرية بصرف النظر عن اتباعها منطقا سياسيا معقولا يبرر لها تصرفاتها . كما بدأ الأعضاء الباقون يحسون بالبرود وعدم الاكتراث ازاء التحالف ولكنهم ظلوا كابتين لاحساساتهم المريرة ازاء الشقيقة الكبرى حتى تحول هذا الكبت الى صراع دموى قضى على البقية الباقية من الاتحاد .

#### المرحلة الثالثة والاخيرة :

( مرحلة تفجر الصراع وانهيار التحالف ٣٥٧ - ٣٠٨ ق م ) :

سبق أن رأينا كيف أن التحالف بدأ محسلا بالمشاكل ولكن هذه المشاكل بالرغم من تعددها وتضاربها لم تكن كافية لاحداث انفجار سياسى يأتى على البقية الباقية من التحالف . ولكن في هذه الفترة ظهر عامل جديد وهو تدخل قوى أجنبية ومعادية واستعدادها لهدم التحالف .

فمن ناحية راح الملك ماوسولوس Mausolos ملك كاريا الأسيوى يحرض المتحالفين في أيونيا ضد أثينا ويدعوهم الى الانفصال من التحالف كما وعد المدن الاغريقية بالمساعدة في حالة الثورة وكان هذا الملك يطمع في مد نفوذه في آسيا الصغرى على حساب أثينا . ونتيجة لهذا التحريض ثارت خيوس ورودس وكوس وسرعان ما لحقت بهم يزنطة التى كانت قد

انسحبت من الحلف وتلى ذلك عدد كبير من المدن الصغيرة . كانت الثورة يتزعمها الأوليجارخيون ضد الديموقراطيين وسببت صراعا وحرجا مريرا لأثينا لأنها كانت الأم الكبرى للأحزاب الديموقراطية .

ومن ناحية أخرى كان فيليب ملك مقدونيا قد برز بسلوكته الى ساحة الصراع الاغريقى . وكان هذا الملك طموحا يأمل فى بناء امبراطورية كبرى ومن ثم أخذ يعمل على هدم التحالف حتى يبنى امبراطوريته على أشلائها كما رأى فيليب الدبلوماسى البارح أن اندلاع الثورة بين المتحالفين سوف يشغل أثينا عن توسعاتها فى مقدونيا وتراكيا . وإلى جانب كاريا ومقدونيا كانت طيبة هى الأخرى تتحفز للانتقام من أثينا بعد فقدانها جزيرة يوبويا التى عادت الى التحالف عام ٣٥٧ ق . م .

أما الأسباب المباشرة التى أدت الى التدهور فقد كانت نتيجة لتصرف عدوانى قام به القائد الاثينى خاريس تجاه كل من خيوس ورودوس . فقد حاول الأثينيون استعادة جزيرة خيوس فى خريف عام ٣٥٧ ق . م وقاد خاريس القوات البرية ضد الجزيرة بينما كان زميله خابرياس يربط بالأسطول . وحاول خابرياس الهجوم بمفرده ولكن هذا الهجوم كلفه حياته فاضطر الأثينيون الى وقف العمل العسكرى مؤقتا .

وفى عام ٣٥٠ قررت المدن الثائرة تكوين أسطول مشترك فيما بينهما والقيام بعمل انتقامى مضاد ضد ممتلكات أثينا وتعرضت جزر لمنوس وأمبروس للنهب وحاصروا جزيرة ساموس الموالية لأثينا . وكان الثوار المتحالفون يهدفون الى جمع الأسلاب من أجل دعم الثورة ضد أثينا ، ولم يسكت الأثينيون على ذلك فأرسلوا حاميات عسكرية مختلفة تحت قيادة عدد من الأراخنة لحماية المدن الموالية لهم وجهزوا أسطولا يتكون من ستين سفينة تحت قيادة تيموثيوس وايفكراتيس بالاضافة الى ستين سفينة أخرى كانت تحت قيادة خاريس .

وسار الأسطول الاثينى الى يزنطة فى صيف عام ٣٥٦ ق . م لمهاجمة مدينة يزنطة لأنها رأس الثورة من ناحية والاستعادة الطريق الحيوى لأثينا لتجارة القمح وتأمين منطقة البحر الأسود وبحر مرمرة من ناحية

أخرى • وازاء هذا التصرف اضطرت المدن الثائرة على الاتحاد الى فك حصارها لجزيرة ساموس والابحار فورا لملاقاة الأسطول الأثيني والذي تحرك هو أيضا لملاقاة أسطول الثوار • وبالقرب من خيوس تواجه الأسطولان عندئذ أمر خاريس كلا من تيموثيوس وإيفكراتيس بالهجوم ولكنهما طلبا منه التريث لحين هدوء البحر الهائج فلم يستمع اليهما واندفع وحده مهاجما فرد على أعقابهم خاسرا • عندئذ ادعى أن زميله غدرا به نظير قبول رشوة من العدو • فاستدعى الأثينيون هذين القائدين للمشول أمام المحاكمة • وأسفر التحقيق بتوقيع غرامة كبيرة على تيموثيوس بينما برئت ساحة إيفكراتيس وابنه من تهمة الرشوة وانسحب تيموثيوس الى منفى اختاره بمدينة خالكيس في جزيرة يوبويا وذلك في خريف عام ٣٥٦ ق • م • وبذلك أصبح الميدان خاليا من أى منافس لخاريس • ولكن نشاطه البحري أصبح مقيدا بسبب العجز المالى مما اضطره الى العمل بجيشه كجندى مرتزق • وارتكب خطأ فى قبوله العمل فى خدمة ملك فريجيا ضد الملك الفارسى ارتاكسركسيس أوخوس • وبالفعل تمكن خاريس وجيشه من إلحاق الخسارة الفادحة بالفرس ، نظير مكافأة صغيرة • وازاء هذا أعلن الملك الفارسى غضبه مهددا بغزو أثينا نفسها • وكان رد فعل هذا التهديد كبيرا لأن الملك كان يعلم مدى الضعف الذى تردت فيه أثينا • فانسحب خاريس من الأراضى الفارسية على الفور بينما ارتفعت أصوات أنصار السلام تطالب الأثينيين بالتعقل وهجر فكرة محاربة المنشقين وكان يقود هؤلاء السياسى الأثينى يوبولوس Eupolos • وتحت تأثير التهديد اتنارسى والعجز المالى قبلت أثينا عقد سلام مع المنشقين واعترفت باستتلال خيوس وكوس ورودوس وبيزنطة وتوابعها وسرعان ما انسحبت جزيرة كوركورا وحذت موتيلينى وموثننا حذوها وبذلك لم يتبق لأثينا من الحلف عام ٣٥٥ ق • م سوى مدن جزيرة يوبويا وبعض الجزر الصغيرة المتناثرة فى بحر ايجه وساحل تراكيا حيث كانت عيون فيليب المقدونى الطامعة مركزه •

انتبهز فيليب انشغال أثينا في الصراع مع حليفاتها وراج يتوسع شمالا في تراكيا فقد استولى على مدينة بودنا Pydna وتحالف مع أولينثوس وطرده الأثينيين من بوتيدايا •

وفي عام ٣٥٦ وعندما حاول ملوك بايونيا والليريا وتراقيا التحالف مع أثينا سارع فيليب بسحق هؤلاء قبل أن تحرك أثينا أصبعها • وفي صيف عام ٣٥٥ قبلت أثينا أن تتحالف مع مدينة نيا بوليس Neapolis التي كان فيليب يهدد استقلالها وأرسلت خايس إليها ولكن فيليب كان قد فتح جبهة أخرى •

ان رسالة ايسوقراطيس الشهيرة عن السلام التي أصدرها عام ٣٥٥ ق. م وبحث أكسينوفون الشهير عن الاقتصاد يقدمان لنا صورة صادقة عن وضع أثينا الحرج ولذا أيد الكاتبان دعوة يوبولوس الى السلام • ويتضح من هذين البحثين مدى تدهور الاقتصاد الأثيني نتيجة لاعتمادها على الجيوش المرتزقة ، ولم تكن مساهمة الحلف الضئيلة تكفي تكاليف العمليات العسكرية مما اضطر أثينا في بعض الأحيان الى جمع المساهمة لعدة سنوات قادمة • كذلك فان عجز القيادة السياسية في أثينا في السيطرة على تحركات جنرالات الجيش خارج البلاد وإهمالها لمصالح حلفائها حط من قدرها القيادي ومن ثم طالب ايسوقراط بهجر فكرة الامبراطورية مقابل السلام وتحسين الاقتصاد ولكن قدامى السياسيين رفضوا ذلك بشدة •

تلى ذلك تقدم فيليب في الشمال واستيلائه على ممتلكات أثينا على ساحل مقدونيا وتراقيا وأخذ يتقدم نحو شبه جزيرة القرم Chersonese بل وظهرت قواته في عام ٣٥٦ قرب بحر مرمرة وازاء هذا أعلنت بيزنطة تحالفها مع فيليب ضد أثينا وحذى حذوها عدد آخر من المدن التابعة لبيزنطة في هذه المنطقة وكان أمر مريرا أن ترى أثينا حلفاءها السابقين يتحالفون مع فيليب ألد أعدائها والذي عجزت عن الوقوف في وجهه وآثرت التهرب من ملاقاته •



وفي عام ٣٤٩ ثارت مدن يوبويا على أثينا وانسحبت من التحالف وكانت ضربة قاسية . ولما حاولت أثينا ارسال أسطولها لقمع هذه الثورة وتأييد أنصارها هناك حدث أمر خطير . فقد ثارت أولينثوس ضد فيليب وطلبت العودة الى التحالف الاثيني وهنا تمزقت المسؤولية الاثينية بين يوبويا وأولينثوس وكان النتيجة الفشل في كليهما . وسقطت أولينثوس في يد فيليب عام ٣٤٨ (١) بالرغم من أن لاجئها ظلوا يعترفون بوجود التحالف الاثيني لأنهم طالبوا السلطات الاثينية باعفائهم من ضريبة الحرفيين الأجانب metoikion وفي عام ٣٤١ ق. م استولى فيليب على مدينة أينوس Aenos آخر حلفاء أثينا في تراكيا التي أصبحت كلية تحت سيطرة فيليب . وكانت جزيرة تينيدوس Tenedos أرضاً للأوحد المستوفي لالتزاماته تجاه التحالف حتى عام ٣٢٩ ق. م ولكن نهاية التحالف الاسمية والفعلية جاءت بعد معركة خايرونيا Chaeronia ضد فيليب في أغسطس عام ٣٣٨ ق. م وهزيمة أثينا وحلفائها (٢) . وكما يقول بأوسانياس : « أن فيليب قد عقد اتفاقاً مع الاثينيين من الناحية الاسمية أما من الناحية الفعلية فقد ألحق بهم خسارة بالغة ، لأنه انتزع منهم الجزر ، وعزلهم عن امبراطورية البحر » (٣) .

حقيقة لقد احتفظت أثينا بممتلكاتها القديمة وهي جزر سلاميس ، وديلوس وساموس ولمنوس وامبروس ولكن ذلك لم يكن عن طريق التحالف لأن الاثينيين اعترفوا رسمياً بانتهائه .

هكذا مات التحالف لأنه فقد الغرض الذي من أجله قام ولم يعد

هناك سبباً لبقائه ووجوده .

(١) للمزيد انظر :

J.M. Carter : "Athens, Euboea, and Olynthus, *Historia*, XX, 1971., p 41 8-429.

وقد عارض ديموستينيس في خطبته Peri Eirenes «عن السلام» فكرة التدخل لقمع الثورة في يوبويا بينما لم يشر الى الثورة في خطبته الاولنثية ولهذا يتهم المؤلف ديموستينيس باخفاء الحقيقة عن الاثينيين .

(2) O.W. Rheinmuth, "The Spirit of Athens after Chaeronea, *Acta of the 5 th epig. Congress*, 1967, Oxford 1970, p. 47—51.

(3) Pausanias, I, 25, 8.

## الفصل الخامس عشر

### محاولة طيبة الفاشلة لبناء امبراطورية

وفرض الزعامة على الدويلات الاغريقية ( ٣٧١ - ٣٦٤ ق م )

جدير بنا - قبل أن نترسل في الحديث عن الدور القصير والمذهل  
حقا - الذى قامت به طيبة على مسرح الأحداث الاغريقية ، أن نعطي  
نبذة توضيحية عنها وأن نلقى نظرة على خلفيتها التاريخية قبل أن تصبح  
امبراطورية وذلك غداة هزيمتها القاضية لاسبرطة هزيمة سلبت الأخيرة  
ديناميتها العسكرية والسياسية وأرغمتها على تغيير مسارها التاريخي  
ووضعتها على أول طريق الانهيار والغروب .

تقع طيبة Thebes ( وهو نفس الاسم الذى أطلقه الاغريق على  
الأقصر ) (١) على الحافة الجنوبية للسهل الشرقى لاقليم بيوتيا الجبلى الوعر .  
وقد أرادت الطبيعة والتاريخ لهذه المدينة أن تكون القلب النابض لهذا  
الاقليم - كما كانت أثينا بالنسبة لأتيكا - فهي مدينة قديمة واحدى منارات  
الحضارة الموكينية فى بلاد الاغريق الوسطى ولهذا لم يكن اسمها غريبا على  
الاغريق اذ خرجت منها أساطير وروايات نالت اعجاب الاغريق واستولت  
على غريزتهم الدرامية وشغلت فكر شعرائهم المسرحيين وفلاسفتهم  
الأخلاقين . فأساطيرها تلى فى الأهمية حروب طروادة خاصة فيما

(١) ذكرت الأساطير الاغريقية ان مؤسس طيبة هو قدموس Cadmus  
ابن ملك صور الذى حط رحاله فى بيوتيا وبنى قلعة كادميا ( التى سميت  
على اسمه ) وجلب حروف الكتابة من فينيقيا ( انظر ص ١٢٨ ) ومن المؤكد  
ان لفظ Thebai اسم اغريقى الأصل وليس مصريا ، أما عن تسمية  
العاصمة الفرعونية ( الأقصر ) بهذا الاسم فانه ليس الا من قبيل محاولات  
الاشريق الدائمة لمساواة الأسماء المصرية للأشخاص او المدن أو الآلهة  
بألفاظ معادلة أو مشابهة لها من الواقع الحضارى الاغريقى ، والدليل على  
ذلك ان الأقصر كانت تعرف لدى المصريين باسم واحد هو واسط أى  
الصولجان رمز الحكم ولم تعرف ابدا باسم طيبة الا فى النصوص الاغريقية  
والرومانية . أما العرب فقد أطلقوا عليها اسم الأقصر - جمع قصور -  
لأنهم طنوا معابدها قصورا .

يتعلق باللعة التى تلاحق البطل أينما كان كما نرى فى أسطورة أوديب الملك (١) .

لقد أدركت طيبة أن دورها يحتم عليها فرض زعامتها على منطقة بيوتيا ولهذا حاولت جاهدة توحيد ذلك الاقليم منذ أيام الحروب الطروادية وتعرضت من أجل ذلك الى غزو عدوانى من مدينة أرجوس ولكن طيبة فشلت فى ما نجحت فيه أثينا وهو توحيد الاقليم فكريا وسياسيا وقوميا ، وصهر العوائق القبلية والمحلية فى بوتقة الوطن المتحد . والحق يقال أن الاثينيين لم يتمنوا لجارتهم فى الشمال النجاح فى هذا ، بل وقصوا منها موقف المعارضة حتى لا يرون جارة قوية تهدد طموحهم ومصالحهم ، أضف الى ذلك فقد كان هناك سببا دائما للصراع بينهما وهو مدينة بلاتيا Plataea الواقعة على الحدود بينهما لأن سكان هذه المدينة كانوا من المستوطنين الاثينيين الذين كانوا دائمي التعرض للعدوان من جانب طيبة ، ولأن هذه المدينة كانت بمثابة رأس حربة لأثينا لضرب طيبة وقد بدأ الشقاق بين طيبة وأثينا يتخذ شكلا فعالا منذ عام ٥١٩ ق.م وبالفعل لم يسترح فؤاد طيبة الا بعد تدمير بلاتيا تدميرا شاملا عام ٣٧٣ ق.م خرجت بعدها هذه المدينة الصغيرة نهائيا من التاريخ الاغريقى بالرغم من المحاولات التى جاءت فيما بعد على يد فيليب المقدونى عام ٣٣٨ ق.م لاعادة استيطانها ومحاولات الاسكندر الأكبر عام ٣٣١ ق.م لاعادة بناء حوائطها ومبانيها .

ولقد دفع هذا الخلاف طيبة الى اتخاذ موقف غريب من أثينا ابان الحروب الفارسية اذ تعاونت طيبة مع الفرس ابان حملتهم الثانية ٤٨٠/٤٧٩ ق.م مما جر عليها استنكار المدن الاغريقية عامة ومدن اقليم بيوتيا خاصة، ونتيجة لذلك فقد فقدت زعامتها الا أنها تمكنت من استعادتها مرة أخرى عام ٤٤٦ ق.م .

وابان الحروب البيلوبونيسية انتهزت طيبة انشغال القوى العظمى فى بلاد اليونان وراحت تتوسع على حساب جيرانها حتى أصبحت تسيطر سيطرة تامة على نصف اقليم بيوتيا وأصبحت بذلك تنتخب أربعة

(1) Cf. W. R. Roberts, The Ancient Boeotians London 1895, passim.

من أعضاء مجلس الأحد عشر رئيسا Boeotarchoi وهو المجلس الأعلى الذى كان يحكم هذا الاقليم . بل أنها انضمت الى جانب اسبرطة ضد أثينا فى الحروب البيلوبونيسية وكانت من بين الأعضاء المتشددين فى شروط النصر وبلغ بها التشدد بأن طالبت بإزالة أثينا من الوجود ، ولكن اسبرطة بالرغم من تحالفها مع طيبة - لم تكن تسترح لنواياها فحزمتها من ثمار النصر ، فما كان من طيبة الا أنها هجرت اسبرطة وأبدت تعاطفها مع أثينا وذلك بمساعدة الديموقراطيين الاثينيين فى استعادة حكمهم بعد سقوطه . وتلى ذلك تحالفها مع أثينا واشتركت معها فى اثارة حلفاء اسبرطة وذلك بالتعاون مع عدوة اسبرطة القديمة أرجوس ونجحوا فى إشعال الحرب بين اسبرطة وحلفائها داخل البيلوبونيسوس فيما يعرف بالحروب الكورثية .

١١. نصحت الدبلوماسية الاسبرطية فى الحصول على شروط صلح سى عام ٣٨٢ ق.م كان ذلك يعنى سلب طيبة مكاسبها التى قضت أربعين عاما فى تحقيقها مما دعى طيبة الى اعلان استيائها من هذا الصلح كما أدى الى استيلاء اسبرطة الخاطف على قلعة كاديسيا عام ٣٨٢ ق.م وتعاون أثينا مع طيبة لطرد الحامية الاسبرطية من القلعة بقيادة ابامينونداس وبيلويداس عام ٣٧٨ ق.م ، هذان الزعيمان اللذان أوجدا نواة مدرسة عسكرية فعالة فى طيبة استطاعت أن تضم جزءاً كبيراً من بيوتيا وأرهقت الجيش الاسبرطى ثم أجهزت عليه فى ليونكترا عام ٣٧٢ ق.م .

وعادة يلى الصراع الاجتماعى الصراع السياسى . فقد كانت الفلسفة التى قام عليها الاتحاد البيوتى تحت قيادة طيبة تعتمد على الفكرة الأوليجارخية . ولهذا فحلف بيوتيا حلف أوليجارخى من أساسه ، حيث كان حق الجنسية فيه يقوم على شرط الامتلاك قبل شرط الخدمة فى الجيش كجندى مشاء hoplites . وعلى رأس المدن التى كانت أعضاء فى حلف بيوتيا ، تأتي أورخومينوس Orchomenos وثسبياي Thespeiae وتاناغرا Tanagra وكانت الأخيرة مركزاً هاماً للفنون خاصة صناعة التماثيل الصغيرة من الطين المحروق Terra-Cotta مثل التى نراها

في المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية والتي أصبحت تعرف باسم  
تماثيل تاناغرا Tanagra Figurines .

وكان لكل مدينة مجلس شورى Boule يضم ربع المواطنين تقريبا  
ومجلس شعبي ekklesia يضم باقى المواطنين . أما الحلف البيوتى فكان  
ينقسم الى أحد عشر جزءاً تحكمت طيبة مباشرة فى أربع منها ، وكان  
كل جزء ينتخب رئيساً Boeotarchos . يمثله فى مجلس الاتحاد  
المكون من أحد عشر عضواً . كما كان كل جزء يرشح عدداً من قضاته  
للعمل فى المحاكم الاتحادية ويساهم بقدر معين فى خزانة الاتحاد وكذلك  
بما لا يقل عن ألف جندي مشاة hoplites ومائة فارس فى القوات  
الاتحادية . هذا بالإضافة الى حق الاتحاد فى تجنيد كل من بلغ سن  
الجندي فى حالة الضرورة وكان قرار مجلس الاتحاد نهائياً وحاسماً لأنه  
كان يمثّل السلطة الأعلى فى البلاد ولهذا نجحت طيبة فى تكوين حكومة  
اتحادية على أساس تمثيلى ودستورى عادل . ويرجع تاريخ قيام هذا  
الاتحاد الى عام ٤٤٧ ق.م (١) ولهذا كان من الطبيعى أن تقاوم طيبة قرار  
سلام الملك الفارسى لأنه كان يعنى فقدانها رأس مالها السياسى أغنى  
هذا الاتحاد .

ولما عاد ابامينونداس الى طيبة وأسقط الحكومة الأوليجارخية  
العسيلة التى تأمرت مع اسبرطة لاحتلال قلعة كاداميا استبدل الأساس  
الأوليجارخى الذى كان يقوم عليه الاتحاد بالأساس الديموقراطى ممثلاً  
فى مجلس اتحادى يعقد فى طيبة على أساس تمثيلى ودستورى ولكنه  
زاد من دور طيبة فيه .

هذه هى طيبة التى أصبحت بعد معركة ليوكترا أقوى دولة على  
مصرح الأحداث ولتساءل الآن ما هو الدور الذى لعبته طيبة بعد  
معركة ليوكترا .

(1) cf. E. A. Freeman, History of Federal Government, vol. 2, (History of Federal Government in Greece and Italy (Edited by J. B. Bury) London 1893 p.

### تفكيك الدولة الاسبرطية داخل البيلوبونيسوس :

كانت هزيمة اسبرطة في ليوكترا مريعة . اذ فقد الجيش الاسبرطى سمعته التقليدية بهزيمته على يد جيش أقل منه عدداً فضلاً عن سقوط الملك كليومبروتوس في المعركة وهو أول ملك اسبرطى يسقط في حرب منذ أن سقط الملك ليونيداس أثناء الحروب الفارسية ولم تتوقف خسارة اسبرطة عند هذا الحد بل أن ما تلى ذلك كان أعظم . لقد كانت هزيمة ليوكترا بمثابة اشارة بدء الثورة على اسبرطة داخل البيلوبونيسوس اذ انتشرت حركات التمرد والحروب الاجتماعية (Stasis) بسرعة مذهلة وقاد الثورة الأحزاب الديوقراطية وأخذ المنفيون يتدفقون على مدنها وسالت الدماء غزيرة في شوارع مدن البيلوبونيسوس . وانتزعت الحكومات الاوليجارخية من جذورها من كل المدن فيما عدا كورنثا فلايوس Phlius وسيكيون Sicyon حيث كانت جذور برخية أعنى من أن تقتلع، وكان عنف الثورة الاجتماعية (Stasis) مخرج حلف اسبرطة أقوى بكثير من داخله فمثلاً أدت الثورة في أرجوس الى مذبحه رهينة كان ضحاياها ألفاً من أغنياء المواطنين .

### استقلال اقليم اركاديا :

أما الضريبة الكبرى فقد كانت استقلال جزء حيوى من الدولة الاسبرطية وهو اقليم اركاديا Arcadia ، ذلك الاقليم الجبلى الذى توسط البيلوبونيسوس والذى تتخلله الأنهار الجميلة مثل نهر الفايوس Alphaeus الشهير وروافده المتعددة . ولكن هذا الاقليم لا يخلو من المناطق الغنية ذات الوديان التى تروىها الأنهار مثل المنطقة الشرقية من سهل اركاديا حيث قامت المدن الجميلة التى تطل على السهل من ارتفاع قدره ألفين قدم ومن هذه المدن أورخومينوس الشهيرة Orchomenos ( غير المدينة التى تحمل نفس الاسم فى بيوتيا ) ومانتينييا Mantinea وتيجا Tegea ، واذا تقدمنا غرباً الى وسط السهل نجد مدينة هيرايا Heraea التى عرفت بأنها أول من سك النقود فى هذه المنطقة . أما فيما عدا ذلك فهى مناطق جبلية وعرة تحصر بينها سهول ضيقة لا تسمح بقيام المدن الكبرى بل قامت فيها قرى الرعاة المتناثرة والمنعزلة ، وهكذا

جعلت الجغرافيا اقليم أركاديا اقليما ذا قيمة ضئيلة من الناحية السياسية والاجتماعية والحضارية وأشبهه بمنطقة منسية . وبالرغم من هذا كانت أركاديا منطقة هامة وغنية بالقوى البشرية العاملة خاصة لتجنييد الجيوش المرتزقة اذ نسع عن الجنود المرتزقة الأركاديين منذ وقت مبكر .

ولما بدأت اسبرطة تتوسع من مدينة صغيرة الى دولة لها اطار زراعى وذلك منذ منتصف القرن السادس ق.م ضمت اليها هذا الاقليم الكثيف السكان والوعر التضاريس وقد كلف ذلك اسبرطة كثيراً لأنه كان دائم الثورة عليها .

ويعتقد علماء الحضارة أن أصل الأركاديين يرجع الى سكان بلاد الاغريق ما قبل الغزو الدوري خاصة وأن لهجتهم اليونانية قريبة الشبه من لهجة أهل قبرص حيث خلفت الحضارة الموكينية زحاً من الزمن بعد انهيارها . أما فيما عدا ذلك فالاقليم رعوى وقد ظهر ذلك في تراثه الفكرى البسيط خاصة في الدين الذى أولى عناية فائقة للاله الغريب « بان » Pan رب الرعاة . ومعظم أساطيرهم وأغانيهم تدور حول الرعاة حتى فنونهم البسيطة لا تمثل سوى الرعاة وحياتهم ، ولم تخلو هذه البساطة والسذاجة من البربرية البدائية اذ مارسوا تقديم الأضاحى من البشر (human Sacrifice) واستمروا في ذلك حتى أيام أفلاطون ؛ بل اعتبروا مذاق لحم البشر ضرباً من ضروب الشجاعة والاقدام ثمناً بالذئاب ومن الأقوال المأثورة الطريفة أن أهل أركاديا وجدوا في بلادهم منذ أن وجد القمر .

استغل ابامينونداس وجود احساس قومى في أهل اقليم أركاديا وراح يشجعهم على الاستقلال وتكوين دولة معادية لاسبرطة بمثابة الحربة التى تحدد تحركها ، وقد ظهر هذا الاتجاه بعد اعادة أهل ماتينيا توحيد قراهم في مدينة محصنة وظهر قائدها لوكوميديس Lycomedes ذو الأحلام السياسية التى لم تقف عند هذا الحد بل تعدتها الى رؤية

دولة أركادية تجمع شتات مدن الاقليم في اتحاد فيدرالى قوى • وسرعان ما وجدت فكرته أنصاراً لها داخل مدن وقرى الاقليم فيما عدا أورخومينوس وتيجيا وهيرايا التى آثرت أن تبتعد عن هذه الزواجر السياسية وأن تظل موالية لزعيمتهم القديمة اسبرطة •

أدرك السياسى الذكى ابامينونداس أن هذا الحلف سوف يكون مهدداً بالتفكك نظراً للصراعات القبلية والاقليمية شأنه شأن أى مجتمع بدائى التفكير وراى أنه من الخير إقامة مدينة جديدة لاتقع فى جوزة أى من الأعضاء وتكون عاصمة لهذا الاتحاد ووقع اختياره على منطقة فى سهل أركاديا الغربى قرب جبل لوكايون Lycaeon وعلى الحدود الشمالية الغربية لسهل لاكونيا وأقام فى عام ٣٧٠ ق.م أسوار مدينة كبيرة أسماها بالمدينة الكبيرة Megalopolis (١) ثم أغرى سكان القرى القريبة بالهجرة اليها • ويقول باوسانياس أن أربعين قرية هاجرت اليها وسكنها وأصبحت المدينة عام ٣٦٢ ق.م مركزاً خيولاً لأركاديا يطل على نهري يوروتاس وألفايوس وحصناً متقدماً لمدينة تيجيا • ومركز أعصاب بالنسبة لطرق البيلوبونيسوس وممراته ، بل كما يتضح من اسمها أنها أنشأت من أجل أن تصبح عاصمة البيلوبونيسوس كله وكان المسئول عن تأسيسها هم الأركاديون المتطرفون وليس ابامينونداس ولهذا عارضت كثير من مدن البيلوبونيسوس الانصياح لرغبة هذه المدينة فى فرض نفوذها عليهم •

ولكن هذه المدينة الجميلة لم تعمر طويلاً فقد كتب باوسانياس الذى زارها فى القرن الثانى الميلادى يقول « أن مدينة ميغالوبوليس التى بناها الأركاديون بحماس شديد (٢) وكانت محط الآمال الكبرى للاغريق ، تبدو لى وكأنها أطلال مهجورة » •

(١) عن تأسيس هذه المدينة انظر :

H. Braunt and J. Peterson : Mègalopölis : Anspruch und wirklichkeit, Chiron, II, 1972, p. 57-90.

2. J. Roy, Arcadian nationality as seen in Xenophon's Anabasis, Menemosyne, Serie 4, 1972, p. 129—136.



وقد كشف علماء الآثار حديثاً جانباً من أهم منشآت هذه المدينة وهو مسرح كبير وقاعة الاجتماعات الفيدرالية Thersilion المغلقة والمقامة على أعمدة جميلة . وهي تتسع لعشرة آلاف شخص . اذ كان من حق أى مواطن فى اقليم الاتحاد أن يحضر اجتماعات هذا المجلس الشعبى الاتحادى والذي كان بمثابة السلطة العليا لتصرف شئون الاتحاد . وكان هذا المجلس يقوم بانتخاب قائد الجيش الاتحادى Strategos بالإضافة الى خسين مسئول demiourgoi يصرفون النواحي المختلفة للاتحاد . وليس هناك أى دليل على وجود مجلس شيوخ Boule . كما كان للاتحاد الأركادى قوات مشاة eparitai أو eparitoi موضوعة تحت تصرف الحكومة الفيدرالية وينفق عليها من الخزنة الفيدرالية أيضاً . وقد ظهرت فاعلية هذه القوات عام ٣٨٦ ق م . عندما أجبرت هيرايا وأورخومينوس على الانضمام الى التحالف الأركادى والذي أصبح بعد هذا التاريخ فعلاً اتحاداً أركادياً شاملاً بالرغم من عزوف تيجيا عن الانضمام اليه .

#### أركاديا تتحرش باسبرطة وطيبة تتدخل :

لقد صدقت توقعات ابامينونداس . فقد قام الصراع بين أركاديا المتحدة واسبرطة وذلك بعد أن أثارت الأولى الفتن ضد أنصار الثانية . فى مدينة تيجيا وأجبرتهم على الفرار الى لاكونيا . عندئذ أدركت اسبرطة أن الوعاء قد فاض بما فيه فتحركت للتدخل لصالح أتباعها ، فسار الملك أجيسلاؤس على رأس جيش ضد الحلف الأركادى ، ووجد الحلف مساعدة من أرجوس وإيليس عدوتا اسبرطة ثم طلبوا المساعدة من أثينا ولكنها آثرت ألا تتدخل فى هذه المشكلة . عندئذ أرسل أهل أركاديا فى طلب العون العسكرى من طيبة ولم تتوانى طيبة اذ تحرك جيش منها بقيادة ابامينونداس فى شتاء عام ٣٧٠ ق م الى أركاديا ولما وصل وجد الملك الاسبرطى قد رحل دون أن يحقق أى شئ من حملته . ولما هم ابامينونداس بالعودة تمسك به أهل أركاديا وأرجوس وإيليس ورجوه ألا يعود دون أن يؤدب هؤلاء الاسبرطيين . ودار فى خيال ابامينونداس حلم تاريخى وهو غزو المدينة التى لم تعرف غازياً وطاً

أرضها ، ولذا كانت من المدن النادرة في بلاد اليونان التي لم تقم الأسوار حولها . وتذكر أبامينونداس أن جيوش اسبرطة قد غزت بلاده أكثر من مرة فلما لا يغزوها ؟

وتحرك جيش طيبة وحلفائها في تشكيل رباعي ، انقسم كل ربع منه ليهاجم المدينة من اتجاه مختلف ، ولم يجد الجيش في تقدمه أى مقاومة تذكر . وحرقت مدينة سيلاسيا الجميلة Sellasia ، ثم تجمع الجيش مرة أخرى استعداداً للهبوط على وادى نهر يوروتاس حيث قوات اسبرطة تقف على الجانب الآخر للنهر الذى كان ممثلاً بنياه أمطار الشتاء مما أعاق عبور جيش طيبة - خاصة أن الجسر الوحيد الذى كان يربط بين ضفتى النهر كان تحت حراسة شديدة فسار أبامينونداس جنوباً حتى مدينة أموكلاى Amyclae حيث يمكن العبور بسبب غور النهر البسيط فى هذه المنطقة ، ولما طيرت أنباء هذا الغزو الغريب ارتعدت اسبرطة خوفاً وطلب الملك أجيسلاؤس النجدة ممن بقوا ولائهم من توابع اسبرطة مثل كورثا وفلايوس وسيكيون من مدن خليج كورنثا ومثل مدن أورخومينوس وهيرايا فى أركاديا ومدن سهل أرجوليس ، وبدأت اسبرطة مدججة بالسلاح وبالرجال المصممين على الموت قبل أن يروا مدينتهم تسقط . وكان نهر يوروتاس ازداد فيضاً عندئذ أدرك أبامينونداس أن احتلال اسبرطة أمر صعب فأثر أن يخرب سهل لاكونيا واكتفى بأن أشبع خياله بالمرور بجيوشه أمام المدينة المرتعدة . وهو أمر لم يفعله أحد من قبل .

حقيقة أن اسبرطة لم تسقط ولكن ظهورها فى مثل هذا الخوف كان بداية لضربة سياسية أخرى . فقد ثار الهيلوت والمجاورون Perioeci من أهل مسينيا وأدرك أبامينونداس أنه يستطيع أن يكيل ضربة بفصل مسينيا عن اسبرطة وذلك بعد أن كافأ الأركاديين بمنحهم جزءاً من شمال لاكونيا اقتطعه من اسبرطة .

### استقلال ميسينيا :

وأخيراً بعد أربعة قرون من العبودية ، تحرر أهل ميسينيا على يد ابامينونداس . ذلك الاقليم الحزين الذى يقع فى الجنوب الغربى من شبه جزيرة البيلوبونيسوس حيث يحده شمالاً منطقة ايليس وشرقاً سهل لاكونيا ، وهى منطقة جبلية وعرة مثل جارتها أركاديا يتخللها بعض الأنهار خاصة نهر نيدا Neda ، ولكنها كانت أكثر عراقة وحضارة من أركاديا . فقد أثبتت الحفائر الأثرية أنها كانت مركزاً حيوياً من مراكز الحضارة الموكينية ، بل أنها لعبت دوراً فى حروب الطروادة ومنها كان نستور الوقور (Nestor) خطيب الحروب الطروادية ، كان مصير ميسينيا مثل مصير باقى مدن الحضارة الموكينية اذ غزتها جحافل الدورين فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد . ولما بدأت المدينة الدورية اسبرطة تنمو وتتبع ضمت اقليم ميسينيا لها واعتبرت أهلها مستعبدين وأنصاف مستعبدين Peroeci ، وقاوم أهل ميسينيا اسبرطة فى حربين مريرتين ابان القرن الثامن والسابع قبل الميلاد ، فقدوا بعدها أرضهم وحريتهم وأصبحوا عبيداً للسادة الاسبرطيين ، ولكنهم لم يستسلموا أبداً بل ظلت الثورة حية وان كانت تحت الرماد ، وكانت قلعته فى الثورة هو جبل ايثومى Ithome التى منها أعلنوا ثورتهم الكبرى عام ٤٦٤ ق.م حيث قاوموا اسبرطة طويلاً حتى استسلموا ، وفر الثوار طالبين الحماية من أثينا فوطنتهم فى مدينة ناوباكتوس عام ٤٥٥ . وقد ساعد أهل ميسينيا أثينا عندما احتلت قوة من رجالها مدينة بيلوس فى البيلوبونيسوس بعد انتصارهم على الاسبرنيين فى سفاكتيرا Sphacteira عام ٤٢٥ ق.م وحاولت أثينا تأليبهم على اسبرطة آنذاك ولكنها لم تفكر فى منحهم استقلالهم . وخلاصة القول أن ميسينيا كانت دائماً « كعب أخيليس » (١) بالنسبة لاسبرطة .

(١) أى نقطة الضعف .

استقبل أهل ميسينيا أبامينونداس بالتهليل فقد كان جيش تحرير بالنسبة لهم . ووضع القائد الاسبرطى بنفسه حجر الأساس لعاصمتهم المستقلة التى أسموها ميسينى Messene ما بين عام ٣٧٠ و ٣٦٩ ق م وخرج نداء الى اللاجئين من أبناء الأقاليم يطالبهم بالعودة الى الوطن المستقل بعد غربة التنريد وعلى نفقات الزمامير راحوا يبنون أسوار مدينتهم . وأصبحت قلعة جبل Ithome قلب المدينة تحيط بها الأسوار هبوطاً من الجبل الى الوديان . وبذلك تلقت اسبرطة ضربة قاضية أخرى فقد أصبح الهيلوت والمجاورين أحراراً فى بلادهم وفقدت اسبرطة غرب لاكونيا كله . ولا تزال أطلال هذه المدينة بتحصيناتها وأبراجها وقلاعها قائمة حتى اليوم تشهد بقدرة الهندسة العسكرية الاغريقية .

#### أثينا تتدخل دون جدوى :

أثرت هذه الأحداث كثيراً فى المواطنين الاثينيين ، ولما طلبت اسبرطة منهم العون فى شتاء عام ٣٦٩ صوت المجلس الشعبى بالموافقة على ارسال حملة بقيادة ايفكراتيس ولكنه عندما وصل وجد « أن السيف قد سبق العزل » فلم يفعل شيئاً . خاصة أن جيش ابامينونداس كان قد غادر ميسينيا وبالتالي فلا خطر يهدد اسبرطة ، فأرضاهما بالقيام ببعض الالتحامات الموجودة مع جيش طيبة عندما لحق به قرب خليج كورنثا . ولكنه لم يطارد ابامينونداس ليجبره على العودة الى طيبة ، وبعد ذلك بشهرين عقد تحالفاً مع اسبرطة وبهذا التحالف تعقد الموقف السياسى فى البيلوبونيسوس . فقد أصبح الاثينيون فى حالة حرب مع طيبة وحلفاء فى نفس الوقت لأعداء دويلة أركاديا أى حلفاء لمدينة اسبرطة .

#### ابامينونداس يغزو البيلوبونيسوس للمرة الثانية :

ولم يكد يمض وقت قصير حتى دب الصراع بين المدن الموالية لاسبرطة وبين الحلف الأركادى مما دعى ابامينونداس الى الظهور بجيشه مرة أخرى فى هذه المنطقة من البيلوبونيز فى صيف عام ٣٦٩ ق م وكان عليه فى هذه المرة أن يواجه قوات أثينا واسبرطة مجتمعة واستطاع بالفعل أن يخترق صفوف هذين الجيشين عندما حاولا اعتراضه عند

خليج كورثا وتمكن من أن يحتل سيكيون وبليني ولكنه فشل في احتلال فلايوس . وفى هذه الأثناء وصلت عشرين سفينة تحمل ألفين من الجنود المرتزقة بعث بهم ديونيسيوس طاغية سيراكوزة لمساعدة اسبرطة مما اضطر ابامينونداس الى العودة الى طيبة قبل أن ينهى الغرض الأساسى لحملته .

ولما عاد الى طيبة هاجمه أعداؤه السياسيون وقدم للمحاكمة ولولا تدخل أصدقائه لصدر حكم ضده ولذا حرم من الترشيح لمنصب الزعيم Boeotarch لعام ٣٦٨ وفى هذا العام شغلت اسبرطة اهتمامها بأحداث تساليا ومقدونيا وتركزت البيلوبونيسوس الذى ظل على حالة الفوضى والصراع السياسى . ففى صيف عام ٣٦٨ ق م ألحقت اسبرطة بمساعدة قوات ديونيسيوس الأول هزيمة ساحقة بأركاديا وهبت الثورة الاجتماعية فى سيكيون وظلت مشتتة لسنوات عديدة والمدينة تتأرجح بين الأوليغارخية والدكتاتورية والديموقراطية .

اثينا واسبرطة وأعداء طيبة يطالبون بفرض سلام الملك ( ٣٦٧ ق م ) :

ازدادت صلات التعاون بين سيراكوزة واسبرطة وتمكنت الأخيرة من تحقيق بعض الانتصارات البسيطة على الحلف الأركادى بفضل المساعدات العسكرية من جانب الأولى خاصة فيما بين ٣٦٩ ق م « وبدأ اسم ديونيسيوس الأول طاغية سيراكوزة يتردد فى العالم الاغريقى (١) ففى عام ٣٦٨ ق م عقد هذا الطاغية معاهدة تحالف مع الاثينيين بصفتهم حلفاء لاسبرطة حليفته القديمة . وكان الاثينيون قد مهدوا لهذه المعاهدة بقرار تكريم للعاهل السيراكوزى منحوه فيه وأولاده حقوق المواطنة فى مدينتهم . بل أنه دعى الى مؤتمر عام للمدن الاغريقية عقد فى دلفى وكان

(1) G. Woodhead ; The «Adriatic Empire» of Dionysius I of Syracuse, Klio LII, 1970, P. 503—513.

ويتحدث المقال عن نشاط هذا الملك فى بناء امبراطورية فى بحر الادرياتيک تحل محل القوة الاغريقية فى بلاد الاغريق التى نضبت سياسيا واقتصاديا بسبب الحروب الطويلة .

الداعى الحقيقى لعقد هذا المؤتمر هو أريوبارزانيس Ariobarzanes ،  
سأتراب ولاية فريجيا وربما تم ذلك بوحى من الاثينيين بقصد تصفية  
الخلافات بين الدويلات الاغريقية والتي كانت تهدد باندلاع حروب فى  
كل مكان .

ولم تمنع الدويلات الاغريقية من الاشتراك فى هذا المؤتمر ولكنهم  
فى النهاية انفضوا دون أن يتفقوا ، فقد رفض طلب أثينا فى ضم  
امفيوليس اليها Amphipolis ورفضت اسبرطة أن تعترف باستقلال  
ميسينيا بينما عارضت طيبة مطالب كل من اسبرطة وأثينا وطالبت  
بالاعتراف بالتغيرات التى أحدثتها فى العالم الاغريقى . وفى الشتاء  
التالى خرجت أصوات من أثينا واسبرطة تطالب بالعودة الى سلام الملك  
الفارسى ، وسارعت طيبة فأيدت هذا الاعلان وتبعها أرجوس وايليس  
والأركاديون، وسافرت وفود هذه الدويلات الى بلاط الشاهنشاه فى سوسا  
وأرسلت طيبة يلوبيداس الذى سحر الملك الفارسى بمنطقة وحصل على  
الكثير مقابل تنازلات قليلة . وعاد يحمل صكا مكتوبا عليه خاتم ملك  
الملوك ويعترف بسيادة طيبة على الدولة البيوتية وبدولة ميسينيا المستقلة  
مقابل اهمال مطالبة الأركاديين بمدينة ايليس بل ضم اليها مدن تروفيليا  
التى كانت أركاديا قد استولت عليها مما أغضب الاركاديين وشعروا بأن  
حليفهم طيبة قد غدرت بهم وباعتهم من أجل مصالحها الذاتية ، كذلك  
عاد المندوب الاثينى غاضبا فقد رفض الملك طلب أثينا فى ضم مدينة  
أمفيوليس اليها . أما طيبة فقد عادت تلعب الدور الذى سبق لاسبرطة  
أن لعبته وهو زجل البوليس الذى يراقب تطبيق شروط الملك الفارسى ،  
عندئذ دعا ابامينونداس الى عقد مؤتمر كبير فى طيبة لتأكيد احترام  
شروط الملك على ضوء التغيرات الأخيرة ولكن هذه الدعوة لقيت  
الصمت من جانب الولايات الاغريقية لأن شروط الملك لم تعد تجلب  
السلام بل بذور الشقاق والخلاف وهددت باندلاع حروب جديدة بين  
الدويلات الاغريقية .

### ابامينونداس يغزو البيلوبونيسوس للمرة الثالثة :

عادت المسألة البيلوبونيسية الى الظهور بعد عودة ابامينونداس الى مسرح السياسة في طيبة . فقد أعيد انتخابه لمنصب الزعيم عام ٣٦٧ ق م وما أن تم ذلك حتى سار بجيشه الى البيلوبونيسوس بهدف ردع الحلف الاركاى الذى أعلن استيائه من التعديلات الأخيرة على اتفاق سلام الملك أرتاكسيركسيس . وعبر جيش طيبة مضيق خليج كورثا بمساعدة حلفائه أهل أرجوس الذين أمنوا له الممرات الجنوبية لكورثا . لقد فعلت أرجوس هذا بدافع حقدها على لوكوميديس رجل أركاديا الأول وبسرعة استولى ابامينونداس على منطقة آخيا وتحالف مع مدنها عن طريق إقامة حكومات أوليجارخية فيها . ولكن أعداء ابامينونداس أدانوا فكرة الاعتماد على الحكومات الأوليجارخية وعملوا على إصدار قرار يأمره بإسقاط هذه الحكومات وإحلال الديموقراطيين محلهم (١) . وتند أبامينونداس ذلك القرار على كرهه وكان بالفعل قراراً أرعنا لأنه أشعل نار الصراع الاجتماعى من جديد Stasis . (٢) وكانت الأوليجارخية متأصلة في هذه المناطق بفعل استعمار اسبرطة الطويل لها . ولهذا قاد الأوليجارخيون معارك عنيفة حتى استردوا الحكم في آخيا وأعلنوا انتهاء معاهدات الصداقة مع طيبة والعودة الى التحالف مع اسبرطة وكان ذلك ضربة خاسرة لطيبة خاصة بعد أن أعلنت بليني Pellene انسحابها من حلف بيوتيا وكان الخطأ الثانى الذى ارتكبه ابامينونداس اثرته أثينا ضده وذلك عندما اقتطع مدينة أوروبوس Oropus منها وضمها الى طيبة وذلك في ربيع عام ٣٦٦ ق م .

### اعداء طيبة يتحالفون في جبهة واحدة :

ونتيجة لهذه التصرفات الخاطئة سافر لوكوميديس زعيم الحلف الاركاى الى أثينا وسعى لعقد تحالف مع الأثينيين ضد طيبة وقبل الأثينيون ذلك التحالف بقصد الرد على احتلال طيبة لمدينة أوروبوس .

(1) J. Wiseman " Epaminondas and Theban invasions, Klio, LI, 1969, p. 177-199.

(2) J. Roy, Arcadia and Boeotia in Peloponese affairs 370-362 B.C. XX, 1971, p. 569-599.

وبينما كان الزعيم الأركادى فى طريق عودته تربص به بعض من أعدائه وقتلوه وبذلك فقد الحلف الأركادى عقلا ذكيا وقيادة بارزة فى وقت كان أحوج فيه إليها . وبمقتضى هذا التحالف الاثنى الأركادى تعقد الموقف السياسى فى بلاد اليونان اذ أصبحت أثينا حليفة لعدوين متخاصمين فى نفس الوقت هما اسبرطة وأرجوس ولقد لام بعض المؤرخين الزعيم الاثنى كالستراتوس Callistratos لقبوله التحالف مع الحلف الأركادى ولكنه لم يكن يدري أن زعيم الحلف الأركادى لوكوميدس سوف يلقى مصرعه غدراً وسوف ينهار الحلف بعد موته .

**انسحاب كورنثا وتوابعها على ساحل أرجوليس وعلان حيادها :**

ازدادت علاقة الحرب والسلام بين الدويلات الاغريقية تعقداً بعد استرداد أثينا لمدينة أوروبوس وادراكها لمدى خطورة ترك عنق الزجاجة الذى يربط مداخل البيلوبونيسوس مفتوحا للجيش الطيبة تعبده متى تشاء لتدخل البيلوبونيسوس فحاولت القيام بمؤامرة تهدف الى احتلال كورنثا بقصد احكام السيطرة على مداخل البيلوبونيسوس ولكن المؤامرة اكتشفت وغضبت كورنثا وأعلنت تصالحها مع طيبة وحذى حذوها تابعتها مدينة فلايوس ومدن ساحل أرجوليس وأعلنوا اعترافهم باستقلال ميسينيا ولكنهم أعلنوا فى نفس الوقت حيادهم فى أى صراع يقوم مستقبلا بين طيبة وأعدائها وكان فى ذلك خسارة كبيرة لأثينا .

هكذا بدأ الجو السياسى مشحوناً فى الولايات الاغريقية وباتت الأمور معقدة والخلافات حبالى بحروب مختلفة فى كل مكان .

وعاد ابامينونداس الى بلده وهناك وجد مشاكل سياسية تبرز فى تساليا ومقدونيا شغلته وأصدقائه لأكثر من عامين مما ساعد على هدوء الأحوال فى البيلوبونيسوس أكثر من أى وقت مضى ، بالرغم من انفجار الصراع بين الحلف الأركادى ومدينة ايليس Elis فى الشمال الغربى من البيلوبونيسوس .



### طيبة تتدخل في مشاكل مع تراكيا ومقدونيا :

سبق لنا أن ذكرنا كيف أن ياسون طاغية فيراى لقي مصرعه ٣٧٠ ق م أثناء استعراض عسكري وأن موته أثلج صدر طيبة التي كان تتطلع الى التوسع شمالا وضم دويلته لحلفها ، وكانت تنتظر الفرصة التي تتيح لها ذلك . وجاءت الفرصة بعد أن انتهى الصراع على عرش فيراى وتولى ابن شقيق ياسون واسمه الاسكندر ، ولكن مدن تساليا الأخرى رفضت الاعتراف به حاكما شرعيا لاغتياله عمه ، وساعد في ذلك الرفض اللاجئون من مدينة لاريسا الذى أعلنوا التمرد ودعوا ملك مقدونيا المجاورة للتدخل لنصرتهم . وكان يحكم مقدونيا آنذاك الملك الاسكندر الثانى وكان يطمع في التوسع على حساب فيراى . فسارع الى احتلال مدينة لاريسا وكرانون ودخلها دخول الغازى فاستاء أهلها وأدركوا أن ظنهم فى الاسكندر الثانى قد خاب فاتجهوا الى طيبة لاتقاذهم من الدويلتين معا . وكان فرصة لطيبة فسارع يلوبيداس فى عام ٣٦٦ ق م وطرد المقدونيين من لاريسا وحرر عدة مدن فى تساليا وجعلها تحت حماية طيبة اسما ومستقلة فعلا .

ولما عاد الاسكندر الثانى الى مقدونيا وجد مؤامرة فى القصر . فقد تأمرت أمه يوروديكي تلك الملكة الشاذة عليه فى غيابه مع عشيق لها من النبلاء ويدعى بطليموس الألورى Ptolemy of Alorus وأعلنت لأن بطليموس العشيق هو المستحق للعرش . ونشب صراع مرير بين أنصار الاسكندر الثانى وبين العشيق المدعى للعرش وطالبا طيبة عام ٣٦٨ ق م . بالتدخل والتحكيم بينهما . وأيدت طيبة الاسكندر وعقد يلوبيداس معه معاهدة صداقة وغادر مقدونيا عائداً ولكن لم تمض بضع شهور حتى اغتيل الاسكندر الثانى ونشب الصراع حول أنصار الملك القتل والعشيق المطالب بالعرش وحاولت الملكة الأم يوروديكي أن تضمن العرش لولديها فيليب الخامس وبرديكاس أبناءها من زوجها الملك أمونتاس . ولكن الأميرين كانا قاصرين ولذا سارعت بالزواج من العشيق وعينته وصياً على الأميرين . ولكن سرعان ماظهر مطالب جديد بالعرش اسمه

باوسانياس أدعى أن له صلة قرابة بالملك القتييل . ولكن الملكة الأم حاولت القضاء عليه بكل وسيلة . فاتجهت الى أثينا تطلب المساعدة من أجل تحقيق ذلك . ووجد الأثينيون في ذلك فرصة لتدعيم مركزهم في شمال بلاد اليونان خاصة منطقة خالكيدكي وبالفعل قامت حملة بزعامة ايفكراتيس حققت للملكة غرضها . وأثار هذا التصرف من جانب الملكة غضب طيبة لأنها لم تكن تود أن ترى الأسطول الاثيني يظهر في مناطق نفوذها فسارع يلوبيداس الى مقدونيا في حملة ثانية على ٣٦٨ حيث أرغم الملكة وعشيقها بطليسوس على الدخول في تحالف مع طيبة ولضمان سياسة الملكة مستقبلا حمل معه عدداً من الرهائن من علية القوم في مقدونيا ومن بين هؤلاء الرهائن كان فيليب الخامس نجل الملكة من الملك أمونتاس ، وفي طيبة راح الأمير الذي أراد له القدر أن يكون صانع مقدونيا الجديدة ، يتلقى تعليمه في الأكاديمية العسكرية تحت رعاية واشراف ابامينونداس نفسه .

وفي أثناء عودة يلوبيداس من مقدونيا عرج الى تساليا حيث حل مشاكل مدينة لاريسا وغيرها من مدن تساليا ومنحها الاستقلال الذاتي وأقام بينها شبه حلف اتحادى تحت حماية طيبة ، ثم حاول في عام ٣٦٨ أن يضم مدينة فارسالوس Pharsalus ولكن الاسكندر ملك فيراى خرج عليه بجيش رهيب جعله يسرع اليه طالباً السلام . وكان الاسكندر ملك فيراى قد عقد معاهدة دفاعية مع الاثينيين رداً على معاهدة الصداقة بين طيبة ومقدونيا . وفي أثناء مأدبة أقامها الاسكندر للقائد يلوبيداس ومساعدته الثانى ابسيمينياس قبض عليهما وأسرها ولم تستطع طيبة أن تنقذ جنرالها الشهير الا في الخريف التالى بفضل بفضل ابامينونداس الذى أنقذ الجيش من ورطة كاد أن يقع فيها وأمن انسحابهم الى مناطق آمنة . وعقد معاهدة مع ملك فيراى اعترف فيها بسيطرة الملك على أجزاء كبيرة في جنوب وشرق تساليا مقابل اطلاق سراح يلوبيداس واسمينياس .

هكذا يبدو أن نجاح سياسة يوتيا في شمال بلاد اليونان كان محدوداً . بسبب بهالة تكاليف الحملات العسكرية التي بدأت تثقل ظهر طيبة فلم تكن يوتيا بالمنطقة الغنية بمصادرها الطبيعية ولا كان لها حلفاء أثرياء ولذا آثرت طيبة أن تترك حلفاءها في الشمال متصارعين مفكرين حتى لا تصبح تساليا متحدة في دولة واحدة تهددها يوما ما .

ثم شغلت طيبة نفسها بالمفاوضات مع الفرس وبالتدخل في البيلوبونيسوس لسنوات عديدة قادمة مما شجع الاسكندر ملك فيراى « ذلك اللص الظالم للبر والبحر » أن يتوسع لكى يصبح سيد الشمال معتدلاً على جيش مدرب خير تدريب جنده من أبناء القبائل الجبلية الشرسة . وبدأ يهدد مدن تساليا فاستغاثت هذه المدن بطيبة عام ٣٩٤ ق م فارع يلوبيداس بقوة قدرها ثلاثماية فارس واقتحم تساليا بالقوة في صيف ذلك العام . ودار صراع حربى عنيف بين الطرفين للاستيلاء على المرتفعات رءوس الكلاب المعروفة باسم « كونيوس كيفالاي » وهى مجموعة من المرتفعات على الطريق ما بين لاريسا وفارسالوس . وبعد معركة عنيفة هزم الاسكندر . ولكن يلوبيداس ارتكب خطأ كبيرا عندما اندفع ليطارد الاسكندر لكى يقتله فتكاثرت عليه حراس الملك وقتلوه . ولما ذاع هذا النبأ انتشر الذعر بين صفوف جيش طيبة لفقدان أحد اثنين تقوم عليهما الامبراطورية البيوتيه .

وفى الخريف التالى أرسلت طيبة الغاضبة جيشا قوامه ثمانية آلاف جندي لتأديب الاسكندر الذى آثر أن يستسلم ويقبل انتزاع كل ممتلكاته فيما عدا فيراى وأن يقبل الدخول تحت حماية طيبة .

**طيبة تتدخل ضد مصالح الامبراطورية الاثينية في شرق بحر ايجه:**

كما سبق أن ذكرنا أن الدولة الاثينية هبت فيما بين ٣٦٨ - ٣٦٦ ق م لاستعادة قوتها وتوكيد سيطرتها وقد ساعدها على ذلك تواطؤ حاكم فريجيا معها وضد مصالح ارتاكسيركسيس ملك الفرس . وبمقتضى معاهدة سلام الملك اعيدت ساموس الى حوزة الفرس . وبعد أن

استعادت أثينا هذه الجزيرة لم تعتبرها عضواً في الامبراطورية بعد امتلاكها لها بقوة الحراب ، وعلى ذلك فقد عاملتها معاملة المقهورين فأرسلت مستوطنين أثينيين لاحتلال أراضيها الغنية ، وهو اجراء فاشل قديم أعاد الى الأذهان سياسة الاستعمار العارى البيركلية التى حاولت الامبراطورية الثانية تفاديه . وعرفانا بجميل أثينا منحها حاكم فريجيا مدينة استوس Sestus قرب مدخل البسفور والدردينل واستغلت أثينا هذا الموقع لتدعيم مركزها فى شبه جزيرة القرم Chersonese بل أن قائد الأسطول الأثينى تيموثيوس Timotheus أخذ يجبر المدن الهامة هناك مثل بودناوميثومنى وغيرها من مدن خالكيدىكى على الدخول فى حوزة الامبراطورية الأثينية .

ولم يكن هذا أمراً تسكت عليه طيبة لأنها كانت تخشى أن تستعيد أثينا سيطرتها على جزيرة يوبويا الهامة بالنسبة لها . وأمر ابامينونداس ببناء أسطول ، وفى عام ٣٦١ ظهر بأسطوله الذى كان يتكون من مائة سفينة حربية فى بحر مرمره . وكان ظهور سفن طيبة اعلاناً بتفجير الثورة الاجتماعية فى مستعمرات أثينا . وسرعان ما انتشرت الثورة على الامبراطورية الأثينية فى مدن يزنطة ورودس وخيوس . ولم تستطع أثينا استعادتها باستثناء جزيرة كيوس الصغيرة التى أعادها القائد الأثينى خابرياس الى الامبراطورية .

#### معركة مانتينيا ونهاية الامبراطورية فى طيبة :

بينما كان الحلف الأركادى يترنح وينهار حاولت مدينة ايليس انتهاز الفرصة لاستعادة سيطرتها على منطقة تريفوليا Triphylia ومن أجل ذلك تحالفت ايليس مع اسبرطة العدو الأول للاركاديين . ولم تجد اركاديا فى دفاعها عن نفسها الا أن تفتح جبهة جديدة لتشغل أهل ايليس . فلجأت الى تجديد الصراع بينها وبين مدينة بيسا Pisa وهو صراع قديم من أجل الاشراف على الألعاب الأولمبية . وأيدت اركاديا حق بيسا فى الاشراف على الألعاب الأولمبية بل وبمساعدة أثينا تمكنت مدينة بيسا من اقامة المهرجان الأولمبى الثامن والسبعين تحت ادارتها . وبينما

كانت مسابقات ألعاب القوى الخمسة Pentathlon ( وهي الجرى والمصارعة ورمى الرمح الجسلة والقفز العالي ) قائمة على أشدها هاجمت ايليس مكان الألعاب الرياضية عام ٣٦٤ ق م وهو تعد صارخ على حرمتها ، كان كافياً لادانتها ، وثارت ثائرة بلاد اليونان وأدانت ايليس بالرغم من أن التعاطف الحقيقي كان مع مطلبها في أحقيتها في إدارة هذه الألعاب ، وتدخلت أركاديا الى جانب ييسا ولما كان الحلف الأركادى يعانى من أزمة اقتصادية كبرى لا تساعد على الانشاق على العمليات الحربية فقد أقدمت أركاديا بالتعاون مع ييسا على الاقتراض من خزائن معبد زيوس في أولمبيا ، من أجل دفع رواتب الجنود المرتوفة وكانت الخلافات السياسية بين مدن حلف أركاديا قائمة على أشدها فانتهزت مدينة مانتينيا الفرصة وأعلنت انسحابها من الحلف الأركادى واستنكارها لما فعله الحلف في استغلال الأموال المقدسة من أجل حرب واهية والحققة أن الاقتراض من خزائن المعابد لم يكن شيئاً غريباً عند الاغريق لأن سلطات المعابد اعتادت اقراض الحكومات التى يتبعها موقع المعابد الأموال مقابل نسبة من الأرباح فمثلا اقترضت أثينا من خزائن معبد البارثينون مبالغ كبيرة أثناء الحروب البيلوبونيسية . ومن المعروف أن فكرة البنوك نبتت من المعابد القديمة ولكن الذى أثار ثائرة الدويلات الاغريقية على أركاديا وييسا احساسها بأن أموال معبد زيوس في أولمبيا ملكا مشاعاً لهم ولايجوز أن يكون استخدامها قاصراً على مدينة معينة وإزاء هذا الاحتجاج افرقت أركاديا الجيش المأجور وأنشأت صندوقاً لمساعدة ييسا عن طريق التبرعات التى جمعتها من أثرياء مدن الحلف .

ورأت ايليس أن تقبل هدنة مؤقتة مع الحلف الأركادى الذى كان يعانى من شتى أنواع الشقاق فقد كان هناك عدداً من الأعداء يطالبون بانتهاء التحالف مع طيبة واستبداله بالتحالف مع اسبرطة وإزاء هذا تقدم أصدقاء طيبة بطلب عاجل يطلبون فيه التدخل وأرسلت طيبة أحد قوادها الذى أساء التصرف في معاملته للأركاديين - مما ترك مرارة في نفوسهم إزاء طيبة وشجع على العداء إزاءها والمناداة بالغاء أى تحالف معها مما أدى الى تدهور نفوذ طيبة في جنوب البيلوبونيسوس .

وازدادت الأمور تدهوراً في الحلف الاركاى فقد تحالفت ماتينيا وشمال اركاديا مع اسبرطة وانضمت ايليس وأثينا الى هذا التحالف الذى كان المقصود به أساساً طية حامية البقية الباقية من الحلف الاركاى . وتجمعت جبهة مضادة للتحالف الأول المناصر لطية من تيجا ( التى كانت تنظر بمرارة الى تاريخها السئ مع اسبرطة والاستعمار الاسيرطى ) ، ومن ميجالوبوليس وبعض المدن الموالية لطية في جنوب اركاديا بالاضافة الى ارجوس العدو التقليدية لاسبرطة وميسينى التى كانت تدين لطية بحريتها واستقلالها . بينما بقيت كل من كورثا وتوابعا وميجارا على الحياد على الرغم من أن كورثا لم تعترض اختراق جيش طية لأراضيها وهو في طريقه الى المعركة وسار ابامينونداس بجيشه الى تيجا حيث انضم الى الجيوش المتحالفة معه والتي كانت في انتظاره .

اتخذ المتحالفون ضد نية موقعهم قرب مدينة ماتينيا وفي بلقيء الأمر فكر ابامينونداس في مهاجمة هذه المدينة واحتلالها قبل تجمع أعدائه وقبل وصول جيش اسبرطة الذى كان في طريقه الى ميدان القتال .

ولما فشل في تنفيذ ذلك حاول أن يقوم بعمل مفاجئ وسريع وهو الهجوم على لاكونيا واحتلال اسبرطة مستغلاً غياب رجالها في المعركة . ولكن ما أن تلقى الملك أجيسلاؤس أنباء هذه النية من أحد الفارين حتى استدار بسرعة عائداً الى اسبرطة ولما وصل ابامينونداس الى مشارف اسبرطة وجد المدينة محصنة ومدججة بالسلاح من أخص قدمها الى قمة رأسها وتبدو كقلعة عسكرية . وكانت فكرة ابامينونداس الأساسية هي شغل اهتمام المتحالفين ضده عن خططهم في ماتينيا ومحاولة جرهم الى الذهاب الى اسبرطة لحمايتها ومن ثم يسرع ويضرب ضربته في ماتينيا قبل عودتهم اليها . ولكن لم يصل أحد من المتحالفين ضده سوى فرقة من الفرسان الأثينيين أرسلتهم أثينا للدفاع عن اسبرطة وتمكنت هذه الفرقة من مطاردة ابامينونداس حتى غادر اسبرطة . وفي

هذه الأثناء عادت القوة الاثينية التي كانت تحرس الألبان الأولية وانضمت الى باقى المتحالفين فى ماتينيا •

كان المتحالفون يتحصنون بسفوح المرتفعات الموجودة جنوب ماتينيا لأنهم ظنوا أن ايامينونداس سوف يتقض عليهم بهجوم رأسى ولكن ايامينونداس ظل هادئاً حتى بدأت المؤن فى التناقص • وزاد قلق الجنود من طيلة الانتظار فاستعد للهجوم وسار فى تشكيل مقاتل لتشكيله فى معركة ليوكترا فعلى يساره سار الجنود المشاة المسلحون بالأسلحة الثقيلة فى صف طويل وتحت اشرافه المباشر وكانت مهمتهم هو اختراق مينة العدو بسرعة خاطفة • ثم لجأ ايامينونداس الى سياسة خداع الأعداء بأن أوهمهم أنه لا ينوى الهجوم وذلك بأن سار فى تشكيل استعراضى متجه نحو الشمال الغربى ولكنه استدار حول الجبال ثم فاجأ الجيوش المهاجمة من اليمين منأ أترعهم وسبب حالة من الاضطراب بين صفوفهم واندفع فرسانه محدثين الرعب فى قلب فرسان الحلفاء بينما قاد هو بنفسه رأس الهجوم بمساعدة جنوده من المشاة الى قلب جيوش العدو فانهارت مينة الاسبرطيين ولم يستفيدوا من دروس معركة ليوكترا •

ولما رأت باقى الجيوش هذا الاتييار الذى حاق بجيش اسبرطة انبرت روحهم المعنوية والقتالية وكان نصراً محققاً لطية ولكن يا للأسف كان بداية لنهايتها • فبينما كان ايامينونداس يتدفع مع مسيرة جيشه ليتعقب العدو الهارب سدد أحد الجنود الى صدره حربة فأصابته اصابة ذلابة ولما شاع الخبر بين قواته سادها الذعر لأنها كانت تعتد كلية على ارشاداته ولا يستطيع أحد من الضباط أن يقوم مقامه فتوقف جيش طية عن مطاردة العدو ، وبدأ ينحسر وهو حزين وكأه جيش مهزوم • وتجمع الجنود حول قائدهم الأعلى وهو يحتضر بعد أن انتزعت الحرية وبدأ مكان الجرح مخيفاً • وسألت ايامينونداس عن رجل يسمى ايولايدوس Iolaidos وآخر يدعى دايفانتوس Daiphantos ولما قيل له انهما قد قتلا فى المعركة أجاب وهو يخرج الكلمات بصعوبة « عليكم

اذ أن تعقدوا السلام مع العدو » ونفذ جيشه الوصية وعقد مجلس للسلام على أساس الشروط القديمة استقلال مدن اليونان على أساس الأمر القائم Status quo فقد بقى الحلف الإركادى منقسما الى شطرين متحالفين واعترف باستقلال ميسينيا وكان اعتراف اسبرطة بذلك اعلانا لها أمام الجميع انها لم تعد تتحكم في شتون دويلات البيلوبونيسوس واعترف المتصالحون بحلف بيوتيا وامبراطورية أثينا كأمر واقع • وبالرغم من أن الامبراطورية البيوتية بدأت في التفكك بعد ضياع سر قوتها الوحشية والخلافة ممثلة في شخص ابامينونداس ويليبيداس والتي أمسكت بالامبراطورية جيداً ودفعتها الى الأمام أكثر من عشر سنوات هي قمة مجدها وعظمتها • وبهذا بدأت طيبة تتوارى عن مسرح السياسة الاغريقية •

لا يمكن لنا أن نغفل تناول هذه الشخصية العظيمة بالتعليق والتحليل • فقد اجمع المؤرخون على قدرته الفائقة وذكائه الحاد وشجاعته النادرة • فهو واحد من أعظم ثلاثة عرفهم التاريخ العسكرى القديم لما أحدثوه من ثورة في النظم والتكتيك العسكرى ؛ بالإضافة الى يأسون ملك مدينة فيراى ، وديونيوسوس الأول ملك سيراكوزة في صقلية • بل أن انتصارات فيليب المقدونى والاسكندر الأكبر المذهلة لم تكن سوى نتائج هذه الثورة الفنية العسكرية في طيبة •

#### تقييم تاريخى لشخصية ابامينونداس :

والحق يقال كان ابامينونداس عبقرية عسكرية أكثر منها سياسية • بل أن قدراته السياسية كانت متوازنة لا تتناسب مع مهمة تخطيط وبناء الامبراطورية ، ولذا لم يخلق بيوتيا كما ينبغى أن تكون، دولة ذات مركز قيادى في مجال علاقاتها الخارجية مع الدويلات الاغريقية • ونظراً لعدم وجود الجهاز المدرك والمخطط راحت بيوتيا تتخبط في علاقاتها الخارجية ، كذلك أخذ على ايامينونداس اهماله في انشاء واعداد الأسطول القوى الذى يحرس الامبراطورية وممتلكاتها في الخارج ويضمن وصول



الخيرات اليها من البلاد كما كان يفعل الأسطول الاثيني . كذلك لم يحاول ابامينونداس تدعيم بناء امبراطوريته لتتأسس في بنيان واحد . ولم يحاول أن يصهر القوميات الاقليمية في قومية واحدة بهدف خلق الاحساس بالانتماء السياسى الواحد .

حتى ولو وضعنا في الاعتبار الأسباب الخارجة على ارادته مثل عدم قدرة الاستعمار البيوتى على الصمود ظراً لضعف الامكانيات الاقتصادية وندرة مصادر الثروة والطاقة ولكن ذلك قد يدفع البعض الى توجيه اللوم اليه بأنه قد أساء في حساباته ولم يتصرف في ضوء طاقاته . كذلك أخطأ ابامينونداس بأن جعل نفسه الامبراطورية والامبراطورية هي نفسه فلم يحاول خلق قيادة تتولى من بعده لا في الجيش أو السياسة . لقد كان همه هو التوسع وليس تدعيم هذا التوسع حتى داخل الامبراطورية الأصلية نفسها ، ولذا فقد بقيت الامبراطورية مركبة من عناصر قبلية متنافرة ومتباينة ومتناقضة ترفض أن تتحد في قومية واحدة . فقد فاتته أن يخلق الأمة ولم يقم بالدور الذى قام به ثيسبيوس الاثيني وليكرجوس الاسبرطى . ومهما قيل عن شخصيته القوية والجدابة فقد كان ينقصه من الطاقة السياسية الديناميكية التى كان يتمتع بها بيريكليس العظيم والتى أرغمت الاثينيين على احترامه وأخرست ألسنة أعدائه وجعلت منه دكتاتورا مستتيراً حكم أثينا لمدة خمس عشرة عاماً باسم الديموقراطية .

أن الطموح والوطنية قد يحققان للزعيم السلطة وفرض السيادة ولكنهما ليسا كافيين لبناء الامبراطورية ، لأن الطموح والوطنية هما سلاحا السياسى القصير النظر ، فقد دفعت الوطنية ابامينونداس الى الاندفاع في مشروعات ومغامرات نجح فيها كفرد ولم تنجح فيها بيوتيا كامبراطورية (١) .

(1) G.L. Caw Kwell, "Eparinondas and Thebes, Classical Quarterly, XXII, 1972, P. 254-278.

ولكن بالرغم من هذا لانستطيع أن ننكر عليه مجهوداته في تنظيم المجسح  
الامفكتيونى الدينى بصورة جديدة جعلت منه ساحة وبوقا ووسيلة  
لأهداف الامبراطورية البيوتية . ولقد قام بأعماله العظيمة دون أن يجد  
مواطنين مخلصين لامبراطوريتهم يشاركونه الحماس والعقيدة بل  
كانوا مواطنين متراخين لا مباليين غير مدركين لما يقوم به زعيمهم ، دولة  
مفلسة اقتصاديا ومواطنون مفلسون سياسيا ووطنيا فكيف تبقى  
الامبراطورية ؟ أن السلاح قد يصنع الامبراطورية ولكن لا يستطيع  
الحفاظ عليها ومن ثم تصبح عبئا عليه وسببا في انهيار المعتدى وضعفه .  
ومهما يقال فسيبقى اسم ابامينونداس علما من أعلام التاريخ فهو  
الذى وضع نهاية للتفوق العسكرى الاسبرطى الذى كان اعتقادا سائدا  
شبه أسطورى ، وفنت أحشاء الدولة الاسبرطية الى الأبد بخلق دويلة  
ميسينيا وأركاديا وهما الأطار الحيوى الذى كانت تعيش عليه اسبرطة  
وتتوسع هكذا عندما مات الزعيم ماتت الامبراطورية معه ودفنت  
أحلامها معه فى القبر .

تلك هى أحوال العالم الاغريقى عام ٣٦٠ ق م فقد خرجت الدويلات  
مرهقة من طوان المعارك والحروب ، مفلسة لبهاظة النفقات على الجيوش  
ورواتب الجند المرتزقة وأصبح السلام أمرا ملحا بل وحيويا أكثر من أى  
وقت مضى . فقد تركت اسبرطة مخضبة الجناح بعد فقدها حلفها  
القديم فى البياربونيسوس . وبدأت الولايات والمدن التى وحدها ابامينونداس  
عام ٣٧٠ فى امبراطورية واحدة تتفكك وتنهار بعد موته عام ٣٦٠ ق م  
حتى الامبراطورية الاثينية البحرية كانت فى ذلك الوقت فى انهيار  
مضطرد ، ولم تكن لتبقى أكثر من خمس سنوات حتى حدث بعدها انهيارها التام .  
ولكن بغياب طيبة وبنهاية أسبرطة كان يمكن لأثينا أن تنهض من جديد  
اذ لم يبق على المسرح السياسى سواها ، وكان فى استطاعتها أن تحقق

بسهولة مطالبها السياسية في امفيبوليس ولكن ظهر في سماء الأحداث دولتان نصف اغريقيتان أعاقتهما عن تنفيذ أحلامها هما دولة كاريا الأسيوية بزعامة حاكمها ماوصولوس ودولة أخرى أكثر اهتماما بشئون بلاد اليونان، هي مقدونيا . وكان من الطبيعي أن يؤدي صراع المصالح الى التصادم بين مقدونيا وآثينا وما تبقى من ولايات اليونان . وكان هذا الصراع بداية صفحة جديدة وآفاقا جديدة للتاريخ والحضارة الاغريقية .

# الفصل السادس عشر

## مقدونيا تفرض سيادتها

على بلاد اليونان

مقدونيا - الجغرافيا والسكان :

ظلت مقدونيا خلال عصور التطور الحضارى والسياسى لبلاد اليونان منطقة يحيطها الغموض ، فهى بالرغم من أنها اقليم شاسع وغنى بالوديان ، والأنهار ، وبالأراضى الخصبة والمراعى الواسعة ، وبالغابات الكثيفة والجبال الوعرة ، الا أنها كانت الى درجة كبيرة منطقة نائية بعيدة عن المنافذ البحرية والتيارات الحضارية ، خاصة القادمة عبر الجنوب أى من بلاد اليونان .

كانت مقدونيا تحتل المساحة الشاسعة الواقعة بين منطقة البلقان شمالا وبلاد اليونان جنوبا ، ويربط بينها وبين تساليا ممر جبلى شهير اسمه ممر تمبى Tempe ذلك الممر الذى تغنى بجماله وسحره الشعراء . وفى العصر الحديث نجد مقدونيا القديمة تشغل الحيز الذى تتقاسمه كل من ألبانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وبلاد اليونان . وكانت عاصمة مقدونيا القديمة مدينة أيجاي Aegae وهى عاصمة المملكة المقدونية الأصلية ، لأنها من ناحية تتوسط الاقليم فضلا على أنها تطل من ربوة

(١) من احسن المراجع التى عالجت تاريخ وحضارة مقدونيا المكتبة العالمية

O. Hoffmann . Die Macedonen, ihre Sprache und ihr Volkstum (1966) ; S. Casson, Macedonia, Thrace, and illyia (1926).

وهو شيق لأنه من عمل مؤرخ اعتمد على الجفائر الاثرية . ايضا اود ان اشير الى الكتاب .

A.P. Dascalac's, The Hellenism of the Ancient Macedonians Institute of Balkan Studies, Thessalonice 1965,

عالية على وادى فسيح تتخلله الأنهار والعديد من البحيرات والغابات الكثيفة ومن أهم أنهار مقدونيا القديمة نهر أكسيوس الشهير Axios (والذى يعرف اليوم باسم فاردار - Vardar ) وهو ينبع من المنطقة الجبلية الشمالية مخترقا أيجاي نحو الشرق ليصب بعد رحلة طويلة في بحر ايجه .

وفيما بعد نقلت العاصمة من قلعة أيجاي الى أديسا Edessa ( ومكانها الآن مدينة فودينا التى تقع على بعد ٤٥ ميلا من شمال غرب مدينة سالونيك اليونانية وعلى بعد ٣٥٠ ميلا من جنوب شرق بلجراد اليوغوسلافية وعلى بعد ٢٠٠ ميل شمال غرب العاصمة اليونانية أثينا ) . حقيقة لقد ظلت مقدونيا لغزاً وسراً مغلقاً بالنسبة لغالبية الاغريق ، إلا أنهم اقتربوا منها في عصر الانتشار والاستيطان عندما أقاموا بعضاً من مستوطناتهم بالقرب من شاطئ بحر ايجه وحول خليج سالونيك ومنطقة خالكيدى بشعابها الثلاث الفائرة في البحر وباقامة هذه المستوطنات يمكن القول بأن الاغريق وضعوا أيديهم على المداخل المؤدية لمقدونيا بل وعلى عنق الزجاجة لأنهم - أى الاغريق - أغلقوا الأبواب على المقدونيين وحالوا بينهم وبين الانطلاق عبر آفاق العالم الخارجى والتفاعل بتيارات حضاراته ، وأبقوهم سجناء معزولين يحيون حياتهم البدائية المتخلفة بين الرعى والصيد والقتال ولا يعرف الاغريق عنهم سوى أنهم قبائل بدائية شرسة تسكن الغابات الغامضة ويحسن الابتعاد عنهم . بينما بدأ المقدونيون القريبون من المناطق الساحلية في تقبل الحضارة الاغريقية (١) .

كانت ايجاي في الأصل عاصمة لأكبر أقاليم مقدونيا وأغناها ويعرف باسم اقليم اماثيا Emathia وكان الاغريق يعرفون المنطقة الواقعة

---

(١) يقول داسكالاكيس . كلما اقترب المقدونيون من السواحل كلما زادت تقاوة عنصرهم الاغريقى وكلما تعمقوا في الداخل كلما ازداد اختلاطهم عنصريا بالبرابرة غير الاغريق

جنوب هذا الاقليم باسم اقليم بيريا *Pieria* وهى منطقة جبلية وعرة وسبب معرفة الاغريق لهذه المنطقة هو أنها تقع شمال جبل مقدس عند كل الاغريق ويقع فى أقصى شمال تساليا الا وهو جبل الأولبوس *Olympus* الأسطورى ، والذي يفصل جغرافيا بين تساليا ومقدونيا . وكان الاغريق يعتقدون بأن آلهة الأولبوس تسكن فوق قمة هذا الجبل الشاهق والذي يبلغ ارتفاعه نحو عشرة آلاف قدم ، حيث تغطى قمته الثلوج البيضاء والتي كانت تتراءى لأهل ايجاي المقدونية أنفسهم من بعيد ، مع نيف الأفق الجنوبى .

ويشق منطقة بيريا نهر هاليكامون *Halikamon* ( حاليا نهر فسترتزا ) *Vistritza* متجها نحو الشرق ليصب فى خليج سالونيك . ولقد كان لهذا الوادى مكاتته فى الأساطير والخيال الاغريقى الخصب ف قيل أن ربات الفنون والآداب السع *(Musae)* كانت تعيش عند سفح الأولبوس . كما روى التراث الأسطورى أيضا أنها تحوى قبر أورفيوس *(Orpheus)* نبي الموسيقى والانطلاقية الأسطورى (١) ، فضلا على أن هذه المنطقة كانت كجنته الله على الأرض لجمالها وغناها . ولكن بالرغم من هذا تردد الاغريق كثيرا فى دخول هذه المنطقة واحتلالها خوفا من شراسة المقدونيين بسبب ما عرف عنهم من بربرية وفور عدوانى من أى أجنبى غير مقدونى يقدم الى بلادهم (٢) .

وفى الغرب من اقليم بيريا واماثيا تمتد منطقة أخرى تعرف باقليم لينكستيس *(Lyncestis)* وكانت عاصمة هذا الاقليم مدينة هيراكليدا

(١) تروى الاساطير أن ربات الفنون والآداب المقيمة فى اقليم بيريا ظلت الى الأبد تنوح فوق قبر أورفيوس *Orpheus* ويقول داسكا لأكيس أن العبادات والشعائر ذات الرقص الانطلاقى جاءت الى مقدونيا من تأثير القبائل التراكية التى يعتقد انها جاءت الى مقدونيا من آسيا الصغرى عبر مضيق البسفور والدردينيل . لكن أهل تراكيا كانوا يتكلمون لغة تختلف عن الاغريقية لأن الاغريق استعانوا بترجمان أثناء التفاوض معهم انظر :

Xenophon, Anabasis, VII, 3, 25.

(2) cf. Daskalakis, op. cit, p. 7.

Heraklea (وهي مدينة موناستير الحالية في أقصى جنوب يوغوسلافيا) ويقال أن أسرة اغريقية يربطها صلة قرابة بأسرة آل باخياس الكورثية جاءت من الجنوب وظلت تحكم هذا الاقليم على مدى قرنين من الزمان ، وينتسب شعب هذا الاقليم الى الأليريين (Ilyrians) أجداد الألبانيين المعاصرين ، وقد تغنى الشاعر العاطفى الرومانى أوفيدوس في مؤلفه « مسخ الكائنات » (Metamorphoses) بنهر اقليم لينكستيس وشبه مياهه العذبة بالنبذ المعتق (١) وعلى أى حال كان اقليم لينكستيس جزءاً لا يتجزأ من مقدونيا الكبرى ولكنه كان أكثر بعداً من اقليم اماثيا وأكثر انعزالاً عن تيارات الحضارة الاغريقية وعلى العكس من ذلك كان اقليم اماثيا حيث بدأت الحضارة والثقافة الاغريقية في التسلسل سواء عن طريق القادمين أو بفضل القصر الملكى وبلاطه في أيجاي .

ومناخ مقدونيا عموماً شديد البرودة شتاءً وغزير المطر ربيعاً وشديد الحرارة صيفاً ، ولكن ذلك الطقس القارى لم يؤثر على الاطلاق في المحاصيل الزراعية خاصة في البقاع الجنوبية الغربية من ساحل بحر ايجه لقد كانت مقدونيا القديمة غنية بمصادرها الطبيعية وذلك لأن هذه المصادر لم تكن قد استهلكت ، كما هو الحال في باقى بلاد اليونان ، كما أن قلة عدد السكان ساعدها على الاحتفاظ بمصادرها غنية .

لقد اشتهرت مقدونيا بأشجار التين والزيتون وبحقول القمح والشعير والكروم والحدائق . فضلاً عن المراعى الشاسعة الممتدة فوق الروابي والسهول والتلال حيث كان ترعى قطعان المواشى والأغنام . كما ساعدتها الغابات الكثيفة على تصدير الأخشاب اللازمة لبلاى اليونان (٢) . ولقد عرف عن مقدونيا شهرتها بتربية الخيول وبصناعة النبيذ كما أنها كانت تمتلك مناجم غنية بالذهب والفضة . وخلاصة القول كانت

(1) Metamorphoses, XV, 329.

(2) Xenophon, Hellenicas VI, 2.

مقدونيا بخيراتها وأراضيها البكر واقتصادها القوى مؤهلة لكي تلعب دوراً سياسياً وعسكرياً ناجحاً في تاريخ شبه القارة اليونانية (١) .

كان المقدونيون شعباً أشقر البشرة ، طوال القامة ، زرق العيون ، تجرى في عروقهم دماء أهل شال أوروبا ، وقد قيل أن سكان مقدونيا الأصليين جاءوا إليها من حوض نهر الدانوب ، أى أنهم يرتبطون بقرابة مع الاغريق » ولكن الاغريق رفضوا الاعتراف بهذه القرابة لأنهم لم يستسيغوا لغة المقدونيين الغريبة ذات الرطابة البربرية بالرغم من أنها كانت تنشق من نفس الجذور التي انبعثت منها اللغة اليونانية كما أن اللغة المقدونية لم تكن مدعمة بخلفية أدبية وفكرية خلاقة مثل اللغة اليونانية مما أضعف من موقعها ولهذا فضل أمراء القصر والأرستقراطيون المقدونيون تعلم اللغة اليونانية بلهجتها الأتيكية الراقية كجزء من تعليمهم وكانوا يفضلون الحديث بها فيما بينهم . لأنهم وجدوا في ذلك أرقى وأسهل من الرطابة بلغتهم القومية الجافة .

لقد تمكن الأثريون من تتبع تاريخ مقدونيا منذ العصر الحجري المتأخر وخلال عصر النحاس حيث ساد فيها نوع من الاستقرار تأثر بدرجة معينة بطريقة الحياة الموكينية بالرغم من احتفاظ مقدونيا بجوهر مستقل عن حضارة جنوب اليونان ، كما ثبت من الحفائر الأثرية أن مقدونيا لاقت نفس مصير الحضارة الموكينية عندما غزاها الدوريون في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد واستوطنوها ولهذا يرى المؤرخون أن سكان جنوب مقدونيا ليسوا إلا أحفاد الدوريين ، أما سكان شمال مقدونيا أو مقدونيا العليا فقد كانوا خليطاً من الاغريق وأهل الليريا وقبائل منطقة تراكيا (٢) .

يقع اقليم تراكيا (٣) في أقصى الشرق من مقدونيا ، ويقف هذا الاقليم كم منطقة عازلة بين مقدونيا ومضيق البسفور والدردنيل (Propontis) .

(1) Daskalakis, op. cit., p. 7.

(2) F. Geyer, "Macedonien bis zur Thronbesteigung Philipps (Historische Zeitschrift, Beiheft 19, 1930, Daskalakis, op. cit. p. 25 ff.

(3) Daskalakis, op. cit pp. 23-24.



ذلك المخرج الحيوى الهام • وكان أهل تراكيا قبائل بربرية صعبة المراس ، شرسة تعيش فى المناطق الجبلية الوعرة • وبالرغم من هذا فلم يكن هناك أى علاقات سواء سياسية أو حضارية بين أهل تراكيا والمقدونيين باستثناء الروابط الفردية والمحدودة التى تنشأ من المصاهرات بينهم • كذلك لم يكن هناك أى روابط بين مقدونيا وأهل منطقة ميسيا (Moesia) الواقعة بين أطراف مقدونيا الشمالية وجنوب حوض نهر الدانوب •

ومهما بلغت الشعوب والقبائل فى أطراف العالم الهللىنى رقىا إلا أنها كانت جميعا فى نظر الاغريقى الجنوبى المتحضر : شعوبا بربرية ، شرسة متخلفة عن ركب الحضارة ، تعيش حياتها البدائية الغامضة وسط الأحراش والغابات وعلى الجبال • ولم يفرق الاغريقى فى الحقيقة بين المقدونى والأللىرى والميسى والتراكى ولم يضع تعريفا جوهريا ، يحدد عنصر كل منهم ، بل اعتبرهم جميعا برابرة (Barbaroi) وهذا بالرغم من اقبال الأمراء والارستقراطيين المقدونيين على الأخذ بشغف من منهل الحضارة الاغريقية وعلى تقليد طريقة الحياة الاثينية وايجاد نوع من الصفات المشتركة بينهم وبين الاغريق فى الجنوب ولكن ذلك لم يغير أبداً من نظرة الاغريق الاستعلائية التى نظرت اليهم على أنهم قبائل بدائية متخلفة تغطى أجسامها بجلود الحيوانات وتقض حياتها بين الرعى والتقاتل (١) • بل أن أرسطو نفسه ضرب مثالا بالمقدونيين فى الشراسة والبربرية عندما روى كيف أنهم لا يعترفون ببلوغ الفتى مبلغ الرجال ما لم يقتل عدداً من الناس (٢) • أما أثيناىوس Athenaeus فقد وصف المقدونيين بأنهم شعب مجنون بالصيد ، لا يعرفون حداً عند الشراب ، يعبون الخمر قبل الطعام لكى لا يفيقون (٣) •

Athenaeus III, 91 ; cf. Daskalakis, op. cit. 29.

Aristotle, Politics, VII, 2, 6.

Arrian, Anabasis, VII, 9.

(١)

(٢)

(٣)

### الأسطورة القومية :

كما عودنا التاريخ ، هناك فترة غامضة في حياة الشعوب تحاول فيها عند كتابة تاريخها سبر أغوارها بالخيال الشعبي أو بالأساطير لكي تخلق لنفسها أو للموكها أصولا مقدسة ، ولكي يرسموا لأنفسهم بداية أسطورية ولا يجد المؤرخ بدا من التعامل مع مثل هذه الأساطير القومية ولكن عليه أن يعالجها بحذر ، ويحللها منطقيا لكي يستخرج منها قدراً معيناً من الحقيقة .

تقول الأسطورة القومية المقدونية (١) أن ثلاثة أخوة هم جاوانيس (Gauanes) وأوروبوس (Aeropus) وبرديكاس (Perdikaas) هاجروا من أرجوس في البيلوبونيسوس متجهين شمالاً إلى الليريا تلك البراري الشاسعة المهجورة في الشمال عند ملتقى حدود يوغوسلافيا والباينا واليونان ، وذلك أبان القرن الثامن قبل الميلاد ، وتقول الأسطورة أيضاً أن هؤلاء كانوا ينحدرون من نسل هرقل جد الدوريين الأسطوري ، وسار الأخوة شمالاً حتى وصلوا إلى مقدونيا العليا حيث عملوا رعاة عند أحد ملوكها . ولكن هذا الملك لاحظ أن الأخ الأصغر برديكاس (Perdikas) يأتي بأشياء غريبة فاتهم الأخوة بالشعوذة والسحر . وأمر بطردهم من خدمته ولكنهم طالبوا بأجورهم المتأخرة لديه وأراد الملك أن يسخر من هذا الطلب فنظر إلى بقعة من ضوء الشمس نفذت عبر سقف القصر إلى أرضيته وصاح قائلاً : « ها هوذا أجركم الذي تستحقونه فخذوه لأنني أعطيه لكم » (٢) ، وهنا قفز برديكاس بسرعة معلناً قبوله تلك الصفقة ورسم دائرة حول البقعة ، ولما فطن الملك إلى خبث برديكاس طارده هو وأخوته حتى خارج مملكته . وسار الأخوة الثلاث حتى وصلوا إلى

---

(١) يقترح داسكا لاكيس أن كلمة مقدوني مشتقة من اللفظ الدوري مقدونوس Makedonus الذي ورد في الأوديسا (VII, 107) بمعنى الشاهق أو العظيم ومنه اشتق لفظ Magnus اللاتيني وأن اللفظ اشتق من طبيعة جبال الإقليم الشاهقة . لذلك انظر :

N. Androitis, History of the Name of Macedonia, Balkan studies, I (1960) p. 143 and P. 148. ; Daskalkis, op., p. 2.

Herodotus, VIII, 137,

حدائق الملك ميداس عند جبل برميون (Bermion) \* ورحب أهل هذه المنطقة بالأخوة القادمين بل انتخبوا برديكاس ملكا عليهم بعد أن تزوج من ابنة الملك السابق لهذه المنطقة واسمه كارانوس (Karanos) والذي وصفته الأساطير الشعبية بأنه شقيق فيدون ملك أرجوس ومؤسس العرش المقدوني الأول (١) \*

وما تفهمه من الأسطورة القومية أن الأسرة المقدونية المالكة ادعت أنها تنتسب الى سلالة هرقل مثل الدورين تماما وأن في عروقتها تجري دماء مقدسة مثل الآلهة الأبطال \* وأنهم هاجروا أصلا من أرجوس \* وربما يؤيد ذلك ملاحظة وجود مدينة تسمى أرجوس أيضا وتقع في سهل الليريا ويقول استرابون الجغرافي أن لفظ أرجوس يعنى في اللغة المقدونية « النهر » (٢) \*

#### ملوك مقدونيا :

وبعد موت برديكاس - الجد الأول للملوك مقدونيا - تولى عدد من الملوك منهم الملك أمونتاس Amyntas والذي جلس على عرش البلاد من الفترة ما بين ٥٤٠ الى ٤٩٨ ق.م ثم مات بعد أن ترك لولده ولخيفته الاسكندر الأول مملكة أكثر اتساعا من أى وقت مضى (٣) \*

#### الاسكندر الأول :

فاجأ الاسكندر الأول الاغريق عندما هبط عليهم زائرا عام ٤٩٦ ق.م ، وزاد من دهشتهم أنهم وجدوه يتحدث الاغريقية بلهجتها الايكية الراقية \* كما وجدوه مثقفا واسع المعرفة متبعا بملاعب الرياضة \* وزاد أيضا من دهشتهم عندما طلب منهم أن يسمحوا له بالاشتراك في الألعاب الأولمبية ، فسارعوه واعتذروا له مذكرين اياه أن عضوية الاشتراك في الألعاب الأولمبية ترتبط بنقاء الدم الهليني وهذا شرط لا يتوفر فيه \*

(١) وذلك حوالى ٨٠٣ ق.م ان صحت الاساطير وحسابات المؤرخين القدامى خاصة يوسيبوس \*

Daskalakis op. cit. p. 121.

Strabo, 272.

(٢)

(3) Herodotus VIII, 139 ; Thucydides, II, 100. cf. Dascalakis, op. cit. P. 119. ff

ولكن الملك المقدوني أصر على تسجيل اسمه في قائمة الرياضيين المشتركين ولما رفض المجلس المشرف على الألعاب الأولمبية الموافقة على اشتراكه في المباريات لأنه « بربرى » - أى غير أغريقى - ثار الاسكندر ، وراح يحاول ليثبت نسبة الى الأجداد الاغريق الأول مشيرا الى أن جده الأكبر هو البطل الأسطورى هرقل الذى هو أول من وضع فكرة الألعاب الرياضية (١) وبالفعل انتزع الاسكندر الأول الاعتراف بحقه فى الاشتراك فى الألعاب الأولمبية .

وفى حلبة الجرى انتزع المقدوني دهشة الاغريق وأعجاب النظارة والحكام لدرجة أن الشاعر الاغريقى بندار Pindar الذى تخصص فى التغنى بأبطال هذه الألعاب تغنى بانتصاره فى احدى مقطوعاته . وربما كانت فكرة الاعتراف بهلينية الاسكندر الأول سياسية لأن الأحوال السياسية التى كانت تمر بها بلاد اليونان آنذا لكأن كانت تحتم عليهم أن يكسبوه الى جانبهم خاصة وأنه يتحمس ويتحرق شوقا من أجل الاعتراف به اغريقيا .

لقد كانت بلاد الفرس فى ذلك الوقت فى أوج نشاطها السياسى والتوسع وأصبح مؤكدا أنها لا بد وأن تشتبك مع الدويلات الاغريقية فى عقر دارها وكان طريق الخطر بالنسبة للاغريق هو مقدونيا وتراكيا . فهما النطقتان اللتان تحميان بلاد اليونان من ناحية آسيا الصغرى التى قد يعبرها الفرس عن طريق مضيق البسفور والدردنيل (Propontis) ومما دفع الاغريق الى كسب رضا الاسكندر الأول المقدونى وقوع تراكيا تحت النفوذ والتأثير الفارسى ، ومن هنا وجد الاغريق أن من الأفضل ارضاء الملك المقدونى لوضع مقدونيا تحت تصرفهم بحيث يمكن جعلها منطقة مانعة مغلقة فى وجه الجيش الفارسى اذا ما حاول التعرض لجنوب بلاد اليونان ، خاصة أن الاسكندر الأول لم يكن معروفا بميله نحو الفرس بل سبق اتهامه فى تدمير اغتيال بعض الشخصيات الفارسية التى نزلت بقصر آبيه الملك أموتاس لتطالب بالمزيد من النفوذ فى المنطقة ولكن

الأمر سوى وألقى اللوم على سوء سلوك الوفد الفارسي ورد الفعل من جانب الأمير المتهور .

كانت الامبراطورية الفارسية في توسع مطرد ، اذ لم يكد يمر نصف قرن على تأسيسها على يد قورش الأكبر حتى كان خليفته دارا الأول قد نجح في عام ٥٥٠ ق. م في البلوغ بالامبراطورية الى أقصى اتساعها ، وأصبحت تضم الى نفوذها ، ثراكيا وأرمينيا وبلاد ما بين النهرين (Mesopotamia) ومنطقة شمال غرب شبه القارة الهندية وأفغانستان والتركستان ، بل شملت الشرق الأوسط كله عندما وقعت سوريا وفلسطين وشمال شبه الجزيرة العربية ومصر وقبرص وبعض جزر بحر ايجه في حوزة الامبراطورية الفارسية . ولم يعرف التاريخ امبراطورية بشل هذا الاتساع والشمول ، حتى أن الدويلات الاغريقية في الجنوب أصبحت تتوقع سقوطها في حوزة الامبراطورية الفارسية التي وصلت حدودها الى قرب حدود مقدونيا ذاتها .

كانت الدويلات الاغريقية على النقيض تماما من الامبراطورية الفارسية للفتية ، لأن دويلات المدن الاغريقية كانت في قتال دائم وحالة الحرب لا تتوقف بينها . وذلك لعدم وجود وحدة سياسية بينها أو بين بعضها لكي تفرض السلام وتضع نهاية حاسمة لعوامل الصراع . بينما كانت الامبراطورية الفارسية اتحادا متنوعا لأجناس مختلفة ومتناقضة . لقد اختلفت هذه الشعوب في العنصر العرقي والثقافة والبيئة ولكنها كلها يوحدت في التزامها بقبول النظام الملكي الفارسي في الولاء لشخص ملك الملوك . وعلى أي حال لم تكن الدعاية الأثينية ضد « التسلط الفارسي الشرقي » ذات تأثير فعال سوى أن هؤلاء البرابرة الشرقيين ييغون اذلال العنصر الهيليني والتحكم فيه والقضاء على نظامه « الديموقراطي » ، لأنهم يرغبون في الانتقام من حملة الاغريق القديمة ضد طراودة . وذلك لأن الديموقراطية الأثينية نفسها لم تكن نظاما فريدا في حد ذاته ، فقد فشلت في نشر التأخي والسلام والقضاء على الحروب والصراعات بين الدويلات الاغريقية ، بينما كانت الامبراطورية الفارسية تكون اتحادا

فريدا من نوعه لدويلات العالم القديم ، وكان ذلك في حد ذاته شكلا من أشكال السلام العالمى الذى حاول الاسكندر الأكبر فيما بعد تحقيقه ، ولكن القدر ترك ذلك للامبراطورية الرومانية وللسلام الرومانى (١) ، كما كان هناك الكثيرون من الاغريق ممن أكبروا حكمة الفرس في فن الحكم ، وأعجبوا بالنظام الفارسى الذى نجح في أن يوحد بين هذه الشعوب المتنوعة تحت لواء عرش الملك ، بل أن المدن الاغريقية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى وجدت السلام المنشود تحت حكم الفرس الذى لولاه لشغلوا أنفسهم بالقتال والصراع مثلما فعل أخوتهم في بلاد اليونان . ولهذا السبب ازدهرت أيونيا في ظل هذا السلام وأخرجت جيلا خالدا من الفلاسفة والمؤرخين والشعراء . بل ان هناك بعض الكتاب من الاغريق أنفسهم من شهدوا « بعقلانية » النظام الفارسى ، فقد كتب المؤرخ الكبير اكسينوفون انطباعاته عن تربية الملك قورش الأكبر، مؤسس الامبراطورية الفارسية . وأشاد به وجعله النموذج الذى يجب أن يكون عليه الحاكم في أى مكان وفي أى عصر .

وعندما اندلعت الثورة الايونية ضد الامبراطورية الفارسية بتحريض من أثينا . وما تلى ذلك من رد الفعل الفارسى بالاستعداد لغزو أثينا ذاتها - مصدر الثورة وبؤرتها - من أجل القضاء على نظامها السياسى الذى أزكى لهيب هذه الثورة ويشير القلائل ضد السلام الفارسى ، وجدت مقدونيا التى بقيت رديفا من الزمن نسيا منسيا - نفسها وسط صراع فرض عليها . . . صراع يحدد مصير الحضارة الاغريقية ومستقبلها وساد الفزع والخوف بين الاغريق خشية أن تنضم مقدونيا الى الفرس مثلما فعلت جارتها ثراكيا فتسمح للجيوش الفارسية بالعبور الى أراضيها وهى متجهة لغزو اليونان . ولهذا السبب تنازل الاغريق عن نظرتهم نحو مقدونيا واعترفوا بالاسكندر الأول أغريقيا .

---

(١) أنظر كتابى « الحرب والمجتمع القديم » المكتبة الثقافية العدد ٢٨٧ ( ١٩٧٢ ) ص ٥٢ وما بعدها .

ولكن بالرغم من هذا كان الاسكندر الأول حذرا ومتريثا في اتخاذ قراره وقارن بين أحوال الامبراطورية الفارسية المستتبة والطيبة وأحوال دويلات المدن الاغريقية المتقاتلة والتي لا يحركها شئ سوى دافع الغيرة العمياء على نظامها واستقلالها واكتفائها الذاتي ، فضلا عن روابط القرابة التي كانت تربط البيت الحاكم المقدوني بالقصر الفارسي ، فقد كان هناك ثمة مصاهرة فشقيقة الاسكندر الأول كوجايا (Cygaea) كانت متزوجة من أحد كبار رجال البلاط في القصر الفارسي . وانهى الملك الاسكندر الأول باتخاذ قرار بقبول دعوة الملك دارا عام ٤٩٢ ق.م في الدخول في تحالف معه . وفتحت حدود مقدونيا أمام الجيش الفارسي الغازي في الحملة الفارسية الاولى ضد بلاد اليونان والتي انتهت بهزيمة الفرس في موقعة الماراثون عام ٤٩٠ ق.م ، كما اشترك الاسكندر الأول نفسه مع الحملة الفارسية الثانية والتي نجحت في احتلال أثينا وأحرقها عام ٤٨٠ ق.م ولكن يقال أن خسير الملك المقدوني أنه على خيانة القضية الاغريقية كما يدعى هيرودوت . وذلك قبل المعركة الفاصلة في بلاتيا قباج بأسرار عسكرية هامة للاغريق مما نتج عن ذلك هزيمة الحملة الفارسية الثانية واندحارها . واكتسب الملك المقدوني شعبية كبيرة بين الاغريق وسواه بسحب الهلينية (Phil-hellen) وبهذا دخلت العلاقات الاغريقية المقدونية مرحلة جديدة .

#### الملك برديكاس :

وفي عام ٤٥٤ ق.م مات الاسكندر الأول وخلفه من بعده ابنه الأكبر برديكاس (Perdikaas) الثاني والذي سار على نهج سياسة أبيه في نشر الثقافة الهلينية والتي كان مولعا بها ، ومن ثم فتح أبواب القصر الملكي للشعراء والادباء والمفكرين والعلماء الاغريق القادمين من الجنوب ومن الشعراء الذين استضافهم برديكاس لثاني في قصره شاعر جزيرة ميلوس الأول وشاعر فن الديثورامب الغنائي ، الشاعر ميلانيبيديس Melanippides والذي ظل يعيش في بلاط الملك حتى آخر أيامه ، ومن العلماء الذين نزلوا بالقصر الطبيب الشهير هيبوقراطيس Hippocrates.

وفي أواخر عصر الملك برديكاس الثاني اندلعت الحروب البيلوبونيسية بين أثينا وأسبرطة عام ٤٣١ ق.م وغرقت بلاد اليونان في فوضى هذه الحرب المريعة التي لم تكن بذات جدوى وانتهى قامت على حساب الحضارة والاقتصاد الاغريقي . وقد كان موقف مقدونيا بزعامة الملك برديكاس الثاني مذبذبا ، لأنه كان حيناً يقف مع أثينا ويؤيدها وحيناً آخر يناصر أسبرطة عليها . إلا أن هذه الحرب زادت من ارتباط مصر مقدونيا بالدويلات الاغريقية ، وبددت من الفكرة القديمة في نفوس الاغريق بأنها براري غامضة تسكنها قبائل بربرية شرسة غير هللينية الأصل والحضارة أو أنها تقع فيما وراء حدود العالم الهليني . فضلا على أن الحروب البيلوبونيسية استنزفت طاقات الدويلات الاغريقية سياسياً واقتصادياً ، وأصبح المستقبل لمقدونيا ذات الاقتصاد البكر والنظام السياسي الملكي الراسخ المستقر ، بل أن الخط ساعد مقدونيا عندما أخذ التدهور يحيق بالعرش الفارسي وحل الضعف بهذه الامبراطورية الشرقية التي كانت مقدونيا واقعة تحت نفوذها ، ومن ثم بدأت مقدونيا تستقل عنها وتسقط عنها تبعيتها وتكون لنفسها نفوذاً وشخصية هللينية مستقلة سياسياً وحضارياً وفكرياً . وكعادة ملوك مقدونيا عندما يحيق بهم الهرم والارهاق تنازل برديكاس الثاني عن العرش لابنه الشاب أرخيلاءوس Archelaos الذي أعلن ملكاً على مقدونيا عام ٤١٣ ق.م

#### الملك أرخيلاءوس :

يقول المؤرخ الكبير ثوكوديديس (Thucydides) (١) أن الملك أرخيلاءوس قاق كل من سبقوه نشاطاً ونجاحاً في نشر التمدين وطريقة الحياة الاغريقية بين القبائل المقدونية وجعلهم متحضرين ولم يعودوا في ظله برابرة كما كان ينظر اليهم من قبل - باستثناء قبائل الجبل التي نفرت بحكم نفسياتها وطبيعتها من كل ما هو غريب وجديد وبقيت على عاداتها وتقاليدها ، وآثرت أن تنعزل وتعيش على سجيته الأولى البدائية .

Thucydides, II, 100 ; cf. Daskalakis op. cit. p. 66-ff.

(١)



وأول عمل قام به أرخيلاءوس هو نقل عاصمة البلاد من قلعة ايجاي القديمة (Aegae) الى الجنوب عند مدينة بيلا (Pella) \* وهى مركز حيوى تجارى يقع على مسافة عشرين ميلا من البحر ( على مقربة من شمال غرب مدينة سالونيكى الحالية ) \* وكانت العاصمة الجديدة بيلا تطل على ربوة عالية وتشرف على بحيرة بوربوروس Borboros ( نينجا الحالية ) والتي يربط بينها وبين بحر ايجيه نهر لودياس Lydias \* وكانت تلك البحيرة فى العصر القديم بؤرة نشاط للسفن التجارية الغادية والرائحة \* لقد أدرك أرخيلاءوس أهمية الطرق فى توحيد الأمة ونشر حضارتها الهيلينية فى شتى ربوعها ومن ثم فقد أنشأ شبكة متشعبة من الطرق تخرج من بيلا الى كل أجزاء المملكة \* كما أدرك أرخيلاءوس أن الاستقرار السياسى لا يقوم الا على وجود قوة عسكرية تضمن هذا الاستقرار وتضع حدا لمشاغبات القبائل الجبلية ومن ثم استفاد من مراقبة سير المعارك الطاحنة بين أثينا وأسبرطة ابان الحروب البيلوبونيسية وانشأ قوة عسكرية عين لها ضباطا أغريقا من الجنوب للإشراف عليها وتدريبها \* هكذا بينما كانت أثينا وأسبرطة تقبض كل منها على عنق الأخرى وتنزفها حتى الموت ، كان الملك أرخيلاءوس يبنى دولة فتية صاعدة بالتخطيط السليم وبالحضارة الاغريقية والتمدين الراقى ، وكأنه أدرك أن قدر الحضارة الاغريقية لم يعد فى الجنوب بل فى الشمال فى مقدونيا الفتية الناهضة \*

كان أرخيلاءوس متيما بطريقة الحياة الاغريقية ، متعطشا لفنونها وأدابها ، ففتح أبواب قصره على مصراعيها لمشاهير الرجال الاغريق القادمين من كل أطراف العالم الاغريقى والنابعين فى مختلف فروع المعرفة الاغريقية \* مثلا دعى الى القصر يوريبيديس ثالث عظماء شعراء المسرح الراجيدى الأتيني فحل بقصره عام ٤٠٨ ق م (١) حيث كتب عن مقدونيا

(1) Daskalakis, op. cit. pp. 36-37 ; p. 105 ; P. 107, note 31 (p. 141).

ويقول ديوميديس أن ارخيلاءوس طلب منه كتابة مسرحية عن حياته ولكن يوريبيديس رفض ذلك بحجة أن المأساة هى قمة الحزن ولا يريد ذلك للملك الحالى ، بينما كتب عن الجد الاسطورى للأسرة المالكة مظهرا اياه كبطل شهيد ويستشهد ديوميديس بذلك فى تحديده لفن المأساة \*

مسرحيته الخالدة « الباخيات » Bacchae • وقد ظل يوريديس ينشد الهدوء والسكينة وراحة النفس والبال حتى وافته منيته عام ٤٠٩ ق • م ومن بين عبقریات الفكر الاغريقى التى دعاها أرخیلاءوس الى قصره شاعر جزيرة ساموس الأول خيريلوس (Choerilos) الذى كتب مديحه الشهير فى تكريم المليك العظيم • كذلك نزل بالقصر الملكى فى ييلا موسيقار أثينا الأول تيموثيوس (Timotheus) وأجاثون (Agathon) الشاعر التراجيدى المعروف وصديق سقراط وأفلاطون بعد أن ضاق ذرعا بسبب الهجوم عليه فى أثينا بأذسلوكة ومسرحياته تنشر التخث وتفضى على الرجولة •

كذلك دعى أرخیلاءوس الى قصره بعض مشاهير المهندسين والفنانين والرسمين للقيام بحركة عمرانية كبرى ، مثلا دعى الرسام الذائع الصيت زيوكسيس Zeuxis ليخلد روائع أعماله على جدران مقر القصر الملكى فى ييلا وقد رويت الأساطير عن عبقرية تجسيم هذا الفنان لرسوماته ، ويقال أنه رسم عنقودا من العنب جعل الطير تحوم حوله معتقدة أنه حقيقى •

وكان يسكن للملك أرخیلاءوس أن يفعل الكثير من أجل « أغرقة » مقدونيا ونقل كرسى الحضارة الاغريقية الى ييلا لولا أنه سقط غدرا عام ٣٩٩ ق • م • فى نفس العام الذى لاقى فيه سقراط حتفه منتحرا بالسهم •

#### ٤ - الملك أمونتاس الثانى : Amyntas II :

اهتز العرش المقدونى بموت أرخیلاءوس ، وسادت الفوضى وأعمال الشغب حتى تمكن أحد الأمراء وهو أمونتاس الثانى من اعتلاء العرش • وكان أمونتاس بن فيليب أحد أشقاء الملك برديكاس • وكان أمونتاس يميل الى استعراض القوة العسكرية أكثر من البناء الحضارى • فبنى سياسته على تأديب القبائل اللنكستية الخارجة على ولائه حتى أخضعهم

وعقد مع زعيمهم إيرراس Irras اتفاقا دعمه بالمصاهرة ، اذ تزوج من ابنه هذا الزعيم الأميرة يوريديكى Eurydike التى عرفت بشراستها وميلها للسلوك البربرى الغادر وقد أنجبت هذه الأميرة اللنكستية من الملك أمونتاس الثانى ثلاثة أبناءهم على التوالى الاسكندر الثانى وبرديكاس الثانى وفيليب الثانى .

ولكن حكم أمونتاس الثانى واجه عدة مصاعب وقلقل بسبب مضايقات الفرس وثورة القبائل ومضايقات مدينة أولينثوس Olynthus تلك المستوطنة الاغريقية والتي كانت تقع فى شمال غرب شعبه بالينى Pallene إحدى الشعب الثلاث التى منها تتكون منطقة خالكيدىكى الشهيرة ، ذات الثلاث شعاب الغائرة فى خليج تراكيا وكانت مدينة أولنثوس تشهد آنذاك أوج نشاطها السياسى وتعمل جاهدة من أجل إنشاء اتحاد كوتقدراالى (١) يجمع بين دويلات مدن هذه المنطقة ويقتطع جزءا من سواحل مقدونيا . وبلغ الخطر بالملك قدرا جعل الكاتب والأديب الأثينى أكسينوفون يقول عنه : « أنه كاد أن يهوى من عرشه (٢) . ولكنه تمكن فى النهاية بمساعدة أسبرطة التى كانت تتزعم آنذاك سياسة تفتيت اتحادات بلاد اليونان بوحي من الفرس تحت اسم الحرية لئلا يمدن الاغريقية . تمكن الملك من تأديب أولينثوس وتأمين مقدونيا من أطماعها وذلك عام ٣٧٩ ق.م .

ولكن صراعات القصر كانت من المشاكل الاخرى التى هوت بالملك . فقد زوج ابنته من أمير يدعى بطليموس بن أولوروس ، وكان هذا الرجل انتهازيا اذ حاول أن يوقع زوجة أمونتاس فى غرامه لكى يصبح هو ملكا بدوره ، مما دعى الناس الى الاعتقاد بأن الملكة الأم كانت السبب وراء مصرع أمونتاس الثانى زوجها وذلك عام ٣٦٩ ق.م (٣) . وكانت تلك المؤامرة بداية لصراع رهيب عصف بالقصر المقدونى الحاكم أدى الى تدخل أثينا وطيبة فيه .

J.A.O. Larsen : Greek Federal States, Oxford 1968, p. 24.

(١)

Xenophon, Hellenica V, 2, 13.

(٢)

Justinus, VII, 4.

(٣)

### ٥ - الصراع على العرش وتدخل أثينا وطيبة فيه :

بعد مصرع أموتاس الثانى غدرا ، سارع أكبر أبنائه وهو الاسكندر الثانى الى اعلان نفسه ملكا على مقدونيا ، رغبا عن أنف بطليموس العشيق والملكة الأم ولكن سرعان ماخر الاسكندر الثانى صريعا أثناء اشتراكه مع عشيق أمه فى رقصة حرب ويروى لنا أثينا يوس (١) كيف دبرت أم الاسكندر الثانى مقتل ابنها حتى يبدو وكأنه قضاء وقدر . أثناء هذه الرقصة بين عشيقها وولدها .

وعلى أثر شيوع نبأ اغتيال الملك الشاب ، انتشر السخط والغضب على الملكة الغادرة وعلى عشيقها الخائن ، وساعد على ذلك السخط ظهور مطالب جديد بعرش مقدونيا يدعى باوسانياس ، ووجد هذا الأخير من يلتفون حوله ويؤيدونه كما أنه كاد أن ينتزع العرش فعلا من الملكة وعشيقها بمساعدة قوة من الاغريق المرتزقة لولا استنجاد الملكة بأثينا والتي كان يتزعم شئونها آنذاك الجنرال ايفكراتيس Iphicrates ، وكان هذا الأخير رجلا عصاميا ، اذ يروى أن أباه كان اسكافيا فقيرا من رعاى مدينة أثينا . وكان يربط ايفكراتيس والملك الراحل أموتاس الثانى صداقة حميمة كما يقول أيسخينيس Aeschines الخطيب ، ولهذا أبدى تعاطفا مع أبنائه فقاد حملة ضد باوسانياس المطالب بالعرش ، بل يقال أن الملكة الخائنة يوزيديكى أوحى الى ولديها برديكاس وفيليب أن يركعا تحت قدمى القائد الأثينى طلبا لحماه ومساعدته (٢) .

وبالفعل قام ايفكراتيس بمطاردة باوسانياس وقبول تبرير الملكة يوزيديكى بأن مقتل ابنها الاسكندر الثانى كان قضاء وقدر ، ولكى تثبت ذلك وافقت على تعيين ابنها الثانى برديكاس الثالث ملكا على مقدونيا خلفا لأخيه . وارضاء للملكة الأم عين بطليموس العشيق وصيا على الملك القاصر وانسحب ايفكراتيس عائدا الى أثينا .

Athenaeus, XIV, 27.

(١)

Aeschines, (Fisher) 26.

(٢)

Ibid. 27.

(٣)

ولما أعلنت قبائل اقليم لنكستيس Lyncestis أنها لا تثق في هذه الملكة سارعت فأرسلت اليهم ولدها الأصغر فيليب ليكون رهينة عندهم .

كانت مدينة طيبة في ذلك الوقت في أوج قوتها وعنفوانها تحت زعامة ييلوييداس ، ولما رأى هذا الجنرال أثينا وهي تتدخل في شئون مقدونيا الداخلية استبد به القلق خشية قيام تحالف بين أثينا ومقدونيا مستقبلا لضرب امبراطورية طيبة . لأن ييلوييداس كان يعتقد أن مناطق الشمال مناطق نفوذ لطيبة وحدها ولا يريد لأثينا أن تتدخل بنفوذها في هذه المناطق ، ولهذا سارع بالقيام بحملة عسكرية كبرى بالقرب من حدود مقدونيا عام ٣٦٧ ق.م وطالب الملكة الأم بتقديم ضمانات تؤكد نواياها الحسنة ازاء طيبة مستقبلا ولم تجد الأم وسيلة خيرا من استدعاء ابنها فيليب من عند القبائل اللنكستية ليحمله معه ييلوييداس رهينة لديه في طيبة وبقي فيليب ثلاث سنوات في طيبة يتدرب هناك على أشهر وأحدث فنون القتال في أكاديميتها العسكرية التي أنشأها الجنرال العظيم ييلوييداس وحقق بها السيادة والتفوق على سائر دويلات المدن الاغريقية بما في ذلك اسبرطة صاحبة الأسطورة التي لا تقهر .

وفي عام ٣٦٥ ق.م ، وربما بتحريض من طيبة ، قام الملك برديكاس بالتخلص من بطليموس العشيق وطرده أمه الملكة الخائنة ، وسارع أهل طيبة بارسال فيليب بعد أن تدرب على خير فنون القتال وأحدثها الى مقدونيا ليساعد أخاه في حركته والانتقام من قتلة أبيهما وأخيها . وتمكن برديكاس الثالث من إعادة السلام الى مقدونيا وإزالة عوامل القلاقل والفتن . وفي ظلال السلام عادت مقدونيا الى سياستها القديمة وهي استنطاب رجال الفكر والمعرفة من كافة الولايات الاغريقية لينشروا الثقافة وطريقة الحياة الاغريقية في اتحاد البلاد .

ولكن يبدو أن هذا الاستقرار لم يدم طويلا ، اذ ظهرت الملكة المطرودة مرة ثانية عام ٣٥٩ ق.م . بعد أن حرضت القبائل اللنكستية على ابنها الملك برديكاس الثالث . وسقط هذا الملك صريعا أثناء إحدى

الاشتباكات مع القبائل المتمردة ، تاركاً ابناً رضيعاً هو أموتاس الثالث وسارع فيليب شقيق الملك القليل فأعلن نفسه وصياً على ابن أخيه الرضيع .

#### ٦ - فيليب الثاني ملكاً :

ما أن أعلن موت برديكاس الثالث وانتقال الحكم الى ابنه الرضيع أموتاس الثالث تحت وصاية عمه فيليب الثاني حتى بدأت القلاقل تعود مرة أخرى حول العرش المقدوني ، اذ عاود باوسانياس مطالبة بعرش البلاد مهدداً باثارة الشعب والفتنة ، ومن ناحية أخرى ، طالب ثلاثة من أشقاء الملك القليل ( وأشقاء فيليب أيضاً ) من أم أخرى بأحقيتهم في وراثة العرش وازاء هذا الانقسام طالب فريق من المقدونيين من فيليب الثاني أن يعلن نفسه ملكاً على مقدونيا وليس وصياً على العرش ويضع حداً لهذه القلاقل ، ولم يتردد فيليب في ذلك . فأعلن نفسه ملكاً على مقدونيا . وسرعان ما راح يتخلص من المطالبين بالعرش واحد تلو الآخر ويعيد الرسوخ والاستقرار لعرشه ، لكي يتفرغ للدور الكبير الذي قام به على مسرح الأحداث السياسية .

#### مقدونيا تحت زعامة فيليب الثاني :

كان فيليب في الثالثة والعشرين من عمره ، عندما وجد نفسه ملكاً على مقدونيا بمشاكلها المعقدة ، وكما سبق أن ذكرنا أنه كان قد قضى ثلاث سنوات يتدرب على أعنف وسائل الحرب في أكاديمية طيبة ، حيث التقى وتعلم عن قرب من أعظم شخصيتين في تاريخ طيبة بل والعالم الاغريقي ألا وهما ابامينونداس ، ويليوبيداس وحيث قضى الفترة ما بين الخامسة عشرة الى السابعة عشرة من عمره ( من ٣٦٧ - ٣٦٥ ق م ) يتعلم تحت اشراف ابامينونداس شخصياً والذي غرس فيه الروح الاغريقية وصاغ منه فتى مثقفا متحضراً . وكان هدف زعيم طيبة الأول من ذلك هو أن يخلق من فيليب الثاني صديقاً لطيبية وموالياً لها ثم يبعث به ملكاً على مقدونيا وبذلك يحقق انتصاراً صامتاً بضمن زهيد ولكننا لا نستطيع أن نجزم عما اذا كانت طيبة قد فجحت في الاستيلاء على تفكير فيليب

ووجدانه ، لأن عواطف أمراء البيت المالك المقدوني كانت تتجه عادة الى  
أثينا كعبة الفكر والفلسفة والفن ، كما أن تاريخ أثينا الطويل وتراثها  
العريق جعلها تبدو بحق - كما قال زعيمها يوما ما - جامعة هيللاس .  
ولم تستطع طيبة بأى حال من الأحوال أن تحجب عن أثينا شمسها  
المشرقة ، لأن طيبة ذاتها كانت جديدة على السيادة الهلينية . ووسيلة  
سيادتها لم يكن الفكر بل القوة المنظمة . . . نعم لقد أخرجت طيبة  
عبقريات ساهمت في التراث الحضارى الاغريقى ، مثل الشاعر الفنائى  
العظيم بندار ولكن ذلك يبدو نادرا لأن شعب طيبة كان شعبا عمليا في المقام  
الأول يهتم حبا بالتجارة والتعامل المادى كما كانوا ذوى خيال محدود  
ويتسولون بالحرص الشديد والأناية المطلقة وتفادى المغامرة بأى  
وسيلة ، وقد دفعتهم أنانيتهم الى التعاون مع الفرس ضد الاغريق . كما  
تعكس أساطيرهم القسوة والعنف والتلذذ « السامى » فى التعذيب ،  
فاؤديب مثلا يقتل أباه لايوس Laios ويتزوج من أمه يوكاستى  
(Iocaste) دون أن يدري ، ولما اكتشف الاثم الذى ارتكبه فقا عينيه  
بأصبعه تكفيرا عن هذا الاثم . انها مأساة شاذة لاتصدر الا عن خيال  
معتل وعقيم . ومن أساطير طيبة السقينة البربرية أسطورة أبى الهول  
أكل لحوم البشر . ومأساة الراعى أكتايون Actaeon الذى أغضب ربه  
الصيد أرتيميس وهى تستحم فى بركة مياه وسط الأدغال فأوحت الى  
كلابه أن تمزقه اربا . كما روى لنا بلوتارخوس نفسه أن أهل طيبة  
كانوا يمارسون تقديم القرابين البشرية .

كان فيليب فتى وسيما ، مهذبا ، خفيف الظل ، لبقا محبا للرياضة  
وعاشقا للثقافة وطريقة الحياة الأثينية ، ولكنه بالرغم من ذلك لم يستطع  
أن يتخلص من الجفوة وخشونة الطباع والأنفة وغيرها من صفات البداوة  
التي آلت اليه من القبائل المقدونية الجبلية . ولهذا فقد كان سلوكه  
( ٣٠ - الاغريق )

متأرجحا بين رقة الحضارة والتهايب وغلاظة الطباع القبلية وجفوتها •  
كان فيليب طموحا ، يجيد فن الدبلوماسية لدرجة أن الاغريق اتهموه بأنه  
رجل لا يمكن أن يثق المرء فيه ، كما كان قائدا عسكريا حقيقيا يدير  
ويسيطر بمهارة على المعارك • ولكنه كان يؤمن بأن القتال ليس غاية في  
حد ذاته ولكنه وسيلة لتحقيق النفوذ السياسى •

كان فيليب شديد الولع بالعمل ينكب عليه ولا يسأمه ، وفي أوقات  
فراغه رقق نفسه في المتعة والشراب لدرجة أن الخطيب الاثينى ديموستينيس  
Demosthenes شبهه « بقطعة من الاسفنج » عند الشراب (١) • كما  
كان متطرفا مسرفا لا يعرف الاعتدال (٢) متهورا في القتال لا يهاب الموت  
أبدا بل يعشق المخاطر مما أدهش أعداءه فقال ديموستينيس عنه « يا له  
من رجل ! من أجل النفوذ والسيطرة فقتل عينه وكسر كتفه وشلت ذراعه  
وساقه (٣) » • ومن صفات فيليب أيضا أنه كان حاد الطباع ، سريع  
الغضب ، غيفا اذا انفعل ولهذا كان مرهوب الجانب • كما كان مولعا  
بمطاردة النساء الجميلات ، دائم التزاوج بهن (٤) •

#### فيليب يحقق لمقدونيا السطوة والسيادة العسكرية :

كان فيليب جنديا وقائدا بمعنى الكلمة ، فقد كان حازما ، صبورا  
جلدا مقداما ، يتقدم الجيوش فاكرا لذاته عند القتال ، كما كان مدربا  
رائعا تمكن من تدريب رجاله بعنف فخلق منهم نواة الجيش المقدونى  
الذى لا يقهر ، والذى لا يعرف سوى الخشونة والبساطة كما ضرب  
فيليب لجنوده المثل الأعلى في سلوكه المتواضع ، فكان يحيا حياتهم  
ويشاركهم أفراحهم وأغانيهم ورقصاتهم ، ولا يغضب من مصارحة جنوده

Plutarchus, Demosthenes, XVI.

Athenaeus, IV, 62.

Demosthenes., On the Crown, 67.

Athenaeus, XIII, 5.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)



البدو التي لا تعرف التملق (١) • ولكنه كان قاسيا عند العقاب اذ كان ينفذه على مشهد من الجنود بلا رحمة أو شفقة (٢) •

بدأ فيليب تنظيم قوته العسكرية بأن جمع حوله أشراف القبائل المقدونية الذين تأغرقوا وسماهم « بالرفاق » (hetairoi) • وقد جعل فيليب من هؤلاء الرفاق نواة قوة الفرسان في الجيش المقدوني التي أصبحت تلعب دورا حيويا « في التكتيك » العسكري الجديد • وقد بدأت هذه القوة بعدد محدود هو ستائة فرد (٣) • ويقاثلون جماعة وبضربون المثل في التعاون والتنافس مع باقى فرق الجيش عند القتال •

أما مشاة الجيش المقدوني • فكانوا من عامة الرعاة والفلاحين المقدونيين حيث استغل فيليب طباعهم الشرسة وغرائزهم العدوانية لجعل منهم أعظم جنود عرفهم التاريخ •

كان تشكيل الجيش المقدوني يقوم على « الفيلق » Phalanx الذى جعله وحدة التنظيم • والفيلق هو جمع كثيف من المشاة يتكون من ما بين عشرة الى ستة عشرة صفا من الجنود • وكان جنود الفيلق مجهزين بانحراب الطويلة والسيوف القصيرة والدروع الكبيرة يضعون فوق رؤوسهم خوذات نحاسية ويغطون قصبه أرجلهم بالجلد السميك (greaves) ومن الملاحظ أن الفيلق المقدوني كان على غرار الفيلق الطيبى ، باستثناء أن

Polybious, V, 27.

(١)

Arrian III, 26.

(٢)

(3) Diodorus, XVI, 4.

(٣)

ويقترح داسكالاكيس أن هذا النظام كان موجودا بين الاغريق في العصور القديمة حيث ذكر هوميروس رفاق الملك من كان يوزع عليهم الاقطاعيات والهدايا بل أن رفاق أخيليس بطل الاغريق الذين اصطحبوه الى طروادة لقبوا بهذا الاسم ، كما أعطى هوميروس نفس اللقب لرفاق اوديسيوس الذين ضلوا فى البحر معه وبانهيار سلطة الملك اختفى هذا النظام من بلاد اليونان وبقي فى مقدونيا • وبعد تحضر مقدونيا تغير المعنى ليأخذ معنا طبقياً يميز طبقة الاقطاعيين المرافقين للملك والذى يحاربون معه ويكونون مجلس أركان حربه •

هذا الأخير كان يتكون من خمسة وعشرين صفًا • كذلك قلد فيليب النظام العسكري الطبيعي عندما جعل في مؤخرة فيلقه فصيلة من الرماة بالنبال لحمايتها •

كذلك قسم فرقة الفرسان الى ميمنة وميسرة تحف بفيالق المشاة لتحميها من كل جانب • وقد استخدم فيليب كل خبرته التي تعلمها أثناء اقامته في طيبة ليخلق جيشا مقدونيا يزيد على عشرة آلاف مقاتل محترف، يتحرقون شوقا للقتال ويتسابقون على الموت - فداء للوطن وللملك • كان من الطبيعي أن يعتمد فيليب في البداية على الجنود المرتزقة من الاغريق (١) ولكنه استغنى عن خدماتهم تدريجيا لكي ينسح المجال أمام القبائل المقدونية لكي تتطوع في الجيش من أجل جعل الجيش مقدونيا وطنيا خالصا • خاصة عندما يحين الوقت لكي يتعامل مع الاغريق في الجنوب • كان مفهوم فيليب للجيش هو الزعامة الشعبية والقيادة العسكرية في نفس الوقت • فالشعب هو الجيش والقيادة هي الحكومة • وكان أول فرصة أتاحت للجيش المقدوني الجديد لكي يجرب نفسه ونظامه ، عندما اندلعت الفتنة بين قبائل اقليم لنكستيس • وهبطت القوات المقدونية لتسحق المتمردين سحقا ، دون هوادة وبسرعة خاطفة • وهكذا أصبحت مقدونيا في عهد فيليب الثاني وريثة لأسبرطة وطيبة في تحقيق أكبر قوة ضارية عرفها الاغريق •

### فيليب ومناجم الذهب :

كانت الخطوة الثانية لفيليب هو توفير المال الكافي لتدعيم القوة العسكرية • ومن ثم بدأ في استغلال مناجم الذهب في جبال بنجايوس Pangaïos على الحدود بين تراكيا ومقدونيا • وكانت مدينة أمفيبوليس تقع بالقرب من هذه المناجم • وهي مستوطنة آثينية وكانت أمفيبوليس Amphiopolis تستغل مناجم الذهب وتصدره عن طريق مينائها • فاستغل فيليب تورط أثينا في مشاكل سياسية مع حلفائها واستولى على أمفيبوليس بالقوة معلنا أن احتلاله لهذه المدينة أمرا ضروريا وليس عملا مقصودا به

الدخول في صراع مع أثينا • وبعد ذلك بنى فيليب مدينة جديدة محصنة سماها فيليبيا Philippeia (١) • وجعلها مركز انتاج الذهب • ومن الثروة الجديدة سك فيليب عملة مقدونية ذهبية أخذت طريقها كوسيلة لاغراء السياسيين وشراء ضمائرهم • وجعل هذا الذهب مقدونيا أغنى ولاية في بلاد الاغريق •

### زواج فيليب وانجابه الاسكندر :

يروى المؤرخون أن فيليب عندما كان في الرابعة والعشرين من عمره ، سافر الى جزيرة ساموثراكي القريبة من شواطئ تراكي للمشاركة في احتفالات دينية أقيمت عام ٣٥٨ ق.م احتفاء بشياطين البراكين (Cabiri) والذين نسبت الأساطير الاغريقية أبوتهم الى هيفايستوس رب النار والحدادة • وكانت لهؤلاء المردة عبادة ذات طقوس سرية تتسم بالغنف والجنون والسحر حيث تطلق فيها زمام العواطف والشهوات المساجنة وتصادف أن التقى فيليب هناك بأميرة ملكة ايروس Epirus التي تقع في شمال غرب اليونان (جنوب ألبانيا حاليا) وكانت هذه الأميرة قد جاءت أيضا للمشاركة في تلك الشعائر السحرية وشاء القدر لفيليب أن يطلب الزواج منها وأن يتم له ذلك •

كانت أولمبياس Olympias شأنها شأن غيرها من نساء قومها وعصرها من مريدات الشعائر الصاخبة المجنونة ، والمالحة ، اذ كانت تشترك في الرقصات العنيفة وهي تلف حول جسدها حية كبيرة أملا في انسجامي عن المادية والارتقاء الى عالم الروح الا محدود وجعل الجسم لائقا لوظيفته الأساسية وهي أن يكون محرابا طاهرا للروح ، وكان ذلك في الحقيقة هو المفهوم الصوفي عند الوثنيين • ويحدثنا بلوتارخوس في اسهاب عن طبيعة هذه المرأة الجامحة وغيرتها القاتلة وانتقامها البشع

(١) شهدت هذه المدينة وبالتحديد في السهل الذي يفصل بينها وبين مدينة امفيبوليس - اعظم معارك التاريخ الروماني ، عندما هزم انطونيوس واكتاسيوس قتله يوليوس قيصر وعلى راسهم بروتوس وكاسيوس عام ٤٣ ق.م •

وألفتها الشديدة وإيمانها المطلق بالشعوذة ، وخاصة بالعرافة المقيمة في معبد زيوس في دودونا حيث مركز عبادته . كما كانت تذهب الى سريرها محتضنة الثعبان الضخم أملا في الالتقاء والتزاوج بزيوس في شكل الثعبان . على أى حال جذبت هذه الصفات البربرية فيليب وجعل منها زوجة له وملكة على مقدونيا .

ولم يمض وقت طويل حتى حملت أولمبياس ، وزادت هواجسها الدينية حتى فاقت كل تصور ، مدعية أن « زيوس - آمون » أنزل عليها صاعقة أنزلت النيران في كل جسدها ، ومن ثم راح الكهنة والمنجمون يجتهدون في تفسير هذا الحلم ويتنبأون بقدسية المولود القادم وشجاعته . وكما نفهم من نصوص بلوتارخوس ضاق فيليب ذرعا بسلوك زوجته وادعائها أن زيوس - آمون هو الوالد الحقيقي للجنين الذي يقبع في أحشائها .

وفي شهر سبتمبر عام ٣٥٦ ق.م بينما كان فيليب منصرفا لخدمة قواته بل وقيم مع جيشه في الشكنات ، جاءه البشير أنه قد وهب ذكرا ، وفي نفس الوقت جاءتة الأنبياء أن قائده بارمينيون (Parmenion) قد كسب نصرا ساحقا على الأليريين فاعتبر فيليب ذلك طالع السعد للمولود الجديد الذى سماء الاسكندر ( الكسندروس ) (Alexandros) فيما بأجداده ممن حملوا ذلك الاسم ، كذلك جاءتة الأنبياء أن مستوطنة بوتيدايا Potidaea الواقعة عند عنق الشعبة الغربية المسماة باليني Pallene ثالث شعب منطقة خالكيدىكى Chalcidice الاغريقية قد استسلمت لقوات فيليب ، وأن حصان فيليب الشهير قد فاز في المباريات الأولمبية في ذلك العام . ويقول بلوتارخوس أن الأنبياء قد حاءت أيضا من أيونيا بأن حريقا قد شب في معبد الربة ديمتر الشهير في مدينة افسوس وكان أحد عجائب الدنيا السبع . وأن النيران قد أتت على المعبد تماما وأن ذلك الحريق قد شب في نفس اللحظة التى ولد فيها الاسكندر . وسارع الكهنة الى ايجاد تفسير لهذه الظاهرة بأن ذلك ليس الا نذيرا لامبراطوريات الشرق بأن شعلة من نار مقدسة قد خرجت الى الحياة ،

وأنها سوف تأتي في يوم من الأيام على الشرق كله • وعلى أى حال فإن مثل هذه الأقاصيص التى سجلها بلوتارخوس ليست الا تفسيرات جانبية جمعت ونسبت لمولد الاسكندر بقصد تبيان قداسته وقدره مستقبلا •

### الصراع بين فيليب والاغريق :

يرجع أصول الصراع بين فيليب والاغريق عندما أيدت أثينا أحد المطالبين بعرش مقدونيا واسمه أرجايوس ضد الملك فيليب ، ولجأ أرجايوس الى أثينا حيث وجد سياسيين بالتنازل لهم عن مدينة أمفيبوليس (Methone) اذ لما ساعدوه فى العودة الى عرش مقدونيا • ووجد الاثينيون أن فى ذلك فرصة ذهبية لنشر سلطاتهم وتشديد قبضتهم على منطقة تساليا واقليم الخرسونيس • فأرسلوا أرجايوس بصحبة قوة بحرية الى مدينة ميثونى (Methone) ولكن فيليب تصرف بدهاء ، اذ أمر بسحب كل المقدونيين من هذه المستوطنة ثم قبض على أرجايوس وأرسله مع باقى المرتزقة الى أثينا ، محتجا على تدخل أثينا فى شئون مقدونيا الداخلية •

كانت بداية المواجهة عام ٣٥٧ ق م عندما أعلن فيليب الحرب على مستوطنة أمفيبوليس واستولى عليها بعد قتال عنيف ، وقد ساعده على ذلك تعاطف سكان المستوطنة مع مقدونيا • ولما طالب أرجايوس أثينا بالتدخل لم تستجب • وقد قيل أن أثينا عرضت عن هذا الطلب لوجود اتفاق مبرم بينها وبين فيليب بأن يسلمهم أمفيبوليس مقابل أن يسلموه مدينة بودنا • ولكن فيليب بعد استيلائه على أمفيبوليس Amphipolis احتفظ بها لنفسه ولم تستطع أثينا أن تفعل شيئا بسبب تورطها فى الصراع ضد حلفائها عندما بدأ الانهيار يحيق بامبراطوريتها الثانية •

بدأ فيليب يسلك سلوكا عدوانيا ضد المستوطنات الاغريقية على ساحل تراكيا ، وركز بالذات على مدينة أولينثوس Olynthus ، التى طلبت النجدة من أثينا بل وأعلنت التحالف معها • ولكن ذلك لم يأت

بنافذة • اذ تمكن فيليب عام ٣٥٦ ق.م (١) عن طريق التعاون مع أنصاره من الاستيلاء على مدينة بودنا Pydna ، ثم عقد معاهدة مؤقتة مع أولينثوس Olynthus لكي يتمكن من الهجوم على مدينة بوتيدايا • ويستولى عليها • وعلى أثر ذلك أرسل القوات الأثينية التي أسرها الى بلدها وسلم بوتيدايا الى أولينثوس ثمنا للسلام معها •

وحاولت أثينا الرد على ذلك بالتحالف مع بعض زعماء القبائل الثائرة على فيليب في تراكيا وباونيا والليريا ، ولكن بارمانيون تمكن من سحق الثائرين بسرعة وهكذا وجد الأثينيون أنفسهم في حرب مع مقدونيا ، ففي عام ٣٥٥ ق.م عادت أثينا الى مضايقة مقدونيا باحياء تحالف قديم مع مدينة نيابوليس بقصد إثارة القلاقل ضد فيليب •

وبعد الاستيلاء على أمفيوليس ، بدأ فيليب في استغلال مناجم الذهب وكنا سبق أن أشرنا أنشأ مستوطنة مقدونية سماها فيليبيا جعل منها مركزا لصناعة الذهب واستغلال مناجمه، وبفضل ذلك وضع فيليب يده على ثروة طائلة راحت تدر على مقدونيا دخلا سنويا يزيد على الألف تالنت • ومن ثم بدأ فيليب في سك عملات ذهبية تحمل صورته • كما وضع وحدة ثابتة للتعامل على أساس الأستاتير الذهبي (Stater) ، وكان الأستاتير المقدوني يقل في وزنه قليلا عن « الداريك » (Darik) الفارسي وبهذا أخذ نظام التعامل المقدوني الجديد في الانتشار وحل محل نظام التعامل النقدي الفارسي •

وكان الأستاتير المقدوني يعادل ست قطع فضية من العملة الأثينية من فئة التترادرخات والتي كانت تسك على أساس التعامل النقدي الفينيقي (١) •

(١) عن تاريخ التدخل المقدوني في تساليا انظر المقال الطريف والذي يرجع اوله الى عام ٣٥٨ ق.م

G.T. Griffith, " Philip of Macedon early interventions in Thessaly, Classical Quarterly, XX, 1970, P. 67 ff. L = R.H. CCKLVI, 1971, pp. 126).

C.A.H., pl. II — 6.

(٢)

في ذلك الوقت كانت الامبراطورية الاثينية تعاني تفككا وانهارا بسبب ثورات حلفائها عليها وبسبب تدخل الملك الفارسي ارتاكسيركسيس الثالث والمعروف باسم الملك أوخوس (Ochus) الى جانب تدخل ملك كاريا الآسيوى الشهير ، ماوصولوس Mausolos مستخدما ثراءه في رشوة حلفاء أثينا للاستيلاء على بعض ممتلكات امبراطوريتها في آسيا الصغرى وبعض الجزر خاصة رودوس .

وكما سبق أن تعرضنا لهذا ، ظهرت دعوة سلام في أثينا . من جانب بعض سياسيينها الذين طالبوا بالبعد عن الصراعات والسياسة العدوانية بسبب الضعف الاقتصادى . وتطبيقا لهذه الدعوة الجديدة رفضت أثينا الاستجابة الى طلب المساعدة الذى تقدم به الديموقراطيون في رودوس من أجل اسقاط حكم الأوليجارخيين والعميل لأرملة ماوصولوس القادرة والتي كانت تعرف باسم أرتميسيا Artemisia بالرغم من تحذيرات ديموستينيس في خطبته الأولى .

#### فوكيس تسبب أزمة تؤدي الى حرب مقدسة :

وفي نفس العام الذى ولد فيه الاسكندر الأكبر ، حدثت أزمة كبرى سببها دويلة فوكيس (Phocis) تلك الدويلة الواقعة في جنوب تساليا حيث يحدها من الشرق دويلة طيبة ومن الغرب مدينة دلفى مقر المجمع المقدس .

بالرغم من الطابع الفوضوى الذى ساد العلاقات بين الدويلات الاغريقية ردحا من الزمن حيث انتهكت خلالها الشرعية والقانون ، الا أن مؤسسة واحدة بقيت بعيدة عن هذه الصراعات والفوضى الا وهو المجمع الأمفكتيونى المقدس .

برجع نشأة هذا المجمع الى فجر التاريخ الاغريقى عندما أخذت مؤسسات وتحالفات على مستوى يفوق تنظيم دويلات المدن تبدأ في الظهور ، وكانت هذه التحالفات يجمعها عادة ديانة معينة . وكان أكبر هذه التجمعات الدينية اتساعا الحلف الأمفكتيونى وذلك لأن أعضاءه

المؤسسين كانوا اثنتا عشرة قبيلة قومية هيلينية وليس مدنا محدودة سياسيا .  
وكان مكان التجمع الأساسى هو حول معبد الربة ديميتير Demeter  
في مدينة أثيلا Anthela بالقرب من مسر الترموپيلاى Thermopylae  
ثم أصبح يعقد مرة في دلفى ومرة في أثيلا أى مرتين كل عام .

وبمرور الوقت أصبح المجمع الأمفكتيونى المقدس هو الهيئة الوحيدة  
والمشرفة على معبد الاله أبوللون . وقد سبق الحديث (١) عن أهمية دلفى  
الدينية والقومية وكيف أنها كانت مصدرا للحصول على رأى الاله في  
مشاكل الاغريق الشخصية والسياسية . وبسبب الصراع الناشئ بين  
الدويلات الاغريقية وجد هذا المجمع نفسه في موقف حرج بالرغم من أنه  
لم يكن يعترف بالتقسيم السياسى للاغريق في شكل دويلات مدن ، بل  
كان يعترف بتقسيم القبائل الأصلية التى انخرط منها الاغريق . اذ قسم  
الاغريق الى اثنى عشر قبيلة ، وجعل لكل قبيلة ممثلين في المجلس ، ولكل  
مثل صوت مستقل عند التصويت .

وكان الأثينيون مثلا يدرجون تحت اسم القبيلة الأيونية وأسبرطة  
تحت اسم القبيلة الدورية ، وبالرغم من هذا فقد كانت الدولة هى التى  
تحرك أصوات القبيلة في المجلس وليس العكس خاصة فيما يتعلق بأثينا  
وأسبرطة ، أما طيبة فقد لعبت دورها أيضا عندما كانت في موضع القيادة  
اذ حرصت على تجنيد أصوات قبائل وسط اليونان وتساليا لصالحها ومن  
ثم فقد مارست تأثيرا قويا على سير العمل في المجمع الأمفكتيونى (٢) .  
بدأت الأزمة عام ٣٥٧ ق.م عندما أصدر المجمع الأمفكتيونى قرارا  
يدين عددا من أثرياء دويلة فوكيس ويفرض عليهم غرامة كبيرة لتعديدهم  
على الأرض المقدسة والموقوفة لصالح معبد الاله أبوللون (٣) . ولم يكن  
ذلك شيئا جديدا اذ سبق للمجمع أن أصدر قرارا مماثلا ضد الأسبرطيين

(١) انظر ص ١١١ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٤٣٨ وما بعدها .

(٣)



بعد هزيمتهم في معركة ليوكترا عقابا لهم على احتلالهم قلعة كادمية في طيبة • وامتلأ الأسبرطيون للقرار • ولكن أهل فوكيس عاندوا ورفضوا • ولما كانت طيبة تلعب دور الحامية للمجمع المقدس فضلا عن تحفزها لضرب أهل فوكيس بسبب انسلاخهم عنها بعد تدهور أمبراطوريتها عام ٣٦١ ق م فقد استغلت هذه الأزمة لضرب فوكيس مستعينة بقبائل تساليا المعادية لفوكيس ولكن طيبة قد فشلت بسبب ظهور عدد من الطغاة العسكريين الأقوياء في فوكيس والذين كرسوا كل طاقاتهم الى تدعيم القوة العسكرية لفوكيس مما سبب تخلخلا في الميزان السياسى والعسكرى في بلاد اليونان •

عندما أعلن المجمع الأمفكتونى الحرب على فوكيس وسارت قوات طيبة على الفور الى المدينة المتمردة والتي رفض قائدها فيلوميلوس الانصياع الى قرار المجمع المقدس عام ٣٥٦ ق م بل سارع وطلب النجدة من أسبرطة المعادية لطيبة وتمكن فيلوميلوس بمساعدة القوات المرتزقة بالاضافة الى جيش فوكيس الصغير والذي كان يتكون من ألف من الجنود المسلحين بالأسلحة الخفيفة (pelastes) من الاستيلاء على دلفى والحرم المقدس • ولما حاول مواطنو مدينة أمفيسا تحرير معبد أبوللون من قوات فوكيس سحقهم فيلوميلوس بلا رحمة •

ولكى يحافظ فيلوميلوس على بطشه العسكرى اضطر الى فرض ضرائب باهظة على كهنة وسكان دلفى • وفى العام التالى أرسل فيلوميلوس رسالة الى كل دويلات اليونان ، يعرض فيها حق فوكيس فى ادارة المدينة المقدسة معتمدا على نص جاء فى سفر السفن فى الياذة هوميروس يصف أهل فوكيس بأنهم «سادة دلفى» • وكان نداء فيلوميلوس مؤثرا لدرجة جعلت كل من أثينا وأسبرطة تعلنان تأييدهما لحق فوكيس فى ادارة دلفى • ولكنهما أحجمتا عن ارسال أى قوات عسكرية أما اقليم أخيا (Achaea) فقد أرسل قوات عسكرية للدفاع عن حق فوكيس وقد عبرت هذه القوات خليج كورنثا عام ٣٥٤ ق م •

وفي العام التالي سارعت قوات فوكيس بمهاجمة مقاطعة لوكريس  
Locris العليا بغرض فتح ثغرة تفصل بين طيبة وبين حلفائها في تساليا •  
ودارت عدة معارك انتهت بسحق قوات فوكيس وقتل فيلوميلون •  
ولم ينته الأمر عند هذا الحد • إذ تولى قيادة جيش فوكيس المندحر  
شقيق فيلوميلون وكان اسمه أونومارخوس Onomarchus • والذي  
جمع فلول الجيش المندحر ليغاود القتال • وكان أونومارخوس خطيباً  
مفوهاً شديد التأثير في مستمعيه • وبدأ أحياء جيش فوكيس بالاستيلاء  
على كنوز ثني وصهرها وسكها عملات ذهبية وصهر الأدوات والتماثيل  
البرونزية لكي يصنع منها أسلحة • وعن طريق ثروة دلفي المصادرة أمكنه  
من تجنيد عدد كبير من المرتزقة • ثم هاجم شرق لوكريس وغرب بيوتيا  
واستولى على مدينة أورخومينوس • ثم استطاع عن طريق الهدايا أن  
يشتري تأييد لوكوفرون طاغية مدينة فيراي ليوقف إلى جانبه • ولكن  
هذا الأخير نجح في أن يوزط أونومارخوس في مشاكله لأنه كان يطمع  
في إخضاع كل مدن تساليا وجعلها تحت رئاسته وإقامة نفسه رئيساً  
(Tagos) عليها • ولما اعترضت مدينة لاريسا Larissa التي كانت تقع  
بين مقدونيا ومدينة فيراي على ذلك حاول اقتحامها ولم تجد المدينة  
الشجاعة خياراً في طلب النجدة من فيليب المقدوني للتدخل لحمايتها من  
لوكوفرون وأونومارخوس طاغيتا فيراي وفوكيس • وأيدت تساليا طلب  
لاريسا Larissa وأرتمت في أحضان فيليب المقدوني الذي وجد في ذلك  
فرصة قيمة للتدخل وإظهار نفسه كبطل تقى وخادم للمجمع المقدس في  
دلفي وجعل مقدونيا تلعب دور القوة الجديدة على مسرح الأحداث في  
بلاد اليونان • وسارع أونومارخوس لنجدة حليفه لوكوفرون طاغية  
فيراي ولدهشة التاريخ ألحق أونومارخوس طاغية فوكيس الهزيمة بقوات  
فيليب الثاني مرتين متتاليتين في عام ٣٥٣ ق م واستولى على عدة مناطق  
من بيوتيا • واضطر فيليب إلى الانسحاب بسرعة نحو الشمال • واعتبر  
هذه الهزيمة تجربة مفيدة في أول التحام عسكري له مع الاغريق •

ولكن سرعان ما عاد فيليب كالثور الهائج على رأس قوات كبيرة وبمساعدة تساليا كلها بعد أن أقتع جنوده بأنهم يخوضون حربا مقدسة من أجل الاله أبوللون وانتقاما لشرفه الذي أهانه أهل فوكيس وحلفائهم ودارت معركة فاصلة وذلك عند خليج بيغاساي Pegasae سحق فيها فيليب أونومارخوس وقواته وأراد فيليب أن ينزل عقابا بشعا لمن يخالف المجمع الأمفكتيونى مستقبلا اذا أمر باغراق ثلاثة آلاف جندي من الأعداء في البحر والاتيان بجثة أونومارخوس الذي كان قد مات غريقا في الخليج وصلبها جزءا وفاقا .

أما لوكوفرون طاغية فيراى فقد ولى الأدبار عائدا الى بلاد اليونان الوسطى ولم يعد الى مدينته لأن قوات فيليب استولت عليها وعلى مينائها وعلى منطقة تساليا الشرقية كلها وأعلنت لاريسا قبولها لفيليب رئيسا لها وعلى كل تساليا . وهكذا وجد فيليب فرصة نادرة لفرض سلطانه على تساليا وكسب نفوذ واحترام كهنة دلفى .

ولما أراد فيليب أن يحول نصره الى أسهم سياسية في بلاد اليونان وذلك عندما أراد أن يعبر ممر الثرموبيلاي جنوبا ليدخل دلفى في احتفال كبير حيث يستقبل استقبال الفاتحين . سارعت أثينا بإرسال قوات لاحتلال ممر الثرموبيلاي اشارة الى اعلانها أن فيليب ضيف غير مرغوب فيه حتى ولو جاء متخفيا تحت ستار حماية العقيدة ، ولما أدرك فيليب ذلك صرف النظر عن الذهاب الى دلفى وآثر أن يقتضى بعض الوقت في تساليا يفرض نفوذه بالدبلوماسية والذهب (١) ثم عاد أدراجه الى مقدونيا عام ٣٥٣ ق م ومن تساليا قرر فيليب تطهير المنطقة من المستوطنات الاغريقية ولم يكدهم يسر عام حتى كان فيليب على مسافة أربعين ميلا فقط من منطقة البسفور والدردينيل وعلى مقربة من أى وقت مضى من حدود بلاد الفرس .

### الاستيلاء على أولينثوس ٢

وفي عام ٣٤٩ قاد فيليب جيوشه شرقا الى منطقة خالكيدى ذات الشعب الثلاث للاستيلاء على المستوطنات الاغريقية هناك والتي كانت أولينثوس تنزعها (١) . وكانت سلطات هذه المدينة قد أغضبت فيليب الثاني عندما آوت اليها أحد أشقائه من أيه والذين كانوا يطالبون بعرش مقدونيا عندئذ وجه فيليب انذارا الى أولينثوس بالاستسلام له فورا ولكن سلطات المدينة تأثيرا وابعاز من أثينا رفضت هذا الانذار وأغلقت بواباتها وحصنت نفسها . عزمت على مقاومة فيليب وظلت تقاومه حتى عام ٣٤٧ ق م ولكن فيليب أدرك أنه ليس بالقتال وحده يستطيع المرء الاستيلاء على كل شيء وقرر استخدام سلاح الرشوة بالذهب وبالفعل فتحت الخيانة له أبواب المدينة ليدخل بقواته ويزيل البوابات ويهدم التحصينات ، ويأمر بقتل شقيقه المطالبين بالعرش ويبيع سكان أولينثوس في أسواق العبيد . وعند مدينة ديون على مسافة أميال قليلة من مدينة جبل الألبوس . احتفل فيليب بانتصاره الكبير في مهرجان زيوس رب أرباب الاغريق . وجعل من احتفاله مناسبة لاطهار الترف والبذخ المقدوني اذ دعى كبار الفنانين الاغريق للترفيه عن جنود مقدونيا المتأغرقين . وكان هدفه هو توجيه رسالة عاطفية الى الاغريق بأن المقدونيين أشقاء لهم في الحضارة والعنصر .

وقد نزل نبأ سقوط أولينثوس (١) نزول الصاعقة على الأثينيين فحاولوا ارسال نجدة الى المستوطنات الاغريقية الأخرى . ولكن فيليب بعث للأثينيين رسالة يعلن فيها أنه لا يريد الدخول معهم في حرب وأنه يرغب السلام والمصلحة معهم وأن ما فعله ليس الا حقا من حقوقه فهو يطرد مستوطنين دخلاء من سواحل بلاده الجنوبية وأنه قد انتهى من ذلك وليس له مطلب آخر . ثم طالب أن يكون صديقا لأثينا لا عدوا لها .

(١) عن محاولات أولينثوس المبكرة لانشاء حلف اتحادى مع خالكيدى انظر :

M. Zahmdit, "Olynth und die Chalkidier. Untersuchungen zur Staatenbildung auf der chalkidischen Halbinsel in 5 und 4 Jth V. Chr., Vestigia, 14, Munich 1971.

(٢) حدث ذلك في اثناء ثورة يوبويا على أثينا وانسحابها من الامبراطورية الاثينية .

وأدرك الأثينيون أن السيف قد سبق العزل ولم يجدوا بدا من إرسال وفد الى بيلا لبحث امكانية التصالح مع فيليب . وكان الوفد يتكون من عشرة أعضاء ويرأسهم خطيب وسياسى مفوه ألا وهو ديموستينيس والذي كان أصغر أعضاء الوفد سنا .

#### ديموستينيس (١) الخطيب المتطرف :

كان ديموستينيس يبلغ من العمر آنذاك ثمان وثلاثين عاما . وكان يتزعم الحزب الوطنى المتطرف فى أثينا والذي كان يتمسك بتعصب شديد بالتقاليد القديمة ويرفض التجديد . وكان هذا الحزب يعتبر ظهور مقدونيا خطرا فادحا يهدد الوجود والديموقراطية الاثينية ولكى يشعر الناس بذلك فقد ألقى ديموستينيس عددا من الخطب النارية ضد الملك فيليب . ولما كانت خطب ديموستينيس نموذجا راقيا لنقاء اللغة اليونانية بلهجتها الاتيكية ، فقد جمعت بل وأصبحت أساسية فى كتب المطالعة لطلاب الأدب اليونانى القديم . ولما كانت هذه الخطب قد بلغت ذروتها فى الضراوة والتشهير السياسى بما فى ذلك الافتراء والاثارة . فقد لقبت هذه المجموعة من الخطب بالفيليبات (Philippics) .

فبالرغم من روعة الانشاء ونقاء اللغة وقوة التعبير الا أن ديموستينيس كان يموذه اجادة الالقاء . فقد كان عصيبا فى حركاته ، ذا صوت غير جهورى فضلا على أنه كان يلتغ ويتلعثم خاصة عندما يفعل مما يثير فى المستمع نوعا من الملل والنفور . ولقد حاول ديموستينيس أن يتخلص من هذا العيب فقد قيل أنه اعتاد الذهاب الى شاطئ البحر وحيدا ، ثم يملأ فمه بالحصى ويرفع عقيرته مرددا أبياتا من الشعر فى مواجهة عصف الريح وهدير الأمواج وقد قيل أنه لكى يمرن نفسه على طول النفس فى الالقاء اعتاد التمرن على القاء خطبته وهو يصعد تلا عاليا .

ولما لاحظ أصدقاؤه أنه يهز أحد كتفيه عند الالقاء وضع ثقلا على هذا الكتف حتى لا يحركه كثيرا ، وروى أنه لم يكن يتردد أن يحلق

---

(١) يؤثر البعض تسميته بـ « ديموستين » ولكنى أثرت أن اتمسك بالاسم الاصلى حرفيا .

نصف شعر رأسه ويترك النصف الآخر حتى يجبر نفسه على البقاء في منزله ليتم عملا يريد أن ينجزه .

كان ديموستينيس رجلا وسيما ، مهذبا ولهذا فقد كان «رجل السيدات» المفضل لأنه كان ضعيفا أمامهن ، ولقد وجه إليه أحد مساعديه نقدا مريرا بسبب ذلك اذا قال : « ماذا يفعل الواحد مع ديموستينيس ؟ ان كل ما يفكر فيه على مدى عام كامل يذهب هباء في ليلة واحدة في صحبة امرأة (١) » .

وعندما مثل الوفد الأثيني أمام فيليب المقدوني طلب هذا الأخير أن يكون دور كل منهم في الحديث حسب العمر وكان هذا يعني أن دور ديموستينيس سوف يكون الأخير . ولما جاء دوره تلثم ولم تسعفه ذاكرته وتصبب منه العرق وأحمر وجهه ثم اعتذر عن عدم قدرته على اللقاء خطابه . وربما بهر ديموستينيس بوقار فيليب وعظمة عرشه ، وعلى أى حال قابل فيليب ذلك اللقاء ببرود تام وطلب من ديموستينيس ألا يتعجل في اللقاء خطابه ونصحه بالاستراحة لكي يسترجع ذاكرته وانتهى اللقاء ، وعلى مأدبة تكريم الوفد الأثيني اقترح فيليب أن يقوم بين أثينا ومقدونيا تحالفا وليس سلاما فقط .

وعاد الوفد مسحورا بشخصية فيليب ونقلوا هذا الانطباع الى المجلس الشعبي ( الاكليسيا ) في أثينا . ولكن فجأة انبرى ديموستينيس لرفاقه وهو يقرعهم واحدا تلو الآخر متهما اياهم بالسذاجة ، لأن فيليب قد خدعهم بمظهره وأثر فيهم بسحر حديثه وقوة شخصيته .

عاد الوفد الأثيني مرة ثانية الى بيلا ، وظل ينتظر عدة شهور عودة فيليب من ميدان القتال ، وقد أتاحت هذه الفرصة لديموستينيس أن يلتقى لأول مرة بالأمير الصغير الاسكندر والذي كان في العاشرة من عمره آنذاك وأعجب بتربيته وبالقسط الوافر من الأدب والشعر الاغريقي الذي كان يتعلمه .

### فيليب في دلفى :

وفي عام ٣٤٦ ق.م بعد أن هدا أثينا بالوعود ، عزم فيليب على اختراق تساليا وزيارة المدينة المقدسة ولكنه وجد أن ممر الثرمويلاي محتلا بفرقة من جنود فوكيس وبعض قوات الجنود المرتزقة ، فقرر أن يرشو هؤلاء الجنود بالذهب ويوفر على نفسه قتالهم وبالفعل تم له ذلك . وعن طريق تحالفه مع طيبة ، هاجم فيليب فوكيس واستولى على ثلاث وعشرين مدينة تابعة لها . وحول هذه المدن الى قرى بعد تفتيتها سياسيا بحيث لا تزيد كل قرية على خمسين منزلا .

وفجأة وجد فيليب نفسه يدق أبواب دلفى ويستقبل استقبال الفاتحين بالحفاوة والتكريم كنصير للاله أبوللون وكهنته واجتمع المجمع الأمفكتيونى واتخذ قرارا بطرد فوكيس من المجلس واعطاء مكانها لمقدونيا وتكريما لفيليب فقد دعاه المجلس المقدس الى رئاسة الألعاب البيثية التي تصادف عقدها في دلفى في خريف ذلك العام وقد رحبت غالبية الوفود بذلك فيما عدا مثلوا أثينا واسبرطة .

وهكذا حقق فيليب الأفكار التي رسمها ، اذ جعل مقدونيا تحظى باعتراف الجميع بأنها لم تعد ولاية بربرية تقبع فيما وراء العالم الهليني بل جعلها اغريقية خالصة ، بل وزعيمة لكل هيللاس .

### ايسوقراط يدعو لوحدة الاغريق ويبارك مشروعات فيليب :

وفي الوقت الذى كانت فيه زعامة فيليب تتزايد ، برز خطر جديد هدد مستقبل الاغريق جميعا ، وذلك أن الامبراطورية الفارسية نهضت من كبوتها بعد تولى عرش البلاد أمير قوى هو أرتاكسيركسيس الثالث وذلك فى عام ٣٥٩ ق.م ومنذ ذلك الوقت راح أرتاكسيركسيس يعمل بطاقة وعزم لاستعادة النفوذ الفارسى فى بحر ايجيه . وقد قاوم اغريق هذه المنطقة وقوعهم تحت نفوذ حكم دولة شرقية بالرغم من أن الامبراطورية الفارسية كانت مؤلفة من عدد كبير من القوميات والعناصر المختلفة والتي تتحد فقط فى شكل الولاء للملك الملوك والعرش الفارسى . ومن المعروف أن الفرس أنفسهم استفادوا من الحضارة الاغريقية ومن خبرات أبنائها

سواء في الفن أو المعرفة ، أو في التجارة وجغرافية البحار والمحيطات ، أو في الجيش واعداد الأساطيل • وعن طريق هؤلاء الاغريق الذين تعاونوا مع الفرس ، تسللت الحضارة الاغريقية الى قلب آسيا الصغرى • وقد صاحب عودة نفوذ الامبراطورية الفارسية انتشار شائعة تقول أن الملك أرتاكسيركسيس يعد حملة عسكرية جديدة ضد بلاد اليونان مثل حملة الفرس في أوائل القرن الخامس ق.م •

وكان البوق الذي قاد الدعوة للوحدة الاغريقية ضد الخطر الفارسي الجديد ، هو خطيب أثينا العجوز والذي كان وقتئذ قد جاوز عامه التسعين ، وهو ايسوقراط (Isocrates) ، كان ايسوقراط تلميذا لفيلسوف مدينة ليونتيني Leontini (في جزيرة صقلية) الشهير جورجياس Georgias وكان هذا الأخير أول من دعا في عام ٤٠٨ ق.م الى شن حرب مقدسة ضد الفرس ، الخطر الحقيقي الذي يهدد الاغريق •

كانت الرسالة التي بثها ايسوقراط الى العالم الهليني هي الوحدة الاغريقية وتكوين جبهة عسكرية دفاعية (Symmachia) من جيوش أثينا وأسبرطة وطيبة وباقي الدويلات الاغريقية والقيام بحملة غزو ضد الفرس في عقرب دارهم • كما كان ايسوقراط يتابع باعجاب شديد نشاط فيليب وفتوحاته ويعتبره قوة للاغريق جميعا بل وأملهم وموحدهم ومن ثم وجدا ايسوقراط نفسه في خلاف شديد مع ديموستينيس العدو الأكبر لفيليب والمعارض لأي وحدة تقوم بزعامة مقدونيا • ولقد تشجع الخطيب العجوز وبعث برسالة مطولة الى الملك فيليب المقدوني سماها باسمه Philippos (١)، حثه فيها على توحيد الاغريق تحت زعامته • وأن الوحدة الاغريقية تحتاج لزعيم قوى مثله • وشرح ايسوقراط في رسالته للملك فيليب كيف أن تزايد فئة الجنود المرتزقة هو الذي يدفع الى تزايد الحروب لأن هذه الفئة تجد في الحرب والقتال مرتزقا واقترح ايسوقراط على فيليب حلا وعلاجاً لمشكلة هؤلاء الجنود وهو التخطيط لحملة عسكرية كبرى ضد آسيا

(١) وذلك في عام ٣٤٦ ق.م •



الصغرى تمتص كل الجنود المرتزة وتفتح مجالا وأفاقا جديدة للاغريق وتعطى بلادهم السيطرة على مناطق النفوذ التجارى فى العالم .

يبد أن الملك فيليب كان رجلا واقعيا لأنه كان يعرف منذ البداية ، أن الاغريق لن ينسوا خلافاتهم الا اذا أجبروا على ذلك بالقوة وبحد السيف ، أو برشوة زعمائهم يبريق الذهب وخداع شعوبهم بالوعود الجوفاء مثل تحقيق المساواة بينهم ونشر السلام فى ربوع البلاد . كما كان فيليب يدرك جيدا أنه لا يستطيع التورط فى حملة كبرى ضد الفرس وهو يعتمد على الاغريق وحدهم ، لأنه يبدو قد قرأ وسمع عن الحملة الفارسية ضد بلاد اليونان فى القرن الخامس ق.م حيث ظهر الاغريق متفرقين أمام الخطر الشرقى ، بل وخان بعضهم البعض بسبب الأحقاد والخلافات .

ولكن دعوة ايسوقراط لاقت فى نفس فيليب ارتياحا ، واعتبرها « ضغطا مستحبا » لأنه بدأ فى قرارة نفسه يفكر فى احياء أنصار الوحدة الاغريقية لكى يجعل من نفسه بطلهم والقائد الأعلى لقوات الاغريق المتحدة تماما مثلما كان أجامنون فى الياذه هوميروس وقرر أن يخضع لسلطانه دويلات الاغريق واحدة تلو الأخرى .

سياسة فيليب تجاه النويلات الاغريقية بعد سقوط أولينثوس :  
عاد فيليب بعد أن ترأس الألعاب البيثية الى مقدونيا بعد أن ترك حاميات مقدونية فى فوكيس ، وممر ثرموبيلاي وفى عدد من أجزاء تساليا ولأول مرة جرب فيليب سلاح رشوة الزعماء وذلك فى يوبويا التى استولى عليها فى هدوء وتحت ظلال السلام . واستطاع أن يخرس ديموستينيس ويبطل مفعول خطبه بحركة ذكية وهو العفو عن كل الأسرى الأثينين الذين تم أسرهم فى أولينثوس . ثم بعث فيليب بعملائه لشراء ذوى النفوذ فى أسبرطة وباقى أجزاء البيلوبونيسوس .

سلام فيلوكراتيس : Peace of Philokrates

شهدت الفترة الزمنية التى تلت الاستيلاء على أوليثوس أروع ساعات فيليب . ونظرا لتناقض المصادر التاريخية لهذه الفترة ، فإن الموقف قد يبدو متضاربا بعد الشئ . فمثلا ديودوروس الصقلى أحد

مصادرنا الأساسية لهذه الفترة يروى لنا الحوادث في تخطيط غير معهود منه كما أن تقواه وتعصبه الأخلاقي للمجمع الامفكتيونى ضيع قضية أهل فوكيس وحقهم التاريخى فى المطالبة بإدارة دلفى •

وليس أماننا سوى الالتجاء الى الخطب الأثينية • ولكنها فى الحقيقة ليست سوى قطع من البلاغة العاطفية ، الجبالى بالأحقاد الشخصية والتشهير السياسى ، حيث غرقت الحقيقة فى خضم تجلياتها ومبالغاتها •

عنى أى حال سبب سقوط أولينثوس « عقدة قلق » وتأزم الموقف السياسى فى أثينا ، ولم يجد الحزبان السياسيان التقليديان فى أثينا بدا من الاتحاد ازاء هذا الخطر الجديد وتوحدت كلمة الشعب على وجوب اتخاذ عمل حاسم • وبسرعة خرجت وفود مبعوثى أثينا الى البيلوبونيسوس تدعو لموقف موحد من جانب الاغريق ازاء مقدونيا • وكان من بين قادة الوفود الخطيب أيسخينيس Aeschines الذى لا نعرف كثيرا عن تاريخه المبكر • ولكننا نعرف أنه عمل حيناً من الوقت معلماً باحدى المدارس • ثم ترك هذا العمل ليتفرغ للتمثيل • ثم هجر المسرح الى ميدان السياسة وانضم الى جماعة يوبولوس Eubolos المنادية بالسلام ، بل وأصبح محل ثقة يوبولوس نفسه والذى كان واحداً من أشهر رجالات الأكليسيا الأثينية •

بالرغم من قدرة أيسخينيس على الجدل والاقناع الا أنه فشل فى اقناع الدويلات الاغريقية فى الدخول اتحاد قومى عسكرى ضد مقدونيا وقد ادعى بعض السياسيين أن يوبولوس هدف من ارسال هذه الوفود امتصاص موجة الغضب ضد فيليب ولكن هذا الزعيم كان مخلصاً فى توحيد الدويلات الاغريقية وايصال الاحساس بالخطر القومى الى وجدان الاغريق قبل الاندفاع فى حرب خاسرة مع عدو ذى بطش وقوة ولما فشلت هذه الخطة لم يكن هناك بديلاً سوى التوصل الى اتفاق مشرف مع فيليب • وقد بدى السلام هو الطريق الوحيد خاصة أن فيليب بات هو الآخر يتحدث عن السلام مع الاغريق من أجل كسب الوقت خاصة فى الفترة ما بين ٣٤٧ و ٣٤٦ ق • م وزاد من فرض السلام سقوط



الخطيب والسياسي ايسخينيس

فالإلكوس ملك فوكيس الذى كان يلعب لعبة الصراع والوقعة بين مقدونيا من ناحية وبين أثينا وأسبرطة من ناحية أخرى • واجتمع مجلس الإلكيسيا وقرر الدخول فى مفاوضات سلام مع فيليب • وأوكل المجلس هذه المهمة الى زعيم يدعى فيلوكراتيس (Philokrates) • وقد طالب هذا الزعيم بضم كل من أيسخينيس وديموستنيس الى الوفد • وسافرت البعثة الثلاثية الى بيلا حيث استقبلها فيليب بالحفاوة والتكريم • واتفق معهم على السلام على أساس الأمر الواقع Status quo الا أن فيليب أصر بشدة على عدم اعتبار فوكيس جزءا من هذه الصفقة لأنه ينوى عقابها • وعاد الوفد بهذا المشروع ومعه ممثلين عن فيليب لعرضه على مجلس الإلكيسيا • ولما حاول ديموستنيس إثارة العقبات مصرا على حذف النص الخاص باستثناء فوكيس ومينائها هالوس من نص المشروع اعترض مندوبو فيليب وأيدهم يوبولوس وجماعة السلام وأقنع المجلس بالموافقة على المشروع بحذافيره • وعاد الوفد مرة أخرى لكى يحصل على يمين الشرف باحترام الاتفاق من الملك فيليب • وانتظر الوفد قليلا فى العاصمة لحين حضور الملك فيليب من حملة عسكرية كان يقوم بها فى تراكيا • ولكن ديموستنيس عاد الى إثارة ضمان مستقبل فوكيس وحلف يوتيا ، وأصر أيسخينيس على تبنى قضية شعب فوكيس ولكن فيليب وعد بالتساهل فى تعامله مع هذه المدينة • واقتنع كل من فيلوكراتيس وأيسخينيس بذلك ولكن ديموستنيس أصر على رأيه ، وفى أثناء التكريم اساء أيسخينيس التصرف بقبوله هدية ثمينة من فيليب • وفى فراى شهد الوفد فيليب يقسم يمين الالتزام للمعاهدة فى حفل صغير • ثم عاد الوفد الى أثينا بعد غيبة قاربت على ثلاثة أشهر ( من أبريل الى يونيو عام ٣٤٦ ق • م ) •

وما أن عاد الوفد حتى اندلع حوار عنيف ومناظرات حادة فى ساحة الإلكيسيا حول نصوص الاتفاق مع فيليب • خاصة أن ديموستنيس الذى لم يقتنع بالمعاهدة أقام دعوى ضد رفيقه متهما إياهما بقبول رشوة من فيليب من أجل التساهل فى الشروط • وقد ألقى أيسخينيس دفاعا مطولا بأنه تأكد بنفسه من نوايا فيليب ازاء مستقبل فوكيس ، وقد

ساعده في ذلك وصول رسالة من فيليب تؤكد نواياه ازاء هذه الدولة، فأصدر المجلس قرارا باسقاط الدعوة وأعقبه بقرار شكر للملك فيليب .

#### عودة الخلاف بين أثينا وفيليب :

لم يفض وقت طويل على هذه المعاهدة ، حتى حدث تطور خطير عندما وجه الأثينيون نداء الى فوكيس بتسليم دلتى الى المجمع الأمفكتيوتى وانهاء الأزمة . وسارع فيليب بعد هذا النداء ووجه نداء الى الأثينيين بارسال قوة عسكرية تشترك مع الجيش المقدونى لنصرة المجمع المقدس ضد فوكيس وبيوتيا . وانبرى ديموستينيس بالمرصاد لهذا الاقتراح وطالب الاثينيين برفضه مذكرا اياهم بنصوص معاهدة السلام التى لم يجف حبرها بعد . ورد يوبولوس على ذلك بأن على أثينا أن تقبل عرض فيليب لأن عليها مسئولية كمدينة كبرى فى نشر السلام . وفى أثناء الجدل تصرف فيليب ولم ينتظر قرار الأثينيين . اذ سار بقواته الى ممر الثرمويلاى واستسلم فالايكوس ملك فوكيس وسمح له فيليب بالرحيل الى حيث يريد فاختر كريت حيث سافر اليها وبقي فيها يلعب دورة فى مشاكليها حتى لاقى حتفه هناك . ووضع فيليب مصير فوكيس بين يدى المجمع المقدس الذى قرر تفتيت هذه الدولة سياسيا وتحويلها الى قوى منزوعة السلاح . وأن يفرض على سكانها غرامة باهظة مقابل المبالغ التى نهبوها من دلتى : وقسّطت هذه الغرامة على سنوات ظلوا يسددونها لخزانة دلتى حتى عام ٣٢٢ ق . م . وحظيت مقدونيا بالحصول على مكان مندوبى فوكيس فى المجمع المقدس (١) وكما سبق أن ذكرنا ترأس فيليب الألعاب البيثية فى ذلك العام .

وقد أثار ذلك أثينا وأعلنت أنها سوف تستدعى مندوبيها فى المجمع الأمفكتيوتى ورد فيليب على ذلك ببطالبتها بالاعتراف به عضوا فى المجمع الامفكتيوتى وراوغ المجلس فى اعلان رأيه . ولكن لدهشة الجميع انبرى ديموستينيس موضعا للمجلس عدم جدوى رفض الاعتراف بفيليب عضوا فى المجمع الأمفكتيوتى لأن السلام أئمن من هذا الاعتراف .

وكانت الفكرة القابعة في رأس هذا الخطيب السياسى هو تهدئة فيليب ثم قلب المائدة عليه في الوقت المناسب ، بعد أن يضى على الصراع بين الاغريق وفيليب طابعا قوميا . وقد أدهش هذا القرار الحكيم أعضاء مجلس الأكليسيا وارتفعت شعبية ديموستينيس لدرجة لم يسبق لها مثيل . وأصبح اسمه يتردد على كل لسان في العالم الاغريقى .

وانحسرت شعبية ايسوقراط العجوز خاصة بعد بعثه برسائله الشهيرة « فيليبوس » (Philippus) الى الملك فيليب بعد توقيع صلح فيلوكراتيس والتي طالب فيها بتكوين جبهة متحدة من أثينا وأسبرطة وطيبة وأرجوس ضد الفرس على أن يكون فيليب على رأس هذا التحالف (Symmachia).

ومهما يقال عن ايسوقراط فقد كان الأثينى الوحيد الذى أدرك رسالة فيليب التاريخية وحاول أن يوصلها الى عقول ووجدان الأثينيين وجدير بالذكر أن ايسوقراط اشترط فى مشروعه أن يضمن فيليب استقلال الدويلات الاغريقية وعدم المساس بحقوقها الاقليمية ، ولم يكن هذا المشروع يرضى فيليب لأنه كان يريد فرض سيادته على كل دويلات اليونان ثم يوسع من نفوذه فى منطقة البلقان العليا وأخيرا يقوم بحملته التاريخية ضد الفرس فى آسيا الصغرى للاستيلاء على ممتلكاتها الاغريقية ولكن بالرغم من هذا كله فقد قدر فيليب دعوة ايسوقراط لما نشرته مقالته المفتوحة من تأثير فى نفوس الاغريق . ولهذا يعتبر المؤرخون السياسيون « الفيليبوس » مجموعة من الآراء الناضجة سياسيا والتي لمست واقع المشاكل السياسية للاغريق ، واقتربت حلا معقولا لها . لقد رأى ايسوقراط المستقبل السياسى البعيد للأمة الاغريقية بينما لم يكن معاصروه يرون الا ما هو تحت أقدامهم . ومن ثم يقال أن ايسوقراط قد سبق عصره بكثير .

### ديموستينيس يزكى نار العداء ضد فيليب :

منذ أن وقع صلح فيلوكراتيس وحى الجدل والنقاش في الأكليسيا لم تهدأ خاصة بعد أن برز عدد من المؤيدين لأراء ديموستينيس من الشباب المتطرف من أمثال هيريديس ولوكرجوس •

وهدرت خطب ديموستينيس مهاجمة فيليب خاصة بعد اسقاط دعوى الرشوة التى أقامها ضد أيسخينيس • وطالب باتخاذ عمل حاسم ضد فيليب لتدخله فى شئون البيلوبونيسوس لصالح ميسينيا وأركاديا وغيرها من المدن التى انسلخت عن أسبرطة • وبسبب هذا التدخل تحالفت أسبرطة مع أثينا • وتحت الحاح ديموستينيس سافر وفد أثينى الى البيلوبونيسوس لاستعادة أركاديا وأرجوس الى الساحة الهلينية وطرد النفوذ المقدونى • وزار ديموستينيس البيلوبونيسوس بنفسه وألقى هناك خطبة نارية صب فيها عليه جام غضبه من البلاغة المحرقة لدرجة جعلت الملك المقدونى يرسل وفدا الى أثينا للاحتجاج • وعندما وصل الوفد المقدونى كان ديموستينيس قد نجح فى مهمته اذ توالت وفود دويلات البيلوبونيسوس على العاصمة الأثينية لتعلن تأييدها المطلق وتعلن قطع علاقاتها بمقدونيا •

وأمام الوفود المجتمعة ألقى ديموستينيس أعنف هجوم على فيليب • وهو الخطبة الفيليبية الثانية ، وذلك فى خريف عام ٣٤٤ ق • م • تبدأ الخطبة بدعاية تهاجم الاثينيين وعشقتهم للجدل دون العمل ، ثم ينفذ مزاعم فيليب فى ادعائه السلام والصداقة مع أثينا • ويبين أنه ينوى الغدر بأثينا وبالولايات الاغريقية •

ثم يحذر الجميع من الوقوع فى شباكه التى ينصبها « ما من ملك أو طاغية الا وهو عدوا للحرية وخصما للقانون ، فحذارى - وأنتم تسعون لتفادى الحرب أن تقعوا فريسة فيقودكم طاغى جديد » (١) ، بعد ذلك يستطرد ديموستينيس فيهاجم أصدقاء فيليب من الاثينيين ويلقى عليهم مسئولية ما يحدث فى البيلوبونيسوس من تدخل مقدونى •



ديماق الخليل والسياسي الوطني الآتينى



وقد زادت هوة الخلاف بين أثينا وفيليب عندما استولى الأخير على جزيرة هالونيسوس وهي جزيرة كانت في الأصل تابعة لأثينا ثم استولى عليها القراصنة ولكن فيليب طردهم منها وضمها إليه ، ليفاجئ بسلطانية أثينا بإعادتها إليها .

وبالرغم من هذا كله ، أرسل فيليب مندوبا عنه هو يشون اليزفطي Python of Byzantium وهو أحد تلاميذ ايسوقراط من أجل احياء سلام فيلوكراتيس . ولكن مهمة الرجل باءت صعبة ومطالة بسبب تزايد العداء ضد فيليب وركوب ديموستينيس الموجه المعادية لمقدونيا . بل ووجد الخطيب السياسى الأثينى الفرصة مواتية ليشن هجوما عنيفا على ايسخينيس وخياعته المتعاطفين مع مقدونيا . وبدأت الحملة بقضية رفعها هيريديس مساعد ديموستينيس ، ضد فيلوكراتيس نفسه ، متهما اياه بالتهاون في حقوق أثينا لصالح مقدونيا . ولما وجد فيلوكراتيس أن الخناق قد بدأ يضيق عليه غادر البلاد الى المنفى مختارا وبعد مغادرته للأرض الإثينية حكم عليه بالإعدام غايا . بعد ذلك تقدم ديموستينيس نفسه بدعوى ضد ايسخينيس . ولكن يوبولوس القوي التأثير في المجلس انبرى مدافعا عن ايسخينيس . ولحسن الحظ وصل اليينا ادعاء ديموستينيس ودفاع يوبولوس المضاد مما يعتبر مصدرا رائعا عن الظروف التى عقد فيها صلح فيلوكراتيس . على أى حال كان من الصعب على ديموستينيس أن يهاجم معاهدة اشترك فيها بنفسه ووقع على نصوصها بخط يده .

ولكنه نجح في تلطيخ سمعة ايسخينيس بالرغم من فشله في ادائته لعدم وجود الدليل الكافى . ولعدم وجود قانون يحرم قبول الهدايا أثناء انهاء الرسمية . ويبدو أن الأمر انتهى بسبب تدخل الجنرال فوكيون الذى كان يلقي احتراما كبيرا في المجلس والذي عرف بنزاهته وتعاليه حتى أنه لقب بارسيتيس الجديد .

وبينما كانت هذه الصراعات على أشدها راح فيليب يلوح بالصدقة والسلام ونجح في استمالة يوبويا وميجارا الى صفه ولكن فيليب راح

يسقط الحكومات الديمقراطية ويقيم مكانها حكومات أوليجارخية موالية لمقدونيا وهكذا أعطى فيليب لأثينا فرصة التدخل والتعاون مع الأحزاب الديمقراطية لاسقاط الحكومات الأوليجارخية العميلة واعادة النظم الديمقراطية الى لحكم مما أدى لى تضاؤل النفوذ المقدونى فى البيلوبونيسوس فيما بين ٣٤٣ - ٣٤٢ ق. م . بل وأرسلت أثينا عام ٣٤٣ قوات عسكرية لمناصرة أهل أمبراكيا ضد فيليب .

### فتوحات فيليب فى تساليا وتراكياء :-

قرر فيليب أن يفرض سلطانه فى الشمال فانشغل فى فتوحات استمرت ما بين ٣٤٦ - ٣٤٢ ، تمكن فيها من جعل تساليا منطقة مقدونية قسمها الى أربعة مقاطعات كبرى جعل على رأس كل منها حاكما مقدونيا ، بل وفرض على كل منها مساهمة من الرجال والأموال لمساعدة الجيش المقدونى ، ثم عزل ملك ابيروس لتعاطفه مع الأثينيين وعين شقيق زوجته أولمبياس مكانه .

وبعد ذلك اتجه فيليب الى تراكياء حيث بقى فيها من عام ٣٤٣ الى ٣٤٢ ق.م ثم توغل فى منطقة البحر الأسود وبحر مرمرة قلب الامبراطورية الأثينية الثانية ، انتهكا سلام فيلوكراتيس ، بل وادعى فيليب ملكية مقدونيا لمنطقة الخرسونيسوس . وجاءت خطبة ديموستينيس الشهيرة « عن الخرسونيسوس » التى تدعو الى حرب طويلة ومريرة ضد الملك المقدونى . وفى عام ٣٤١ ألقى ديموستينيس خطبته الفيلبية الثالثة التى دعى فيها لحرب شاملة ضد مقدونيا يتحدد على أثرها قدر الحضارة الهلينية . وطالب مواطنيه بأن الوقت قد حان للعمل . ولقد كانت الخطبة الفيلبية الثالثة أعظم ما كتب ديموستينيس حيث ألهمت قلوب الاغريق غيرة ووطنية وأشعلت نفوسهم بالحق على مقدونيا بالرغم أن آراءه كانت تكرارا لخطبته السابقة .

### الخرسونيسوس بين أثينا ومقدونيا :-

زار ديموستينيس بيزنطيوم وكسبها الى جانب أثينا ، وسافر مساعدة هيريديس الى رودوس وخيوس ونجح فى كسبهما ، وأبحر خاريس الى

شمال بحر ايجه والجنرال فوكيون الى جزيرة ارثريا وكسبها الى جانبه . ولم يقبل شتاء عام ٣٤٠ يوم حتى كان ديموستنيس يعقد اجتماعا لمثلي كل الاغريق في أثينا حضرته وفود كل من يوبويا وحلفائها وكورثا وميجارا وأخيا ، ومن شمال غرب اليونان حضرت وفود عن اكارثانيا وأمبراكيا وكوركورا . وراح ديموستنيس يث الحمية في نفوس المؤتمرين ويوغر صدورهم ضد فيليب ومشروعاته السياسية .

ولما علم فيليب بذلك قرر التدخل وأرسل انذارا الى كل من بيرثوس Perinthus ( ايركلى الحالية في تركيا ) وبيزنطيوم ( Byzantium ) يدعوها فيه الى الاشتراك معه في حملة ضد الخرسونيسوس ورفضت المدينتان طلب فيليب ، وتحصنتا وغلقتا أبوابها وبدأ فيليب بحصار بيرثوس التي كانت تقع على مرتفع منحدر ولا يربط بينها وبين البحر سوى لسان ضيق من الأرض . وقد جرب فيليب ضد هذه المدينة كل أسلحته من أبراج متحركة ومزاريق ولكن المدينة صمدت واستمر الحصار حتى خريف عام ٣٤٠ ق م وقد ساعد الفرس في توصيل السلاح والمؤن الى المدينة المحاصرة عن طريق آسيا الصغرى وبدأ فيليب كما لو كان عاجزا بل أنه تلقى جرحا كبيرا في كتفه أثناء الحصار .

ولأول مرة دعا فيليب ابنه الاسكندر ليشترك في أول معركة حربية وكان حينئذ يبلغ السادسة عشره من عمره .

وبعد أن اعتكف فيليب قليلا ، سار الى بيزنطة ليجد الأثينيين وقد تدفقوا على المدينة ، كما سارع لنجدتها من تبقوا من حلفاء الامبراطورية الأثينية الثانية مثل رودس وخيوس . ولكن فيليب نجح في الاستيلاء على مائتين وثلاثين سفينة محملة بالبضائع وحاول في أحد ليالى شتاء عام ٣٣٩/٣٤٠ ق م أن يقوم بهجوم خاطف على المدينة ولكنه رد على أعقابها خاسرا . فترك الأمر معلقا وانسحب الى الشمال ليؤمن مصب الدانوب وساحل البحر الأسود الغربى . ويرى بعض المؤرخين أن هذا الغزو كان جزءا من مشروع كبير قصد به فيليب التمهيد للقيام بحملة ضد الفرس ومن ثم راح يؤمن الطريق الى آسيا .

### العالم الاغريقى يتحالف ضد مقدونيا :

كان فشل فيليب فى احتلال بيرثوس وبيزنطة أكبر نكسة أثرت فى هسية هذا القائد العظيم ولكنه كان يعلم أنه سوف ينجح يوما فى اخضاع الاغريق لسلطانه لأنه أدرك أن خطب ديموستينيس لم تحقق الجبهة المتحدة المعادية لمقدونيا وراح يتربص ويتحين الفرصة لتحقيق هدفه .

ولحسن الحظ حدثت أزمة جديدة أتاحت هذه الفرصة أمام فيليب وذلك عندما أثار أيسخينس ممثل أثينا فى المجمع الأمفكتيونى قضية ضد أمفيسا وهى مدينة صغيرة تقع على بعد أميال قليلة شمال غرب دلفى لأن شعبها كان يزرع أراضي موقوفه لمعبد أبوللون ولكن أهل أمفيسا جادلوا فى إعادة تخطيط حدود بلدهم مع حدود دلفى ولم يؤيدهم أحد سوى طيبة التى أعلنت عزمها على مساعدة أهل أمفيسا لاسترجاع حقوقهم المشروعة من كهنة دلفى . ولما رفضت أثينا مساعدة دلفى فى تنفيذ قرار يعاقب أهل أمفيسا ، عندئذ طلب المجمع الأمفكتيونى من فيليب القيام بمعاقبة أهل أمفيسا ورأى فيليب الفرصة مواتية للتدخل فى شئون الاغريق لكى يعوض هزائمه أمام بيزنطة وبيرثوس من ناحية ولكى يقوم بظاهرة عسكرية ترهب الاغريق اذا ما فكروا فى التحالف مع الفرس ضده من ناحية أخرى كما كان هدفه من وراء التدخل هو كسب المزيد من الوقار الدينى من أعضاء المجمع الأمفكتيونى .

وسار فيليب بجيشه يعاونه ابنه الاسكندر الذى كان يبلغ وقتذاك السابعة عشر ربيعا واخترق الجيش المقدونى تساليا وعند قلعة الاتيا Elateia التى تتوسط المسافة بين بيوتيا وفوكيس أسس فيليب قاعدة متقدمة لجيوشه يتحرك منها الى الجنوب والشمال . كما قصد باحتلال الاتيا انذار أهل طيبة بعدم التدخل فى أى معارك قد تقوم مستقبلا لصالح أمفيسا وضد مقدونيا .

### الذعر يسود أثينا بسبب احتلال الاتيا :

ويسترجع ديموستينيس ذكريات ذلك اليوم الأسود بعد تسع سنوات فى خطبته المسماة « بخصوص العرش » (١) . حيث يصف مجلس

الاكليسيا وقد خيم عليه الصمت لم يجرؤ أحد على أن يفتح فاه ، وفجأة يكسر ديموسثنيس الصمت فيطالب بعقد تحالف عسكري سريع مع طيبة للوقوف في وجه فيليب ومخططاته . وأرسل ديموسثنيس وفداً الى طيبة يدعوها لذلك وفي الوقت الذي كان أهل طيبة يناقشون فكرة التحالف مع أثينا وصل اليهم مندوبون عن فيليب وأمام المجلس الشعبي عرض كل وفد وجهة نظره وبعد مداولات ومحاولات قرر المجلس الشعبي لطيبة قبول عرض أثينا ورفض التحالف مع مقدونيا .

تعهد الآثينيون بتحمل ثلثي نفقات الحرب وأن تكون القيادة للجيش المتحدة في أيدي قادة طيبة واعترفت أثينا بسيادة طيبة على كل بيوتيا وتنازلت عن حقها في المطالبة بمدينة أوروبوس . وحاولت الحليفتان ضم باقى الولايات الهلينية اليهما ولكن كثير من هذه الولايات أثرت الحياد . ولما كان لوكورجوس - وهو واحد من أشد أنصار ديموسثنيس - يشرف على الخزانة العامة ، لم يجد الزعيم الآثيني صعوبة في تحويل ميزانية الترفيه والألعاب الى الحرب .

لم يكن فيليب يريد محاربة أثينا لأنه تغاضى عن أخطائها وابتلع خطب ديموسثنيس وسبابه ، وذلك لأنه كان متيماً بالثقافة الآثينية ولا يريد أن يتهم بتدمير القلب النابض بالحضارة الاغريقية ، كذلك لم يقصد فيليب تهديد بيوتيا ولكن طيبة هي التي تحالفت مع أمفيسا ضد فيليب ومن ثم كان مسلك فيليب في احتلال الاتا مسلكاً دفاعياً .

ولكن ديموسثنيس دفع الأمور بخطبه النارية الى أسوأ . كانت عليه ، لأنه راح يث الكراهية ضد مقدونيا وضد فيليب ويدعو الأغريق أن يهبوا دفاعاً عن استقلالهم وحريتهم ولكن الخطيب الآثيني باع في تخيلاته ولم يفهم الحقيقة فضل الآثينيين معه وشوه صورة الربسم المقدوني .

**فيليب يسحق التحالف الاغريقى في خايرونيا :**

وبعد قيام الجبهة الجديدة وجهت كل من أثينا وطيبة نداء الى الولايات الاغريقية للانضمام اليها ، ولبى الدعوة عدد كبير من هذه المدن

ابتداء من يوبويا شرقاً الى آكارنانيا وجزيرة ليوكاس في أقصى الغرب ، كذلك انضم الى الجبهة المعادية لفيليب جزيرة كوركيرا المتاخمة لساحل ايروس وكذلك أخيا وكورثا وميجارا المواجهة لدلفى كذلك انضم الى التحالف ميسينيا وأيليس في غرب البيلوبونيسوس وبالطبع مدينة بيزنطة . ولم يقف مع دلفى سوى ولاية أيتوليا الواقعة الى الغرب من دلفى وبعض المدن الصغيرة ذات الأهمية المعدومة . أما اسبرطة وأركاديا فقد اعلنتا الحياد ازاء المعركة الدائرة بين مقدونيا والأغريق .

وقد بدأ المتحالفون هجومهم بادانة كهنة دلفى لاعطائهم الفرص لفيليب ذلك الملك البربرى للتدخل في شئون تخص الأغريق وحدهم ، فعرضوا بذلك حرية بلاد اليونان الوسطى والجنوبية للخطر . أما فيليب فقد اعتبر قيام مثل هذا التحالف عائقاً في سبيل أحلامه وعليه أن يقضى عليه بأى وسيلة . ومن ثم راح يحصن قلعته في الاتيا وأقام خطاً متقدماً عند جبل برناسوس الذى تقع عند سفحه مدينة دلفى وأمفيسا ، ثم دعى قوات من مقدونيا وتساليا وانطلق ليؤدب أمفيسا طبقاً لمخططه الأصلي لكى يظهر عدم اكترائه بما يفعله الأغريق من ناحية ولكى يبدى لهم أنه مكلف برسالة دينية عليه أن ينجزها من ناحية أخرى .

أما قوات المتحالفين فقد احتلت المنطقة والممرات الجبلية من بيوتيا الى فوكيس وقام الجنرال الاثينى خاريس Charis بقيادة قوة مكونة من عشرة آلاف جندي لاحتلال الطريق الذى يربط بين خليج كورثا وأمفيسا ليقطع على فيليب أى دعم يطلبه من مقدونيا عبر خليج كورثا .

عندما وصل فيليب الى أمفيسا وجد أن أثينا قد دفعت بعشرة آلاف من الجنود المرتزقة لحماية المدينة من الجنوب كما أنها أقامت عدداً من الكمائن في الجبال فأدرك فيليب أنه لا أمل في المصالحة وتفادى الحرب مع الأغريق . وفي صيف عام ٣٣٨ ق.م لجأ فيليب الى خديعة وهو أنه كتب خطاباً الى جنراله أتيباتر يخطره فيه بقراره بالعودة الى مقدونيا لمواجهة بعض القلائل هناك ، ثم عمل على أن يقع هنا الخطاب في أيدي

الاغريق (١) ونجحت الخطة وتنفس الاغريق الصعداء واسترخت القوات . وكان فيليب يرقبها من فوق الجبال . وفي ظلام الليل هبط عليهم واستولى على امفيسا استيلاء خاطفاً وهلل كهنة دلفى للبطل متنبئين بالدمار لمن يقف في طريقه وقد علق ديموستينيس ساخرا على هذه النبؤة قائلاً « انها ليست من وحى أبوللون بل من وحى فيليب » .

بعد هذه الهزيمة وسقوط أمفيسا قرر الاغريق التراجع الى خايرونيا ذلك السهل الواقع عند سفوح جبال بتراخوس والذي تقع فيه مدينة طيبة أيضاً ، وعلى الناحية الأخرى للسهل يتدفق نهر كيفيسوس Kephissos من مرتفعاته في الشمال . فالمنطقة اذا تجمع ما بين السهل والجبل والعائق المائى مما جعلها أرضاً مثالية لمعركة متعددة التكتيك والعمليات .

وفي اليوم المشهود في شهر أغسطس عام ٣٣٨ ق.م تحرك فيليب من الاتيا الى سهل خايرونيا حيث وجد جبهة عريضة مكونة من الجنود تمتد عبر السهل من سفوح خايرونيا الى حافة كيفيسوس . وكانت قوات طيبة تقود الميمنة وقوات أثينا الميسرة أما الوسط فكان يشغله الجنود المرتزقة والمتطوعون من باقى الدويلات الاغريقية . أما قوات فيليب فكان يقود ميسرتها الاسكندر بينما قاد فيليب الميمنة .

بدأت المعركة عند الفجر عندما انقض الفرسان الأثينيون على الجناح الذى يقوده فيليب ولكن الاسكندر اندفع نحو قوات طيبة وراح يحصد جنود الفرقة المقدسة Sacred band حصداً ، أما فيليب فقد تظاهر بالانسحاب لكى يجبر القوات الأثينية الى فخه ولجأت القوات الأثينية الى مرتفعات خايرونيا للاستراحة من العناء تاركين وراءهم ألف قتيل وفجأة انقض عليهم فيليب وأطبق معه ابنه الاسكندر وقضى على البقية الباقية من القوات الأثينية وأسر ألفين من جنودها من بينهم ديموستينيس نفسه . وما أن غابت شمس ذلك اليوم المشهود حتى كان فيليب قد فرغ من القتال وراح يجمع أسراه في مدينة ليباديا Libadeia حيث راح يحتفى بالنصر الكبير ويفرق نفسه في الشراب فقد أصبح جنوب

Polyaenus, V, 11, 8;

(١)

( ٣٢ - الاغريق )

اليونان بعد خايرونيا تحت رحمة مقدونيا ، واستعدت أثينا للدفاع عن نفسها ودعت فلاحها لهجرة حقولهم وقراهم والاجتماع داخل أسوارها وجندت كل رجالها حتى سن الستين .

أما تصرف فيليب فقد اتسم بالتناقض اذ كان قاسيا مع طيبة لأنه اعتبرها قد خانت عهدا للسلام معه وانضمت ضده في حرب لا مبرر لها ولهذا فتك بها وقضى على قيادتها الديمقراطية وأحل محلها حكومة أوليجارخية مكونة من ثلاثماية عضو عميل لمقدونيا ، ثم حل حلف بيوتيا الى الأبد وترك حامية في قلعة كادما وأخرى في خالكيس بجزيرة يوبويا ، ولكي يقضى على أى انتفاضة مستقبلية لطيبة أعاد فيليب احياء أورخوميتوس وثسبياي وبلاتيا وهم أعداء طيبة التقليديين .

أما بالنسبة لأثينا فقد كان فيليب كريما متسامحا ، فقد أرسل لهم أحد الأسرى الأثينيين وكان اسمه ديماديس ليخبرهم بحسن نواياه تجاههم ويبدو أن فيليب كان في حاجة الى مساعدة الأساطيل الأثينية من أجل حملته العسكرية مستقبلًا ضد الفرس . وبسرعان ما أرسل الأثينيون إيسخينيس ليضع شروط المصالحة . واثباتًا لحسن نواياه باع فيليب كل الأسرى فيما عدا الأثينيين الذين أعادهم مكرمين .

وكان من شروط المصالحة اصرار فيليب أن تعترف أثينا بسقوط الامبراطورية الثانية وتتنازل عن كل ممتلكاتها فيما عدا لمنوس وامبروس وسكوروس وديلوس وساموس ، وأن تطلق أثينا لمقدونيا السراح في البيلوبونيسوس . وبالفعل اعترفت جميع دويلات البيلوبونيسوس بالزعامة المقدونية (١) فيما عدا أسبرطة التي آثرت سياسة العزلة والكبرياء . فقد كانت أسبرطة تحس بالحسرة على ماضيها المنهار وتشعر بالعجز لعدم قدرتها على استعادة أركاديا وميسينيا وأرجوليس الي حوزتها . كما

(1) Ow, Rheinmuth The Spirit of Athens oxford 1970, p. 47 - 51.



قبلت كورثا تواجد حامية مقدونية قرب خليجها لتؤمن تحرك الجيش المقدوني .

هكذا استيقظ فيليب في عشية اليوم التالي للمعركة على حقيقة واقعة وهو أنه أضحي بطل اليونان الأواحد وكان في استطاعته أن يصدر أوامره للسير نحو أثينا ولكنه آثر التريث والاجتهاد في كسبها الى جانبه لأنها رمز المجد وجامعة هيللاس . كذلك فقد أظهرت خايرونيا بطولة الاسكندر الشاب وأصبح له معجبون كثيرون من رجال الجيش المقدوني الذين أحسوا بمقدرته العسكرية وتنبؤوا بأنه معجزة العصر والقائد الذي لا يقهر .

وبمعاهدة السلام اعترفت أثينا رسميا بسقوط الامبراطورية الاثينية الثانية مقابل تعهد فيليب ألا يسمح باقامة أى حامية مقدونية داخل الأرض الأتيكية أو أن يربط الاسطول المقدوني في مياهها الاقليمية . كما تنازلت أثينا لمقدونيا عن منطقة الخرسونيسوس وأقسمت يمين الولاء والصداقة لفيليب الثاني .

ولما كانت الامبراطورية الاثينية في حالة تدهور بل كانت اسما على ورق فلم يحزن الاثينيون على الاعتراف بسقوطها بالرغم من أن خطبة التأين التي ألقاها ديموسثينيس على رفات شهداء خايرونيا كانت تقطر أسى وحزنا . بل أن الاثينيين « أصدروا قراراً بالانعام على فيليب بحق المواطنة » .

بعد ذلك قام فيليب بتصفية حسابه مع يوبويا وفوكيس ثم الى ميجارا ومنها الى كورثا حيث أستقبل استقبال الفاتحين وحيث ترك حامية مقدونية لحماية خط الاتصال بين مقدونيا وجنوب اليونان . ثم رحل بعد ذلك الى أولبيا حيث قدم الأضاخي وأقام معبداً في واحة زيوس المقدسة عرف بمعبد فيليب Philippeion ومن أولبيا سار فيليب الى

اسبرطة المتوارية في أنف وعجز وكبرياء ، ورفضت هذه المدينة في أنفة أن تعترف به زعيما على الاغريق ، ولم يشأ فيليب أن يضيق خناقه عليها ربما من باب الرثاء على حالها أو لأنه لم يرى في سياستها الانعزالية خطورة على استراتيجيته الكبرى ضد الفرس .

**مؤتمر كورنثا الكبير وتعيين فيليب قائدا عاما على قوات الاغريق المتحدة :**

بعد أن تأكد لبطل خايرونيا أنه الجنرال الأوحده الذي لا ينافس في مجال القتار ، تحول فيليب الى ميدان السياسة ليحرز أكبر نصر سياسى عرفه التاريخ . فقبل أن ينصرم عام ٣٣٨ ق.م. دعى فيليب الى عقد مؤتمر كبير تحضره كافة المدن الاغريقية وقد استجابت جميعها لهذه الدعوة باستثناء اسبرطة التى آثرت الانطواء على نفسها . ثم عرض فيليب على المجتمعين مشروع عقد معاهدات دفاعية مشتركة بينهم (١) وبين مقدونيا بعد أن تتناسى النزاعات الداخلية فيما بينها .

ثم كلف المجتمعون فيليب ليتولى القيادة العامة لهذا التحالف للاغريقى المقدونى . كما اتفق على تكوين مجلس دائم لهذا الاتحاد (Syedrion) يكون مقره كورنثا . كما اتفق على أن يكون تمثيل المدن الاغريقية في هذا المجلس حسب قوتها العسكرية . وأن يجوز عقد اجتماعات المجلس سواء في كورنثا أو أى مكان آخر له أهمية قومية مثل أولبيا ودلفى . وأن تتولى لجنة من خمسة أعضاء (Predroi) مهمة الاشراف الدائم على الحلف . ولكى يظهر فيليب للاغريق حسن نيته طلب أن تكون مقدونيا عضوا دائما في هذه اللجنة الخماسية . كذلك اتفق المجتمعون على توقيع عقوبات صارمة ضد كل من يخالف لوائح الاتحاد وأن يتولى تنفيذ هذه المهمة قوات مشتركة من فيليب والحلفاء . وتعهدت كل مدينة اغريقية بتقديم مساعدة عسكرية مثل تجهيز عدد من السفن والرجال في حالة دخول مقدونيا أى حرب مع عدو أجنبى . وقد ضمن فيليب ألا يتعرض لاستقلال المدن الاغريقية وأن يتركها على

حالها الذى كانت عليه عند توقيعها على هذه المعاهدة • وباستثناء كورثا وقلعة كاديا فى طيبة وخالكيس فى يوبويا وخليج أمبراكيا تعهد فيليب بعدم اقامة أى حاميات مقدونية فى بلاد اليونان • وأخيراً انتزع فيليب • موافقة الاغريق على قبول معاقبة أى اغريقى يحاول التعدى على دستور مدينته أو يعمل لصالح قوى معادية للاغريق وكان فيليب يقصد بذلك دولة فارس حيث كان يعمل فى جيشها وأسطولها عدد كبير من الاغريق كجنود مرتزقة •

بهذه المعاهدة قضى فيليب لأول مرة على الصراعات المحلية بين الدويلات الاغريقية كما أوقف تسرب الجنود المرتزقة الاغريق للعمل فى صفوف الجيش الفارسى ، بل ونصب نفسه باختيار الاغريق قائداً عاماً عليهم والموجه لسياستهم الخارجية وحقق الوثام الدائم بينهم (homonioia) لأول مرة • وذلك لأنه كلف اللجنة الدائمة للحلف للتوسط لحل أى خلاف قد يقع بين المدن الاغريقية • وبذلك خلق لأول مرة جبهة متحدة من الاغريق والمقدونيين وحقق أحلام أيسوقراط المعجوز الذى كان يدعو اليها منذ ثمانية سنوات مضت ولكنه قضى نجه بعد بضعة أسابيع قليلة من معركة خايرونيا وهو فى عامه الثانى والتسعين وبذلك لم يشهد تحقيق حلمه الكبير الذى كرس من أجله حياته •

وفى ربيع عام ٣٣٧ ق.م • دعى فيليب المجلس للاجتماع لمناقشة مشروع القيام بحملة عسكرية ضد الشرق وكما يقول ديودورس أضفى فيليب على الحملة طابعا هيلينيا عندما وصفها بأنها حملة من أجل الانتقام والرد على حملة الفرس ضد بلاد اليونان فى القرن الخامس ق.م (١) .  
والتي دنسوا أثناءها شرف المعابد المقدسة فوقه الأكروبول الأثينى وقد وصف العالم الكبير فلكن Wilcken ذلك بأنها فكرة عبقرية idealer gedanke (٢) • ولكن الاغريق قبلوا فكرة الحملة ضد الامبراطورية

Diodorus XVI. 89, 2.

(١)

V. Wilcken, Alexander der grosse, p. 44,

(٢)

الفارسية كارهين وذلك خوفاً من غضب فيليب الثانى وتقاديا لشره •  
وفى عام ٣٣٧ ق م بدأ فيليب الاستعداد والتدريب ، بل سار جنراله  
بارمينيون فى ربيع عام ٣٣٦ ق م بصحبة جيش عبر به بحسر مرمرة  
لتمهيد الطريق للجيش المقدونى بل ولكى يحرض المدن الاغريقية فى  
أيونيا على الثورة ضد الحكم الفارسى وبالفعل استجاب لذلك خيوس  
وايفيسوس وكوزيكوس وعدد آخر من المدن الأيونية الواقعة تحت  
نفوذ الفرس •

#### اغتيال فيليب :

وبينما كان الاستعداد للحملة الكبرى قائما على أشده ، جاءت الأنباء  
بخبر مصرع فيليب غدرًا وازاء ذلك سارع بارمينيون للعودة. بينما أثر  
أتالوس مساعده الانتظار قرب بحر مرمرة • لقد سقط فيليب صريعاً  
تحت ضربات خنجر أحد ضباطه الغاضبين عليه وقد اختلفت المصادر فى  
تحديد شخصية القاتل ودوافع الجريمة • فقد قيل أن ذلك تم بتدبير من  
أولمياس والددة الاسكندر انتقاما لكرامتها التى أهدرها زوجها بسبب  
علاقاته وزيجاته الكثيرة وخوفاً من أن يحرم ذلك ابنها الاسكندر الأكبر  
من تولى العرش خاصة اذا أنجب ذكراً • كما قيل أن الفرس هم الذين  
دبروا هذه المؤامرة لاعاقه مشروع الحملة ضد بلادهم • وقيل أن القاتل  
انتقم من فيليب بسبب الخلاف معه • وربما كان هذا أقرب التفسيرات  
جميعاً •

والحق يقال أن الخلاف كان محتدأ بين فيليب وابنة الاسكندر الذى  
احتج على زواج أبيه من ابنة شقيقه الجنرال أتالوس ، وشربه فى نخب  
وريث صالح من هذا الزواج فضلاً على أن فيليب كان قد سبق له  
الزواج من سيدة فى لاريسا وأنجب منها ابناً أبله عرف باسم فيليب  
أرهيداىوس • ويقال أن الاسكندر كان يعانى نفسياً ويتألم لمعاملة  
فيليب القاسية لأنه ووصل به الاحتداد مع أبيه لدرجة رفع فيها السلاح  
عليه (١) • وقد انسحب الاسكندر فى صحبة أمه الى ابيروس ولم يعد

الى مقدونيا الا بعد أن أرسل أبوه اليه رسولا يؤكد خلافة الاسكندر على عرش مقدونيا . ولكن القلق عاد مرة أخرى عندما وضعت عروس فيليب الجديدة ابناً ذكراً سمته كارانوس\* (Karanos) تيمنا بالجد الأكبر للأسرة المقدونية .

هكذا سقط فيليب صريعاً أثناء حفل زواج ابنته كليوباترا شقيقة الاسكندر في العاصمة القديمة ايجاي (Aegae) وذلك في صيف عام ٣٣٦ ق.م وعلى أثر ذلك قامت أولمبياس بتدبير مقتل هذه العروس الجديد ووليدها الرضيع لتؤمن العرش لابنها الاسكندر (١) .

#### تقييم تاريخي لفيليب الثالث :

يمكننا أن نوجز مهمة فيليب في عملين عظيمين يرتبط كل منهما بالآخر أشد الارتباط ، أولهما خلق دولة مقدونية متحدة لأول مرة في التاريخ ، وهذا وحده يعطيه الحق في أن يعد من أعظم رجال السياسة في العصر القديم . وثانيهما توحيد المدن الاغريقية في جبهة متحدة وهو أيضا عمل تحقّق لأول مرة في تاريخ الاغريق .

لقد ظلم المؤرخون فيليب ، عند الحكم عليه تاريخياً ، فمن ناحية غطت شخصية ابنه الاسكندر الأكبر عليه فجعلته لا يأخذ حقه في التقدير والتبجيل مع أنه وازع حجر الأساس الأول للإمبراطورية المقدونية ولولا الوالد ما جاء الابن وأصبح بطل العالم والتاريخ ، كذلك فقد ظلم النقاد القدامى فيليب عندما وصفوه بأنه من الطغاة القساة الذين حرموا المدن الاغريقية من حريتها واستقلالها ، ولكن فيليب حقق للاغريق ما فشل فيه الاغريق أنفسهم . اذ جعل لهم لأول مرة تحالفاً قوياً كما نما فيهم روح الانتماء الواحد والوحدة وأوقف التقاتل والحروب فيما بينهم . ولو قدر فيليب أن يعيش لفترة أطول لشاهد نتائج أكثر ايجابية لهذا التحالف الاغريقي ولكنه مات قبل أن يؤتي

(٢) ناقش بوزورث قضية اغتيال فيليب والقي اللوم على زواج الملك

من عروس جديد

نمره • وجدير بالذكر أن فيليب لم ينتوى بالمرّة أن يحكم المدن الاغريقية بنفس الأسس المستبدة التي حكم بها مقدونيا بل ترك لتلك المدن حرية الحكم الذاتي لنفسها ولم يأخذ منها شيئاً سوى ادارة سياستها الخارجية والعسكرية •

لقد كانت العبقريّة الاغريقية في القرن الرابع ق.م في أوج نضوجها في الفكر والفن ، في الفلسفة والعلوم والأدب ، بدرجة لا تقل عن نبوغ هذه العبقريّة في القرن الخامس ق.م ولكن نقطة الضعف في الحضارة الاغريقية هو الفشل في المجال السياسي ، فقد ظلت نظمهم السياسية جامدة لا تناسب التطورات والتغيرات الجديدة ، حقاً ، لقد خرجت عدة أصوات مختلفة تنادي بوجوب قيام وحدة اغريقية تقوم على أساس التحالف التعاهدي بين الدويلات الاغريقية وبالفعل قام بعض من هذه الأحلاف ولكنها سرعان ما انهارت نتيجة للأحقاد الاقليمية وانتشار روح الأنانية والشوفانية الضيقة ، فضلاً على أن هذه الأحلاف كانت بمثابة اتحاد شركاء سرعان ما ينهار عند أول بادرة خلاف • ولقد عبر ايسوقراط عن ذلك صراحة عندما ذكر أنه ليس هناك من أمل في قيام وحدة كاملة بين الاغريق بدافع ذاتي من أنفسهم وبدون تدخل من قوى خارجية • وخلاصة القول لقد نجح فيليب فيما فشلت فيه أثينا واسبرطة وطيبة خلال فترات سيادتها السياسية والعسكرية •

وقد يقال أن فيليب — ازاء تعامله مع بعض المدن الاغريقية — كان قاسياً بلا مبرر ، فقد كان شديد القسوة ازاء مواطني مدينة أولينثوس وأسرى فوكيس وطيبة ، ولكن ما ارتكبه فيليب من قسوة لا يفوق بأي حال من الأحوال قسوة أثينا ازاء حلفائها ابان قيام حلف ديلوس وفي قضائها على النافرين عليها والمطالبين بحريتهم ، كما أن قسوته لا تعدو شيئاً اذا ما قورنت بقسوة اسبرطة ازاء الهيلوت أو حتى سلوك طيبة المتعنت أثناء فترة سيادتها •

وقد يتهم المؤرخون فيليب بالخبث السياسى ولكن ليس ذلك عيبا ،  
فقد عرف الاغريق ساسة فاقوا فيليب دهاء ومكرأ من أمثال ثيمستوكليس  
والكبياديس وكليون من أثينا ولوساندر الاسبرطى •

لقد سقط فيليب بعد كفاح طويل ومعارك ضارية خرج منها وقد  
فقد احدى عينيه وثلث احدى ذراعيه وأصيبت احدى ساقيه بجرح  
جعله أعرجاً وأصبح مرهقاً يفرق نفسه فى الخمر ولهذا يقال أن دور  
فيليب انتهى لأنه لم يعد مؤهلاً لقيادة حملة أسطورية ضد امبراطورية  
الفرس ولكنه أدى دوره كاملاً وحقق رسالته فى بناء الأمة المقدونية (١)  
وتوحيد الدويلات الاغريقية المتنافرة وفرض عليها التعايش فيما بينها ،  
وقبل كل شىء كسب للمقدونيين اعترافاً بأنهم اغريق وليسوا بربابرة كما  
كانوا يعرفون قديماً • وخلاصة القول أن الذين كتبوا عن فيليب لم  
ينصفوه حقاً ، فمن ناحية ظلموه عند الحكم عليه ومن ناحية أخرى  
شغل المؤرخون بتاريخ حياة ابنه العظيم الاسكندر الذى طفت شخصيته  
على شخصية أبيه فججبتها ، فضلاً على أن أعداء فيليب كانوا كثيرين  
ومنهم من كان سيد البلاغة والخطابة فبقيت خطب ديموستينس أثراً  
خالداً للأجيال فى كل مكان ولكنها كانت فى نفس الوقت تلتخ شخصيته  
فينيب تجنيا عليه وتشهيرا به • فتركت انطبعا مشوها عنه •

#### الاسكندر الاكبر :

سبق أن لمحنا الى الهالة المقدسة التى نسجتها أولمبياس حول ابنها  
الصغير الاسكندر وحول نسبة أبوته الى زيوس آمون وغير ذلك من  
النبوءات التى اختلقت من أجل تعظيم مستقبل الصغير • كان الاسكندر  
يتمتع بحب أمه الجارف لحوه بل أنه نفسه بادلها نفس الحب بقدر يفوق  
حبه لحوه أبيه لدرجة أن بعض الكتاب باتوا يشكون عما اذا كان  
الاسكندر مصاباً بعقدة أوديب •

(1) J.R. Ellis, "The Securtiv of Macedonian throne under Philip II, Ancient Macedonia Paper read at the First international Symposium held in Thessaloniki, 1968, Thessaloniki 1970., p. 68-75. also cf. by the same author., " Amyntas, Perdicaas, Philip, and Alexander, the Creat, J.H.S., XOL, 1971, p. 15-24.

على أى حال ما أن بلغ الاسكندر الثانية عشرة من عمره حتى بدأ أبوه فى اعداده للفروسية ، اذا اشترى له جواده الشهير بوكيفالوس (Boucephalus) أو رأس الثور ، والذي أصبح جزءاً لا يتجزأ من أسطورة الاسكندر فيما بعد . كما تلقى الاسكندر قسطاً كبيراً من الثقافة الاغريقية خاصة عند ما دعى فيليب الفيلسوف الكبير أرسطوطاليس (Aristotiles) الى القصر الملكى المقدونى ليشرف على تربية الاسكندر . وكان أرسطوطاليس - أو أرسطو كما اشتهر - ابناً لطبيب القدر المقدونى . وقد ولد فى عام ٣٨٤ ق.م فى مستوطنة ستاجيرا (Stagira) فى منطقة خالكيدىكى والتي لا تبعد عن ييللا العاصمة المقدونية سوى ستين ميلاً وقد قيل أن أرسطو تربى مع فيليب نفسه فى القصر الملكى المقدونى الا أنها افترقا عام ٣٦٧ ق.م عندما حمل فيليب الى طيبة كرهينة ، عندئذ غادر أرسطو مقدونيا متجها الى أثينا كعبة الثقافة وهناك انضم الى مدرسة الفيلسوف الكبير أفلاطون . وبعد موت أستاذه أفلاطون لم يطق أرسطو البقاء فى أثينا فأثر التجول والترحال حتى دعاه فيليب ليشرف على تربية الاسكندر ولينشأ مدرسة فلسفية فى مقدونيا وقد قبل أرسطو دعوة فيليب صديق طفولته دون تردد لاعتقاده أن مقدونيا هى أمل الاغريق فى الانتصار على البربرية الشرقية . كما أنه وجد فى مقدونيا الهدوء لكى يتأمل ويفكر بعيداً عن الاثارات والثرثرات السياسية التى كان تشغل بال المدن الاغريقية ، وعند حضوره الى مقدونيا رحب به فيليب وتكريماً له أعاد بناء مستوطنة ستاجيرا الاغريقية مسقط رأسه بعد أن كانت قد هدمت مع باقى المستوطنات الاغريقية التى دمرها فيليب ، كما عفى عن سكانها ليعودوا اليها .

كان أرسطو آنذاك فى الخامسة والأربعين من عمره وكان لا يزال مغموراً ، عندما حط رحاله فى ييللا . وفى أحد ضواحي العاصمة المقدونية أنشأ مدرسته الخالدة فى قلب أحد الكهوف حيث تعود أن يلقى دروسه على تلاميذه وهو يتمشى ولذا سميت مدرسته باسم مدرسة

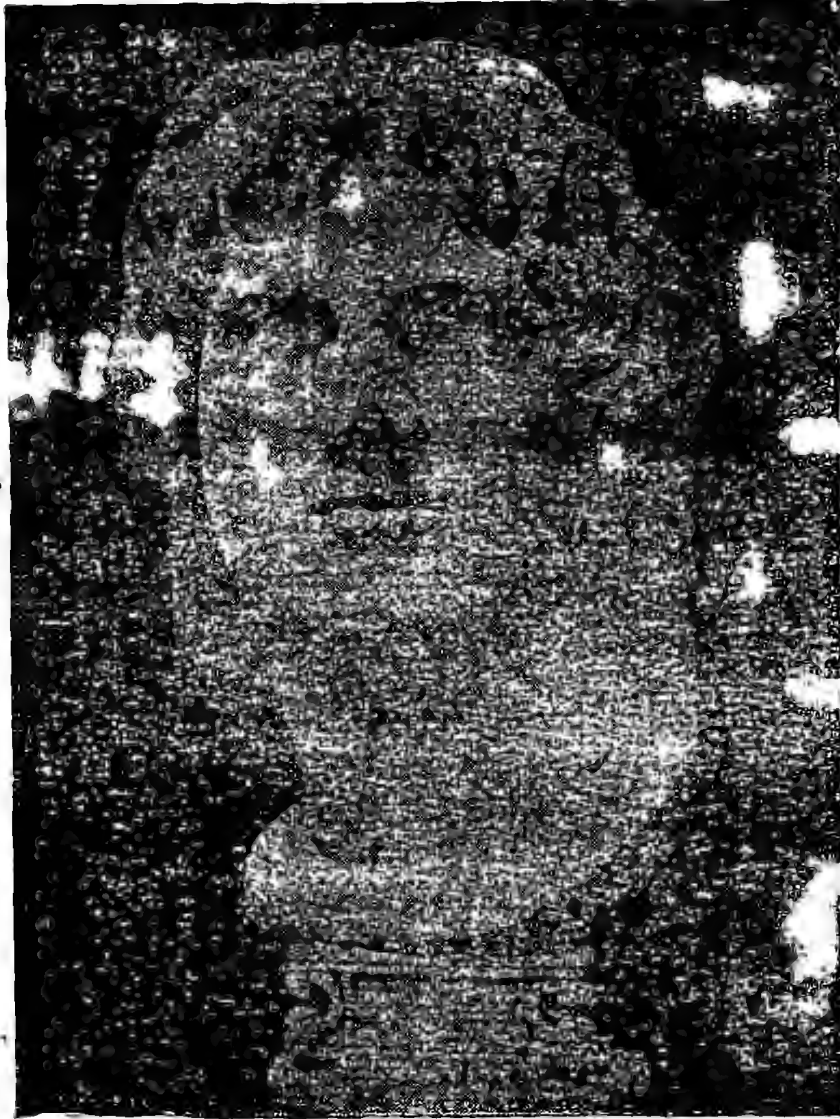


المشائين peripatetics • ولقد ظل الاسكندر يذكر فضل أرسطو عليه ، اذ علمه أصول التفكير الواقعي والعقلاني والنظرة الموضوعية الى الأمور ، كما قام أرسطو بتدريس عدد من العلوم للأمير الصغير مثل البلاغة والريطوريقا وأصول النحو والفلسفة والموسيقى والطبيعة والمساحة • والى أرسطو يرجع الفضل في تهذيب وصقل شخصية الأمير الصغير ، لأنه كان ملازما له بينما كان أبوه فيليب مشغولا عنه في معاركه •

لم يكن الاسكندر قد جاوز العشرين ربيعا عندما لقي أبوه مصرعه في خريف ٣٣٦ ق • م • حيث وجد نفسه ملكا على مقدونيا ، ولكنه لم يتهيب المخاطر وتولى ذلك العرش العظيم بمسئوليته الجسام في هذه السن المبكرة ، وذلك لأن الاسكندر كان يعتقد أنه خرافي الارادة مؤله النسب ، بطل لا يقهر مثل أخيليس بطل الياذة هوميروس التي كان يحتفظ بنسخة مذهبة منها ويحملها معه في كل مكان يذهب اليه • كذلك كان الاسكندر يعتقد في قراره نفسه أنه جاء ليكمل رسالة مقدسة وهي تحرير آسيا الصغرى وسوريا وقبل كل شيء مصر مقر أبيه آمون من جبروت ملك الفرس وطغيانه •

#### الاسكندر يقضى على المصاعب وحركات التمرد :

كانت أولى المشاكل التي برزت أمام الاسكندر غداة مصرغ أبيه هي ظهور بعض المطالبين بالعرش اذ بايعه الجيش المقدوني الذي كان يقوده أنتيباتر Antipater صديق فيليب المخلص • والذي كان يعسكر قرب بحر مرمرة في انتظار العبور الى آسيا الصغرى • أما الجيش الآخر والذي كان قد عبر الدردنيل فعلا الى آسيا الصغرى بقيادة أتالوس خال عروس فيليب الجديدة فقد أعلن معارضته لتولى الاسكندر وأعلن مبايعته لاموتاس الثالث ابن برديكاس شقيق فيليب • وقد أثار ذلك حنق الاسكندر الناري فأرسل مبعوثا ألقى القبض على أتالوس وعلى باقي أفراد أسرته وأعدمهم جميعا وفر أموتاس الى أن قبض عليه فيما بعد ونفذ فيه الاعدام أيضا •



الاسكندر الاكبر  
قاهر العالم المسكون

( المتحف البريطاني بلندن )

استقبل الاغريق بالسُرور البالغ نبا مصرع فيليب وساد بينهم اعتقاد خاطيء أن الاسكندر الشاب لن يملا حتى خذاء أيه ومن ثم ساد اعتقاد أن الدويلات الاغريقية تستطيع أن تطالب بحريتها وتنبذ المعاهدات التي عقدتها مع فيليب . وبالفعل انتشرت بؤادر التمرد في تساليا وأمبراكيا حيث طردت الحاميات المقدونية ، ثم تلى ذلك اعلان أيتوليا وأكارنانيا الاستقلال ، وسرعان ما بدأت بؤادر القوة تدب من جديد في فوكيس . وفي بلاد اليونان الوسطى استيقظت طيبة وبدأت تتحرك لطرد الحامية المقدونية من قلعها ، ثم أعلنت ايليس وأرجوليس في البيلوبونيسوس استقلالهما وساد احساس بالراحة في مدينة أسبرطة .

كانت أثينا أول من رفعت لواء الثورة ضد الاسكندر ، فعندما وصلت الأنباء اليها خرج ديموسثينيس الى مجلس الأكليسيا ليروى حلما أوحى به اليه زيوس ليلا ووجده يتحقق صباحا . ثم أعلن موت فيليب وهو يرتدى رداءا شبيها بأردية الآلهة ويضع على رأسه تاجا من الزهور وأخيرا طالب المجلس بتقديم أكليل من الزهور للقاتل باوسانياس ونقش اسمه في نوحة الشرف .

ولم تمض أسابيع قليلة على اندلاع التمرد والثورة حتى كان الاسكندر قد جمع حوله « الرفاق » المعجبين به خاصة كبار جنرالات الجيش المقدوني من أمثال بارمينيون وأتباتر ، وسار على رأس جيش يبلغ تعدادة ثلاثين ألفا ليؤدب الولايات الاغريقية المنشقة . وبدأ مسيرته الى تساليا حيث زار مدينة فثيوتيس Phthiotis مسقط رأس أخيليس بطل الألياذة .

وتكريما لهذا البطل أعلن اعفاء سكان هذه المدينة من الضرائب ثم سار الى ممر الترمويلاي . ومنه الى طيبة حيث كانت الحامية المقدونية في ضائقة وهي محاصرة في قلعة كاداميا . واستيقظ سكان طيبة ليجدوا قوات الاسكندر تعسكر خارج أسوار طيبة ، وسارع الأثينيون بارسال سفارة الى الملك الشاب بقيادة ديموسثينيس نفسه ليعلنوا أسفهم للاسكندر لسوء سلوكهم نحوه وآثر الاسكندر أنه يسير على نهج أيه في اغراق

الأثينيين في بحر العفو المقدوني وبالفعل استقبل الاسكندر الوفد المقدوني هاشا باشا وبعد أن ألقى عليهم درسا مطولا في معنى الاخلاص والوفاء قبل اعتذارهم وأعلن حسن نواياه ازاء مدينتهم . وما ان عاد الوفد بهذه الأنباء حتى تنفست أثينا المذعورة الصعداء وأصدرت الأكلisia قرارا بمبايعة الاسكندر واختياره بطلا حاميا للمدينة .

بعد ذلك سار الاسكندر الى مدينته المفضلة كورثا . ومن هناك دعى وفود المدن الاغريقية للالتقاء به . وعقب الاجتماع الكبير الذي حضرته كافة المدن الاغريقية فيما عدا أسبرطة ، صدر قرار بالاجماع باختيار الاسكندر قائدا عاما لقوات تحالف الاغريق والمقدونيين . وعندما وجهت دعوة للأسبرطيين للاشتراك في هذا المؤتمر أجاب شيوخهم في كبرياء « ان من عادة الأسبرطيين أن يقودوا وليس أن يقادوا » .

كما أيد ممثلو الاغريق المجتمعون في كورثا مشروع غزو دولة فارس ووعدوا بتقديم المساعدات العسكرية للاسكندر والتي كانوا قد وعدوا فيليب بها . كما وعد هو من جانبه باحترام استقلال وسيادة المدن الاغريقية ويروى أن الاسكندر أصر وهو في كورثا أن يزور الفيلسوف الشهير ديوجينيس (Diogenes) والذي كان يبلغ الثمانين من عمره والذي جاء أصلا من مدينة سينوب (Sinope) على البحر الأسود حيث أقام في كورثا في أحد بيوت الأغنياء وقد عرف عن ديوجينيس زهده الشديد في الدنيا وارتدائه الأطمار البالية وتركه لشعره يتهدل . وكان ديوجينيس لا يأبه بشيء على الاطلاق لأنه كان يؤمن « باللاشيئية » ، ولكنه كان حاد الذكاء ، دائم التعليق على المواقف بعبارات لاذعة تهكمية . كذلك عرف عن ديوجينيس احتقاره الشديد للأغنياء والمرفهين ومن الشباب المتخث وقد سجل لنا الكاتب الفيلسوف لارتيوس عدة مواقف لديوجينيس الفيلسوف تشرح ذلك . سأله مثلا مرة أحد الشباب المتخثين سؤالا فرد ديوجينيس قائلا « دعنى أولا أثبتن أنت ذكر أم أنثى ؟ » .

على أى حال بحث الاسكندر عن هذا الفيلسوف الصعلوك حتى وجده نائما يستجم بالشمس الهادئة في احدي الحدائق وتقدم الاسكندر

منه محبياً ومعرفاً بنفسه قائلاً أنا الاسكندر الملك فلم يحرك ديوجينيس ساكناً بل قال متمتما وأنا ديوجينيس الكلب (١) . عندئذ عاود الاسكندر يسأل في أدب جم : « هل هناك من شيء أقدمه لك ! » فأجاب ديوجينيس وهو يرفع رأسه قليلاً « نعم ، لا تقف بيني وبين الشمس ! » فاستدار الاسكندر عائداً في صمت من حيث أتى . ولسخريّة القدر أن الفيلسوف الكهل مات في نفس العام الذي مات فيه الاسكندر في ريمان شبابه وهو لم يتجاوز الثالثة والثلاثين ربيعاً بينما رحل ديوجينيس عن العالم وهو في التسعين من عمره .

ومن كورثا سار الاسكندر الى دلفي ليستشير كاهنة أبوللون في حملته ضد الشرق ولكنه لم يجد العرافة بيثيا Pythia لأنها كانت تعطى العرافة في أيام محددة ، وقد طلبت منه أن ينتظر . ولكن كيف له وهو الذي يعتقد بأنه ابن زيوس - آمون أن يتساوى مع غيره من البشر وينتظر الكاهنة ! فدفع الكاهنة من ذراعها الى المعبد لتجيب على أسئلته ويقال أنها صاحت من الألم والمضايقة « أنت يا بني لا يقدر عليك أحد » فاعتبر الاسكندر هذه الصيحة نبوءة !

قضى الاسكندر الشهور التالية في تأمين حدود مقدونيا في الشمال في منطقة الدانوب والبحر والأسود . كما اشتبك في قتال مرير ضد الاليريين (٢) ونظراً لفظاعة المعارك فقد أشيع أن الاسكندر قد لاقى حتفه ولما وصلت هذه الشائعة الى أثينا خرج ديموستينيس على الناس يحرضهم على الثورة ضد مقدونيا وينادى بتحالف مع الفرس فكسر بذلك نصوص مؤتمر كورثا والقواعد المعلنية التي قام عليها التحالف بين المقدونيين والاغريق . وقد بلغ من تجسيم ديموستينيس للموقف أن علق ديماديس على هذا الأمر فيما بعد قائلاً : « لقد خيل لنا أن ديموستينيس قد أرانا جثة

(١) سميت هذه الفلسفة بالكلبية لأن مؤسسها الاول ديوجينيس كان يتخذ من ملعب سباق الكلاب مكاناً للتعليم ومن ثم لقب بالكلب . وكان ديوجينيس أحد تلاميذ سقراط الحكيم أنظر : أميرة مطر - الفلسفة عند اليونان ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٢) cf. N.G.L. Hammond. " Alexanders Campaigns in Illyria J. H.S., 1974, P. 66-87.

وهي مقالة مطولة تصلح فصلاً من كتاب عن حياة الاسكندر .

الاسكندر مسجاة على منصة الخطابة « ولكن الاثنيين تريثوا ولم  
ينفعلوا »

تمرد طيبة وتدميرها على يد الاسكندر :

أما مدينة طيبة فقد أعلنت الثورة على مقدونيا واغتالت كبار ضباط  
الحامية المقدونية في قلعة كاداميا ، وقد أيد الأثينيون مدينة طيبة في موقفها  
وناشدوا كافة المدن الاغريقية للوقوف بحوارها ، وبلغ التطرف حدا أن  
طلبت بعض العناصر بسرعة الدخول في مفاوضات مع الفرس لاقامة تحالف  
ضد مقدونيا .

ولما توالى الى أنسمع الاسكندر أنباء ما حدث في طيبة وأثينا اعتلاه  
الغضب الشديد وأدرك أن الوعاء قد فاض بما فيه واتهم الاغريق بخيانة  
القضية الاغريقية ذاتها وذلك بعد قتل كبار ضباط الحامية المقدونية وحث  
يمين الولاء والصداقة مع مقدونيا ومحاولة الاتصال بالفرس . وكالبرق  
هبط الاسكندر على طيبة ولكن أهل طيبة لم يفتنوا الى حقيقة الموقف  
واستخفوا بتهديد الاسكندر بل ولم يعبأوا بعروضه لتفادي كارثة كبرى .  
عندئذ أعلن الاسكندر أن من يريد النجاة بحياته فليهرب من طيبة الى  
معسكره . ولكن أهل طيبة ردوا على ذلك بعناد ووقاحة أنهم بدورهم  
يرحبون بأى أغريقى أو فارسى يأتى للدفاع عن أسوار مدينتهم .

أحس الاسكندر بأن السيل قد بلغ الزبى فهجم على طيبة من الناحية  
الجنوبية القريبة من القلعة حيث الحامية المقدونية المحاصرة ودار صراع  
عنيف في شوارع المدينة وفي السوق وفي كل مكان . وأخيرا وهنت  
مقاومة أهل المدينة فسقطت في يد الاسكندر الغاضب الذى أمر بذبح  
السكان نساء أطفالا وشيوخا وشبابا كما وقع في الأسر ما يقرب من  
ثلاثين ألفا ولم ينج من الموت أو الأسر الا عدد قليل .

بعد ذلك دعى الاسكندر حلفاءه لتقرير مصير طيبة، فصوتوا بالاجماع  
على ازلتها وتسوية مبانيها بالأرض وكانت مدينة فوكيس من أشد  
المتحمسين لهذا القرار ولم يستثنى من الدمار سوى معابد الآلهة وبيت

الشاعر القديم بندار • وعلى نضات المزامير انهالت المعاول بلا رحمة تزيل طيبة من الوجود وتسحوها من التاريخ •

أما فيما يختص بالأسرى فقد أصدر الاسكندر عفوه عن الكهنة ، وأقاربهم وكذلك عن آل الشاعر بندار وكذلك كل من أعلن ولاءه لمقدونيا أما الباقون فقد بيعوا في أسواق النخاسة • ثم قسمت أراضي المدينة على المدن المجاورة واحتفظ الاسكندر لنفسه فقط بقلعة كادمية •

#### عودة المدن الاغريقية الى حوزة مقدونيا :

كان المصير الذي حاق بطيبة ضربة قاضية لروح الاغريق المعنوية ، لقد جاءت سريعة وقاسية وقاضية ، وكان من الطبيعي أن ترتعد أثينا خوفا على مصيرها خاصة وأنها كانت المحرضة الأولى لثورة طيبة •

كان أول رد فعل لسقوط طيبة هو تغيير أركاديا لسياستها بسرعة إذ استدعت قواتها التي كانت في طريقها لتجدة طيبة وحاكمت السياسيين الذين دبروا ارسال هذه المساعدة ، أما ايليس فقد أسقطت الحزب المعادي لمقدونيا وأحلت محله جماعة أصدقاء مقدونيا أما أيتوليا فقد أرسلت تستعطف الاسكندر لموقفها السابق وحزت حذوها كافة المدن الاغريقية فيما عدا أسبرطة المنطوية على نفسها •

وقد بلغ الخوف مداه في أثينا لدرجة أنهم ألغوا الاحتفالات الدينية في اليوسيس ثم كسروا الرعب بارسال سفارة لتهنئة الاسكندر على قمع الثورة (١) ولكن الاسكندر رد بضرورة تسليم زعماء التمرد ورعوس الفتنة خاصة ديموسثينيس • ولم يصدق الأثينيون هذا الطلب المعتدل فأرسلوا سفارة مكونة من السياسيين أصدقاء مقدونيا من أمثال ديماديس والجنرال فوكيون، ورجب الاسكندر بهذه السفارة واستمع بشغف الى الجنرال العجوز الذي كان يعجب به أشد الاعجاب •

ولم يشأ الاسكندر أن يكرر مأساة طيبة التي كان ضميره يؤرقه بسببها ، لأن الاسكندر كان دائما يعاني من تأنيب الضمير بعد الغضب

A-rian, I, X ; Plutarchus, Phocion IX.

(١)

والانتقام البشع . خاصة أن ضيية التي كان بالأمس سيدة هيللاس أضحت أطلالا وهي التي كان لها الفضل على العرش المقدوني . كما أنها كانت موطن ديونيسوس رب الخمر الآله المفضل لدى الاسكندر . فوافق الاسكندر على مسامحة أثينا والعودة الى السلام معها بشرط نفى زعماء الحزب المعادي لمقدونيا من أمثال خاريديموس Charidemos الذي كان قد دعى الى القتال ضد الاسكندر حتى الموت كما اشترط الاسكندر أن يعتزل ديموستينيس السياسة وأن يحال للتحقيق فيما نسب اليه بأنه قد تلقى أموالا من الفرس وأخيرا أرسل الاسكندر رسالة مطولة للآثينيين يطالبهم فيها بالتخلي عن مثل هذه الأعمال مستقبلا وينذرهم بالبطش بهم لو فكروا في القيام بمثل هذا العمل أثناء غيابه في حملته المستقبلية ضد الامبراطورية الفارسية .

هكذا ما كاد خريف عام ٣٣٥ ق . م يقدم حتى كان الاسكندر ابن الواحد والعشرين ربيعا قد أخضع الاغريق بضربة واحدة وانتزع لنفسه قيادة القوات الاغريقية والمقدونية ، وأصبح زعيما لا ينافس يفرض سلطانه على منطقة شاسعة تمتد من البيلوبونيسوس جنوبا الى حوض الدانوب شمالا ومن جزيرة كوركيра غربا الى البسفور والدرذيل شرقا . وعاد الى مقدونيا كبطل جدير بالاعجاب وبدأ الاغريق يغيرون من نظرتهم له ويحسون بأن نجما جديدا قد بزغ في سماء المجد ومن الخير لهم أن يكونوا معه لا عليه .

#### حملة الاسكندر الكبرى نحو الشرق :

وفي ربيع عام ٣٣٤ ق . م (١) عبر الاسكندر مضيق الدردنيل من مدينة مستوس الى مدينة أبيدوس (Abydos) على الجانب الآخر ، في ضحبة جيش يربو على اثني عشرة ألفا من المقدونيين واثني عشرة ألفا من الاغريق

(1) cf. G. Wirth, "Darieos und Alexander, Chiron, I, 1971, p. 133-152.

وفيها يرسم لنا مقارنه نفسه بين الاسكندر الشاب القوى وبين دارا الثالث الضعيف الفاشل ويدافع عن حملة الاسكندر ضد الفرس بأنها كانت هامة لمنع الفرس من تدبير خطة للهجوم على بلاد الاغريق ويدلل على ذلك بأن الاسكندر سار الى الشرق في ظروف صعبة بالنسبة للحكم المقدوني في بلاد اليونان الوسطى ولكنه ضحى بذلك من أجل منع الخطر الخارجى .



والمرتزة . وكانت قيادة الحملة كلها في أيدي المقدونيين . اذ كان الاسكندر بمثابة القائد العام ، يليه الجنرال بارمينيون وولداه فيلوتاس الذى كان يقود فرقة الفرسان « الرفاق » - ونيكاندر - الذى كان يقود حملة الدروع . ومن أسماء القادة المقدونيين الذين لمعت أسماءهم برديكاس وأموتاس وملياجر ، وكليتوس الذى كان يتولى حراسة الاسكندر مع الحرس الملكى وأنتيجونوس الذى كان يقود قوات الحلفاء الاغريق والمرتزة كذلك كان للاسكندر مجموعة من الرفاق يكونون أركان حرب الجيش نعرف منهم ثلاثة عشر من بينهم بطليموس بن لاجوس وسليوكوس ولوسيماخوس وهم الذين لمعت أسماءهم بعد موت الاسكندر .

كذلك اصطحب الاسكندر معه مجموعة من العلماء والباحثين ليرصدوا مصادر الطبيعة في البلاد المفتوحة ، ومؤرخه كالينيس Callisthenes الذى كلفه بتدوين يوميات الحملة وقد وعد حلفاؤه الاغريق أن يزودوه بأسطول كبير قوامه مائة وستين سفينة .

#### معركة نهر جرانيكوس :

بعد أن عبر الاسكندر مضيق بحر مرمره سار جنوبا الى مكان طروادة القديمة حيث توقف لتقديم الاضاحى والشعائر في ذكرى أجاممنون قائد الحملة الاغريقية . ثم عبر بعد ذلك نهر جرانيكوس Granicus وهناك دارت رحى أكبر معركة مع الفرس كاد الاسكندر أن يقتل فيها لولا شجاعة قائد حرسه كليتوس . وانتهت المعركة بهزيمة الفرس وأسر ألفين من المرتزة الاغريق أرسلوا للعمل في حقول مقدونيا مدى الحياة عقابا لهم لاشتراكهم في جيوش معادية للاغريق والمقدونيين طبقا لقرارات مؤتمر كورنثا .

ونتيجة لهذه المعركة استسلمت سارديس دون قتال وتلى ذلك مبايعة المدن الايونية للاسكندر واعتباره محررا ونصيرا للديموقراطية ضد الاوليجارخية العميلة للفرس . ولم يقف في وجه الاسكندر سوى مدينتان

هما ميليتوس Miletus وهاليكارناسوس ولكن وصول الأسطول المقدوني ودخوله المعركة أسقط هاتين المدينتين وطرد الأسطول الفارسي من مياهما ثم أجبرتا على الدخول في الحلف الاغريقي - المقدوني بالقوة \* كما طالب أهل خيوس باعلان الولاء له (١) \*

بعد ذلك عين الاسكندر أرملة الملك ادريوس idrieus حاكمه على ملك زوجها وهى مسلكة كاريا ، كما أبقي سترابات الفرس في وظائفهم بعد أن بايعوه \* ولم يغادر الاسكندر ساحل آسيا الصغرى الا بعد أن اطمأن الى أن الأسطول الفارسي لن يقوى على العودة اليه (٢) عندئذ أمر أسطوله بالتحرك لأنه كان يدرك أن المعركة الفاصلة بينه وبين الملك دارا هى معركة تقررها الجيوش البرية في المقام الأول \*

وفي شتاء عام ٣٣٢ ق م أرسل الاسكندر بعض جنوده المقدونيين حديثي الزواج لقضاء أجازة قصيرة في مقدونيا ، ثم أوكل الى قائده بارمينيون أمر قيادة الفرسان على أن يلتقى به في فريجيا بينما قاد الاسكندر باقى القوات بنفسه الى ليكيا وبامفيليا وبسيديا وأصبح أسلوبه هو مهاجمة القبائل المعتصمة بسفوح التلال وتضييق الخناق عليها ثم سحقها \* وبعد تأمين ليكيا وبامفيليا ، عين نيارخوس حاكما عليها \*

وبعد الاستيلاء على فريجيا عين أتيجونوس واليا عليها \* وقضى الاسكندر عدة أيام في فريجيا شاهد أثناءها عربة جوردياس المؤسس الأسطوري لهذه المملكة القديمة \*

وفي جورديون تلقى الاسكندر امدادات عسكرية من مقدونيا والحلفاء وتقدم صوب أنكورا Ancyra ( أنقره ) ومنها جنوبا الى

(1) G. Wirth, " Die Syntaxeis von Kleinasien in 334 v. Chr. Chiron, 11, 1972, P. 91-98.

كذلك أرجع الى النقش المعروف باسم خطاب الاسكندر الى اهل خيوس والذي أعيد نشره والتعليق عليه حديثا . (Tod, 11, 1970, p. 266-267).

A. W.G. Forrest, Alexander's letter to the Chian. Klio, LI, 1969 p. 201-206.

(2) cf. H. Hauben, " The Command Structure in Alexanders Mediterranean Fleet Ancara Society. III, 1972, PP. 55-56.

كابادوكيا وكيليكيا حيث وضع يده على بوابات كيليكيا الشهيرة ثم استولى بعد ذلك على ميناء طرسوس Tarsus.

### موقعة اسوس ودخول الاسكندر الشرق الاوسط :

ومن طرسوس سار الاسكندر جنوبا في اتجاه سهل اسوس الضيق المؤدى صوب سوريا ولما سمع بوجود دارا في مدينة سوخي بسوريا ( وهي احدي أعمال لواء الاسكندرونة في سهل بحيرة انطاكية ) اتجه اليه ولكن دارا سبق الاسكندر بالهجوم على اسوس وقتل الجرحى المقدونيين • عندئذ سارع الاسكندر لملاقاة الجيش الفارسي الذي كان قد تحصن قرب نهر بيناروس بين التلال والبحر • وكان يبلغ تعدادده ٣٥٠٠٠ من الفرس والاغريق المرتزقة (١) أما جيش الاسكندر فكان أقل من ذلك بكثير •

وفي شهر أكتوبر عام ٣٣٣ التحم الجيشان واستخدم الاسكندر نفس التكتيك الذي استخدمه في جرانيكوس حيث أبقى الجنرال بارمينيون بلاء حسنا ونتيجة لذلك لم يصد الفرس طويلا فانسحب دارا وتبعته قواته وسقطت سوريا كلها في يد الاسكندر الذي استولى على عربة دارا الملكية وخيته وقوسه ولأول مرة شاهد الاسكندر بذخ الشرق الخرافي • ولما أدرك الاسكندر أن أسرة دارا موجودة في الحياة أبدى نحوها عطفًا ورعاية •

لقد كان لاتتصار موقعة اسوس Issos صدى واسع • ففي كل مكان ذهب الاسكندر اليه وجد انتصاراته قد سبقته • ومن ثم انهضت الأحزاب المعادية لمقدونيا وحلت محلها الأحزاب المتعاطفة مع الاسكندر • وأعلنت بيلوس Byblos ( جبيل في لبنان ) وصيدون ( صيدا ) وجزيرة رودس المبايعة للاسكندر أما مدينة صور فقد قاومت بعناد وشراسة جيوش الاسكندر وظلت سبعة أشهر تقاوم الحصار وترد الهجوم بالرغم من أن الاسكندر جرب ضدها أحدث وسائله العسكرية وكاد الاسكندر أن يئس من الاستيلاء عليها • ولكنه تمكن في النهاية من تدمير أسطول

(1) G.L. Maurison, " Dareios III, and the battle of Issos, *Historia*, XXI, 1972, P. 3 99-423.

مصور وهدم جزءا من حائط المدينة وردا على قتل أهل صور للأسرى المقدونيين أعمال الاسكندر قتلا وفتكا في أهلها وبيعت النساء والأطفال في أسواق الرقيق •

وفي خريف عام ٣٣٢ ق.م. سقطت غزة آخر قلعة في الطريق الى مصر، بعد مقاومة عنيفة • وأرسل الملك دارا يعرض على الاسكندر شروطا مجزية للصلح. منها التنازل عن كل ممتلكاته الواقعة غرب دجلة والفرات وأن يدفع غرامة حرب كبيرة وأن يزوج الاسكندر من يريد من بناته مقابل أن يرد اليه زوجته وباقي أسرته ولكن الاسكندر رفض بشدة هذا العرض السخى وأعلن أنه ينبغي مملكة فارس ذاتها وليس ممتلكاتها • ولم يعد أمام الطرفين سوى القتال حتى الموت •

#### الاسكندر الاكبر في مصر :

كما قلنا، بعد سقوط صور سار الاسكندر بقواته بحذاء الساحل السوري والفلسطيني حتى وصل غزة في خريف عام ٣٣٢ ق.م. حيث وجد الحامية الفارسية بقيادة باتيس قد قامت بتحصين المدينة جيدا ونظرا للموقع الاستراتيجي الهام للمدينة فقد وقف الاسكندر أمامها حائرا • فغزة تقع على حافة الصحراء السورية وفي نفس الوقت تطل على البحر المتوسط • والمدينة القديمة كانت تطل من ربوة عالية على منحدر كبير ويحيط من حولها الخنادق والتحصينات مما جعلها قلعة لا يمكن أن تسقط •

وقد اعتمد قائد الحامية الفارسية في غزة على الجيوش العريضة والفارسية وعلى مخازن الغلال المتلثة في الصمود أمام الحصار • ويبدو أن الفكرة التي كانت في مخيلة القائد الفارسي هي المقاومة والصمود لحين أن يسترد الملك دارا قوته ويتمكن من توجيه ضربة قاضية للاسكندر • كما أمل القائد الفارسي لغزة أن يجد بعض العون من قبل حاكم مصر الفارسية •

وكان الاسكندر قد بعث بخبرائه ومهندسيه لتفحص القلعة وانتظر هو مع جيشه في الحيام حتى صمم مهندسوه وسيلة لمهاجمة المدينة والاستيلاء عليها • وبعد اشتباك شرس وعنيف سقطت غزة في يد الاسكندر بعد أن

تلقى جرحا كاد أن يقضى عليه • وسحب الملك المقدوني جثة باتيس خلف عربته وكأنه أخيليس (١) بطل الاللياذة يسحب جسد غريمه هكتور الطروادى أمام حائط طروادة ، بينما تدفق جنوده ينهبون المدينة وبفتكون بأهلها ويقول كورتيوس أن ما لا يقل عن عشرة آلاف من الفرس والعرب لاقوا حتفهم وبيعت النساء والأطفال • واستولى الملك وجنوده على كميات كبيرة من البخور والعطور العربية التى اشتهرت بها المدينة وبقال أن الاسكندر أمر بارسال كميات منها لمعلمه ليوتيداس كما أرسل الهدايا الى أنه أوليباس وأخته كليوباترا • واحتفظ لنفسه بصندوق مطعم بالعاج وضع فيه نسخته من الاللياذة التى كان يحملها معه دائما أينما ذهب •

وفى حوالى منتصف شهر نوفمبر عام ٣٣٢ ق.م • وجد الاسكندر نفسه يدق باب مصر عند مشارف بيلوزيوم Pelusium ( الفرما ) بوابة مصر الشرقية ، وهناك وجد اسطوله فى انتظاره بقيادة أميراله هيفايستون • ولا تزال حتى الآن أطلال الفرما القديمة قائمة فى الصحراء الشرقية على مسافة ثمانية عشرة ميلا شمال شرقى مدينة بور سعيد •

ولم يجد الاسكندر عند حدود مصر مقاومة مضادة ، لأن ستراب مصر الفارسى ، والذي كان يدعى مازاكيث أثر أن يستسلم ويوفر على نفسه عار الهزيمة • فسلم القلعة بذهبها وخيراتها الى القاهر المقدونى وأصبحت مصر تحت قدمى الاسكندر (٢) •

كانت الأحوال فى مصر غير التى كانت أيام الفراعنة • فقد مات ملوكها العظام ومات معهم الأمباطورية المصرية منذ ألف سنة تقريبا قبل مجيء الاسكندر •

ولكنها كانت وطننا مفتوحا أمام التجار الاغريق الذين تدفقوا عليها منذ القرن السابع ق.م. خاصة بعد أن أسسوا مستعمراتهم التجارية نقراتيس (سيدة البحار) Naukratis على الفرع الكانوبى للنيل (الفرع

Gurtius, IV, 6, 69.

(١)

(٢) انظر ابراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة - الطبعة الرابعة - الجزء الاول - القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٧ - ١٨ •

الغربي) وموزعة الآن بين قرى نقرش ونبيرة وكوم جعيف التابعة لمركز  
إيتاى البارود محافظة البحيرة •

كذلك وجد الجنود المرتزقة الاغريق عملا في الجيوش المصرية كما  
يشهد بذلك نقش أبو سنبل الشهير الذى سبق الحديث عنه • وكانت  
السفن الاغريقية تأتى وتروح محملة بالبضائع والحضارة • والحقيقة أن  
علاقة مصر بالاغريق ترجع الى أيام كريت وموكيناي • ولكن ملوك الأسرة  
الصاوية في مصر شجعوا العلاقة مع الاغريق ووثقوا من الارتباط • بمدتهم  
في أيونيا وبلاد اليونان خاصة أن ملوك هذه الأسرة قد عرفوا بحبهم  
للحضارة الاغريقية لدرجة أنهم أقروا تدريس اللغة الاغريقية للتلاميذ في  
المدارس المصرية •

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الجنود المصريين حاربوا الى جوار  
اغريق آسيا وليديا عندما اجتاحتها قورش الأكبر في النصف الثانى من  
القرن السادس • وعندما هاجم قمبيز مصر عام ٥٢٥ قاوم الجنود الاغريق  
المرتزقة مع المصريين لصد هذا الاحتلال الفارسى • ولما ثار ايناروس  
سارعت أثينا بتأييد هذه الثورة وأرسلت جزءا من أسطولها دمر عام  
٤٥٤ ق.م • حيث هزمت القوات الأثينية قرب ممفيس بعد أن تكبدت  
خسائر فادحة في ذلك العام الحاسم • وقد أدت هذه الهزيمة الى رد فعل  
قوى هو تحول حلف ديلوس الى إمبراطورية لأثينا •

ومن ناحية أخرى كانت مصر دائما كعبة العلم والنور بالنسبة  
للاغريق ، قصدها طلاب العلم والمعرفة خاصة فلاسفتها للاستزادة من  
الحضارة المصرية • فنحن نعلم أن المشرع الأثينى سولون زار مصر، كما  
زارها أيضا فيلسوف جزيرة لندوس الشهير كليوبولوس Kleobolos  
وطاليس فيلسوف ميليتوس وبيثاجوراس (فيثاغورس) الساموسى وغيرهم  
من طلاب المعرفة ورواد العلوم •

لقد اعتقد هؤلاء الفلاسفة والحكماء أن مصر هي المهد الأول للأسرار الكهنوتية ومهبط وحى الفنون والعلوم ، كما سحرتهم آثارها الخالدة التى حرصوا على زيارتها والتفرج عليها . وفى خلال القرنين الخامس والرابع زاد تدفق طلاب المعرفة على مصر فزارها هيرودوت الذى جاء نيشاهد وليسمع ويسجل بنفسه أعاجيب وطبيعة هذا البلد الغريب كما زارها أفلاطون باحثا عن نماذج عملية لنظريته الشهيرة فى !لتذكر من خلال الفكر الدينى المصرى الغامض وعن طريق الكتابة أنهيروغليفية .

ولم تكن أثينا وحدها الحريصة على مساعدة مصر بل حاول ملك اسبرطة الأعرج أجسلاءوس Agislaos تحريرها عام ٣٦٠ ق م . ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل .

لقد كان التبادل الحضارى بين مصر والإغريق قديما منذ وقت مبكر، ولقد نقل الإغريق الكثير عن الديانة المصرية ، بل أنهم قبلوا الهة مصرية دون تغيير أو تبديل مثل آمون الذى غزت عبادته أوروبا وشيدت من أجله العديد من المعابد آخرها المعبد الكبير الذى شييد فى أثينا عام ٣٣٣ ق م أى قبل عامين فقط من غزو الإسكندر لمصر ، ولقد استاء الإغريق عندما سمعوا بتدنيس الفرس للمعابد المصرية وقتلهم عجل آيس لأنهم كانوا يشعرون بأجلال ورهبة ازاء هذه الديانة . وقبل كل شئ كانت مصر جوهره التجارة الإغريقية التى يجب الحفاظ عليها مستقلة أو على الأقل محايدة ولكن ليس فى أيدي الفرس بأى حال من الأحوال .

وازاء ذلك أشاع الاسكندر مقدما أنه جاء ليحرر مصر من عبودية الفرس ويحب المصريون بالبطل الذى يدعى أنه من نسل ربهم آمون . ولما كان المصريون شعبا متدينا فقد رحبوا بالاسكندر وقبلوه فرعوناً وبطلا محررا من ظلم الفرس وتعنتهم .

وسار جيش الاسكندر بخطوات الأوز وكأنه فى نزهة طوال الطريق من بيلوزيوم الى ممفيس (ميت رهينة) وهو طريق يبلغ طوله حوالى المائة والعشرين ميلا ، عن طريق الصحراء الشرقية عبر هليوبوليس (المطرية) مقر معبد

الشمس الكبير وجامعة أوون القديمة ، والتي تكاد تواجه ممفيس على الجانب الشرقي لنهر النيل •

عبر الاسكندر النيل من الشرق الى الغرب في صحبة أسطوله الذى كان قد لحق به ودخل ممفيس وسط حفاوة كهنتها وشعبها البالغة . لقد كانت ممفيس مقر معبد بتاح ومقر عجل أبيس المقدس وقد أسعد المصريين الفارق العظيم بين سلوك الاسكندر المذهب وسلوك قمبيز عندما ذبح عجل أبيس المقدس منذ مائتين عام تقريبا ، ثم تقدم الاسكندر الى معبد بتاح وحيث حظيرة عجل أبيس المقدس وقدم الأضاحى والقرايين في خشوع لرب ممفيس بتاح العظيم وزوجته سخمت وابنهما قفرتوم • وليس من المستبعد أن يكون الاسكندر قد طاف بمنطقة سقارة وآثارها وتفرج على السيرايوم - مقبرة العجول المقدسة - ومدافن الفراعنة والأشراف العظام وسواء كان الاسكندر صادقا أم مثلا رائعا فقد انتزع اعجاب المصريين وجهم فقبلوه ابنا لآمون وفرعونا عليهم ، ويقال انه توج في معبد بتاح وأعطى الألقاب المقدسة الخاصة بالفراعنة مثل « ابن الشمس » و « صنى رب الشمس » و « حبيب آمون » الخ • ولا تزال هذه الألقاب المنقوشة باقية حتى الآن على بعض المعابد المصرية ، بل ظهر رسمه على الحوائط وهو يضع على رأسه تاج الوجهين الذى تزينه انكوبرا المقدسة •

ويروى لنا أريانوس أن الاسكندر أعلن الاندماج الحضارى بين مصر وبلاد الاغريق عندما أقام مهرجانه الكبير حيث عرضت فيه المباريات ارياضية ومباريات الموسيقى والشعر واللقاء والانشاد • وقد اشترك في ذلك المهرجان فريق من المغنين والموسيقيين والممثلين والراقصين والرياضيين الاغريق الذين كانوا يصحبون الجيوش كفرقة ترفيه عن الجنود • وعلى أى حال لم تكن الحضارة الاغريقية غريبة على المصريين ، فقد تعودوا عليها ولمسوها من احتكاكهم بالتجار والزوار والاغريق بالرغم من أنهم عافوا أن يقلدوها الا فيما ندر •



### تأسيس مدينة الاسكندرية :

وبعد أن أقام الاسكندر بضع أسابيع في ممفيس سار غربا متتبعا الفرع الكانوبى للنيل حتى وصل الى مدينة كانوب القديمة (كوم سمعدى) عند حافة الدلتا الشمالية الغربية . وشاهد الاسكندر بحيرة مريوط Mareotis تلك البحيرة التى يفصلها عن البحر المتوسط شريط رفيع من الصخور والرمال لا يتعدى عرضه ميلا واحدا ، وعانين الاسكندر هذا الشريط الضيق من الأرض الواقع بين البحر والبحيرة والذي لا يبعد سوى عشرين ميلا غربا من كانوب القديمة واختاره ليبني عليه مدينته الجديدة فى مصر، وقد لاحظ الاسكندر أن هذا المكان يكاد أن يكون جزيرة مستقلة . وفى نفس الوقت يرتبط بالدلتا عن طريق أحد فروع النيل مما يجعله (١) مرتبطا بنقراطيس التى تقع على مسافة ليست بالبعيدة . وبممفيس العاصمة الفرعونية وبذلك يمكن ربط الاسكندرية بالبحر الأحمر عن طريق القناة القديمة التى تربط النيل بالبحر الأحمر مما يؤهلها لأن تكون ميناء عالميا بين الشرق والغرب ، وفى مواجهة هذا الشريط الرملى كانت تقف جزيرة صغيرة اسمها فاروس Pharos ( مكانها الآن قلعة قايتباى ) ولا يفصلها عن الساحل سوى مسافة ألف ياردة ، ومن العجيب أن هذه الجزيرة قد أشارت اليها الاوديسا (٢) . وقد روى التراث الشعبى أن الاسكندر سمع فى نومه هذه الأبيات من الأوديسا تتردد على أسماعه فقرر بناء مدينة تحمل اسمه .

درس الاسكندر كل هذه المزايا الاستراتيجية للموقع ووجد أنه من الممكن إقامة مدينة تفوق مدينة صور (٣) التى وقف ازاءها حائرا وعاجزا لحين من الزمن كما وجد الاسكندر مثلاً أن جزيرة فاروس تمثل حاجزا لموج البحر المتهدر وتقيم خلفها ميناء هادئا لرسو السفن . كذلك وجد

(١) وهى ترعة سخديا القديمة ويقوم مقامها ترعة المحمودية الآن او التى كانت تعرف بالرياح الناصرى فى العصور الوسطى .

Odyssey, IV, 355.

(٢)

(٣) يرى الاستاذ بل أن الاسكندر لم يكن يريد محو صور من الوجود لأنه كان سيدرك لو عاش مدى أهميتها بعد فتح فارس ولكنه مات قبل أن يعيد بناءها وهذا أعطى الاسكندرية الفرصة للازدهار والتوسع لتصبح المدينة التى لا تنافس فى حوض البحر المتوسط انظر :

HI, Bell, "Alexandria, J.E.A. XIII, 1927, P. 171-184.

الاسكندر أنه في الامكان اقامة ميناء غربى للمدينة بربطها بالدلتا عن طريق القنوات والطرق ( مكانها محطة الركاب الحالية ) والسفن الصغيرة .

وعندما هم الاسكندر بترجمة هذه الدراسات الى الواقع ، وجد في هذا المكان المزمع اقامة مدينته فيه ، قرية مصرية يسكنها صائدو الأسماك وتسمى راقوده Rhacotis (١) وربما لهذا السبب اتخذت الربه ايزيس الربه الحامية لمدينة الاسكندرية بل وأقيم لها العديد من التماثيل ، كما تضمنت خطة البناء اقامة معبد كبير لهذه الربه فوق جزيرة فاروس حيث بنى الفئار النهير عند طرفها ليهدى السفن والذي كان احدى عجائب الدنيا السبع . وفي مواجهة طرف الجزيرة الشرقى كان يبرز لسان ضيق من الأرض الى قلعة في البحر ( رأس لوخياس القديمة السلسلة الآن ) واختار الاسكندر المساحة بين اللسان وطريق كانوب لتكون مقرا للنهى الملكى Regia ، وكان هذا النهى يشغل أكثر من مساحة ربع المدينة القديمة . واختط المهندسون شارعا عريضا يقطع المدينة من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ( شارع السوما - النبى دانيال ) ليتقاطع مع شارع عريض آخر يقطع المدينة من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ( طريق الحرية ) ويزيد طوله على ميلين وعرضه على مائة قدم تقريبا ويحده من الشرق بوابة الشمس ومن الغرب بوابة القمر ، وقد عرف هذا الشارع بطريق كانوب ، وعلى جانبى هذا الطريق الكبير كانت تقام الأروقة المسقوفة Stoa ( البواكى ) لتسبح المارة الظل والالتجاء من المطر . وفي نفس اوقت كانت مكانا للخطباء والمعلمين والمبشرين بالنظريات الفلسفية ، وفي قباب المدينة فى المنطقة الواقعة ما بين شارع كانوب والبحر اختطت ساحة المدينة الرئيسية حيث أقيم فيها معبد نثرب بوسيدون رب البحار وهو من أهم ملامح المدينة القديمة وبجوار المعبد أقيم المسرح الكبير والمكتبة العامة ودار الحكمة ( Museion ) كما شملت مرافق المدينة الجديدة والأرصفة ومستودعات المياه وعلى الجانب الآخر من طريق كانوب أقيمت ملاعب الرياضة والترفيه gymnasion وملعب السباق ودار حفظ الوثائق ... الخ (٢) .

كذلك شملت مدينة الاسكندرية القديمة حديقة كبرى للحيوانات زينت بالنافورات • ويقول فيلون أن المدينة قسمت الى خمسة أحياء أعطى لكل منها حرفا من الحروف الأبجدية اليونانية مثل حى الألفا والبيتا والجاما والدلتا والابسيلون وأن اليهود كانوا يسكنون الحى الرابع ( حى الدلتا ) •

كذلك شمل تخطيط المدينة عدة شوارع ضيقة فرعية تتقاطع مع الشوارع الرئيسيين فتبدو المدينة وكأنها لوح شطرنج ومن حولها أقيمت الأسوار التى يتخللها الأبراج والحصون • (١)

وبالرغم من أن المدينة قصد بها فى الأصل أن تكون مستعرة مقدونية فى الدرجة الأولى الا أنها أصبحت عالمية • بفعل الهجرة إليها من كافة أنحاء بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، ومع هذا فقد ظل الحى الغربى المقام فوق راقودة ( ومكانه كوم الشقافة - كرموز حاليا ) حيا متصريا حيث أقيم فيه معبد سيرابيس الشهير •

ولا نعرف بالضبط التاريخ الذى وضع فيه أساس المدينة الا أنه احتل فيما بعد بتاريخ انشائها فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الخامس من السنة المصرية أى فى شهر طوبة ( يناير - فبراير ) وقد قام المهندس دينوكراتيس Deinocrates بتكليف من الاسكندر بوضع التخطيط العام للمدينة • وكان هذا المهندس قد فرغ لتوّه من الاشراف على بناء معبد الربّة أرتيس فى افيسوس والذى اعتبر أحد عجائب الدنيا السبع فى العالم القديم ، وقد امتزجت عبقرية اختيار المكان بعبقرية التخطيط العمرانى حتى أضحت أثرا خالدا للأجيال المستقبلية وأصبحت الاسكندرية يوما ما وريثة لعرش الحضارة الاغريقية حتى حجت أثينا

---

(٢) كشف الفلكى باشا عن سبعة شوارع صغيرة كانت تقطع المدينة من الشرق الى الغرب وأحد عشر شارعاً عرضياً كانت تقطع المدينة من الشمال الى الجنوب ، وذكر أنها كانت تحمل أسماء افراد الاسرة الحاكمة وكانت مرصوفة بالبازلت الأسود أو الأصفر •

ذاتها • وبلغ من جمالها واتساعها أن أصبحت حديث العالم وملتقى عدة أجناس مختلفة (١) •

#### ٢- زيارة الاسكندر لمعبد آمون في واحة سيوة :

غادر الاسكندر مكان الاسكندرية بعد أن أشرف على وضع التخطيط العمرانى لها وترك العمال والمهندسين يعملون ، وسار هو غربا بقصد فتح مدينة قورينه المستوطنة الاغريقية الشهيرة في ليبيا ( مكانها قرية شحات قرب برقة ) وتحريرها من سيطرة الفرس ، واتخذ الاسكندر الطريق المعتاد على طول الساحل الشمالى لافريقيا بجوار البحر حتى وصل الى بارايتونيوم ( مرسى مطروح ) ، ولكنه فوجئ هناك بوجود وفد من قورينه جاء ليعلن البيعة ويحمل الهدايا الثمينة للفتاح العظيم • وقبل الاسكندر مسرورا الهدايا والمبايعة التى جعلته يسيطر على مساحة شاسعة من شاطئ افريقيا الشمالى حتى حدود قرطاجة في تونس فأصبح بذلك سيدا على البحر المتوسط كله والبلاد المطلة عليه •

أحس الاسكندر أن الوفد القورينى قد وفر عليه مشقة السفر الى ليبيا ، ومن ثم وجد أن لديه وقتا لزيارة معبد آمون في واحة سيوة • والقيام بتلك الرحلة الرومانسية من أجل اشباع الاحساس الدفين في نفسه بأنه ابن آمون رع • لقد دفع هذا الاحساس الاسكندر لأن يتجه جنوبا من بارايتونيوم ( مرسى مطروح ) الى قلب الصحراء الغربية القاتلة ليقطع مسافة ١٨٠ ميلا في ثمان أو تسعة أيام في زمهرير الشتاء القارس لعام ٣٣١ ق.م • وفى مواجهة الرياح المحملة بالرمال • انها مخاطرة مسيئة حتى فى عصرنا الحاضر رغم تقدم وسائل الاتصال والامداد • فلا زالت

---

(١) عن مدينة الاسكندرية القديمة وآثارها ومظاهر الحياة فيها ظهرت عدة ابحاث باللغة العربية منها : زكى على : الاسكندرية تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها فى عصر البطالة - مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية العدد الثانى ( ١٩٤٤ ) والعدد الرابع ( ١٩٤٨ ) أيضا انظر محمد عواد حسين - لطفى عبد الوهاب ومصطفى العبادى : الاسكندرية منذ أقدم العصور - منشورات محافظة الاسكندرية ١٩٦٣ ، أما الاستاذ الدكتور ابراهيم نصحي فقد أورد فى الجزء الثانى من كتابه مصر فى عصر البطالة وصفا دقيقا للمدينة ومبانيها وسكانها من ص ٢٧٢ - ٣١٠ •

هناك القوافل التي تفضل وتهلك بسبب العطش • مما شجع على انتشار الأقاويل والشائعات حول المساعدات الربانية والشواهد المساوية التي قادت الاسكندر سالما عبر هذه الصحراء المميتة الى الواحة المقدسة حيث تظللها أشجار النخيل والتين والزيتون والتي تروىها عدة آبار وعيون مائية (١) •

ويروى لنا أريانوس كيف أن الاسكندر راح يملأ عيونه بالرهبة المقدسة في كل مكان تفقده في الواحة • وعندما اقترب من معبد آمون الشهير وجد الكهنة في انتظاره • ودخل الاسكندر الى قدس الأقداس حيث تم اللقاء بين الاله في صورة التمثال وبين الابن في صورته البشرية • ولما سأل الاسكندر عما اذا كان قد اقتص من كل الذين دبروا مقتل أبيه رد عليه الكاهن « وضع عبارتك فلا أحد من البشر يقدر على قتل أبيك ، أما قتلة فيليب فقد نالوا جزاءهم » • ولقد تضمنت هذه العبارة — ان صحت — اعترافا صريحا من جانب الكهنة بنبوة آمون • وقد سبب هذا ارتياحا كبيرا في نفس الاسكندر • ويروى لنا بلوتارخوس أن الاسكندر كتب الى أمه فيما بعد خطابا ذكر لها فيه أنه عرف أسرار أخرى من كهنة المعبد ووعد بأنه سوف يرويها لها عند عودته الى بيللا • ولكن القدر لم يمهله ليفعل ذلك •

وبعد أن استراح الاسكندر بضعة أيام في الواحة استدار راجعا الى منفيس وقد كان هناك تغير واضح في سلوك الاسكندر بعد زيارته لمعبد آمون في سيوة اذ راح يتصرف باستعلاء وكبرياء تجاه الاغريق فيما عدا المقدونيون الذين استاءوا لهذا التصرف ويقال أنه ذكر في خطاب الى الآثينيين عبارة تدل على جدية اقتناعه بأنه ابنا لآمون وذلك عندما أشار الى أبيه فيليب « الذي كان يدعى في الماضي بوالدي » (٢) بل وضع الاسكندر منذ ذلك الوقت على رأسه قرني كبش آمون ومن ثم أشار اليه التراث بأنه ذو القرنين

(١) عن رحله الاسكندر الى واحه سيوة انظر :

C.B. Welles, Historia, XI (1962) P. 271 ff.

كذلك ابراهيم نصحي المرجع السابق المجلد الاول ص ٢٢ •

Plutarchos, Alexander ; Arrian, III, 3.

(٢)

### الاسكندر ينظم مصر قبل ان يغادرها :

وصل الاسكندر الى ممفيس في أوائل شهر ابريل تقريبا ، واحتراما  
لشاعر المصريين أصدر قرارا بتعيين نائبين مصريين له واحد لشئون مصر  
العليا اسمه بيتيسيس Petesis والآخر لشئون مصر السفلى اسمه  
دولواسيسيس Doloaspis . وفي نفس الوقت وكل الاسكندر شئون  
الخزانة المصرية لاغريقى من مستعرة نقراطيس اسمه كليومينيس  
(١) . Kleomenes

وربما قصد الاسكندر بهذه الحركة تأسيس حكومة مصرية اغريقية  
لحكم البلاد ، وتأمينا لمصر ترك الاسكندر حاميات عسكرية في ييلوزيوم  
وممفيس كما وضع قوات عسكرية قرب الشلال الأول عند أسوان لحماية  
البلاد من الجنوب وجعل قيادتها موزعة بين قائدين هما بيوكستاس (٢)  
وأموئتاس .

(١) عن كليومينيس النقراطيسى انظر الابحاث الاتية : -

J. Vogt, "Kleomenes Von Naukratis, Her Von Aegypten," Chiron, I (1971)

P. 153-157 ; also J. Siebert : Nochmals Kleomenes Von Naukratis,  
Chiron II, (1972) pp. 99-102.

ولكن الاستاذ الدكتور مصطفى العبادى دافع عن سياسة كليومينيس  
المالية ووصفها بأنها تضحية من جانبه من أجل ان يورث البطالمة خزانة غنية  
وتجارة خارجية ثابتة ومنظمة ( انظر مصطفى العبادى مجلة كلية الآداب  
جامعة الاسكندرية المجلد ١٧ ص ٦٥ - ٨٥ - ١٩٦٣ ) وقد رد الاستاذ  
الدكتور ابراهيم نصحي بتسدة على هذا الدفاع وادان سياسة كليومينيس  
ووصفها بأنها خرقاء متفاضية عن القيم الاخلاقية اساءت الى الشعب والى  
اقتصاد مصر الخارجى انظر ابراهيم نصحي المجلد الاول ص ٣٥ هامش ٢ .

(٢) نشر الاستاذ تيرنر حديثا قصاصه بردية عشرت عليها البعثة  
البريطانية في سقارة ، والقصاصة عبارة عن تحذير صادر من قائد عسكري  
اسمه بيوكستاس Peucestas بعدم الاقتراب من بيت أحد الكهنة ، وقد  
اقترح الاستاذ تيرنر ان يكون هذا القائد هو بيوكستاس الذى عينه الاسكندر  
قائدا على الحامية التى تركها فى ممفيس (Arrian iii, 5.5) لأنها من ناحية  
الخط ترجع الى الربع الأخير من القرن الرابع ق.م ، فان صدق هذا الاقتراح  
فانه يبين مدى رقة الاسكندر ومحاظته على شعور المصريين انظر : -

E. G. Turner, A Commander in Chief's order from Saqqara, J.E.A., Vol 60  
(1974) pp. 239-242.

ويبدو أن فتح الشرق الأوسط ووضع السلطة لأول مرة في أيدي الاغريق واطلاق الإشارة الأولى نحو أغرة مصر والشرق الأوسط كان الحل المثالي لمشكلة تزايد عدد السكان وقلة الموارد التي أرهقتها الحروب الكثيرة . بل اننا نعرف أن أرسطو معلم الاسكندر عالج في مقال مشكلة الهجرة والاستيطان ودور الاسكندر في حل هذه المشكلة .

على أى حال ما أن فتح الاسكندر مصر حتى تدفقت جموع الاغريق في أثر الجيش المقدوني فلطالما سمعوا عن سحرها وعراقة شعبها وقدم حضارتها وجمال الحياة فيها . ولكن من الواضح أن المهاجرين قصدوا العواصم المصرية في أول الأمر مثل ممفيس وطيبة وسائس أو قصدوا قراطيس حيث يقيم الاغريق لأن الاسكندرية كانت لا تزال في دور التكوين ولم تكن قد اكتملت بعد لاستقبال المهاجرين والدليل على ذلك أن ممفيس ظلت عاصمة مصر حتى السنوات الأخيرة في القرن الرابع ق.م . ولم تصبح الاسكندرية مدينة بمعنى الكلمة الا في عصر بطليموس الثاني الملقب بفيلادفوس ( ٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م ) حيث تدفق الزوار للتفرج على مبانيها ومعابدها المذهلة .

وقبل أن يغادر الاسكندر مصر عائدا الى ميدان القتال في الشرق الأوسط استعرض قواته بكاملها في ممفيس ثم أقام مهرجانات ثقافية ورياضية أنهاها بتقديم القرابين مرة أخرى الى زيوس آمون . ويقال أن أحد أبناء الجنرال بارمينيون غرق في النيل أثناء استحمامه فيه فأقام الاسكندر له جنازة مقدسة على نحو اعتقاد الاغريق والمصريين بقداسة الفرقى (١) . ثم أمر ببناء جسر يربط بين ضفتي النيل . ويقال أن الاسكندر أعد حملة من علماء الاغريق لاكتشاف منابع النيل وأسباب ظاهرة الفيضان

(١) انظر مقالتي « نظرة على الاغريق وعبادة الفرقى في مصر في المصريين اليوناني والروماني - مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - المجلد الثامن عشر ( ١٩٧١ ) .

النيلى • كما وافق الاسكندر على عدة مشروعات منها تجديد معبد آمون بالاقصر وقد صور الاسكندر على احدى حوائط هذا المعبد فى زى القراعنة ولا يزال هناك نقش يوضح أن الاسكندر أقام محرابا فى هذا المعبد الكبير (١) تخليدا لأبيه آمون رع •

وليس من المستبعد أن تكون الأنباء قد وصلت الى أسماع الاسكندر عن تحرك جديد للملك دارا لأنه غادر مصر فجأة متجها الى بلاد ماين النهرين لأن الخطاب الذى أرسله الى أمه أولمبياس بعد زيارة معبد سيوه ذكر أنه كان ينوى العودة الى مقدونيا ويبحث وضع اسبرطة الشاذ ولكن الاسكندر لم يكن ليترك امبراطورية شاسعة تمتد من الدانوب شمالا الى النيل جنوبا ومن البحر الأدرياتيكي غربا الى دجلة والفرات شرقا تقع تحت تهديد الملك دارا وجيوشه ، كما أنه كان يعلم أن المعركة الفاصلة بينه وبين الفرس لم تدر رحاها بعد • ومن المرجح أن الاسكندر غادر ممفيس فى أوائل مايو عام ٣٣١ ق.م عائدا الى الشام التى اتخذ منها قاعدة متقدمة لمهاجمة الفرس لغزو بلادهم وضمها الى امبراطوريته الشاسعة •

لقد كان الاسكندر يحلم بسحر الشرق الفارسى وبثرائه وبأسراره وبأرض بابل وآشور • ويبدو أن الاسكندر قد وعد بزيارة مصر مرة أخرى ولكن القدر أراد له أن يعود الى أرض النيل جثمانا يستقر فيها الى الأبد •

#### تعليق تاريخى على غزو الاسكندر لمصر : —

من الملاحظ أن الفترة التى قضاها الاسكندر فى مصر من خريف عام ٣٣٢ الى ربيع عام ٣٣١ لا تتعد بضعة شهور ولكنه شغل فيها نفسه بأعمال

---

cf. Weigal, A Guide to the Antiquities of Upper Egypt, p. 76. (٢)



وانجازات كثيرة ولم يجد الوقت الكافى ليطفىء انضى العطش الرومانسى  
التاريخى والدينى الذى كان يتوق اليه .

ولكن فتح الاسكندر لمصر غير وجه التاريخ عامة وتاريخ وادى النيل  
خاصة . اذ قامت على ضفاف النيل لأول مرة مملكة هيلينية - أو مملكة  
مقدونية اغريقية قدر لها أن تكون أكثر الممالك الهلينية ثباتا ورسوخا  
بل ان الحضارة الاغريقية ظلت تترعرع على ضفاف النيل ما يقرب من ألف  
عام تقريبا ( ثلاثة قرون للأسرة البطلمية وتسعة قرون للحكم الرومانى  
والبيزنطى ) .

وأهم من هذا وذلك تأسيسه لمدينة الاسكندرية (١) التى سرعان ما أصبحت  
المدينة الأولى فى حوض البحر المتوسط ولا تزال من أهم موانيه حتى العصر

(١) وأخيرا وبعد طول انتظار نشر العلامة فريزر مؤلفه الكبير :

Alexandria Ptolemaica, 3 vols, Oxford 1972.

والجزء الاول يشمل النص أما الجزء الثانى فهو خاص بالهوامش والمصادر  
والجزء الثالث عبارة عن كشف Index للجزئين الأولين وترجع أهمية  
هذا العمل العظيم الى اهتمامات المؤلف بالنقوش والمصادر الخاصة  
بالاسكندرية وحضارتها وبعض هذه النقوش لم ينشر بعد ، كذلك شمل  
الجزء الثانى كافة الرسائل والأبحاث التى تمت عن الاسكندرية وأثارها  
وحضارتها فى العصر البطلمى ومطلع العصر الرومانى ، أما الجزء الاول فقد  
وجه اليه العلماء نقدا شديدا لاسهاب المؤلف فى شكوكه ازاء المصادر القديمة  
مثل شكه فى أن يكون سوستراتوس الكنىدى هو المعمارى الذى بنى الفناء  
الشهير ويفسر مقطوعة بوسيديبوس بطريقة غير مقنعة ليخرج برأى غريب  
وجديد وهو أن سوستراتوس لم يكن سوى الممول لمشروع الفناء ولم يكن  
المعمارى الذى بناه (vol. I, p. 18-20) ، لكن شكوك فريزر لا تكفى لتكذيب الأدلة  
انقديمة (ابراهيم نصحي العمل السابق - الجزء الثانى - ص ٢٩ ملحوظة ٢ ،  
E.G. Turner, J.E.A. 1974 (Review)

كذلك فند الأستاذ الدكتور ابراهيم نصحي فى جدل عنيف مزاعم فريزر  
حول تاريخ نقل العاصمة من منف الى الاسكندرية فى عام ٣٢٠ ق.م لان  
لدكتور نصحي يرى أن ذلك لم يتم ابدا قبل عام ٣١٢ ق.م انظر ابراهيم  
نصحي - الجزء الثانى - ص ٢٠٨ لكن الفصل الثالث الذى خصصه لتراث  
المدينة الادبى والفكرى يعتبر اكمل المؤلفات الحديثة فى هذا المجال .

الحديث كما أن تأسيس الاسكندرية أحدث ثورة في طرق التجارة القديمة وخلق طريقا جديدا يجمع بين القارات الثلاث التي تلتقى في مصر . كذلك وسع الاسكندر لأول مرة في تاريخ مصر حدودها غربا عندما ضم اليها جزءا من اراضى ليبيا الشرقية حتى سرت الكبرى Syrtis .

وكما يتضح من تتبع تحركات الاسكندر ، لم يكن غزو مصر مدرجا في خطته الأساسية عندما غادر مقدونيا ، لأنه دخل آسيا عن طريق البسفور والدردنيل وهو نفس الطريق الذى غزى منه الفرس بلاد اليونان في القرن الخامس ق.م . ولكن قد يتساءل الدارس ما الذى جعل الاسكندر يقطع رحلته نحو الشرق في أخرج أوقات الصراع ليتجه نحو سوريا ومصر . لابد أن لذلك سببا ، لأن قائدا مثل الاسكندر لم يكن يحرك جيوشه اعتباطا أو عفوا أو حسبما توحى اليه الظروف ، بل يظهر من سيرته أنه كان عسكريا ذكيا ضليعا في تفهم الاستراتيجية . من الواضح أن الاسكندر كان يخطط لغزو آسيا كلها وليس الامبراطورية الفارسية وحدها ولكى يحقق هذا الحلم فان عليه أن يجند القوات اللازمة لتحقيق هذا المشروع . فقواته التى تبلغ أربعين ألف مقاتل لم تكن كافية لتحقيق مشروع خرافي مثل هذا ، بل تعتبر قوة محدودة فضلا عن أنه كان ينقصها الأسطول القوي ، حتى الأسطول الذى كان يرافقه كان يتكون أساسا من سفن المدن الاغريقية والأسطول الأثينى وكان الاسكندر لا يثق في اخلاص الاغريق ويعلم أن هذا الأسطول على استعداد لخياطته والغدر به والتعاون مع الفرس ضده . كما أن الاسكندر كان يعلم أن القوات المرتزقة والاغريقية من المشاة كانت تسير معه على مضض ، بل ووقعت في يده مراسلات سرية متبادلة بين الفرس والاغريق بشأن تدبير مؤامرة ضده . وقد يأخذ بعض المؤرخين على الاسكندر أنه صدق وعود الاغريق ببساطة بأنهم سوف يرسلون اليه المدد والعتاد عندما يقرر معركته الفاصلة ضد الامبراطورية الفارسية في عقر دارها .

لقد سار الاسكندر لفتح الشرق معتمدا على قرارات معاهدة كورثا التى جعلته القائد العام لقوات مقدونيا وسائر الاغريق . لكن كان هناك ظواهر تدل على أن الاغريق سوف ينكثون باتفاق كورثا ولا بد أن الاسكندر قد لمح فى عيون الوفود الاغريقية التى وقعت عليه علامات الخبث والمكر ولكن الجنرال الحالم والمتدفق حيوية كان متلهفا على القتال بأى ثمن وفى سبيل ذلك لم يدقق فى الشروط . وبتضح من تصرفات الاسكندر أنه كان متعجلا متسرا فى المعارك التى خاضها . لقد انتظر الاسكندر عندما عسكر فى جورديون بآسيا الصغرى وصول تعزيزات عسكرية من المدن الاغريقية حسب اتفاق كورثا ، وظل ينتظر بالقرب من بحر مرمرة حتى جاء الربيع ولم يصل سوى تعزيزات مقدونية فقط عندئذ يبدو أن الاسكندر قد أحس بأنها معركة مقدونيا (١) وحدها ضد العالم كله *Macedonia Contra Mundum* وبناء على ذلك كان عليه أن يغير خطته العسكرية ومن ثم سارع الى تأمين الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط لكى يطمئن على وصول الامدادات ويضمن خطا للانسحاب فى حالة الانهزام ولكى يقطع على المدن الاغريقية الواقعة فى شرق البحر المتوسط أى محاولة لضربه من الخلف عن طريق البحر ، وضمانا للاستيلاء على المنافذ البحرية خارج البسفور والدرديل قرر الاسكندر تأجيل غزو فارس وآثر أن يستولى على الساحل السورى وساحل شمال أفريقيا بطوله حتى قورينة ، تلك القلعة الهلينية التى كانت نقف بالمرصاد لقرطاجة المستعمرة الفينيقية فى تونس . لقد استولى الاسكندر على الساحل السورى بأكمله لأنه كان قاعدة ومحط الأسطول الفارسى ونحن نعلم الشراسة التى قاتل بها الفينيقيون فى صور دفاعا عن الفرس ولم تسقط هذه المدينة الا بعد حصار دموى ولمدى طويل . ولهذا قرر الاسكندر وضع استراتيجية تضمن ألا يقوم لهذه المدينة قائمة بعد ذلك وهذه الاستراتيجية هو بناء مدينة الاسكندرية لتنتزع من صور كل امتيازاتها .

(1) Cf. E.N. Borza, J.C.P., LXVI, 1971, P. 230 ff.

حيث كان عام ٣٣١ عاما حاسما فى تاريخ الاسكندر ففى اسبرطه كانت ثورة الملك اجيس على اشدها والاغريق على استعداد للتأمر حتى مع الفرس لطرد الوجود المقدونى من بلادهم ولولا كفاءة نائبه انثيباتر فى بلاد اليونان لتغير وجه التاريخ .

هكذا يتضح أن الاسكندر الأكبر فتح مصر لأسباب سياسية في الدرجة الأولى وهى وضع شرق البحر المتوسط تحت سيطرته حتى ولو كان ذلك يعنى تعطيل معركته النهائية مع الفرس لمدة عام آخر . وكان الاسكندر يعرف جيدا أن هذا التأخير سوف يعطى الملك دارا فرصة لتجميع شتات جيوشه المندهرة وقد ظهر ذلك فى المعركة الفاصلة التى خاضها فى أرايلا فيما بعد . ولكن الاسكندر صمم على بناء « صور » مقدونية فى الأراضى المصرية تنتزع طرق التجارة من الفينيقيين حلفاء الفرس الى أيدي المصريين الأصدقاء .

ومن ثم جاء اختياره لقرية راقودة المجهولة لكى تتحول الى أعظم مدينة عرفها التاريخ (١) . فقد كان الفرع الكانوبى للنيل قليل الأهمية خاصة من ناحية التجارة الخارجية بالرغم من وقوع نقراتيس بالقرب منه ، لأن الفرع الكانوبى كان غير صالح فى معظمه للملاحة واستقبال السفن الكبيرة الآتية عبر البحار خاصة السفن الحربية . لقد وجد الاسكندر فى راقودة مكانا جيريا صلبا يرتفع عن سطح الدلتا وقريب من المياه العذبة . ومن النيل خاصة إذا شقت قناة تربط المدينة بالنيل . وفى مواجهة القرية تقف جزيرة فاروس وعن طريق بناء لسان ضيق يربط بينهما وبين الشاطئ . أمكن حماية السفن من هياج البحر والرياح وبهذا أمكن إنشاء ميناء مناسب لاستقبال السفن المقدونية الضخمة . وجدير بالذكر أنه لم يكن فى مصر كلها وقتذاك ميناء واحد يناسب التطور الكبير الذى طرأ على صناعة السفن فى هذه الفترة من تاريخ البحر المتوسط .

ان على الذين يدرسون آثار الاسكندرية أن يتفكروا فى عبقرية الاسكندر فى التخطيط قبل التفكير فى براعة تنفيذ بطليموس وخلفاؤه الذين أكملوا المدينة حتى جعلوها حديث العالم . لقد اختار الاسكندر لمدينته خطة هيلينستية لحما ودما تجعل المدينة ذات شوارع متقاطعة

---

(١) انظر : لويس ممفورد : المدينة على مر العصور - اصلها وتطورها ومستقبلها - اشراف ومراجعة د. نصحي القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٣٢ وما بعدها .

شكل لوحة الشطرنج وكان هذا هو الأسلوب المتبع في بناء المدن الاغريقية في النصف الثاني من القرن الرابع .

وقد كشفت الحفائر الأثرية في مدن بريني Priene وبرجامون Pergamon عن معالم مدن مشابهة (١) . فمثلا نظام الصرف المائي في المدينة عن طريق أنابيب مدفونة تحت الطرق المعبدة يدل على تقدم كبير في نظام العمران . ومن الواضح أنه خطط له قبل تخطيط شوارع المدينة مما يدل على الجدية والكمال المنشود . فضلا عن التقدم في العمران وإنشاء المرافق الصحية والخدمات العامة وباختصار بنيت مدينة الاسكندرية لكي تكون نموذجا لفرن بناء المدن الاغريقية لكافة دول العالم في الشرق والغرب . بالرغم من أن الاكتشافات الأثرية في مدينة الاسكندرية تعاني صعوبة بسبب قيام المدينة الحديثة فوق باني المدينة القديمة كما أن جزءا كبيرا من المدينة القديمة ما زال قابعا تحت البحر .

لقد كان للاسكندرية تأثير كبير على الحضارة الانسانية ، اذا لم يكدير منتصف قرن على تأسيسها حتى انتزعت كرسى الحضارة الهلينية فانقل لأول مرة من أوروبا الى أفريقيا كذلك أحدث بناء الاسكندرية ثورة كبرى في طرق التجارة ، فقد انتقل مركز التجارة اليها من صور الفينيقية . وبذلك أعطى الطريق الجديدة لتجار الاغريق فرصة لفتح طريق بحري جديد يربط بين المحيط الهندي والبحر الأبيض عن طريق البحر الأحمر وهو نفس الدور الذي تلعبه قناة السويس في العصر الحديث ؛ وبهذا تحول البحر الأحمر لأول مرة في التاريخ الى قناة للحضارة الاغريقية مصرية . وهي حضارة أصبحت ذات شخصية متميزة بطابعها الخاص ، بل وفرض تيار الحضارة الاغريقية مصرية نفسه خارج مصر ممثلا في الآلهة المصرية في قالبها الاغريقي مثل ايزيس وهربوكراتيس ( حورس ) ، بل ووصل هذا التيار الحضاري شرقا حتى أفغانستان ، لقد كانت الاسكندرية عاصمة لكل الاغريق (٢) حيث

(1) D. Van Berchem, "Alexandre et la restoration de Priene : Mus, Helvit. XXVII, 1970, p. 198-205.

(2) cf. A. Bernard, Alexandrie, la Grande (Signes des temps, 19) Paris 1972  
P.M. Frazer, Alexandria Ptolemaica Oxford, 1970, Chapter III.

كان يسمع في طرقاتها كافة لهجات اللغة اليونانية بل وعديد من اللغات المختلفة ، ومن المعروف أن الاسكندرية أصبحت في هذه الفترة المركز الروحي لليهود حيث ترجمت لأول مرة التوراة من العبرانية الى اليونانية Septuagintae . بل أن الاسكندرية ساهمت في تطوير الفكر الوثني وتعزيزه لدرجة جعلته يصبح القاعدة الأساس التي قام عليها الفكر المسيحي فيما بعد .

### معركة جاوجاميل (Gaugamela) الفاصلة :

عاد الاسكندر مرة أخرى الى صور ، وهناك أعد العدة للمعركة الفاصلة التي حشد لها أربعين ألفا من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان ثم سار شرقا الى قلب الامبراطورية الفارسية فوصل مدينة تابساكوس Thapsacus على نهر الفرات في أغسطس عام ٣٣١ ق.م وكانت بابل القديمة هي هدف الاسكندر . فغير طريقه شمالا ثم هبط على شاطئ دجلة الشرقى وهناك عرف من بعض الجنود الفرس الذين قبض عليهم أن دارا يستعد لملاقاة الاسكندر بجيشه الذي حشده له عند ابسوس . على أى حال لم يقصد الاسكندر العاصمة البابلية القديمة نينوى Nineveh بل صعد شمالا ثم هبط جنوبا حيث رصد معسكر دارا في سهل جاوجاميل . وقد بولغ في ذكر عدد قوات الفرس فقيل أنها بلغت مئيتا من المشاة وأربعين ألفا من الفرسان . ولما نصح الجنرال بارمينيون الاسكندر بشن هجوم ليلي اعترض الاسكندر في كبرياء « أنا لا أسرق النصر ! » والحقيقة أن الاسكندر كان يريد نصرا في وضح النهار يمجد عبقرية العسكرية . ومن ثم آثر الاسكندر أن يريح جنوده ويوفر لهم عشاء طيبا ونوما هادئا بينما قضى الجنود الفرس ليلتهم في تحصين معسكرهم خوفا من هجوم ليلي قد يشنه الاسكندر عليهم .

ودارت المعركة الفاصلة (١) في أول أكتوبر عام ٣٣١ وازاء هجوم فرسان الاسكندر وهن خط القتال الفارسي وانهار تماما مثلما حدث في

(١) لوصف تفاصيل المعركة انظر : و . تارن : الاسكندر الاكبر .

ترجمة زكي على ومراجعة محمد سليم سالم سلسلة الالف كتاب رقم ٤١١ ص ٨٩ - ٩٣ .

أسوس وولى دارا هاربا تاركا حرسه يقاومون الاسكندر حتى يتمكن ملكهم من الفرار . وقد شاع فرار دارا وأدى الى تفشى الاضطراب فى صفوف الفرس فارتدوا خاسرين أما الاسكندر فقد تابع سيره مقتضيا أثر العدو الى أن وصل الى أرييلا Arbela وقد أبلى بارمينيون فى هذه المعركة بلاء حسنا . وأبدى شجاعة منقطعة النظير .

### فتح بابل :

وبعد أن أراح الاسكندر جيشه تقدم نحو بابل Babylon وكان الاسكندر يتوقع صمودا من جانب البابليين ازاء الحوائط والقلاع التى تحيط بعاصمتهم ولكن لدهشته ما أن اقترب حتى وجد البوابات تفتح على مصراعيها بل وخرج الستراب الفارسى مازايوس بنفسه يستقبل الاسكندر مرحبا ، ويبدو أن هذا الحاكم الفارسى الذى حارب بشجاعة فى جاوجاميل استاء من هروب دارا وازاء ذلك أبقى الاسكندر مازايوس مكانه كوال على بابل . وقد اتبع الاسكندر مع البابليين نفس السياسة التى اتبعها مع المصريين ، فأظهر نفسه كحام للديانة البابلية وألغى القرارات المجحفة التى كان أكسيركسيس قد أصدرها ضد العادات القومية البابلية، وأمر باصلاح المعابد البابلية خاصة معبد بعل Ba'al الكبير الذى دمره أكسيركسيس عند عودته مهزوما من بلاد اليونان .

كان تعيين الاسكندر لمازايوس سترابا على بابل أول عمل من نوعه يقوم به الاسكندر فهو أول فارسى يعين من قبل ملك مقدونى ، ولكنه لم يخول له أى سلطة عسكرية بل جعل ذلك فى يد قائد مقدونى ، كذلك جعل الشئون المالية . وهكذا كان الاسكندر يقضى الفرس عن السلطة العسكرية والمالية ولايمانع فى توليهم السلطة الاسمية والادارية .

### فتح سوسا وبرسيس :

وبعد أن استراح الجيش المقدونى سار به الاسكندر تجاه الجنوب الشرقى الى سوسا مقر القصر الصيفى للملك الفارسى . واستولى على

قلعتها حيث وضع يده على كنوز هائلة من الذهب والفضة . وكذلك على مجموعة تماثيل قتلة الطغاة (Tyrannicides) التي كان الآثينيون قد أقاموها تكريماً لهارموريوس وأرستوجيتون قتلة الطاغى هيسارخوس ابن الطاغى بيسستراتوس وكان اكسيركسيس قد حمل هذه المجموعة من التماثيل معه الى بلاد الفرس عند قيامه بحملته ضد بلاد اليونان في القرن الخامس \* ووجد الاسكندر في اعادة هذه المجموعة العزيزة على نفوس الاغريق كسبا معنويا كبيرا \*

ومن أجل غزو اقليم برسوبوليس غادر الاسكندر سوسا قاصدا عاصمة الامبراطورية الفارسية طمعا في ذهب قصور قورش ودارا وغيرهم من ملوك الفرس وكانت هذه العاصمة تقف في قلب الأرض الفارسية يحيط بها التلال من كل جانب فتحصنها ضد أى هجوم \* ولما وصل الاسكندر الى الممر المرعب المؤدى الى برسيس وهو المعروف بالبوابات الفارسية Persian Gates وجد الوالى الفارسى أريو بارزائيس قد حصنها واستبسل في الدفاع عنها بل وصد طلائع هجوم الاسكندر ولكن الاسكندر قاد قوة خفيفة وتوغل وسط التلال في قلب الشتاء لى أن باغت العدو من الخلف ووجد الوالى الفارسى نفسه محاصرا بين شطرى الجيش المقدونى فاستسلم وكان هذا لنصر أصعب نصر حققه الاسكندر في ظروف صعبة وهى وعورة المكان وثلوج الشتاء واستبسال العدو \*

ثم تابع الاسكندر بعد ذلك مسيرته نحو برسوبوليس Persepolis (١) « أغنى مدينة تحت الشمس وأقدم مدينة على وجه الأرض » ، واستولى على قصورها العظيمة المشيدة فوق التلال قبل أن يسرع الفرس بثقل كنوزها \* ويقال أنه استولى على كنوز خيالية حتى أن نقلها كان يحتاج عدد كبير من الدواب وتلك ثروة لم يصدقها أحد في العالم الاغريقى \* ويروى لنا المؤرخون أن أهم حدث قام به الاسكندر في برسوبوليس ، هو حريق قصر اكسركسيس عندما أشرف الاسكندر على حرقه عامدا متعمدا

(١) ذلك هو الاسم الاغريقى اما الاسم الفارسى فهو استلشر .



ويروي أن الاسكندر كان ثملاً من فرط الشراب هو وأصدقائه ، وفجأة اقترحت وصيفة أثينية اسمها ثائيس اشعال النيران في قصر اكسركسيس رداً على حرقه للمعابد الأثينية في حملته ضد بلاد اليونان وبسرعة اندفع الاسكندر ورفاقه يجرقون القصر ولم يدرك بشاعة فعله الا بعد أن ذهب تأثير الشراب عندئذ أمر بإطفاء النيران ، ولكن تارن يرى أن تلك القصة ليست الا حديث خرافة ابتدعت بقصد التأثير الروائي (١) .

### موت الملك دارا الثالث :

انحسر الملك دارا وما تبقى له من قوات وقادة في اكباتانا عاصمة افليم ميديا Media أقدم أقاليم فارس القديمة وسارع الاسكندر لملاقاته في هذه المدينة ، ولكن عند وصوله وجد دارا قد فر شرقا الى باكتريا واستولى الاسكندر على المدينة والاقليم . « وجلس في قصر الذهب والفضة يحصى ما تم في عالم تغيرت أوضاعه » ومن هذه الثروة الطائلة دفع مرتبات الجنود الاغريق الذين فضلوا السير معه الى حيث يذهب . وصمم الاسكندر على مطاردة دارا والقبض عليه بأي وسيلة ولكن القدر خيب آماله ، فقد راح الأمراء الفرس يضيقون ذرعا بحظ مولاهم النعمس فرفضوا الاستمرار معه في تعبئة جيوش جديدة ومقاتلة الاسكندر . ولم تجد قوات الاغريق المرتزقة نفعا للعاهل الفارسي ، وفي لحظة الضعف والحيرة برز أحد أقرباء الملك دارا وهو بيسوس Bessus وكان يشغل منصب ستراب باكتريا ، فقبض على دارا ليلاً وزج به في سجن يقع على الطريق الى باكتريا . وبالقبض على دارا تشتت جيشه ، وغادر المرتزقة الاغريق المكان في اتجاه الشرق الى جبال قزوين وطلب كثير من الجنود الفرس صفح الاسكندر وعفوه . وبعد أن تزود الاسكندر وجيشه بالطعام بما يكفيه يومين سار الى معسكر بيسوس وقضى ستة وثلاثين ساعة في سير متواصل وعندما وصل الى المكان وجد أن بيسوس قد غادره ، فقرر اختصار الطريق عبر الصحراء ليلحق به معرضاً نفسه وجيشه

(١) و . تارن المرجع السابق ص ٩٧ .

(٢) المرجع نفسه ص ٩٧ .

للمطش وأهوال الصحراء الى أن وصل الى شاهرود حيث كان دارا سجيناً ومن الواضح أن الأمير يسوس ورفاقه كانوا ينوون تسليم دارا للاسكندر اذا ما صمم على مطاردتهم وذلك ثمناً للسلام ولما أبصر يسوس ورفاقه أن الاسكندر على وشك أن يلحق بهم في شاهرود أمروا الملك دارا السجين أن يركب أحد الجياد ليهرب معهم ولكنه رفض أن يقضى حياته هارباً فقررروا التخلص منه وطعنوه بالخنجر وتركوه يعاني سكرات الموت ولاذوا بالهرب . ولما عثر أحد الجنود المقدونيين على الملك وهو يهضر تقدم اليه الجندي بكوب من الماء فارتشفه دارا بصعوبة وهو يهز رأسه علامة للامتنان وعندما وصل الاسكندر الى مكان الملك الفارسي كان هذا الأخير قد فارق الحياة . وتفحص الاسكندر متأثراً جثث الملك ويقال أن خلع عليه عباءته الملكية الأرجوانية احتراماً وتبجيلاً ويرى البعض أن العثور على دارا قتيلاً بيد رفاقه وفر على الاسكندر حرجاً شديداً ، لأنه اذا كان قد قتل بيد الاسكندر فإن ذلك كان سيتروك في نفوس الفرس ذكرى محزنة وحقة دفيناً تجاه الاسكندر . ثم أمر الاسكندر أن يرسل الجثمان بكل آيات التعظيم والتبجيل الى برسبوليس حيث تقام آلهة المعجزة ولكن يدفن في مقابر أسلافه من ملوك الفرس . لقد كان دارا صورة هزيلة للطاغى الشرقى (١) بكل ما يتميز به في فترات ضعفها ، من رعونة وضعف وقنوط ولكنه كان انساناً طيب القلب حسن المعاشرة أوقع به القدر مع بطل عظيم حجب عنه كل صفاته الطيبة . وموت دارا أسدل الستار على الأسرة الأخمينية الفارسية .

#### الاسكندر بطل آسيا :

هكذا أصبح الاسكندر سيد آسيا وملكها ، وقد كان حكيماً بما أظهره من سياسة العفو والصدور الرحب تجاه المناطق التي فتحها . وكانت حكمته تنبع في الحقيقة من الذكاء السياسي . إذ لم يتعرض للقوميات الاقليمية أو العادات أو القوانين الوطنية في هذه البلدان ، وكل ما كان

(١) المرجع نفسه ص ١٠٢ . كذلك انظر :

G. Wirth, Dareios und Alexander, *Chiron* I, 1971, P. 133-152.

يضع يده عليه هو السلطة التي قسمها ولم يتركها مركزة في شخص الساتراب كما كان الحال أيام ملوك الفرس .

وأصبح الساتراب يملك السلطة الادارية ، أما السلطة العسكرية والادارة المالية فقد فصلهما الاسكندر عنه وجعلهما في أيدي رجال مقدونيين تأمينا ضد حركات التمرد وتقليما لأظافر الأمراء الشرقيين .

كان لفتح الشرق تأثير كبير على مركز الاسكندر بين الاغريق (١) ، فقد اعتبروه زعيما للاغريق ضد الفرس البرابرة ، ووجدوا في فتح الشرق الغامض مسرة وبسحره وبكنوزه فرصة للنهب والاستغلال لأنهم كانوا ينظرون الى الفرس نظرة الاحتقار ويعتبرونهم في درجة العبيد . ولكن الاسكندر بعقليته الجديدة حاول أن يملأ الهوة بين الهليني والبربري الشرقي . لأنه كان يهدف الى انشاء امبراطورية تزاوج بين الشرق والغرب على أساس الوئام والسلام . وعلى أساس أن يحكم العنصرين بالمساواة ضاربا عرض الحائط بعقدة الاغريق العنصرية واستنكار المقدونيين المتطرف لتعاطفه مع الشرقيين .

وقد وضحت سياسة الاسكندر الجديدة بعد معركة جاوجاميللا . عندما راح الاسكندر يعين أمراء فرس كساترابات على المقاطعات التي كان يفتحها ، بل فتح القصر والبلاط أمام الفرس ولم يعد القصر المقدوني مقدونيا خالصا كما كان ، بل أخذت الروح الشرقية تطفئ عليه . فمثلا أعجب الاسكندر بطريقة الشرقيين بالسجود أمامه عند مخاطبته كملك ورب على آسيا Proskynesis ، وأخذ يظهر مرتديا الزى الملكي الفارسي في المناسبات العامة ربما بهدف ألا يبدو غريبا كلية عن الفرس وهو ملهمهم .

(١) يرى البعض ان موقف الاسكندر من الاغريق تغير بعد حريق سوسا وانه كان نقطة التحول من المحايلة الى التحدى الصارخ والعلني خاصة بعد ان وضع اسسا للتفاهم مع الفرس والشرقيين وبعد ان ضاق ذرعا بحركات التمرد التي قام بها الاغريق والتي كان آخرها تمرد الملك الاسبرطي آجيس عام ٣٣١ - ٣٣٠ وان هذا العام كان عاما حاسما بعد ان نجح انتيباتر في قمع هذه الثورة انظر :

E.N. Borza " The End of Agis' revolt, J. Class. Phil. LXVI, 1971, pp. 230-235,

### غزو الشرق الأقصى :

ولكى يؤكد الاسكندر سيادته على آسيا قرر مطاردة فلول الثوار وتصفية جيوب المقاومة الفارسية فسار الى بحر قزوين ومن هناك اتجه الى زادراكارتا المقر الملكى لاقليم هوركانيا Hyrcania حيث نجح فى أن يرغم جيوب المقاومة على الاستسلام وتقديم فروض الطاعة والولاء . أما بالنسبة للأسرى الاغريق الذين كانوا يحاربون مع الجيش الفارسى ، فقد عفا عن هؤلاء الذين دخلوا خدمة الجيش الفارسى قبل قيام ميثاق مؤتمر كورثا ، أما غيرهم من المرتزقة فقد أجبرهم على دخول خدمة الجيش المقدونى .

ودخل الاسكندر منطقة ايران الشرقية البعيدة عن التيارات الاغريقية والتي تظهر فيها الروح الآسيوية الشرقية الخالصة لأن هذه المنطقة كانت تنتمى الى حضارات أقدم وأعرق من الحضارة الفارسية بل وترجع الى عصر سابق عليها . واستراح الاسكندر أسبوعين أقام خلالها المهرجانات الرياضية والثقافية ثم سار شرقا الى سوسيا Susia إحدى المدن الواقعة شمال آريا Areia وهناك سمع أن بيسوس قد نصب نفسه ملكا على القوس وأنه يجمع شتات الجيوش فى باكتريا Bactria فقرر الاسكندر السير اليه على الفور ولكن قيام حركة تمرد ضده فى أراخوسيا اضطرته الى العودة الى أرتوكوانا Artocoana عاصمة آريا Areia ، واجتاح الاسكندر هذا الاقليم كله وعلى مقربة من أرتاكوانا أسس مدينة تسمى بالاسكندرية أغلب الظن هى هيرات (١) وعندئذ دخل درانجيانا دون مقاومة تذكر .

وفى بروفثاسيا (٢) عاصمة اقليم درانجيا ترمى الى أسماع الاسكندر أن فيلوتاس ابن قائده المخلص بارمينيون يتآمر على حياته . وقدم فيلوتاس الى مجلس محاكمة من المقدونيين الذى أدانته بأنه كان يعلم بوجود مؤامرة ضد حياة الاسكندر ولم يبلغ عنها ، ومن ثم أعدم رميا بالسهم ، ولم يطمئن الاسكندر بعد قتل فيلوتاس الى والده بارمينيون

(١) المرجع نفسه ص ١٠٦ .

(٢) وتعنى المرتقبه .

فأرسل رسولا على عجل الى ميديا Media حيث كان يسكر الجنرال العجوز وطلب من بعض القادة التالين له في المرتبة أن يعدموه ، وكانت العلاقة بين الملك الشاب وجنراله العجوز قد فترت في الفترة الأخيرة خاصة بعد فشل بارمينيون في جوجاميل بالاضافة الى ظهور خصوم لبارمينيون من أمثال كاليستينيس Callisthenes راحوا يحرضون الاسكندر عليه . وقد أجرى الاسكندر عدة تعديلات في قيادته ومنها ادخال بطليموس بن لاجوس في قيادة الأركان .

واذ كان اعدام فيلوتاس له مبرراته القانونية وأن الأدلة على خيائته كانت - على حد قول بطليموس - دامغة ، فإن قتل بارمينيون يعتبر اغتيالا صريحا لا مبرر له وعلا قصد به تخويف باقي القادة الذين قد يفكرون في خيائته ، لأن بارمينيون لم يلق محاكمة بل اغتيل ظلما وعدوانا وبدلا من أن يعود الاسكندر ليعاود طريقه الى باكتريا دار حول نفسه وسار في قلب أفغانستان وعبر جبال كوش ونزل الى جيحون ( أوكسوس ) Oxus ، وما أن حل الشتاء حتى كان الاسكندر قد بلغ شرقا الى سهل هالماند Halmand وفي جندهار أسس مدينة أخرى سماها الاسكندرية لتكون عاصمة لاقليم أراخوسيا Arachosia . واندفع الاسكندر الى نهر كابول والى سلسلة جبال الهندوكوش التي تقف كمواصل تقسم العالم شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . وقد سمى الاغريق هذه المنطقة كاوكازوس Caucasus أى القوقاز وقضى الاسكندر الشتاء عند سفح الهندوكوش حيث أنشأ اسكندرية جديدة ثم اتجه الاسكندر نحو الشمال ليعبر في ممر خاواك الذي كان يبلغ ارتفاعه أحد عشر ألفا وستمئة قدم ، وكانت مغامرة لا تقل عن مغامرة هانيبال في عبور الألب اذ قاسى الجيش أهوالا كثيرة بسبب حاجته الى الطعام وقلة الوقود وكان هدف الاسكندر هو الهبوط على ييسوس من الشمال

وبالفعل ولي ييسوس الادبار عبر نهر جيحون ( أو كسوس ) واستولى  
الاسكندر على باكتريا دون مقاومة . ثم زحف الاسكندر نحو سهل  
جيحون تجاه كيليف Kilif وعبر النهر الى ميراكاندا Miracanda  
المعروفة باسم سمرقند .

وقد حاول حلفاء ييسوس من أهل اقليم سوجديانا تسليم هذا  
الزعيم مقابل انقاذ بلدهم فأرسلوا الى الاسكندر يعرضون عليه ذلك .  
فرد الاسكندر بارسال بطليموس بن لاجوس ليطمئن التسليم على يديه  
ويأتى به مقيد اليدين والقدمين عارى الجسم لينفذ فيه حكم الموت في  
بكتريا .

بعد ذلك تابع الاسكندر مسيره جنوب نهر جيحون حيث أنشأ على  
ضفافه آخر اسكندرية على حدود العالم Alexandria Eschate ( ومحلها  
الآن خود شند ) والاسم يعنى اسكندرية القصوى . وقد تزوج  
الاسكندر عروساً من إحدى بنات هذه المناطق وهى روكسانا الشهيرة  
Roxana.

وفى ماراكاندا Samarcanda أقيمت وليمة كبرى تكريماً لشقيقه في  
الرضاعة كليتوس Kleitus وانتهت هذه الوليمة بمأساة محزنة عندما  
احتدم النزاع بين الأخوين بفعل تأثير الخمر انتهت بطعن كليتو بحربة  
قاتلة على يد الاسكندر . ولما أفاق من خمره أحس بندم قاتل لفعلته  
الشنعاء وقضى ثلاثة أيام يعانى من وخز الضمير دون أن يتناول شيئاً من  
الطعام ، وأخيراً أقنعه أصدقاؤه بضرورة تناسي ما حدث وتناول شيء  
من الطعام وأعلنوا أن موت كليتوس سببه غضب ديونيسوس بسبب  
اغتيال تقديم قرايين له وقد شجع الفيلسوف اناكسارخوس الاسكندر  
على تناسي هذه الجريمة باقناعه بأنه فوق القوانين ولا يمكن للملوك أن  
يخطئوا أبداً ، ولكن لم يندم أحد من الملوك على شر ارتكبه مثلما ندم  
الاسكندر على قتله كليتوس (١) .

(١) المرجع السابق ص ١٢٥ ( انظر Arrian, IV, 9, 6 ; VII, 29, 1.

ولم يمض وقت طويل حتى اكتشف الاسكندر مؤامرة جديدة على حياته خطط لها بلاط القصر وقد سحقها الاسكندر باعدام جميع من كانوا يخططون لها سواء من قريب أو بعيد .

وفى باكتريا طرح كاليستينس قضية ألوهية الاسكندر للنقاش طمعا فى ارضائه والسماح له بإعادة بناء أولينثوس Olynthus مسقط رأس هذا الفيلسوف - المؤرخ للحملة والذي كان يدون تاريخ الاسكندر بقصد الاعلان والدعاية له . وقد شجعه على ذلك وجود لقيف من المنافقين الذين راحوا ينادون الاسكندر بأنه ابن زيوس وأنه ليس بشرا بل الالهة على الأرض . ومما لاشك فيه أن ذلك لاقى استحساناً من جانب الاسكندر ، خاصة أن الاسكندر أعلن اقتباسه لعادة السجود أمامه Proskynesis على نحو ما يفعل الفرس وربما كان قصده هو أن يصبح الالهة على الامبراطورية الجديدة التى تمزج الشرق بالغرب . وكان فلاسفة الاغريق وسياسيوهم من أمثال أرسطو وايسوقراط قد تحدثوا عن فكرة التآلية ، أرسطو بالنسبة للاسكندر وايسوقراط بالنسبة لفيليب (١) وقد وجد الاسكندر أن الوقت قد حان للخروج على الناس بهذه الفكرة .

ولكن بدعة السجود الشرقية أدت الى استياء المقدونيين وغضبهم لأنها عادة مقتبسة من الفرس ويجب أن تبقى وقفا على الأسويين ، وكان أول المعترضين هو كاليستينس المتطرف فى نظراته الى البرابرة الشرقيين مما جر عليه غضب الاله الذى صنعه يديه . وجاءت الفرصة عند اكتشاف مؤامرة دبرها بعض الشباب الذين كانوا يعملون مع الاسكندر بسبب ضغينة شخصية بين الاسكندر وبين أحد الفتيان واسمه هرمولائوس Hermolaus ولكن لسوء الحظ جاء ذكر كاليستينس باعتباره كان مريبا لهذا الفتى وربما تورط كاليستينس بالكلام مع بعض هؤلاء الفتيان ووجد الاسكندر فرصته فى الانتقام من كاليستينس فأمر بقتله على الفور بينما أشيع أنه مات ميتة طبيعية فى السجن .

(١) المرجع السابق ص ١٣١ .

### الاسكندر في الهند :

كانت الهند معروفة عند الفرس لأنها كانت جزءاً من امبراطورية دارا الأول أما بالنسبة للاغريق فكانت فكرتهم عنها مشوشة يكتنفها الغموض (١) . أما الدافع الذي دفع الاسكندر لغزوها فلم يكن غير أنها جزء من الامبراطورية الفارسية التي يريد الاستيلاء عليها بكاملها ولم يكن هناك قصد أو علاقة بين غزو الهند وفتح العالم . لأنه من الواضح لم يكن يعرف كثيراً عن الهند . وربما أراد الاسكندر إيجاد حل لمشكلة المحيط ومدى علاقة الهند بمصر ولتحقيق ذلك الغرض اصطحب معه في حملته مجدفين وبنائين للسفن من فينيقيا وقبرص وكاريا ومصر (٢) .

وفي مستهل صيف عام ٣٢٧ ق.م عبر الاسكندر سلسلة جبال الهندكوش للمرة الثانية عن طريق مر كوشان ثم عبر سهل كابول ( سهل كوفن Cophen ) فنهز الهندوس قرب تاكسيلا Taxila ( أتوك Attock ) .

وقد أعلن أمير هذه المنطقة ولاءه للاسكندر وضم قواته الى قوات الفاتح المقدوني وتقدم الاسكندر بجيوشه دون مقاومة تذكر الى الهيداسبيس Hydaspes ( جهيلم Jhelum وهي جيناب غرب باكستان ) حيث هزم الملك بوروس Porus أحد ملوك المنطقة في معركة تكبد فيها الاسكندر خسائر فادحة بسبب مواجهة الأمير الهندي للاسكندر بقوات القيلة وهي تجربة لم يقابلها الاسكندر في أي من معاركه السابقة . وهناك أدلة واضحة على روح الاستبسال المقدوني في مواجهة القيلة . وقد كان لاستخدام هذا السلاح الجديد أثراً كبيراً على نفسية قواد الاسكندر فيما بعد وتنافسوا في الحصول على أكبر عدد منها لأنها أصبحت السلاح النفاذ في الحرب خلال العصر الهلينستي .

(١) انظر الهند القديمة - حضارتها وديانتها تأليف الدكتور محمد اسماعيل الندوي القاهرة ١٩٧٠ ص ١٦٥ وما بعد .

(٢) قارن : المرجع السابق ص ١٤٢ .



وبعد النصر أسس الاسكندر مدينتين هما الاسكندرية نيكايا أى الاسكندرية مدينة النصر Alexandria Nicaea والاسكندرية بوكيفالا Alexandria Bucephala تخليداً لجواده الشهير بوكيفالوس Bucephalus الذى قيل أنه نفق هناك . وقد سكت عملة فيما بعد لتخليد ذكرى هذه المعركة وقد ظهر عليها الاسكندر وهو يقتضى أثر الفيل الذى يركبه الملك الهندي بوروس Porus (١) الذى تصالح مع الاسكندر وأصبح حليفاً له .

بعد ذلك تابع الاسكندر السير شرقاً الى الهيفاسيس Hyphasis (وهو نهر بياس Beas) وليس من المؤكد أن يكون هذا النهر فرعاً من فروع ستلج (Sutlej) فى الغرب من باكستان الحالية (٢) بل ربما كان نهر البياس المذكور هو الحد النهائى لامبراطورية الملك دارا الأول . وعلى أى حال كان يعتبر آخر الأنهار الخمسة .

وعند نهر البياس انتهت مغامرة الاسكندر فى الهند وذلك لأن القوات المقدونية كانت قد أنهكت من القتال والترحال فى ظروف مناخية غريبة عليها . بل أن قوى الرجال أنهكت من الناحية النفسية . ولهذا رفضوا التوغل شرقاً وظهرت رغبتهم الشديدة فى العودة الى أوطانهم . وكما فعل أخيليس بطل الالياذة عندما غضب ، اعتكف الاسكندر فى خيمته ثلاثة أيام أملاً فى أن يعدل الجيش عن رأيه ويتابع المسير معه . ولكن الجيش كان عنيداً فى اصراره . وأخيراً استسلم الاسكندر لارادة الآلهة والجيش . ويقال أنه بنى اثني عشر مذبحاً لكل اله من آلهة الأولمبوس ووسط تهليل الجند وهتافهم عاد الاسكندر ادراجه سالكا الطريق الذى كان ينوى أن يقطعه . وبذلك وضع أمامهم أعنف مراحل القتال وأسوأ مراحل الزحف فى حياتهم وعند نهر جيهم وجد الاسكندر أسطولا قد أعد لنقل الجيش بقيادة نيارخوس ذلك الجنرال الكريتى

(١) المرجع السابق ص ١٥٥ .

(٢) المراجع السابق ص ١٥٧ .

الذى وثق فيه الاسكندر جيداً ، أما باقى الجيش فقد سار بحذاء الضفتين الشرقية والغربية للنهر . وفى الجنوب عند ملتقى جهيلم بالجيناب تأهب الاسكندر لخوض آخر معركة هامة فى حياته وهى معركته ضد شعب آراتا أو شعب المالين Mali وهو اقليم بوسط الهند . وقد قاومه هذا الشعب بعنف فى قلعته مولاتان Mooltan . وبلغ من عنف المقاومة أن المقدونيين كادوا أن يفقدوا الأمل فى الاستيلاء على القلعة ولكن الاسكندر ضرب مثلاً نادراً فى الشجاعة والتهور اذ خطف سلماً مخصصاً لاقتحام المعقل وتسلق بنفسه حائط القلعة حيث تلقى جرحاً كاد أن يقض عليه وأشيع أنه قد مات . وقد يفسر البعض ذلك بأن الجيش المقدونى قد سئم الحرب وراح يتراخى فى القتال ازاء المقاومة التى انتشرت فى كل مكان يذهب اليه . ووصل الاسكندر الى المحيط الهندى فى منتصف عام ٣٢٦ ق.م حيث أنشأ مدينة فى منطقة باتالا Pattala فى دلتا النهر . وكذلك بنى مرفأً عظيم وأحواضاً للسفن لضمان الاتصال البحرى مع الغرب ثم كلف نيارخوس بالقيام برحلة استكشاف بحرية حول الخليج الفارسى .

وفى سبتمبر عام ٣٢٥ ركب الاسكندر الفرع الشرقى للسند حتى وصل الى مصبه ، ثم اخترق الكثبان الرملية عند المصب وقضى « يوماً فى مرفأ الاسكندر » ( وهو كراتشى ) الى أن هبت الرياح الموسمية فأُسعفته فى الابحار وفى نهاية سبتمبر كان الاسكندر يخرق صحراء جدروسيا ( Gedrosia ) ( بالوخستان Baluchistan - أو المقران ) وبعد عبوره نهر آرايس Arabis ( وهو هاب ) تلقى نبأ خضوع الأوريتيين ( أوريتيين ) وهم شعب ايرانى متأثر بالهند ثقافة وعنصراً وقد أسس عند عاصمتهم أورا اسكندرية جديدة ( الاسكندرية فى المقران ) وبعد رحلة شاقة عانى فيها الجيش من الحر والجوع والأمراض وصل الاسكندر وجيشه الى سهل كارمانيا Carmania ( كرمانه ) أما نيارخوس والأسطول فقد قام برحلة سجلت أحداثها بتفاصيل رومانسية وكأنها رحلة أوديسيوس وكان نيارخوس قد غادر ميناء كراتشى ( ميناء

الاسكندر ) متجها غرباً الى الخليج الفارسي حتى رسا عند رأس مصندم في بلاد العرب ومر في بوغاز هرمز وبعد رحلة استغرقت ثمانين يوماً حط مرساه عند نهر أمانيس Amanis حيث تم لقاء الجيش والأسطول ، وقد أقيمت بهذه المناسبة الاحتفالات والألعاب الرياضية . وقد أسست اسكندرية أخرى في جولاشكرد Gulashkird ثم تابع كل من الجيش والأسطول المسير نحو سوسا فوصلاها في ربيع عام ٣٢٤ ق م .

### افكار الاسكندر الجديدة لتوحيد الشرق والغرب :

جاءت عودة الاسكندر في وقتها ، اذ تكشف له الوضع عن وجود فوضى واضطراب ، فمن ناحية راح الولاة الذين عينهم الاسكندر يتصرفون كحكام مستقلين وانضم الى لواء خدمتهم كثير من الجنود المرتزقة . كما أساء فريق من الولاة الفرس ( السترابات ) معاملة رعاياهم وظهر مدعون للعرش في ميديا وكرمان ونهب قبر قورش وعدد من المعابد والاسطبلات الملكية في ايران . وارتكب كليومينيس في مصر كثيراً من المساوئ وراح هارباً بالوس يبعثر الأموال مقلداً بذخ ملوك الشرق . كل هذا تم في غياب الاسكندر الذي كان حريصاً على أن يمنع أى عمل من أعمال الظلم تلحق برعاياه ومن ثم قابل ذلك بالعنف والبطش من أجل إعادة العدل والنظام .

وفي سوسا أقيمت وليمة كبرى احتفاءً باتمام غزو الامبراطورية الفارسية حيث تم زفاف الاسكندر وثمانين من ضباطه على سيدات ايرانيات من الطبقة الارستقراطية . وكان ذلك الزواج المختلط اعلاناً لأفكار الاسكندر الأيديولوجية في مزج الشرق بالغرب عنصراً وثقافة . ولكن هذه التجربة لم تنجح بل فشلت بعد موت صاحبها .

بل أنها أثارت رد فعل غاضب من جانب الجنود المقدونيين خاصة بعد تجنيد الاسكندر للفرسان الاسيويين في صفوف كتائب الفرسان المقدونيين وقبول بعض الشبان النبلاء الفرس في قوات الحرس الملكي . ومما أثار الحقد في نفوس المقدونيين وأشعل السخط قيام الاسكندر

بارتداء الزي الفارسي وتقليده العادات الفارسية مما جعلهم يشعرون بأنه لم يعد ملكهم وحدهم بل ملكا شرقيا أسيويا .

ولكن الاسكندر فاجأ الاغريق باصدار عفوه عن جميع المنفيين السياسيين والسماح لهم بالعودة الى أوطانهم باستثناء أهل طيبة . وذلك أثناء الألعاب الأولمبية التي عقدت عام ٣٢٤ ق م . وكان هدف الاسكندر من ذلك هو كسب هؤلاء المنفيين الى جانبه والاستفادة منهم كجنود مرتزقة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قصد الاسكندر أن يوفر لبلاد اليونان مناخا من الوحدة والسلام وبذ صراعات الأحزاب وما ينتج عنها من نفى وتشريد ومصادرات وهو اجراء ينم على حكمة وبعد نظر سياسى ولكنه فى نفس الوقت تعدى على الشؤون الداخلية للدويلات اليونانية مما يعتبر مخالفا لميثاق مؤتمر كورنثا (١) .

كذلك فان ابتداعه لنظام السجود وفرض هذا السلوك على المقدونيين والاغريق كان مخالفا لميثاق مؤتمر كورنثا الذى اعترف به ملكا على مقدونيا وليس الالهة على الاغريق . وعندما رأى الاسكندر أن خسير السبل لفرض طاعته على الاغريق هو تأليه نفسه ، وقد سبق أن ذكرنا كيف أن بعض الفلاسفة مهدوا لهذا التأليه الذى كان معروفا عند الشرقيين وفى وادى النيل . وبالتفعل أرفق مرسومه الخاص باستدعاء المنفيين بطلب الى مدن حلف كورنثا بقبوله الالهة عليهم ، ولم تجد المدن الاغريقية - بما فى ذلك اسبرطة - بدا من قبول هذا الطلب . وقد عارضت أثينا ذلك فى أول الأمر ولكنها عندما أدركت أن الملك المقدونى جاد فيما يزعم ، قبلته الالهة بدافع من الرهبة وتقاديا لغضب ذلك الملك النارى المزاج ، أما المقدونيون فلم يعبأوا بالتأليه .

كذلك خرق الاسكندر ميثاق كورنثا عندما بدأ يتدخل فى الشؤون الداخلية للمدن الاغريقية عندما أرغم الاثينيين على الجلاء من ساموس ورد الجزيرة الى أصحابها . ولو كان العمر قد طال بالاسكندر لرأينا الكثير من مثل هذا الاقحام فى شئون المدن الداخلية .

(١) المرجع السابق ص ١٧٨ .



وقومياتها . وفي نهاية الوليمة راح الجميع يسكبون النبيذ على سبيل  
القربان في آن واحد على صوت الأبواق طبقا للعادة المقدونية . وكان  
العرافون الاغريق والمجوس يشرفون على هذه القرابين .

وفي خاتمة الحفل أقام الاسكندر صلاة من أجل الوثام بين الشعوب  
التي تكون امبراطوريته ومن أجل أن يتعاونوا على قدم المساواة لافرق  
بين مقدوني أو اغريقى أو فارسى ، بل كلهم سواء في امبراطوريته الجديدة  
الممتزجة والمتعددة العناصر والأجناس ، وكان الاسكندر يأمل من كل  
قلبه أن يسود هذه الامبراطورية التوافق والانسجام الفكرى والعاطفى  
والعنصرى وهو ما سماه بالوثام ، (homonoia) . ومن الأقوال المأثورة  
عن الاسكندر أن الناس وأن اختلفت عناصرهم وقومياتهم الا أنهم جميعاً  
أبناء لأب واحد وهكذا توج الاسكندر حياته العظيمة بدور النبی  
الموحد أو المصلح الانسانى على مستوى أمم الأرض . ولكن في ذلك  
الخريف خسر الاسكندر صديقاً حميماً وهو هيفايستيون Hephæstion  
الذى كان يعتبره خليفته والشخص الثانى من بعده . وكان موت  
هيفايستيون بسبب الحمى التي أصيب بها في اكباتانا Ecbatana  
حسارة كبيرة للاسكندر الأكبر ولجيش المقدوني على السواء .

وقد حزن عليه الاسكندر بشدة وكرمه باعتباره بطلا قومياً ، بل  
ترك منصب القيادة التي كان يتولاها شاغراً واستمرت كتيبة هيفايستيون  
تحمل اسمه الى الأبد . وورى هذا البطل الثراب في جنازة رهيبة وذلك  
في بابل .

#### الاسكندر في بابل:

وفي ربيع عام ٣٢٣ دخل الاسكندر مدينة بابل التي كان يزعم جعلها  
عاصمة للامبراطورية ولم يعبأ ببعض النبوءات المتشائمة التي تنبأ بها  
كهنه الرب بل ( أويلوس Belus ) البابلى اذا ما دخل بابل (١) .

لقد اهتم الاسكندر بالخليج الفارسى وعمل على تحسين سبل  
الاتصال بين بابل والبحر وازالة كل العراقيل والعقبات التي كان الفرس

---

(١) لفظ بابل اسم اطلقه الساميون بمعنى « باب - بل » أى باب  
« الرب بل » .

يقيمونها في وجه الملاحة بين دجلة والبحر وعند مصب نهر دجلة أنشأ الاسكندر اسكندرية جديدة أصبحت فيما بعد مركزاً هاماً للتجارة ( خاصة بعد أن أعيد بناؤها باسم خاراكس ميني Carax-Messene ) كما أنشأ الاسكندر حوضاً كبيراً لخدمة السفن التجارية الكبيرة وكانت نية الاسكندر في ذلك هي احتلال الساحل الشرقي للخليج الفارسي •

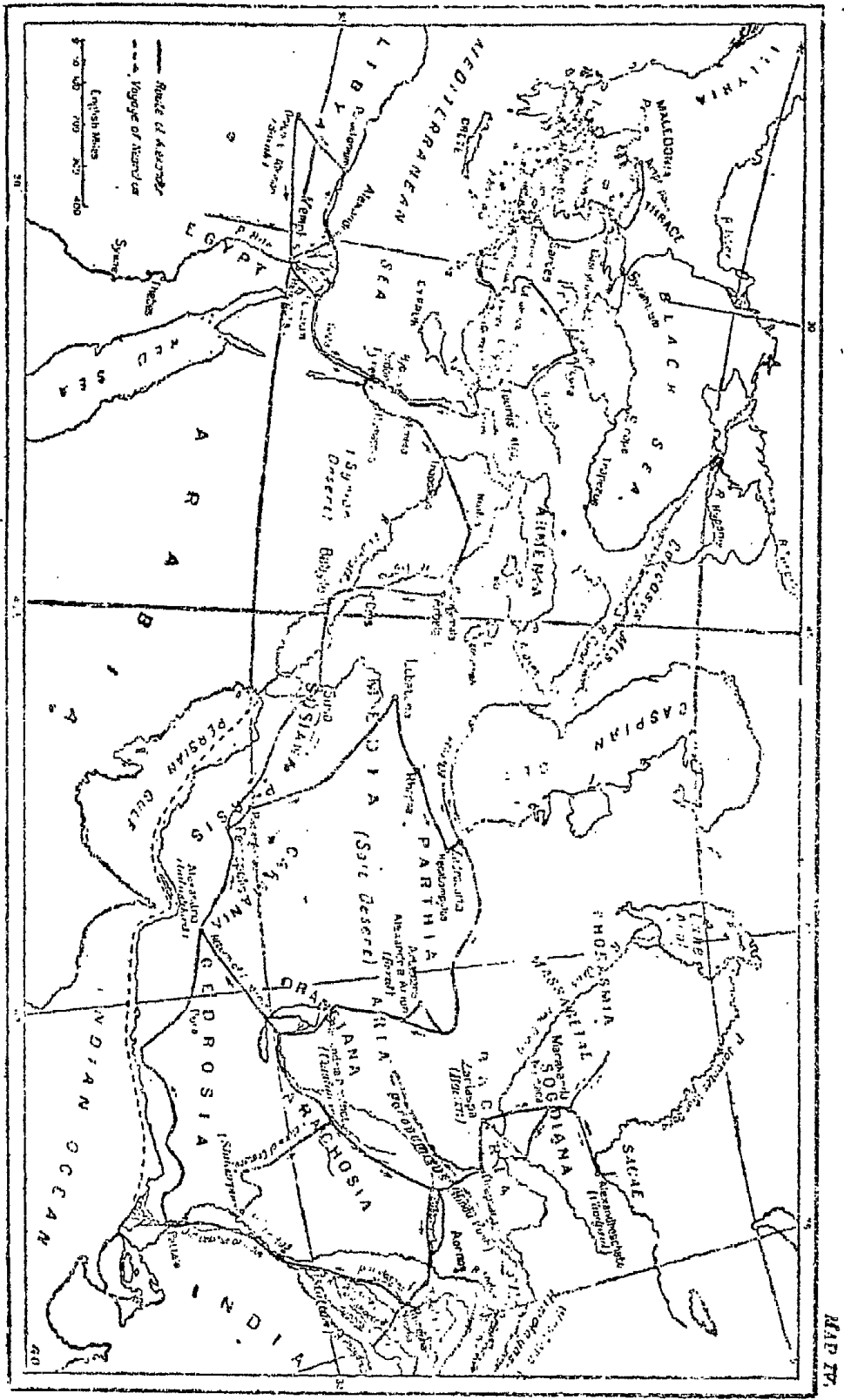
وهكذا حول الاسكندر بابل الى مركز تجارى وبحرى هام وقام بدراسة الطرق المائية في الفرات وروافده ومدى استغلالها في تنشيط الملاحة وتوطيد طريق الملاحة الجديد بين الهند وبابل •

#### الاسكندر وبلاد العرب :

ومن أجل ربط الطريق البحرى من الخليج الفارسي الى مصر ، عزم الاسكندر على اكتشاف امكانية الطواف حول جزيرة العرب ، وأعد لذلك عدداً من السفن الحربية التي بنيت في فينيقيا ونقلت الى الفرات • ويقال أن الاسكندر كان ينوى مرافقة الأسطول في تلك الحملة ذات الطابع الكشفي • ومن الجدير بالذكر أن الاسكندر لم يكن يعلم كثيراً عن بلاد العرب سوى أنها تابعة الى حد ما لفارس •

وقد حاول نيارخوس قائد الأسطول الطواف حول جزيرة العرب من الجانبين من الخليج الفارسي ومن خليج السويس في نفس الوقت ، فأبحرت سفينة من السويس جنوباً حتى وصلت الى اليمن ثم وصلت الى حضرموت (١) ، ومن ناحية أخرى أبحرت ثلاث سفن جنوباً من الخليج الفارسي وقد اكتشفت احدى هذه السفن جزيرة البحرين ثم تابعت السير حول شواطئ الجزيرة العربية حتى رأس مصندام Mussendam وكانت الأوامر الصادرة الى قائد هذه الرحلة هو الطواف حول شبه الجزيرة العربية الى أن يصل الى السويس وماكانت تلك الرحلة البحرية الا تمهيداً لحملة الاسكندر المزمعة لضم بلاد العرب وفك طلاسما • وتديد غموضها وعزلتها عن العالم المسكون •

(١) المرجع نفسه ص ١٨٦ ملحوظة رقم ٢ •



الطريق الذي اتبعه الاسكندر في غزواته الشرق الأوسط والاقصى



### الحمى القاتلة تدهم الاسكندر :

وبينما كان الأسطول على أهبة الاستعداد لبدء الحملة البحرية المزمعة على بلاد العرب ، أصيب الاسكندر بحمى (١) ودهم الوهن جسده المرهق من الحروب وكثرة الجروح والاجهاد الذى يفوق الطاقة ولكنه ظل يقاوم الحمى ويعمل على تجهيز الحملة ومناقشة الضباط المشرفين عليها الى أن أقعدته الحمى تماماً عن العمل ولم يقو حتى على الحراك . عندئذ نقلوه الى قصر الملك البابلي نيبختنصر Nebchtnessar وهو فاقد النطق عاجزاً عن الكلام وفي مشهد مؤثر راحت القوات تمر منكسة الرأس من أمام مليكهم المسجى على فراش الموت وهو يرمز مشيراً بالتقدير والامتنان .

وفي اليوم الثالث عشر من شهر يونيو عام ٣٢٣ ق.م فاضت روح الاسكندر الى بارئها وهو لم يكن قد أتم بعد عامه الثالث والثلاثين .

### تحليل لشخصية الاسكندر وانجازاته :

مات الاسكندر بعد أن فاقت شهرته الآفاق وحقق انتصارات لم تتح لأحد من قبله ، وفتح للعالم آفاقاً جديدة للوفاق والسلام . لقد كانت غزواته تهدف الى توحيد شعوب الأرض في اطار من الوفاق والوئام وهو ما عناه بلفظ الهومونويا (أو الكونكورديا باللاتينية Concordia) وليس الى غزو شعوب الأرض واستغلال خيراتها لصالحه . لأنه كان يسلم الأقطار بعد فتحها الى حكام محليين ولم يحاول الاحتفاظ بها لنفسه ، وهذا يلقي ظلالاً من الشك على الزعم القائل بأنه كان يهدف الى غزو العالم ورميه تحت قدميه كما أن كثير من فتوحاته كانت تتخذ شكل الاستكشاف البحرى لطرق الاتصال بين أجزاء العالم .

(١) بالرغم من هذا لم يسلم الأمر من الشائعات التى انتشرت تقول بينا أنه مات غدراً وحيناً أنه مات بالسهم ولكن من المؤكد انه مات ميتة طبيعية انظر : -

A.B. Boswerth The death of Alexander, the Great : rumours and propaganda Clase Quarterly, XXI, 1971, p. 118-186.

لقد كان الاسكندر انسانا نبيل الخلق ، كريم المعشر ، ذا ارادة صلبة كالحديد ولكنه كان عاطفيا شديد الانفعال ذا نفس جياشة بالمشاعر (١) ، لا يستطيع كبح جماح غضبه ، وكثيراً ما راح أعز المقربين اليه ضحية لثورة الغضب ، ومن ثم كان يعاني دائماً من نوبات نفسية عنيفة بسبب وخزات تأنيب ضميره بالندم على ما فعل عند ما تنحسر عنه موجة الغضب المجنون • ويثوب الى رشده • ويتمثل ذلك في حادثة مقتل صديقه الحميم كليتوس واعتكافه حزينا في خيمته لا يأكل ولا يشرب ولا يتحدث الى أحد •

ولكن بقدر ما ارتكب الاسكندر من أعمال مفرجة لا تقرها العدالة الانسانية بقدر ما قام بأعمال تتم عن عدالة مطلقة وشهامة خالصة ، فهو الذى حارب الظلم الواقع على الشعوب الشرقية من جانب المقدونيين وطالب بارمينيوس بمحاكمتهم واعدامهم اذا ما أدينوا •

لقد كان للاسكندر الأكبر شخصية مؤثرة وقوية طغت على كافة قواده وسحرتهم وجعلتهم يشعرون بأن مستقبلهم متعلق بمستقبله ، وهو بالرغم من هذا كان حلو المعشر فى علاقاته بقواده ، دافعا لهم على العمل وتحقيق النصر •

---

(١) من الكتب الحديثة التى اثارت جدلا بين العلماء كتاب كرافت K. Kraft, Der rationale, Alexander Edit H Gesche (Frankfurter Althistorische Studien 5) Kallmuenz uber Repenburg : Verlag M Lesleben (1971). وقد ظهر الكتاب بعد موت مؤلفه الذى فجر رايًا غريبًا هو أن الاسكندر كان رجلا واقعيًا يحكم تصرفاته العقلانية . ولكي يثبت ذلك كذب كرافت كل المصادر القديمة التى تتحدث عن الانفعال (Pathos) الذى كان يحكم تصرفات الاسكندر . وقد اتهم الأستاذ بوزورث Bosworth الذى عرض الكتاب (JHS, XCIII, 1973, p. 256-8) كرافت بأنه لوى الحقائق وداس على الأدلة وناقض كافة البحاثة المعاصرين لكي يبرر رايه القائل بأن الذى كان يحكم أفعال الاسكندر لم تكن العاطفة الجياشة والانفعال (Pathos) بل السياسة الواقعية (realpolitik) وبالرغم من غرابة جبدله واقحام أفكاره الى أن الكتاب فى مضمونه شيق وطريف ومحاولة لفرض الشخصية الالمانية على ذلك القاهر المقدونى .

كذلك يتميز الاسكندر بشخصية أبطال الأساطير في أعمالهم الخارقة والتي هي في الحقيقة أشبه بالمعجزات . وكان أخيلس هو نموذج المفضل الذي حاول دائماً أن يتشبه به في السراء والضراء كذلك أبدى إعجاباً بأبطال أسطوريين وبآخرين مثل هرقل ورب الخسر ديونيسوس (١) .

ولا يخفى على الدارس أن روح الاسكندر كانت تتسم بنزعة رومانسية خيالية الى جانب احساس قوى بالروحانية باعتباره ابن آمون ورسوله الى الانسانية لينشر فيها المحبة والوئام وليجنبها شرور الفرقة والآثام . ولقد دفعه هذا الميل الى الأحلام الى التشرب بروح الشرق وبسحره ورومانسيته فقصده غازياً ، ثم سرعان ما راح ينتقى الكثير من عادات الشرق وأفكاره لدرجة جعلته يدعو الى المزج الفكري والعنصرى بين الشرق والغرب بل شرب في نخب وئام جميع شعوب امبراطوريته الجديدة ، ولكن بالرغم من سيطرة الأفكار الحاملة وتعمق الايمان بالأسرار الخفية في نفس هذا القائد العظيم الا أنه لم يستسلم للغيبيات ، بل كان عملياً الى أقصى حد في تصرفاته ، اذا فهو مزيج من الخيال والواقعية ، من الغيبة والعملية والتأمل والتنفيذ ، وهذه ميزة لا تتحقق للكثير من البشر ، بل ميزته عن غيره من أبطال التاريخ . ذلك هو الاسكندر الانسان (٢) .

أما اذا تناولنا الاسكندر كقائد عسكري (٣) فيتوجب علينا أن

---

(١) Victor Ehrenbreg, Alexander and the Greeks, translated by Ruth (١) Von Velsen) Oxford, 1938, p. 104, p. 105.

(٢) هناك من يرى ان تغير سلوك الاسكندر كان نتيجة للوازع الدينى الشديد انظر :-

L. Edmunds, " The religiosity of Alexander, G.R.B.S., XII, 1971, p. 383-391.

وهذا حقيقى الى حد كبير .

(٣) من اوفى المراجع التى عالجت عبقرية الاسكندر العسكرية كتاب

Peter Greene, " Alexander. the Great Weidenfeld & Nicholson, 1970 = R.H. CC XLIX, 1973, p. 164).

د. إ. إ. كندا عرفنا من قبل في كتابه عن معركة سلاميس ( انظر ص هامش ) متخصص في الاستراتيجية العسكرية . وفي كتابه عن الاسكندر جمع كل ما يمكن أن يجمع عن الاسكندر ولكنه لم يستخدم الهوامش بطريقة علمية ، =

نعترف بعبقريته الفذة التي تغنت بها الروايات والأقاصيص ، فقد كان على الرغم من شبابه أستاذًا في فن الاستراتيجية العسكرية • وقد ظهر ذلك في تصرفاته أثناء المعارك وفي الانتصارات الكبيرة التي حققها ، فمثلا كان يبدى ثقة مطلقة بنفسه أثناء القتال : وكان يحرص على أن يتقدم قواته ويشرف على المعركة بنفسه وفي ذلك قلده القادة العظام من أمثال هانيبال ويوليوس قيصر وأغسطس ونابليون وروميل ومونتجومري • وكان وجوده بين قواته دائما لروح قتالية ومعنوية عالية ، ومن براعة الاسكندر في فن القتال والاستراتيجية استخدامه للقوات الاحتياطية في الوقت المناسب ، ولم يكن ذلك معروفا في الحروب القديمة من قبله ، كما برع الاسكندر في التنسيق بين أسلحة الجيش المختلفة في القتال وفي اختيار اللحظة المناسبة لبدء الهجوم وهو الذي علم العالم مزايا خوض المعارك في الشتاء ومطاردة العدو بأقصى حد ، وكشف عن القول العسكري المأثور « ازحف متفرقا أو قاتل متحدا » (١) • وبراعته القتالية كانت خفة الحركة وسرعة الانقضاض فهو لا يؤخر توقيت المعركة بل يقوم بها في حينها •

كان الاسكندر من القادة القلائل في العالم القديم ممن أبدوا تفهماً

---

= والكتاب رغم أهميته عسكري أكثر منه تاريخي لانه أفرد لمعارك الاسكندر الكبرى جرانيكوس وايسوس وجيلوم دراسة مسنيفة. لكنه لم يفوته ان يحلل نفسية هذا القائد فوصفه بأنه عسكري عبقرى ، ذو طاقة وطموح خواص وانه طموح وسياسى غامض وجندى عنيد وهزلى في بعض المواقف ومحب للتسلط الشرقى قاس لا يرحم ، يميل الى الانطواء على نفسه وتتحكم فيه عقده العظمه Megalomania والغرور المطلق Paranoic شديد الاعتقاد بالخرافات والشعوذة ، وجنون العظمة هو الذى قاده الى ادعاء الالهية والكتاب دراسة نفسيه دقيقة وحسابات عسكرية لا يقدر عليها سوى المتخصص ، كما ان الصور الجميلة التى ضمنها فيه تكمل الصورة النظرية عن حياة هذا القائد العظيم •

(٢) انظر تارن المرجع السابق ص ١٩٥ •

لنفسية الجندي • وأن الجيوش الكبيرة تقوم على الجندي الصغير ومن ثم حرص على رفع روحه المعنوية وتسليته والتسرية عن نفسه ، فكان يقيم المباريات الرياضية والترفيهية من آن لآخر ويشارك الجند - كما كان يفعل فيليب أبوه - مسراتهم وتسليتهم محافظة على العلاقة والمحبة التي تربطه بأفراد قواته • وبالتالي أبدى رجاله نحوه شعورا من الطاعة يكاد يكون مثاليا فقد ساروا وراءه في بلاد غامضة وقاتلوا معه في ظروف صعبة لمدة عشر سنين • وقد يظهر مقدار نجاح الاسكندر وجيشه في فتح الامبراطورية الفارسية وغزو الصحراء اذا ما أدركنا مدى فشل القادة الرومان من أمثال كراسوس وأنطونيوس في اختراق بلاد الفرس واخضاع البارثيين فيما بعد •

ومن ناحية ثالثة تبرز كفاءة الاسكندر في التنظيم والادارة المدنية وان كان انشغاله بالأمور العسكرية يأخذ معظم وقته ولم يدع له الفرصة الكاملة لاعادة تخطيط ولاياته وتطهيرها من الفساد والقوضى ، فعندما عاد من الهند وشاهد القوضى الادارية تسود ولايات امبراطوريته ، اكتفى بالتخلص من بعض الحكام بالقضاء القبض عليهم ومحاكمتهم وتعيين آخرين مكانهم ، لأن الاسكندر كان في ذلك الوقت مشغولا في مشروع الكشف البحري بين الهند ومصر •

والحق يقال لم يكن الاسكندر مجددا في مجال التنظيم والادارة لأنه احتفظ بالتراث الاداري الفارسي في الولايات فأبقى على نظام الساترابات ( الولاة ) • وربما أدرك الاسكندر أن تراث الحضارة الفارسية في مجال الادارة والتنظيم هو تراث قديم وتاج عبقرية وتجارب عصور طويلة فأبقى عليه لأنه لا يوجد خير منه ، ويبدو أن الاسكندر أدرك مدى نجاح الفرس في التخطيط والتنظيم عندما استخدم شبكات الطرق التي أقامتها هذه الامبراطورية لتربط بين ولاياتها وأقاليمها المختلفة ، ومن هنا يمكن أن نقول لقد سبق الاسكندر الرومان في تقدير ما خلدهته العبقرية الفارسية وأضافته الى تراث المكاسب الانسانية

والحضارية . فمثلا لم يغير الاسكندر في جوهر الولايات الفارسية باستثناء مصر التي أزاح عنها النظام الفارسي كلية ووضع لها نظاما أكثر استنارة وقدرة لحكم شعبها وهو النظام الذي قامت عليه دولة البطلمة فيما بعد واستمرت ثلاثماية عام تقريبا .

أما في الهند فقد أولى الاسكندر الادارة شيئا من الاهتمام ، ذلك أنه فصل الولايات الكبرى الهندية الواقعة غرب السند وكون ادارات صغرى يسهل ادارتها والاشراف عليها في اطار وحدة مركزية كبرى ، كما سلب الاسكندر السترايات الفرس الكثير من الامتيازات اذ حرهم من حق جباية الضرائب وسك العملة وجعل خيمته مفتوحة أمام أى فرد من أفراد الشعب لتقديم شكواه مثلما كان الحال في مقدونيا .

أما بالنسبة لحلفائه الاغريق سواء في أيونيا أو حول البحر الأسود أو في بلاد اليونان ، فقد حاول الاسكندر توحيد الاغريق بمقتضى حلف كورثا ، وفي وجه مصاعب نفسية وتاريخية لأن هذه المدن قضت معظم تاريخها مفككة الأوصال متقاتلة . وحاول أن يمنح المدن الصغيرة حقوقا مماثلة للمدن الكبيرة باسم الحرية لكل الاغريق بل ان الاسكندر كان في كثير من الحالات همزة الوصل بين هذه المدن فوحدتها كانت تقوم على شخصيته (١) ولكنه يبدو أنه عامل مدن آسيا الصغرى بطريقة تختلف عن معاملته للمدن الاغريقية أعضاء حلف كورثا . لأنه حررها وتركها لشأنها ، ويرى البروفيسور أهرنبرج أن الاسكندر راح يتحرر من الأفكار الاغريقية التقليدية مما أدى الى ظهور التوتر بينه وبين حلفائه الاغريق لأن مشاعره النهائية لم تكن اغريقية ولامقدونية ولافارسية بل من خلق الاسكندر نفسه أى اسكندرية (٢) فمعظم رفاقه من الاغريق جاءوا من المستوطنات ومن الجزر المختلفة ، ولهذا كانوا أكثر تحرا من قيود و «عقد» عباد نظام دويلة المدينة Polis (٣) ، ولكن قلة من الاغريق

(١) المرجع السابق ص ١٩٨ سنة ١٩٩ كذلك .

Victor Ehrenberg. Alexander and the Greeks, op. cil. p. 103 ff.

op. cit. p. 104.

(٢)

op. cit p. 108 f.

(٢)

كانت تبغى بقاء هذا الاتحاد وتحن الى الماضى القديم وتأسف على الحرية المسلوقة وفقدان حق السيادة الخارجية .

أما بالنسبة للإدارة المالية فقد كانت نقطة الضعف فى نظام الاسكندر . اذ أنه خلق نظاما ماليا وعين مشرفين ماليين . ونشأت طبقة من الموظفين الماليين للإشراف على جباية الأموال من عامة الناس الى خزانة الاسكندر وكان هاربالوس يترأس هذا الجهاز المالى . ولكن وجود الاسكندر بعيدا شجع هؤلاء الموظفين على الفساد والابتزاز وانتشرت الرشوة بين هؤلاء الموظفين ونسمع كثيرا عن سلسلة الجرائم والآثام التى قام بها هاربالوس أثناء غياب الاسكندر فى الهند . وقد ارتكب كليومينيس النقراطيسى جرائم مالية أبشع فى مصر فقد احتكر بيع القمح وحرم تصدير المحاصيل الا ما هو خاص به مما أدى الى افلاس التجار المصريين كما قام ببيع القمح لعامة الناس بأثمان باهظة على طريقة النهب التى كانت سائدة فى بلاد اليونان . فضلا على الأموال التى نهبها وابتزها من المعابد والمظالم الأخرى التى ارتكبها ، ويقال أن كليومينيس أمكن أن يجمع ثمانية آلاف من التالنتات فى حين أن أغنى رجل فى ذلك الوقت لم تتجاوز ثروته مائة وستين تالنتا كل هذا تم والاسكندر بعيد غارق فى مشروعاته العسكرية والايديولوجية لا يعلم شيئا عما يدور من خراب فى مصر (١) .

ومن الاجراءات المالية التى قام بها الاسكندر توحيد العملة النضية واتخاذ المعيار الأتيكى أساسا مع تغيير بسيط وهو جعل الأستاتير الأتيكى ( وحدة التعامل ) مساويا لعشرين دراخمة فقط بدلا من أربعة وعشرين فى الماضى . وبهذا تبنى الاسكندر النظام العشرى الفارسى ( وهو أن الدارك Darek الذهبى يساوى عشرين شكلة فضية Sigloi ) ، وكان الهدف هو أن تكون العملة الموحدة دافعا لنهضة تجارية قوية .

وقد يؤخذ على الاسكندر سخاءه الذى بلغ حد الاسراف والتبذير

---

(١) انظر دفاع العبادى عن كليومينيس ورد ابراهيم نصحى على ذلك الدفاع ابراهيم نصحى المرجع السابق الجزء الاول ص ٣٥ .  
( ٢٦١ الانريق )

في منحه للمكافآت واتفاقه على حفلات الزواج والترفيه وفي تقديم الهدايا الى الأمراء والعلماء والفنانين ، وعلى بناء المدن والمنشآت ، فضلا عن نفقات الحرب وتبديد الموظفين الجشعين ، وبالرغم من توافر الإيرادات خاصة من أموال دارا المصادرة إلا أن معدل النفقات كان يزيد بكثير عن الإيرادات ولو كان العمر قد طال بالاسكندر لواجه مشاكل مالية كبرى .

كذلك يشهد التاريخ بأن الاسكندر هو أحد البناة العظام ومؤسس المدن عبر التاريخ . وقد بالغ التراث في رواياته عندما نسب اليه بناء سبعين مدينة . ولكن المؤكد أنه أسس مالا يقل عن ست عشرة اسكندرية معظمها أقيم في الأراضي الواقعة شرق نهر دجلة وفي شمال الهند . وكانت الاسكندرية في مصر هي المدينة الوحيدة التي أنشأت على الساحل الافريقي . ويبدو أن الاسكندر وضع خططا ووعد ببناء الكثير من الاسكندريات الأخرى . وقد ورث عنه خلفاؤه حمى البناء والتعمير .

كان الاسكندر هو صاحب نظرية التعمير والاستيطان في العالم خاصة في آسيا من أجل الاغريق ولكن الاستعمار المقدوني الجديد كان يختلف كلية عن فكرة الاغريق القديمة عن الاستعمار الاستيطاني الذي مر به التاريخ الاغريقي ابان القرنين السابع والسادس ق.م فالمستوطنات المقدونية كانت عالمية لكل الأجناس ولم يكن سكانها مجلوبيين من مدينة اغريقية معينة . ولم يكن هدف هذه المدن تجاريا استغاليا كما كان في الماضي لأن كثير من الاسكندريات كانت بعيدة عن البحار والمخارج المائية . بل كان هدف الاسكندريات هي أن تكون منارات لنشر الثقافة الاغريقية في آسيا وأفريقيا وأن تكون في نفس الوقت بوتقة لمزج شعوب الشرق مع شعوب الغرب .

والدليل على ذلك لم تكن مدن الاسكندرية نموذجا من المدينة الاغريقية القديمة بحريتها واستقلالها واكتفائها الذاتي بل كانت مؤسسات مدنية حضارية ذات رسالة انسانية ولكنها مقامة أساسا على الطراز الاغريقي .

كانت المدينة السكندرية تقوم أساسا على مساحة من الأرض



تابعة للملك كما كانت نواة مجتمعها اغريقية يجيء على قمتها أقلية  
مقدونية متمتعة بحقوق وامتيازات خاصة ، وبعد ذلك تجيء الجاليات  
العنصرية المختلفة والتي كانت تتمتع بحقوق ذاتية ، وأخيراً يأتى أقلية  
من الأهالى الوطنيين ، المقدونيين والاغريق يجيئون على قمة المجتمع  
ومتتمعون بكافة الحقوق المدنية . وكان من الطبيعي أن تكون القوانين  
والأجهزة الادارية والقضائية اغريقية . ويبدو أن مدن الاسكندر  
الحضرية لم تكن لتشتمل على مجالس شورى ولا مجالس شعبية على  
النحو الذى كانت عليه المدن الاغريقية فى العصر الكلاسيكى . ولكن كان  
أهالى المدن خاضعين وملزمين لمجموعة من القوانين والتقاليد العرفية  
الاغريقية وكان اليهود وحدهم مستثنون من ذلك التقيد . وربما كانت  
فكرة الاسكندر فى اغفال الحقوق السياسية للمدن الاغريقية الجديدة  
هدفا لتوحيد العناصر الخليفة من السكان فى قالب الاغريقى الموحد وابعاد  
شبح العنصرية الهلينية التى كانت تتمثل فى الأجهزة السياسية القديمة  
للمدن . والتى وجدها الاسكندر بلا شك عائقا لفكاره العالمية . أيضا  
كانت مدن الاسكندر خاضعة لحكام أشبه بالملوك يعينهم بنفسه  
وليس كما كانت فى الماضى تقوم على مبدأ انتخاب الحكام ، وعلى  
أجهزة شعبية سياسية خلفت التعصب والتطرف ، والنزعة الى عدم  
الاندماج فى اتحاد سياسى شامل . وقد عانى الاسكندر ومن قبله أبوه  
فيليب من تلك النزعات العمياء . ولهذا جاءت مدن الاسكندر  
كمؤسسات مسلوبة الارادة السياسية وأشبه بحواضر مدنية خاضعة له  
كلية .

وإذا تركنا الحديث عن شخصية الاسكندر وانجازاته لنحاول تحليل  
أيدولوجيته وآراءه الخاصة بوحدة ومزج شعوب الشرق والغرب .  
مزجا عنصريا وحضاريا فى اطار هلينى ، فان هذه الايدولوجية برغم  
ماتبدو عليه من عظمة وجرأة الا أنها كانت فى حقيقتها طوباوية بعيدة  
التحقيق . بدليل أنه فشل فى النهاية فى تحقيقها ودفنت معه فى القبر وقد  
سبق أن أشرنا الى الطابع الحالم المتأصل فى آراء الاسكندر السياسية .

وترجع أسباب فشل هذه الايديولوجية الى رفض فريق كبير من السكان الاغريق والشرقيين على السواء التخلي عن كيانهم ووجودهم العنصري والقومى ، والتغلب على الدافع النفسى الطبيعى فى الحفاظ على عنصرهم مميزاتا فى سبيل الاندماج مع شعوب غريبة . حقيقة أن الاغريق اختلطوا مع كثيراً من العناصر السكانية فى الماضى خاصة فى ايونيا والاناطول وفى غيرها من المناطق التى استوطنوها . بل وأثمر الزواج عن ظهور شخصيات هامة فى المجال الثقافى والسياسى من أمثال هيرودوت وثيستوكليس وثوكوديديس . ولكن كان ذلك اختلاطاً طبيعياً نشأ من نفسه دون تخطيط أيديولوجى .

كان الاسكندر يحلم بحكومة مركزية واحدة لإمبراطورية متعددة القوميات على نحو أوسع مما كانت عليه الامبراطورية الفارسية (١) . ومن أجل ذلك عين حكاماً من الفرس . ولكن هذه الفكرة انهارت بعد موته بل انه اصطدم فى حياته بقوميات رفضت الانصياع تحت لوائه مثلما حدث مع الصفديين وفى كبادوكيا وأرمينيا وغيرها .

ولكن ليس من العدل أن نحكم على هذه الأيديولوجية بالفشل التام لأن السيليوكيين (Seleucids) خلفاء الاسكندر فى سوريا وآسيا الصغرى ساروا قدما بسياسة تأسيس المدن التى بدأها ذلك الفاتح العظيم فانتشرت الحواضر الاغريقية فى آسيا الصغرى وراحت تشع حضارة وثقافة فى مناطق نائية فى آسيا بلغت حتى أطراف الهند . ولهذا يقال أن الاسكندر فشل فى توحيد العناصر السكانية ولكنه نجح فى توحيد الثقافة والحضارة العالمية على أسس ومعايير اغريقية أكثر منها مقدونية .

وجد الاسكندر نفسه حاكماً على امبراطورية شاسعة وسيداً على شعوب مختلفة وقوميات متناقضة العقليات والأمزجة ، وكان من باب المحال أن يقيم الاسكندر نظاماً منسقاً مقبولا يفرضه على كل هذه الشعوب والقوميات الغير متجانسة ، ومن ثم لجأ الى نفسه وشخصيته

(١) عن أحلام الاسكندر وخططة انظر :

Harvard Studies in Classical Philology LXXXII (1968) p. 183 ff. (Badian).

المقدسة كقاسم مشترك بين جميع هذه الشعوب والقوميات • وأدرك أن فكرة تأليه نفسه سوف تجعل منه الها واحداً يحكم بمقتضى سلطته المقدسة في كل مكان سواء في الشرق أو في الغرب • وبهذا تقمص الاسكندر شخصية الاله الأوحد بصوره المتعددة ، ففى مصر كان ابن آمون رع بينما كان عند الاغريق ابن زيوس - آمون ، وقد واثته الفرصة عندما راح الفلاسفة والسياسيون يتحدثون عن الاله في صورة البشر ، مشيرين بذلك الى فيليب ومن بعده الاسكندر • وفى عام ٣٢٤ ق • م اعترفت به مدن حلف كورثا الاها اسمى فوق كل البشر يحكم بالسلطة المقدسة وتصرفاته الهام من الساء وأنه على حق دائماً لأنه الاله الذى لا يخطئ • ولكن يبدو أن هذا الادعاء لم يكن سوى وسيلة لحكم شعوب الامبراطورية لأنه لا يوجد دليل على قيام عبادة ذات طقوس وهاكل كهنوتية لعبادته اللهم الا بعد موته حيث نسمع عن كهنة الاسكندر وذلك تعبیر عن عبادة الملك والدولة والسلطة • وهى انعكاس لعبادة الشخص الحاكم *Cult of Personality* التى سادت فى العصر الهلينستى والتى تذكرنا بطوك الاباطرة الرومان ذيما بعد وهى بكل تأكيد من تأثير فتح الشرق •

على أى حال فان موت الاسكندر مبكراً حرمانا من معرفة المشروعات الأيديولوجية الكبرى التى كان يزعم القيام بها لتوطيد دعائم الامبراطورية العالمية سكانيا وسياسيا وحضاريا واقتصاديا ، وتوثيق الروابط بين ربوعها وخلق الشعور الانتمائى المشترك بين شعوبها وهذا يجعل الحكم على نجاحه أو فشله فى تحقيقه لامبراطورية عالمية قابلاً للجدل • كذلك أهمل الاسكندر مشكلة من يخلفه ويكمل رسالته اذ أنه لم يمتد به العمر لينجب أو يتبنى ابناً يعلمه ويدربه لاكمال رسالته مثلما فعل أبوه فيليب ومثلما حرص الامبراطور الرومانى أغسطس على أن يفعل • ولكن بالرغم من كل هذه النقائص والعيوب الا أننا لا يمكن أن نتقص من شخصية الاسكندر الخارقة والمبدعة والمتنوعة بل أنه نجح الى حد كبير فى خلق تراث عالمى وبدأ آفاقاً لعالم جديد سطعت فيه شمس الحضارة الاغريقية فى سماء الشرق الخالد •

ومن ناجية أخرى أحس الشرق بفطرته الروحانية أنه أمام أعظم شخصيات التاريخ والانسانية . ففتح صدره لهذا القائد النادر المثال ومن ثم راحت صورته تنظبع في خيال ووجدان كثير من شعوب الشرقين الأدنى والأوسط . وبدأ خيال هذه الشعوب ينسج أسطورة الاسكندر الاله المخلص ، رائد المحبة والوئام والمساواة ، دافع الظلم عن المتقهورين ومحقق السلام على الارض والمسرة في الناس .

وبقيت سيرته طويلاً تتداول بين هذه الشعوب ، وحيكت من حوله انتصص وأضيفت عليه القداسة والرسالة الالهية وهذا في حد ذاته نجاح للاسكندر في محاولة خلق فكر مشترك بين جميع شعوب العالم اذ نسج عنه أكثر من ثمانين رواية (١) صيغت بأكثر من أربع وعشرين لغة سادت من بريطانيا حتى الملايو .

لقد حاول الاسكندر في الحقيقة أن يحل محل الامبراطورية الفارسية في خاق وحدة سياسية بين قوميات مختلفة عن طريق التنسيق بينها بوسيلتين : الأولى شخصية الملك التي يلتزم ازاءها كل فرد في الامبراطورية بالولاء المقدس ، والثانية عن طريق تشجيع التجارة ووسائل الاتصال الحضارى بين هذه الشعوب والقوميات بحيث لا تحس بأن هناك فواصل بينها . وهى نفس الأسس التي أقام الرومان عليها امبراطوريتهم العالمية على يد أغسطس وحلفاؤه .

والشئ الذى لا نستطيع انكاره بتاتا هو أن الاسكندر فجر عهداً جديداً للحضارة الاغريقية وفتح أمامها أفقا بعيدة بصورة لم تتحقق لها من قبل . اذ أصبح العالم لأول مرة بيتا مسكونا لكل الناس (Oikoumene) وأصبح المثقفون يعتبرون أنفسهم مواطنين لا في مدن صغيرة كما كان في الماضى بل مواطنين في العالم بأسره Kosmopolites وهكذا أتاحت أفكار الاسكندر للحضارة الاغريقية أفقا جديدة وفتحت أمامها عالما واسعا ومجالا جديدا لتجرب فيه علومها وفنونها وأفكارها حيث بذرت حبوبها في تربة الشرق الخصبة لتعطي نباتا حسنا . ولم تعد

(١) قارن المرجع السابق ص ٢٢٢ .

الثقافة الاغريقية وقسا على الاغريق والمقدونيين وحدهم بل تعدتهم الى شعوب ليست اغريقية أصلاً . وأصبح لفظ هيليني يحمل معنى حضارياً وثقافياً أكثر منه عنصرياً . واختفت اللهجات الاقليمية في اللغة الاغريقية وحل محلها لهجة مبسطة وسهلة وعامة (Koine) لكل الناس في كل مكان في جميع أطراف الأرض .

هكذا أيقظ الاسكندر في وجدان الانسانية حيناً للوحدة الفكرية والروحية وخلق تسامياً عن الأفكار الضيقة والصراعات البغيضة ، وأوجد عشقاً للسلام والأخاء والمحبة وتلك كانت مقدمة للحضارة الاغريقية في ثوب جديد مستشرق يعرف بالهلينستي Hellenistic .

#### بلاد اليونان تحت السيطرة المقدونية :

عندما غادر الاسكندر بلاد اليونان في طريقه لغزو بلاد الفرس ، عين أنتيباتر Antipater نائباً عنه لحكم مقدونيا وبلاد اليونان وربما فكر الاغريق كثيراً في القيام بحركة تمرد ضد مقدونيا أثناء غياب الاسكندر في الشرق ولكن عندما جاءت أنباء انتصاراته الساحقة خاصة بعد معركة ايسوس ادرك الاغريق أنه من الخير لهم أن يتوخوا الحذر والحرص قبل القيام بأي حركة تمرد خوفاً من انتقام نائب الاسكندر في ييللا ولهذا تظاهر الاغريق من أعضاء مؤتمر كورثا بمباركة انتصارات الاسكندر وبعثوا اليه بتاج من ذهب ليكلل جبينه المنتصر . وعندما تزعم ملك اسبرطة (١) آجيس الدعوة لشن حركة تمرد للقضاء على النفوذ المقدوني في البيلوبونيسوس بعد عام من انتصار ايسوس وانضم لهذه الحركة كل أركاديا - باستثناء ميجالوبوليس التي رفضت الاشتراك في هذا التمرد ، نجد أن لا أحد من دويلات حلف كورثا يتدخل بل آثروا الترقب والانتظار . وكان ذلك خيراً لهم لأن انتيباتر اندفع بقوة هائلة لمساعدة ميجالوبوليس ملحقاً بالثوار هزيمة ساحقة . كما سقط الملك آجيس ملك اسبرطة قتيلاً وبذلك سحقت ثورة البيلوبونيسوس في مهدها .

(1) Cf. E.N. horza, " The End of Agis' revolt, Class Review LXVII, 1971, P. 230-235.

لقد تمنى الحلفاء الاغريق في قرارة أنفسهم بشدة أن يلحق الفرس هزيمة بالاسكندر ومن ثم يجدون فرصة في التحرر من الاستعمار المقدوني ، ولكن هذا الأمل تضاعف تماما بعد موت دارا وانهيار الامبراطورية الفارسية . ويمكن أن نقول أن السلام ساد بلاد الاغريق أثناء غياب الاسكندر في الهند ولم يحدث شيء عكر صفو هذا السلام . حقيقة ، لقد ساد الهدوء بلاد الاغريق منذ سقوط وتدمير طيبة واستمر هذا الهدوء والسلام الى أن أعلن نبأ موت الاسكندر . وقد يرجع هذا الهدوء والسلام العاقل الى القيادة الحكيمة التي تزعمها كل من فوكيون ولوكرجوس فضلا عن اتسام آراء ديموستينيس حينئذ بالاعتدال والتعقل تجاه السلام المقدوني .

#### احتدام الازمة بين ايسوقراط وديموستينيس :

بدأت ملامح الازمة بين أنصار السلام المقدوني ودعاة الوطنية الأثينية المتطرفة عندما تقدم أحد الزعماء واسمه كتي سيفون باقتراح بتكريم الخطيب ديموستينيس لما أداه من خدمات خاصة بعد تبرعه من أمواله الخاصة لاصلاح وترميم أسوار أثينا . وطالب كتي سيفون أن يكلم ديموستينيس بتاج من ذهب في حفل علني يقام على مسرح المدينة . ووافق مجلس الشورى على هذا الاقتراح ولكن هذا الاقتراح أثار حقد وغضب أيسخينيس Aeschines العدو الشخصي والسياسي منذ وقت طويل لديموستينيس فشن هجوما عنيفا في خطبة شديدة اللهجة ألقيت عام ٣٣٠ ق.م اتهم فيها كتي سيفون بالتعدي على القوانين بتقديمه مثل هذا الاقتراح . وفي الحقيقة لم تكن خطبة أيسخينيس سوى استعراضات لتاريخ ديموستينيس السياسي منذ عام ٣٥٧ الى عام ٣٣٠ ق.م مينا ماجره من نكبات ، متهما اياه بالخيانة والتفريط في حقوق الأمة كما اتهمه باللامسؤولية . ورد ديموستينيس على هجوم أيسخينيس بخطبة تعتبر قطعة غراء من البلاغة السياسية سحرت ألباب الحاضرين جميعا وعند التصويت لم يحظ اقتراح أيسخينيس المضاد بموافقة أحد سوى عدد قليل بينما اكتسح ديموستينيس خصمه في المجلس مما دعى أيسخينيس الى هجران السياسة تماما والانسحاب من

المجتمع الأثيني بل غادر المدينة ليحيا حياة هادئة في الريف وهكذا توأى  
أيسخينيس عن الأضواء الى طي النسيان .

أثينا تستغل السلام المقدوني في بناء نفسها :

وبالرغم من عظمة العمل المقدوني الذي غير الموازين السياسية في  
حوض البحر المتوسط وفي الشرق الأوسط الا أن بلاد اليونان - خاصة  
أثينا - ظلت على مجدها الحضارى والتجارى . اذا احتفظت أثينا  
بمركزها السياسى والحضارى والتجارى كعاصمة لكل بلاد اليونان ،  
ومما ساعد في عملية البناء الاقتصادى والعمرانى اتجاه السياسة الأثينية في  
هذه الفترة الى الدعوة الى السلام ، وبذ الحرب ، مما وفر لها النفقات  
الطائلة التى كانت تنفقها على الحروب وتستغلها في بناء نفسها ذاتيا  
وعسكريا وسياسيا من أجل استعادة نفوذها المفقود فيما وراء البحار .  
ومن أجل هذا راحت تنفق الأموال الطائلة على بناء الأسطول من جديد  
حتى جاوز الأربعماية سفينة ، ولحسن حظ أثينا كان المشرف على  
حسابات المدينة وثقاتها رجل عاقل حكيم اسمه لوكرجوس (Lucyrgos)  
وقد قام لوكرجوس بعدة مشروعات عمرانية كبرى في أثينا منها بناء  
الاستاد الكبير على ضفاف نهر الليسوس بمناسبة أعياد الباناثينا ،  
ومنها أيضا الجمنازيوم الشهير في ضاحية لوكايوس Lyceum (١) حيث  
تقع الأجمة المقدسة لدى الاله أبوللون وربات الشعر والفنون والمعرفة  
(Musae) وحيث كان أرسطو يعشق التجول فيها مع مريديه ليحاضرهم  
أثناء المسير (٢) . ومن أعظم الأعمال التى تركها لنا لوكرجوس الأثينى  
مسرح ديونيسوس الكبير ذا المدرجات الرخامية والمقام في رحاب  
الأكروبول الذى لا تزال أطلاله من أهم ملامح آثار هذا المرتفع العظيم .

وعلى أى حال لم تظهر أى بادرة من أثينا توحى بتغيير سياسة  
الانصياع للاسكندر الا عندما أعلن الاسكندر قراره الشهير بوجوب قبول

(١) من هذا الاسم اشتق لفظ اللىسية Lycée في اللغة الفرنسية

كمكان للتعليم والدراسة .

(٢) ولذا عرفت مدرسته باسم المشائين Peripatetic School .

الغنيين السياسيين ومنح جزيرة ساموس الاستقلال والتحرر من السيطرة  
الأثينية عندئذ اعترضت أثينا على ذلك القرار وأيدها في ذلك أيتوليا والتي  
كانت تخشى على نفوذها في إكارنايا. ولكن لم تجرؤ أثينا على اعلان هذا  
الاعتراض عندما أرسل الإسكندر رسوله نيكانور Nikanor ليعلن ذلك  
على الملأ إبان المهرجانات الأولمبية بل كتبت غيظها في نفسها منتظرة  
فرصة مواتية لاعلان هذا التمرد .

### هاربالوس وثروته يسببان أزمة بين الاغريق ومقدونيا :

سبق أن أشرنا كيف أن هاربالوس أمين خزانة الاسكندر اختلس  
أموالا كثيرة بطرق غير شرعية لنفسه ، ويقال أنه جبح مالا يقل عن خمسة  
آلاف تالنت ثم فر هاربا ، وفي عام ٣٢٤ ق. م وصل هاربالوس الى  
شواطئ بلاد اليونان في صحبة جيش صغير من المرتزقة ويحمل ثروته  
الطائلة وطلب الدخول الى أثينا فسمح له ذلك بشرط أن يسرح جيشه  
الصغير ، وبالفعل دخل هاربالوس ومعه سبعمائة تالنت ، وأعلن الاثينيون  
أنهم سوف يتحفظون على هذه االثروة لحين أن يبعث الاسكندر في طلبها .  
وبناء على اقتراح ديموستينيس ألقى القبض على هاربالوس ووضعت  
ثروته تحت حماية الدولة في خزانة الأكروبول . وكلفت لجنة بخراساتها  
كان ديموستينيس نفسه عضوا فيها ، وسرعان ما وصل فيلوكسينوس  
أمين خزانة الاسكندر في غرب آسيا الصغرى مطالبا بتسليم هاربالوس  
اليه باعتباره عامل أموال سابق في بابل كما وصل رسول آخر جاء  
من ييللا مبعوثا من طرف أتيباتر نائب الملك في مقدونيا ليطالب أيضا  
بتسليم هذا المختلس ومصادرة ثروته . ولكن الأثينيين أعلنوا أنهم لن  
يسلموا هاربالوس الا لندوب الاسكندر شخصيا ، أما هاربالوس فقد  
تسكن من الهرب خارج أثينا وظل مطاردا الا أن اغتاله أحد شركائه في  
الاختلاس .

أما الثروة المصادرة فقد ظلت في حراسة اللجنة المعنية ، ولكن عند  
جردها لم يعثر الا على ٣٥٠ تالنتا فقط . وبرعان ما وجه اتهام الى  
مجموعة من السياسيين باختلاس ٣٥٠ تالنتا من الثروة وأشيح أنهم



اقتسموا. هذا المبلغ فيما بينهم ، وجاء ذكر اسم ديموستينيس بأنه تقاضى  
عشرين تالنتا . وقد اعترف ديموستينيس بذلك وكان تبريره أنه كان في  
ضائقة مالية بعد تبرعه بعشرين تالنتا لصالح خزانة صندوق التسلية  
Theoric Fund وأنه عوض هذا المبلغ من مال الاسكندر وهو لا يرى  
في ذلك عيبا ، وبالفعل أدين ديموستينيس بتهمة التبيد والاختلاس  
وحكم عليه بغرامة قدرها خمسين تالنتا . ووضع في السجن لحين دفع  
الغرامة » ولكنه تمكن من الهرب ، وظل ينتقل ما بين جزيرة ايجينا  
Aegina ومدينة تريزن Troezen متحينا فرصة للعودة الى  
أثينا .

#### اعلان موت الاسكندر ورد الفعل على الاغريق :

جاءت الأنباء تحمل خبر موت الاسكندر العظيم ، ولكن بناء على  
تجربة سابقة لم يصدق الاغريق أو بمعنى آخر آثروا التريث ، وقال  
ديموستينيس معلقا على هذا النبأ « لو كان الاسكندر قد مات حقا ،  
لمأت رائحة جسده أنوف العالم بأسره » (١) .

ولما أصبح النبأ حقيقة أعلنت أثينا وأيتوليا الثورة ضد السيطرة  
المقدونية وانضمت اليهما عدد كبير من دويلات مدن شمال بلاد اليونان  
وجندت أثينا ثمانية آلاف مرتزق من جنود الاسكندر السابقين لحمل  
السلاح وكلفت قائدا اسمه ليوستينيس Leosthenes بقيادة الحرب  
واستدعت ديموستينيس ليعود الى خطبته القديمة وليعبد جهد مشاعر  
الاغريق القومية ضد مقدونيا وتمكن ليوستينيس من احتلال قلعة لاميا  
Lamia المواجهة لمر الترمويلاي في شمال بلاد اليونان ، واندفع  
أنتيباتر الى لاميا ليسحق المتسردين ولكن فرسانه التساليين تمردوا عليه  
مما جعله يتحصن بالقلعة ، ومن ثم وجد نفسه محاصرا داخلها بواسطة  
ديموستينيس وقواته وظل محاصرا طوال شتاء عام ٣٢٢ ق.م وأخيرا

(1) Cf. A.B. Bosworth, " The death of Alexander, the Great rumours and  
propaganda Class. Quarterly, XXI, 1971, p. 112-136.

جاءت النجدة لأتتباتر من فريجيا Phrygia في آسيا الصغرى اذ وصل حاكمها ليوناتوس Leonnatus الموالى لمقدونيا ومعه قوة كبيرة تمكن أتتباتر بمساعدتها من تحطيم الحصار والاتصال بفلول القوات المقدونية، وقد تحسن وضع المقدونيين كثيرا عندما وصلتهم نجدة ثانية من آسيا الصغرى بقيادة كراتيروس وبعد معركة عنيفة في سهل كرانون Cranon بتاليا سحق أتتباتر قوات الاغريق ولكن نصره كان هزيعا ، وكان يمكن للاغريق كسب المعركة لولا تشتت صفوفهم وتفككهم سياسيا مما أدى الى انخفاض روحهم المعنوية خاصة عندما تقدم أتتباتر عبر تساليا مهددا باحتلال أثينا ، وانهارت روح الاغريق المعنوية وأذعنوا لشروط أتتباتر القاسية ، اذ أرغم أثينا على قبول حامية مقدونية دائمة فوق الأكروبول ، وفي قلعة مونيخيا Mynchia لمنع ولقمع أى حركة تمرد قد تقوم بها أثينا ضد مقدونيا مستقبلا سواء بمفردها أو بمساندة الاغريق الآخرين ، كما اشترط على أثينا تسليم زعماء الثورة ضد مقدونيا وهما ديموستينيس وهيريديس •

كذلك اشترط أتتباتر (١) على الوفد الأثيني الذى جاء للاستسلام والذى كان يتكون من الجنرال العجوز فوكيون وديماديس صديق المقدونيين أن تغير أثينا من فلسفتها الديمقراطية باعطاء الملكية عين الاعتبار عند الممارسة حتى لا يسيطر على الحزب الديموقراطى الغوغاء والمعدمون وغيرهم ممن يستوى لديهم السلام والحرب ان لم يؤثروا الحرب على السلام •

وبناء على شروط التسليم بعث أثينا الى ديموستينيس الذى كان يزور مدن البيلوبونيسوس ليحرضها على الثورة - بعثت اليه تطلب منه

---

(١) كان أتتباتر قد أوكل له حكم مقدونيا نيابة عن ابن الاسكندر الذى لم يكن قد ولد بعد ونيابه عن شقيقه فيليب الابن Philip Arrhidaios عند توزيع الامبراطورية على الورثة انظر :

Fr. Schachermeyer, " Alexander in Babylon und die Reichordnung nach Seinen Tode : Sitzungsber des Osterr. Akad des wissens, Philose. Hist. Klass 2»8/3 (1970) = J.H.S., XC, 1970, P. 49-77.

العودة فأدرك معنى ذلك فهرب هو وصديقه هيريديس وقد التجأ الأخير الى معبد الاله أياكوس Aeacus في جزيرة ايجينا بينما التجأ ديموسثنيس الى معبد بوسيدون في جزيرة كالاوريا Calauria . وبناء عليه فقد حكم عليهما بالموت غياييا ، ووصل رسل أثينا الى ايجينا وكالاوريا حيث استسلم هيريديس وأعدم ، أما ديموسثنيس فقبل أنه ابتلع سما كان يخفيه بداخل أحد أقلامه مفضلا الموت بيده على أن يموت بسيف المقدونيين .

وبهزيمة الأثينيين في كرانون انتهت الى غير رجعة عهد الوطنية والكبرياء والصراع الذي كان يشكل الروح العامة لتاريخ مدينة أثينا ، ونضبت السياسة القديمة وغاب العصر الكلاسيكى وبدأ عالم جديد فى الفكر والحضارة . اذ لم يعد الاغريق يهتمون بالسياسة والامبراطورية بل التفتوا الى التراث الخالد يعبون منه ويجددون فيه حتى أصبحت أثينا منارة العلم والمعرفة ومدرسة الفلاسفة والجامعة التى يحج اليها طلاب العلم من كافة جهات العالم المسكون للتزود والنهل من ينابيع المعرفة فيها . وظلت بلاد اليونان على هذا الحال طوال الحكم المقدونى وعبر الحكم الرومانى . حتى قضت المسيحية على مدارس الفكر الوثنى .

## الفصل السابع عشر

### الحضارة الإغريقية

ابان القرن الرابع قبل الميلاد

لقد تحولت عبارة بريكليس الحاملة التي جاءت بين فقرات خطبته الشهيرة الى حقيقة واقعة في القرن الرابع ق. م وهي العبارة الذي ذكر فيها أن أثينا هي « جامعة هيللاس » . لقد تحولت أثينا بالفعل بعد سقوط أمبراطوريتها وهجرها أتون الحروب الى منارة للعلوم والمعرفة وتدفقت عليها تيارات الفن والفكر . وانتزعت أثينا لنفسها اعترافا من سائر الاغريق وسكان العالم المسكون بأنها الجامعة والمدرسة ومحراب الالهام والحضارة .

وعمت الآفاق شهرة مدرسة ايسوقراط ومدرسة أفلاطون الفكرية وتدفق الناس عليهما من كل حذب وصوب .

ومن أهم مظاهر التغير التي حدثت في أثينا في القرن الرابع ق. م هو تحطيم أسوار العزلة والتقوقع والانطواء على النفس الذي كان دافعه الأول التطرف والاستعلاء الوطني الأعمى الذي يؤثر أن ينغلق على نفسه على أن يفتح ذراعيه لوحدة أشمل وأعم . لقد انهار جدار العزلة النفسية لتصبح أثينا أغريقية وليست أثينية فقط بل راحت ملامح العالمية الانسانية وروح الانتماء الى العالم المتحضر دون تحيز Cosmopolitanism تبدو في الأفق الجديد . وهذا في حد ذاته تطور كبير وخروج على الخط الشوفاني الضيق الأفق القصير النظر الذي ساد ابان القرن الخامس قبل الميلاد والذي كان ينفر من أى شيء ليس أثينيا .

يرجع الفضل في توسيع آفاق العقلية الأثينية الى مدارس الفكر والفلسفة الجديدة التي بنت تأملاتها على تفكير رياضي منطقي منظم . ولعل خطب ايسوقراط التي التزمت بروح الوحدة الشاملة لكل الاغريق ومهاجمة التقوقع والوطنية المتعصبة . لخير دليل على روح التفكير الجديدة كذلك فان افكار افلاطون العالمية الحاملة وآراء اكسينيفون السياسية المتحررة ضد التزمت الأثيني ومحابة هذا الأخير للنظم الاسبرطية في شجاعة منقطعة النظير كل هذا يعطى صورة رائعة لانهايار معاقل الفكر القديم وهبوب نسيمات عصر جديد ، عصر فتحت فيه أثينا ذراعيها للتيارات الدينية الشرقية والأجنبية ، وبدأت تبنى معابد لهذه الآلهة في ميناء بيريه بل و في داخل العاصمة الأثينية ذاتها .

لقد تحول المسرح الأثيني الى مدرسة ومؤسسة تعليمية ثقافية ونم يعد مجرد أداة للتسلية واشباع الغرور الوطني والسياسي ولهذا قدره السياسيون كأداة لنشر الأفكار وكجهاز اعلامي يث المعرفة بين الاغريق ولهذا تغير جوهر التأليف المسرحي . فمثلا نجد الكوميديا القديمة التي عرفناها أيام أرسطوفانينس والتي كانت تركز نفسها للسياسة المحلية والسخرية من السياسيين الأثينيين وغير ذلك من الأمور المحلية البحتة التي لا يفهمها القارئ العادي الا اذا كان ملما بكل تفاصيل السياسة والحياة الأثينية وبكل دقائقها وتفاصيلها . لقد أسدل الستار على هذا النوع من الكوميديا القديمة وبرز مكانها نوع جديد من الكوميديا يتزعمها ميناندر Menander تتناول موضوعات ذات طابع انساني عالمي لا يختص بمكان أو زمان معين بل يمكن أن نقول عنه أنه انساني عالمي ، حتى التراجيديات تغيرت هي الأخرى لتسير على نهج النقد والواقعية والأسس الانسانية الخالدة تلك المبادئ التي كان يوريديس الثائر قد بشر بها في النصف الأخير من القرن الخامس ق م .

لقد صاحب ذلك كله ان لم يكن سبق ذلك كله تطور كبير في سيكلوجية الفرد الأثيني اذ بدأ الفرد يحس بنفسه بصورة لم يعهدها من قبل اذ لم يعد المواطن يرى نفسه من خلال المجتمع والدولة بل يرى

الدولة والمجتمع من خلال ذاته وأن الدولة يجب أن تكون في خدمته وترعى مصالحه ولم تعد روح الوطنية المتطرفة تسيطر عليه لدرجة أنه كان يعتبر « جسده ليس ملكا له وحده » كما كان يقول. بيريكليس • بل برزت روح الفرد Individualism وراح الفرد يطالب بحقوقه ويتحرر من القيود القديمة التي كانت تربطه بعجلة الدولة • هذا الاستقلال الفكري من السيطرة التي فرضتها دويلة المدينة دفع الكثير من الجنود والضباط الى العمل في صفوف أى جيش يطلبهم لخدمته • وقد شرح أفلاطون أحقية الفرد في العمل بحرية في أى مكان وضرب مثلا في جمهوريته بالدواب التي تسير في طريقها للعمل في أى مكان وإذا حاول أحد أن يعترض طريقها داسته تحت أرجلها • وهكذا يجب أن يكون المواطن الحر • كما ذكر أفلاطون أن كل شيء في الحياة يكاد أن يصرخ مطالبا بالحرية • وربما كان تطور روح الفرد نتيجة للاتجاه نحو الديموقراطية الدستورية وليس نتيجة للتشريع الأكمل • لقد ساهم في فكرة احياء روح الفرد مفكرون عديدون منهم يوريديس والفيلسوف سقراط ، ثم تلميذه أفلاطون ولقد سبق الحديث عن سقراط الذى كانت أفكاره نقطة التحول الكبير من شخصية الدولة الى شخصية الفرد •

كان أفلاطون تلميذا خليقا بأستاذه سقراط ولكنه أدار عينيه بعيدا عن أثينا ليعلم اعجابه بدستور أسبرطة مثلما فعل اكسينوفون من قبل • وقد أعلن أفلاطون بصراحة تامة أن الدستور الاسبرطى أقرب الى تصوره المثالى عن الدستور الحق من الدستور الأثينى وكان هذا مما لا شك فيه انتصارا لاسبرطة وتكديا للدعاية الأثينية القديمة ضد أسبرطة واتهامها بالرجعية والاستبداد • هذا بالرغم من أن أفلاطون كان يعلم علم اليقين أن دستور أسبرطة يمحو شخصية الفرد تماما من أجل الدولة والجماعة ولكن أفلاطون وجد ذلك أقرب النظم الى تصوره الاشتراكى الجماعى •

لقد كان هناك ثورة حقيقية على الفكر القديم كله فاول مرة جادل الفلاسفة بشجاعة تامة في شرعية نظام الرق الذى كان جوهر المجتمع القديم وربما كان يوريديس أول من رمى هذا النظام بالحجر • ومن

الأفكار الجديدة التي تناولها المفكرون بالجدل والنقاش حقوق المرأة ومساواتها بالرجل . فبينما كان أرسطوفانيس يسخر في الماضي من الشيء الذي يسمى بحقوق المرأة ويتناوله بالتقريع في مسرحيته اكليسيا النساء (أو برلمان النساء) نجد أفلاطون في الجمهورية يضع النساء على قدم المساواة مع الرجال ويتحدث عن الاشتراكية الجماعية ويضع تخيلا لها من أجل رخاء الناس ، كل الناس وحياتهم من الفقر ومن أنفسهم وجشعهم وهو الشيء الذي سخر منه أرسطوفانيس أيضا بالرغم من أن أفلاطون انتهى الى حقيقة مرة أن الاشتراكية المطلقة لا يمكن تحقيقها واضطر الى الاعتراف بحق الملكية الخاصة ولكن للأسرة وليس للفرد .

لقد كان للبلاغة وفن الكتابة دور عظيم في نشر الأفكار الجديدة وتوزيع العقلية الأثينية ومن أساطين البلاغة السوفسطائي جورجياس . ولعل ازدهار فن النثر بعد التحرر من الشعر وقيوده أثروا الكبير لأن النثر بأسلوبه السهل شجع على روح النقد والجدل دون تعقيد . لقد كانت الخطابة وطلاقة اللسان شرطا أساسيا للوصول الى المناصب القيادية خاصة السياسية وظهرت لسلاسة النثر وسهولة عرض الأفكار الجديدة فيه ودون عائق ودون تعقيدات الشعر وتفعيلاته فقد توارى الشعر كما اختفت التراجيديات القديمة برطانة لغتها وأوزانها وأفكارها الدينية المسيطرة على جوهرها ومفهومها وحلت محلها تراجيديات أكثر بساطة وتحررا تظهر فيها روح سقراط ويوريديس الجدلية الانسانية .

لقد تحرر الانسان الاغريقي في القرن الرابع من الغموض الديني ومن كل الأفكار والقيود القديمة ومن تسلط الشعر بأوزانه على فن الأدب حيث وجدت روح الفرد الجديد منطلقا لها خلال النثر البسيط السهل . ذلك النثر فتح الباب أمام الفكر للنقد والتجديد والاجتهاد وتحققت فعلا عبارة بريكليلس القديمة والتي قال فيها « انى أقول لكم أن أثينا هي مدرسة هيللاس وأن الفرد الأثيني بذاته يبدو قادرا على أن يكيف نفسه مع أكثر أشكال العمل تعقيدا بأقصى قدر من المرونة والكياسة » (١) .

(1) Thucydides, II, 37-41.  
( ٢٧ - الاغريق )

ولا يفوتنا أن نشير الى دوافع ازدهار النشر التي كان أهمها ظهور الخطابة القانونية أمام المحاكم في ظلال الديوقراطية الدستورية. اذ ظهرت طبقة من المحترفين الذين كانوا يكتبون هذه « الدفاعات » ليلقيها المدافعون عن أنفسهم ومن أشهر هؤلاء الأدباء القانونيين الخطيب « لوسياس » Lysias . ومن كتاب المقالات المشهورين الخطيب ايسوقراط صاحب المدرسة الشهيرة التي نافست مدرسة أفلاطون الفلسفية . الا أن مدرسة ايسوقراط كانت تختلف عن مدرسة أفلاطون اذ أنها كانت مدرسة فكرية ثقافية هدفها المعرفة ، واعداد المواطن للحياة العامة . وليس فقط تعليمه جمال الصياغة وقوة الدراما . البلاغية وكيفية تحسين الأفكار . ولهذا وجدت هذه المدرسة نفسها مضطرة الى تدريس العلوم السياسية وقد وصف ايسوقراط مدرسته بأنها تدرس « الفلسفة » كما يراها هو .

أما الفلسفة الحقيقية في ذلك النقد فكانت تتجلى في مدرسة أفلاطون والتي أوجدها في أجبة مقدسة تسمى بالأكاديموس Akademos (١) . وكان الشباب يذهب اليها لتلقى دروسا في الفلسفة . ولقد بلغ التنافس بينها درجة تذكرنا بالتنافس الذي قام بين بعض كليات الجامعات البريطانية في العصر الحديث .

كانت مدرسة ايسوقراط تختلف في شكلها عن مدرسة أفلاطون لأن ايسوقراط كان باحثا أكاديميا وفي نفس الوقت رجل دعاية واعلام ولما كان لا يجيد فن الالقاء بسبب انفعاله الزائد وقيامه بحركات تشنجية فضلا على أنه كان ينقصه الصوت الجهوري الأجلش مثل صوت منافسه ديموستينيس ، فقد فضل أن يكتب خطبه وينشرها في شكل مقالات يقرأوها الناس ولم يتلق الأثينيين ذلك بالارتياح والتقدير . ولكن مقالات أو رسائل ايسوقراط كانت تتسم بروح الانتماء لمواطنه العالم ككل Cosmopolitan فمثلا يقول في خطبته الشهيرة « الثناء »

Panegyric التي كتبها عام ٣٨١ ق . م : « لقد فاقت أثينا سائر العالم في قوة الفكر والخطابة حتى أن تلاميذها أصبحوا المعلمين لسائر الشعوب

---

(١) ومن هذا اللفظ اشتق اللفظ « اكاديمي » .



لقد جعلت ( أثينا ) لفظ هيليني يتخذ مفهوما فكريا لا عنصريا • ومن ثم  
وجب منحه لكل من شارك في ثقافتنا قبل هؤلاء الذين يشتركون معنا  
في الأصل الواحد • ان الفكرة التي تتضمنها هذه العبارة شجاعة  
وجديدة ، ولم يكن أحد يجرؤ على قولها باستثناء يوريديس •

ولم يفت ايسوقراط أن يسجل ملاحظاته عن ظاهرة انهيار المجتمع  
العظيم والالتزام بسنة السلف الصالح ولهذا عبر عن حنينه لأيام المشرع  
سولون وتمنى أن تستعيد محكمة الأريوباجوس مجدها المسلوب  
وحقوقها في مراقبة السلوك والأخلاق بين الناس • ولم يجد ايسوقراط  
في ذلك أى تعارض مع فكرته الخاصة بالسلام والوئام ووحدنة العالم  
المسكون •

ولو نظرنا الى الفن الاغريقى فى القرن الرابع ق.م لوجدنا ملامح  
العصر تظهر فيه • فمثلا لوقارنا أعمال النحات براكسيتيليس فى القرن  
الرابع Praxiteles بأعمال فيدياس فى القرن الخامس ق.م لوجدنا الفرق  
ملحوظا • اذ نجد فنان القرن الرابع يتحرر من السيطرة الدينية التى  
كانت تفرض عليه قيودا قاسية • وبدأ الفنان يبلور شخصيته الفنية  
بعيدة عن المعبد وعمارته فمثلا بينما كان فيدياس ينشد فى أعماله  
المثالية والكمال الصارم وتصوير الاله كما يراه الانبياء العابدين للورع  
والذى تتملكه عقدة الكبرياء والتعالى على غيره من شعوب العالم •  
كما يظهر ذلك فى افريز معبد البارثينون ، أما فى القرن الرابع فقد  
أصبحت الألهة فى نظر الفنان بشرا عاديين صورهم كما يصور الناس فى  
حياتهم اليومية • لقد سجل براكسيتيليس لأول مرة فى تاريخ الفن  
الاغريقى صورة الربة أفروديت وهى متجردة تماما من ثيابها فى طريقها  
الى الحمام وعلى وجهها حياء الأثى وخجلها وهذا التمثال يعرف  
« بأفروديت مدينة كيندوس » Aphrodite of Cindus حيث كان يقام  
التمثال • حتى الحيوانات الأسطورية الشرسة تحولت الى مخلوقات  
مهذبة متحضرة وشاعرية مثلما الحال فى تمثال براكسيتيليس الذى يصور

الساتوروس Satyros السعيد وهو مخلوق أسطوري يجمع بين روح الحيوان • كما بدأ الاهتمام بتصوير الانسان كفرد مستقل بذاته • وانشعالاته وطباعه •

وفي مجال السياسة تغيرت نظرة المواطن الى دويلة المدينة اذ راحوا يدركون أنها ليست سوى حكومة تصرف شئونهم وترعى مصالحهم كما أخذوا ينظرون الى المجتمع نظرة يمكن أن نسميها بمفهوم العصر الحديث نظرة « تعاونية » • كل يعمل من أجل الرخاء العام واختفت روح التكالب على رأس المال • وأصبحت السياسة الخارجية للمدينة أكثر تعقلاً وأقل طموحاً من القرن الخامس ولهذا كان يفوق كل العصور السابقة سعادة ورخاء وحرية •

واذا كانت أثينا قد فقدت امبراطوريتها السياسية في القرن الرابع الا أنها لم تفقد امبراطوريتها لتجارية ، ولم تتحقق أحقاد كورثا في أن تزول أثينا عن عرش التجارة • ولم تعد أثينا تخشى منافسا آخر سوى جزيرة رودس التي أضحت مركزاً تجارياً هاماً في الجنوب الشرقي من البحر المتوسط • ولكن رودس لم تكن في مركز يهدد التجارة الأثينية •

ولقد شهدت هذه الفترة انخفاضاً ملحوظاً في تعداد سكان أثينا بسبب الحرب والأوبئة • فبعد أن كان تعداد الرجال يقرب من ٤٠٠٠٠٠ انخفض عددهم الى ٢٢٠٠٠٠ تقريباً • وقد ساعد هذا الانخفاض على توازن قدرات البلاد الانتاجية بعدد السكان خاصة بعد انتهاء عصر الاستيطان والهجرة وضياع الممتلكات الخارجية •

أما الزيادة السكانية الضئيلة فقد كانت تجد لنفسها عملاً كمرتزقة في الجيوش الأجنبية ، وفي الهجرة الى البلدان الشرقية •

ومن مظاهر الازدهار التجارى والاقتصادى اتساع ميناء بيريه بشكل راح يجاوز مدينة أثينا ذاتها • بل ظهر فن جديد في التعامل المالى وهو ما يمكن أن نسميه بنظام البنوك •

ان فكرة البنوك في العصر الحديث ليست سوى وليدة فكرة قديمة مارستها شعوب الشرق الأوسط الا وهي حفظ الأموال في المعابد في حراسة الكهنة ، ثم راح الكهنة بما لديهم من ثروات متجمعة من القرابين والهبات يقرضون الدولة نظير نسبة معينة من الربح . وقد لعب معبد الآله أبوللون في دلفي دوراً كبيراً في هذا المجال . أما في القرن الرابع فقد شجع الازدهار التجارى الأغنياء من الناس على فتح دار للاقراض المالى . اذ أنشأ باسيون Pasion في أثينا أول دار للاقراض المالى بضمان من جميع مراكز التجارة وكان رأس ماله ٥٠٠ تالنت . كما قدم تسهيلات جديدة للتعامل بالوثائق المالية بدلاً من النقود مما أعطى دفعة قوية للتجارة . وبالرغم من ازدهار الحالة النقدية بسبب استخدام الذهب المخزون في المعابد والقادم من البلاد الأخرى في سك عملات ذهبية فضلاً عن نجاح البنوك في اغراء أصحاب الأموال المدخرة في اخراجها وتشغيلها في أسواق المعاملات الا أن نسبة الفائدة على القروض كانت عالية اذ وصلت الى ١٢٪ مما يدل على شدة الطلب على الأموال بسبب الازدهار التجارى والصناعى .

ولكن تضخم رأس المال واستقلال روح الفرد أديا الى نتائج وخيمة ، اذ ظهرت بوادر الصراع الاجتماعى (١) عندما لفت المفكروذ والفلاسفة الأنظار الى التناقض بين المساواة الاسمية في الحقوق السياسية وبين الفارق الشاسع في الثروة بين الأغنياء والفقراء ووضحوا عدم جدوى المساواة في الحقوق السياسية ما دام العدل الاجتماعى غير قائم ولهذا طالبوا بوجوب ربط المساواة السياسية بالعدل الاجتماعى كى لا يستغل الأغنياء ثراءهم فى التسلط السياسى . ومن ثم ظهرت طبقة ديمقراطية تنادى بحتمية اعادة توزيع الثروة عن طريق الدولة . لقد كان مثل هذه الأفكار قبل القرن الرابع محل سخرية أرسطوفانيس فى روايته « برلمان النساء » و « الثروة » ولكنها فى القرن الرابع وضعت

(1) P. Mac Kendrick, " The Athenian aristocracy, 399-31 B.C., Cambridge, Mass, 1968.

موضع الجدية وتناولها أفلاطون بالدراسة وجعلها نظاما أمثل في جمهوريته الفاضلة .

ولهذا لجأت الدولة الى اتخاذ اجراءات سريعة لارضاء المعدمين فرفعت أجر حضور جلسات المجلس الشعبى من نصف دراخما للجلسة ( وهو الحد الذى وضعه بيريكليس ) الى دراخما ونصف دراخما . وربما اضطرت الدولة ازاء ذلك لحرصا على تعميق المفهوم الديمقراطي عند الناس بل نتيجة لارتفاع الأسعار عما كانت عليه أيام بيريكليس ونظرا للازدهار وارتفاع مستوى المعيشة .

ومن الخطوات الأخرى التى اتخذتها الدولة لارضاء الفقراء زيادة الاعتسادات الخاصة بصندوق الألعاب والمهرجانات Theoric Fund وقد نشأت فكرة هذا الصندوق أساسا من عرف قديم كان موجودا منذ أيام بيريكليس يقضى بضرورة منح الدولة للمواطن المعدم ثمن تذكرة حضور عروض المسرح . ولكن فى القرن الرابع زادت اعتمادات البند المخصص للترفيه وللإتفاق على المهرجانات الدينية والترفيهية لدرجة اقتضت تعيين مشرف مسئول عن توزيع هذه الأموال . ولارضاء المعدمين فرضت الدولة ضرائب باهظة على أصحاب الرساميل من أجل دعم هذا الصندوق تعبيرا من الدولة للمواطنين بأنها تضع رعايتهم ورفاهيتهم أمرا أساسيا .

لقد شمل التغيير أيضاً الجيش اذ لم تعد دويلة المدينة أتونا للحرب كما كانت فى الماضى ومن ثم لم تعد الظروف قادرة على اخراج جنرالات عابرة من أمثال تمستوكليس وبيريكليس ونتيجة لذلك حدث انقصاص بين العسكرية والسياسة وأصبح فن الحرب مهنة مستقلة يقوم بها عسكريون محترفون بعيدون عن السياسة . ومن الجنرالات العسكريين الذين برزوا ابان القرن الرابع تيموثيوس وخابرياس وايفكراتيس . ولقد كان تيموثيوس موسرا وقادرا على تحمل نفقات خدمة وطنه لذات الخدمة . ولكن ايفكراتيس وخابرياس كانا فقيرين مما اضطرهما الى العمل فى الجيوش الأجنبية من أجل الحصول على ثروة تساعداهما على تحمل نفقات منصبهما العسكري . وبلغ الحال بأن رفع ايفكراتيس

السلاح في وجه أثينا عندما كلفه بذلك ملك ثراكيا والذي تزوج  
ايفكراتيس من ابنته . لقد تغيرت نظرة الجنرالات الجدد الى الدولة  
خاصة بعد أن عزف المواطنون عن العمل في صفوف الجيش منا اضطر  
الدولة الى الاعتماد على الجنود المرتزقة وتوفير رواتبهم الباهظة كما أن  
الدولة عاملت الجنرالات باجحاف ، اذا كانت تكلفهم بعمليات عسكرية  
دون أن تمنحهم ثقات هذه العمليات ، وفي بعض الأحيان كان المجلس  
الشعبي يوافق في جلسة على تكليف جنرال معين بمهمة عسكرية ويفرض  
في نفس الجلسة اعتماد تكاليف هذه المهمة . وفي بعض الأحيان ، كان  
المجلس الشعبي يقطع الاعتماد أثناء القتال مما دفع الجنرالات الى  
الارتزاق . وقد ساعد على ذلك أن الجنرالات الجدد لم يكونوا ذوي  
تأثير على المجلس الشعبي كما كان أسلافهم في القرن الخامس . بل كانوا  
مجرد عسكريين محترفين بلا سلطة سياسية . وقد ظهرت نتائج ذلك في  
تدهور الأطماع العسكرية وتوقف أنون الحرب . وتلاشت الحروب  
الهم إلا ما كان منها ضروريا لحماية المصالح التجارية .

وبعد أن استعرضنا النظرة العامة لفلسفة الفكر في القرن الرابع  
وجب علينا أن نلخص الملامح العامة للحضارة الاغريقية في تلك الفترة  
الجديدة .

#### ١ - العمارة والفنون :

تميز القرن الرابع بأنه كان عصر الانشاء والتعمير، اذ أقيم ابانه مباز  
ضخمة وعديدة في كل من آسيا الصغرى وصقلية وجنوب ايطاليا راليونان  
العظمى ) ومن أشهر تلك المباني والتي اعتبرت من عجائب الدنيا في العصر  
القديم معبد الربة أرتميس في مدينة افيسوس بآسيا الصغرى . وقد  
أشرف على بنائه المهندس خرسيفرون Chersiphron وقد تم تشييده بعد  
عام ٣٥٦ ق م أما المبنى الآخر فهو ضريح الأمير ماوصولوس ملك كاريا  
والذي عرف باسم الموصوليوم Mausoleum . وقد أشرف على تشييده  
وتزيينه عدد كبير من المهندسين والنحاتين الاغريق من بينهم المثال

سكوباس Scopas الشهير • وقد بدأ في انشاء هذا الضريح الذى أشرفت أرملة الملك ارتيميسيا بنفسها على بنائه حوالى عام ٣٥٣ ق م ولا يزال هناك جزء من عمود رخامى مزين بالنحت موجوداً بالمتحف البريطانى بلندن •

أما فن النحت فقد وصل كما سبق أن أشرنا الى ذروة القدرة والمهارة ولم يعد الفنان يرى الاله الا فى صورة انسان، بل لجأ بعضهم الى اتخاذ نماذج من البشر عند تنفيذ تماثيل الآلهة • مثلما فعل براكستيليس عند انجازه تمثال أفروديت كنيديوس • وكان هذا النحات أول من بدأ الثورة فى عالم النحت • ويتميز أسلوبه بالانسياب الرقيق والاسترخاء فى الوقفة واضفاء مسحة حاملة على الوجه •

ويلى هذا النحات نحات آخر شهير اسمه سكوباس Scopas • ولكنه كان مرتبطاً بالعارة • ويتميز أسلوبه بحب تسجيل الانفعالات العاطفية خاصة الدهشة والخوف — على الوجوه بتعيق فجوة العينين وجعلهما غائرتين • أما العملاق الثالث فى فن النحت فهو لوسيوسوس Lysippos الذى كان مواطناً لمدينة سيكيون فى شمال الييلوبونيسوس • وقيل أن لوسيوسوس كان يجسم الناس ليس كما هم بل كما كانوا يبدوون لعينيه • وبهذا قلل من حجم الرأس وجعل الجسم أطول قامة وانسياباً وأقل بدانة • وقد عرف لوسيوسوس بأنه النحات الذى تخصص فى نحت تماثيل الاسكندر الأكبر النصفية، فهو الذى سجل عادة الاسكندر فى امالة عنقه على جانب من كتفه وعنه نقل الفنانون هذه الملحوظة ابان العصر الهلليستى والرومانى •

وكما برع الفنانون فى فن النحت برعوا فى فن الرسم ونجحوا فى انجاز أعمال خالدة من الفن المنظور وتحكموا فى الظلال والجلاء Chiaroscuro وفى الحركة ودقة الألوان لدرجة عالية لم يحققها الانسان الا فى عصر النهضة الأوربية الحديثة (١) • ومن أشهر رسامى هذا العصر بارهاسيوس Parrhasius وزيوكسيس Zeuxis • ولكن للأسف لم يبق

(١) انظر السيد رجب حراز : تاريخ اوروبا فى عصر النهضة : مكتبة دار النهضة العربية القاهرة ١٩٧٣ •

لنا من أعمالهما شيئاً اللهم الا الوصف النظري الذي سجله مؤرخو الفن والآثار من الاغريق لأن هذه الرسومات الكبرى على الحوائط تهدمت بفعل عوامل التعرية وبفعل غث الانبات . لكن انعكاس نهضة فن الرسم يمكن أن نشاهدها في فن الرسومات الرائعة على الأواني الفخارية Vase-Painting مصدرنا الأساسي عن الكثير من أسرار الحياة اليومية والفكرية عند الاغريق .

### ٢- التاريخ :

كان أكسينوفون ( ٤٣٠ ت ٣٥٤ ) من أعظم مؤرخي القرن الرابع ، وقد كان الى جانب قدرته التاريخية عليمًا بشئون كثيرة من المعرفة مثل الاقتصاد والتدبير والشئون العسكرية كما كان في علم السياسة والاجتماع ، ولكنه لم يكن باحثًا عميقًا بقدر ما كان يميل الى العرض العام . وقد سبق الحديث عنه وعن أعماله الخالدة التي سجلها لنا .

والى جانب كسينوفون تردد اسم مؤرخين آخرين هما ايفوروس Ephoros ومعاصره ثيوبومبوس Theopompos (١) .

كان ايفوروس ( ٤٠٥ - ٣٣٠ ق م ) تلميذاً لايسوقراط وقد خلد لنا تاريخ العالم (historiae) في ثلاثين كتاب وبدأ بعودة أبناء هيراكليس ( الغزو الدوري لبلاد اليونان ) حتى حصار بيرثوس الشهير على يد فيليب عام ٣٤٣ ق م . ولقد كان ايفوروس المصدر الأول للتورخ ديودوروس الصقلي فيما بعد . كما تأثر بدوره بالمؤرخين الذين سبقوه خاصة ثوكوديديس بالاضافة الى كتاب مقالات القرن الرابع . ولكن تأثيره ظل قويا على المؤرخين الرومان ابان عصر الامبراطورية .

أما معاصره ثيوبومبوس ( حوالي ٣٧٨ ق م ) فقد كان مواطناً من جزيرة خيوس ولكنه فر مع أبيه هارباً حوالي عام ٣١٤ ق م . بسبب ميولهما الاسبرطية وظل الأب والابن في المنفى حتى أعادهما الاسكندر الأكبر مقابل تأييدهما لمقدونيا ضد أنصار الأوليجارخية الموالية للفرس ، وبعد موت الاسكندر فر ثيوبومبوس هرباً الى مصر .

(1) A.E. Bruce : Theopompus and Classical Greek Historiography, *History & Theory*, IX (1970), P. 86-109.

ولكن لم يتبق لنا من أعمال هذا المؤرخ سوى شذرات من مؤلفه الضخم الهلينيكا Hellenica أو تاريخ بلاد اليونان ، والذي هو استمرار للتاريخ الذى بدأه ثوكوديديس ولكن يبدأ بعام ٤١١ ق.م ، ويستمر حتى معركة كنيديوس عام ٣٩٤ ق.م ويلاحظ أن جوهر هذا المؤلف هو تسجيل التفوق الاسبرطى اياها الحروب البيلوبونيسية ، ولم تكن نعرف شيئا عن هذا المؤلف حتى عثر حديثا على نصوص منه من بين أوراق البردى التى استخرجت من مدينة أوكسيرينخوس (البهنسا محافظة المنيا) الاغريقية فى مصر ، ودار جدل عنيف بين علماء الأدب انتهى بأن مؤلف بردية أوكسيرينخوس ما هو الا ثيوبومبوس (١) .

أما مؤلفه الثانى فهو الذى يعرف باسم الفيليبيات Philippica والذي روى فيه تاريخ فيليب منذ توليه ومدى انعكاسات ذلك على أحداث العالم ويتميز ثيوبومبوس ببعد النظر والبحث الناقد البناء واصبده الحكيم الصادق بصرف النظر عن النتائج .

### ٣ - البلاغة والخطابة القانونية :

سبق أن أشرنا فى معرض حديثنا فى هذا الفصل عن تطور فن النثر واقتزاعه اهتمام الشباب والراغبين فى العمل السياسى ، ولهذا ازدهرت عدة مدارس لتعليم لشباب أصول لخطابة حتى يتمكنوا من المشاركة فى الحياة العامة .

الى جانب ذلك اردهر فن جديد وهو فن كتابة الخطب الدفاعية لتلقى أمام المحاكم (٢) . وظهر متخصصون جمعوا ما بين البلاغة والخبرة القانونية من أشهرهم لوسياس (٤٥٩ - ٣٨٠ ق.م) ، وكان أصلا من سيراكوزة فى صقلية . ولكن بيريكليس أغرى أباه بالهجرة والاقامة فى أثينا ، ولكن لوسياس عاد فهاجر مع أخويه الى مستوطنة ثوريبي

cf. Pauly-Wissowa, Sub Theopompos (by Laqueur).

(١)

(٢) محمد سليم سالم - البدائع - لوسياس بقلم عبد اللطيف

احمد على ، ص ٧٩ - ١٠١ ، دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٤٥



Thurii ولم يرجع منها الا في عام ٤١٣ ق م حيث أقام أيضا مع أخويه تجارة في ميناء يبريه تختص بالدروع الحربية .

ولكن الاخوة الثلاثة اندمجوا في الحياة السياسية ولما سقطت الديموقراطية الأثينية ، وأقيمت حكومة الثلاثين هاجم الأوليجارخيون هؤلاء الاخوة بسبب نزعاتهم الديموقراطية وربما طمعا في مصادرة أموالهم ، ففر لوسياس الى ميجارا وظل هناك حتى عادت الديموقراطية فعاد الى أثينا عام ٤٠٣ ق م حيث أنعم عليه بحق المواطنة وذلك لأنه كان قبل ذلك في عداد الصناعات الأجانب Metikoi المحرومين من حق المواطنة .

ومنذ ذاك الوقت وحتى موته ألف لوسياس ما يقرب من مائتي خطبة قانونية ليلقيها المحامون في المحاكم لأنه كأجنبي لم يكن يحق له الظهور أمام المحاكم الأثينية ولكنه خاطب الجماهير في المهرجان الأولمبي لعام ٣٨٨ ق م محذرا من وخيم عاقبة الصراعات الداخلية وأثرها على السلام ، كما يقال أنه ألقى خطبة بنفسه ضد رجل يدعى اراتوشنيس اتهمه بقتل أخيه وذلك في عام ٤٠٣ ق م وهي الخطبة التي رفعتها الى مصاف أعظم خطباء أثينا اذ لقب بثالث خطباء أثينا العشرة الخالدين (١) .

ولقد نسب الى لوسياس خطب كثيرة بلغت ٢٥٠ خطبة يعتقد العلماء أن ما يقرب ٣٣٣ منها ممدوسة عليه . وبين أيدينا الآن واحد وثلاثين خطبة كاملة يشتبه العلماء في أصالة تسع منها أما الخطبة التي لا يجادل أحد في أصالتها فهي خطبة الادعاء ضد اراتوشنيس وانتهى ألقاها بنفسه .

لقد كان لوسياس من أكبر خطباء الاغريق الكلاسيكيين وهو مثل حي للأسلوب الذي يعرف بالسهل الممتنع البعيد عن الألفاظ الدخيلة والعتيقة والذي يجسم القضية ببساطة ويسر ووضوح . وقد مدحه النقاد كثيراً لصفاء أسلوبه وبساطة لغته والتوفيق بين الألفاظ والموضوع فهو أول من جعل لكل مقام مقال وشبهوه بالرسام البارع الذي

(1) D.M. Mac Dowell, "The Chronology of the Athenian Speeches and legal innovations in 401-398 B.C., R.I.O.A., XVIII (1971) PP, 267-273,

• يستخدم الكلمة بدلا من الفرشاء والتنوع الخيالي بدلا من الألوان •  
لقد تحاشى لوسياس كل نقائص الخطابة القديمة من الانغماس في  
الشاعرية والمبالغة والتحويل واختلاق المواقف الدرامية على حساب  
الحقيقة والتلاعب بالألفاظ • لقد كان معتدلا في غواطفه حتى مع اعدائه  
لأنه كان يبغي الحقيقة الصادقة • وكان يقيم خطبه إلى تقسيم بسيط  
قريب من أسلوب أستاذه ايسوقراط وهو البساطة ثم الموضوع ، ثم  
الدليل ثم الخاتمة •

ولقد عمر لوسياس حتى بلغ الثالثة والثلاثين ومات بعد أن نال  
تقديراً واحتراماً من الجميع •

ومن الخطباء المشهورين في القرن الرابع ديموستينيس وايسوقراط  
الذين لعبا دوراً كبيراً في الحياة السياسية ابان هذا العصر : ولكن يجب  
أن نثوه بمكانه ديموستينيس الأدبية في حقل البلاغة ، ولهذا نسبت اليه  
خمس وستين خطبة تعرف العلماء على ستين منها • ومن هذا العدد يشك  
العلماء في أن سبع وعشرين خطبة ليست من تأليف ديموستينيس بل  
بل ربما من تأليف معاصريه من الخطباء المغمورين أما خطب ديموستينيس  
التي لا يمكن أن يتطرق الشك اليها فهي مجموعة الخطب الأوليّة  
« والقبليات » « وخطبته عن السلام » « وبخصوص التاج » وخطبته  
ضد ايسخينيس وقد سبق الاشارة في الفصول السابقة الى المناسبة التي  
ألقيت فيها كل منها •

ويرى بعض النقاد أن روعة ديموستينيس تتجلى في الجمع بين  
الاخلاص في القصد وعبقورية الموهبة والدقة في الصياغة وحرارة الالتقاء  
واختيار اللحظة المناسبة لالتقاء الخطبة ومع هذا كله فقد تميز أسلوبه  
بالبساطة والبعد عن التكلف •

فلا عجب أن أصبحت خطبة محل دراسة طلاب البلاغة من الاغريق  
والرومان في العصور المتأخرة (١) •

---

(١) البدائع ( المرجع السابق ) ص ١٠٢ - ١٥٩ « ديموستينيس »  
بقلم محمد صقر خفاجة •

أما ايسوقراط ( ٤٣٦ - ٣٣٨ ق م ) فقد كان يعتبر الخطيب الرابع من بين خطباء أثينا العشرة الخالدين وقد نشأ ايسوقراط في أسرة ثرية قادرة حرصت على أن يتلقى تعليماً راقياً على أيدي كبار الأساتذة من أمثال بروتاغوراس وجورجياس كما تأثر كثيراً بسقراط بالرغم من أنه لم يكن من تلاميذه .

ولما فقد أبوه ثروته بسبب الأحداث التي عصفت بأثينا في نهاية الحروب البيلوبونيسية اضطر ايسوقراط أن يتعيش من كتابة الخطب القانونية كما قام بتدريس البلاغة في جزيرة خيوس ثم عاد الى أثينا عام ٤٠٣ ق م حيث افتتح مدرسته الشهيرة في حوالي عام ٣٩٢ ق م والتي قصدتها أثينيون وغير أثينيين على السواء وحقت له ثروة وشهرة كبيرة .  
وقيل أن عدد تلاميذ مدرسته جاوز المائة منهم الخطباء ايسايوس Isaeus وهيبيريديس ولوكرجوس الأثيني والمثورخان أيفوروس وثيوبومبوس . كما كان على علاقة وثيقة بأيفاجوراس Evagoras ملك قبرص وابنه نيكوكليس .

وقد سبق أن أشرنا الى فلسفته العامة (١) وآرائه السياسية ومميزات أسلوبه الأدبي ، وقد مات ايسوقراط بعد أيام قليلة من موقعة خايرونا الكبرى عام ٣٣٨ ق م .

ونسبت الى ايسوقراط ستون خطبة ويعتقد النقاد أن نصف هذا الرقم مدسوس عليه وعلى أي حال لم يصلنا سوى واحد وعشرون خطبة له منها ست خطب قانونية كتبت لكي يلقيها آخرون أمام المحاكم والباقي عبارة عن مقالات سياسية .

ويتميز أسلوبه بدقة اختيار الكلمات وموسيقية النغم ومهارة التشبيه ويقال إن شيشرون أعظم خطباء الرومان سار على نهج هذا الخطيب العظيم .

(١) عن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي أثارها ايسوقراط انظر :

Fuchs, "Isokrates and the Social - economic Situation in Greece". Ancy. Soc. III (1972) PP. 17-44.

#### ٤ - الفلسفة :

منذ فجر تاريخهم ، سيطر على الاغريق حب البحث والمعرفة عن طبيعة الأشياء ومسبباتها كما أن حب الاستطلاع كان غريزة قوية عندهم ، ومن ثم درسوا العلم ابتغاء المعرفة لذاتها وليس من أجل أى غرض نفعى . وقد بدأوا بالتحرى عن الأشياء الغريبة ثم تقدموا شيئا فشيئا الى البحث عن المشاكل الأكثر غموضا مثل الظواهر الطبيعية والشمس والقمر وأصل الكون . ولهذا لم يفرق الفلاسفة الأول بين العلم والفلسفة .

وفي عصر التوسع التجارى انتعشت نزعة التفكير بعد أن تكشف أمام أنظارهم عالم أوسع كشف لهم عن معرفة جديدة عرت معتقداتهم القديمة وبدأ لأول مرة في تاريخهم الاتجاه الى التخلص من المعتقدات الدينية والشعبية من أجل ممارسة البحث العلمى . وكانت مدينة ميليتوس وهى مركز تجارى هام مسقط رأس الفلسفة الايونية . وبرزت أسماء لامعة مثل طاليس Thales وأناكسيماندر وأناكسيمينيس وكان أسلوبهم علنيا وملاحظاتهم تقوم على التجربة بعد الفرض . وكان هدفهم الكشف عن مبادئ لها ارتباط بالضرورة وسط مظاهر متغيرة « فلا شيء ينبعث من لا شيء » ولا شيء يحدث بغير شيء ولكن كل شيء يحدث عن سبب وضرورة (١) . ومن ثم راحوا يبحثون فى كل مكان فى الطبيعة وفى شجاعة تكاد تصل الى الخطيئة ، من أجل العثور على قانون يحكم الكون » وقد نجحوا فى الكشف عن النظرية الحقيقية للكسوف والخسوف وكروية الأرض ودورانها كغيرها من الكواكب انسيارة ، وحوّل مركز نظامها .

كل هذا تم عن طريق ملاحظة الظواهر واقامة الدليل ثم استخراج القانون كما بحثوا عن مادة تكون أصل الكون (Physis) . واعتقد طاليس أنها الماء وقال غيره أنها الهواء أو النار أو البخار أو فى توافق أصول متضادة ومتعارضة مثلما يقول هيراقليطس الأفسوسى .

(1) Burnet Early, Greek Philosophy, P. 340 f.

وفي نفس الوقت الذي كان فيه الفلاسفة الأيونيون يلاحظون الظواهر الطبيعية ويبحثون عن أصول الكون كان فيثاغورس واتباعه في جنوب إيطاليا يضعون أسس دراسة الرياضيات والهندسة البحتة وتطبيق الرياضيات على فروع العلم المختلفة خاصة في الموسيقى والفلسفة بوجه عام ، وأن « الرقم » هو أصل الشيء ثم ظهر فلاسفة القرن الخامس الذين سبق أن أشرنا إليهم •

ولكن كل هؤلاء الفلاسفة السابقين ، كانوا باحثين طبيعيين (Physicists) يتجاهلون وقائع حياة الانسان العقلية والخلقية ولا يعرفون التمييز بين العالم المادي والروحي ولكنهم أوجدوا التشكيك في كل شيء قبل البحث العلمي والوصول الى الحقيقة •

وفي ابان عصر بيريكليس بدأت نزعة الفلاسفة تتجه نحو المسائل النظرية الخاصة بالخلق والسلوك نتيجة للاصطدام بالواقع والتحول الى السعى نحو معرفة لها اتصال مباشر بالحياة العملية ، ولأول مرة سلط نور العقل الصافي على مسألة سلوك الانسان ، وقال بعضهم مثل بروتاجوراس أن الانسان مقياس كل الأشياء •

وان النجاح هو المعرفة التي تقوم على الاستدلال العقلي وأن الفضيلة هي نظريات مكتسبة وهي الفنون المهنية المختلفة • وقد قاد السوفسطائيون هذه الحركة الجديدة •

ويعتبر سقراط الأثيني ( ٤٦٩ - ٣٩٩ ق م ) نقطة تحول في هجرة البحث العلمي التجريدي • لأنه بنى أبحاثه على أساس التأمل الواقعي الأخلاقي للناس فيقول أفلاطون على لسانه « أننى أعشق المعرفة فالناس الذين يقطنون المدينة هي معلمى وليس الأشجار أو الريف (١) • وبالرغم من أن سقراط لم يترك وراءه مؤلفات توضح وتشرح فلسفته الا أنه ترك تلاميذا له من أمثال أفلاطون الفيلسوف والذي كرس حياته بعد موت أستاذه في تسجيل أفكار سقراط في شكل محاورات •

(1) Plato, Phaedros, 23.

وفي القرن الرابع بلغت الفلسفة ذروتها عندما ظهر فيلسوفان عظيمان هما أفلاطون ( ٤٢٧ - ٣٤٧ ق م ) وأرسطو ( ٣٨٤ - ٣٢٢ ق م ) ولد أفلاطون في أثينا ( أو في جزيرة أيجينا ) وعندما بلغ سن العشرين انضم الى تلاميذ سقراط وظل مرافقا له حتى موته عام ٣٩٩ ق م ومن ثم لم يطق أفلاطون البقاء في أثينا فأنطلق في رحلات متتالية زار فيها قورينة (Cryene) ومصر واليونان العظمى Magna Gaecia . كما سافر الى صقلية ليزور ديونيسيوس الأكبر طاغية سيراكوزة ولم يعجب الطاغية هذا الفيلسوف بل أثار غضبه بنظرياته وألقى القبض عليه وعرضه للبيع في سوق الرقيق حتى اقتداه أحد أصدقائه وعاد به الى أثينا حوالي عام ٣٨٧ ق م حيث افتتح مدرسة في أجمة مقدسة لبطل يدعى أكاديموس Academos ولهذا سميت مدرسته بالأكاديميا . ولكن أفلاطون عاد لزيارة صقلية مرتين مرة في عام ٣٦٧ ومرة في عام ٣٦١ ق م يهدف أغراء ديونيسيوس الأصغر ليحرب حقل الفلسفة ويمطيه الفرصة ليطبق نظرية المدينة الفاضلة في سيراكوزة ولكن أفلاطون فشل في ذلك وانتهى أمره الى الشجار مع ديونيسيوس الأصغر فعاد الى أثينا وعاش فيها حتى مات عام ٣٤٧ ق م حيث خلفه ابن شقيقه في ادارة المدرسة .

وأهم ما خلف لنا أفلاطون المحاورات dialogues ، وقد نسب اليه اثنين وأربعون ديالوجا لم يعترف العلماء بسوى خمسة وعشرين منهم كمحاورات أصلية كلها تدور حول سقراط وشخصيته وأفكاره . وهى غاية فى الاستدلال العقلى والبحث العلمى بالاضافة الى مهارة الحكمة الروائية والتصويرية ، ويقسم الفلاسفة هذه المحاورات الى محاورات روائية وتسجيلية لحياة أستاذه سقراط وهى التى ألفها فى الفترة المبكرة من إنتاجه ، أما الأخرى فهى الديالوجات الميتافيزيقية وهى التى كتبها فى فترة متأخرة من حياته .

ومن أعظم ما ترك لنا أفلاطون مؤلفه الخالد « الجمهورية » ، وهي يوتوبيا سياسية بدأها بسؤال عن ماهية العدل ثم تطرق الى تخيل عام عن جمهوريته الفاضلة التي يتحقق فيها الخير الاسمي لكل الناس . دولة تقسم فيها الوظائف الاجتماعية على أساس نفسية المواطنين وخصالهم فاولئك الذين تغلب في نفوسهم الشهوة يؤدون العمل البدني كالصناعة والزراعة أما ذوى النفوس النشطة فتتولى الحزب والشئون العسكرية . بينما يتولى الفلاسفة مهمة الحكم وينتهي الى رأيه الشهير « الى أن يصبح الفلاسفة ملوكا والملوك فلاسفة فلن يكون هناك خلاص للدول أو لأرواح الناس » (١) .

وقد حاول أفلاطون تحقيق هذه الجمهورية المثالية في سيراكوزة ، ولكنه فشل واصطدم بأرض الواقع المرير ، ولهذا حاول تعديل آرائه فألف من أجل ذلك « القوانين » .

ومن تعاليم أفلاطون أن السلوك الجاد يجب أن يسود الحياة العامة والخاصة بحيث يسود الوفاق والجمال والنظام وهي من الصفات الأساسية للعالم الاسمي ، وهو عالم الخير المطلق ذلك العالم الذي كانت تعيش فيه الروح قبل أن تحل بالبدن كما حدد خلاص الانسان بالمران على فضائل أربع هي : الشجاعة والعفة والحكمة والعدل .

وكما يعتبر أفلاطون من أعظم مفكرى الاغريق يعتبر أيضا من أعظم كتاب النثر عندهم فأسلوبه مزيج من الشعر والنثر ، أو شعر منثور . كما أنه متنوع الأساليب حسب تنوع المزاج فحينما هو ساخر وحينما متصوف وحينما آخر غاضب منتقد متوقد ، وقد قسم الفلاسفة كتاباته الى ثلاثة مصنفات روائية وجدلية وافترضية .

#### ارسطو طاليس :

ولد أرسطو طاليس أو أرسطو في مدينة ستاجيرا Stagira في اقليم تراكيا عام ٣٨٤ ق . م ، وكان أبوه يعمل طبيا في البلاط المقدوني وبعد

(١) الجمهورية الكتاب الخامس ص ٤٧٣ .

موت أييه سافر الى أثينا لينضم الى مدرسة أفلاطون ، وظل بهذه المدرسة حتى موت أفلاطون في عام ٣٤٧ ق.م .

وبعد عام ٣٤٢ ق.م دعاه فيليب المقدوني ليشرف على تعليم الاسكندر في القصر وباشر أرسطو مهمته بنجاح حتى غادر الاسكندر مقدونيا في غزوته الكبرى للشرق في عام ٣٣٥ ق.م عندئذ عاد أرسطو الى أثينا ليفتح مدرسة في أجمة مقدسة لأبولون ليكايوس Appollo Lycaeus ، ونظرا لعادته في التمشي أثناء الحديث ، فقد أطلق على مدرسته اسم المشائية Peripatetic.

ولما اندلع شعور العداء ضد المقدونيين وأنصارهم بعد موت الاسكندر الأكبر أصبح أرسطو طاليس موضع هجوم فتاك ووجه إليه اتهام بعدم التقوى والاخلاص ومن ثم فر الى مدينة خالكيس في جزيرة يوبويا وظل بها حتى مات في عام ٣٢٢ ق.م ، في نفس العام الذي مات فيه ديموستينيس Demosthenes.

ان ادراك أرسطو القوى والواقعي بالطبيعة وبالحياة الانسانية واهتمامه بظواهر العالم الهليني الاجتماعية والطبيعية هما اللذان جعلتا من فلسفته شرحا شاملا لجوهر الثقافة الهلينية ، ولهذا يقال اذا كان أفلاطون أكثر عمقا في البحث عن نوازع البشر فان أرسطو أكثر اقترابا من الواقع الهليني . كما أنه كان باحثا علميا منطقيًا الى أقصى درجة . وقد غطت أبحاثه كل جوانب الفكر والمعرفة الانسانية ابتداء من المنطق والديالكتيك الى الميتافيزيقا وعلم الحياة والطبيعة والى التطبيق العملي للفلسفة أى السياسة ، ثم الأدب والفنون الجميلة .

ومن أعظم مؤلفاته العلمية فن الريطوريقا أو البلاغة ، وفن الشعر ، وفي الكتاب الأول يعرف لنا البلاغة بأنها القدرة على تحقيق الاقناع المناسب في الموقف المناسب عن طريق الأدلة وصياغة الأسلوب . أما فن الشعر فهو يردد نظرية أفلاطون في أن الشعر ليس الا تقليدا mimesis



ومن هذا المنطلق يذهب الى مناقشة التراجيديا الاغريقية ووظيفتها التي حددها بقوله أنها تحدث عن طريق الرثاء والخوف تطهيرا للنفس Katharsis.

أما في بحثه عن الأخلاق Ethics فقد سار على طريق أستاذه أفلاطون حيث استهل كتابته بالبحث عما هو أعظم خير للإنسان وعن الغاية القصوى له وغرضه من ذلك ، وكان من بين تعاليمه أن الانسان من دون سائر الموجودات يجمع ما بين قوة الشعور والشهوة وقوة العقل . فهو بالشهوة الجسيمة يشبه الحيوان وب عقله يشبه الآله ، وباتخاذ هاتين القوتين يصير كائنا أو أخلاقيا ، والأخلاقية في مفهومه هي التوفيق بين عناصر الحيوان والعقل وهذا التوفيق بين ارادة الانسان وعقله يولد الفضائل الأخلاقية أو لسعادة العظمى Summum bonum التي هي هدف الانسان الأول في الحياة ، وبينما كان سقراط يرى الفضيلة كنتيجة للعقل وحده وليست نتيجة للتربية ولا العادة ، اذ بأرسطو يرى أن التربية والمران والعادة ضروريات لتكوين الفضيلة ويحدد الفضيلة بأنها عادة ثابتة ومقررة يكونها المران وتغليب العقل وهدايتة .

أما أعظم أعمال أرسطو فهو مؤلفه الخالد السياسة Politics وفيه قام كأستاذ للعلوم السياسية بدراسة ناقدة للتداعيات الاغريقية جميعا مبينا لها وما عليها .

أما أسلوبه الأدبي فهو على النقيض تماما من أسلوب أفلاطون ، فهو أسلوب علمي جاف لا يغري قارئه بقدر ما يرهقه ، ولهذا يدافع البعض عنه بقولهم أنها ليست مؤلفات بل مذكرات لمحاضراته كان يلقيها على طلابه على عجل وهم ينهثون خلفه ، أما ما يذكره شيشرون عن مؤلفاته كينبوع ذهبي فهو صفة لمؤلفات أرسطو الأصلية التي فقدت (١) .

(١) تشر بيلافسكى حديثا مخطوطا عربيا هو عبارة عن خطاب من أرسطو موجه الى الاسكندر بشأن السياسه الواجب اتباعها ازاء المدن

الاغريقية  
Lettre d' Aristote a Alexandre sur la politique envers les cités, texte arabe  
etabli et traduit par J. Bielawski, Archivum Filologiczne XXV, Worclaw karkow,  
1970 C = Mnemosyne, Series 4, XXV (1972) p. 261-295,

### الديانة :

في القرن الرابع ماتت الآلهة القديمة وفقدت تأثيرها ورمزيتها  
لعجزها عن وقف الحروب وحماية الانسان من الوباء . ولهذا حدث  
ما يشبه الانفصام ما بين المثقفين الذين أولوا ظهورهم إلى المعابد  
واتجهوا إلى الفلسفة المجردة لاشباع دوافعهم الداخلية وأصبحوا ملحدين  
بديانة آباؤهم وأصبح الالحاد ظاهرة عامة بين المثقفين أما عامة الناس  
فقد فتحت صدورهم لديانات الشرق الوافدة مثل آمون وايزيس ومثرت  
وغيرها وأعزقت الديانة نفسها في بحور الشعائر الغامضة وفي التجميم  
والشعر والنبوءات والشعوذة والدجل . وانهارت التقوى الاغريقية  
التي كانت سائدة في عصر الامبراطورية أو عصر يريكليس العظيم  
وهجرت المعابد الكبرى ولهذا لم تمد الدولة تهم ببناء المعابد العظيمة  
كما كان الحال في العصر الكلاسيكي .

« والله أعلم »

## فهرس لموضوعات الكتاب

رقم الصفحة

أولا :

- ٥ . . . . . الفصل الأول : مدخل الى الموضوع .  
الموقع الجغرافي وأثره على تطور الحضارة ٨ ، الأسطورة  
والدين عند الأغريق ١٢ ، أصل الأغريق ٢٣ ، أسطورة البطل  
نيسوس ٢٩ .
- ٣٢ . . . . . الفصل الثاني : العصر الهيللاذى .  
حضارة كريت ٣٣ ، الحضارة الموكينية ٤٨ ، السجلات  
الكتابية الموكينية وحل روموزها ٥٣ ، مظاهر الحضارة  
الموكينية ٥٨ ، الحروب الطروادية ٦٨ ، الفوز الدوري  
٧٠ ، أثينا والتراث الموكينى ٧٢ ، الهجرة الى ساحل آسيا  
الصغرى وقيام المدن الايونية ٧٦ .
- ٨٣ . . . . . الفصل الثالث : حضارة عصر الأبطال أو العصر الهومرى .  
هومروس ٨٣ ، الألياذة والأودسا ٨٧ ، أحوال بلاد اليونان  
السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية أبان العصر  
الهومرى ٩١ .
- ٩٦ . . . . . الفصل الرابع : قيام جمهوريات المدن وتوثيق روابط التراث  
الحضارى .  
دولة المدينة ومفهومها ٩٧ ، أرجوس ودورها ١٠٥ ، حركة  
الادماج السياسى وقيام المدن ١٠٨ ، بروز دلفى كمركز روحى  
لكل الأغريق ١١١ ، الألعاب الاولمبية وأثرها فى تطور الروح  
القومية بين الأغريق ١١٤ ، قيام وسقوط الحكم الأرستقراطى  
١٢٣ ، الفينيقيون ودورهم فى تنمية الحضارة الاغريقية ١٢٦ .
- ١٢٣ . . . . . الفصل الخامس : عصر الانتشار والاستيطان .  
أسباب ودوافع هذه الحركة ١٣٤ ، شعائر واجراءات  
المستوطنة ١٣٧ ، فى آسيا الصغرى ، ١٤٠ ، فى صقلية  
وجنوب إيطاليا ١٤١ ، سيراكوزة ١٤١ ، فى جنوب أوروبا  
١٤٦ ، فى شمال افريقيا ووادى النيل ١٤٧ ، مستوطنة  
قورينه ١٤٧ ، نقراتيس ١٥٩ ، فى منطقة البحر الاسود ١٦٥  
بيزنطة ١٦٦ ، فى ثراكيا وشمال غرب حوض بحر ايجة ١٧١ ،  
فى الساحل الغربى لبلاد اليونان والبحر الادرياتيكي ١٧١ ،  
نتائج عصر الانتشار والاستيطان ١٧٢ .

رقم الصفحة

١٧٣

**الفصل السادس : قيام الدولة الأسبرطية**  
دستور اسبرطة ١٧٦ ، قوانين وتشريعات لوكرجوس والتربية  
الاسبرطية ١٧٧ .

١٨٥

**الفصل السابع : قيام الدولة الاثينية**  
بدور الديمقراطية ١٩٢ ، محاولة كولون لاقامة دكتاتورية  
١٩٤ دراكون وقوانينه ١٩٥ ، سولون واصلاحياته ١٩٦ .

٢٠٣

**الفصل الثامن : عصر الطفافة الاغريق**  
كورنشا ٢٠٦ ، اسرة باخياس الارستقراطية في كورنشا ٢١١ ،  
قيام حكم الطفافة في كورنشا ٢١٢ ، نهاية حكم الطفافة في كورنشا  
٢١٧ ، اغتيال هيبارخوس ٢١٩ ، محاولات كليثينيس لوضع  
اساس النظام الديمقراطي ٢٢١ ، النظام الديمقراطي يثبت  
نفسه ٢٢٦ .

٢٢٨

**الفصل التاسع : الصراع بين الفرس والاغريق** .

٢٢٩

مقدمة لأسباب الصراع ٢٢٨ ، قيام الامبراطورية الفارسية .  
ثورة المدن الايونية ضد الفرس بتحريض اثينا ٢٣٨ ، حملته  
الفرس الاولى ضد بلاد اليونان ٢٣٨ ، موقعة الماراثون ٢٣٩  
ارستيديس وثمانستوكليس ٢٤١ ، الحرب ضد ايجينا ٢٤٢ ،  
حملة الفرس الثانية ضد بلاد اليونان ٢٤٢ ، معركة مضيق  
الثرموبيلاي ٢٤٤ ، معركة سلاميس ٢٤٥ ، معركة موكالي  
وبلاتيا ٢٤٧ ، الشاعر ايسخولوس ودوره في الحرب ٢٤٩ ،  
انتصار اثينا وبداية سياسة تحصين المدينة بالاسوار ٢٥١ ،  
الملك الاسبرطي باوسانياس وتأمره مع الفرس ضد التوسع  
والتحريض الاثيني ٢٥١ .

٢٥٣

**الفصل العاشر : قيام الامبراطورية الاثينية** .

ظهور الاستعلاء الاثيني ٢٥٣ ، قيام حلف ديلوس ٢٥٤ ، نفى  
ثمانستوكليس وتولى الحزب المحافظ بزعامة كيمون ٢٥٥ ،  
كيمون يساعد اسبرطة ٢٥٧ ، نفى كيمون وظهور ايفيا لتيس  
٢٥٨ اغتيال ايفينا لتيس وتولى بيريكليس وبرنامجه  
الديموقراطي ٢٥٨ ، بداية التحرش بين اثينا واسبرطة ٢٦٠  
بيريكليس يحصن اثينا ٢٦٢ ، بيريكليس وتوسعه في شرق بلاد  
اليونان ٢٦٢ ، هدنة الثلاثين عام بين اثينا واسبرطة ٢٦٤ .

٢٦٥

**الفصل الحادي عشر : اثينا في عصر بيريكليس** .

تحليل لشخصية بيريكليس ٢٦٥ ، الادارة ونظم الحكم ٢٦٩  
الحالة الاقتصادية ٢٧١ ، الحياة الاجتماعية ٢٧٢ ، الفنون  
والاداب ٢٧٢ ، المعمار والفنون ٢٧٥ ، معبد البارثينون ٢٧٨  
فيدياس ٢٧٨ ، الاداب : ايسخولوس ٢٨٥ ، سوفوكليس  
٢٨٦ يوريبيديس ٣٨٨ ، الكوميديا الاثينية ٢٩٠ ، الفلسفة  
والعلوم ٢٩٣ ، انا كساجوراس ٢٩٤ ، امبيدوكليس ٢٩٤ ،  
٢٩٥ ، علم التاريخ ٣٠١ ، هيرودوت ابو التاريخ ٣٠١ ،  
هيرودوت في مصر ٣٠٣ ، ثوكوديديس المؤرخ العلمي ٣١٦ .

صفحة

الفصل الثاني عشر : الحروب البيلوبونيسية . . . ٣١٧-

ثوكوديديس يؤرخ لهذه الحرب ٣١٨ ، أسباب اندلاع الحرب ٣٢١ تدخل أثينا في الحرب الاهلية في جزيرة كوركير ٣٢٢ ، كورنثا ترد بالتدخل في بوتيدايا ٣٢٢ ، طرد ميجارا من الموانئ الاثينية ٣٢٣ مجلس حلف البيلوبونيسوس يعلن الحرب على أثينا وحلف ديلوس ٣٢٣ وضع الدولتين المتحاربتين ٣٢٥ ، اسبرطة وحلفائها ٣٢٥ ، أثينا وحلفائها ٣٢٥ ، طيبة تهاجم بلاطيسا ٣٢٦ ، قوات البيلوبونيسوس تغزو آتيكا ٣٢٧ ، بيريكليس يكرم الشهداء ٣٢٧ ، تفشي وباء الطاعون في أثينا وسقوط بيريكليس ضحية لهذا الوباء ٣٣١ ، تمرد موتيليني ورعونه كليون في معالجة الموقف ٣٣٣ ، القوات الاثينية تغزو البيلوبونيسوس ٣٣٤ ، اسبرطة تبعث بالجنرال براسيداس ضد مصالح أثينا في تراكيا ٣٣٥ ، حملة أثينا ضد طيبة ٣٣٦ ، صلح نيكياس وانتهاء الجولة الاولى للحرب ٣٣٧ ، الاحوال السياسية بعد صلح نيكياس ٣٣٨ ، تولى الكبياديس ٣٣٨ ، مذبحه ميلوس ٣٤٠ ، حملة أثينا في صقلية ٣٤١ ، حادثة تحطيم تمثيل هرميس ٣٤٢ ، الارمادا الاثينية ينحدر الى صقلية ٣٤٣ ، استدعاء الكبياديس للمحاكمة وهروبه الى اسبرطة ٣٤٤ ، تولى نيكياس ٣٤٥ ، الفرس يحرضون على الثورة ضد أثينا في ايونيا ٣٤٩ ، الكبياديس يعود ليقود قوات أثينا ٣٤٩ ، نكسة النظام الديموقراطي في أثينا ٣٥٠ ، سقوط الحكومة الاوليغارخية ٣٥١ ، عودة النظام الديموقراطي مرة اخرى ٣٥٢ قورش يرمى بثقله في المعركة ضد أثينا ويتخالف مع اسبرطة ٣٥٣ ، هزيمة أثينا وعزل الكبياديس ٣٥٣ ، معركة ارجينوساي ٣٥٤ هزيمة أثينا النهائية في الحرب ٣٥٥ ، استسلام أثينا وقبولها لشروط اسبرطة ٣٥٦ ، تعليق على راي ثوكوديديس في الحروب البيلونيسية ٣٥٨ ، سقوط النظام الديموقراطي الاثيني ٣٦٠ عودة النظام الديموقراطي مرة اخرى ٣٦١ .

الفصل الثالث عشر : الامبراطورية الاسبرطية . . . ٣٦٢

قورش ورحلة العشرة آلاف اثيني ٣٦٥ ، كسينوفون يسجل احدث هذه الحملة ٣٦٦ ، توتر العلاقات بين الفرس واسبرطة ٣٧٠ ، اندلاع التمرد ضد اسبرطة في البيلوبونيسوس ٣٧٢ ، تمرد كورنثا ٣٧٤ ، مؤامرة اسبرطة لاحتلال قلعه كاداميا في طيبة ٣٧٨ ، محاولة اسبرطة لاحتلال ميناء بيرايوس ٣٨٠ ، قيام المدرسة العسكرية في طيبة ٣٨٠ ، أثينا تنتقم من اسبرطة ٣٨١ ، صلح كالياس ٣٨٢ ، تحالف طيبة مع ياسون طاغية فيراي ٣٨٣ ، معركة ليوكترا ونهاية السطوة الاسبرطية ٣٨٣ ، تحليل لأسباب سقوط الامبراطورية الاسبرطية ٣٨٤ ، نهاية اسبرطة وتواربها عن الاحداث ٣٩٢ .

صفحة

٣٩٤ . الفصل الرابع عشر : الامبراطورية الآثينية الثانية  
الاحداث التي مرت بها آثينا منذ هزيمتها ٣٩٦ ، آثينا تساعد  
ثوار طيبة ٤٠٢ قيام التحالف الكوتيفدراالى وقواعده ٤٠٣ ،  
تقيم الاتحاد ٤٠٧ ، الظروف التي مر بها الاتحاد منذ قيامه  
حتى سقوطه ٤١١ ، مرحلة التأسيس ٤١١ ، مرحلة تدهور  
العلاقات بين آثينا وحلفائها ٤١٣ ، مرحلة تفجر الصراع  
وانهيار التحالف ٤١٥ .

٤٢٠ . الفصل الخامس عشر : محاولة طيبة لبناء امبراطورية .  
تفكك الدولة الاسبرطية ٤٢٤ ، استقلال اركاديا ٤٢٤ ،  
استقلال ميسينيا ٤٢٩ ، ابا مينونداس يغزو البليوبونيسوس  
٤٣٠ آثينا واسبرطة تطالبان طيبة باحترام سلام الملك ٤٣١  
تحالف الاغريق ضد طيبة ٤٣٣ ، طيبة تتدخل في مشاكل  
مقدونيا ٤٣٥ ، معركة مانتينيا وسقوط الامبراطورية في طيبة  
٤٣٨ . تقييم تاريخي لشخصية ابا مينونداس ٤٤٢ .

٤٤٧ . الفصل السادس عشر : مقدونيا تفرض سيادتها على بلاد اليونان .  
مقدونيا الجغرافيا والسكان ٤٤٦ ، الاسطورة القومية ٤٥٢ ،  
ملوك مقدونيا ٤٥٣ الاسكندر الاول ٤٥٣ ، الملك بزديكاس  
٤٥٧ ، الملك ارخيلاءوس ٤٥٨ الملك امونتاس الثاني ٤٦٠ ،  
الصراع حول العرش المقدوني وتدخل آثينا واسبرطة ٤٦٢ ،  
فيليب الثاني يحقق لمقدونيا الوحدة والسيادة والتفوق  
العسكري ٤٦٦ ، فيليب ومناجم الذهب ٤٦٨ زواج فيليب  
وانجابه الاسكندر الثاني ٤٦٩ ، انصراف بين فيليب والاغريق  
٤٧١ ، فوكيس تتسبب في حرب مقدسة بين الاغريق ٤٧٣ ،  
فيليب يستولى على اولينثوس ٤٧٨ ، ديموستينيس الخطيب  
الآثيني ٤٧٩ فيليب يزور دلفي ٤٨١ ، ايسوقراط يدعو  
لوحدة الاغريق ٤٨١ ، سياسة فيليب تجاه الاغريق بعد  
سقوط اولينثوس ٤٨٣ ، سلام فيلوكراتيس ٤٨٣ ، عودة  
الخلاف بين فيليب والاغريق ٤٨٧ ، ديموستينيس يزكى نار  
العداء ضد فيليب ٤٨٩ ، فتوحات فيليب في تساليا وتراكي  
٤٩٢ ، الخرسونيسوس بين آثينا ومقدونيا ٤٩٢ ، العالم  
الاغريقى تحالف ضد مقدونيا ٤٩٤ ، فيليب يسحق الاغريق  
في خابرونيا ٤٩٥ ، مؤتمر كورنثا وتعيين فيليب قائدا عاما  
لتحالف الاغريق والمقدونيين ٥٠٠ ، اغتيال فيليب ٥٠٢ ،  
تقييم لتاريخ فيليب ٥٠٣ ، الاسكندر الاكبر يتولى مكان ابيه  
٥٠٥ . ارسطو معلم الاسكندر ٥٠٦ الاسكندر يسحق تمرد  
الاغريق ٥٠٧ ، تمرد طيبة وتدميرها ٥١٢ ، عودة المدن  
الاغريقية الى حوزة مقدونيا ٥١٣ ، حملة الاسكندر نحو  
الشرق ٥١٤ ، معركة نهر جرانيكوس ٥١٥ ، موقعة اسوس  
ودخول الاسكندر الى الشرق الاوسط ٥١٧ ، الاسكندر  
الاكبر في مصر ٥١٨ ، تأسيس مدينة الاسكندرية ٥٢٣ ،

صفحة

الفصل الثاني عشر : الحروب البيلوبونيسية . ٣١٧ .

ثوكوديديس يؤرخ لهذه الحرب ٣١٨ ، أسباب اندلاع الحرب ٣٢١ تدخل أثينا في الحرب الأهلية في جزيرة كوركيरा ٣٢٢ ، كورنثا ترد بالتدخل في يوتيدايا ٣٢٢ ، طرد ميجارا من الموانئ الأثينية ٣٢٣ مجلس حلف البيلوبونيسوس يعلن الحرب على أثينا وحلف ديلوس ٣٢٣ وضع الدولتين المتحاربتين ٣٢٥ ، اسبرطة وحلفائها ٣٢٥ ، أثينا وحلفائها ٣٢٥ ، طيبة تهاجم بلاتيسا ٣٢٦ ، قوات البيلوبونيسوس تغزو آتيكا ٣٢٧ ، بيريكليس يكرم الشهداء ٣٢٧ ، تفشى وباء الطاعون في أثينا وسقوط بيريكليس ضحية لهذا الوباء ٣٣١ ، تمرد موبيليني ورعونه كليون في معالجة الموقف ٣٣٣ ، القوات الأثينية تغزو البيلوبونيسوس ٣٣٤ ، اسبرطة تبعث بالجنرال براسيداس ضد مصالح أثينا في تراكييا ٣٣٥ ، حملة أثينا ضد طيبة ٣٣٦ ، صلح نيكياس وانتهاء الجولة الأولى للحرب ٣٣٧ ، الأحوال السياسية بعد صلح نيكياس ٣٣٨ ، تولى الكبياديس ٣٣٨ ، مذبحه ميلوس ٣٤٠ ، حملة أثينا في صقلية ٣٤١ ، حادثة تحطيم تمثيل هرميس ٣٤٢ ، الأرمادا الأثينية ينحرف إلى صقلية ٣٤٣ ، استدعاء الكبياديس للمحاكمة وهروبه إلى اسبرطة ٣٤٤ ، تولى نيكياس ٣٤٥ ، الفرس يحرضون على الثورة ضد أثينا في أبونيا ٣٤٩ ، الكبياديس يعود ليقود قوات أثينا ٣٤٩ ، تكتة النظام الديموقراطي في أثينا ٣٥٠ ، سقوط الحكومة الأوليجارخية ٣٥١ ، عودة النظام الديموقراطي مرة أخرى ٣٥٢ قورش يرمى بثقله في المعركة ضد أثينا ويتخالف مع اسبرطة ٣٥٣ ، هزيمة أثينا وعزل الكبياديس ٣٥٣ ، معركة أرجينوساي ٣٥٤ هزيمة أثينا النهائية في الحرب ٣٥٥ ، استسلام أثينا وقبولها لشروط اسبرطة ٣٥٦ ، تعليق على رأي ثوكوديديس في الحروب البيلونيسية ٣٥٨ ، سقوط النظام الديموقراطي الأثيني ٣٦٠ عودة النظام الديموقراطي مرة أخرى ٣٦١ .

الفصل الثالث عشر : الإمبراطورية الاسبرطية . ٣٦٢ .

قورش ورحلة العشرة آلاف أثيني ٣٦٥ ، كسينوفون يسجل أحداث هذه الحملة ٣٦٦ ، توتر العلاقات بين الفرس واسبرطة ٣٧٠ ، اندلاع التمرد ضد اسبرطة في البيلوبونيسوس ٣٧٢ ، تمرد كورنثا ٣٧٤ ، مؤامرة اسبرطة لاحتلال قلعه كادمية في طيبة ٣٧٨ ، محاولة اسبرطة لاحتلال ميناء بيرا يوس ٣٨٠ ، قيام المدرسة العسكرية في طيبة ٣٨٠ ، أثينا تنتقم من اسبرطة ٣٨١ ، صلح كالياس ٣٨٢ ، تحالف طيبة مع ياسون طاغية فيراي ٣٨٣ ، معركة ليوكترا ونهاية السطوة الاسبرطية ٣٨٣ ، تحليل لأسباب سقوط الإمبراطورية الاسبرطية ٣٨٤ ، نهاية اسبرطة وتواربها عن الأحداث ٣٩٢ .

صفحة

٣٩٤ . الفصل الرابع عشر : الامبراطورية الآثينية الثانية .  
الاحداث التي مرت بها آثينا منذ هزيمتها ٣٩٦ ، آثينا تساعد  
ثوار طيبة ٤٠٢ قيام التحالف الكونفدرالى وقواعده ٤٠٣ :  
تقيم الاتحاد ٤٠٧ ، الظروف التي مر بها الاتحاد منذ قيامه  
حتى سقوطه ٤١١ ، مرحلة التأسيس ٤١١ ، مرحلة تدهور  
العلاقات بين آثينا وجلفانها ٤١٣ ، مرحلة تفجر الصراع  
وانهيار التحالف ٤١٥ .

٤٢٠ . الفصل الخامس عشر : محاولة طيبة لبناء امبراطورية .  
تفكك الدولة الاسبرطية ٤٢٤ ، استقلال اركاديا ٤٢٤ ،  
استئصال مسينيا ٤٢٩ ، ابا مينونداس يغزو البيليوبونيسوس  
٤٣٠ آثينا واسبرطة تطالبان طيبة باحترام سلام الملك ٤٣١  
تحالف الاغريق ضد طيبة ٤٣٣ ، طيبة تتدخل في مشاكل  
مقدونيا ٤٣٥ ، معركة مانتينيا وسقوط الامبراطورية في طيبة  
٤٣٨ . تقييم تاريخى لشخصية ابامينونداس ٤٤٢ .

٤٤٧ . الفصل السادس عشر : مقدونيا تفرض سيادتها على بلاد اليونان .  
مقدونيا الجغرافيا والسكان ٤٤٦ ، الاسطورة القومية ٤٥٢ ،  
ملوك مقدونيا ٤٥٣ الاسكندر الاول ٤٥٣ ، الملك بزديكاس  
٤٥٧ ، الملك ارخيلاءوس ٤٥٨ الملك امونتاس الثانى ٤٦٠ ،  
الصراع حول العرش المقدونى وتدخل آثينا واسبرطة ٤٦٢ ،  
فيليب الثانى يحقق لمقدونيا الوحدة والسيادة والتفوق  
العسكرى ٤٦٦ ، فيليب ومناجم الذهب ٤٦٨ زواج فيليب  
وانجابه الاسكندر الثانى ٤٦٩ ، انصراف بين فيليب والاغريق  
٤٧١ ، فوكيس تتسبب في حرب مقدسة بين الاغريق ٤٧٣ :  
فيليب يستولى على اولينثوس ٤٧٨ ، ديموستينيس الخطيب  
الآثينى ٤٧٩ فيليب يزور دلفى ٤٨١ ، ايسوقراط يدعو  
لوحدة الاغريق ٤٨١ ، سياسة فيليب تجاه الاغريق بعد  
سقوط اولينثوس ٤٨٣ ، سلام فيلوكراتيس ٤٨٣ ، عودة  
الخلاص بين فيليب والاغريق ٤٨٧ ، ديموستينيس يزكى ناز  
العداء ضد فيليب ٤٨٩ : فتوحات فيليب في تساليا وتراكيا  
٤٩٢ ، الخرسونيسوس بين آثينا ومقدونيا ٤٩٢ ، العالم ا  
الاغريق يتحالف ضد مقدونيا ٤٩٤ ، فيليب يسحق الاغريق  
في خابرونيا ٤٩٥ ، مؤتمر كورنثا وتعيين فيليب قائدا عاما  
لتحالف الاغريق والمقدونيين ٥٠٠ ، اغتيال فيليب ٥٠٢ ،  
تقييم لتاريخ فيليب ٥٠٣ ، الاسكندر الاكبر يتولى مكان ابيه  
٥٠٥ : ارسطو معلم الاسكندر ٥٠٦ الاسكندر يسحق تمرد  
الاغريق ٥٠٧ ، تمرد طيبة وتدميرها ٥١٢ ، عودة المدن  
الاغريقية الى حوزة مقدونيا ٥١٣ ، حملة الاسكندر نحو  
الشرق ٥١٤ ، معركة نهر جرانيكوس ٥١٥ ، موقعة اسوس  
ودخول الاسكندر الى الشرق الاوسط ٥١٧ ، الاسكندر  
الاكبر في مصر ٥١٨ ، تأسيس مدينة الاسكندرية ٥٢٣ ،



## صفحة

زيارة الاسكندر لمعبد آمون في سيوة ٥٢٦ ، الاسكندر ينظم  
مصر قبل ان يغادرها ٥٢٧ ، تعليق تاريخي لنتائج فتح  
الاسكندر لمصر وبناء الاسكندرية ٥٣١ ، معركة جاوجاميللا  
٥٣٦ ، فتح بابل ٥٣٧ ، فتح سوسا وبرسيس ٥٣٧ ، موت  
الملك دارا الثالث ٥٣٩ ، الاسكندر بطل آسيا ٥٤٠ ، غزو  
الشرق الأقصى ٥٤١ ، الاسكندر في الهند ٥٤٦ ، افكار  
الاسكندر لتوحيد الشرق والغرب ٥٤٩ ، صلاة الاسكندر من  
اجل الوفاق العالمى ٥٥١ ، الاسكندر في بابل ٥٥٢ ، الاسكندر  
وبلاد العرب ٥٥٣ ، الحمى تدهم الاسكندر وتقضى عليه ٥٥٥ ،  
تحليل لشخصية واعمال الاسكندر الاكبر ٥٥٥ ، بلاد اليونان  
تحت السيطرة المقدونية ٥٦٧ ، احتدام الأزمة بين ايسوقراط  
وديموستينيس ٥٦٨ ، اثينا في ظلال الحكم المقدونى ٥٦٩ ،  
مارباليوس وتزوته يسببان أزمة بين اثينا ومقدونيا ٥٧٠ ،  
اعلان موت الاسكندر ورد الفعل على الاغريق ٥٧١ .

## الفصل السابع عشر : الحصار الاغريقية ابان القرن الرابع قبل

الميلاد . . . . . ٥٧٤  
نظرة عامة ٥٧٤ ، العمارة والفنون ٥٨٣ ، التاريخ ٥٨٥ ،  
البلاغة والخطابة والنثر ٥٨٩ ، العلوم والفلسفة ٥٩٠ ،  
افلاطون ٥٩١ ، ارسطوطاليس ٥٩٣ ، الديانة الاغريقية ٥٩٦

## ثانيا - قائمة الخرائط :

١ - خريطة لبلاد اليونان وحوض بحر ايجه . . . . . ص ٥  
٢ - خريطة لمدين اليونان وحوض بحر ايجه . . . . . ٣٤  
٣ - خريطة لحوض بحر ايجه . . . . . ٧٩  
٤ - خريطة لاهم مدن وجزر بلاد اليونان وبحر ايجه . . . . . ١١٠  
٥ - خريطة للطريق الذى اتبعه الاسكندر لغزو  
الشرقيين الاوسط والاقصى . . . . . ٥٥٤

## ثالثا - الصور :

١ - تمستوكليس بطل سلاميس . . . . . ٢٤٦  
٢ - ايسخولوس . . . . . ٦٤٨  
٣ - بيريكليس . . . . . ٢٦٦  
٤ - منظر عام للأكروبول ومعبده . . . . . ٢٧٧  
٥ - منظر لاحدى اعمدة الارخثيون . . . . . ٢٧٩  
٦ - تمثال رامى القرص لميرون . . . . . ٢٨١

صفحة	
٢٨٣	٧ - نموذج لحدى الاوانى المصورة . . . . .
٢٨٧	٨ - سونوكليس . . . . .
٢٩٨	٩ - وجه سقراط . . . . .
٢٩٨	١٠ - تمثال لسقراط . . . . .
٤٨٥	١١ - تمثال أيسخينيس الخطيب . . . . .
٤٩٠	١٢ - تمثال ديموستينيس الخطيب والسياسى الاثينى . . . . .
٥٠٨	١٣ - تمثال للاسكندر الاكبر . . . . .

تم بحمد الله وتوفيقه فى يوم الأحد الموافق الثانى والعشرين  
من جنادى الآخرة عام ١٣٩٦ هجرية الموافق العشرين من  
يونيو عام ١٩٧٦ ميلاديه والموافق الثالث عشر من شهر  
بؤونه عام ١٦٩٢ من السنة القبطية .

بسم الله الرحمن الرحيم



رقم الايداع بدار الكتب ٢٢٨٧ سنة ١٩٧٦



